صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفة

(تمت فهرسة الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب)

الجزء الرابع من كتاب نفح الطيب
من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب تأليف
العلامه المقرى
رحمه
الله

٤

(الباب الخامس)

فى ايراد جملة من نثره الذى عبق أريج البلاغة من نفحاته ونظمه الذى تألق نور البراعة من لمحاته وصفحاته وما يتصل به من أزجاله وموشحاته ومناسبات رائقة فى فنون الادب ومصطلحاته اعلم سلك الله تعالى بى وبك أوضح محجه وجعلنا ممن ابتغى صوب الصواب ونهجه ان هذا الباب هو المقصود بتأليف هذا الكتاب وغيره كالتبع له وها أنا اذكر ما حضرنى الآن من بنات أفكار لسان الدين التى هى بالمحاسن متقنعة وللبدائع منتعلة فأقول * أما نثره فهو البحر الزخار بل الدر الذى به الافتخار وناهيك أن كتبه الآن فى المغرب قبلة ارباب الانشاء التى اليها يصلون وسوق دررهم النفيسة التى يرشون بها صدور طروسهم ويحلون وخصوصا كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فانه وان ... مجلداته على فن الانشاء والكتابة مقصور وقد اشتمل على السلطانيات وغيرها ومخاطباته لاهل المشرق والمغرب على لسان ملوك الاندلس الذين علم بلاغتهم منشور وقد تركت نسخته منه فى المغرب ولو حضرنى لاكتفيت عن هذه الفوائد التى أتعبت خاطرى فى جمعها من مقيداتى التى صحبتها معى وهى قليلة (وقد) مر فى هذا الكتاب جملة من نثره ونظمه والذى نجلبه هنا زيادة على ما سبق (وقال) رحمه الله تعالى فى الاحاطة عند ترجمة نفسه ما صورته وأما النثر فبحر زاخر ومدى طلقه متأخر وانك لم يفخر عليك كفاخر وقد مر منه فى تضاعيف هذا الديوان كثير ونحن نجلب منه ما يشير اليه مشير انتهى * فمن ذلك قوله فى غرض التحميد مما افتتح به الكتاب فى التاريخ المتضمن دولة بنى نصر الحمد لله الذى جعل الازمنة كالافلاك ودول الاملاك كانجم الاحلاك تطلعها من المشارق نيرة وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة ثم تذهب بها غائرة متغيرة السائق عجل ... الوجود مرتحل والحى من الموت وجل والدهر لا معتذر ولا خجل يتبارى الدست عظيم الزحام والموكب شديد الالتحام والوزعة تشير والابواب يقرعها البشير

والسرور قد شمل الاهل والعشير والاطراف تلثمها الاشراف والطاعة يشهرها الاعتراف والاموال يحوطها العدل او يبيحها الاسراف والرايات تعقد والاعطيات تنقد اذ رأيت الابواب مهجورة والدسوت لا مؤملة ولا مزورة والحركات قد سكنت وأيدي الادالة قد تمكنت فكانما لم يسمر سامر ولا نهى ناه ولا أمر آمر ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح (ومن نثره) قوله في استدعاء امداد وحض على الجهاد أيها الناس رحمكم الله تعالى اخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم وزحفت أحزاب الطواغيت اليهم ومد الصليب ذراعيه عليهم وأيديكم بعزة الله تعالى أقوى وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى وهو دينكم فانصروه وجواركم الغريب فلا تخفروه وسبيل الرشد قد وضح فلا تنصروه الجهاد الجهاد فقد تعين الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين الله الله في الاسلام الله الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله قد استغاث بكم الدين فأغيثوه قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه أعينوا اخوانكم بما أمكن من الاعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد جددوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد صلوا رحم الكلمة واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة كتاب الله بين أيديكم وألسنة الآيات تناديكم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم والله سبحانه يقول فيه يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ومما صح عنه قوله من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمهما الله على النار لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت بادروا عليل الاسلام قبل أن يموت احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده جاهدوا في الله بالالسن والاقوال حق جهاده

ماذا يكون جوابكم لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد

ان قال لم فرطتم في أمتي * وتركتموهم للعدو المعتدي

تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحياء من وجه ذاك السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد اللهم بث لنا الحمية في البلاد اللهم دافع عن الحريم والضعف والاولاد اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك يا خير الناصرين اللهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا انتهى (ومن ذلك) قوله في صداق أمره السلطان بانشائه لكبير الشرفاء بفاس في فصل منه تضمن ذكر أوليتهم واستيطانهم لتلك المدينة ماصورته فضرب بفاس عمرها الله تعالى حلته وأورث منها بالبقعة الزكية الرفيعة سراته وجلته فتبوؤا من ذلك الغور المعشب الروض الاريج النور هالة سعد وأفق برق ورعد ودست وعيد ووعد يتناقلون رتب الشرف الصريح كابرا عن كابر ويروى

صدل الجد عن يتيم الرفيع الجد كل حريص على عوالى المعالى مثابر

فالكف عن صلة والاذن عن حسن • والعين عن قرة والقلب عن جابر

حيث الانوف الشم والوجوه الغر والعزة القعساء والنسب الحر والدواطم فى صدف الصون من لدن الكون كأنهن الدر آل رسول الله ونعم الآل والموارد الصادقة اذا كذب الآل ومن اذا لم يصل عليهم فى الصلاة حبطت منهم الاعمال طيبة الراكب ونشدة الناشد وسراة لؤى بن غالب ومشتق نور الله تعالى ما بين فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب انتهى وهو طويل لم يحضرنى منه الآن سوى ما ذكرته •(ومن ذلك) قوله رحمه الله تعالى كتبت الى بعض السادة الفضلاء وقد بلغنى مرضه أيام كان الازعاج عن الاندلس الى الايالة المرينية وردت على من فتى التى اليها فى معركة الدهر أتحيز وبفضل غناها فى الاقدار المشتركة أعتز معماة سرت وساءت وبلغت من التصديق ما شاءت أطلع بها صنيعة وده من شكواه على كل عابث فى السويداء موجب اقتحام البيداء مضرم نار الشفقة فى فؤاد لم يبق من صبره الا القليل ولا من افصاح لسانه الا الانين والاليل ونوى مدت لغير ضرورة يرضاها الخليل فلا تسأل عن ضنين تعارقت اليد الى رأس ماله أو عابد توزع فى تقبل أعماله أو آمل ضويق فى فذلكة آماله لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق وعارضت القواعد الموحشة بالفروق ورأيت الخط يهز والحمد لله ويروق واللفظ الحسن توضح فى حبره للمعنى الاصيل بروق فقلت ارتفع الوصب ورد من الصحة المغتصب وآلة الحس والحركة هى العصب واذا أشرق سراج الادراك دل على سلامة سليطه والروح خليط البدن والمرء بخليطه وعلى ذلك فتلبد احتياطى لا يتنبه الا الشرح فيه يسكن الطمأ البرح وعذرا عن التكلف فهو محل الاستقصاء والاستفسار والاطناب والاكثار وزند القلق فى مثلها أورى والشفيق بسوء الظن مغرى والسلام (ومن نثر لسان الدين) ما ذكره فى الاحاطة فى ترجمة أبى عبد الله الشديد وهو محمد بن قاسم بن أحمد بن ابراهيم الانصارى الجيانى الاصل ثم المالقى اذ قال ما صورته جملة جمال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله بلبل دوح السبع المثانى وماشطة عروس أبى الفرج بن الجوزى وآية صقعه ونسيج وحده فى حسن الصوت وطيب النغمة اقتصر لذلك دعوت الملوك وجر أذيال الشهرة عذب الفكاهة ظريف المجالسة قادرا على الحسا كاء متسورا حمى الوقار مليا داعى الانبساط قلد شهادة الديوان بمالقة فكان مغار حبل الامانة شامخ مارن النزاهة لوحا للالقاب وعززت ولايته بعض الالقاب النبيهة وهو الآن الناظر فى أمور الحسبة ببلده ولذلك خاطبته برقعة أداعبه بها وأشير الى اضداده بمانصه

يا أيها المحتسب الجزل • ومن لديه الجد والهزل

يهنيك والشكر لرب الورى • ولاية ليس لها عزل

كتبت أيها المحتسب المنتمى الى النزاهة المنتسب أهنيك ببلوغ تمنيك وأحذرك من طمع نفس بالغرور تمنيك فكانى بك وقد طافت بركابك الباعة ولزم أمرك السمع

والطاعة وارتفعت فى مصانعتك الطماعة وأخذت أهل الريب بغتة كما تقوم الساعة ونهضت تقعد وتقيم وسطوتك الريح العقيم وبين يديك القسطاس المستقيم ولابد من شرك ينصب وجماعة على ذى جاه تعصب ودالة يبث بها الجناب الاخصب فان غضضت طرفك أمنت على الولاية صرفك وان ملأت طرفك رحلت عنها حرفك وان كففت فيها كفك حفك العرفين حفك فكن لقالى الجبنة قاليا ولحوت السلة ساليا وأبد لدقيق الحوارى زهد حوارى وازهد فيما بأيدى الناس من العوارى وسر فى اجتناب الحلواء على السبيل السواء وارفض فى الشواء دواعى الاهواء وكن على الهراس وصاحب ثريد الراس شديد المراس وثب على طبخ الاعراس ليثا مرهوب الافتراس وأدب أطفال الفسوق فى السوق سيما من كان قبل البلوغ والبسوق وصمم على استخراج الحقوق والناس أصناف فمنهم خسيس يطمع منك فى أكله ومستعد عليك بوكزة أوركله وحاسد فى مطية تركب وعمامة تسكب فاخفض للحاسد جناحك وسدد الى حربه رماحك وأشبع الخسيس منهم مرقة فانه حنق ودس له فيها عظما لعله يختنق واحفر لشريرهم حفرة عميقة فانه العدو حقيقة حتى اذا حصل وعلمت ان وقت الانتصار قد اتصل فأوقع وأوجع ولاترجع وأولياءه من الشياطين فأفجع والحق أقوى وان تعفوا أقرب للتقوى سددك الله تعالى الى غرض التوفيق وأعلقك من الحق بالسبب الوثيق وجعل قدومك مقرونا برخص اللحم والزيت والدقيق انتهى (ومما كتب به) لسان الدين الى على بن بدر الدين الطوسى بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من مدينة سلا مانصه

يا جملة الفضل والوفاء * مابعمالك من خفاء
عندى بالود فيك عقد * صحفه الدهر ما كتفاء
ماكنت أقضى حلاك حقا * لوجئت مدحا بكل فاء
فأول وجه القبول عذرى * وحسبك الشك فى صفاء

سيدى الذى هو فصل جنسه ومزية يومه على أمسه فان افتخر الدين من أبيك ببدره افتخر منك بشمسه رسالت على المشا والقرارة ومحل الصبوة والفرارة فلم تتعلق نفسى بذخيرة ولاعهد جيرة خيرة كتعلقها بتلك الذات التى لطفت لطافة الراح واشتملت بالمجد الصراح شفقة ان تصيبها معرة والله تعالى يقيها ويحفظها ويبقيها اذ الفضائل فى الازمان الرذلة غوائل والضد عن ضده منحرف بالطبع ومائل فلما تعرفت خلاص سيدى من ذلك الوطن والقاءه وراء الفرضة بالعطن لم تبق لى تعلة ولا أحرضتنى له علة ولا أوتى بجمى من قلة فكتبت أهنى نفسى الثانية بعدهما نفسى الاولى وأعترف للزمان باليد الطولى فالحمد لله الذى جمع الشمل بعد شتاته وأحيا الانس بعد مماته سبحانه لامبدل لكلماته واياه اسأل أن يجعل العصمة حظ سيدى ونصيبه فلا يستطيع حادث أن يصيبه وأنا أخرج له عن بث كمين ونصح أبا يمين بعد أن أسبر غوره وأخبر طوره وأرصد دوره فان كان له فى التشريق أمل وفى ركب الحجاز ناقة وجمل والرأى فيه قد نجعت منه

نية وعمل . فقد عفى على عرف الفرات بأزكى الثمرات وأطفأ هنه الجمرات برى الجرات وتأنس بوصل السرى ووصال السرات وأما بعد أن رضينى أرضى مرافق ولواء عزى به خافق وان كان على السكون بناؤه وانصرف الى الاقامة اعتناؤه فأمر له ما بعده والله يحفظ من الغير سعده والحق أن تحذف الابهة وتختصر ويحفظ اللسان ويغض البصر وينخرط فى الغمار ويخلى عن المضمار ويجعل من المحظور مداخلة من لا خلاق له ممن لا يقبل الله تعالى قوله ولا عمله فلا يكتم سرا ولا يتطوق من الرجولة زرا ويرفض زمام السلامة ويترك العلامة على النجاة علامة وأما حالى فكما علم ملازم كن ومهبط تجربة وسن أزجى الايام وأروم بعد التفرق الالتئام خالى اليد ملىء القلب والخلد بفضل الواحد الصمد عامل على الرحلة الحجازية التى أختارها لكم ولنفسى وأمل فى التماس الاعانة عليها يومى بأمسى أوجب ما قررته لكم ما أنتم أعلم به من ود قررته الايام والشهور والخلوص المشهور وما أطلت فى شئ عهد قدومى على هذا الباب الكريم الطالتى فيما يختص بكم من موالاته وبذل مجهود القول والعمل فى مرضاته وأما ذكركم فى هذه الاوضاع فهو مما يتزعى الجادة والوظيفة التى يتنافس فيها أولو السيادة والله يصل بقاءكم وييسر لقاءكم والسلام انتهى • (ومن ترسلات الدين) ما أثبته فى الاحاطة فى ترجمة ابن خلدون صاحب التاريخ الذى تكرر نقلنا منه فى هذا التأليف (ولنذكر الترجمة بجملتها فنقول) قال رحمه الله تعالى فى الاحاطة ما نصه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمى من ذرية عثمان أخى كريب المذكور فى نبهاء ثوار الاندلس ونسب سلفهم الى وائل بن حجر وحاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة انتقل سلفه من مدينة اشبيلية عن نباهة وتعين وشهرة عند الحادثة بها أو قبل ذلك فاستقر بتونس منهم ثانى المحمدين محمد بن الحسن وتناسلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة وتصرف جد المترجم به فى القيادة وأما المترجم به فهو رجل فاضل حسن الخلق جم الفضائل باهر الخصل رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد وقور المجلس خاصى الزى عالى الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوى الجأش طامح لقنن الرياسة خاطب للحظ متقدم فى فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغرى بالتجلة جواد حسن العشرة مبذول المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعى خلال الاصالة مفخر من مفاخر التخوم المغربية قرأ القرآن ببلده على المكتب ابن برال والعربية على المقرى الزواوى وغيره وتأدب بأبيه وأخذ عن المحدث أبى عبد الله بن جابر الوادى آشى وحضر مجلس القاضى أبى عبد الله بن عبد السلام وروى عن الحافظ أبى عبد الله السطى والرئيس أبى محمد عبد المهيمن الحضرمى ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الابلى وانتفع به انصرف من افريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة وأقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوق العلم والادب أبى عنان

فارس بن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله
واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة
لبعده عن حسن التأني وشفوفه بثقوب الفهم وجودة الادراك فأغروا به السلطان
اغراء عضده ما جبل عليه عهدئذ من اغفال التحفظ عما يريب لديه فأصابته شدة تخلصه
منها أجل كانت مغربة في جفاء ذلك الملك وهناة جواره واحدى العواذل لأولي الهوى
في القول بفضله وعدم الخشوع واهمال التوسل وابادة المكسوب في سبيل النفقة
والارضاخ على زمن المحنة وجار المرل الخشن الى ان أفضى الامر الى السعيد ولده فأعتبه
قيم الملك لحينه وأعاده الى رسمه ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان لديه الاتصال
قبل تسوغ المحنة بما أكد حظوته فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرز السهام نبيه
الرتبة الى آخر أيامه ولما ألقت الدولة مقادها بعده الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الامر
وله اليه وسيلة وفي حلبه شركة وعنده حق رابه تقصيره عما ارتقى اليه أمله فساء ما بينهما
بما آل الى انفصاله عن الباب المريني وورد على الاندلس في أول ربيع الاول عام أربعة
وستين وسبعمائة واهتز له السلطان واركب خاصته لتلقيه وأكرم وفادته وخلع عليه
وأجلسه بمجلسه ولم يدخر عنه برا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة وفكاهة (وخاطبني لما حل
بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن (فأجبته) عنها بقولي

حللت حلول الغيث في البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المهد او الكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطة * تنسي اغتباطي بالشبيبة والأهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته ونور ضربت الامثال
بمشكاته وزيته لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة
واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف نماء ويغازل عيون الكواكب
فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا الوخط يلم بسياج لمته أو يقدح ذبالة في ظلمته
أو يقوم حواريه في ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى في النعيم
ومراح وقصف صراح ورقى وجراح وانتخاب واقتراح وصدور ما بها الا انشراح
ومسرات تردها أفراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن
محكما في نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا أكف الصيارف ماحيا
بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان راقني زمنه وأعياني ثمنه
وأجدت سحائب دمعي دمنه فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي وملكني أزمة آرابي
وغبطني بمالي وترابي ومألف أترابي وقد أغصني بلذيذ شرابي ووقع على سطوره
المعتبرة اضرابي وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية ومنتهى الطية وملتقى السعود غير
البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطية فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك
عاقلة خطى مهريك ومولى مكارمه نشيدة أمثالك ومطاق مثالك وسيصدق الخبر
ما هنالك ويسع فضل مجدك في التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام

• ولما استقر بالحضرة جرت بيني وبينه مكاتبات أقطعها الظرف جانبه وأوضح الأدب مذاهبه فمن ذلك ما خاطبته به وقد تسرى جارية رومية اسمها هند صبيحة الابتناء بها

أوصيك بالشيخ أبي بكره • لا تأمنن في حالة مكره
واجتنب الشك إذا جئته • جنبك الرحمن ما تكره

سيدي لا زلت تتصف بالوالج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض الهمالج أخبرني كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال وأحكم بمرود المراودة الاكتحال وارتفع بالسقيا الامحال وصح الاتصال وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك إلى بشر فلله من عشية تمتعت من الربيع بفرش موشية وأبدلت منها أي آساد وحشية وقد أقبل ظبي الكناس من الديماس ومطارق الحمام من الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظرية واذبلت عن الفرع الأثيث الأبرية وصقلت الخدود فكأنها الأمرية وسلط الدلك على الجلود واغريت النورة بالشعر المولود وعادت الأعضاء يزلق عنها اللمس ولا تنالها البنان الخمس والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم والمسواك يلبي من ثنية التنعيم والقلب يرمي من الكف الرقيم بالمقعد المقيم وينظر إلى نجوم الوشوم فيقول إني سقيم وقد تفتح ورد الخفر وحكم لزنجي الطفيرة بالظفر وانصف أمير الحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بالدخان العود الرطيب وأقبلت الغادة يهديها اليمن وترفها السعادة فهي تمشي على استحيا وقد ذاع طيب الريا وراق حسن المحيا حتى إذا نزع الخف وقبلت الأكف وصفف المزمار وتجاوب الدف وذاع الأرج وارتفع الحرج وتجوز اللواء والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الأرض وربت وعوصيت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت فقالت متى نلتقي • فهش اشتياقا إليها الخبيث
وكاد يمزق سرباله • فقلت إليك يساق الحديث

فلما انسدل جنح الظلام وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة السلام وخاطت خيوط المنام عيون الأنام تأتى دنو الجلسة ومسارقة الخلسة ثم عضة النهد وقبلة الفم والخد وإرسال اليد من النجد إلى الوهد وكانت الإمالة القليلة قبل المد ثم الإفاضة فيما يغبط ويرغب ثم الإماطة لما يشوش ويشغب ثم أعمال المسير إلى السرير

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا • ورضت فذلت صعبة أي إذلال

وهذا بعد منازعة للأطواق يسيرة يراها الغيد من حسن السيرة ثم شرع في حل التكة ونزع المسكة وتهيئة الأرض العزاز على الملكة ثم كان الوحي والاستعجال وحمي الوطيس والمجال وعلا الجزء الخفيف وتضافرت الخصور والهيف وتشاطر الطبع العفيف وتوالى التقبيل وكان الأخذ الوبيل وامتاز الأنوك من النبيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيا لها من نعم متداركة ونفوس في سبيل القحة متهالكة ونفس يقطع حروف الحلق وسبحان الذي يزيد في الخلق وعظمت المنافعة وكثرت باليد

المصانعة وطال التراوغ والتراور وشكى التحاور وهنالك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخسر أوزيح الاموال فمن عصا انقلاب ثعبانا مبينا ونونة تصير تنينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولا حال بينه وبين قرنه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الازارقة من الخوارج فى الاعتراض ثم شق الصف وقد خضب الكف بعد أن كان يصيب البوسى بطعنته ويبوء بمقت الله ولعنته

طعنت ابن عبد الله طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع اضاءها

وهنالك هدأ القتال وسكن الخبال ووقع المتوقع فاستراح السال وتشوف الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد عبال وكثر السؤال عن المبال بما بال وجعل الجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه

انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه تعبا

ومن سنان عاد عنانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده فى جيبه فانجحرت الحية وماتت الغريزة الحية وهنالك يزيغ البصر ويخذل المنتصر ويسلم الاسر ويغلب الحصر ويجف اللعاب ويظهر العاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والأرق وينشأ فى محل الامن الفرق ويدرك فرعون الغرق ويقوى اللجاج ويعظم الخرق فلا تزيد الحال الا شدة ولا تعرف تلك الجائحة المؤمنة الا ردة

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكرة ليزيل المعرة ويستنصر الخيال ويعمل باليد الاحتيال

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أومت

ومعتذر بمرض أصابه جزعه أوصابه ووجع طرقه جلب ارقه وخطيب ارتج عليه أحيانا فقال سيحدث الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا اللهم انا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت اقفالها ولم تتسم بالنجيع اغفالها ومن معرات الاقدار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل ثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحيى من البكر بالغداة وتعلم منه كلال الاداة وهو مجال فضحت فيه رجال وفراش شكيت فيه اوجال وأعملت روية وارتجال فمن قائل

أرفعه طورا على اصبعى * ورأسه مضطرب أسفله
كالحنش المقتول يلقى على * عود لكى يطرح فى مزبله

وقائل

عدمت من ايرى قوى حسه * يا حسرة المرء على نفسه
تراه قد مال على أصله * كحائط خر على أسه

وقائل

أيحسدنى ابليس داءين أصبحا * برجلى ورأسى دملا وزكاما
فليتهما كانا به وأزيده * رخاوة اير لا يطيق قياما

اذا ما ضت للنيك أرباب معشر * توسد احدى خصيتيه وناما

وقائل

أقول لايرى وهو يرقب فتكة * به خبت من ايروعالتك داهيه
اذا لم يكن للاير بخت تعذرت * عليه وجوه النيك من كل ناحيه

وقائل

تعقف فوق الخصيتين كانه * رشاء الى جنب الركية ملتف
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه * الى أبويه ثم يدركه الضعف

وقائل

تكرش ايرى بعدما كان أملسا * وكان غنيا من قواه فافلسا
وصار جرابي للمها ان مررن بي * مضى الوصل الامنية تبعث الاسى

وقائل

بنفسي من حييته فاستخف بي * ولم يخطر الهجران يوما على بالي
وقابلني بالغور والجد بعدما * حططت به رحلي وبردت سربالي
وما أرتجي من موسر فوق تكة * عرضت له شيأ من الحشف البالي

همموم لاتزال تبكي وعلل الدهر تشكي وأحاديث تقص وتحكي فان كنت أعزك الله سبحانه من النمط الاول ولم تقل * وهل عند رسم دارس من معوّل * فقد جنيت الثمر واستطبت السمر فاستدع الابواق من أقصى المدينة واخرج على قومك في ثياب الزينة واستبشر بالوفود وعرف المسمع عازفة الجود وتبجح بصلابة العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف بنان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض الثمد واستطر الامد واكذب التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوة وأفض فيهن الرشوة وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قميصه بدم كذب واستنجد الرحمن واستعن على أمرك بالكتمان

لاتظهرنّ لعاذل أوعاذر * حاليك في الضراء والسراء
فلرحمة المتفجعين حرارة * في القلب مثل شماتة الاعداء

واتشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طما ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى واملك بعدها عنان نصلك حتى تمكنك الفرصة وترفع اليك القصة ولا تسرع الى عمل لاتفي منه بتمام وخذ عن امام ولله در الحرث بن هشام

الله يعلم ماتركت قتالهم * حتى رموا مهري باشقر مزبد
وعلمت اني ان أقاتل دونهم * اقتل ولم يضرر عدوّي مشهدي
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

والليالي تلين وتجمح والمآرب تدنو وتنزح وتحرن ثم تسمح وكم من شجاع شام وبطل نام ودليل أخطأ الطريق وأضل الفريق والله عزوجل يجعلها خلة موصولة وشملا اكنافه بالخير مشمولة وبنية أركانها الركائب اليمن مأمولة حتى تكثر خدم سيدي وجواريه

وأسرته وسراريه وتضفو عليه نعم باريه ماطورد قنيص واقتحم عيص وأدرك مرام عويص وأعطى زاهد وحرم حريص والسلام * (تواليفه) شرح البردة شرحا بديعا دل به على انفساح ذرعه وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيرا من كتب ابن رشد وعلق للسلطان أيام نظره فى العقليات تقييدا مفيدا فى المنطق ولخص محصل الامام فخر الدين الرازى وبه داعبته اول اقيه فقلت له لى عليك مطالبة فانك لخصت محصلى وألف كتابا فى الحساب وشرع فى هذه الايام فى شرح الرجز الصادر عنى فى أصول الفقه بشئ لاغاية فوقه فى الكمال * (وأما نثره وسلطانياته السجعية) فخلج بلاغة ورياض فنون ومعادن ابداع يفرغ عنها يراعه الجرى * شبيهة البداآت بالخواتم فى نداوة الحروف وقرب العهد بجرية المداد ونفوذ أمر القريحة واسترسال الطبع * (وأما نظمه) فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر ونقده باعتبار أساليبه فانثال عليه جوه وهان عليه صعبه فأتى منه بكل غريبة (خاطب) السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة بقصيدة طويلة أولها

اسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين وقفة ساعة * لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وغادروا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروبى
يا ناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء الملام لدى غير شريب
ما هاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أهفو الى الاطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أوكناس ربيب
عبثت بها أيدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر آى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها الى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم انسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة محاسنها بما * لبست من الايام كل قشيب
ياسائق الاظعان تعتسف الفلا * وتواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من اين ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
أو تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب
فى كل شعب منية من دونها * هجر الامانى أو لقاء شعوب
هلا عطفت صدورهن الى التى * فيها لبانة أعين وقلوب

فتؤم من اكناف يثرب مأمنا * يكفيك ماتخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر غريب لم يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته

ياسيد الرسل الكرام ضراعة * تقضي منى نفسي وتذهب حوبي
عاقت ذنوبي عن جنابك والمنى * فيها تعللني بكل كذوب
لا كالالى صرفوا العزائم للتقى * فاستأثروا منها بخير نصيب
لم يخلصوا لله حتى فرقوا * في الله بين مضاجع وجنوب
هب لي شفاعتك التي أرجو بها * صفحا جميلا عن قبيح ذنوبي
ان النجاة وان أتيحت لامرئ * فبفضل جاهك ليس بالتسبيب
اني دعوتك واثقا باجابتي * ياخير مدعو وخير مجيب
قصرت في مدحي فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغي المطيل وقد حوى * في مدحك القرآن كل مطيب
ياهل تبلغني الليالي زورة * تدني الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتي باخلاصي بها * وأحط أوزاري واصر ذنوبي
في فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوي صحائف ليلهم فوق الفلا * ماشئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادي بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرد الركب الملح بطيبة * حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتقاد الدين عن آبائهم * ارث الخلافة في بني يعقوب
الطاعنون الخيل وهي عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضهم * في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها

سائل به طامي العباب وقد سرى * تزجى بريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه * وسطا الهدى بفريقها المغلوب
ياابن الالى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروك تراثها المعصوب
جمعوا بحفظ الدين آي مناقب * كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أوتالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك والعلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرقوب

تمسي المعالي غاديا أورائحا * وجديد سعدك ضامن المطلوب

وقال من قصيدة تخاطبه بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الزرافة

قدحت يد الاشواق من زندي * وهفت بقلبي زفرة الوجد
ونبذت سلواني على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه مؤلم الصد
لاعهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام اضاع من عهدي
يلحى العذول فما اعنفه * واقول ضل فأبتغي رشدي
واعارض النفحات أسألها * برد الجوى فتزيد في الوقد
تهدى الغرام الى مسالكها * لتعللي بضعيف ماتهدى
يا سائق الوجناء معتسفا * طي الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب ففي الصبا نبأ * يغني عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكني نجد وعن نجد
مالي تلام على الهوى خلق * وهي التي تأبى سوى الحمد
لابيت الاالرشد مذوضحت * بالمستعين معالم الرشد
نعم الخليفة في هدى وتقى * وبناء عز شامخ الطود
نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلا بمواهب الوجد

ومنها

لله مني اذتأوبني * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواترا قضبا * وجموع أقيال أولي أيد
أوريت زند العزم في طلبي * وقضيت حق المجد من قصدي
ووردت عن ظمأ مناهله * فرويت من عز ومن رفد
هي جنة المأوى لمن كلفت * آماله بمطالب المجد
لولم أعل بورد كوثرها * ماقلت هذي جنة الخلد
من مبلغ قومي ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
اني أنفت على رجائهم * وملكت عزجميعهم وحدي

ومنها

ورقيمة الاعطاف حالية * موشية بوشائع البرد
وحشية الانساب ماأنست * في موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ماجهد
طالت رؤس الشامخات به * ولربما قصرت عن الوهد
قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا * وتبيت طوع القن والقد
بسعودك اللاءي ضمن لنا * طول الحياة بعيشة رغد

جاءتك في وفد الاجانب لا • يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك أنضاء تقلبهم • أيدي السرى بالغور والنجد
كالطيف يستقري مضاجعه • أو كالحسام يسل من غمد
يثنون بالحسنى التي سبقت • من غير انكار ولا جحد
ويرون لطفك من وفادتهم • فخرا على الاتراك والهند
يا مستعينا جل في شرف • عن رتبة المنصور والمهدي
جازاك ربك عن خليقته • خير الجزاء فنعم ما تسدي
وبقيت للدنيا وساكنها • في عزة أبدا وفي سعد

وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب

يا سيد الفضلاء دعوة مشفق • نادى لشكوى البث خير سميع
مالي وللاقصاء بعد تعلة • بالقرب كنت لها أجل شفيع
وأرى الليالي رنقت لي صافيا • منها فأصبح في الاجاج شروعي
ولقد خلصت اليك بالقرب التي • ليس الزمان لشملها بصدوع
ووثقت منك بأي وعد صادق • اني المصون وأنت غير مضيع
وسما بنفسي للخليفة طاعة • دون الانام هواك قبل نزوع
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم • فصدعتهم عني وكنت منيعي
رغمت أنوفهم بنجح وسائلي • وتقطعت أنفاسهم بصنيعي
ويفوا بما نقموا على خلائقي • حسدا فراموني بكل شنيع
لا تعدمني منهم يبذل في التي • قد صنتها عنهم بفضلة ريعي
أني أضام وفي يدي القلم الذي • ما كان طبعه لهم بمطيع
ولي الخصائص ليس تأبى رتبة • حسبي بعلياء دالك من تفريعي
فيما بجيدك وهو خير ألية • أعتدها لفؤادي المصدوع
اني لتصطحب الهموم بمضجعي • فتحول ما بيني وبين هجوعي
عطفا على بوحدتي عن معشر • نفث الاباء صدورهم في روعي
أغدو اذا باكرتهم متجلدا • وأروح أعثر في فضول دموعي
حيران أوجس عند نفسي خيفة • فتسر في الاوهام كل مروع
أطوي على الزفرات قلبا أدهمه • حمل الهموم تجول بين ضلوعي
ولقد أقول لصرف دهر رابني • بحوادث جاءت على تنويع
مهلا عليك فليس خطبك ضائري • فلقد لبست له أجن دروع
اني ظفرت بعصمة من أوحد • بذ الجميع بفضله المجموع

وقال يخاطب بعض الوزراء في حال وحشة

هنيئا بصوم لا عداه قبول • وبشرى بعيد أنت فيه منيل
وهنيتها من عزة وسعادة • تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولا مس ربعا في حماك محول
فعصرك ما بين الليالي مواسم * لها غرر وضاحة وحجول
وبابك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عسالك وان ضن الزمان منولي * فرسم الاماني من سواك محيل
أجرني وليس الدهر لي بمسالم * اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
وأوليتني الحسنى بما أنا آمل * فشكرك يولي راجيا وينيل
ووالله ما رمت الترحل عن قلي * ولا سخط للعيش فهو جزيل
ولا رغبة في هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عني حبائب * دعاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن الوجد اني نازح * وان فؤادي حيث هن حلول
عزيز عليهن الذي قد لقيته * وان اغترابي في البلاد يطول
توارت بأنباء البقاع كأنني * تخطفت أو غالت ركابي غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت بقلبي أنة وعويل
وحييت عن شوق رباك كأنما * يمثل لي نؤي بها وطلول
أأحبابنا والعهد بيني وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا انا لم ترش الحول مدامعي * فلا قربتني للقاء حمول
الام مقامي حيث لم ترد العلا * مرادي ولم تعط القياد ذلول
أجاذب فضل العمر يوما وليلة * وساء صباح بينها وأصيل
ويذهب فيما بين يأس ومطمع * زمان بنيل المكرمات بخيل
تعللني منه أماني خوادع * ويؤيسني ليان منه مطول
أما لليالي لاترد خطوبها * ففي كبدي من وقعهن فلول
يروعني من صرفها كل حادث * تكاد له صم الجبال تزول
أداري على رغم العدا لا لريبة * يصانع واش خوفها وعذول
وأغدو بأشجاني عليلا كأنما * تجود بنفسي زفرة وغليل
واني وان أصبحت في دار غربة * تحيل الليالي سلوتي وتزيل
وصدتني الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لاعلم أن الخير والشر ينتهي * مداه وأن الله سوف يديل
واني عزيز بابن ماساي مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

وقال يمدح

هل غير بابك للغريب مؤمل * أو عن جنابك للاماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا ومنتجع المنى * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنى بها زهر النجوم وتحفل

حيث الخيام البيض ترفع للعلا * والمكرمات مارا فيها المتهدل
حيث الحمى للعز دون مجاله * ظل أفانه الوشيج الذبل
حيث الكرام ينوب عن نار القرى * عرف الكباء بحيهم والمندل
حيث الجياد أمامهن الونى * مما أطالوا في المغار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر فوق جبينها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الاولى * عز الجوار لديهم والمنزل

وأنشد السلطان أبا عبد الله بن الحاج لاول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام أربعة وستين وسبعمائة هذه القصيدة

حي المعاهد كانت قبل تحييني * بواكف الدمع يرويها ويظميني
ان الالى نزحت داري ودارهم * تحملوا القلب في آثارهم دوني
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجيني
أمثل الربع من شوق وألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
وينهب الوجد مني كل لؤلؤة * ما زال جفني عليها غير مأمون
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم * فالدمع وقف على أطلاله الجون
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل * لو أن قلبي الى السلوان يدعوني
أحبابنا هل لعهد الوصل مدكر * منكم وهل نسمة منكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداويني
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم أنني ما مر ذكركم * الا انثنيت كأن الراح تثنيني
أصبو الى البرق من أنحاء أرضكم * شوقا ولولاكم ما كان يصبيني
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدي * حتى لأحسبه قربا يناجيني
أسلي هواك فؤادي عن سواك وما * سواك يوما بحال عنك يسليني
ترى الليالي أنستك ادكاري يا * من لم يكن ذكره الايام تنسيني

ومنها

أبعد مر الثلاثين التي ذهبت * أولى الشباب باحساني وتحسيني
أضعت فيها نفيسا ما وردت به * الا سراب غرور لا يرويني
واحسرتي من أمان كلها خدع * تريش غي ومر الدهر يبريني

ومنها في وصف المشور المبني لهذا العهد

يا مصنعا شيدت منه السعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف مفتتنا * فيما يروقك من شكل وتكوين
بعد الايوان كسرى ان مشورك السامي لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه بسببه

من

من مبلغ عنى الصحب الالى جهلوا * ودّى وضاع حماهم اذ أضاعونى
انى اوبت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحيينى
واننى ظاعن لم ألق بعدهم * دهرا أشاكى ولا خصما يشاكينى
لا كالتى أخفرت عهدى ليالى اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامى التى ظفرت * يداى منها بحظ غير مغبون
ارتاد منها مليا لا يماطلنى * وعدا وأرجو كريما لا يعنينى

ومنها

وهاك منها قوافى طيها حكم * مثل الازاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثنى عليك بأنفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتينى
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزن بطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لى شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك فى أمن وفى دعة * ودام ملكك فى نصر وتمكين

وهو الآن بحالته الموصوفة من الوجاهة والحظوة قد استعمل فى السفارة الى ملك قشتالة فراقه وعرف حقه * مولده بتونس بلده فى شهر رمضان عام اثنين وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين فى حق ابن خلدون * قلت هذا كلام لسان الدين فى حق المذكور فى مبادى أمره وأواسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير الذى نقلنا منه فى مواضع وسماه ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ورأيته بفاس وعليه خطه فى ثمان مجلدات كبار جدا وقد عرف فى آخره بنفسه وأطال وذكر انه لما كان بالاندلس وحظى عند السلطان أبى عبد الله شم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرحال ولم يرض من الاقامة بحال ولعب بكرته صوالجة الاقدار حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار وتولى بها قضاء القضاة وحصلت له أمور رحمه الله تعالى (وكان) أعنى الولى بن خلدون كثير الثناء على لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى (ولقد رأيت بخط العالم الشهير) الشيخ ابراهيم الباعونى الشامى فيما يتعلق بابن خلدون ما نصه محل الحاجة منه تقلبت به الاحوال حتى قدم الى الديار المصرية وولى بها قضاء قضاة المالكية فى الدولة الشريفة الظاهرية وصحبته رحمه الله تعالى فى سنة ٨٠٣ عند قدومه الى الشام صحبة الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق فى فتنة تمرلنك عليه من الله تعالى ما يستحقه وأكرمه تمرلنك غاية الاكرام وأعاده الى الديار المصرية وكنت أكثر الاجتماع به بالقاهرة المحروسة للمودة الحاصلة بينى وبينه وكان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب ويورد من نظمه ونثره ما يشنف به الاسماع وينعقد على استحسانه الاجماع وتتقاصر عن ادراكه الاطماع فرحمة الله تعالى عليهما وأزكى تحياته تهدى اليهما ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان وله من النظم والنثر ما يزرى بعقود الجمان مع الهمة العلية والتبحر فى

العلوم النقلية والعقلية وكانت وفاته بالقاهرة المعزية سنة ٨٠٧ سقى الله تعالى عهده ورحمه الفردوس مهده قاله وكتبه الفقير الى الله تعالى ابراهيم بن أحمد الباعوني الشافعي غفر الله تعالى له ذنبه وأصلح خلفه انتهى (ومن ترلسان الدين) ماذكره في الاحاطة في ترجمة يحيى بن ابراهيم بن يحيى البرغواطي من بني الترجمان ولنذكر الترجمة بجملتها لاشتمالها على ماذكر وغيره في حق المذكور به فقوله انه من بني الترجمان ماصورته عزف منهم وانقطع الى لقاء الصالحين وصحبة الفقراء المتجردين وكان نسيج وحده في طلاقة اللسان مانقا للكل غريبة من غرائب الصوفية يتكلم في مشكلاتهم ويحفظ منازل السائرين للهروي وتائية ابن الفارض مليح الملبس مترفع عن الكدية حسن الحديث صاحب شهرة ومع ذلك فغفر منه ويرد عليه لما جبل عليه من رفض الاصطلاح واطراح التغافل مولع بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه مرتشما ذلك بالجدل المبرم ذاهبا أقصى مذاهب القحة كثير الفلتات نالته بسبب هذه البلية محن ووسم بالرهق في دينه مع صحة العقد وهو الآن عامر الرباط المنسوب الى العقاب على رسم الشياخة عديم التابع مهجور الفناء قيد الكثير من الاجزاء منها في نسبة الذنب الى الذاكر جزء نبيل غريب المأخذ ومنها انه اشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ وصنف كتابا كبير الحجم في الاعتقادات جلب فيه كثيرا من الحكايات رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المقري مايدل على استحسانه ومن البرسام الذي يجري على لسانه بين البله والقحة والجهالة والمجانة قوله لبعض خدام باب السلطان وقد ضويق في شئ انتجزه متقولا من خطبه بعد رد كثير منه للاعراب مانصه الله نور السموات من غير نار ولا غيرها والسلطان ظل الله وسراجه في الارض ولكل منهما فراش بما يليق به ويتهافت عليه فهو تعالى يحرق فراشه بذاته مفرقهم بصفاته وسراجه وظله هو السلطان يحرق فراشه بناره مفرقهم بجزيته ونواله ففراش الله تعالى ينقسم الى حائنين ومسبحين ومستغفرين وأمناء وشاخصين وفراش السلطان ينقسمون الى أقسام لايشذ أحدهم عنها وهم وزغة ابن وزغة وكلب ابن كلب وكلب مطلقا وعار ابن عار وملعون ابن ملعون وقط فأما الوزغة فهو المغرق في زيت نواله المشغول بذلك عما يليق بصاحب النعمة من النسم وبذل الجهد والكلب ابن الكلب هو الكيس المحترز في تهافته من احراق واغراق يعطي بعض الحق ويأخذ بعضه وأما الكلب مطلقا فهو المواجه وهو المشرد للسفهاء عن الباب المعظم القليل النعمة وأما العار ابن العار فهو المتعاطي في تهافته مافوق الطرق ولهذا امتاز هذا الاسم بالرياسة عند العامة اذا مر بهم جلف أو متعاظم يقولون هذا العار ابن العار بحسب نفسه وربما وذلك لقرب المناسبة فهو موضوع لبعض الرياسة كما ان الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة وأما الملعون ابن الملعون فهو المغالط المعاند المشارك لرب النعمة عليه في كبريائه وسلطانه وأما القط فهو الفقير مثلي المستغني عنه لكونه لايختص به رتبة فتارة في حجر الملك وتارة في السندامس وتارة في أعلى الرتب وتارة يحسن وتارة يسي تغتفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة اذ هو من الطوافين متطير بقتله واهانته تياه في بعض الاحايين بعزة يجدها

من حرمة أبقاها له الشارع وكل ذلك لا يخفى وأما الفراش المحرق فهو عند الدول نوعان تارة يكون ظاهرا وحصته مسح المصباح وتصفية زيته واصلاح فتيله وستردخانه ومسايسة ما يكون من المطلوب منه ووجود هذا شديد الملازمة ظاهرا وأما المحرق الباطن فهو المشار اليه فى دولته بالصلاح والزهد والورع فيعظمه الخلق ويتبركون به فيكون وسيلة بينهم وبين ربهم وخليفته الذى هو مصباحهم فاذا أراد الله تعالى اهلاك المروءة واطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة وكان الامر كما رأيتم والكل فراش متهافت وكل يعمل على شاكلته * قال الوزير لسان الدين وطلب منى الكتب عليه بمثل ذلك فكتبت ببعض أوراقه اثارة لضجره واستدعاء لفكاهة انزعاجه مانصه وقفت من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبى زكريا البرغواطى على برسام محموم واختلاط مذموم وانتساب زنج فى روم وكان حقه أن يتهيب طريقا لم يسلكها ويتجنب عقيلة لم يملكها اذ المذكور لم يتلق شيأ من علم الاصول ولا نظر من الاعراب فى فصل من الفصول اغاهى لحة وخلاف وتهاون بالمعارف واستخفاف غير أنه يحفظ فى طريق القوم كل نادرة وفيه رجولية ظاهرة وعنده طلاقة لسان وكفاية قلما تتأتى لانسان فالى الله نضرع أن يعرفنا مقادير الاشياء ويجعلنا بمعزل عن الاغبياء وقد قلت مرتجلا من أول نظرة واجتزاء بقليل من كثرة

كل جار لغاية من جوه * فهو عندى لم يعد حق الفتوه
وأراك اقتحمت ليلا بهيما * مولجا منك ناقة فى كوه
لا اتباعا ولا اختراعا أتتنا * اذ نظرنا عروسك المجلوه
كل ما قلته فقد قاله النا * س مقالا آياته متلوه
لم تزد غير أن أبحت حمى الاعـ * ـراب فى كل لفظة مقروه
نسأل الله فكرة تلزم العقـ * ـل الى حشمة تحوط المروه
وعزيز على أن كنت يحيى * ثم لم تأخذ الكتاب بقوه انتهى

*(ومن بديع نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه لسلطان تلمسان اثر قصيدة سنية حازت قصب السبق ولنثبت الكل هنا فنقول قال الامام الحافظ عبد الله التنيسى نزيل تلمسان رحمه الله تعالى عند ماجرى ذكر أمير المسلمين السلطان أبى حمو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان رحمه الله تعالى ماصورته وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب كثيرا ما يوجه اليه بالامداح ومن أحسن ما وجه له قصيدة سنية فائقة وذلك عند ما أحس بتغير سلطانه عليه فجعلها مقدمة بين يدى نجواه لتمهد له مثواه وتحصل له المستقر اذا الجأه الامر الى المفر فلم تساعده الايام كما هو شأنها فى أكثر الاعلام وهى هذه

اطلعن فى سدف الفروع شموسا * ضحك الظلام لها وكان عبوسا
وعطفن قضبا للقدود نواعما * بوّئن أدواح النعيم غروسا
وعدلن عن جهر السلام مخافة الـ * واشى فجئن بلفظه مهموسا

وسفرن من دهش الوداع وقومهن الى الترحل قد أمالوا العيسا
وخلسن من خلل الجمال اشارة * فتركن كل جمالها مخلوسا
لم انسهامن وحشة والحى قد * زجر الحدول وآثر التغليسا
لا الملتقى من بعدها كثب ولا * عوج الركائب تسأم التعريسا
فوقفت وقفة هائم برحائه * وقفت عليه وحبست تحبيسا
ودعوت عينى غائبا وعيونها * بعصا النوى قد يحبست تحبيسا
نافست باعينى در دموعهم * فعرضت در الدموع نفيسا
ما الحمى بعد الاحبة موحشا * ولكم ترى آهلا مأنوسا
ولسربه حول الخميلة ناقرا * عن يحس به وكان أنيسا
ولظله المورود غمر قليبه * لا يقتضى وردا ولا تعريسا
حييته فأبانى رجع الصدى * لافرق بينهما اذا ما قيسا
ما ان يزيد على الاعادة صوته * حرفا فيشفى بالمزيد نسيسا
نضب المعين وقلص الظل الذى * طالما عكفوا عنده وجلوسا
تتواعد الرجعى ونغتنم اللقا * ونديرمن شكوى الغرام كؤسا
فاذا سألت فلا تسائل مخبرا * واذا سمعت فلا تحس حسيسا
عهدى به والدهر يخصف بالمنى * وقد اقتضت نعماه أن لا بوسا
والعيش غض الربيع والدنيا قد اجتليت بغنائه على عروسا
أترى بعيد الدهر عهد الصبا * درست مغانى الانس فيه دروسا
أوطان أوطار تعود أنفسها * من رونق البشر البهى عبوسا
هيهات لا تغنى لعل ولا عسى * فى مثلها الا لآية عيسى
والدهر فى دست القضاء مدرس * فاذا قضى يستأنف التدريسا
تفتى فى جل الورى أحكامه * لاسيما فى باب نعم وبيسا
وصبغة الانسان ليس بناصل * من صبغها حتى يرى مرموسا
يفنيه مهما ساعدت آماله * فاذا عراه الخطب كان يؤوسا
فلوان نفسا مكنت من رشدها * يوما وقدسها الهدى تقديسا
لم تستفز رسوخها النعمى ولا * هلعت اذا كثرت اليها البوسا
قل للزمان اليك عن متذمم * بضمان عز لم يكن لبخيسا
فاذا استجر جلاده فأنا الذى * استغشيت من سرد اليقين لبوسا
واذا طغى فرعونه فأنا الذى * من ضره وأذاه عذت بموسى
أنا ذا أبو مثواه من يحمى الحمى * ليثا ويعلم بالزئير الخيسا
يحمى أبى عمرو حططت ركائبى * لما اخترت الليث والعريسا
أسد الهياج اذا استطاق دماسطا * فتطلق الاسد الهزبر فريسا
بدر الهدى يأبى الضلال ضياؤه * أبدا فصلوا الظلمة الحنديسا

جبل الوقار رسا وأشرف واعتلى * وسمت فطأطأت الجبال رؤسا
غيث النوال اذا الغمام حلوبة * مثلت بأيدى الطالبين بسوسا
تلقاه يوم الانس روضا ناعما * وتراه بأسافى الهياج بئيسا
كم غمرة جلى وكم خطب كفى * ان أوطأ الجرد العتاق وطيسا
كم حكمة أبدى وكم قصد هدى * للسالكين ابان منه دريسا
أعلى بنى زيان والقمة الذى * لبس الكمال فزين الملبوسا
جمع الندى والباس والشيم العلا * والسؤدد المتواتر القدموسا
والحلم ليس يباين الخلق الرضى * والعلم ليس يعارض الناموسا
والسمدنى حكمه عن نصبة * تستخبر التربيع والتسديسا
كم راض صعب الارائض معاصيا * كم خاض بحر الايحاض ضروسا
بلغ التى لا فوقها متمهلا * وعلا السها واستسفل البرجيسا
يا خير من خفقت عليه سحابة * للنصر عطره أجش بجيسا
وأجل من حلته صهوة سابح * ان كر ضعضع كره الكردوسا
قسما بمن رفع السماء بغيرما * عمد ورفع فوقها ادريسا
ودحا البسيطة فوق لج مزبد * ما ان يزال على القرار حبيسا
حتى يهب بأهله الوعد الذى * حشر الرئيس اليه والمرؤسا
ما أنت الا ذخر دهرك دمت فى الشعون الدرير ممتعا محروسا
الوسا ومتسع الارض فيك بماحوت * لرآك مستاماتها مجوسا
يلف البرور بها الية صادق * ويمين من عقد اليمين غموسا
من قاس ذاتك بالذوات فانه * جهل الوزان وأخطأ التقييسا
لا تستوى الاعيان فضل مزية * وطبيعة فطر الاله وسوسا
العناية التخصيص سر غامض * من قبل ذره الخلق خص نفوسا
من أنكر الفضل الذى أوتيته * جحد العيان وأنكر المحسوسا
من دان بالاخلاص فيك فعقده * لا يقبل التمويه والتلبيسا
والمنتمى العلوى عيصك لم تكن * لترى دخيلا فى بنيه دسيسا
بيت البتول ومنبت الشرف الذى * تحمى الملائك روحه المغروسا
أما سياستك التى أحكمتها * ورميت بالتقصير ارسطاليسا
فلو ان كسرى الفرس أبصر بعضها * ما كان يطمع أن يعد بسوسا
لو سار عدلك فى السنين لما اشتكت * نحسا ولم يك بعضهن كبيسا
ولو الجوارى الخنس انتسبت الى * اقدام عزمك ما خنسن خنوسا
قدت الصعاب فكل صعب سامح * لك بالقياد وكان قبل شموسا
تلقى الليوث وللقتام غمامة * قدح الصفيح وميضها المقبوسا
وكانها تحت الدروع اراقم * ينظرن من خلل المغافر شوسا

مالابن مامة فى القديم وحاتم * ضرب الزمان بجودهم ناقوسا
من جاء منهم مثل جودك كلما * حسبوا المكارم كسوة أوكيسا
أنت الذى فتك السفين وأهله * اذ أوسعت سبل الخلاص طموسا
أنت الذى أمددت ثغر الله بالـشـهد فات تبلس كرة ابليسا
وأعنت أندلسا بكل سبيكة * موسومة لاتعرف التدنيسا
وشحنته بالبر فى سبل الرضا * والبر قارب قاعها القاموسا
ان لم تجر بها الجيش فطالما * جهزت فيها للنوال خميسا
وملأت أيديها وقد كادت على * حكم القضاء تشافه التفليسا
صدقت للآمال صنعة جابر * وكفيتها التشميع والتشميسا
والحل والتقطير والتصعيد والتخمير والتصويل والتكليسا
فسكت من آمالها ما لا ومن * أوراقها ورقا وكن طروسا
بيضا فلما استخبروا لم يشكروا * وزنا ولا لونا ولا ملموسا
وتديرمن قلب السطور سبائكا * منها ومن طبع الحروف فلوسا
وثوت غوالفضل تعضد منه بالشـمموع ماألفيت منه مقيسا
وجبرت بعد الكبر قومك جاهدا * تغنى العديم وتطلق المحبوسا
ونشرت راية عزهم من بعدما * دال الزمان فسامها تنكيسا
أحكمت حيلة برئهم بلطافة * قد أعجزت فى الطب جالينوسا
وفللت من حد الزمان وانه * أوحى وأمضى من غرار الموسى
وشصدت حد اكان قبل مثلما * ونعشت جدا كان قبل تعيسا
لم ترج الا الله جل جلاله * فى شدة تكفى وجرح يوسى
قدمت صبحا فاستضأت بنوره * ووجدت عند الشدة التنفيسا
ما أنت الا والج متيقن * بالصبح تعمر مرعاو بيسا
ومناجز جعل الاريكة صهوة * عربية والمتكا القربوسا
ما ان تبايع أوتشارى واثقا * بالربح الا المالك القدوسا
والعزم يفترع النجوم بناؤه * مهما أقام على التقى تأسيسا
ومقام صبرك واتكالك مذكر * بحديثه السلى أوطاووسا
ومن ارتضاه الله وفق سعيه * فرأى العظيم من الحظوظ خسيسا
ما ازددت بالتمحيص الا جدة * ونضوت من خلع الزمان لبيسا
ولطالما طرق الخسوف أهلة * واطالما اعترض الكسوف شموسا
ثم انجلت نسماتها عن مشرق * للسعد ليس يحاذر تعبيسا
خذها اليك على النوى سينية * ترضى الطباق وتشكر التجنيسا
ان طوولت بالدر من حول الطلا * يوما تشكت حظها الموكوسا
لولاك ما اصغت لخطبة خاطب * واعنست فى بيتها تعنيسا

قصدت سليمان الزمان وقادني * في الخطو تحسب تقسها بلقيسا
لى فيك ودّلم أكن من بعد ما * أعطيت صفقة عهده لاخيسا
كم لى بصحة عقده من شاهد * لايحذر التجريح والتدليسا
يقفو الشهادة باليمين وانه * لمؤتمن من ان يعد قسيسا
لا يستقر قرار أفكارى الى * ان أستقر لدى علاك جليسا
وأرى تجاهك مستقيم السير لا * قصد الذى اعلته معكوسا
هى دين ايامى فان سمحت به * لم يبق من شئ عليه يؤوسا
لازال صنع الله مصحوبا الى * مثواك يهدى البشر والتأنيسا
متتابعا كتتابع الايام لا * يذر النعاقب جمعة و خميسا
فلو انصفتك ايالة الملك الذى * رضت الزمان لها وكان شريسا
قرنت بذكرك والدعاء لك الذى * تختاره التسبيح والتقديسا
القاب أنت لها رئيس حياتها * لم تعتبر مهما صلحت رئيسا

ثم قال الحافظ التنسى رحمه الله تعالى بعد سرده هذه القصيدة ما معناه ان لسان الدين بن الخطيب حذا فى هذه القصيدة السينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها

أقشيب ربعهم اراك دريسا * تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها انتهى ووصل لسان الدين هذه القصيدة بتربيع نصه هذه القصيدة أبقى الله تعالى أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع والثناء المسموع بالملك المنصور بالجموع نفثة من باح بسر هواه ولبى دعوة الشوق العابث بلبه وقد ظهر بعين يهدى خبر جواه الى محل هواه ويختلس بعث تحيته الى مثير أريحيته وهى بالنسبة الى ما يعتقد من ذلك الكمال الشاذ عن الآمال عنوان من كتاب وذواق من أوقار ذات أقتاب والافن يقوم بحق تلك المثابة لسانه أو يكافئ احسانها احسانه أويستقل بوصفها يراعه أوتنهض بأيسر وظيفها ذراعه ولامكابرة بعد الاعتراف والعجز لا يتقيد بالاعتراف لاسيما وذاتكم اليوم والله تعالى يبقيها ومن المكاره يقيها وفى معارج القرب من حضرة القدس يرقيها ياقوتة اختارها واعتبرها ثم ابتلاها بالتمحيص فى سبيل التخصيص واختبرها وسبكة خلصها وسخرها فخلصها التسخير من الشوب وأبرزها من لباب الذوب وقصرت عن هذه الاثمان وسر يصدق دعواه البرهان ليفاضل بين الجهام والصيب ويميز الله الخبيث من الطيب فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للعدة وعرفكم بنفسه فى حال الشدة ثم فسح لكم بعد ذلك فى المدة لتعرفوه اذا دال الرخاء وهبت بعد تلك الزعازع الريح الرخاء وملأكم من التجارب وأوردكم من ألطافه أعذب المشارب ونقلكم بين امرار الزمان واحلائه ولم يسلبكم الاحقير اعند أوليائه وأعادكم المعاد المطهر وألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهر فأنتم اليوم بعين العناية بالافصاح والكناية قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف بالجناية فان كان الملك اليوم علما يدرس وقوانين فى قوة الحفظ تغرس وضاعة برصد التجارب

تحرس فأنتم ما للدار هجرته المحبوبة وأصبحى شوبه المندوبة الى ما حزتم من اشتات الكمال المربية على الآمال فالبيت علوى المنتسب والآباء بين الموروث والمكتسب والجود يعترف به الوجود والدين يشهد به الركوع والسجود والباس تعرفه التهائم والنجود والخلق يحسده الروض المجود والشعر يعترف من عذبه نمير وبصدق من قال بدى بأمير وختم بأمير وان علو ككم وتم من بابكم على العذب البرود فعاقه الدهر عن الورود واستقبل أنته لحقوق الرصد ولكنه اخطأ القصد ومن أخطأ الغرض اعاد وربما من الزمان الاسعاد فربما تى نصيب أوكان مع الخواطئ سهم مصيب وكان يؤمل صحبة ركاب الحجاز فاشتغلت الحقيقة منه الى المجاز وقطعت القواطع التى لم يلها الحساب ومنعت الموانع التى خلص منها الى الفتنة الانتساب ومن طلب الايام أن تجرى على اقتراحه وجب العمل على اطراحه فاغماض البحر الزاخر الذى لابد له منه الآخر والرياح متغايرة والسفينة الحائرة فتارة يتعذر من المرسى الصرف وتارة تقطع المسافة البعيدة قبل أن يرتد الطارف هذا ان سالمها عاطبها وأمن من الوقود حطبها ولقد علم الله جل جلاله أن لقاء ذلك المقام الكريم عند المملوك تمام المطلوب عريجبر كسر القلوب فانه مما انعقد على كماله الاجماع وصح فى عوالى معاليه السماع وارتدمت فى وجود مثاله الاطماع أخلاقا هذبها الكرم الوضاح ومحبة كشف بها الكمال الفضاح وحرصا على الذكر الجميل وما يتنافس فيه الا من سمت همته وكرمت ذممه وألفت الملامعه اذالوجود سراب وما فوق التراب تراب ولا يبق الا عمل راق أوذكر بالجميل يسطر فى أوراق حسبما قلت من قصيدة كتبتها على ظاهر مكتوب موضوع اشاريه من كانت له طاعة فوقت بتقريعه استطاعة

يمضى الزمان وكل فان ذاهب * الا الجميل الذكر فهو الباقى

لم يبق من ايوان كسرى بعد ذا * لك الحفل الا الذكر فى الاوراق

هل كان للسفاح والمنصور والـ * ـمهدى من ذكر على الاطلاق

او للرشيد وللامين وصنوه * لولا شباة براعة الوراق

رجع التراب الى التراب بما اقتضت * فى كل خلق حكمة الخلاق

الا الثناء الخالد العطر الذى * يهدى حديث مكارم الاخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ان يمكنها من حسن المناب فتحظى بحلول ساحته ثم بلثم راحته ثم بالاصغاء ولا مزيد للابتغاء الى أن ترتفع الوساطة وتغنى عن التركيب البساطة وينسى الاثر بالعين ويحسن الدهر قضاء الدين ونسأل الذى أغرى بها القريحة ولم يجعل الباعث الا المحبة الصريحة أن يبقى تلك المثابة زينا للزمان وذخرا مكنوفا باليمن والامان مظللا برحمة الرحمن بفضله وكرمه انتهى * ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى الى الشيخ الرئيس الخطيب شيخه أبى عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى حين كانت أزمة أمر المغرب بيده أيام السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحم الله تعالى الجميع (ماموريته) سيدى بل مالكى بل شافعى ومنشلى من الهفوة ورافعى وعاصمى عند تجريد حروف الصنائع ونافعى الذى بجاهه أجزلت المنازل قراى

وفضلت أولاى والمنة لله تعالى أخراى وأصحت وقول أبى الحسن جبراى

عاذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحه * فعيني ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايام ما اسمى مادرت * وأين مكانى ما عرفن مكانى

وصلت مكناسة حرسها الله تعالى حدانى حدو ندالك وصاحب لولا الخصال المبرقلات بذالك وكان الوطن لاغتباطه بجوارى اومارآه من انتياب زوارى أوغرالى بهت بقطع الطريق وأطلع يده على التفريق واشرق القوافل مع كثرة الماء بالريق فلم يسع الا المقام أياما تعود الى البر قياما واختيار الضروب الانس واعتياما ورأيت بلدة معارفها أعلام وهواؤها برد وسلام ومحاسنها تعمل فيها ألسنة واقلام حيا الله تعالى سيدى فلكم من فضل أفاد وأنس احياه وقد باد وحفظ منه على الايام الذخر والعتاد كاملكه زمام الكمال فاقتاد وأنا أتطارح عليه فى صلات تفقده وموالاة يده بأن يسهمنى فى فرض مخاطبته مهما خاطب معتبرا بهذه الجهات ويصحبنى من مناصحته بكؤس مسرة يعمل فيها هاك وهات فالعز بعزه معقود والسعد بوجوده موجود ومنهل السرور بسروره مورود والله عز وجل يبقيه بقاء الدهر ويجعل حبه وظيفة السر وحمده وظيفة الجهر ويحفظ على الايام من زمنه زمن الزهر ويصل لنا تحت ايالته العام بالعام والشهر بالشهر آمين آمين انتهى *(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) صاحب الاشغال بالمغرب أبا عبد الله بن أبى القاسم بن أبى مدين يهنيه بتقلد المنصب من رسالة قوله

تعود الامانى بعد انصراف * ويعتدل الشئ بعد انحراف
فان كان دهرك يوما جنى * فقد جاء ذا خجل واعتراف

طلع البشر ابقاك الله تعالى بقبول الخلافة المرينية والامامة السنية خصها الله تعالى ببلوغ الامنية على تلك الذات التى طابت أرومتها وزكت وتأوهت العلياء لتذكر عهدها وبكت وكاد السرور يقطع لولا أنها تركت منك الوارث الذى تركت فلولا العذر الذى تأكدت ضرورته والمانع الذى ربما تقررت لديكم صورته لكنت أول مشافه بالهناء ومصارف لهذا الاعتناء الوثيق البناء بنقود الحمد لله والثناء وهى طويلة *(ومما خاطب به رحمه الله تعالى قاضى الجماعة وقد نالته مشقة جرها غلط الخدام السوء واشتراك الاسماء أعتبه عندها السلطان وخلع عليه وأشاد بقدره ما نصه

تعرفت أمرا ساءنى ثم سرنى * وفى صحة الايام لابد من مرض
تعمدك المحبوب بالذات بعدما * جرى ضده والله يكفيه بالعرض

فى مثلها سيدى يحمد الاختصار وتقصر الانصار وتصرف الابصار اذ لم يتعين ظالم ولم يتبين يقظ ولا حالم وانما هى هدية أجر وحقيقة وصل أعقبت مجاز هجر وجرح جبار وأمر ليس به اعتبار ووقيعة لم يكن فيها الاغبار وعثرة القدم لاتنكر والله سبحانه يحمد فى كل حال ويشكر واذا كان اعتقاد الخلافة لم يشبه شائب وحسن الولاية لم يعبه عائب والرعى دائب والجانى تائب فما هو الا الدهر الحسود لمن يسود خمش بيد ثم

سترها وري عن قوس ما أصلحها والحمد لله ولا أوترها انما بشيته وجنى من مزيد العناية محنة عينه ولا اعتراض على قدر اعقب بحظ معتذر وورد نغص بكدر ثم انس باكرام صدر وحسبنا أن محمد الدقاع من الله تعالى والذب ولا نقول مع الكظم الامارضي الرب واذا سابق أولياء سيدي في مضمار وحماية ذمار واستباق الى بر وابتدار بجهد اقتدار فأنا والآخر متناول القصبة وصاحب الدين من بين العصبة لما باوث من بر أوجبه الحسب والفضل الموروث والمكتسب ونصح وضح منه المذهب وتنفيق راق منه الرداء المذهب هذا مجمل وبيانه الى وقت الحاجة مؤخر ونبذة شره لتجليها براع مسخر والله سبحانه يعلم ما أنطوى عليه لسيدي من ايجاب الحق والسير من اجلاله على أوضح الطرق والسلام انتهى *(وقال رحمه الله تعالى خاطب بعض الفضلاء بقولي مما يظهر من الجملة غرضه

تعززت قرب الدار من أحبه * فكنت أجد السير لولا تشرووه

لأتلو من آي المحامد سورة * وأبصر من شخص المحاسن صوره

كنت أبقاك الله تعالى لاغتباطي بولائك وسروري بلقائك أود أن أطوي اليك هذه المرحلة وأجدد العهد بلقياك المؤملة فمنع مانع وما ندري في الآتي ما الله صانع وعلى كل حال فشاني قد وضح منه سبيل مسلوك وعلمه مالك ومملوك واعتقادي أكثر مما تسعه العبارة والالفاظ المستعارة وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط الوزارة المتصفة بالعفاف والطهارة والسلام *(وقال سامحه الله تعالى) يخاطب السلطان أبا عبد الله بن نصر جبره الله تعالى عند وصول ولده من الاندلس

الدهر أضيق فسحة من أن يرى * بالحزن والكمد المضاعف يقطع

واذا تقطعت زمانه في كربة * ضيعت في الاوهام ما لا يرجع

فاقنع بما أعطاك ربك واغتنم * منه السرور وخل ما لا ينفع

مولاي الذي له المنن والخلق الجميل والخلق الحسن والمجد الذي وضح منه السنن كتبه عبدك مهنئا بنعم الله تعالى التي أفاضها عليك وجلبها اليك من اجتماع شملك بنجلك وقضاء دينك من قرة عينك الى ما تقدم من افلاتك وسلامة ذاتك وغرق أعدائك وانفرادك بأودائك والزمن ساعة في القصر لا بل لمح البصر وكأني بالبساط قد طوى والتراب على الكل قد سوى فلا تبقى غبطة ولا حسرة ولا كربة ولا مسرة واذا تأملت ما كنت فيه تجدك لا تنال منه الا أكلة وفراشا وكاوريا شا مع توقع الوقائع وارتقاب الفجائع ودعاء المظلوم وصداع الجائع فقد حصل ما كان عليه التعب وأمن الرهب ووضح الامر المذهب والقدرة باقية والادعية واقية وما ندري ما تحكم به الاقدار وتمحص عنه الليل والنهار وأنت اليوم على زمانك بالخيار فان اعتبرت الحال واجتنبت المحال لم يخف عليك أنك اليوم خير منك أمس من غير شك ولا لبس وكان من أملي التوجه الى رؤية ولدكم ولكن عارضتني موانع ولا ندري في الآتي ما الله تعالى صانع فاستنبت هذه في تقبيل قدمه والهناء بمقدمه والسلام *(وقال رحمه الله تعالى قلت أخاطب

محمد بن نوار وقد أعرس ببنت من وار الدار السلطانية وهو معروف بالوسامة وحسن الصورة

ان كنت فى العرس ذا قصور * فلا حضور ولا دخاله
يتوب نظمى مناب تيس * والنثر عن قفة النخاله

هنا كم الله سبحانه دعاء وخبرا وألبسكم من السرور حبرا وعوذكم بالخمس حتى من عين الشمس فلعمرى لقد حصلت النسبة ورضيت هذه المعيشة الحسبة ومن يكن المزوار ذواقه كيف لا يشق البدر أطواقه ويشر القول عليه رواقه وأنتم أيضا اركان جمال وبقية رأس مال وعين فى الانطباع وشمال بمنزلكم اليوم بدر وهلال واعقد التوفيق بفضل الله تعالى استقلال فأنا أهنيكم بتسنى أمانيكم والسلام *(وقال رحمه الله تعالى) مخاطبا عميد مراكش المتميز بالرأى والسياسة والهمة وافاضة العدل وكف اليد والتجافى عن مال الجباية عامر بن محمد بن على الهنتاتى

تقول لى الاظعان والشوق فى الحشا * له الحكم يمضى بين ناه وآمر
اذا جبل التوحيد أصبحت فارعا * فخيم قرار العين فى دار عامر
وزر تربة المعلوم ان مزارها * هو الحج يقضى نحوه كل ضامر
ستلقى بمثوى عامر بن محمد * ثغور الامانى من ثنايا البشائر
ولله ما تبلوه من سعد وجهه * ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الامثال فى الدهر منكما * بخير مزور أو بأغبط زائر

لم يكن همى أبقاك الله تعالى مع فراغ البال واسعاف الآمال ومساعدة الايام والليال اذ الشمل جميع والزمان كله ربيع والدهر مطيع سميع الا زيارتك فى جبلك الذى يعصم من الطوفان ويواصل أمنه بين النوم والاجفان وان أرى الافق الذى طلعت منه الهداية وكانت اليه العودة ومنه البداية فلما حم الواقع وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع وأصبحت ديار الاندلس وهى البلاقع وحسنت من استدعائك اياى المواقع وقوى العزم وان لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسى السفر بسببك فألفيته خفيفا والتمست الاذن حتى لا نرى فى قبلة السداد تحريفا واستقبلتك بصدر مشروح وزند العزم مقدوح والله سبحانه يحقق السول ويسهل بمثوى الاماثل المثول ويهيئ من قبل هنالك القبول بفضله انتهى *(وللسان الدين بن الخطيب مقامة عظيمة بديعة) وصف بها بلاد الاندلس والعدوة وأتى فيها من دلائل براعته بالعجب العجاب وقد تركتها مع كتبى بالمغرب ولم يحضرنى منها الآن الا قوله فى وصف مدينة سبتة ما صورته قلت فمدينة سبتة قال تلك عروس المجلى وثنية الصباح الاجلى تبرجت تبرج العقيلة ونظرت وجهها من البحر فى المرآة الصقيلة واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة واذا قامت بيض أسوارها وكان جبل بنيونش شمامة أزهارها والمنارة منارة أنوارها كيف لا ترغب النفوس فى جوارها وتهيم الخواطر بين انجادها وأغوارها الى المينا الفلكية والمراقى الفلكية الذكية الزكية غير المنزورة ولا المبكية ذات الوقود الجزل المعد للازل والقصر المقصورة

على الجد والهزل والوجوه الزهر السحن المضنون بها عن المحن دار الناشئة والحامية
المنزمة للحرب الناشبة والاسطول المرهوب المحذور الالهوب والسلاح المكتوب
المحسوب والاثر المعروف المنسوب كرسى الامراء والاشراف والوسيطة لخاص
أقاليم البسيطة فلا احتلالها فى الانحراف بصيرة علوم اللسان وصنعاء الحلل الحسان
وثمرة امتثال قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الامينة على الاختزان القويمة
المكيال والميزان محشر أنواع الحيتان ومحط قوافل العصير والحرير والكتان وكفاها
السكنى بمنونش فى فصول الازمان ووجود المساكن النبيهة بأرخص الاثمان والمدفن
المرحوم غير المزحوم وخزانة كتب العلوم والآثار المنبئة عن أصالة الحلوم الا أنها
فاغرة أفواه الجنوب للغيث المصبوب عرضة للرياح ذات الهبوب عديمة الحرث فقيرة
من الحبوب ثغر تيوفيه المضاجع بالجنوب وناهيك بسنة تعتد من الذنوب فأحوال
أهلها رقيقة وتكلفهم ظاهر مهما طهرت وليمة أو عقيقة واقتصادهم لا تلتبس منه
طريقة وأنساب نفقاتهم فى تقدير الأرزاق عريقة فهم يمصون البلالة مص المحاجم
ويجعلون الخبز فى الولائم بعدد الجماجم وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم بالبشير الهاجم وراعى
الجديب بالمطر الساجم فلا يفضلون على مدينتهم مدينة الشك عندى فى مكة والمدينة
انتهى * وقد سلك فى هذه المقامة وصف بلدان المغرب بالسجع والتقفية ووفاها من المدح
وضده أكمل توفية وعكس هذه الطريقة فى نفاضة الجراب فوصف فيها الاماكن بكلام
مرسل جزل غير مسجع مع كونه أقطع من السيف اذا بان عنه القراب (فمن ذلك قوله
حين أجرى ذكر مدينة مكناسة الزيتون وأطلت مدينة مكناسة فى مظاهر الجد رافلة
فى حلل الدوح مبتسمة عن شنب المياه العذبة سافرة عن أجمل المراد قد أحكم وضعها
الذى أخرج المرعى قيد النص وفذلكة الحسن فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تخلفه
حسنا ووضعا من بلد دارت به المدامر المغلة والتفت بسوره الزياتين المفسدة وراق
بخارجه للسلطان المستخلص الذى يسمو اليه الطرف ورحب ساحة والتفاف شجرة
ونباهة بنية واشراف ربوة ومثلت بازائها الزاوية القدمى المعدة للوراد ذات البركة
النامية والمئذنة السامية والمرافق المتيسرة يصاقبها الخان البديع المنصب الحصين الغلق
الخاص بالسابلة والجوابة فى الارض يبتغون من فضل الله تعالى تقابلها غربا الزاوية
الحديثة المرينية برونق الشبيبة وحزبة الجدة والانفساح وتفنن الاحتفال الى أن قال
وبداخلها مدارس ثلاث لبث العلم كلفت بها الملوك الجلة الهمم وأخذها التجديد فجاءت
فائقة الحسن ما شئت من أبواب نحاسية وبرك فياضة تقذف فيها صافى الماء أعناق
اسدية وفيها خزائن الكتب والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين وتفضل هذه المدينة
كثيرا من لداتها بصحة الهواء وتبحر أصناف الفواكه وتعمير الاختزان ومداومة البر جرار
ترابها سليما من الفساد مما فى من العفن اذ تقام ساحات منازلها غالبا على اطباق الآلاف
من الاقوات تتناقلها المواريث ويصحبها التعمير وتتجافى عن الارض ومحاسن هذه البلدة
المباركة جمة قال ابن عبدون من أهلها ولله دره

ان تفتخر فاس بما في طيها * وبأنها في زيها حسناء
يكفيك من مكناسة ارجاؤها * والاطيبان هواؤها والماء

ويسامتها شرقا جبل زرهون المنبجس العيون الطاهر البركة المتزاحم العمران الكثير الزياتين والاشجار قد جلله سكرا ورزقا حسنا فهو عنصر الخير ومادة الجبى وفي المدينة دون تنبيه وبني أصيله والله سبحانه ولي من اشتملت عليه بقدرته وفيها أقول

بالحسن من مكناسة الزيتون * قد صح عذر الناظر المفتون
فضل الهواء وصحة الماء الذي * يجري بها وسلامة المخزون
همت عليها كل عين ثرة * للمزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين أباطح * وافتر ثغر الزهر فوق غصون
ولقد كفاها شاهدا مهما ادعت * قصب السباق القرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوّه * فبكت عليه عيونه بعيون
وكأنما هو بربري وافد * في لوحه والتين والزيتون
حييت من بلد خصيب أرضه * مثوى أمان أو مناخ أمون
وضعت اليك من الاله عناية * تكسوك ثوبي أمنة وسكون انتهى

وقد وصفها في مقامة البلدان على منوال السجع فقال مكناسة مدينة أصيلة وشعب للمحاسن وفضيلة فضلها الله تعالى ورعاها وأخرج منها ماءها ومرعاها فجانبها مريع وخيرها سريع ووضعها له في قنة الفضائل تفريع اعتدل فيها الزمان وانسدل الامان وفاقت الفواكه فواكهها ولا سيما الرمان وحفظ أقواتها الاختزان ولطفت فيها الاواني والكيزان هدنا من الحضرة جوارها فكثر قصادها من الوزراء وزوارها وبها المدارس والفقهاء ولقصبتها الابهة والمناصير والابهاء انتهى ويعني بالحضرة مدينة فاس المحروسة لانها اذ ذاك كرسي الخلافة ومكناسة مقر الوزارة وأهل المغرب يعبرون عن المدينة التي فيها كرسي الخلافة بالحضرة قلت دخلت مكناسة هذه مرارا عديدة وقد أبلى الدهر محاسنها التي كانت في زمان لسان الدين بن الخطيب جديدة واستولى عليها الخراب وتكدر منها بالفتن الشراب وعاث في ظاهرها الاعراب وفي باطنها اسامرة الفتنة العائقة عن كثير من الآراب حتى صار أهلها حزبين ولبس كثير من أهلها ثياب البعد عنها والبين والله تعالى يجبر حالها ويعقب بالخصب امحالها ويرحم الله تعالى ابن جابر اذ قال

لاتنكرن الحسن من مكناسة * فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت أيدي الزمان رسومها * فلربما أبقت هناك حروفا -

على أن ضواحيها كانت في زمان لسان الدين مأوى للمحاربين واللصوص ومثوى للاعراب الذين أعضل داؤهم بأقطار المغرب على العموم والخصوص ولذلك يقول لسان الدين رحمه الله تعالى

مكناسة حشرت بها زمر العدا * فغدى بريد فيه الف مريد
من واصل للجوع لا لرياضة * أو لابس للصوف غير مريد

فاذا سلكت طريقهما متوقفا * قالوا السلوك بها على التجريد

وما أشار اليه رحمه الله تعالى فيما سبق من ذكر الزاوية القديمة والجديدة أشار به الى زاويتين بناهما السلطان أبو الحسن المريني الكثير الآثار بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس وكان بنى الزاوية القديمة فى زمان أبيه السلطان أبى سعيد والجديدة حين تولى الخلافة فى هذه المدينة غير الزاويتين المذكورتين عدة آثار كثيرة جميلة من القناطر والسقايات وغيرها ومن أجل ما تركه بها المدرسة الجديدة وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما أخبر السلطان بتمام بنائها جاء اليها من فاس ليراها فقعد على كرسى من كراسى الوضوء حول صهريجها وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فعرقها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن * ليس لما قرت به العين ثمن

وهذا السلطان أبو الحسن أشهر ملوك بنى مرين وأبعدهم صيتا وكان قد ملك رحمه الله تعالى المغرب بأسره وبعض الاندلس وامتد ملكه الى طرابلس الغرب ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان حين قاتل أعراب افريقية فغدره بنو عبد الواد الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان واشتهروا الفرصة فيه وهربوا الى الاعراب عند المصافة فاختل مصافه وهزم أقبح هزيمة ورجع الى تونس مغلوبا وركب البحر قاصدا بلاده وكانت نحو الستمائة من السفن فقضى الله تعالى أن غرقت جميعا ونجا على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربعمائة عالم منهم السطي شارح الحوفي وابن الصباغ الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة قال الاستاذ أبو عبد الله ابن غازى رحمه الله تعالى حدثنى بعض أعيان الاصحاب أنه بلغه ان الفقيه ابن الصباغ المذكور سمع بمنصورة تلمسان المحروسة ينشد كالمعاتب لنفسه

يا قلب كيف وقعت فى أشراكهم * ولقد عهدتك تحذر الاشراكا

أرضا بذل فى هوى وصبابة * هذا لعمر الله قد أشقاكا

ومات رحمه الله تعالى غريقا فى أسطول السلطان أبى الحسن المريني على ساحل تدلس هو والفقيه السطي والاستاذ الزواوى وغيرواحد فى نكبة السلطان أبى الحسن المعروفة ومن نظم ابن الصباغ المذكور فى العلاقات المعتبرة فى المجاز وفى المرجحات له قوله تعالى

يا سائلا حصر العلاقات التى * وضع المجاز بها يسوغ ويجمل

خذها مرتبة وكل مقابل * حكم المقابل فيه حقا يحمل

عن ذكر ملزوم بعوض لازم * وكذا بعلته يعاض معلل

وعن المعمم يستعاض مخصص * وكذا الذى عن جزء ينوب المكمل

وعن المحل ينوب ما قد حله * والحذف للتخفيف عما ينهل

وعن المضاف اليه ناب مضافه * والضد عن أضداده مستعمل

والشبه فى صفة تبين وصورة * ومن المقيد مطلق قد يبدل

والنىء

والشئ يسمى باسم ما قد كانه * وكذا الذى يسمى بالبديل المبدل
وضع المجاور فى مكانة جاره * وبهذه حكم التعاكس يكمل
وابدل مكان الشئ آلته وجئ * بمنكر قصد العموم فيحصل
ومعرف عن مطلق وبه انتهت * وبلها حكم التداخل يشمل
وبكثرة وبلاغة ولزومه * لحقيقة رجحانه يتحصل

انتهى كلام شيخ شيوخ شيوخنا الامام أبى عبد الله محمد بن غازى رحمه الله تعالى * وقد حكى ابن غازى المذكور عن شيخه القورى عن شيخه ابن جابر أن ابن الصباغ المذكور اعترض على القاضى ابن عبد السلام التونسى قال لما لقى ابن الصباغ بتونس اعترض عليه ابن الصباغ أربع عشرة مسئلة لم ينفصل عن واحدة منها بل أقر بالخطا فيها الذى ينبغى اتصاف بالكمال الاربى الكبير المتعال انتهى (وذكر الشيخ أبو عبد الله الابى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم عند تكلمه على أحاديث العين ما معناه ان رجلا كان بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبى الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن فكان غرقها بقدرة الله الذى يفعل ما يشاء ونجا السلطان بنفسه وجرت عليه محن واستولى ولده السلطان أبو عنان فارس على ملكه وكان خالفه بتلمسان ولم يزل فى اضطراب حتى ذهب الى سجلماسة ومنها خاض الى جبل هنتانة قرب مراكش فذهب الى حربه ابنه السلطان أبو عنان فارس بجيوشه وأناخ على الجبل بكلكله ولم تخفر أهل هنتانة جواره لديهم ولا كبيرهم عامر بن محمد وأخوه وصبروا على الحصار وخراب الديار وحرق الاماكن حتى مات هنالك رحمه الله تعالى ونقل بعد الى شالة سلا مدفن اسلافه ومن أراد الوقوف على اخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذى ألفه فيه وسماه المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن ولما ذهب لسان الدين بن الخطيب الى عامر بن محمد بجبله المشهور زار محل وفاة السلطان المذكور وقد ألم بذكر ذلك فى نفاضة الجراب اذ قال وشاهدت بجبل هنتانة محل وفاة السلطان المقدس أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله تعالى حيث أصابه طارق الاجل الذى فصل الخطة وأصمت الدعوة ورفع المنازعة وعاينته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفترشا بالحصباء مقصودا بالابتهال والدعاء فلم أبرح يوم زيارة محل وفاته أن قلت

يا حسنها من أربع وديار * أضحت لباغى الامن دار قرار
وجبال عز لا تذل أنوفها * الا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة * آثارها تنبى عن الاخبار
ما كنت أحسب ان أنهار الندى * تجرى بها فى جملة الانهار
ما كنت أحسب ان أنوار الحجا * تلتاح فى قنن وفى أحجار
مجت جوانبها البرود وان تكن * شبت بها الاعداء جذوة نار
هدت بناها فى سبيل وفائها * فكأنها صرعى بغير عقار
لما توعدها على المجد العدا * رضيت بعيث النار لا بالعار

عمرت بجبلة عامر وأعزها • عبد العزيز بمرهف بتار
فرمى بها أحرزا نصب الندى • والبأس في طلق وفي مضمار
ورثا عن الندب الكبير أبيهما • محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة • بالاصل في ورق وفي اثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاتة • في جوّها بمطالع الاقمار
لله أي قبيلة تركت لها الـ • ـنظراء دعوى الفخر يوم فخار
نصرت أمير المسلمين وملكه • قد أسلمته عزائم الانصار
وارت عليا عندما ذهب الردى • والروع بالاسماع والابصار
وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الابطال بين تقاعد وفرار
كفرت صنائعه فيمم دارها • مستظهرا منها بعز جوار
وأقام بين ظهورها لا يتقي • وقع الردى وقداره بشرار
فكأنهم الانصار لما أن سمت • فيما تقدم غربة المختار
لما غدا لحظا وهم أجفانه • نابت شفارهم عن الاشفار
حتى دعاه الله بين بيوتهم • فأجاب ممتثلا لامر الباري
لو كان يمنع من قضاء الله ما • خلصت اليه نوافذ الاقدار
قد كان يأمل أن يكافئ بعض ما • أولوه لولا قاطع الاعمار
ما كان يقنعه لو امتد المدى • الا القيام بحقها من دار
فيعيد ذاك الماء ذائب فضة • ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
حتى تفوز على النوى أوطانها • من ملكه بجلائل الاوطار
حتى يلوح على وجوه وجوهم • أثر العناية ساطع الانوار
ويسوغ الامل القصي كرامها • من غير ما ثنيا ولا استعصار
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجى • عن درهم فيهم ولا دينار
أو أن يتوج أو يقلد هامها • ونحورها بأهلة ودراري
حق على المولى ابنه ايثارها • بذلوه من نصر ومن ايثار
فلمثلها ذخر الجزاء ومثله • من لا يضيع صنائع الاحرار
وهو الذي يقضي الديون وبره • يرضيه في علن وفي اسرار
حتى تصبح عصبة رفعوا ابها • علم الوفاء لاعين النظار
فيصير منها البيت بيتا ثانيا • للطائفين اليه أي بدار
تغني قلوب القوم عن هدي به • ودموعهم تكفي لرمي جمار
حييت من دار تكفل سعيها الـ • ـمحمود بالزلفى وعقبى الدار
وضفت عليك من الاله عناية • ما كر ليل فيك اثر نهار انتهى

ويعني بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن ومن العجائب ان الرئيس عامر بن محمد الذي جرى في هذه الابيات ذكره كان يؤمل بايوائه للسلطان أبي الحسن

وانصرته

ونصرته له وعدم استشعارذمته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزا واستطيلا ورياسة زائدة على ما كان فيه فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن اذنازله بجنوده وحاصره بمعقله حتى استولى عليه وقتله حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي نزيل مصر في تاريخه الكبير الذي سماه بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر فمن شاء فليراجعه ثمة وكان الرئيس أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخي السلطان عبد العزيز المذكور فكان من قتله ماذكر والله غالب على أمره ولنرجع الى ما كنا فيه من نثر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ورضي عنه فنقول ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في كتابه اعلام الاعلام ما صورته وفي غرضي اذا من الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية ومعاودة الازمان الهنية والنصبة النقية ان نصنف في التاريخ كتابا مبنيا على التطويل مستوعب التكثير والقليل نسميه بضاعة المهولين في أساطين الاولين يكون هذا الكتاب بالنسبة اليه الحصاة من الرمال والقطرة من الغيث المنثال باعانة ذي القدرة والجلال انتهى ومن كلامه رحمه الله تعالى فما استبعد المرام من قصد الكرام وما فقد الايناس من أمل الناس انتهى وقد سلك لسان الدين رحمه الله تعالى في كثير من كتبه كالكتيبة الكامنة والتاج المحلى والاكليل الزاهر وغيرها تحلية الاعلام من جلة السيوف والاقلام بالكلام المسجع الآخذ بحظه من الاتقان على طريقة صاحب القلائد والمطمح أبي نصر الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ الاندلس غير مدافع وعلى نهج مباريه ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة وهو كتاب ينبغي أن يراجع وقد رأيت ان آتي بشيء من كلام لسان الدين فيما ذكرونا بعد تحليته بالتعريف بحال من حلاه من الاعلام بحسب ما من به ويسره لي الملك العلام سبحانه وتعالى فنقول قال لسان الدين رحمه الله تعالى في بعض كتبه في وصف بعض من عرف به ما نصه أي نفس صافية من الكدر وصدر طيب الورد والمصدر ودوحة عهد تندى أوراقها ومشكاة فضل يستطلع اشراقها تمسك برضاع الكاس يرى ذلك من حسن عهده وقسم لحظاته بين آس الرياض ووردة فلما حوم حمامه للوقوع وكاد يقوض رحله عن الربوع وشعر بحبائل المنية تعتلقه وسرعان خيل الاجل ترهقه أقلع عن فنه وأمر بسفك دنه ولجأ الى الله تعالى باوبته وضرع الى الله تعالى في قبول توبته وغفران حوبته فكان ذلك عنوان الرضا وعلامة عفو الله تعالى عما مضى دخلت عليه في مرضه وأشرت باستعمال الدواء المسمى بالحبة التيس عند الاطباء فاستعمله فوجد بعض خفة * وقال في آخر كنيف الماشية معدود في جنس السائمة والماشية تليت على العمال به سورة الغاشية تولى الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وقامت قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهي احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد من المصانعة والرشوة يجنب

الناس ويقول عند المحاطبة لا مساس وعلى صاده نهجه وتجهم وجهه فكان مالئا إياه باحسانه مشتغلا بشانه غاضا من عنان لسانه مهتديا في الاعمال يقدر فيها ويدبر ويرج ويصدر ويحيط ويثمر وهو مع ذلك يشكر ويحسن من الازمة ويقع ويحرر يسجح ولما شرع في البحث والتنقير والمحاسبة على القطمير والنقير أتاه قاطع الاجل على ركابه فاقتنى المحل وصدرت عنه أبيات خضم فيها ونشم وحصل تحت المدر المشترك مع من تظلم * وقال في آخر كركدن حلبة الآداب وستور عبد الله يسبح بقبر اطما شاب هام بوادي الشعر مع من هام واستمطر منها الجهام حاء بأبيات أوهى من بيت العنكبوت نسجا ومقاصد لا تبين قصدا ولا نهجا وله بيت معمور بقضاة أكابر فرسان أقلام ومنابر وعمال قادوا الدهر بأزمة أرمتهم وقرعوا الزهر بهمتهم وتكاثرت عليه رحمه الله تعالى الاحن وتعاورته المحن وتصرف آخر عمره في بعض الاعمال المخزنية فتمادى به القوت الى الاجل الموقوت * وقال في آخر معدود في وقته من أدبائه ومحسوب في أعيان بلده وحسبائه كان رحمه الله تعالى من أهل العدالة والخير سائرا على منهج الاستقامة أحسن السير وله أدب لا يقصر عن السداد وان لم يكن بطلا في بكثر السواد قد أنبت له ما عثرت عليه مما ينسب الناس اليه * وقال في آخر معتز غير قانع ومضيع كل شهم وصانع نشأ بلده مالقة أرغم من أورد البراعة في نفس وهز غصنها في روضة طرس الا ما كان من سخافة عقله وقعوده تحت المثل أشير بقله لا يرتبط الى رتبة ولا ينتمي الى عصبة ولا يتلبس بسمت ولا يستقيم من أمت أخبرني من عني بخبره وذكر غيره من صباه الى كبره أنه رشح في بعض الدول وعرض لاكتساب الخيل والخول وخلعت عليه كسوة فاخرة وشارة بزهر الرياض ساخرة فاقتاد طوع حرمانه ونبذ صفقة زمانه وحمله فرط النهم على ان ابتاع في حجره طعاما كثير الدسم وأقبل وأذياله منه تقطر كما اختلفت بالليث الاشطار فطرد ونبذ وطرح بعد ما جبذ لقيته بمالقة وقد قلب له زمانه عينيه وسقط في يديه فأتاني بامداحه وتعاورني باباحه واقتراحه * وقال في آخر أديب نار فكره تتوقد وأريب لا ينتقد كلامه ولا ينتقد أما الهزل فهو طريقته المثلى ركض في ميدانها وجلى وطلع في أفقها وتجلى فأصبح علم أعلامها وعابر أحلامها ان أخذ بها في وصف الكاس وذكر الورد والآس وألم بالربيع وفصله والحبيب ووصله والروض وطيبه والغمام وتقطيبه شق الجيوب طربا وعل النفوس شربا وشربا وان ابتغى لاعتلال العشية في فرش الربيع الموشية ثم تعداها الى وصف الصبوح وابتهر على الرق المجروح وأشار الى نغمات الورق يرددن في الحلل الزرق وقد اشتعلت في عنبر الليل نار البرق وطلعت بنود الصباح في شرفات الشرق سلب الحليم وقاره وذكر الخليع كاسه وعقاره وحرك الاشواق بعد سكونها وأخرجها من وكونها بلسان يتراحم على موارد الخبال ويتدفق من حافاته الادب السيال وبيان يقيم أود المعاني ويشيد مصانع اللفظ محكمة المباني ويكسو حلل الاحسان جسوم المثالث والمثاني الى بادرة لا يهاب ثار ومحاضرة يجني بها الشهد ويشار وقد أثبت من شعره المعرب

وان كان لايتعاطاه الاقليلا ولايجاوز الاتعليلا أبياتا لاتخلو من مسحة جمال على صفحاتها وهبة طيب ينم في نفحاتها * وقال أيضا في آخر ظريف السجية كثير الاريحية ارتحل من لورقة فتحها الله تعالى واتخذ المرية دارا وألف بها استقرارا الى ان دعاه بها داعيه وقام فيها ناعيه * وقال في وصف آخر شيخ أخلاقه لينة ونفسه كما قيل في نفس المؤمن هينة ينظم الشعر عذبا مساقه محكما اتساقه على فاقة وحال ما لها من افاقة أنشد المقام الكريم بظاهر بلده قصيدة استغرب مهامتزعها واستعذب من مثله مشرعها * وقال في آخر من أئمة أهل الزمام خلق يرعى الميثاق والذمام ذو خط كما تفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان ببلده رحمه الله تعالى بدار أشرافه محاسبا ودرة في لجة الاغفال راسيا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته حسن الحلل وله شعر لابأس به ولاخفاء بفضل مذهبه * وقال في آخر خير ممن استبق الى داعي الفلاح استباقا وانتمى الى القوم الذين هم في الآخرة أطول أعناقا وان كانوا في الدنيا أضيق أرزاقا مردد أذكار ومسبح أسحار وعامر مئذنة ومنار كان ببلده مؤذنا بجامعها ومؤقتا بأم صوامعها ومعتبرا فيمن كان بها من السدنة ومن مثله قوله مكانما قرب بدنة وله لسان خفيف وشعر ضعيف توشح بحليته وجعله وسيلة كديته * وقال في آخر عظيم الهيئة حسن اللقاء أغرب في حسن المداراة من العنقاء استمر عمره للحكم وصبر على تجبج الصم والبكم وأفرط في هشته وهزته وتنزل عن نخوة القضاء وعزته وله سلف في القضاء عالي المراقب مزاحم للنجم الثاقب وقد أثبت من شعره ما تيسر اثباته وتحيج بروض هذا المجموع نباته * وقال في آخر قاض توارث كل جلالة عن كلالة وجمع في العلم الحسب بين الموروث والمكتسب أشرق بجيد منتم في العشيرة محول وألقت عليه مقاليدها من منقول ومتأول الى نزاهة لا تزنها البيضاء ولا الصفراء وحلم لاتستهويه السعاية ولايستفزه الاغراء ووقار يستخف الجبال الراسية ونظر يكشف الظلم القاسية تولى قضاء الحضرة فانفذ الاحكام وأمضاها وشام سيوف الجزالة وانتضاها ولبس أثواب النزاهة والانقباض فما نصاها وسلك الطريق التي اختارها السلف وارتضاها فاجتمعت الاهواء المفترقة عليه وصرف الثناء أعنة الالسن اليه ثم كر الى بلده واستقر خطيبا بقرارة أهله وولده * وقال في آخر منتم الى معرفة متصف من الذكاء بأحسن صفة أقرا ببلده علم اللسان وما حاد عن الاحسان وعاني الشعر فنظم قوافيه وما تكلف فيه وعلى غزارة مادته ووضوح جادته فشعره قليل البشاشة ذاهب الحشاشة وذو الاكثار كثير العثار وله سلف يخوض في الحقائق وينتحل بعض الكلام الرائق * وقال في آخر منتم لدين وعفة والى نفس بالعرض الادنى مستخفة ممن نزع الى سلوك ورياضة ويفيض في طريق القوم بعض افاضة * وقال في آخر ممن يتشوف الى المعارف والمقالات ويرتاح الى الحقائق والحالات ويشتمل على نفس رقيقة ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ويعاني من الشعر ما يشهد بنبله ويستطرف من مثله * وقال في آخر مشمر في الطلب عن ساق مثابر على اللحاق

بدرجات الحذاق منتحل للعربية جاد في احصاء خلافها ومعاطاة سلافها وربما شرب
في المذاكرة أخلاقه اذا لم ترجح اعلاقه ونوزع تمسكه بالحجة واعتلاقه ورحل الى المغرب
فاستجدى بالشعر سلطانه ثم راجع أوطانه • وقال في آخر منتم الى زهد باذل في القياس
الجبر الجهد نظمه لا يخلو من حلاوة ومعانيه في طريقه عليها بعض طلاوة • وقال في
آخر كاتب مجلات لا يساجل في صحة فصولها وتوقيع فروعها على أصولها وكلما طلب
بالنظم القريحة واعمل الفكرة الصريحة مع اقلاله وعدم استعماله أجابت
ولبت وتنسمت رياحها وهبت • وقال رحمه الله تعالى وساعه في بعض الصدور الصوفية
الاخيار الذين وحدوا الله وفنوا عن سائر الاغيار خير عدل ومن له وقار وفضل
متسم بخير معرض عن غير مشتغل بصفات مرضية يلم بالنظم في الطريقة الصوفية
• (وللسان الدين رحمه الله تعالى) ركض في هذا الميدان لا يجارى فيه وثبوت فضل
لا يستند الى دليل جاحده ونافيه وقال رحمه الله تعالى في كتابه التاج المحلى في مساجلة
القدح المعلى في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الامي المريني ماصورته نجم معرفة
لا يغيض وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض نشأ ببلده مشمرا عن ساعد اجتهاده
وسائرا في سبيل العلم ووهاده حتى أينع روضه وفهق حوضه ثم أخذ في راحة ذاته
وشام بارق لذاته ثم سار في البطالة سير الجموح وواصل الغبوق بالصبوح حتى قضى
وطره وسئم بطره وركب الفلك وخاض اللج الملك واستقر بمصر على النعمة
العريضة على شك في قضاء حجة الفريضة وهو اليوم بمدرستها الصالحية نبيه المكانة
معدود في أهل العلم والديانة انتهى وقال في الاحاطة في حق المذكور مانصه من خط
شيخنا أبي البركات في الكتاب المؤتمن على انباء أبناء الزمن كان سهل الاسلاس بالقياد لذيذ
العشرة دمث الاخلاق ميالا الى الدعة نفورا عن النصب يركن الى فضل نباهة وذكاء
يحاسب بهما عند التحصيل الدراسة والدؤوب على الطلب من رجل يجري من الالحان على
معنى مار الطيف ولم يكن له صوت رخيم يساوق انطباعه في التلحين يخبر ذلك بالاوتار
وحاول من ذلك بيده مع أصحابه ما لاذ به الظرفاء منهم واستعمل بدار الاشراف بالمرية
فاحكم تلك الطريقة في أقرب زمان وجاء زمامه يروق من ذلك العمل من شأنه ثم
نهضت به همته الى أرفع من ذلك فسار الى غرناطة فقرأ بها العربية وغيرها وانخرط في
سلك نبهاء الطلبة لادنى مدة ثم رحل الى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة فلم
يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها علة كان يشكوها وأخذ في اقراء العربية بها وعرف بها الى
أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوي قال شيخنا المذكور ورأى في صغره فارة أنثى فقال هذه
فرينة فلقب بذلك وصار هذا اللقب أغلب عليه من اسمه ومعرفته ثم قال لسان الدين في
حق المذكور ما ملخصه انه قرأ بالحضرة على الخطيب أبي علي القبطابي وطبقته وأخذ
بالقاهرة عن الاستاذ أبي حيان وانتفع بجاهه نقل الينا الحاج الحافظ أبو جعفر بن غصن
من شعره حسبما قيده عنه بمصر

بعد المزار ولوعة الاشواق • حكما بفيض مدامع الآماق

وخفوق

وخفوق نجدى النسيم اذا سرى * أذكى لهيب فؤادى الخفاق
أمعلى انّ التواصل فى غد * من ذا الذى لغد فديتك باق
انّ الليالى سبق ان أقبلت * واذا تولت لم تنل بلحاق
يح بالمطى على الحمى سق الحمى * صوب الغمام الواكف الرقراق
فيه لذى القلب السليم ودادة * قلب سليم ماله من راق
قلب غداة فراقهم فارقته * لا كان فى الايام يوم فراق
ياساريا والليل ساج عاكف * يفرى الفلا بنجائب ونياق
عرّج على مثوى النبى محمد * خير البرية ذى المقام الراقى
ورسول رب العالمين ومن له * حفظ العهود وصحة الميثاق
الطاهر الآيات قام دليلها * والطاهر الاخلاق والاعراق
بدر الهدى وهو الذى آياته * وجبينه كالشمس فى الاشراق
الشافع المقبول من عمّ الورى * بالجود والارفاد والارفاق
الصادق المأمون أكرم مرسل * سارت برسالته الى الآفاق
أعلى الكرام ندى وأبسطهم يدا * قبضت عنان المجد باستحقاق
وأشدّ خلق الله اقداما اذا * حمى الوطيس وشمرت عن ساق
أمضاهم والخيل تعثر فى الوغى * وتجول سجاق الدم المهراق
من صير الاديان دينا واحدا * من بعد اشراك مضى ونفاق
وأحلنا من حرمة الاسلام فى * ظل ظليل وارف الاوراق
لو انّ للبدر المنير كماله * ماناله كسف ونكس محاق
لو انّ للبحرين جود يمينه * أمن السفين غوائل الابساق
لو انّ للآساد شدة بأسه * لثنت عن الانجاد والاعراق
لو ان للآباء رحمة قلبه * ذابت نفوسهم من الاشفاق
ذو العلم والحلم الخفى المجتلى * والجاه والشرف القديم الباقى
آيا ته شهب وغرّ بنا نه * سحب النوال تدر بالارزاق
ماجت فتوح الارض وهو غياثها * وربت ربا الايمان وهو الساقى
ذو رأفة بالمؤمنين ورحمة * وهدى وتأديب بحسن سياق
وخصال مجد أفردت بالخصل فى * مرمى الفخار وغاية السباق
ذو المعجزات الغرّ والآى التى * كم آية عقدت وهنّ بواقى
ثنت المعارض حائرا لما حكت * فلق الصباح وكان ذا افلاق
يقظ الفؤاد سرى وقد هجع الورى * لمقام صدق فوق ظهر براق
وسما وأملاك السماء تحفه * حتى تجاوزهنّ سبع طباق

ومنها

ياذا الذى اتصل الرجاء بحبله * وانبتّ من هذا الورى بطلاق

حتى اليك وسيلتى وذخيرتى * انى من الاعمال ذو املاق
واليك أعملت الرواحل ضمرا * تختال بين الوخد والاعناق
نجبا اذا انشدت حلى تلك العلا * تلوى الى العلا ممتدة الاعناق
يحدوهن من الحب مرتد * وتقودهن أزمة الاشواق
غرض اليه فوقتنا أسهما * وهى القسى برين كالاوراق
فأعتها بمسالك الرحب الذى * وسع الورى بالنائل الدفاق
وقرى مؤملك الشفاعة فى غد * وكفى بها حبة من الرزاق
وعليك يا خير الانام تحية * تحيى النفوس بنشرها الفتاق
تتأرج الارجاء من نفحاتها * أرج الندى بمحلك المصداق

ومنها

قسما بطيب تراب طيبة انه * مسك الانوف واثمد الاحداق
وبشأن مسجدها الذى رحابه * لعامل الرحمن أى نفاق
لأسيرن فيه بأدمع اسلاكها * منظومة بترائب وتراقى
أغدو بتقبيل على حصبائه * وعلى كرائم جدره بعناق

ومنها

وعليك ذا النورين تسليم له * نور يلوح بصفحة المهراق
صهر النبى وكفؤ أعلى جنة * حبرت له بشهادة وصداق
وكفاه ما فى الفتح جاء ومصحف * فى الفتح بجمعه وفى الاطباق
وعلى أبى السبطين من سبق الالى * سبقوا الى الاسلام يوم سباق
الطاهر الطهر ابن عم المصطفى * شرفا على التخصيص والاطلاق
مبدى القضايا من وراء حجابها * ومفتح الاحكام عن اغلاق
يعزو العداة بغلظة فيهدهم * بصوارم تفرى الفقار رقاق
راياته لا شئ من عقبانها * يطار يوم وغى ولا بعتاق
وعلى كرام ستة عشرتهم * عند الطعام لا آلئ اتساق
ما بين أروع ماجد نيرانه * جنح الظلام تشب للطراق
وأخى حروب صدره رشق القنا * عما قدود مثلهن رقاق
ما غردت شحوا مطوقة وما * شقت كمام الروض عن اطواق
وعلى القرابة والصحابة كلهم * والتابعين لهم ليوم تلاق

وذكره فى الاحاطة غير هذه (وقال لسان الدين) فى التاج فى ترجمة محمد بن عبد الرحيم الوادى آشى ما صورته ناظم أبيات وموشح عروشيات وصاحب توقيعات وقيعات واشارات ذوات شارات وكان شاعرا مكثارا وجواد الاحسان عثارا دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه بعد انتثار سلكه وخروج الحضرة عن ملكه واستقراره بوادى آش مرفوع الحال متعللا بالا مال وقد بلغه دخول طبرنش فى طاعته فأنشده

من ساعته

نخذها الملك طرنشا * شفع بها وادى الاشا

والامام تالى بنتها * والله يفعل ما يشا

ومن نوادره العذبة ماكتبه اليه يطلب منه الحسبة

الملي أباالخير البرية خطة * ترفعني قدرا وتكسبني عزا

فأعتز في أهلي كما اعتز بيدق * على سفرة الشطرنج لما انتهى فرزا

ثوقع له بما ثبت في ترجمته انتهى وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله بن العطار المزني ماصورته ممن نبغ ونجب وحق له البرّ بذاته ووجب تحلى بوقار وشعشع للادب كاس عقار الا انه اخترم في اقتبال واصيب للاجل بنبال انتهى وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن يحيى بن خاتمة الانصاري المزني ماصورته ممن تكلمه البراعة وفقدته البراعة تأدب باخيه وتهذب وأراه في النظم المذهب وكساه من التفهم والتعليم الرداء المذهب فاقتفى واقتدى وراح في الحلبة واغتدى حتى نبل وشدا ولو أمهله الدهر لبلغ المدى وأما خطه فقيد الابصار وطرفة من طرف الامصار واعتبط بانع الشبيبة مخضر الكتيبة مات عام خمسين وسبعمائة وأورد له في الاحاطة قوله

ومض البرق فشاد القلق * ومضى النوم وحل الارق

مذ تذكرت لايام خلت * ضمنا فيها الحمى والابرق

وعشيات تقضت باللوا * في محيا الدهر منها رونق

اذ شبابي والتصابي جمعا * ورياض الانس غض مورق

شت يوم البين شملي ليتما * خلق البين لقلب يعشق

آه من يوم قضى لي فرقة * شاب مني يوم حلت مفرق

وقوله

الرفع نعتكم لاخانكم أمل * والخفض شيمة مثلي والهوى دول

هل منكم لي عطف بعد بعدكم * اذ ليس لي منكم ياسادتي بدل انتهى

قلت البيت الثاني غاية في معناه وأما الاول فسافل وان أسس على الرفع مبناه والله أعلم

*(وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن عيسى بن داود الحميري المالقي ماصورته علم من أعلام هذا الفن ومشعشع راح هذا الدن مجموع أدوات وفارس براعة ودوات ظريف المنزع أنيق المرأى والمسمع اختص بالرياسة فأدار فلك امارتها واتسم باسم كتابتها ووزارتها ناهضا بالاعباء صاعدا في درج التقريب والاجتباء مصانعا دهره في راح وراحة آويا الى فضل وسماحة وخصب ساحة كلما فرغ من شان خدمته وانصرف عن ربه نعمته عقد شربا وأطفأ من الاهتمام بغير الايام حربا وعكف على صوت يستعيده وظرف يبديه ويعيده فلما انقلبت بالرياسة الحال وقوضت منها الرحال استقر بالمغرب غريبا يقلب طرفا مستريبا ويلفظ الدنيا تبعة عليه وتثريبا وان كان لم يعدم من امرائه حظوة وتقريبا ومابرح يروح بشجنه

ديرتاح الى عهود وطنه ومما أعرب به عن براعة أدبه قوله

يا نازحين ولم أفارق منهم * شوقا تأجج في الضلوع ضرامه
غبتم وعن ناظري وشخصكم * حيث استقر من الضلوع مقامه
رمت النوى شملي فشتت شمله * والبين رام لا تطيش سهامه
وقد اعتدى فيها وجد مبالغا * وجرت بحكم جوره أحكامه
أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أراه قد انقضت أيامه

تحملوا يا نسيم نجدية النفحات وجدية اللفحات تؤدى عنى الى الاحبة تحيات وسلاما وتورد عليهم لفحها بردا وسلاما ولا تقل كيف تحملني نارا وترسل على الاحبة مني اعصارا كلا اذا أهديتهم تحية ابتدائي وآنسوا من جانب هبوبك نار ضرام أحشائي وارتاحوا الى هبوبك واهتزوا في كف مسرى جنوبك وتملوا بك تعليلا وأوسعوا آثارها مسك تقبيلا أرسلها عليهم بليلا وخاطبهم بلطافة تلطفك تعليلا ألم تروني كيف جئتكم بما حملني عليلا

كذا أتركته ملقى بأرض * له فيها التعلل بالرياح
اذا هبت اليه صبا اليها * وان جاءته من كل النواحي
تساعده الحمائم حين يبكي * بما يشبه موصول النواح
يخاطبهن مهما طرن شرقا * أما فيكن واهبة الجناح

ولولا تعلله بالاماني وتحدث نفسه بزمان التداني لكان قد قضى نحبه ولم أبلغكم الا نعيه أو ندبه لكنه يتعلل من الآمال بالوعد الممطول ويطارح بافترابه على الزمن المجهول ويحدث نفسه وقد قنعت من بروق الآمال بالخلب ووثقت بمواعيد الدهر القلب فيناجيها بوحي ضميره وايماء تصويره كيف أجدك يوم الالتقاء بالاحباب والتخلص من ربقة الاغتراب أبا ثنية الحضور أم بادية الاضطراب كأني بك وقد استفزك وله السرور فقصر بك عن مشاهدة الحضور وعاقك غشاوة الاستعبار للاستبشار عن اجتلاء محيا ذلك النهار

يوم يداوي زمانه من آزماني * أزال تنغيص أحساني فأحياني
جعلت لله نذرا صومه أبدا * أفي به وأوفي شرط ايماني
اذا ارتفعنا وزال البعد وانقطعت * أشطان دهر قد التفت بأشطاني
أعده خير أعياد الزمان اذا * أوطأني السعد فيه ترب أوطاني

أرأيت كيف ارتياحي الى التذكار وانقيادي الى معللات توهمات الافكار كأن البعد باستغراقها قد طويت شقته وذهبت عني مشقته وكأني بالتحيل بين تلك الخمائل أتنسم صباها وأتنسم رباها وأجتني أزهارها وأجتلي أنوارها وأجول في جناتها وأتسنم بكرها وأصائلها وأطرف بمعالمها وأتنشق أزهار كمائمها وأصيخ بأذن الشوق الى سجع حمائمها وقد داخلني الافراح ونالت مني نشوة الارتياح ودنا السرور لتوهم ذهاب الاتراح فلما أفقت من غمرات سكري وونيت من هفوات فكري وجدت مرارة ما شابه

لى فى استغراق دهرى وكانى من حينئذ عاينت وقعة الفراق وابتدأت منازعة الاشواق وكانما أغمضنى النوم وسمح لى بتلك الفكرة الحلم

ذكر الديار فهاجه تذكاره * وسرت به من حينه أفكاره
فاحتل منها حيث كان حلوله * بالوهم منها واستقر قراره
ما أقرب الآمال من غفواته * لو أنها قضيت بها أوطاره

فاذا جئتها أيها القادم والاصيل قد خلع عليها برد امورسا والربيع قد مد على القيعان منها سندسا فاتخذها فديتك معرسا واجرر ذيولك فيها متبخترا وبث فيها من طيب نفحاتك عنبرا والقق عليها من نوافج أنفاسك مسكا أذفرا واعطف معاطف بانها وأرقص قضب ريحانها وصافح صفحات نهرها ونافح نفحات زهرها هذه كلها أمارات وعن أسرار مقاصدى عبارات هنالك تمتعش بها صبابات تعالج صبابات تتعلل باقبالك وتعكف على لثم أذيالك وتدولك فى صفة الفانى المتهالك لالطفها باطافة اعتلالك وترفق بها ارفق أمثالك فاذا مالت بهم الى هوالك الاشواق ولووا اليك الارؤس والاعناق وسألوك عن اضطرابى فى الآفاق وتقلبى بين الاشائم والاعراق فقل لهم عرض له فى اسفاره ما يعرض للبدر فى سراره من سرار السرار ومحاق المحاق وقد تركته وهو يسامر الفرقدين ويسابر النيرين وينشد اذا راعه البين

وقد نكون وما يخشى تفرقنا * واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

لم يفارق وعثاء الاسفار ولا ألقى من يده عصا التسيار يتهاداه الغور والنجد ويتداوله الارقال والوخد وقد لفحته الرمضاء وسئمه الانضاء فالبهات تلفظه والآكام تبهظه يحمل همومه الرواسم وتحيا به البواسم

لا يستقر بأرض حين يبلغها * ولا له غير حدو العيس ايناس

ثم اذا استوفوا سؤالك عن حالى وتقلبى بين حلى وترحالى وبلغت القلوب منهم الحناجر وملأت الدموع المحاجر وابتلت ذيولك بمائها لا بل تضرجت بدمائها فحيهم عنى تحية منفصل وداع مرتحل ثم اعطف عليك ركابك ومهد لهم جنابك وقل لهم اذا سألنى عن المنازل بعد سكانها والربوع بعد ظعن أظعانها بماذا أجيبه وبماذا يسكن وجيبه فسيقولون لك هى البلاقع المقفرات والمعارف التى أصبحت نكرات

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

قل لهم كيف الروض وآسه وعما تأرج أنفاسه عهدى به والحمام يردد به أسجاعه والذباب يغنى به هزجا يحك بذراعه ذراعه وغصونه تعتنق وأحشاء جداوله تصطفق وأشجاره تتبسم وآصاله تتوسم كما كانت بقية نضرته وكما عهدتها أنيقة خضرته وكيف التفافه عن أزرق نهره وتأنقه فى تكليل اكليله بيانع زهره وهل رق نسيم آصاله وصفت موارد جداوله وكيف انفساح ساحاته والتفاف دوحاته وهل تمتد كما كانت مع العشى فينانة سرحاته عهدى بها المديدة الظلال المزعفرة السربال لم تحدق الآن به عيون نرجسه ويتقد بساط سندسه وأين منه مجالس اذاقى ومعاهد غدواتى وروحاتى

اذ أبارى فى الجرى من أبارى وأسابق الى اللذات كل من أجارى فسيقولون للذوت أفنانه واقتصفت أغصانه وتكدرت غدرانه وتغير روحه وريحانه وأقفرت معالمه وأخرست حمائمه واستحالت سلسل خمائله وتغيرت وجوه بكره وأصائله فان صاح حنين رعد فمن قلبى لفراقه خفق وان تألق برق فمن حر حشاى ائتلق وان سحت السحب فمساعدة لجفنى وان طال بكاؤها ففى سقاها الله تعالى منازل لم تزل بمنظوم الشمل أواهل وسبل انتثرت أزهارها أسفا ولم تثن الريح من أغصانها معاطفا أعاد الله تعالى الشمل فيها الى ما عهد من نظامه وجعل الدهر الذى فرقه يتأنق فى احكامه وهو سبحانه يجبر الصدع ويجعل الجمع انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير ايه بنى كيف حال من استودعتهم أمانتك وألزمتهم صونك وصيانتك وألبستهم نسبك وعهدت لهم حسبك الله فى حفظهم فهو اللائق بفعالك والمناسب لشرف خلالك ارع لهم الاغتراب لديك والانقطاع اليك فهم أمانة الله تعالى فى يديك وهو سبحانه يعقبك بحفظهم ويوالى بلطفك أسباب لطفهم وان ذهبتم الى معرفة الأحوال فمن الله تعالى سابغة الظلال وخيراته وارفة السربال لولا الشوق الملازم والوجد الذى سكن الحيازم انتهى *

(وقال فى الاكليل) فى ترجمة أبى بكر محمد بن عبد الله بن مقاتل المالقى ما نصه نابغة مالقية وخلف وبقية ومغربى الوطن أخلاقه مشرقية أزمع الرحيل الى المشرق مع اخضرار العود وسواد الفرق فلما توسطت السفينة اللجج وفارعت الثبج هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام وأوردها قبل التمام وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها وانضم على نوره سوادها من جملة الطلبة والأدباء وأبناء السراة الحسباء أصبح كل منهم مطيعا لداعى الردى وسميعا وأحيوا فرادى وماتوا جميعا فأجروا الدموع حزنا وأرسلوا العبرات عليهم مزنا وكان البحر لما طمس سبيل خلاصهم وسدها وأمال حصة سفينتهم وهدها غار على نفوسهم النفيسة فاستردها والفقيه أبو بكر مع اكتباره واستبداد نظامه ونثاره لم أظفر من أدبه الا بالقليل التافه بعد وداعه وانصرافه فمن ذلك قوله وقد أبصرنى عاثرا

ومهفهف هافى المعاطف أحور * فضحت أشعة نوره الأقمارا
زلت له قدم فأصبح عاثرا * بين الأنام لعا لذاك عثارا
لو كنت أعلم ما يكون فرشت فى * ذاك المكان الخد والأشفارا

وقال

أيا لبنى الرفاء تفنى ظباؤهم * جفون ظباهم فالفؤاد كليم
لقد قطع الأحشاء منهم مهفهف * له السير خد والجبين أديم
يسدد اذ يرمى قسى حواجب * وأسهمها من مقلتيه تسوم
وتدمى عيناه وهى سقيمة * ومن عجب سقم جناه سقيم
ويذبل جسمى فى هواه صبابة * وفى وصله لو شاء شقى نعيم

كان غرقه فى أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة انتهى (وقال فى الاكليل فى ترجمة أبى

عبدالله محمد بن محمد الشديد المالقي ما نصه شاعر مجيد حرك الكلام ولا يقصر فيه عن درجة الاعلام رحل الى الحجاز لاول أمره فطال بالبلاد المشرقية ثواؤه وعميت أنباؤه وعلى هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل ومرعاها غير وبيل تدل على نفس ونفس واضاءة قبس وهي

لذا في كل مكرمة مقام * ومن فوق النجوم لنا مقام

ومنها

روينا من مياه المجد لما * وردناها وقد كثر الزحام
فنحن هم وقل لي من سوانا * لنا التقديم قدما والكلام
لنا الايدي الطوال بكل عضب * بهزته لدى الروع الحسام
ونحن اللابسون لكل درع * يصيب السمر منهن انثلام
بأندلس لنا أيام حرب * مواقفهن في الدنيا عظام
تري منها قلوب الروم خوف * يخوف منه في المهد الغلام
حمينا جانب الدين احتسابا * فها هو لا يهان ولا يضام
وتحت الراية الحمراء منا * كتائب لا تطاق ولا ترام
بنو نصر وما أدراك ماهم * أسود الحرب والقوم الكرام
لهم في حربهم فتكات عمرو * فلا عمار عندهم انصرام
يقول عداتهم مهما ألموا * أتونا ما من الموت اعتصام
اذا شرعوا الاسنة يوم حرب * تحقق أن ذلك هو الحمام
كأن رماحهم فيها نجوم * اذا ما أشبه الليل القتام
أناس تخلف الايام منا * بجبا منهم فلهم دوام
رأينا من أبي الحجاج شخصا * على تلك الصفات له قيام
موفي العرض محمود السجايا * كريم الكف مقدام همام
يجول بذهنه في كل شئ * فيدركه وان عز المرام
قويم الرأي في نوب الليالي * اذا ما الرأي فارقه القوام
له في كل معضلة مضاء * مضاء الكف ساعدها الحسام
رؤف قادر يقضي ويعفو * وان عظم اجتناء واجترام
تطوف ببيت سؤدده القوافي * كما قد طاف بالبيت الانام
وتسجد في مقام علاه شكرا * ونعم الركن ذلك والمقام
أفارسها اذا ما الحرب أخنت * على أبطالها ودنا الحمام
ومطرها اذا ما السحب كفت * وكف أخي الندى أبدا غمام
لك الذكر الجميل بكل قطر * لك الشرف الاصيل المستدام
لقد جبنا البلاد فخشرما * رأينا أن ملكك لا يرام
فضلت ملوكها شرقا وغربا * وبت لملكها قطبا وناموا

فأنت لكل معلوة مدان • وأنت لكل مكرمة امام
حللت بلاد أندلس اذاما • ذكرت تعارضه مصر والشآم
مكان أنت فيه مكان عز • وأوطان حللت بها كرام
وهبتك من بنات الفكر بكرا • لها من حسن لقياك ابتسام
فخذه طرف مجد لتلق حلاها • فللعبد الاصيل بها اهتمام انتهى

(وقال في الاكليل في ترجمة الشريف محمد بن الحسن العمراني من أهل فاس ماصورته كريم الانتماء متظلل بأغصان الشجرة الشماء من رجل سليم الضمير ذي باطن أصفى من الماء النمير له في الشعر طبع يشهد بعروبة أصوله ومضاء نصوله • وذكر في الاحاطة أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة. (وقال في الاكليل في ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم المرادي العشاب وهو قرطبي الاصل تونسي المولد والمنشا ماصورته جواد لايتعاطى طلقه وصبح فضل لايماثل فلقه كانت لابيه رحمه الله تعالى من الدول الحفصية منزلة لطيفة المحل ومفاوضة في العقد والحل ولم يزل تسمو به قدم النجابة من العمل الى الحجابة وتأثلت هذا الفتى الدنيا مفديا بالانفس والعيون والدهر ذو ألوان ومارق حرب عوان والايام كرات تتلقف وأحوال لاتتوقف فألوى بهم الدهر وأخنى وأناخ عليهم بعقب ما أمنى فشملهم الاعتقال وتعاورتهم النوب الثقال واستقرت بالمشرق ركابه وحطت به أقتابه فحج واعتمر واستوطن تلك المعاهد وعمر وعكف على كتاب الله تعالى فجود الحروف وقرأ المعروف وقيد وأسند وتكرر الى دور الحديث وتردد وقدم على هذا الوطن قدوم النسيم البليل على كبد العليل ولما استقر به قراره واشتمل على جفنه غراره بادرت الى مؤانسته وثابرت على مجالسته فاجتليت للسر منه ضيا وطالعت ديوان الوفا مستقصى وشعره ليس بحائد عن الاحسان ولا عاطل عن النكت الحسان انتهى (وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمر بن علي بن ابراهيم المليكشي ماصورته كاتب الخلافة ومشعشع الادب الذي يزري بالسلافة كان بطل مجال ورب روية وارتجال قدم على هذه البلاد وقد نبا به وطنه وضاق ببعض الحوادث عطنه فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ولبث مدة اقامته تحت جراية واسعة وميرة يانعة ثم آثر قطره فولى وجهه شطره واستقبله دهره بالانابة وقلده خطة الكتابة فاستقامت حاله وحطت رحاله وله شعر أنيق وتصوف وتحقيق ورحلة الى الحجاز سعيها في الخير وثيق ونسبها في الصالحات عريق ومن شعره قوله

رضاك مرادي من كل مايهوى • فلا توقفني موقف الذل والشكوى
وصفحا عن الجاني المسيء لنفسه • كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى
بما بيننا من خلوة معنوية • أرق من النجوى وأحلى من السلوى
متى أشتكي لوعة البين ساعة • ولا لك هذا آخر العهد بالجوى
متى ساعدتني عرصة الدار وانطوى • الى عاشق ما يستفيق من البلوى

وكم قد سألت الريح شوقا اليكم * فما حملت مسراها على ولا الوى
فيا ريح حتى أنت ممن يعاندني * ويا نجد حتى أنت تهوى الذي أهوى
خلقت ولي قلب جليد على النوى * ولكن على فقد الاحبة لا يقوى

(وحدث) بعض من عني بأخباره أيام مقامه بمالقة واستقراره أنه اتى بباب اللعب من أبوابها طبية من ظبيات الانس وقينة من قينات هذا الجنس فخطب وصالها واتقى بفؤاده نصالها حتى همت بالانقياد وانعطفت انعطاف الغصن المياد فأبقى على نفسه وأمسك وأنف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال

لم أنس وقفتنا بباب اللعب * بين الرجا واليأس من متجنب
وعدت فكنت مراقبا لحديثها * يا ذل وقفة خائف مترقب
وتدللت فذللت بعد تعزز * يأتي الغرام بكل أمر معجب
بدوية أبدى الجمال بوجهها * ما شئت من خد شريق مذهب
تدنو وتبعد نفرة وتجنبا * فتكاد تحسبها مهاة الربرب
ورنت بلحظ فاتن لك فاتر * أمضى وأمضى من حسام المضرب
وأرتك بابل سحرها بجفونها * فسبت وحق لمثلها أن تستبي
وتضاحكت فحكت بنير ثغرها * لمعان نور ضياء برق خلب
فنظم في عقد سمطي جوهر * عن شبه نور الاقحوان الاشنب
وتمايلت كالغصن أخضله الندى * ريان من ماء الشبيبة مخصب
تنميه أرواح الصبابة والصبا * فتراه بين مشرق ومغرب
أبت الروادف أن تميل بميله * فرست وجال كأنه في لولب
متتوجا بهلال وجه لاح في * خلل السحاب لحاجب ومحجب
يا من رأى فيها محبا مغرما * لم ينقلب الا بقلب قلب
ما زال مذ ولي يحاول حيلة * تدنيه من نيل المنى والمطلب
فأجال نار الفكر حتى أوقدت * في القلب نار تشوق وتلهب
فتلاقت الارواح قبل جسومها * وكذا البسيط يكون قبل مركب

وقال

أرى لك يا قلبي بقلبي محبة * بعثت بها سرى اليك رسولا
فقابله بالبشرى وأقبل عشية * فقد هب منك النسيم عليلا
ولا تعتذر بالقطر أو بلل الندى * فأحسن ما يأتي النسيم بليلا

توفي عام أربعين وسبعمائة بتونس رحمه الله تعالى انتهى (وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر العبدري التونسي الشاطبي الاصل ما نصه غذي نعمة هامية وفريع رتبة سامية صرفت الى سلفه الوجوه ولم يبق من افريقية الامن يخافه ويرجوه وبلغ هو مدة ذلك الشرف الغاية من الترف ثم قلب الدهر له ظهر المجن واشتد به الخمار عند فراغ الدن ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوب مبيرة وشدة كبيرة

فامترح بسكانه وقطانه ونال من اللذات به ما لم ينله في أوطانه واكتسب الشمائل العذاب وكان كابن الجهم بعث الى الرصافة ليرق فذاب ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر وألم بهذه البلاد المام الخيال الزائر فاغتنمت صفقة وده حين وروده وخطبت موالاته على امتناعه وشروده فحصلت منه على درة تقتنى وحديقة طيبة الجنى أنشدني في أصحاب له بمصر فارقهم بعده

لكل أناس مذهب وسجية ❊ ومذهب أولاد الطغام المكارم
اذا كنت فيهم ثاويا كنت سيدا ❊ وان غبت عنهم لم تنلك المظالم
أولئك صحبي لاعدمت حياتهم ❊ ولاعدموا السعد الذي هو دائم
أغنى بذكراهم وطيب حديثهم ❊ كما غردت فوق الغصون الحمائم

وقال

أأحبتنا بمصر لو رأيتم ❊ بكائي عند أطراف النهار
لكنتم تشفقون لفرط وجدي ❊ وما ألقاه من بعد الديار انتهى

(وقال في الاكليل في ترجمة أبي القاسم محمد بن أبي زكريا يحيى بن أبي طالب عبد الله بن محمد ابن أحمد العزفي السبتي ما صورته فرع تأوّد من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده واتهت اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعدما شطت ثم كلح له الدهر بعدما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذي كان يتنسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم الاقدار وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة وله أدب كالروض باكرته الغمائم والزهر تفتقت عنه الكمائم ورفع منه راية خافقة وأقام له سوقا نافقة وعلى تدفق أنهاره وكثرة نظمه واشتهاره فلم أظفر منه الا باليسير التافه بعد انصرافه انتهى ❊ (وقال في الاكليل في ترجمة أبي عبد الله محمد ابن المكودي الفاسي ما نصه شاعر لا يتقاصى ميدانه ومرعى بيان رف عضاهه وأينع سعدانه يدعو الكلام فيهطع لداعيه ويسعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه غير أنه أفرط في الانهماك وهوى الى السمكة من أوج السماك قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار صفر اليمين واليسار مليء الهوى أخنى على طريفه وتلاده وأخرجه من بلاده ولما جد به البين وحل هذه البلدة بحال تقتحمها العين والسيف بزته لا بجنس رثته دعوناه الى مجلس أعاره البدر هالته وخلع عليه الاصيل غلالته وروض تغنى حمامه وهمى عليه غمامه وكاس أنس تدور فتطلع نجومها البدور فلما ذهبت المؤانسة بخجله وتذكر هواه ويوم نواه حتى خشينا حلول أجله جذبنا للمؤانسة زمامه واستقينا منه غمامه فأمتع وأحسب وتطارد نسيب وتكلم في المسائل وحاضر بطرف الابيات وعيون الرسائل حتى نشر الصباح رايته وأطلع النهار آيته فما نسبه الى حسه وأنشدناه قوله

غرامي فيك جل عن القياس * وقد أسقيتنيه بكل كاس
ولا أنسى هواك ولو جفاني * عليك أقاربي طرّا وناسي
ولا أدري انقضى من كمال * سوى أني لعهدك غير ناسي

وقال

بعثت بجمر فيه ماء وانما * بعثت بما فيه رائحة الخمر
فقل عليه الشكر اذ قل سكرنا * فنحن بلا سكر وأنت بلا شكر انتهى

(وقال لسان الدين رحمه الله تعالى في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن بيش العبدري الغرناطي ما صورته معلم مدرب مسهل مقرب له في صنعة العربية باع مديد وفي هدفها سهم سديد ومشاركة في الادب لا يفارقها تسديد خاصي المنازع مختصرها مرتب الاحوال مقررها تميز أول وقته بالتجارة في الكتب فسلطت منه عليها أرضة آكلة وسهم أصاب من رميتها الشاكلة اترب بسببها وأثرى وأغنى جهة وأفقر أخرى وانتقل لهذا العهد الاخير الى سكنى مسقط راسه ومنبت غراسه وجرت عليه جراية من احباسها ووقع عليه قبول من ناسها وبها تلاحق به الحمام فكان من ترابها البداية واليها التمام وله شعر لم يقصر فيه عن المدى وأدب توشح بالاجادة وارتدى أنشدني بسبتة تاسع جمادى الاولى عام اثنين وخمسين وسبعمائة يجيب عن بيتي ابن العفيف التلمساني

يا ساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثاني
لاي معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

فقال

نحلتني طائعا فؤادا * فصار اذ حزته مكاني
لا غرو اذ كان لي مضافا * أني على الكسر فيه باني

وقال يخاطب الشريف أبا العباس وأهدى أقلاما

أناملك الغر التي سيب جودها * يفيض كفيض المزن بالصيب القطر
أتتني منها تحفة مثل عدها * اذا انتضيت كانت كرهفة السمر
هي الصفر لكن تعلم البيض أنها * محكمة فيها على النفع والضر
مهذبة الاوصال ممشوقة كما * تصوغ سهام الرمي من خالص التبر
فقبلتها عشرا ومثنى أنني * ظفرت بلثم في أناملك العشر

وقال في ترتيب حروف الصحاح

أساجعة بالواديين تبوّئي * ثمارا جنتها طالبات خواضب
دعي ذكر روض زانه سقي شربه * صباح ضحى طل ظباء عصائب
غرام فؤادي قاذف كل ليلة * متى ما نأى وهنا هواه يراقب

مولده في حدود ثمانين وستمائة وتوفي بغرناطة في رجب عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة انتهى
قلت رأيت بخط الجلال السيوطي على هامش جوابه عن بيتي ابن العفيف التلمساني

علمه ورنه قلت فى هذا البيت تصريح بأن المضاف الى الياء مبنى على الكسر وهو رأى مرجوح عند النحاة ذهب اليه الجرجانى والصحيح أنه معرب على ان ذلك لا يحتاج الى جواب كما يظهر بالتأمل قاله عبد الرحمن السيوطى انتهى ويعنى بذلك أن الساكنين اجتمعا بكسر أحدهما لا اعلالهما والله سبحانه أعلم (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن هانئ اللخمى السبتى وأصله من اشبيلية ماصورته علم تشير اليه الاكف ويعمل الى لقائه الحافر والخف رفع للعربية ببلده راية لا تتأخر وصرح منها بجة تزخر فانفسح مجال درسه واثمرت أدواح غرسه فركض ما شاء وبرح ودوّن وشرح الى شمائل يملك الظرف زمامها ودعابة راشت الحلاوة سهامها ولما أخذ المسلمون فى منازلة الجبل وحصاره رأى بوالكفر منه بجارحة اعماره ورموا بالشكل فيه نازح أمصاره كان ممن انتدب وتطوع وسمع النداء فاهطع فلازمه الى أن نفد لاهله القوت وبلغ من فسحة الاجل الموقوت فأقام الصلاة بمحرابه وحياه وقد غير محياه طول اغترابه وبادره الطاغية قبل أن يستقر نفس الاسلام فى ترابه أويعلق أصل الدين فى ترابه وانتدب الى المصارمة وتبرع ودعا أجله فلبى وأسرع ولما هدر عليه الفنيق وركع الى قبلة المنيق أصيب بجبر دوم عليه كالجارح المحلق وانقض اليه انقضاض البارق المتألق فاقتنصه واختطفه وعمد الى زهره فاقتطفه فمضى الى الله تعالى طوع نيته وصحبته غرابة المنازع حتى فى أمنيته انتهى وقد جود ترجمته فى الاحاطة وقال انه ألف كتبا منها شرح تسهيل الفوائد لابن مالك مبدع تنافس الناس فيه وكتاب الغرة الطالعة فى شعراء المائة السابعة وكتاب انشاد الضوال وارشاد السؤال فى لحن العامة وهو مفيد وكتاب قوت المقيم ودوّن ترسيل أبى المطرف بن عميرة وضمه فى سفرين وله جزء فى الفرائض وحدثنى شيخنا الشريف القاضى أبو القاسم قال طالبت ابن هانئ بقصيدة من نظمى أولها هات الحديث عن الركب الذى شخصا فأجابنى بقصيدة على رويها أولها

لولا مشيب بفودى للفؤاد عصى • انصت فى مهمه التشبيب لى قلصا

واستوقفت عبراتى وهى جارية • وكماء نؤمم ربعا للحبيب قصا

سائلا عن لياليه التى انتهزت • أيدى الامانى بها ما شئته فرصا

وكنت جاريت فيه من جرى طلقا • من الاجادة لم يجمع ولا نكصا

أصاب شاكلة المرمى حين رمى • من الشوارد مالولاه ما اقتنصا

ومن أعدّ مكان النبل نبل حجا • لم يرض الا بأبكار النهى قنصا

ثم انثنى ثانيا عطف الذهاب الى • مدح به قد غلا ما كان قد رخصا

فطال أرفل فيها لبسة شرفت • ذاتا ومنتسبا أعزز بها قمصا

يقول فيها وقد خولت منحتها • وجرّع الكاشح المغرى بها غصصا

هذى عقائل وافت منك ذا شرف • لولا أياديه بيع الحمد مرتخصا

فقلت هلا عكست القول منك له • ولم يكن قابلا فى مدحه الرخصا

وقلت ذى بكر فكر من أخى شرف • يردى ويرضى بها الحساد والخلصا

ابن
قد
تقدم
تخ

لها حلى حسنيات على حالي * حسنية تبتني من حلي أو نضا
حوّلتها وقد اعتزت ملابسها * بالبحث ينقاد للانسان ما عوصا
خذها أبا القاسم من نتيجة ذي * ودّ اذا شئت ودّا للورى خلصا
جاءت تجاوب عما قد بعثت به * ان كنت تأخذ من درّ البحور حصا

وهي طويلة وعما ينسب اليه

ما للنوى مذ ثبت لغير ضرورة * ولقبل ما عهدي بها مقصوره
ان الخليل وان دعته ضرورة * لم يرض ذالك فكيف دون ضروره

وقال مضمنا الثاني

لا تلم في عاذلي حين ترى * وجه من أهوى فلومي مستحيل
لو رأى وجه حبيبي عاذلي * لتفارقنا على وجه جميل

وأجاب الشريف المذكور عن قصيدة مهموزة بقوله

يا اوحد الادباء أويا أوحد الفضلاء أويا أوحد الشرفاء
من ذا تراه أحق منك اذا التوت * طرق الحجاج بأن يجيب ندائي
أدب أرق من الهواء وان تشأ * فمن الهوا والماء والصهباء
وألذ من ظلم الحبيب وظلمه * بالظاء مفتوحا وضم الظاء
ما السحر الا ما تصوغ بنانه * ولسانه من حلية الانشاء

وهي طويلة يقول فيها بعد جملة أبيات

لله نفثة سحر ما قد شدت لي * من نفث سحرك في مشاد ثناء
عارضت صفوانا بها فأريتما * يستعظم الراوي لها والرائي
لو راء لؤلؤك المنظم لم يفز * من نظم لؤلؤه بغير عناء
بل آتني منها أجل مسرّا * فلا تخصي مستوطأ الجوزاء
وسما بها اسمي سائرا فأنا بما * أسديت ذو الاسماء في الاسماء
وأشدت ذكري في البلاد فلي بها * طول الثناء وان اطلت ثوائي
ولقوي الفخر المشيد بنيته * بأحسن تشييد وحسن بناء
فليهن هانيهم بديع سنائهما * ان مثلها للنحسن بديع ضياء
جليت أبياتا له لحبيبة * تجلى على مضرية غراء
فليشكروا آتنا بما أوليتهم * بامحرز الآلاء بالالا بلاء

ووصلها بنثر نصه هذا بني وصل الله سبحانه لي ولك علوّ المقدار وأجرى وفق أوفوق ارادتك وارادتي التجاريات الاقدار ما سمح به الذهن الكليل واللسان الفليل في مراجعة قصيدتك الغراء الخالبة السرّاء الآخذة بمجامع القلوب الموفية بجوامع المطلوب الحسنة المهيع والاسلوب المتحلية بالحلي السنية العريقة المنتسب في العلا الحسنية الجالية اصدا القلوب ران عليها الكسل وخانها السعدان السؤل والامل فتي حامت المعاني حولها ولو أقامت حولها شكت ربها وعرها وحرمت

من قريحته الفضيلة عزلها ويهدي بها والزمان زمان وأحكامها الماضية أمانى مقضية
وأمان تتوارد الانها ويجمع اجاعها وخلافها ويساعدها من الالفاظ كل سهل ممتنع
مفترق مجتمع مستأنس غريب بعيد الغور قريب فاضح الحلى واضح العلا وضاح الغرة
والجبين رائع عمود الصبح المبين أيدي الفصاحة باياد فلم يحفل بصاحبي طي وإياد
وكسى نصاعة البلاغة فلم يعبأ بهمام وابن المراغة شفاء المحزون وعلم سر المخزون ما بين
المنثور والموزون والآن لا ملهج ولا مبهج ولا مرشد ولا منهج عكست القضايا فلم تنتج
فتبلد القلب الذكي ولم يرشح القلم الزكي وعم الافحام وغم الاحجام وتمكن الاكداء
والاجبال وكورت الشمس وسيرت الجبال وعلت سآمة وغلبت ندامة وارتفعت
ملامة وقامت لنوعي الادب قيامة حتى اذا ورد ذلك المهرق وفرع غصنه المورق
تغنى به الحمام الاورق وأحاط بجيد ادعدائه الغصص والشرق وأمن من الغصب
والسرق وأقبل الامن وذهب لاقباله الفرق نفخ في صور أهل المنظوم والمنثور وبعثر
ما في القبور وحصل ما في الصدور وزانت للادب صور وعمرت للبلاغة كور ونجمت
لبراعة درر وتلمت للبراعة درر وعندما تبين انك واحد حلبة البيان والسابق في ذلك
الميدان يوم الرهان فكان لك القدم وأقر لك مع التأخر السابق الاقدم فوحق فصاحة
ألفاظ أجدتها حين أوردتها وأصلتها حين أرسلتها وأرتهاحين وزنتها وبراعة معان
ملكتها حين ملكتها وأرويتها حين رويتها أو دويتها وأصلتها حين فصلتها أو وصلتها
ونظام جعلته لجيد البيان قلبا ولمعصمه قلبا وحصرت حدائقه غلبا فارتكبت روية
صعبا وشارأ تبعته فيه شديدا وصيرته لمدير كاسه نديما ولفظه ذمامه المدامى أو مدامه
الدماء مديما لقد فتنتني حين أتتني وسبتني حين صبتني فذهبت خفتها بوقاري
ولم يرعها بعد شيب عذاري بل دعت للتصابي فقلت مرحبا وحلت لفتنتها الحبا
ولم أحفل بشيب وألفيت ما ردتصابي نصيب وان كان فرس رهان وسابق حلبة ميدان
غير أن الجلدة بيضاء والمرجو الاغضاء بل الارضاء بحق كيف رأيت للبيان هذا الطوع
والخروج فيه من نوع الى نوع أين صفوان بن ادريس ومحل دعواه بين رسالة
وتعريس كم بين ثغاء بقر الفلاة وبين ليث الغريس كأني أعلم قطعا وأقطع علما
وأحكم مضاء وأمضي حكما أنه لو نظر الى قصيدتك الرائقة وفريدتك الحالية الفائقة
المعارضة بها قصيدته المتبجحة بها فريدته لهجب مرضا وطولا ثم اعتقد لك اليد الطولى
وأقر فارتفع النزاع وذهبت له تلك الملامات والاطماع ونسي كلمه اللؤلؤية ورجع عن
دعواه الادبية واستغفر ربه من تلك الالهية بحق وهذا من ذلك من الجرى في تلك
المسالك والتبسط في تلك المآخذ والمتارك أينزع غيري هذا المنزع أم المرء بنفسه وابنه
مولع حبا لقه الادب وبنيه وأعاد علينا من أيامه وسنيه ما أعلى منازعه وأكبى
منازعه وأجل مآخذه وأجهل تاركه وأعلم آخذه وأرق طباعه وأحق أشياعه
وأتباعه وأبعد طريقه وأسعد فريقه وأقوم نهجه وأوثق نسجه وأسمح ألفاظه
وأفصح عكاظه وأصدق معانيه وألفاظه وأحد نظامه ونثاره وأغنى شعاره ودثاره

فصاحته

فعائبه مطرود وعائبه مفرد وباغيه محمود وعامله محسود غير أن الاحسان فيه قليل ولطريق الاصابة فيه علم ودليل من ظفر بهما وصل وعلى الغاية القصوى منه حصل ومن نكب عن الطريق لم يعد من ذلك الفريق فليهنك أيها الابن الذكى البر الزكى الحبيب الحفى الصفى الوفى أنك حامل رايته وواصل غايته ليس أولوه وأخروه لذلك بمنكرين ولا تجد أكثرهم شاكرين ولولا أن يطول الكتاب وينحرف الشعراء والكتاب لفاضت ينابيع هذا الفضل فيضا وخرجت الى نوع آخر من البلاغة أيضا قرت عيون أودائك وماتت غيظا صدور أعدائك ورقيت درج الآمال ووقيت عين الكمال وحفظ منصبك العالى بفضل ربك الكبير المتعالى والسلام الاتم الاعم الاكمل الاعم يخصك به من طال فى مدحه ارقالك واغذاذك وراد روض جدلك وابلك وطلك ورذاذك وغذت مصالح سعيه فى سعى مصالحك وسيتمك بحول الله وقوته وفضله ومنته معاذك وحمت نفسك بتلميذه فحمت نفسه بأنه أستاذك ابن هانى ورحمة الله تعالى وبركاته* وكانت وفاته شهادة فى أواخر ذى القعدة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ورثاه شيخنا أبو القاسم الحسنى بقصيدة أثبت فى اسمه منها

سقى الله بالخضراء أشلاء سؤدد • تضمنهن الترب صوب الغمائم

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين فقال

قد كان ما قال البريد • فاصبر فحزنك لا يفيد
أودى ابن هانئ الرضى • فاعتادنى للثكل عيد
بحر العلوم وصدرها • وعميدها اذ لا عميد
قد كان زينا للوجو • د فضيه قد جمع الوجود
العلم والتحقيق والتشريق والحسب التليد
تندى خلائقه فقل • فيها هى الروض المجود
معض عن الاخوان لا • جهم اللقاء ولا كنود
أودى شهيدا باذلا • مجهوده نعم الشهيد
لم أنسه حين المعا • رف باسمه فينا تشيد
وله صبوب فى طلا • ب العلم تلوه صعود
قد وقت صكان يشغلنا كما نظم الفريد
أيام نغدو أو نرو • ح وسعينا السعى الحميد
واذا المشيخة جئتم • هضبات حلم لا تميد
ومرادنا جمّ البيا • ت وعيشنا خضر برود
لهفى على الاخوان والاتراب كلهم فقيد
لو جئت أوطانا فلا انكرنى التهائم والنجود
ولراع نفسى شيب من • غادرته وهو الوليد
ولطفت ما بين الجمو • د وقد تكاثرت الجمود

سرعان ما عاث الحما • م وغض ايقاظ هجود
لم رمت اعمال المسير فقيدت عزمى قيود
والآن أخلقت الوعو • د وأخلقت تلك البرود
ماللعسى ما ينبغى • فالله يفعل ما يريد
أعلى القديم الملتجا • وبلائه يعترض العبيد
يا بين قد طال المدى • أبرق وأرعد يا يزيد
ولكل شئ غاية • ولربما لان الحديد
ايه أبا عبد الاله ودونا مرمى بعيد
أين الرسائل منك تأ • تينا كما نسق العقود
أين الرسوم الصالحا • ت تصرمت أين العهود
أنسيم مساء لا تخيلك البشائر والسعود
واقدم على دار الرضا • حيث الاقامة والخلود
والق الاحبة حيث دا • والملك والقصر المشيد
حتى الشهادة لم تفتك فيمنك النجم السعيد
لا تبعدن وعد الوآن البدء فى الدنيا يعود
فلئن بليت فان ذكرك فى الدنى غض جديد
تالله لا تنساك أنـديـة العلا ما اخضر عود
واذا توسع فى الحقو • ق حقك الحق الاكيد
جادت صداك غمامة • يرمى بها ذاك الصعيد
وتعهدتك من المهيمن رحمة ابدا وجود انتهى

وقوله أول هذه الرسالة عارضت صفوان بم الى آخره يعنى بذلك همزية صفوان بن ادريس المشهورة بين أدباء المغرب ولنذكرها افادة للغرض وهى

جاد الربا من بانة الجرعاء • نوآن من دمعى وغيم سماء
فالدمع يقضى عندها حق الهوى • والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت • تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبى واعيا • ذكر الصديق لآكد الاشياء
ياصاحبى ولا أقل اذا انا • ناديت من أن تصغيا لندائى
عوجا بجارى الغيث فى سقى الحمى • حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن فى سقى المنازل سنة • نمضى بها حكما على الظرفاء
يا منزلا نشطت اليه عبرتى • حتى تبسم زهره لبكائى
ما كنت قبل مزار ربعك عالما • أن المدامع أصدق الانواء
ياليت شعرى والزمان تنقل • والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية • خفاقة الاغصان والافياء

ونـال فيها من تألفنا ولو * مافيه سخنة أعين الرقباء
فى حيث اتلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وبدت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة الميساء
والورد فى شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر فى خضر الربا * زهر النجوم تلوح بالخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعة طيبه ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت * للعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص فى حلى أوراقه * كالخود فى موشية خضراء
وافتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أنديه من أنس تصرم فانقضى * فكأنه قد كان فى الاغفاء
لم يبق منه غير ذكرى أومنى * وكلاهما سبب لطول عناء
أورقعة من صاحب هى تحفة * ان الرقاع لتحفة النبهاء
كبطاقة الوشى اذ حيابها * ان الكتاب تحية الحلطاء
ما كنت أدرى قبل فض ختامها * أن البطائق اكؤس الصهباء
حتى ثنيت معاطفى طربابها * وجررت أذيالى من الخيلاء
فجعلت ذاك الطرس كاس مدامة * وجعلت مهديه من الندماء
وعجبت من خل يعاطى خله * كأسا وراء البحر والبيداء
ورأيت رونق خطها فى حسنها * كالوشى فوق معصم الحسناء
فوجدتها من تسع آيات لقد * جاءت بتأييدى على أعدائى
فكأننى موسى بها وكأنها * تفسير مافى سورة الاسراء
لوجاد ذكر ابن الحسين بمثلها * صحت نبوته لدى الشعراء
سوداء اذ أبصرتها لكنها * كم تحتها لك من يد بيضاء
ولقد رأيت وقد تأوبنى الكرى * فى حيث شابت لمة الظلماء
أن السماء أتى الى رسولها * بهدية ضاءت بها أرجائى
بالفرقدين وبالثريا أدرجا * فى الطى من كافورة بيضاء
فكنى بذاك الطرس من كافوره * وبنظم شعرك من نجوم سماء
قسما بها وبنظمها وبنثرها * لقد انتحت لى مل عين رجائى
وعلمت أنك أنت فى ابداعها * لفظا وخطا معجز النبلاء
لاماتعاطت بابل من سحرها * لاماادعاه الوشى من صنعاء
ولقد رميت لها القياد وانها * لقضية أعيت على الدهاء
وطلبت من فكرى الجواب فعقنى * وكأنكف الذهن زند كائى
فلذا تركت عروضها ورويها * وهجرت فيها سنة الادباء

وبعثتها القصيدة همزية * شهدا لفكر جامع ابيائى
علت بقدرك فى المعارف فانبرت * من حلة تثنى على استحياء

انتهت القصيدة ومن خطه اطمها اصفوان نقلتها (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى ترجمة ابى محمد عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الازدى فى التاج ماصورته طويل القوادم والخوافى كلف على كبر سنه بعقائل القوافى شاب فى الادب وشب ونشق ريح البيان لما هب فحاول رقيقه وجزله وأجاد جده وأحكم هزله فان مدح صدح وان وصف أنصف وان عصف قصف وان أنشأ ودون وتقلب فى أفانين البلاغة وتلون أفسد ماشاء الله وكون فهو شيخ الطريقة الادبية وفتاها وخطيب حفلها كلما أتاها لا يتوقف عليه من اغراضها غرض ولا يصيع لديه منها مفترض ولم تزل بروقه تتألق ومعانيه بأذيال الاحسان تتعلق حتى برز فى أبطال الكلام وفرسانه وذعرت القلوب بسطوة لسانه وألقت اليه الصناعة زمامها ووقفت عليه أحكامها وعبر البحر منتجعا بشعره ومنفقا فى سوق الكساد من سعره فأبرق وأرعد وحذر وأوعد وبلغ جهد امكانه فى التعريف بمكانه فما حرك ولا هز وذل فى طلب الرفد وقد عز ومابرح أن رجع الى وطنه الذى اعتاده رجوع الحديث الى قتاده وقد أثبت من نزعاته وبعض مخترعاته مايدل على سعة باعه ونهضة ذراعه فمن النسيب قوله

مالمحب دواء يذهب الالما * عنه سوى لم فيه ارتشاف لمى
ولا يرد عليه نوم مقلته * الا الدنو الى من شفه سقما
ياحاكما والهوى فينا يؤيده * هوالله فى جائر رضاه قد حكما

ثم سردها وقال فى المديح

اليك جذبى التسيار تأميلا * فلى على فضلك المأمول تعويلا
الحمد لله حمدا لاكفاء له * بعد أيامك المأمول قد نيلا
ياراغبا من جاه دفع معضلة * فصبره بصروف الدهر قد عيلا
أالم بحضرة ملك كل مفتخر * بالملك توليه بالتعظيم ترسيلا
فرع من الدوحة النصرية اجتمعت * فيه الفضائل تتميما وتكميلا
لديه عمايدى الصديق تسمية * وميسم وكماة ذاك تفصيلا

وهى طويلة انتهى * (وقال لسان الدين فى الاكليل فى ترجمة أبى الحسن على بن ابراهيم ابن على بن خطاب السكالى من أهل غرناطة ماصورته متسور على بيوت القريض فى الطويل من الكلام والعريض ممن اطاعته براعة الخط وسلمت لاقلامه رماح الخط عانى كتابة الشروط لاول أمره ثم ألطت به محنته على توفر حاله ونبل خلاله وهو الآن من كتاب ديوان الحساب يتعين من الامور المخزنية ببعض الالقاب انتهى * (وقال فى التاج فى ترجمة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلى الغرناطى ماصورته الحسن العارف الناقد لجواهر المعانى كما يفعل بالسكة الصيارف والاديب الجيد الذى تحلى به للعصر النحر والجيد ان أجال جياد براعته فضح فرسان المهارق

وأخجل بين بياض طرسه وسواد نقسه الطرر تحت المفارق وان جلا أبكار أفكاره وأثار طير البيان من أوكاره سلب الرحيق المقدم فضل امكاره الى نفس لا يفارقها طرف وهمة لا يرتد اليها طرف وابانة لا يغفل اهاغرب ولا حرف وله أدب غض زهره على مجتنيه منفض كتبت اليه أستنجز وعده في الاتحاف برائقه والامتاع بزهر حدائقه قولي

عندي لموعدك افتقار محرج * وعهودك افتقرت الى انجازها
والله يعلم فيك صدق مودتي * وحقيقة الاشياء غير مجازها

فاجابني بقوله

يامهدي الدر الثمين منظما * كلماته لال السحر في ايجازها
أدركت حليات الاوائل وانيا * ووردت أولاها على أعجازها
أحرزت في المضمار خصل سباقها * ولانت أسبقهم الى احرازها
حليت بالسمطين مني عاطلا * وبعثت من فكري فتاة مفازها
فلا نجزن مواعدي مستعطفا * فاسمح وبالاغضاء منك لجازها انتهى

(وقال في الاحاطة) في حق المذكور انه من أهل الفضل والمراوءة والرجولة والجزالة فذ في الكفاية طاهر السداجة والسلامة مصعب لاضداده شديد العصبية لاولي وداده يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد ومشاركة في فقه وأدب ووثيقة ومحاضرة ممتعة ناب عن بعض القضاة وكتب الشروط وارتسم في ديوان الجند وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا يحيي بن عمر على عهده ثم انصرف الى العدوة سابع عشر جمادى الاولى من عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فارتسم في الكتابة السلطانية منوها به مستعملا في خدم مجدية بان غناه فيها وظهرت كفايته انتهى * وقد وصفه بصاحبنا ثم قال ومن شعر المذكور قوله

ليت شعري والهوى أمل * وأماني الصب لا تقف
هل لذاك الوصل مرتجع * اولهذا الهجر منصرف

وقال

وظبي سبي بالطرف والعطف والجيد * وماحاز من غنج ولين ومن غيد
أشرت اليه بالدنو مداعبا * فقال ايدنو الظبي من غابة الاسد

وقال في مبدا قصيدة مطولة

حديث المغاني بعدهن شجون * وأوجه أيام التباعد جون
لحى الله أيام الفراق فكم شجت * وغادرت الجذلان وهو حزين
وحيا ديارا ربا غرناطة * واني بذاك القرب منك ضنين
لارخصت فيها من شبابي ماغلا * وعزمي على مال العفاف أمين
خليلي لا آمر بأربعها قفا * فعندي الى تلك الربوع حنين
الم ترياني كلما ذر شارق * تضاعف عندي عبرة وأنين
اذا لم يساعدني اخ منكما فلا * حدت نظرتن بعد ذاك امون

أليس عجيباً في البرية من له * الى عهد اخوان الزمان ركون
فلا تثقن من ذي وفاء بعهده * فقد أجن السلسال وهو معين
لقلبي عذر في فراق ضلوعه * وللدمع في ترك الشؤن شؤن
ومن ترك الحزم المعين فانه * لمان بأيدي الحادثات رهين
رعى الله أيامي الوثيق ذمامها * فان مكاني في الوفاء مكين
ولم أر مثل الدهر أما عدوه * فخب وأما خله فخؤن
ولولا أبو عمرو وجود بنانه * لما كان في هذا الزمان معين

وقال

زار الخيال وياله من لذة * لكن لذات الخيال منام
مازلت ألثم مبسما منظومه * در ومورده الشهي مدام
واضم غصن البان من أعطافه * وأشم مسكا فض عنه ختام

مولده عام ستة وسبعمائة وتوفي بفاس وقد تخلفه السلطان كاتب ولده عند توجهه لافريقية في العشرين من رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة رحمه الله تعالى انتهى (وقد وهم لسان الدين) في شهر وفاة المذكور وانما الصواب انه توفي يوم الاحد ثامن شوال فاعلم ذلك والله سبحانه اعلم (رجع) وقال في التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى وفي الاكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج الجواهر وغيرهما مما ثبت في حلى رؤساء الكتاب وحاملي ألوية الآداب في ترجمة شيخه ابن الجياب مانصه صدر الصدور والجلة وعلم أعلام هذه الملة وشيخ الكتابة وبانيها وهاصر أفنان البدائع وجانيها اعتمدته الرياسة فناء بها على حبل ذراعه واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه فتقيأ للعناية ظلا ظليلا وتعاقبت الدول فلم ترتض به بديلا من ثب على عاتق متواضع وحبر لثدي المعارف راضع لا تعترض ذاكرة في فن الاوله فيه التبريز ولا تعرض جواهر الكلام على محكات الافهام الا وكلامه الابريز حتى أصبح الدهر راويا لاحسانه وناطقا بلسانه وغرب ذكره وشرق وأشأم وأعرق وتجاوز البحر الاخضر والخليج الازرق الى نفس هذبت الآداب شمائلها وجادت الرياسة خمائلها ومراقبة لربه واستنشاق لروح الله من مهبه ودين لا يتهم عوده ولا تخلف وعوده وكل ماظهر علينا معشر بنيه من شارة تجلى بها العين أو اشارة كاسبك اللجين فهي اليه منسوبة وفي حسناته محسوبة فانما هي أنفس راضها بآدابه وأعلقها بأهدابه وهذب طباعها كالشمس تلقي على النجوم شعاعها والصور الجميلة تترك في الاجسام الصقيلة انطباعها وماعسى أن أقول في امام الائمة ونور الدياجي المدلهمة والمثل السائر بعد الصيت وعلو الهمة وقد أثبت من عيون قصائده وأدبه الذي علق الاحسان في مصايده كل وثيق المعنى كريم المجتنى جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى انتهى • والمذكور له ترجمة في هذا الكتاب في باب مشيخة لسان الدين فليراجع (وقال في الاكليل) في حق عمر بن علي بن عمرون الكلبي من أهل منتقربر مامررته شيخ خدم

قام له الدهر فيها على قدم وصاحب أعريض ودهاء عريض وفاز من الدول النصرية بأياد بيض أصله من حصن منتقرير خدم به الدولة النصرية عند انتزاء أهله وكان ممن استنزلهم من حزنه الى سهله وحكم الامر الغالب في يافعه وكهله فكسب حظوة ارضته ووسيلة أرجحته وأمضته حتى عظم جاهه وماله وبسقت آماله ثم دالت الدول وتنكرت أيامه الاول وتغلب من يجانسه وشقى بمن كان ينافسه فخف عوده والتاث سعوده وحالت والحؤول بطاله والدهر يقوته من صبابة حرث كان يستغله وله شعر لم يثقفه النظر ولا وضحت منه الغرر توفى فى ذى الحجة عام أربعة وأربعين وسبعمائة انتهى * (وقال فى الاكليل) فى حق قاسم بن محمد بن الجد الفهرى المرى ما صورته هو من أئمة أهل الزمام خليق برعى الذمام ذو خط كأنفتح زهر الكمام وأخلاق أعذب من ماء الغمام كان بباده حاسبا ودرّا فى لجة الاعمال راسبا صحيح العمل يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل قال يمدح السلطان

أرى أوجه الايام قد أشرقت بشرا * فقل لى رعاك الله ماهذه البشرى

ومابال أنفاس الخزامى تعطرت * فأرّجت الارجاء من نفحها عطرا

ونقبت الشمس المنيرة وجهها * قصورا عن الوجه الذى أخجل البدرا

وهى طويلة توفى المذكور عام خمسين وسبعمائة بالطاعون * (وقال فى الاكليل) فى حق أبي عثمان سعيد الغسانى ما صورته هو ممن يتشوق الى المعرفة والمقالات ويتسوّق الى الحقائق والمجالات ويشتغل على نفس رقيقه وييسر من تعليم القرآن على خير طريقه ويعانى من الشعر مايشهد بنبله ويستظرف من مثله انتهى * (وقال فى الاكليل) فى ترجمة أبي الحجاج يوسف بن على الطرطوشى ما صورته روض أدب لاتعرف الذواء أزهاره ومجموع فضل لايخفى آثاره كان فى فنون الادب مطلق الاعنة وفى معاركه ماضى الظبا والاسنة فان هزل والى تلك الطريقة اعتزل أبرم من الغزل ماغزل وبزل من دنان راحه مابزل وان صرف الى المغرب غرب لسانه وأعاره لمحة من احسانه أطاعه عاصيه واستجمعت لديه أقاصيه ورد على الحضرة الاندلسية والدنيا شابة وريح القبول هابة فاجتلى محاسن أوطانها وكتب عن سلطانها ثم كرّ الى أوطانه وعطف وأسرع اللحاق كالبارق اذا خطف وتوفى عن سن عالية وبرود من العمر غالية انتهى (وقال فى ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن المتأهل العذرى من أهل وادى آش ما صورته رجل غليظ الحاشية معدود فى جنس السائمة والماشية تلبث على العمال به سورة الغاشية ولى الاشغال السلطانية فذعرت الجباة لولايته وأيقنوا بقيام قيامتهم لطلوع آيته وقنطوا من كل القنوط وقالوا جاءت الدابة تكلمنا وهى احدى الشروط من رجل صائم الحشوة بعيد عن المصانعة والرشوة يجنب الناس ويقول عند المخالطة لهم لامساس عهدى به فى الاعمال يخبط ويتبر وهو يهلل ويكبر ويحسن ويقبح وهو يسبح وقال يخاطب بعض أمراء الدولة

عمادى ملاذى موئلى ومؤملى * ألا انعم بمارضاه للمتأهل

وحقق حبل القصد منك رجاءه * على نحو ما رضيت باذا التفضل
فأنت الذى فى العلم يعرف قدره * بحبر زمان فيه لازلت تعتلى
فهنيت يا معنى الكمال برتبة * تقر لكم بالسبق فى كل محفل

توفى عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى ونذكرت بقوله ويحسن ويقبح وهو يسبح قول الآخر

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح انتهى

(رجع) وقال لسان الدين فى ترجمة أبى عبد الله بن باق من التاج ما صورته مدير أكوس البيان المعتق ولعوب بأطراف الكلام المشتق انتحل لاول أمره الهزل من أصنافه فأرزد معانيه من أصدافه وجنى ثمرة الابداع لحين قطافه ثم تجاوزه الى المعرب وتخطاه فأدركه المترع وعاطاه فأصبح لفنيه جامعا وفى فلكيه شهابا لامعا وله ذكاء يطير شرره وادراك تتبلج غرره وذهن يكشف الغوامض ويسبق البارق الوامض وعلى ذلاقة لسانه وانفساح أمد احسانه فشديد الصبابة بشعره مغل لسعره انتهى والمذكور هو محمد بن ابراهيم بن على بن باق الاموى مرسى الاصل غرناطى النشأة مالقى الاستيطان (وقال فى عائد الصلة) كان رحمه الله تعالى كاتبا أديبا ذكيا لوذعيا يجيد الخط ويرسل النادرة ويقدم على العمل ويشارك فى الفريضة وهو السباق فى الأدب الهزلى المستعمل بالاندلس غير زمام من عمره محارفا للفاقة يعالج بالأدب الكد ثم استقام له الميسم وأمكنه البخت من امتطاء غاربه فأنشبت الحظوة فيه أظفارها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجر فاثرى ونمى ماله وعظمت حاله عهد عند ما شارف الرحيل بجملة تناهز الالف من العين لتصرف فى وجوه من البر قدر هم أنها كانت زكاة أمسكها انتهى * وقال أيضا أخبرنى الكاتب أبو عبد الله بن سلمة انه خاطبه بشعر أجابه عنه بقوله فى رويه

أحرز الخصل من بنى سلمه * كاتب تخدم الظبا قلمه
يحمل الطرس من أنامله * اثر الحسن كلما رقمه
وعقد البيان فكرته * مرسلا حيث يممت ديمه
تنثنى معطفا بخمس اذا * يسم الروض فتق مبتسمه
قلت اهدى زهر الربا خضلا * فاذا كل زهرة كلمه
أعيم الحسن لايفا رقها * فأبت انتقاؤها قسمه
خط أسطارها ونمقها * فأتت كالعقود منتظمه
كاسيا من حلاه حللا * رسمها من بديع مارسمه
طالبا عند عاطش نهلا * ولديه الغيوث منسجمه
يبتغى الشعر من أخى بله * اخرس العى والقصور فمه
أيها الفاضل الذى خفقت * ألسن المدح والثنا شيمه

لا تكلف أملاك مقترحا * ثمر عال لديه قد كفه
وابق في عزة وفي دعة * صافي العيش وارد اشربه
ما ثني الغصن عطفه طربا * وشدا الطير فوقه نغمه

ورأيت على هامش هذه القصيدة بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين ما صورته نعم ما خاطب به شيخا وبركة أهل الاندلس وصدر صدورهم أبا عبد الله بن سلمة ومن لفظه سمعتها بالقاهرة وانها لمن النظم العالي المتسق نسق الدر في العقود رحمه الله تعالى قاله ابن المؤلف انتهى * وقرأ ابن باق المذكور على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير والخطيب أبي عثمان بن عيسى وتوفي بمالقة في اليوم الثامن والعشرين لمحرم فاتح عام اثنين وخمسين وسبعمائة وأوصى بعد أن حفر قبره بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي وأبي عثمان ابن عيسى أن يدفن به وأن يكتب على قبره هذه الابيات

ترحم على قبر ابن باق وحيه * فمن حق ميت الحي تسليم حيه
وقل أمن الرحمن روعة خائف * لتفريطه في الواجبات وغيه
قد اختار هذا القبر في الارض راجيا * من الله تخفيفا بقرب وليه
فقد يشفع الجار الكريم لجاره * ويشمل بالمعروف أهل نديه
واني بفضل الله أوثق واثق * وحسبي وان اذنبت حب نبيه

انتهى (رجع) وقال لسان الدين في ترجمة أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري المري المدعو بالمتنوعين الاكابر مانصه شيخ أخلاقه لينه ونفسه كما قيل هينه ينظم الشعر سهل المساق محكما اتساقه على فاقة مالها من افاقة أنشد المقام السلطاني بظاهر بلده قوله

سرت ريح نجد من ربا أرض بابل * فهاجت الى مسرى مراها بلابلي
وذكرى عرف النسيم الذي سرى * معاهد أحباب سراة أفاضل
فأصبحت مشغوفا بذكر منازل * ألفت فواشوقي لتلك المنازل
فيا ريح هبي بالبطاح وبالربا * ومري على أغصان زهر الخمائل
وسيري بجسمي للتي الروح عندها * فروحي لديها من أجل الوسائل
وقولي لها عني معناك بالنوى * له شوق معمود وعبرة ثاكل
فيا بأبي هيفاء كالغصن تنثني * تقد بقد كاد يتقد مائل

وهي طويلة ومن شعر المذكور قوله من قصيدة

بهرت كشمس في غلالة عسجد * وكبدر تم في قضيب زبرجد
ثم انثنت كالغصن هزته الصبا * طربا فتزري بالغصون الميد
حوراء بارعة الجمال غريرة * تزهى فتزري بالقضيب الاملد
ان أدبرت لم تبق عقل مدبر * أو أقبلت قتلت ولكن لاتدي

قال القاضي أبو البركات بن الحاج وابتلي المذكور باختصار كتب الناس فمن ذلك مختصره المسمى بالدرر الموسومة في اشتقاق الحروف المرسومة وكتاب حكايات يسمى

دوحة الجنان وراحة الجنان وغير ذلك • قال أبو البركات وسألته عن مولده فقال لي اليوم ستون سنة وقال ذلك ليلة الخميس السابع والعشرين لذي قعدة عام أربعين وسبعمائة وتوفي آخر رمضان من عام تسعة وأربعين رحمه الله تعالى انتهى (رجع) قال لسان الدين في الاكليل في ترجمة الكاتب صاحب العلامة أبي العباس أحمد بن علي الملياني المراكشي ماضيه الصارم الفاتك والكاتب الباتك أي اضطراب في وقار وتجهم تحته أنس العقار اتخذه ملك المغرب صاحب علامته وتوجه تاج كرامته وكان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثار عمه ويطوقهم دمه بزعمه ويتصبر على الاستبصار منهم بنات دمه اذ سعوا فيه حتى اعتقل ثم جدوا في أمره حتى قتل فترصد كتابا الى مراكش يتضمن أمرا جزما ويشمل من أمور الملك عزما جعل فيه الامر بضرب رقابهم وسبي أسبابهم ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأتى حتى علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فاتصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب من فراره وسوء اغتراره وربحت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنيعة على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام وأقام بتلمسان الى أن حل مخنق حصرها وأزيل هميان الضيقة عن خصرها فلحق بالاندلس ولم يعدم برا ورعيا مستمرا حتى أتاه حمامه وانصرمت أيامه انتهى والمذكور ترجمه في الاحاطة بقوله صاحب العلامة بالمغرب الكاتب الشهير البعيد الشأو في اقتضاء الترة المثل المضروب في الهمة وقوة الصريمة ونفاذ العزيمة حاله كان نبيه البيت شهير الاصالة رفيع المكانة على همة غريبة من الوقار والانقباض والصمت آخذ بحظ من الطب حسن الخط مليح الكتابة قارضا للشعر تذهب نفسه فيه كل مذهب وصمته فتكته الشهيرة أسات الظن بحملة الاقلام على ممر الدهر وانتقل الى الاندلس بعد مشقة شعره من شعره الذي يدل على بأوه وانفساح خطاه في المفاسة وبعد شأوه قوله

العز ما ضربت عليه قبابي * والفضل ما اشتملت عليه ثيابي

والزهر ما أهداه غصن يراعتي * والمسك ما أبداه نقس كتابي

فالمجد يمنع أن يزاحم موردي * والعزم يأبى أن يضام جنابي

فاذا بلوت صنيعة جازيتها * بجميل شكري أو جزيل ثوابي

واذا عقدت مودة أجريتها * مجرى طعامي من دمي وشرابي

واذا طلبت من الفراقد والسها * ثارا فأوشك أن أنال طلابي

وفاته توفي بغرناطة يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر وسبعمائة ودفن بجبانة باب البيرة تجاوز الله تعالى عنه انتهى (رجع الى نثر ابن الخطيب رحمه الله تعالى) فمن ذلك قوله في الروضة في ترجمة نضام الغصون من شجرة السر المصون ما صورته وهي التي أفادت الظل الظليل وزانت المرأى الجميل وتكفلت لمحاسن الشجرة الشماء بالتكميل وتعددت الى غصون المحبوبات وأقسام موضوعاتها المكتوبات وغصن

المحبين وأصنافهم المرتبين وغصن علامات المحبة وشواهد النفوس المحبة وغصن الاخبار المنقولة عن ذوى النفوس المصقولة وعند تعين هذه الاغصان المقومة كمل شكل الشجرة المرسومة والسرحة الموصوفة الموسومة فقاءت الظلال وكرمت الخلال فحيى من تفرد وتوحد واستظل من استهدى واسترشد ووقف الهائم تخطب وأنشد

يا سرحة الحى يا مطول * شرح الذى بيننا يطول
عندى مقال فهل مقام * تصغين فيه لما أقول
ولى ديون عليك حلت * لو أنه ينفع الحلول
ماض من العيش كان فيه * منزلنا ظلك الظليل
زال وماذا عليه ماذا * ياسرح لو لم يكن يزول
حيا عن المذنب المعنى * منبتك القطر والقبول انتهى

وقال رحمه الله تعالى فصول فى المعرفة تعازل بها عيون الاشارة اذا قصرت عن تمام المعنى السن العبارة ولله در القائل

واذا العقول تقاصرت عن مدرك * لم تشكل الاعلى أذواقها

المعرفة اختراق المراتب الحسية والنفوس الجنسية والعقول القدسية والبروز الى فضاء الازل اذا فنى من لم يكن وبقى من لم يزل مع عمران المراتب ورؤية الجائز فى الواجب

ومن عجب انى أحن اليهم * وأسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

المعرفة مقام يأتلف من تجمع مفروق وأفول وشروق وسل عروق ورد مسروق حتى يذهب الكيف والاين ويتعين العين فيجمع العدد ويجمل ويحى السوى ومع ذلك لا يهمل

للعدا منك نصيب * ولك السهم المصيب
انما يومك يوما * ن خصيب وعصيب

المعرفة مقام سامى المعرج عاطر الارج ينقل من السعة الى الحرج ومن الشدة الى الفرج

طريقك لا تخفى بدان تتبعت * خطاك ولا يخفى مبينك فيه
متاعك منثور على كل خيمة * ورؤياك أمن من زفع تيه

المعرفة عين ان لم تبصر أجزاءها أحسن الله عزاءها وحقيقة ان لم يجعل الفراق ازاءها كانت الغيرة جزاءها فهى دائرة مركزها يجمع ومحيطها فى التفريق يطمع ليستقل الملك أجمع ويرى من يرى ويسمع من يسمع

بعد المحيط من المحدد واحد * والكل فى حق الوجود سواء
والحق يعرف ذاته من ذاته * صح الهوى فتلاشت الاهواء

الحلال من الحرام عما أوضحه من الاحكام وعلمه ونوّع جنس المعاش وقسمه وميّز كل نوع منه ووسمه فأتيته متفاوتا فى درجات التفضيل ورسمه والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله الذى فضله على الانبياء وقربه وطهر من دنس الشبهات شيمه فما استعمله فى غير طاعته ولا استخدمه ولا أعمل فى سوى البر والهدى بنانه ولا قدمه والرضا عن آله وأصحابه الذين رعوا ذممه واستمطروا ديمه وتواصوا من أجله بالبر وتواصوا بالمرحمه فهذا كتاب سميته مثلى الطريقة فى ذم الوثيقة دعا الى جمعه قلة الانصاف من المداهن والمعاصر والمباهت فى دولة النور الباهر وزهو مطمة الميل منهم بالساع القاصر والمناضلة عن الحق الذى لم يؤيده الحق بالولى ولا بالناصر ولو شئت حكاية ولفضته شكاية اذ معرفة الاشياء بعللها مما يتشوق اليه ويحرص عليه وهو أنى لما قدمت على مدينة فاس حرسها الله تعالى مضطلعا بشفاعة الخلافة ذات الانافة مستدعى رسالة الايالة ذات الجلالة فانتصب والمنة لله الستر واتضح المتن وشفع من الصم الوتر واقتدى المرؤس بالرئيس وتنافس الاعلام فى التأنيس وانثال الاحتفاء والاستدعاء وانتضب الوعى والوعاء وأخذ أعقاب الطيبات الوضوء والطيب والدعاء تعرفت فيمن جمعته الاخوة والمداعى المتعينة برجل من نبهاء موثقيها غرنى بمخيلة البشاشة التى يستفزبها الغريب ويستخلص هوى من لم يعمل التجريب فأنست بمكانه واستظهرت على مايعرض من مكتتب بدكانه وشانى فى الاغتباط بمن عرفت شانى فلست للمقة بشانى واسترسالى حتى لمن أساء الى طوع عنانى

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ● ضميرى ويداى ويدى ولسانى

ولم يك الا أن حللت بمدينة سلا حرسها الله تعالى مقصود المحل وان رغم الدهر الذى رمى فأقصد معتقدا بفتوحات الله تعالى وان ارتج الباب برغمه وأوصد متعبا بعد عنايته وان كل وأرصد لا يعتر فاضل الاعرج على مثواى وأتى من البر فوق هواى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وتعرفت من صاحبى الماشى أنه قدم علينا من حضرة عليه فلا لها الدسر المنهوبة وتحللها المسبعة المرهوبة واغتذى الاطعمة التى مرقتها الدموع ومطبخها الحى المروع واستقر بالمدينة بعد أن لان وضرع وجدل وصرع نافق البقلة كاسد الورع ورل بمثوى خول وعط مجهول وكنف مقوت وجوار لا يتصل بفيه ولا يسيح بقوت فبادرت استدعاءه بفاضل من الطلبة ممن يلتقى به الوارد ويقتاد الشارد وقد أغرب بقراءة الاستفهاء والاحتفال واجتنب الاغفاء والاغفال وجهزت السرايا الى القاصى نعم الله تعالى خلت الانفال فلما عرض عليه الدعوة تحرف ونفر ولما سمع عطفه بالاستنزال نزا وطفر حتى بهت الرسول كما بهت الذى كفر وآب يحمل عذرا باردا واحتجاجا شاردا فاقطعته جانب شماسه وخليت بينه وبين وسواسه ومن الغد قصدنى فاعتذر وأكثر الهذر ولم يذهب الله اثبات الحسن شيئا مما بدر وكان جوابى اياه مانصه

أيستر دعوتى انما انشار ● وتأبى لومه مثلى الطريقه
وبالمختار للناس اقتداء ● وقد حضر الوليمة والعقيقه

وغير غريبة ان رق حر * على من حاله مثلى رقيقه
واما زاجر الورع اقتضاها * ويأبى ذاك ذكان الوثيقه
وغشيان المنازل لاختيار * بطالب بالجليلة والدقيقه
شكرت مخيلة كانت مجازا * لكم وحصلت بعد على الحقيقه

وذاع خبرها فقلبت عنها الجنوب وكلف بها الطالب والمطلوب وهش الى المراجعة عنها أحد الموثقين بسلا ممن يحول حول حمى الادراك ويروم درجة الاختصاص ببعض الفنون والاشتراك وله فى الادب مساس وجلب الباس بجانصه

رسولك لم يبن لى عن طريقه * تقرب من حديقتك الانيقه
فـلا بأولى ولا اباء * ولكن ساء فى الغرض الطريقه
وهب انى أسأت فكم صديق * تدلل واعتدى بخفا صديقه
فلا عجب فديت لرق حر * يسكن عند خلته رفيقه
وانى فيك معتقد ولكن * أرى الايام حاقدة حنيقه
على ذى الود فمن ود حق * يفارقه وان أضحى رفيقه

فراجعته بجانصه لما أسلفته من جراء مصاعه وكلت له بصاعه

من استغضبت من هذى الخليقه * بغضبة بانكار خليقه
ولم يغضب فليس أو حمار * مجازا لالعمرى بل حقيقه
بعثت برسل لك مع عتيق * فلم تطع الرسول ولا عتيقه
وطوقت السفير الذنب لما * علمت به ولم تبلعه ريقه
امام جماعة وفريع تقوى * ومبلغ حجة وحفيظ سيقه
فبؤت بها على الايام داء * عضالا لا تفيق عليه فيقه
وقد عارضت عذرك باعتراف * فزدت مذمة نمم الطريقه
وهل بعد اعتراف من نزاع * وهل بعد افتصال من وثيقه
ومن جهل الحقوق أطاع نفسا * بحر الجهل راسبة غريقه
ومنحى نيقة أمر بعيد * اذا نصب المهندس منجنيقه

فأمسك حينئذ وأقصر ورأى الامر يطول فاختصر الا انه نمى لى عنه قوله انه قد كان الوثيقة ان نافى الورع فيخيز بلده واذهلته لذة لدده عما هو بصدده فارتهنت له أن أنصر الدعوى بما يسلمه المنصف المساهل وينكره الا رعن الجاهل وتشد به المنازل والمناهل والمعالم والمجاهل مستندا الى الحكم الشرعى والسنن المرعى والمشاهدة والحس وشهادة الجن والانس ولو ترك القطا ليلا لناما والله يجعله موقظا من السنات وازعا عن كثير من الهنات وينفع فيه بالنية فانما الاعمال بالنيات وها انا أبتدئ وعلى الله الاعانة وبحوله وقوته الافصاح والابانة قلت ينحصر الكلام فيه فى سبعة أبواب * الباب الاول فى جواز الاجارة فيها عند العلماء * الباب الثانى فى الشركة المستعملة بين أربابها * الباب الثالث فى محلها من الورع ان سوغها الفقه * الباب الرابع فى منزلتها من

الصنائع والمهن * الباب الخامس في أحوال منتحليها من حيث العلم غالبا * الباب السادس
في أحوالهم من جهة استقامة الرزق وانحرافه * الباب السابع في رد بعض ما يحتج به
فيها انتهت الخطبة المتعلقة من تأليف لسان الدين رحمه الله تعالى وهذا التأليف
في نحو كراسة وقال في آخره ما صورته فان قيل ترك الاجر وقبول العوض في هذا الامر
يدعو الى تعطيله فيفقد الناس منفعة هذه الطريقة وغناءها قلت الانصاف فيها اليوم
أن لو كان متوليها يرتزق من بيت المال وأموال المصالح والاوقاف التي تسع ذلك وحال
الجماهير في فقدانها والاضطرار اليها ورفع أمورهم بها الى السلطان وغيبتهم في نصب من
يتولى ذلك حالهم في فقدان أئمة الصلاة في المساجد الراتبة في جريانه من بيت المال
بهذه التراجم وارتباطهم فقط حسبما نقل الاجماع فيه القاضي أبو بكر بن العربي رحمه
الله تعالى ومنع الارتزاق من غيره اجماعا وقد كان بالمدن المعتبرة من بلاد الاندلس جبرها
الله تعالى ناس من أولي التعفف والتعين كبني الجد باشبيلية وبني الخليل وغيرهم بغيرها
يتعيشون من فضول أملاكهم ويجانب رباعهم ويقعدون بدورهم عاكفين على بر
منتابين لرواية وثيابة صدهم الناس في الشهادة فيحاملونهم ويبركون على صدقاتهم
ويردونهم الى سبيل الحق فيهما من غير أجر ولا كلفة الا الحفظ على المناصب وما يجريه
السلطان من الحرمة والتفقد في الضرورة وما يهديهم الناس من الاطراء والتجلة والله
سبحانه من الاجر والمثوبة وبلغني اليوم أن حالها بمدينة مالقة يتمادى الى هذا الحال
من طرف خفي ولم يقصد بها كل الفساد وكذلك لم نزل نعرف أن الامر في شأنها بمدينة
تونس أقرب وبعض الشر أهون من بعض ولو بقيت بحالها لوجب تغيرها وفضلها وتقريظ
منتحليها فالصدق أنجى والحق عند الله أحجى والله عز وجل يستعملنا فيما يرضيه
ويلطف بنا فيما يجريه علينا من أحكامه وما يقتضيه ويجعلنا ممن ختم له بالحسنى ويقربنا
الى ما هو أقرب من رحمته وأدنى وصلوات الله على سيدنا محمد وآله وصحبه انتهى وكتب
على ظهر الورقة الاولى من هذا التأليف شيخ شيوخ شيوخنا الامام الكبير المؤلف
الشهير سيدي أحمد الونشريسي رحمه الله تعالى ما صورته الحمد لله جامع هذا الكلام
المقيد هذا بأول ورقة منه قد كد نفسه في شئ لا يعني الافاضل ولا يعود عليه في القيامة
ولا في الدنيا بطائل وأفنى طائفة من نفيس عمره في التماس مساوي طائفة بهم تستباح
الفروج وتملأ مشيدات الدور والبروج وجعلهم أضحوكة لذوي الفتك والمجانة وانتزع
عنهم جلباب الصدق والديانة سامحه الله تعالى وغفر له قال ذلك وخطه بيمنى يديه عبيد ربه
أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي خار الله سبحانه له التوفي ما ألهمه وقد كان
لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ما يعرض ويصرح بهجو بعض أهل سلا وكلامهم
حتى قال

أهل سلا صاحت بهم صائحة * غادية في دورهم رائحة
يكفيهم من عورانهم * ريحانهم ليست له رائحة

والله المرجو والعفو عن الزلات * (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) خطبة كتاب في

المحسنة الذى ما ألف فى فنه أجمع منه ولو وردها فان فيها دلالة على فضله وعظم قدر الكتاب وهى اللهم طيب بريحان ذكرك أنفاس أنفسنا الناشقة وعلل بجريال حبك جوانح أرواحنا العاشقة وسدد الى أهداف معرفتك نبال نبلنا الراشقة واستخدم فى تدوين حمدك شبا أقلامنا الماشقة ودل على حضرة قدسك شطارات خواطرنا الذائقة وأبن لنا سبل السعادة التى جعلت فيها الكمال الاخير لهذه الانفس الناطقة واصرفنا عند سلوكها عن القواطع العائقة حتى نأمن مخاوف جبالها الشاهقة وأحراجها المنافقة وأوهامها الطارئة الطارقة وبرازخها القاسية الغاسقة فلا تسرق بضائعنا العوائد السارية السارقة ولا تحجبنا عنك العوارض الجسمية اللاحقة ولا الانوار المغلطة البارقة ولا العقول المفارقة يا من له الحكمة البالغة والعناية السابقة وصل على عبدك ورسولك محمد درة عقود أحبابك المتناسقة وجالب بضائع توحيدك النافقة المؤيد بالبراهين الساطعة والمعجزات الخارقة ما أطلعت أفلاك الادواح زهر أزهارها الرائقة وحدت قطار السحائب حداة رعودها السائقة وجعت ريح الصبا بين قدود أغصانها المتعانقة * أما بعد فانه لما ورد على هذه البلاد الاندلسية المحروسة بحدود سيوف الله حدودها الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها وأبقاها دار ايمان الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ديوان الصبابة وهو الموضوع الذى اشتمل من ابطال العشاق على الكثير واستوعب من أقوالهم الحديثة والقديمة كل نظيم ونثير وأسدى فى غزل غزله وألحم ودل على مصارع شهدائهم من وقف وترحم فصدق الخبر الخبر وطمت اللجة التى لا تعبر وتأرج من مسراه المسك والعنبر وقالت العشاق عند طلوع قمره الله أكبر

مررت بالعشاق قد كبروا * وكان بالقرب صبى كريم
فقلت ما بالهم قال لى * ألقى للحب كتاب كريم

لا غرو أن أقام بهذه الآفاق أسواق الاشواق وزاحم الزفرات فى مسالك الاطواق وأسال جواهر المدامع من بين أطباق تلك الحداق وفتك نسيمها الضعيف العهد والميثاق بالنفوس الرقاق

جنى النسيم علينا * وما تبينت عذره
اذ صير الخلق نجدا * والارض أبناء عذره

فوقع للحجة المصرية التسليم وقالت ألسنة الاقلام معربة عن ألسنة الاقاليم

سلت لمصر فى الهوى من بلد * يهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواى فقل عنى له * تكفى امرأة العزيز من عشاقه

فعمر المحافل والمجالس واستجلس الراكب واستركب الجالس يدعو الادب الى مأدبته فلا يتوقف ويلقى عصا سحره المصرى فتتلقف ما شئت من ترتيب غريب وتطريب من بنان أريب يشير الى الشعر فتنقاد اليه عيونه ويصيح بالادب الشريد فتلبيه فنونه وأنمى خيره للعلوم المقدسة ومدارك العز الوطيدة المؤسسة وسما به الجد صعدا الى المجلس

السلطانى منزل الكمال ومطمح الابصار والآمال حيث فارق العز فدانسدلت وموازين القسط قد عدلت وصول الفضل قد اعتدلت وورق أوراق المحامد قد هدلت مجلس السلطان المجاهد الفاتح الماهد المحلى فى ريعان العمر الجديد والملك البعيد بحلى القانت الزاهد شمس أفق الملة وبحر العلماء الجلة بدر هالات السروج الماجدة أسد الابطال البارزة الى حومة الهياج الناهدة معشى الابصار المشاهدة مناهر رضا الله تعالى عن هذه الامة الغريبة عن الانصار والاقطار من وراء أمواج البحر الزخار باختياره لها واعتنائه وملبسها برود اليمن والامان ببركة أيامه ومن أطلع الله تعالى أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السماح من غمام يمينه وأجرى فى الارض المثل السائر بحلمه وبسالته ودينه أمين الله تعالى على عهدة الاسلام بهذا القطر وابن أمينه وابن أمينه فخر الاقطار والامصار ومطمح الايدى وملمح الابصار وسلالة سعد بن عبادة سيد الانصار ومن لو نطق الدين الحنيفى لحياه وفداه أو تمثل الكمال صورة مائة فداه مولانا السلطان الامام العالم العامل المجاهد أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر الانصارى الخزرجى جعل الله تعالى ثغر الثغر مبتسما عن شنب نصره والفتح المبين مذخورا لعصره كما قصر آداب الدين والدنيا على مقاصير قصره وسوّغه من أشتات مواهب الكمال ما تعجز الالسن عن حصره ولا زالت أفنان أقلامه تتحف الاقاليم بجنى فنون هصره فخشيته عن استحسانه أبقاه الله تعالى بلحظة لحظ وما يلقاها الا ذو حظ وصدرت الىّ منه الاشارة الكريمة بالاملاء فى فنه والمنادمة على بنت دنه وحسب الشحم من ذى ورم والله سبحانه يجعلنى عند ظنه ومتى قورن المشترى بالمترب أو وزن المشرق بالمغرب شتان بين من تجلى الشمس منه فوق منصتها وبين من يشرق أفقه الغربى لابتلاع قرصتها لكنى امتثلت ورشت ونثلت ومكرها الابطال امتثلت وكيف يتفرغ للتأليف ويتفرغ للوفاء بهذا التكليف من حمل الدنيا فى سن الكهولة على كاهله وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله واشترى السهر بالنوم واستنفد سواد الليل وبياض اليوم فى بعث يجهز وفرصة تنتهز وثغر للدين يسد وأزر للملة يشد وقصة ترفع ووساطة تنفع وعدل يحرص على بذله وهوى يجهد فى عذله وكريم قوم ينصف من نذله ودين تزاح الشوائب عن سبله وسياسة تشهد للسلطان بنبله واصابة نبله ما بين سيف وقلم وراحة وألم وحرب وسلم ونشر علم أو علم وجيش يعرض وعطاء يفرض وقرض حسن لله تعالى يقرض فى وطن توفر العدو على حصره ودار به دور السوار على خصره وملك قصر الصبر والتوكل على قصره وعدد نسبته من العدد العظيم الطاقة الشديد الاضاقة نسبة الشعرة من جلد الناقة وبالله نستدفع المكروه واليه نمد الايدى ونصرف الوجوه وسألت منه أيده الله تعالى القنوع بما يسره الوقت مما لا يناله المقت والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترب والسن ويؤمن من اعتراض الانس والجن وما كنت ممن آثر على الجد الهزل واعتاض من الغزل الرقيق الغزل بشيمة الجزل ولا أنف من ذكر الهوى

بعد أن خضت غماره واجتنيت ثماره وأقمت مناسكه ورميت جماره وما أبرئ نفسي
ان النفس لامارة فالهوى أول تميمة قلدتنى الدايه والترب التى عرفتها فى البدايه وآما
الذى عن عروته نبت وبعثت الى الرصافة لارق فذبت الى أن تبين الرشد من الغى وصار
النشر الى الطى ونصابح ولدان الحى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم كامن على

جزى الله عنى زاجر الشيب خيرها * جرى باعصا فازت يداه بخيره
ألفت طريق الحب حتى اذا انتهى * تعوضت حب الله عن حب غيره

حال السواد بحال الفؤاد وصرح المرعى فانقطعت الرواد ونهانى ازورا رخيال الزوراء
والتفات عاذل الشيب عن المقلة الحوراء وكيف الامان وقد طلع منه النذير العريان
يدل على الخبر بخبره وينذر بهادم اللذات على أثره ولله در القائل

دعتنى عيناك نحو الصبا * دعاء يردد فى كل ساعه
فلولا وحقك عذر المشيب * لقلت لعينيك سمعا وطاعه

ولولا أن طيف هذا الكتاب الوارد طرق مضجعى وقد كاد يحدوا الحاجب ويضيع من
الفرض الواجب ويعجب من نوم الغفلة العاجب بل ريث معه فى ميدانه وعقدت بنانى
ببنانه وتركت شأنى وان رغم الشانئ اشانه وقلت معتذرا عن التهويم فى بعض أحيانه

أهلا بطيفك زائرا أو عائدا * تفديك نفسى غائبا أو شاهدا
يامن على طيف الخيال أحالنى * أتظن جفنى مثل جفنك راقدا
ما غت لكن الخيال يلم بى * فيجله طرفى فيطرق ساجدا

ومن العصمة أن لا تجد فلا تقل المشيب ومع الزمن القشيب وقبل ان تمخض القربه وتبق
الطاقة والتربه ويؤنس بالله الغربه وعلى ذلك فقد أثر وباء قلبى المعثر اللهم لا أكثر

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظرا اليه وردّدت أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

وجعلت الاملاء على حمل موازنه أيده الله تعالى علاوه وبعد الفراغ من ألوان ذلك
الحوان حلاوه وقلت أخاطب مؤلف كتاب الصبابه بما يعتمده جناب انصافه ويغطى
على نقصى ان وقع فيه كمال أوصافه

يامن أدار من الصبابة بيننا * كأسا يتم المسك من رياه
وأتى بريحان الحديث فكلما * حيّ النديم براحه حياه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

وعن لى أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدى الى البقاء الموصل الى ذروة السعادة فى
معارج الارتقاء الذى غايته نعيم لا ينقضى أمده ولا ينفد مدده ولا ينفصل وصله
ولا يفارق الفرع أصله حب الله المبلغ الى قربه المستدعى لرضاه وحبه المؤثر بالنظر الى
وجهه وبالهام من غايه اللتى رحل المتصف به بعد قطع عمار الفناء على ساحل الولايه

وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها كتاب يشهد الهوائم ويستخفه الهوائم ورسالة ابن واصل رسالة مهذاره تطفو من داره الى داره فى مطاردة هزو فاره وكتاب ابن الدباغ القيروانى كتاب مفرقع ووجه المقصود منه متبرقع وكتاب ابن خلصون وهواء عدلها الا بداوة تسم الخرطوم وتناسب الجمل المخطوم فكنت عاذرا لا أدع وأقول ما أصنع فالله يعطى ويمنع

قلت للساخر الذى * رفع الانف واعتلى
أنت لم تأمن الهوى * لا تعير فتبتلى

شعر

وعذلت أهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ومن المقول لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك

بلانى الحب فيك بما بلانى * فشانى أن تفيض غروب شانى

أجل بلانى بالغرض الذى هو من القلوب سر أسرارها ومن أفنان الاذهان بمنزلة أزهارها ومن الموجودات وأطوارها قطب مدارها ليكون كتابى هذا المقدم على المازق المهالك المتسع بما الايسالك وان يقنع الانصاف فعسى أن يشفع الانصاف والاقتراف يدرؤه الاعتراف انا عند المنكسرة قلوبهم ولا يجوديه الا ماجد وكل ينفق مما آتاه الله

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

وعسى الذى أطلق شوقا أن ينطق ذوقا والذى حرك سفلا أن يحرك فوقا والذى يسره مقالا أن يكمله حالا فأول الغيث طل ثم ينسكب

الحرب أول ما تكون لجاجة * وان الحرب أولها الكلام

ونحمد الله سبحانه على الكلف بهذه الطريقة وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وللارض نصيب من كاس الكريم

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل
فانى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وعلى ذلك فذهبت فى ترتيبه أغرب المذاهب وقرعت فى التماس الاعانة باب المراد الواهب وأطلعت فصوله فى ليل طلوع نجوم الغياهب وعرضت كتاب العزيمة عرضا وأقرضت الله قرضا وجعلته شجرة وأرضا فالشجرة المحبة مناسبة وتشبيها واشارة لما ورد فى الكتب المنزلة وتنبيها والارض النفوس التى تغرس فيها والاغصان أقسامها التى تستوفيها والاوراق حكاياتها التى تحكيها وأزهارها أشعارها التى تحييها والوصول الى الله تعالى ثمرتها التى تدخرها بفضل الله وتقتنيها شجرة لعمر الله يانعه وعلى الزعازع متمانعه ظلها ظليل والطرف عن مداها كليل والماثر بجناها قليل رسخت فى التخوم وسمت الى الصروم وتنزهت عن أعراض الجسوم والرياح السموم وسقيت بالعلوم وغذيت بالفهوم وحلت كمائمها بالزهر المكتوم ووفيت ثمرتها بالغرض المروم فازمن

استأثر بجناها وتعنى من عنى بأمثالها دون معناها فمن استمتع بدوحها استضاء بسناها
ما أبعدها وما أدناها عسى أملاك الا كف بعناها كم بين أوراقها من قلب مقلب وفى
دوانها من هوى مغلب وكم بين أفنانها من صادح وكم فى التماس سقيطها من كادح وكم
دونها من خطب فادح ولأربابها من هاج ومادح تنوعت أسماؤها ولم تتنوع أرضها
ولا سماؤها فسميت شجرة تهز وتجنى وزيتونة مباركة يستضىء بزيتها الاسنى وسدرة اليها
ينتهى المعنى أصلها للوجود أصل وليس لها كالشجر جنس ولا فصل وتربتها روح
ونفس وعقل وشربها بعضده بديهة ونقل يحط الهائمون بفنائها ويصعد السالكون
حول أفنانها تخترق السبع الطباق ببراقها وتمحى ظلم الحس بنور اشراقها فسبحان الذى
جعلها قطب الافلاك ومدار الاضواء والاحلاك ومعرّد طيور الاملاك وسبب
انتظام هذه الاسلاك لم يحل فيها طائر ببعيد ولا اتصف بصفاتها الا سعيد ولا اعتلق
بأوجها هاو فى حضيض ولا يحض برهانها مختبط فى شرك نقيض ولا تعرض لنسيم
بوارقها متسم بسمة بغيض الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله
ومنه نستزيد الاستغراق فى بحارها والاستنشاق لنواسم أسحارها والاستدلال بذرى
أفنانها عليه والوصول بسبب ذلك اليه انه ولى ذلك سبحانه فطاب لعمرى المنبت
والنابت وسما الفرع الباسق ورسى الاصل الثابت وراقت الافنان وزخرفت الجنان
وتعددت الاوراق والزهرات والاغصان ولم أترك فنا الا جمعت بينه وبين مناسبه
ولا فرعا الا ضممته الى ما يليق به واستكثرت من الشعر لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم
الذى يحرك عذبات أفنانها ويؤدى الى الانوف روائح بستانها وهو المزمار الذى ينفخ
الشوق فى يراعته والعزيمة التى تنطق مجنون الوجد من ساعته وسلعة ألسن العشاق
وترجمان ضمير الاشواق ومجلى صور المعانى الرقاق ومكامن قنائص الاذواق به عبر
الواجدون عن وجدهم ومشى المحبون الى قصدهم وهو رسول الاستلطاف ومنزل
الالطاف اشتمل على الوزن المطرب والجمال المعجب المغرب وكان للاوطان مركبا
ولانفعال النفوس سببا فلا شئ أنسب منه للحديث فى المحبة ولا أقرب للنفوس الصبة
واجتلبت الكثير من الحكايات وهى نوافل فروض الحقائق ووسائل مجالس الرقائق
ومراوح النفوس من كدر الافكار واحماض مسارح الاخبار وحظ جارحة السمع من
منح الاعتبار وبعض الجواذب لنفوس المحبين والبواعث لهمم السالكين وحجتها واضحة
بقوله تعالى وكلا نقص عليك فى القرآن المبين ونقلت شواهد من الحديث والخبر تجرى
صحاحها مجرى الزكاة من الاموال والخطوط من الاحوال ويجرى ما سواها من غير
الصحيح مجرى الامثال لكون هذا الكتاب لعموم خيره مسرحا للقاره وغيره ويجد كل
ميدانا لسيره وملتقطا لطيره ومحكا لغيره فمن فاق كاف بأصوله ومن قصر قنع بفصوله
ومن وصل حمد الله تعالى على وصوله وسميته روضة التعريف بالحب الشريف
ويحتوى على أرض زكيه وشجرات فلكيه وثمرات ملكيه وعيون غير بكيه والحب
حياة النفوس الموات وعلة امتزاج المركبات وسبب ازدواج الحيوان والنبات وسر

قوله عزوجل أوَمن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس كالحب الذى دون فيه المدوّنون ولعبت بكرة اقباسه صوالج الجنون وقاد الهوى أهله بحبل الهون وساقت فيه المنى للمنون حين نظرت العروس من مقلى الجنبين ورضيت الاثر عن العين وباعت الحق بالمين ولم يحصل الاعلى خفى حنين وارحمتا لعشاق الصور وسباق ملاعب الهوى والهور لقد كاثروا بالزخارف الماثلة المائله والمحاسن الرائقة الزائله وسلع الجبانه وبضائع الاهانه اوزمان التمتع بهم قصيره والانكاد عليهم مغيره فتراهم ما بين طعين بعامل قد ومضرج بدم خد وأسير شعر قد أعوز فداؤه وسقيم طرف قد أعضل داؤه وماشئت من ليل يسهر ونداء يجهر وجيوب تشق وبسائر تخطف أبصارها اذالمع البرق ونواسم تحمل التحيات وشائح ايك تتلقى بجلع الاريحيات وربما اشتد الخبل وأصابت النبل فكان الخبل، قلوب اشتغلت عن الله فشغلها الله بغيره وهب الحب الجسماني لايبعث عليه شهوة بهيمه ولاتدعو اليه قوة وهميه أليست الداعية مرتفعه والباعثة منقطعه وصورة الحسن دائره وأجزاؤه المتناظمة متناثره أليس الجراب العنصري عائدا الى أصله أليس الجنس مفارقا فصله ولله در علي رضي الله تعالى عنه وقد نظر الى قدح الملة وقد أراد أن يشربه وعن الاعتبار أعرب فقال كم فيك من خد أسيل وطرف كحيل فأوّاه من كرّة مرددة والهمام معادة مجدده على قلب أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا وحسبنا مرارة الفراق ذلا وفقد النقد قلا والغفلة عن اقه شقاء محتوما والكآبة على الفائت شؤما

صدّني عن حلاوة التشييع • اتقاءى مرارة التوديع

لم يقم أنس ذا بوحشة هذا • فرأيت الصواب ترك الجميع

وان كانت الشهوة قد أغرت بهاداعيه والى الصحبة ساعيه حسبك من حار يعلى بنداء المحبة نهاقه ويقذفه على السباق احتياجه الى السفاد واشتياقه أسير شبال وصريع مبال أولى له ثم أولى لوتأمل محاسن الجسوم ما أكذب رائدها المطرى وأخبث زخرفها المغرى وأنصرمدة استمتاعها وأكثر المساعي تحت قناعها

على وجه مى مسحة من ملاحة • وتحت الثياب العار لو كان باديا

مائم الاانفاس تركد وتخبث وعلل تنشأ وتحدث وزخارف حسن تعاهد ثم تنكث وتركيب يطالبه التحليل بدينه ويأخذ أثره بعد عينه وأنس بفقد واجتماع كأن لم يعقد وفراق ان لم يكن فكأن قد

ومن سره أن لايرى مايسوءه • فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

منغص العيش لايأوى الى دعة • من كان ذا بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته • سكنى مكان ولم يسكن الى أحد

وقلت وقدمات سكن عزيز على أيام التغرب بسلا علم برئى عليه

ياقلب كم هذا البلوى والتلفت • ذماءك استبق لئلا يفوت

وقال

فقال لا حول ولا قول لى * قد كان ما كان خفى السكوت
فارقنى الرشد وفارقته * لما تعشقت بنى بيوت

والزمان لا يغتنم وحاصله خسر والحازم من نظر فى العواقب نظر المراقب وعرف الاضاعة ولم يجعل العلم بضاعة انما الحب الحقيقى حب يصعدك ويرقيك ويخلدك ويبقيك ويطعمك ويسقيك ويخلصك الى فئة السعادة ممن يشقيك ويجعل لك الكون روضا ومشرب الحق حوضا ويجنيك زهر المنى ويغنيك عن أهل الفقر والغنى ويجمع الشيئان لذاتك ويجعل الكون متصرف فعالك ليس الا الحب ثم الوصل والقرب ثم الشهود ثم البقاء بعد ما اضمحل الوجود فشفيت الآلام وسقط الملام وذهبت الاضغاث والاحلام واختصر الكلام ومحيت الرسوم وخفيت الاعلام ولمن الملك اليوم والسلام فالحذر الحذر أن يجعل النفس سيرها ويفارق القفص طيرها وهى بالعرض الفانى متنشطة وبشباك النقل مرتبطة وبصحبة الفانى مغتبطة أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين وفى ذلك قلت

أعشاق غير الواحد الاحد الباقى * جنونكم والله أعيت على الراقى
بحيثم عما يبقى وتبقى مضاضة * تعذب بين البين مهجة مشتاق
وتربط بالاجسام نفسا حياتها * مباينة الاجسام بالجوهر الراقى
فلا هى فازت بالذى عاقت به * ولا رأس مال كان يمنعها باق
فراق وقسر وانقطاع وظلمة * وفى البعد من نيل السعادة يا واق
كأنى بها من بعد ما كشف الغطا * صريعة احزان لديغة اشواق
نقاب حكتهم بخيط موصل * رشيقة قد دون سبعة اطباق
فلا تطعموها السم فى الشهد ضلة * فذلك سم لا يداوى بدرياق
بما كسبت تسعى الى مستقرها * فاما بوقر محسب أو باملاق
وليس لها بعد التفرق حيلة * سوى ندم يذرى مدامع آماق
ولو كان مرمى الحزن منها الى مدى * لهان الاسى ما بين وخد واعناق
بجدوا فان الامر جد وشمروا * بفضل ارتياض أو باصلاح أخلاق
ولا تطلقوا فى الحس شيئا عنانها * وشيموا بها الحق لمحة اشراق
ودسوا لها المعنى رويدا وأيقظوا * بصيرتها من بعد نوم واغراق
ومهما أفاقت فافتحوا لاعتبارها * مصاريع أبواب وأقفال اغلاق
وعاقبة الفانى اشرحوا وتلطفوا * بأخلاقها المرضى تلطف اشفاق
فان سكرت واستشرفت عند سكرها * لماهية المسقى ومعرفة الساقى
أطلوا على روض الجمال خطورها * الى أن يقوم الوجد فيها على ساق
وخلوا لهيب الشوق يطوى بها الفلا * الى الوجد فى مسرى رموز وأذواق
فها هو الآن تحط رحالها * بمثوى التجلى والشهود باطلاق

وتفنى اذا ماشاهدت من شهودها • وتدنو الصافى وتديق الباقى
هنالك تلق العيش تصفو ظلاله • وتشرب من عين الحياة بلا فراق
وما قسم الارزاق الا عجيبة • فلا تطرد السؤال بأخير رزاق

وقد أخذ الكلام فى هذا الافتتاح حقه وبلغ الى مقدمه فلا أخذ الآن فى هذا الذى سردت فى تقرير ما أردت وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب (فنقول) يقسم هذا الموضوع الى ارض وشجر غض وكل منها ميسر بجده وجرى على حده مانشأت من مرمى وصقع فمن شاء أن يدوم شاء بجمع فلنبدأ بالارض والفلاحة والتكسير والمساحة وتعيين حدود تلك الساحة ثم نأتى بالشجرة التى نرغب جناها وتطول امامها ونجعل الزاد المبلغ معناها على فضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون برنامج هذا الكتاب الذى يحصر الاجناس والفصول ويرد الفروع الى الاصول وييسر للباحث عن مسائله سبب الوصول بحول الله تعالى وقوته خطبة الاعراس وتوطئة الغراس وتنحصر فى جملتين • (الجملة الاولى) • فى صفة الارض وأجزائها وجعل الاختبار بازائها وفيها رتب • (الرتبة الاولى) • رتبة الاطباق المفروضة والاعتبارات المعروضة وفيه مقدمة وأطباق • المقدمة فى تعيين الارض المذكورة • الطبق الاول طبق القلب الطبق الثانى طبق الروح • الطبق الثالث طبق النفس • الطبق الرابع طبق العقل • (الرتبة الثانية) • رتبة العروق الباطنة والشعب الكامنة وفيها فصول • الفصل الاول فى العروق المعدنية • الفصل الثانى فى المقررات العينية • الفصل الثالث فى المدركات البدنية • الفصل الرابع فى البحوث البرهانية • (الجملة الثانية) • فى صفة الفلاحة والعمل المتكفل فيها بنيل الامل وفيها اختيارات • (الاختيار الاول) • فيما يصلح للاعتمار من هذه الارض وفيه فصول • الفصل الاول فى أرض النفس المطمئنة • الفصل الثانى فى أرض النفس الامارة • الفصل الثالث فى أرض النفس اللوامة • (الاختيار الثانى) • فى محركات العزيمة لاعتمار هذه الارض الكريمة وفيه فصول • الفصل الاول فى الجذب وما يتصل بذلك • الفصل الثانى فى الوعظ المثير للفطنة • الفصل الثالث فى ذم الكسل • (الاختيار الثالث) • يشتمل على جلب الماء لسقى هذه الارض من عين العلم فى جدولى العقل المحرر والنقل المقرر وفيه مقدمة فى فضل العلم وتعدد أجناسه وفصول • الفصل الاول فى جدول العقل • الفصل الثانى فى جدول النقل • الفصل الثالث فى مقدار الماء المجلوب للفلح المطلوب • الفصل الرابع فى غبار التكرير وسبب التلوين • (الاختيار الرابع) • فى الحرث واخراج لبن هذه الفلاحة من بين الدم والفرث وفيه أقسام • أولها القلب الاول ثانيها القلب الثانى الذى عليه المعول • ثالثها فى سكة الازدواج والتعبير وهو مظنة التعمير • (الاختيار الخامس) • فى تنظيف الارض المعمرة من الارض الخبيثة والجدر المعترضة والشعب المذمومة وفيه فصول • الفصل الاول فى ازالة شكوك تسبق الى المعتقد غالبا • (الفصل الثانى) • فى قلع الشجر الذى يضر بهذه الارض ويعاديها بالطبع • (الاختيار السادس) • فى أمور

ضرورية تلزم لهذه الملاحة وفيه فصول * الفصل الاول فى امراض يشرع فى علاجها
مما يرجع لطبع الارض ومزاجها * الفصل الثانى فى اختيار انواعها وأجزائها * الفصل
الثالث فى أقوال تليق بأغراض الفلاح واعماره عند ملاحظة عجائب الكون وآثاره *
الفصل الرابع فى الوقت المختار لغراسة الاسباب فى الحب اللباب وتنحصر فى مقدمة
علمية وجرثومة جرمية المقدمة العلمية فى ترتيب المحبة والمعرفة الجرثومة الجرمية
تنقسم الى بيان بعطى الصورة ويشرح الضرورة والى بطن وظهر وسر وجهر وباسط
وبرزخ واسط فالباطن الشرع والنقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول الكلام
فى النبوة من حيث النقل * الاصل الثانى فى الايمان والاعتبار العامى * الاصل الثالث
فيما يتبع ذلك من اليقظة والتوبة فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الرابع فى تقرير
العناية والتوفيق فى حق غير المحتاج الى ذلك * الاصل الخامس فى الموعظة والسماع من
حيث تهذيب الجميع والظاهر الطبع والعقل وينقسم الى أصول * الاصل الاول جزء
الفلسفة العلمى والعملى * الاصل الثانى سلامة الفطرة فى حق المستغنى عن ذلك * الاصل
الثالث فى معرفة الجمال والكمال * الاصل الرابع فى الاعتبار الخاصى * الاصل الخامس
السلوك بالفكر الاصل السادس فى التشبيه بالمبدا الاول باسط الذكر الباسط والبرزخ
الواسط الصاعد من التخوم الى النجوم وهو من أخص الاشياء بباطن الشجرة وأصولها
المعتبرة ويشتمل على مقدمة وثلاثة أصول * الاصل الاول الادعية والاذكار وله عشر
شعب * الاصل الثانى أصل الاسماء وهى أصول الارض والسماء وله تسع وتسعون
شعبة * الاصل الثالث أصل السيماء وهو الذى عفى بعضه وبقى الانتفاع ببعضه
العمود المشتمل على القشر والعود والجلى الموعود ينقسم قسمين قشر وخشب بودر
محتلب والقشر ظاهر يكسر ويحذو وباطن يقى ويغذو فظاهره الذى يكسر
ويحذو يتضمن الكلام فى المحبة وأقسامها من حيث اللسان لامن حيث نوع الانسان
وباطنه الذى يقى ويغذو يتضمن الثناء على المحبة طبعا وعقلا وشرعا ونقلا الخشب
الذى يتخذ منه الشب ينقسم الى أقسام * القسم الاول فى الحدود والمعرفات والاسماء
الدالة عليها والصفات * القسم الثانى معقول معناها المتجلى فيه نور سناها * القسم الثالث
ارتباطها بالمقامات واختصاصها فيها بالكرامات * القسم الرابع تبيين ضروريتها
وايضاح مزيتها الفرع الصاعد فى الهواء على خط الاستواء من رأس العمود القائم
الى منتهى الوجود الدائم ويشتمل على قشر لطيف وجرم شريف القشر الحدود
للمعرفة والرسوم وخواص العارف الذى هو المعروف بها والموسوم وينقسم الى
فصول * الفصل الاول فى حدود المعرفة ورسومها وما قيل فيها * الفصل الثانى فى أوصاف
العارف * الفصل الثالث فى تفضيل العارف * الفصل الرابع فى علوم العارف والجرم
الشريف من الفرع المنيف ينقسم الى ظاهر وباطن وقلب فالظاهر ينقسم الى أقسام
الكلام فى الاخلاق ومنشئها وطباعها بحسب القوى النفسانية وافراطها وتفريطها
واعتدالها وعلاجها وفيه المجاهدات والباطن يتضمن الكلام فى ان النظر الى وجه

الله تعالى هو السعادة الكبرى بكل نظر واعتبار والقلب قلب الغصن بنفس الرياضة والسلوك على المقامات كلها ويتفرع منه عشرة غصون * الغصن الاول غصن فروع البدايات * الغصن الثانى غصن فروع الابواب * الغصن الثالث غصن فروع المعاملات * الغصن الرابع غصن فروع الاخلاق * الغصن الخامس غصن فروع الاصول * الغصن السادس غصن فروع الادوية * الغصن السابع غصن فروع الاحوال * الغصن الثامن غصن فروع الولايات * الغصن التاسع غصن فروع الحقائق * الغصن العاشر غصن فروع النهايات ولكل فرع أوراق ويلحق به صورة السلوك بالذكر حتى يأتى الوصول وعلى المقصود الحصول والكلام على زهرات الطوالع واللوائح والبواده والواردات ويختم بالمبلى المقترن بنيل المنى وهى الولاية تفرع ضخام الغصون من شجرة السر المصون وهى غصن المحبوبات وأقسامها وتنقسم الى أربعة أفنان * الفن الاول فن الرب المحبوب * الفن الثانى فن العبد المحبوب * الفن الثالث فن الدنيا المحبوبة * الفن الرابع فن الاخرة المحبوبة غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ينقسم الى مقدمة بيان وستة أفنان * الفن الاول فى رأى الفلاسفة الاقدمين * الفن الثانى فى رأى أهل الانوار والاشراقيين * الفن الثالث فى رأى الحكماء الاسلاميين * الفن الرابع فى رأى المكملين بزعمهم المتممين * الفن الخامس فى أهل الوحدة المطلقة من المتوغلين * الفن السادس فى الصوفية سادة المسلمين غصن علامات المحبة وشواهد النفوس الصبة وينقسم الى ثلاثة أفنان * الفن الاول فيما يرجع الى حقوق المحبوب * الفن الثانى فيما يرجع الى باطن المحب * الفن الثالث فيما يرجع الى ظاهره * غصن اخبار المحبين فى ميدان جهادهم وتباين أحوال أفرادهم وهو ثلاثة أفنان * الفن الاول فن المجاهد الصريح * الفن الثانى فن المنبت الجريح * الفن الثالث فن الصريع الطريح * جوائح الشجرة ومضار فلاحتها المعتبرة وينقسم الى جوائح من نسبتها بالنظر الى ماشهادتربتها والى ماهو راجع الى الخواطر وهو على عدد الرياح والى ماسببه غدل الفلاح عذر الطائر الصادح على فرض القادح وجود الهاجى والمادح صورة الشجرة ذات الحسن الباهر والجنى والازاهر وآثارها المحسن الطاهر بفضل المريد القاهر لا اله الا هو سبحانه له الحمد * انتهت الخطبة التى تدل على ماوراءها * وقال رحمه الله تعالى فى آخر هذا الكتاب مانصه وتختم الكلام فى هذه الشجرة والاستدلال على شرف هذه الفلاحة الضمنية بهذه الابيات

فلاحتنا لها القدح المعلى * ومرحتنا الضمينة للنجاح

ألست ترى منادى الحى نادى * بمنقلب الجهات أو النواحى

يردد فى الاذان لكل واع * على الآذان حى على الفلاح

وهذا الطائر على الشجرة صادح ولاحق كادح ومعتذر ان قدح قادح ومعارض هاج ومادح قال المؤلف ولابد للناس دري على صادح هذه الافنان وشاديه بين أغصان الجنان وبنيرشجو الرأفة والحنان ويبين مجال الضرورة لذوى الانصاف بكرم الاوصاف والناظرين الى الهنات بعيون الانصاف فيرحم من قدركان ثمره النقد

ويعذر من تشوّق لاستصحاف هذا القصد والاعذار التي تقرر على هذا الغرض عديدة ومبدأه في الصدق معيدة وقريبة من الحق لا بعيدة فمنها أن هذا الغرض اليوم بأكثر الارض ميدان عدم فيه ولا حول ولا قوة الا بالله من يجيل كما يجب جوادا ونهر لا يحييه الامن يكثر سوادا قد طمست الاعلام وسقط الحد والملام وما برح بيت ايلام مدلول هذا الفن بهذه التخوم عنقاء مغرب واكسير يتحدث عنه غير واصل ولا مجرب انما يرجع فيه الى كتب مقفلة واغراض مغفلة وما عسى أن يقول المسكين مثلي على قاصر ادراكه مع اقتسام باله واشتراكه قصر العلم والعمل فاختلط المرعى والهمل وأخفق المسعى وخاب الامل ومنها شواغل الدنيا التي اختطفت من المكاتب ومُوّهت بالمراتب ولقبت بالوزير والكاتب وأقامت العبد الذي لا يملك شيأ مقام العاتب ومن كان بهذه المثابة وان عد يقظا حازما وتحرير اعالما فانما هو غريق وتائه لا يبدو له طريق ولا يساغ له ريق ولا يطفأ ببرد اليقين منه حريق ولا يربع عليه من قصاد الله تعالى فريق ونستغفر الله فالذي ألهم لهذه العيوب يتكفل باصلاح القلوب ومكاشفة الغيوب وان كانت النفوس للحق جاحدة فما أمري الا واحدة

لا تعجبن لطالب نال العلى * كهلا وأخفض في الزمان الاول

فالخمر تحكم في العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

ومنها الاشتغال بالهذر عن العلم والنظر منذ أزمان عديدة ومدد مديدة فلم يبق مما حصل واليه مما في الزمان القديم توصل الارسم بلقع ومحل ماله مرقع ومنها أني لم أنتدب الى هذا الوظيف الذي قل من يتعاطاه ويشير قطاه ويقتعد مطاه من تلقاء نفس جاهلة بعد مداه ومطال جداه ومطالبة متعبة بما كسبت منه يداه فلا يتجاوز طوره ولا يتعداه وان طالب الحق من شرط وصوله سلب فضوله وحالة موته وانقطاع حسه فضلا عن صوته لكني خضت على عدم السباحة غمرا وامتثلت مع سقوط الاستطاعة أمرا وجئت بما في وسعي انقيادا وامتثالا ومثلت مثالا فضروري بفضل الله تعالى مشروحة والدعوى عن كتفي مطروحة وعلى ذلك فقد علم الذي يعلم الاسرار ويقرب الابرار ويقبل العثار ويقبل الاعذار أن مدة الاشتغال به لم تجاوز شهرين اثنين بين كتب وكتم وابتداء وختم مع ما يتخلل الزمان من حمل لو رمي به رضوى لتصدع أو أنزل على ثبير لخشع من خشية الله تعالى وتصدع مداراة عدو قد تكالب على الاسلام وسياسة سوادهم عن الملام وتعدى حدود النهى والاحلام وارتقاب هجوم جيش الآجال براية الشيب من الاعلام وقد أنذر بالفجر انقشاع الظلام وكاد يصعد الخطيب فينقطع الكلام جعلت انقله حصة من جنح الظلام الغاسق والليل الواسق وعاطيت حمياه نديم الغارق وتعرضت لاقتناص خياله الطارق ومرقته من أيدي الشواغل والليل معين السارق ولم يعمل فيه عبد القيس نظرا معادا ولا أنجز من تصحيحه علم الله تعالى ميعادا انما هو كراس يفرغ من تسويده وحراج الحبر مختلط الترب بالتبر فيدفع الوم الماسح الى يد الناسخ وكاسة المتثاقل الى كف الناقل وتقذف صحيفته من الزبره

الى الساقل اذ كان الآمر أيده الله تعالى ونفعه سر بساء على تعجيل المعارضة ومضربا سبيل الشرع فى هذه المسارقة والمقارضة . والجفن المشرق يعلن بالتبريح ويتطلع مساعدة الريح فمن وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته وجبل على الانصاف سيرته أو من كان من أهل الله الذى يعلم ان ماسوى الله تعالى ظل زائل وفىء ويصدق معنى قوله ليس لك من الامر شئ فقد أوجب الانصاف أن يمحو اقترافى باعترافى ويغطى أوصافى بانصافى والرحماء يرحمهم الرحمن وقد عذر القتبرة سليمان ومع الاستسلام الأمان ولا حول ولا قوة الا بالله ولا بأس أن نعرض بتلك الاخونة الخصيبة المثرى والمروج والجمل والفروج وفى السماء البروج وفى الارض الفروج والاعرج يستندر منه العروج ونمد الايدى المستعملة فى التقصير الى الولى النصير والناقد البصير اللهم استر بسترك فضائحنا المخلفة وقبائحنا الجمة المزلفه فهو كاه كريم حول حالك ودندنة باكريم بباب رحالك وتدانت قدحته وتألق بارق أنت ألحته فصل السبب ياواصل الاسباب واجعلنا ممن تذكر فنفعته الذكرى وما يتذكر الا أولوا الالباب اللهم أطلع نفوسنا الحائرة على عين الخبر واجذبها الى المؤثر بزمام الاثر اللهم اجبر الضالة المثقلة الظهر وارفع عنها ملكة القهر وسطوة الدهر والسفر من بلد السر الى بلد الجهر اللهم أعلق بعروة الحق أيدينا الخابطة . وأظفر بعدو الهوى عزائمنا المرابطة اللهم أوصل سببنا بسببك واحملنا اليك بك لا اله الا أنت وصل على عبدك ورسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله والصحابة أجمعين انتهى * وقال رحمه الله تعالى آخر بعض تراجم هذا الكتاب ماصورته خاتمة تشتمل على اشارات وحكايات من الحق فى شارات قال بعض من يطأ عطية السلوك حى الملوك وينقض زوايا الغيوب عن المطلوب بيصر بصائر القلوب شهدت أصناف المحبين والعشاق على اختلاف البلاد وتباين الآفاق لا أدرى أقال كشفا وشهودا أو فرضا ووجودا أو يقظة أو هجودا وقد ركضوا مطايا الاشواق وضربوا آباطها بعصى المشارب والاذواق وتزودوا أزواد الحقائق وودعوا أحباب العوائد والعلائق وتساهلوا فى الحبرب اعتراض العوائق وتفاضلوا فى اختيار الجراد واقتحام المضائق والطرق الى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق فمن خابط عشواء ومسقط أهواء يقول

يا ليت أنى أوقد النارا * فان من يهواك قد سارا

فيصيبه الصدى

ومن طلب الوصول لدار ليلى * بغير طريقها وقع الضلال

ومنبت بحيث لا يدوم لم ولا يقتص خف ولا قدم فى مفازة وجود من حاها عدم وهو يصيح

بأبى وأمى والذى ملكت يدى * أفدى الذى يهدى الطريق اللاحبا

ثم يقول

ولقد سريت اليك لكن حين لم * يكن الدليل أجل قصد السالك

ومن

ومن طاو تقدزاده وفرغ مزاده قدامتسلم وعجزأن يتكلم ولسان حاله ينشد

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن البذر

وراكض يقطع الدو ويعزف الجو يثبت الاعلام الخافية ويقصد الموارد الصافية والظلال الضافية حاديه أمله ودليله عمله والراحلة تحمله ينشد باعلى صوته

قرب اللقاء فكيف لا ارتاح * للقاء سكان الحى الارواح

ومراهق يركض البريد ويصحب التفريد بالغ الطية وأراح المطية قبل وصول الرفقة البطية سرى سنح شهر فى فواق حلوبة فلله ما أنأى مسراه وما أدنى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقلت

مضوا وقد جن الدجى وتخالفت * سبل الردى فمسدّدون وضال

سلبى عن المنبت حين تقطعت * اسبابه تيها ولا من يسأل

قوم سطت بهم السباع وفرقة * عطشوا وأين من الظماء المنهل

لفح الهجير وجوههم بسعيره * فتهما فتوا بسلالة وتهللوا

وجماعة ركبوا الفلا وزداثما * عثروا على أثر فشط المنزل

وركائب جعلوا الدليل أمامهم * وسروا ففازوا بالذى قد أملوا

والسبل متلفة ومدرجة الهوى * لا يستقل بها المطى الدالل

والواصلون هم القليل وكيف لا * قفر ومسبعة وليل أليل

يارحمة للعاشقين تقحموا * خطر النوى وعلى الشدائد عولوا

طارت بهم أشواقهم فعقولهم * معقولة عن شأنها لا تعقل

عذرالكم يا أهل عذرة شأنكم * سلمت فيه لكم فقولوا وافعلوا

حتى اذا خرجوا الى فضاء القدر المشترك وأفلت من أفلت من الشرك وسلم من قتيل المعترك وأشرفوا بركاب الآمال على ثنية الجمال زعقوا بازاء الباب ونادوا من وراء الحجاب

كل كنى عن شوقه بلغاته * ولربما أبكى الفصيح الاعجم

وأوصلوا رقاع شكواهم بسرائر هواهم دبرزوا صفا واستظهروا بشفعائهم التى ظنوا أنها لا تحق ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد تعينت الاوصاف وتميزت وانتبذت الاصناف وتحيزت والعشاق نجب وسلت مذعات منهم الصفوة والجان والحرافيش والبهلوان ممن يعول على ذراعه وملاكته وصراعه وطول باعه وصلابة طباعه وسلاطة لسانه وامتزاج اساءته باحسانه شأنه البحث عن المحبوب مع الشروق والغروب والتوصل الى وصله المطلوب بالحركة الشريفة واللفظ الخلوب ومن اتسم باذاعة الاسرار وصحبة الشرار واللسان المهذار حسب من الاغيار ومنهم بذاة ليس لهم الا المنادمة أداة تعذر عليهم تمييز المحبوب فغالطوا وعكفوا على تنزيهه فأفرطوا

ربما ضر عاشق معشوقا * ومن البر ما يكون عقوقا

وغلبت على محبتهم السلامة ولم تنلهم لعدم الوصل والمعرف الملامة وليس للقبول عليهم

علامة ومنهم من شعاره الخشية وزيه العفاف والعصمة أولوا الحياء والوقار والكتم للاسرار ومخالطة الابرار والتوسل الى المحبوب بالافتقار وصفاء الضمائر من الاكدار لا تختلجهم الشواغل ولا يطرق سرائرهم الواغل أغنتهم الشواهد عن الدعوى وأصمتهم الرضى عن الشكوى وتقسمت مقامات الآداب وصح منهم الى مراتب المراقبة الانتداب والناقد بصير وكلام النيات قصير ومنهم المغلوب الحال المحمول من فوق الرحال رقص وشطح وسكر فافتضح فهو بلح الرفقة وملوع المرقة دعني وعبدي بلح فانه يضحكني سبع مرات في اليوم ومنهم من لم يأخذه نعت ولا تعين له فرق ولا نعت ولا حد ولا مقت ولا حس ولا وقت لو نطق لقال أنا المعدوم الموجود والشاهد المشهود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود

قضى وصلها لي وابتلاكم بحبها * وهل يأخذ الانسان غير نصيبه

ولم يكن الا أن خربت الرقاع وفضلت البقاع ووفيت كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون * وكان في رقعة طائفة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء قلدتم العقل وله طور ورأيتم الحركات لا يتناهى لها دور وعالم الجزئيات لا يسبر له غور وحور المعاد في بعض الفروض لا يكون له كور ويا أسر ما أصبحتم في المعاد الاول تعتقدونه ان جعلتم التصرف في عالم الملك الى دونه * فقروا مكانكم ولوموا أنفسكم ودعوا الشأنكم * وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا أساطين الحكمة المشرقية وفراش الانوار الحقيقية دعونا من استكثار الانوار واحتشاد الاطوار الحق نور ارشاد لا يطيق حسن ذاته الا من ركب تاهو شانه فارفعوا الكلف واذكروا مجرى من تقدم وسلف * وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لم تتركوا البراهين على أصلها ولا ما سبتم جنس هذه الموضوعات بفصلها وآثرتم شغبا طويلا وأوسعتم المتشابه تأويلا ولم تعتمدوا من العقل دليلا ولا وقفتم في مجازات العقول قليلا وهولتم باصطلاح غيركم تهويلا وادعيتم الشهود ولم يجعل الله تعالى في الاحتجاج به الا للانبياء سبيلا وبنيتم الحقائق على قياس ونظر من غير عين العقل والنقل ولا أثر

رب خل أدارق اعتقادا * لم أكن قبله عرفت بغته

حكمت نفسه على علم غيبي * جعل الله باطق عند طنه

وعسى أن تكونوا ممن أخطأ في اجتهاده فأنيب واستغفر فسمع لا تثريب فنيتكم صحيحة والمقاصد من التبعة مريحة اذا كانت صريحه ولولا الاقتيات لونصت في ميدان السبق لكم الشيات لكن شأنكم الهذيان وقلت منكم بنعفائكم من المتأخرين الاعيان كابن قسي وابن برجان فسيروا من أتباعكم المطيفة وأجرابكم الخيفة وأخلصوا فعل الانصار يوم قتال بني حنيفة وحبذا الحكم المقتدى ومن يهدي الله فهو المهتدى واكبحوا الالسن عن طلاقتها وذلاقتها ولا تكلفوا العقول فوق

طاقتها فلابد من توقيف وتسليم وفوق كل ذي علم عليم واذا محيتم فانبتوا أونطق الناس فاسكتوا ولاترضوا أن تكتبوا مع الذين كبتوا ولكم الخط السنى والوصل الهنى *وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ذهب بوجودكم العدم وابتلع حدوثكم القدم ورضيتم بالاشراف في الاستشراف والتوغل لزيم الانحراف ومن جعل الحس وهما فقد كابر العيان ظلما والعقل الذي غلطكم هو آلة تحكمكم وأداة علمكم والعوالم أوثق من أن تكون تمويه راقش والوجود المطلق أبسط من أن يصير أبا براقش ثم مالكم والتجسيم والتشبيه والتعقب والتتبع ولم يغن العراك ووقع في ثمرتكم الاشتراك فالفيلسوف يتحد بالعلة القريبة من الخلق ثم يتلاشى في ذات الحق والحكيم يجوز الى عين الحق رتبة الفناء المطلق والمتشرع قد عضده ونصره كنت سمعه وبصره وان كان عظم القول الهذر ففيكم بعد نظر * وكان في أخرى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين أنتم الاحباب ولكم يفتح من الجنان الابواب ركبتم ظهور الاعمال وركب غيركم ظهور الآمال وفزتم بسحب الاذيال ومن دونكم يحرك منا كب الخيال فبدايتكم الاساس الوثيق الذي يبنى عليه التحقيق ونهايتكم اليها ينتهي الطريق وبها يحط فريق الله تعالى ونعم الفريق أوائلكم القريب المدرب وأوسطكم الفرد المغرب وآخركم الولي المقرب حضرتم بذكر محبوبكم حتى غبتم فهيأ لكم طبتم حواس مسدودة وخيوط أفكار كلها ممدودة ومشاهد مشهودة ومغلطات تجاوز حراسها وقواطع معترضة بجل مراسها الى أن لا توجد تقية ولا تبقى بقية عند تجلي العالم المتقية لو اشتمل العلم على عملكم لكان الكل من هملكم بحيث تتعين المراتب وتتميز وتفترق المشارب وتتحيز فلا يعترض قاطع الا وقد علم شأنه وتعين وقته ومكانه ولا تمثل غاية الا ودرجها محدودة ومراحلها معدودة ومشاهدها قبل دخول الطريق مشهودة فهنالك تطوى المراحل ويلوح في اللمحة القريبة الساحل ويأمن طول الطريق الواصل * وكان في رقعة المحبين الذين قربوا قبل هذا اليوم وادخلوا من بعد ما تخيروا للاصطفاء وانتحلوا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم أنتم الاحباب ولباب اللباب وبواسطتكم اتصلت بين النفوس وبين الحق الاسباب لولا كم لم يفتح الباب فلا يصل الا من أوصلتم ولا يحجب الا من قطعتم وفصلتم أنتم الرعاة والخلق الهمل وأنتم الدعاة لمن يريد نيل الامل مهدت لكم سر القرب تمهيدا وبعثتم الى الناس لتوحد والله توحيدا ولتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فطوبى لمن أصاخ منكم الى ندا واستضاء بنور هدى صلوات الله عليكم أبدا أنتم أولو الالوية المعقودة والعساكر المحشورة المحشودة ورؤساء أهل المحبة وأدلاء مبتغي الوسيلة والقربة ومسالككم قد بينتها الصحف المنزلة والملائكة المرسلة ودخلت على العذارى خدورها وعمت السماء

بدورها وأغنت عن تقريرغلها المكاتب المائجة بالصبيان والسنن المقودة لهاحاق التبيان والقواعد المفترضة على الاعيان والطرائق المرصوصة بعلوم الاديان اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل لاتباعهم من الجمهور وأتشاب ذلكم المشهور على قدر أتباعكم منازل أبواعكم وبحسب اقتدائكم يكون سماع ندائكم والمهاد لمن وثره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وتأخيركم في التوقيع هو التقديم وساقي القوم آخرهم شربا مثل قديم قال المخبر ورأيت وجوههم قد تهللت ونواسم المسرات نحوهم قد أقبلت ومن سواهم من ناكص وزائف بين راج وخائف وسمعت أن طائفة استدعيت بحث خفي وأدخلت من باب خفي قيل لهم هم أصحاب الخبر المكتوم وأرباب المقام غير المعلوم جعلنا الله تعالى منهم برحمته

ولولا الحب ما قطعوا الفيافي * ولولا الحب ما قطعوا البحارا

فدعهم والذي ركبوا اليه * وبحثا عن خلاصك واختبارا

فلا تشغل بحب ديار ليلى * ولكن حب من سكن الديارا انتهى

•(وقال قبل هذه الخاتمة بعد كلام كثير ما نصه وقد أتينا على ما شرطنا من تقرير ما أمكن من هذه الاراء وهم ما بين سابق للخيرات ومقتصد وظالم لنفسه ومع ذلك محبون وعلى آثار الحبيب مكبون ما كل طريق توصل ولا كل تجارة على الربح تحصل ومن العشاق مهجور ومطرود وموصل وموعود ومغبوط ومحسود ومحروم ومجدود ومرحوم ومردود

ياغايتي ولكل شئ غاية * والحب فيه تأخر وتقدم

قل لي باي وسيلة يحظى بها * يرجوه غيري من رضاك وأحرم

ورقة ولكل دائرة مفروضة وهالة حول قمر الحق معروضة تعود الخطوط من محيطها المستد الى مركزها المحدد فالفيلسوف يروم التشبث بالعلة الاولى ويعني بها ذات الحق او أن يتحد بالثانية وهي مرآة وجه الحق والاشراقي يروم التجوهر بنور الانوار المعبر عنه بالحق والاتصال به اما بواسطة من الحق أو بغير واسطة من الحق والحكيم أن يؤديه فكره الى الحق ثم يفنى في الحق ثم يبقى بالحق والمتشرع أن يحن في جنة الحق ويحصل على جوار الحق وينظر الى جوار الحق وصاحب الوحدة المطلقة أن يكون المتفرق عين الحق فسبحان الحق المعبود بالحق الموجد الجمع في الفرق لا اله الا هو وزيد في هذا المحض الذي كثر في قربه الدعداع وطال على الرؤس منه الصداع ما انفرد له المقالة المختصرة والعناية الميسرة بحول من لا حول ولا قوة الا به انتهى * وقال رحمه الله تعالى في عد ما عدد من فرق الاعتزال ما نصه

والحب حركهم لكل جدال * والحب أقحمهم على الاهوال

والحب قاطع بينهم وأضلهم * عن نيل ما راموه كل ضلال

والحب انشأ بينهم عصبية * بالقيل أضرم نارها والقال

وانما استكثرنا من ذكرهم عبرة لمن تأمل حرمات هذا الفراش المختلف الآراء عن ذبال الحق

يبتغون اليه الوسيلة قوم بالطاعة وقوم بالمعصية وما منهم الامدع في المحبة متهالك حريص على السعادة بزعمه وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ممن قصد الحق فأخطأه وأراد الصواب فضل عنه واشتهر بالحكمة بعد في الملة الاسلامية جماعة بالمشرق والاندلس فمن المشارقة أبو الفرج ويعقوب الكندي وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة فكان عندهم مباشرتها من حيث الترجمة والمزاولة الى أن قال ومن أهل الاندلس محمد ابن مسعدة السرقسطي وأحمد بن طاهر الطرطوشي ويحيى بن عمران القرطبي وطفيل بن عادس وكليب بن همام البياسي والحسن بن حرب الداني وابن ميسرة ومسلمة المجريطي وأبو بكر بن الصائغ وأبو بكر بن طفيل وأبو الوليد بن رشد وكل هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين محب عاشق مستهلك قال الشاعر

وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح

حيارى تيه بهم شجوهم * كأنهم ارتضعوا الخندريسا

اذا لم يكن عون من الله للفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وانطلق قدمه وأبصارهم وآمالهم وتحركوا طوعا وكرها يعشون الى نور الله تعالى فمن أعمى أصم لا يسمع ولا يبصر وأعمى فقط يجتزى عن العيان بالخبر وأحول يبصر الشئ شيئين والواحد اثنين كما قال الشاعر

أحوى الجفون لرقيب أحول * الشئ في ادراكه شيئان

فيلوح في عيني منه واحد * ويلوح في عينيه منه اثنان

ياليته ترك الذي انا مبصر * وهو المخير في الحبيب الثاني

وضعيف لا يبصر من بعيد وأجهر لا يبصر من قريب وأعشى تكثر في عينيه الاشعة وربما تندر وزرقاء اليمامه

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه

أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه

لولا استقامة من هدا * لما تبينت العلامه

ومجاور الغرر المخيف * له البشارة بالسلامه

أقام سبحانه الحجة وفرق بين الامر والارادة واعطى الكفاية من القدرة فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون اقتصرنا من هذا البحر على نقطة ومن هذا الودق على قطرة ومن يسد طريق العارض الهطل عدا الحصى والقطر ليس يرام وذكرنا الرسل والانبياء والاتباع ذكرا من غير تبويب ولا تعيين لاشباع آرائهم والعلم بمقاصد مالهم وأغراض دعواتهم من توحيد الله تعالى وتنزيهه وصفاته وأسمائه وكيف يحشر الناس

ليوم لاريب فيه لتجزى كل نفس بما كسبت وتعليم طرق النجاة وايضاح سبيل الله تعالى والتحذير من الغفلة عن اليه الرجعى وله الآخرة والاولى والتخويف من كل ما يقطع عنه والترغيب فى ما يوصل اليه وشأن الرياضة والتدريج فى أحوالها حتى تنتقل من الظواهر الى البواطن وتسرى فى آثار من السلف والندب الى الاقتصار على الضرورة والقناعة بالبلاغ وتبين الرسم فيها والتعيين لحدودها قد تضمنت ذلك كله آيات الله التى تكفل بحفظها وسنة رسوله التى قبض منازل الصدق لتصحيح نقلها فالمكاتب والمنة لله تعالى ماثجة والمدارس سائلة فما الاطالة فى الموجود الذائع والمشهور الشائع

والشمس تكبر عن حلى وعن حلل * فهى الدرارى فى التقليد بالدرر

ما أغنى الشمس عن مدح المادح تحصيل الحاصل عناء هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (فلنذكر) بعض أرباب الآراء من قريب وبعيد وخلق جديد على صورة المثال المفروض وليكون كعرض المحبوب الذى تجزى منه المظنة عن الجفنة والقربة عن القربة ونقتصر على اليسير لاقامة الترتيب واحكام التبويب وليرى الواقف عليه انا قد نفضنا الزوايا ورشفنا الروايا وامتسكنا العظام واستقصينا النظام حرصا على نشيدة الحق أن تعقل وعلى الطباع أن تنقل وعلى المرائى الصدية أن تصقل وعلى صورة النجاة أن تمثل ونسأل الله تعالى هداية توصل اليه لا اله الا هو الرحمن الرحيم انتهى * وقال رحمه الله تعالى فى ما قبل هذا الكلام بكلام ما صورته غصن المحبين وأصنافهم المرتبين ويشتمل على مقدمة بيان وستة أفنان *(فالمقدمة) فنقول أصناف المحبين والعشاق كثير وهباء تثير ويراد آثارها نثير بحيث يشق احصاؤهم ولا يتأتى استقصاؤهم

فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى * قتيلك قالت أيهم فهم كثر

ثم مد النفس بما لا يقتضى المقام الاختصارى ذكره فى هذا الموضع * وقال رحمه الله تعالى فى بعض تراجم الروضة وهى الخاتمة التى تنبه النفوس الصبة على حكم المحبة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة بعد كلام ما صورته نشرف معنى هذه الخاتمة فيما حكم تمثال وتجرى مجرى الامثال المحبة بحر بعيد الشط وخط والفناء منتهى الخط انا عرضنا الامانة الخ المحبة مهوى بعيد ومجال وعد ووعيد من حل يقلى ثم خبال يولى وليس له حد عليه يعول المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه ولا يعلوه من يأتى الى وادى الفناء فيسلوه ان الله مبتليكم بنهر كم قصمت المحبة من ظهر وكم من صيرت الى جهر أولها العاقل المشهور وآخرها العلى المنشور ثم الموت ثم النشور وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب المحبة أنس يستدرج ثم شوق يلجم ويسرج ثم فناء يزعج من الوجود ويخرج على قدر أهل العزم تأتى العزائم المحبة كأس كم جردت من كاس وآس من شمه لم يجد من آس

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا * اذا كان من يجنى على طبيبى

تزاحم أنفاس المحبين على شطرات الصبا تزاحم الهباء على مطارح شعاع الدنيا فلولا

بليلها الا تهبت وتعليل عليلها التلذذ الا رمات لدهبت

عليلة فى حواشى مرطها بال • يهدى لكل عليل منه ابلال

المحبة رقة ثم فكرة مسترقه ثم ذوق يطير به شوق ثم وجل لا يبقى معه طوق ثم لا تحت ولا فوق

أينما كنت لا أخلف رحلا • من رآنى فقد رآنى ورحلى

الهوى هوان وحمام له ألوان دمع ساجم ووجد هاجم وهيام لا يبرح ثم وراءه ما لا يشرح

قال بمن جن وهل فى الورى • ما يبعث الخبل سوى حبه

من اقتحم بحر الهوى هوى لا تدخل فى بحر الهوى حتى تشاور صبرك وتجاور قبرك فان كنت منا أو فرح بسلام الهوى طريق واسلوكه فريق الزاد سر مكتوم ووفاء معلوم

وللميادين ابطال لها خلقوا • وللدواوين حساب وكتاب

الحب حج ثان لا يذكى نفس المريد عنه ثان طريقه التجريد وزاده الذكر وطوافه المعرفة وافاضته الفناء فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هدا كم وان كنتم من قبله لمن الضالين الغرام صعب المرام والدخول فيه حرام ما لم يكن فيه شروط كرام من عرف ما أخذ هان عليه ما ترك وربك يخلق ما يشاء ويختار ظهر الهوى طريقا سهلا فكثر التائهون جهلا

اذا لم يكن عون من الله للفتى • أتته الرزايا من وجوه الفوائد

(والعكس) قد يخبأ المحبوب فى مكروهها من يخبأ المكروه فى المحبوبه

وقال الشيخ

هو الحب فاسلم بالحشى ما الهوى سهل • فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا • وأوله سقم وآخره قتل

نصحتك علما بالهوى والذى أرى • مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

فمن لم يمت فى حبه لم يعش به • ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

طريق القوم مبنية على الموت واليه الاشارة بقوله موتوا قبل أن تموتوا بيدى لا بيد عمرو وقال بعضهم رأيت رب العزة فقلت يارب بم أصل اليك قال فارق نفسك وتعال

رفض السوى فرض على العين • لا تخلطن الحق بالمين

والاين والكيف سوى ظاهر • فاستغن عن كيف وعن أين

الخشب الذى يتخذ منه النشب ينقسم الى أقسام وأجزاء جسام •(القسم الاول)• فى الحدود والمعرفات والاسماء الواقعة والصفات •(ولسان الدين رحمه الله تعالى) فى المواعظ اليد الطولى (قال فى الروضة فى الفصل الثانى فى محركات العزيمة وهى اليقظة ما نصه قلت والمحركات المشتركات فى باعث اليقظة كثيرة منها الوعظ السائق بعقود الشارد عن الله تعالى الى مربط التوبة ومحرك العزيمة بردد أذانه على نوام أهل الكهف وقد ضرب نوم الغفلة على آذانهم حتى يحول بينهم وبين أذانهم ويركبهم ظهر الرياضة

حتى تلحقهم بالمجذوبين من اخوانهم ولما كان حب الدنيا هو المانع عن الشروع في اطلاق العمل والقاطع به بعده لم يجد اساة خبل الهوى وجنون الكسل أنجع من وفي العذل والأدب وتقبيح المحبوب سيما اذا ارتجت نبالـه عن حنيات ضلوع الصدق وقال بعضهم الكلام اذا خرج من القلب دخل القلب

أوقد النار من رسالة ليلى * واحذر السيل بعدها من دعى

ولا تعدل الوعظ البليغ باللسان الفصيح والقلب القريح فاذا رأيت الارض قد اهتزت وربت وهضاب القلوب القاسية قد تقلبت فشمر للغراس والزراع عن الذراع واغتنم السراح والاسراع

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل خافقة سكونا

حفر لها ماء بريها بدأة * واضمن لها سوانا لم تحفر

وارتأ بنفسك عن تساع بائع * واغنم اذا سامتك شهوة مشترى

قالوا الوعظ بسرب وجه النفس عن التنغط في بساط اللذات وينقل خطرانها عن الخطو في ملاعب الملذات ويمثل لها الصبر عما وبين العواقب المحجوبة عيانا ويفشي سحاب المدن في أعراف أعرانها ويذكرها بما اهالت اتهاما ويعرض عليها مصارع قومها وخراب بنائها ومراق حائها وأيامها عند نزول هادم اللذات بفنائها فترجع الى الله تعالى بحكم الاضطرار أفكارها وتخشع من خشية الله تعالى وجلاله إبصارها والوعظ يكون بلسانين ويوجد فيه لسان حال ولسان مقال وربما كان لسان الحال أبلغ وهو يسمع من القبور الموحشة والقصور الخالية والعظام البالية وفيه حكايات وأخبار ولسان مقال كقوله سبحانه وتعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وهو سبيل الله تعالى التى بعث بها النبيين وضمن أصولها الكتاب المبين والسوط الذى يحمل على الاوبة ويسوق ذود المتطهرين الى غدير التوبة وعن خيمة لخشية بين يدى الفراسة لمركبة النفوس ان صدق حكم الفراسة من ذلك ما صدر عنى على لسان واعظ (الحمد لله الولي الحميد المبدئ المعيد البعيد في قربه من العبيد القريب في بعده فهو أقرب من حبل الوريد محيي ربوع العارفين بصيبات سحاب التوحيد ومفني نفوس الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار الى العرض الزهيد ومخلص خواطر المحققين من سجون دجون التقييد الى فسيح التجريد نحمده وله الحمد المنتظمة درره في سلوك الدوام وسموط التأبيد حمد من نزه أحكام وحدانيته وأعلام فردانيته عن مرابط التقييد وضوابط الطبع البليد ونشكره شكر من افتتح بشكره أبواب المزيد ونشهد أنه الله الذى لا اله الا هو شهادة تجتلي سوامع المخلق الى حضرة الحق على كبد التمهيد ونشهد أن محمدا عبده ورسوله قلادة الجيد المجيد وهلال العيد وفذلكة الحساب وبيت القصيد المخصوص بمنشور الادلال واقتناع الكمال بين مقام المراد ومقام المريد الذى جعله السبب الاوصل في نجاة الناجي وسعادة السعيد وخاطب الخلائق على لسانه الصادق بحجتي الوعد والوعيد فكان مما أوحى به اليه وأنزل

الملك به عليه من الذكر المجيد ليأخذ بالحجز والاطواق من العذاب الشديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى قوله حديد صلى الله عليه وعلى آله صلاة تقوم ببعض حقه الاكيد وتسرى الى تربته الزكية من ظهور المواجد الجائية على البريد

فعدت لتذكير ولو كنت منصفا * لذكرت نفسى فهى أحوج للذكرى
اذا لم يكن منى لنفسى واعظ * فياليت شعرى كيف أفعل فى الاخرى

آه أى وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يسمع وفيماذا وقد تبين الرشد من الغى يطمع يا من يعطى ويمنع اذا لم تقم الصنيعة فماذا نصنع اجمعنا بقلوبنا يا من يفرق ويجمع ولين حديدها بنار خشيتك فقد استعاذ نبيك صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع اعلموا رحمكم الله أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الاقوال والاحوال ومن الجماد والجدران وما أملاه الملوان فان الحق نور لا يضره أن صدر من الخامل ولا يقصر بمحموله احتقار الحامل وأنتم تدرون أنكم فى أطوار سفر لا تستقر لها دون الغاية رحلة ولا تتأتى معها اقامة ولا مهلة من الاصلاب الى الارحام الى الوجود الى القبور الى النشور الى احدى دارى البقاء أفى الله شك فلو أبصرتم مسافرا فى البرية يبنى ويفرش ويمهد ويعرش ألم تكونوا تضحكون من جهله وتعجبون من ركاكة عقله ووالله ما أموالكم ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التى فيها اجتهادكم الا بناء سفر فى قفر أو اعراس فى ليلة نفر كأنكم بها مطارحة تعبر فيها المواشى وتنبو العيون عن خبرها المتلاشى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ما بعد المقيل الا الرحيل ولا بعد الرحيل الا المنزل الكريم أو المنزل الوبيل وانكم تستقبلون أهوالا سكرات الموت بواكر حسابها وعتب أبوابها فلو كشف الغطاء عن ذرة منها لذهلت العقول وطاشت الالباب وما كل حقيقة يشرحها الكلام يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أفلا أعددتم لهذه الورطة حيلة وأظهرتم للاهتمام بها مخيلة أتعويلا على عفوه مع المقاطعة وهو القائل فى مقام التهديد ان عذابى لشديد أأمنا من مكره مع المنابذة ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اطمعا فى رحمته مع المخالفة وهو يقول فسأكتبها للذين يتقون أو مشاقة ومعاندة ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب أشكا فى الله فتعالوا نعيد الحساب ونقرر العقد ونتصف بدعوة الحق أو غيرها من اليوم تفقد عقد العقائد عند التساهل بالوعيد فالعاصى يدمى الاصبع الوجعة والعارف يضعها موضع العصب

هكذا هكذا يكون التعامى * هكذا هكذا يكون الغرور

يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وما عدا عما بدا ورسولكم الحريص عليكم الرؤف الرحيم يقول لكم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى فعلام بعد هذا المعول وماذا يتأول اتقوا الله سبحانه فى نفوسكم وانصحوها واغتنموا فرص الحياة واربحوها أن تقول

نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين وتنادى أخرى هل الى مرد من سبيل وتستغيث أخرى بالبتار فنعمل غير الذى كنا نعمل وتقول أخرى رب ارجعون فرحم الله من نظر لنفسه قبل غروب شمسه وقدم لغده من أمسه وعلم ان الحياة تجر الى الموت والغفلة تقود الى الفوت والصحة مركب الالم والشبيبة سفينة تقطع الى ساحل الهرم * وان شاء قال بعد الخطبة اخوانى ماهذا التوانى والكلف بالوجود الفانى عن الدائم الباقى والدهر يقطع الامانى وهادم اللذات قد شرع فى نقض المبانى ألا معتبر فى عالم هذه المعانى ألا مرتحل عن مغانى هذه المغانى

الا أذن تصغى الى سميعة * أحدثها بالصدق ماصنع الموت
مددت لكم صوتى فاواحسرة * على مابدا منكم فلم يسمع الصوت
هو القدر الآتى على كل أمة * فتوبوا سراعا قبل أن يقع الفوت

ياكلفا بما لايدوم يامفتونا بغرور الوجود المعدوم ياصريع جدار الاجل المهدوم يامشتغلا بهذيان الطرق قد ظهر المناخ وقرب القدوم ياغريقا فى بحار الامل ماعساك تعوم يامعالل الطعام والشراب وملح السراب لابد أن تهجر المشروب وتترك المطعوم دخل سارق الاجل بيت عمرك فسلب النشاط وأنت تنظر وطوى البساط وأنت تكربد واقتلع جواهر الجوارح وقد وقع بك النهب ولم يبق الا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد

لو خفف الوجد عنى * دعوت طالب ثارى

كلا انها كلمة هو قائلها كيف التراخى والفوت مع الانفاس ينتظر كيف الامان وهاجم الموت لايبقى ولايذر كيف الركون الى الطمع الفاضح وقد صح الخبر من فكر فى كرب الخمار تنغصت عنده لذة النبيذ من أحس بامط الدريق فوق جداره لم يصغ بصوته لنغمة العود من تيقن بذل العزلة هان عليه ترك الولاية

ماقام خيرك يازمان بشره * أولى لنا ماقل منك وما كفى

أوحى الله سبحانه الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن ضع يدك على متن ثور فبعدد ماحازته من شعره تعيش سنين فقال يارب وبعد ذلك قال تموت قال يارب فالآن

رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا

اذا شعرت نفسك بالميل الى شئ فاعرض عليها غصة فراقه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فالمفروح به هو المحزون عليه أين الاحباب مروا فياليت شعرى أين استقروا استكانوا والله واضطروا واستغاثوا من سبقك بأوليائهم فغروا وليتهم اذ لم ينفعوا ماضروا فالمنازل من بعدهم خالية خاوية والعروش ذابلة ذاوية والعظام من بعد التفاضل متشابهة متساوية والمساكن تجدب فى اطلالها الذئاب العاوية

صحت بالربع فلم يستجيبوا * ليت شعرى أين يمضى الغريب
وبجنب الدار قبر جديد * منه يستنشق المكان الجديب
غاض قلبى فيه عند التماحى * قلت هذا القبر فيه الحبيب

لاتسل عن رجعتى كيف كانت * ان يوم البين يوم عصيب

باقتراب الموت علات نفسى * بعد النفى كل آت قريب

أين المعمر الخالد أين الوالد أين الوالد أين الطارف أين التالد أين الجاد أين الجالد هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وجوه علاهن الثرى وصحائف تقص واعمال على الله تعرض بحث الزهاد والعباد والعارفون والاوتاد والانبياء الذين يهديهم العباد عن سبب الشقاء الذى لاسعادة بعده فلم يجدوا الا البعد عن الله تعالى وسببه حب الدنيا لن تجتمع أمتى على ضلالة

هجرت حبائبى من أجل ليلى * فمالى بعد ليلى من حبيب

وماذا أرتجى من وصل ليلى * ستجزى بالقطيعة عن قريب

وقالوا اما أورد النفس الموارد وفتح عليها باب الحتف الا الامل كلما قومتها مثاقف الحدود فتح لها أركان الرخص كلما عقدت صوم العزيمة أهدى لها طرف الغرور أطباق حتى واذا ولكن وربما فأفرط القلب فى تقليبها حتى أفطر

ماأوبق الانفس الا الامل * وهو غرور ماعليه عمل

يفرض منه الشخص وهما ماله * حال ولا ماض ولا مستقبل

مافوق وجه الارض نفس حية * الا قد انقض عليها الاجل

لو أنهم من غيرها قد كونوا * لامتلأ السهل بهم والجبل

ماثم الا القسم قد هيئت * للموت وهو الا كل المستعجل

والوعد حق والورى فى غفلة * قد خودعوا بعاجل وضللوا

أين الذين شيدوا واغترسوا * ومهدوا وافترشوا وظللوا

أين ذووا الراحات زادت حسرة * اذ جنبوا الى الثرى واثقلوا

لم تدفع الاحباب عنهم غير أن * بكوا على فراقهم وأعولوا

الله فى نفسك أولى من له * دخرت نصحا وعتابا يقبل

لاتتركنها فى عمى وحيرة * عن هول ما بين يديها تغفل

حقر لها الفانى وحاول زهدها * وشوقها الى الذى تستقبل

وقدها الى الله بها مضطرة * حتى ترى الصبر عليها يسهل

هو الفناء والبقاء بعده * والله عن حكمته لا يسأل

ياقرة العين وياحسرتها * يوم يوفى الناس ماقد عملوا

ياطارد المخالفة انكم مدركون فاستبقوا باب التوبة فان رب تلك الدار يجير ولا يجار عليه فاذا أمنتم فاذكروا الله كما هداكم باطفيلية الهمة دسوا أنفسكم بزمر التائبين وقد دعوا الى الله دعوة الحبيب فان لم يكن أكل فلا أقل من طيب الوليمة قال بعض العارفين اذا عقد التائبون الصلح مع الله تعالى انتشرت رعايا الطاعة فى عمالة الاعمال وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب معانى هذا المجلس والله نسيم سحر اذا استنشقه مخمور الغفلة أفاق سوط هذا الوعظ يغض ان شاء الله زكمة البطالة ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء

اكسير هذا الكتاب يلقب بحكمة جابر القلوب المنكسرة عين من كان له قلب انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله الهى دلنا من حيرة يضل فيها الا ان هديت الدليل وأجرنا من عمرة كيف الا ان عاننا السبيل نفوس صدئ على مر الازمان منها الصقيل ونبا بجنوبها عن الحق المقيل وآذان أثقلها القول الثقيل وعثرات لا يقيلها الا أنت يا مقيل العثرات يا مقيل أنت حسبنا ونعم الوكيل انتهى (ومن مواعظ لسان الدين رحمه الله سبحانه) ما أورده فى الروضة اثر ما سبق اذ قال اخوانى صمت الآذان والنداء جهير وكذب العيان والمشار اليه شهير أين الملك وأين الظهير أين الخاصة أين الجماهير أين القبيل والعشير أين كسرى بن اردشير صدق والله الناعى وكذب البشير وغش المستشار وأثم المشير وسئل عن الكل فأشار الى التراب المشير

خذ من حياتك للممات الآتى • وبدار ما دام الزمان مواتى
لا تغترر فهو السراب بقيعة • قد خودع الماضى به والآتى
يا من يؤمل واعظا ومذكرا • يوما ليوقظه من الغفلات
هلا اعتبرت ويالها من عبرة • بمدافن الآباء والامات
قف بالبقيع وناد فى عرصاته • فلكم به من جيرة ولدات
درجوا ولست بخالد من بعدهم • متميز عنهم بوصف حياة
والله ما استهلالت حيا صارخا • الا وأنت تعد فى الاموات
لا فوت عن درك الحمام لهارب • والناس صرعى معرك الآفات
كيف الحياة لدارج متكلف • سنة الكرى بمدارج الحيات
أسفا علينا معشر الاموات لا • نفك عن شغل بهاك الهاوهات
ويغرنا لمع السراب فنغتدى • فى غفلة عن هاذم اللذات
والله ما نصح امرأ من غشه • والحق ليس بخافت المشكات

يا من غدا وراح وألف المراح يا من شرب الراح ممزوجة بالعذب القراح وقعد لمعان صروف الزمان مقعد الاقتراح كانك والله باختلاف الرياح وسماع الصياح وهجوم غارة الاجتياح فاديل المنون من الارتياح ونسيت أصوات الغناء برنات الرياح وعوضت غرر النوب القباح من غرر الوجوه الصباح وتناولت الجسوم الناعمة أيدى الاطراح وترسيت العهود الكريمة بر الماء عليها والصباح وأصبحت كاة النطاح من تحت البطاح وخمات المهندة والرماح ذلة من بعد الجماح

ولو كان دول الموت لا شئ بعده • لهان علينا الامر واحتقر الهول
ولكنه حشر ونشر وجنة • ونار وما لا يستقل به القول

يا مشتغلا بداره ورم جداره عن اسراعه الى النجاة وبداره يا من صاح بانداره شيب عذاره يا من صرف عن اعتذاره باقذاره يا من قطعه بعد مزاره وثقل أوزاره يا معتلقا بذنار هجوم بزاره يا مختلسا للامانة يرتقب مفتش ما تحت ازاره يا من أمعن فى غمر الهوى نفق من استكاره يا من خالف مولى رقه توق من انكاره يا كلفا بعاربة

تردّ يامفتونا بأنفاس تعدّ يامعوّلا على الاقامة والرحال تشدّ كأنى بك وقد أوثق الشدّ وألصق بالوسادة الخدّ والرجل تنقبض والاخرى تمدّ واللسان يقول يالقتارة

انا الى الله وانا له * ماأشغل الانسان عن شانه

يرتاح للأثواب يزهى بها * والخيط مغزول لاكفانه

ويخزن الفلس لوراثه * مستنفدا مبلغ امكانه

قوّض عن الفانى رحال امرىء * مداليه عين عرفانه

ماثمّ الاموقف زاهد * قد وكل العدل بميزانه

مفرط يشقى بتفريطه * ومحسن يجزى باحسانه

يامن خفى عليك مرض اعتقادك فالتبس الشحم بالورم جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب فسد حسن ذوقك فتفكهت بحنظله أين حرصك من أجلك أين قولك من عملك يدركك الحياء من الطفل فتتحامى حمى الفاحشة فى البيت بسببه ثم تواقعها بعين خالق العين ومقدر الكيف والاين تالله مافعل فعلك بمعبوده من قطع بوجوده ما يكون من نجوى ثلاثة الى عليم تعود علك مساعى الجوارح التى سخرها لك بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فتبخل منهما فى سبيله بفلس وأحد الامرين لازم اما التكذيب واما الحماقة وجعلت بين الحالتين بحجب برزقك السنين العديدة من غير حق وجب لك وتسىء الظن به فى يوم توجب الحق وتعتذر بالعيلة فما بال التمادى تعترف بالذنب فما الحجة فى الاصرار والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا يامدعى النسيان ماذا فعلت بعد التذكير يامعتذرا بالغفلة أين ثمرة التنبيه يامن قطع بالرحيل أين الزاد ياذبابة الحرص كم ذا تلج فى ورطة الشهد ياغافلا عينيه حذار الاجل قد أنذر ياأهل الاغترار قرب خمار الندم تدعى الحذق بالصنائع وتجهل هذا القدر تبذل النصح لغيرك وتغش نفسك هذا الغش اندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزمتك على رمل نبتت خضراء دعوتك على دمنة عقدت كفك من الحق على قبضة ماء أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء اذا غام جوّ هذا المجلس وابتدأ رش غمام الدموع قالت النفس الامّارة حوالينا ولا علينا فدالت رياح الغفلة وسحاب الصيف هفاف كلما شدّ طفل العزيمة على درّة التوبة صانعته ظئر الشهوة عن ذلك بعصفور اذا ضيق الخوف فسحة المهل سرق الامل حدود الجار قال بعض الفضلاء كانوا اذا فقد وا قلوبهم تفقدوا مطلوبهم ولو صدق الواعظ لأثّر اللهم لا أكثر طبيب يداوى الناس وهو عليل والخطب جليل والمتفطن قليل فهل الى الخلاص سبيل اللهم انظر الينا بعين رحمتك التى وسعت الاشياء وشملت الاموات والاحياء يادليل الحائرين دلنا ياعزيز ارحم ذلنا ياولىّ من لا ولىّ له كن لنا كانا ان أعرضت عنا فمن لنا نحن المذنبون وأنت غفار الذنوب فقلب قلوبنا يامقلب القلوب واستر عيوبنا ياستار العيوب ياأمل الطالب وياغاية المطلوب انتهى *(ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) فى المواعظ ماخاطب به بعض من استدعى منه الموعظة ونصه

اذا لم يخ يوما على نفسي التي • بجرانها أحببت كل حبيب
وقد صح عندى ان غادية الردى • تدب لها والله كل دبيب
فمن ذا الذى يبكى عليها بأدمعى • اذا كنت موصوفا بأى لبيب

كم قد تطرت الى حبيب تغار من ارسال طرفك بكتاب الهوى الى انسانه وقد ذبلت بالسقم ريحانة لفظه وذوت وردة خده واصفرت لمغيب الفراق شمس حسنه وهو يجود بنفسه التى كان يبخل منها بالنفس يخاطب بلسان حاله مسترحما وليت العجل يضم نفسه وأنت على اثر سحبه الى دست الحكم وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ● ومنها تالله لو لم يكن المرصاد فالشيب يحلق العيش بعده شوكة الشك

ولو أنا اذا متنا تركنا • لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا • ونسأل بعده عن كل شى

فالحازم من بتر الآمال طوعا وقال يسدى لا يسد عمرو يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال أمير الوعاظ رحمه الله تعالى وبضدها تتميز الاشياء يا مقتولا ماله طالب ثار بريد الموت سابق الاعنة فى طلبك وما يحميك حصن ثوب حياتك منسوج من طاقات أنفاسك والانفاس تستلب درات ذاتك وحركات الزمان قريبة فى الدمع الضعيف فيا سرعة التمزيق يا رابطا مناه بخيط الامل انه ضعيف الفتل صياد التلف قد بث الصقور وأرسل العقبان ونصب الاشراك وقطع المراد فكيف السلامة تهيأ لسرعة الموت واشدد منها قلب القلب ليت شعرى لما يؤول الامر

فوالله لا أدرى أيغلبنى الهوى • اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان استطع أغلب وان يغلب الهوى • فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

مركب الحياة يجرى فى بحر البدن بريح الانفاس ولا بد من عاصف قاصف يفلكه ويغرق الركاب

فاقضوا مآربكم عجالا انما • أعماركم سفر من الاسفار

وقال كأنك بحرب التلف قد قامت على ساق وانهزمت جنود الامل واذا بملك الموت قد بارز الروح يجذبها بخطاطيف الشدائد من قيان العروق قد شد كاف الذبح وحار البصر لشدة الهول وملائكة الرحمة عن اليمين قد فتحوا أبواب الجنة وملائكة العذاب عن اليسار قد فتحوا أبواب النار وجميع المخلوقات تستوكف الخبر والكون كله قد قام على صيحة سعد فلان أو شقى فلان فهنالك تنجلى أبصار الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ويحك تهيأ لتلك الساعة حصل زادا قبل الفوت

تمتع من شميم عرار نجد • فما بعد العشية من عرار

مثل لعينيك سرعة الموت وما قد عزمت ان تفعل حينئذ فى وقت الاسير فافعله فى وقت الاطلاق وقال أبو العتاهية

خانك الطرف الطموح • أيها القلب الجموح

فدواعى

فدواعي الخير والشر دنو ونزوح

كيف إصلاح قلوب * انما هن قروح

أحسن الله بنا ان الخطايا لا تفوح

فاذا المستور منا * بين ثوبيه فضوح

كم رأينا من عزيز * طويت عنه الكشوح

صاح منه برحيل * صائح الدهر الصدوح

موت بعض الناس في الار * ض على بعض فتوح

سيصير المرء يوما * جسدا ما فيه روح

بين عيني كل حي * علم الموت يلوح

كلنا في غفلة والمو * ت يغدو ويروح

لبني الدنيا من الدنيا * غبوق وصبوح

رحن في الوشي وأصبحـ * ـن عليهن المسوح

كل نطاح من الدهـ * ـر له يوما نطوح

نح على نفسك يا * مسكين ان كنت تنوح

لتموتن ولو عمرت ما عمـ * ـر نوح

وقال في المعنى

لمن طلل أسائله * معطلة منازله

غداة رأيته تبكي * أعاليه أسافله

وكنت أراه مأهولا * ولكن باد آهله

وكل لاعتساف الدهـ * ـر معرضة مقاتله

وما ينفك الا * وريب الدهر شامله

فيصرع من يصارعه * ويفضل من يناضله

ينازل من يهم به * وأحيانا يجامله

وأحيانا يؤخره * وتارات يعاجله

كفاك به اذا نزلت * على قوم كلاكله

وكم قد عز من ملك * تحف به قبائله

ويثني عطفه مرحا * وتعجبه شمائله

فلما أن أتاه الحق ولى عنه باطله

تخفض عينه للمو * ت واسترخت مفاصله

فما لبث السياق به * الى أن جاء غاسله

فجهزه الى جدث * سيكثر فيه خاذله

ويصبح ساخط المثوى * مفجعة ثواكله

مخمشة نوادبه * مسلبة حلائله

وكم قد طال من أمل • فلم يدركه آمله
رأيت الحق لا يخفى • ولا تخفى شواكله
الا فانظر لنفسك أى زاد أنت حامله
لمنزل وحشة بينا • مقابر أنت نازله
قصير السمك قد رصت • عليك به جنادله
بعيد تجاور الجيرا • ن ضيقة مداخله
أأيتها المقابر فيك من كنا نسائله
ومن كنا نباشره • ومن كنا نعامله
ومن كنا نعاشره • ومن كنا نداخله
ومن كنا نشاربه • ومن كنا نواكله
ومن كنا نفاخره • ومن كنا نطاوله
ومن كنا نراقبه • ومن كنا نزايله
ومن كنا نكارمه • ومن كنا نجامله
ومن كنا له الفا • قليلا ما نزايله
ومن كنا له بالامس اخوانا نواصله
يحل محلة من حلها صرمت حبائله
الا ان المنية منهل والخلق ناهله
أواخر من ترى تفنى • كما فنيت أوائله
لعمرك ما استوى فى الامر عالمه وجاهله
ليعلم كل ذى عمل • بأن الله سائله
فأسرع فائز بالخير قائله وفاعله

ثم قال لسان الدين رحمه الله تعالى بعد ما سبق ما صورته وهذا الغرض بحر ويكفى من سرابه عرض ومن بيت ماله قرض ان شاء الله تعالى • ثم قال فيه يشتمل على سؤالين أحدهما أن يقال الوعظ غير مناسب للمحبة اذ لا يحصل الا بعد الفراغ والمقطة الثانى أن يقال عظمت الحسرة لفراق عالم الانس وأطلتم فى قشور • فيجيب عن الاول انا لم نجلب الوعظ الا بريدى تأميل حضور المحبة فكانه يجرى مجرى الاسباب فان الغرض به وجهة النفس من جو السرور واللعب بالزور الى جو الحزن والارتماض ومن هنالك تأخذ بخطامها أيدى الاضطرار تصل لليقظة ثم التوبة ومنها يستقيم الطريق فى منازل السائرين الى الحق

والنفس راغبة اذا رغبتها • واذا ترد الى قليل تقنع

وعند ذلك يطوى بساط الزجر والوعظ ويمد بساط الاعتبار والحب ان شاء الله تعالى فانها كالشكل بطبعها المفارقته من عنصر نور الله تعالى والعوالم الروحانية التى هى الشعار والدثار والاهل والدار والحياة والجمال والوجود والكمال وان كانت

لا تشعر

لا تشعر بالسبب ولا تستحضر ذكر العلة فاذا ذكر الفراق أنت أو تنوشدت الآثار حنت ويطرقها الحزن عند الالحان الشجية وتحس بعض الاحيان بالمواجد العشقية

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * دعونى فهذا كله قبر مالك

* وعن الثانى ان كثيرا من النفوس لا تشعر بوجود عالم الحس فضلا عن النظر فيه وان شعرت بذلك عدمته انبلا ومن كان بهذه المثابة لا سبيل لندائه الا من باب القشور أولئك ينادون من مكان بعيد الى أن يأتى النداء من باب الله تعالى بفضل الله تعالى فالنفوس الشخصية غير متساوية وهى بهوى الهوى هاوية فالقريب منها يجذب بالانامل والبعيد بالجزل الكواهل وعلى قدر المحمول تكون قوة الحامل (بضع الهناء مواضع النقب)

يكفى اللبيب اشارة مكتومة * وسواه يدعى بالنداء العالى

وسواهما بالزجر من قبل العصا * ثم العصا هى رابع الاحوال انتهى

*(وقال رحمه الله تعالى فى فصل ذم الكسل ما صورته ونحن نجلب بعض الامثال فى ذمه مما يسهل حفظه ويجب لحظه فمن ذلك الكسل مزلقة الربح ومصغرة الصبح اذا رقدت النفس فى فراش الكسل استغرقها نوم الغفلة لو كان يسمع أو يعقل ما كان فى أصحاب السعير الندامة فى الكسل كالسم فى العسل الكسل آفة الصنائع وأرضة فى البضائع العجز والكسل يفتحان الدول ولا تذل الملاح اذا مل الحركة عدم البركة

ظهران لا يبلغان المرء ان ركبا * باب السعادة ظهر العجز والكسل

وفى اغتنام الانام من أضاع الفرصه تجرع الغصه ان كان لك من الزمان شئ فالحال وما سواه محال تارك أمره الى غد لا يفلح للابد الانسان ابن ساعته فليحفظها من اضاعته التسويف سم الاعمال وعدو الكمال لم يحرم المبادر الا فى النادر ما دربجت أفراخ ذل الامن وكر طماعة ولا بسقت فروع ندم الا من جرثومة اضاعة العزم سوق والتاجر الجسور مرزوق من وثق بعهد الزمان علقت يداه بحبل الحرمان الربح فى ضمن الجساره والمضيع أولى بالخساره * ومن أمثالهم فى نظر الانسان لنفسه قبل غروب شمسه قولهم اعلم أن كل حكيم صانع اذا فكر فى أمره ونظر فى العواقب علم أنه لا بد يوما أن يخرب دكانه الذى هو محل بضاعته وتنحل أنقاضه وتكل أدواته وتضعف قوته وتذهب أيام شبابه فمن بادر واجتهد قبل خراب الدكان واستغنى عن السعى فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر ولا الى أدوات مجددة فليتجر بما اقتناه ويشتغل بالانتفاع والالتذاذ بما اكتسبت يداه وهذه حالة النفس بعد خراب الجسد فبادر واجتهد واحرص واستعجل وتزود قبل خراب دكانك وهدم بنيته فان خير الزاد التقوى قال حسان

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * وأبصرت بعد اليوم من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * ولم تترصد مثل ما كان أرصدا

قال أبو الفرج بن الطيب البغدادي في اغتنام الوقت في كتابه في السياسة والآراء الفاضلة يجب أن تعمد وتعمل فإن الفكر مضطرب متشوش بكثرة نوازع النفس واختلاف قواها والعمى في بعض الأوقات فإذا سنح للنفس وقت فاضل بصفاء جوهرها وأبرمت قانونا أو صورة متوسطة فاضلة يجب أن يقيد بذلك وقت سعد يرجع إليه ما أو دأو يعاود * انتهى

(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان سلطانه إلى شيخ الموحدين بتونس ابن تفراجين يخبره بالتمحيص الجاري عليه ونصه من أمير المسلمين أيده الله ونصره وأعلى أمره وأظهره إلى وليناني الله تعالى الذي له القدم الرفيع المناصب والمجد السامي الذوائب والسياسة التي أخبارها سمر الركبان وحدو الركائب الشيخ الجليل الكبير الشهير الخطير الهمام الأمضى الرفيع الأعلى الأمجد الأوحد الأسعد الأصعد الأوفى الطاهر الظاهر الفاضل الباسل الأرضى الأتقى المعظم الموقر المبرور علم الأعلام سلالة أكابر أصحاب الإمام معيد دولة التوحيد إلى الانتظام أبي محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع الأسعد الأمجد الحسيب الأصيل الأمضى الأرضى الأفضل الأكمل المعظم المقدس المرحوم أبي العباس تفراجين وصل الله تعالى له عزة تناسب شهرة فضله وسعادة تتكفل له في الدارين برفعة محله سلام كريم يخص مجادتكم الفاضلة ورتبتكم الحافلة ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي يخص لينيب ويأمر بالاستقالة ليجيب ويعقب ليل الشدة بصبح الفرج القريب ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم إليه ثمر الصنع العجيب ويظهر العبر بها كسر تم جبر لكل ذي قلب منيب والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم العصيب ونستظهر بجاهه على جهاد عبدة الصليب ونستكثر عدد بركاته في هذا الثغر الغريب ونصول منه على العدو بالحبيب والرضا عن آله وصحبه نجوم الهداية من بعد الأمنة من الأفول والمغيب فإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم عزة متصلة وعصمة بالأمان من نوب الزمان متكفلة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ولا زائد بفضل الله تعالى الذي لطف وجبر وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العبر عن كتب الله تعالى له العقبى لما صبر الأثير الذي كسا الأعطاف الحبر والصنع الذي صدق خبره الخبر والحمد لله تعالى كثيرا كما هو أهله فلا فضل إلا فضله ولمكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده وأعلت مصاعده وأثبت التواتر شواهده إذ لا تزال تتحف بسيركم الذي في التدبيرات يقتفى وعلم يسترشد به إذا العلم اختفى والسبيل عنا وإن تلك الدولة بكم استقام أودها وقامت والحمد لله عمدها وإنكم رعيتم في البنين حقوق آبائها وحططتم عليهم أميرات عليائها ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة وآراؤكم السديدة عما يقيد العلم بفضل ذاتكم ويغري قوى الاستحسان بصفاتكم لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طبعا وجبلة من غير أن نعتبر سببا أو علة فالتعارف بين الأرواح لا ينكر والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر ويجب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر وربما

اتصلت بكم الحادثة التى أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غاذيا ولا برح فى
جوانب احسانها رائحا غاديا يتيم حجرها الكافل ورضيع درّها الحافل الشقى
الخاسر الهالك القادر محمد بن اسمعيل بن محمد المستجير بنسبنا من لؤم غدره الملفف عنا
حبل مكره لخمول قدره اذ دعاه محتوم الحين ليهلك الى أن يملك وسوّلت له نفسه الامّارة
بالسوء أن علك أنانا الخاسر ثم علك وسبحان الذى يقول يا نوح انه ليس من أهلك وكيف
تم له ما أبرمه من تسوّر الاسوار واقتحام البوار وتملك الدار والاستيلاء على قطب
المدار وانا كنفتنا عصمة الله تعالى بمتحوّلنا الذى كان به ليلتئذ محل ثوائنا وكفت القدرة
الالهية أكف أعدائنا وخلصناء لا بحال انفراد الامر عناية ونعم الرفيق وصدق اللجا
الى رحمة الله تعالى التى ساحتها عن مثلنا لا تضيق فمهما تنكر الزمان أو تفرّق الفريق
وشرذمة الغدر تأخذ علينا كل فج عميق حتى أوينا من مدينة وادى آش الى الجبل
العاصم والجنة المرغمة أنف الخاصم ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب وتجهم من الدهر
وقطوب وبلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو لله وقارا ولا يألو شعائره المعظمة احتقارا
فأضرمه نارا وجلل وجوه وجوهه خزيا وعارا حتى هتك الباطل حماه وغير اسمه
ومسماه وبدد حاميته المخيرة وشذبها ومحص دواوينه التى محصها الترتيب والتجريب
وهذبها وأهلك نفوسها وأموالها وأساء لولا تداركه الله تعالى أحوالها ولما تأذن
جل جلاله فى اقالة العثار ودرك الثار وانشأت نواسم رضاه ادامة الاستغفار
ورأينا قلادة الاسلام قد آن انتثارها والملة الحنيفية كادت تذهب آثارها ومسائل
الخلاف يتهدد منارها وجعلت الملتان نحونا تشير والملك يأمل أن يوافيه بقدومنا
البشير تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح ونهضنا نبتدر ما كتب الله تعالى من
المنح وقد امتعض لنا الكون بما حمل واستخدم الفلك نفسه بمشيئته تعالى واكتمل
وكاد يتقرب لقرى ضيفنا الثور والحمل وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير الرفيع المعظم
المقدس أبى سالم الذى كان وطنه مأوى الجنوح ومهب النصر الممنوح رحمة الله
تعالى عليه مظاهرة مثله من الملوك الاعاظم وختم الجميل بالجميل والاعمال بالخواتم
وأنف حتى عدوّ الدين لنعمتنا المكفورة وحقوقنا المجحودة المستورة فأصبح بعد
العدوّ حبيبا وعاد بعد الاباية منيبا وسخر أساطيله تحضيضا على الاجازة وترغيبا
واستقبلنا البلاد وبحر البشر يزخر موجه وملك الاسلام قد خرّ على الحضيض أوجه
والروم مستولية على الثغور وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الامور
والخبيث الغادر الذى كان يموّه بالاقدام قد ظهر كذب دعواه وهان مثواه وورّط فى
أشراك الندمة تورّط مثله ممن اتبع هواه وجحد نعمة مولاه فلولا أن الله عز
وجل تدارك جزيرة الاندلس بركابنا وعاجل أوارها بانسكابنا لكانت القاضية
ولم ترلها من بعد تلك الريح العقيم من باقية لكن بفضل الله تعالى رفعنا عنها وطأة العدو
وقد دنا بكلكل وابتززناه منها أى مشرب ومأكل واعتززنا عليه بالله تعالى الذى يعز
ويذل ويهدى ويضل فلم نساعده فى شرط يجر غضاضة ولا يعلق فى القلوب مضاضة

وخضنا بحر الهول وبرئنا الى الله تعالى ربنا عن القوة والحول وظهرت للمسلمين ثمرة سريرتنا وما بذلنا في ممانعة العدو من الاجهاز عليهم من حسن سيرتنا فقويت فينا أطماعهم وانعقد على الحرم بنا اجماعهم وقصدنا مالقة بعد أن استمالت الجهة الغربية واذعنت المعاقل الابيه فيسر الله تعالى فتحها وهيأ منحها ثم توالت البيعات وصرخت بآذن البلاد الدعاة واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف اليه وحسب كل صيحة عليه فاقتضت نعامته الشائلة ودولته الزائلة وآراؤه الفائلة أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة وآلة للملك مصونة واستركب أوباشه الذين استباح الحق دماءهم وعرف الخلق اعتزاءهم للغدر وانتماءهم وقصد سلطان قشتالة من غير عهد ولا وثيقة ولا مثلى طريقة ولا شيمة بالرعي خليقة لكن الله عز وجل حمله على قدمه لا راقة دمه وزين الوجود بعدمه فظن قدومه عليه راجيا أن يستفزه بعرض أو يحيل صحة عقده المبرم الى مرض ومثلا هو وشيعته الغادرة كرة على الاسلام مجهزة ونصرة لمواعيد الشيطان منجزة تقبض عليه وعلى شيعته وصم عن سماع خديعته وأخفر بهم المثلة وأساء بحسن رأيه فيهم القتلة فأراح الله تعالى بابادتهم نفوس العباد وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد وحثثنا السير الى دار ملكنا فدخلناها في اليوم الاغر المحجل وحصلنا منها على الفتح الهنيء المعجل وعدنا الى الاريكة التي نبا بنا عنها التمحيص فما حسبناه الا سرورا أعقبه الكمال ومرضا عاجله الابلال فثابت للدين الآمال ونجحت الاعمال وبذلنا في الناس من العفو ما غفر الذنوب وجبر القلوب وأشعنا العفو في القريب والقصي وألبسنا المريب ثوب البرى وتألفنا الشارد وأعذبنا الموارد وأجرينا العوائد وأسنينا الفوائد الا ما كان من شرذمة علمت جرائرهم وخبثت في معاملة الله تعالى سرائرهم وعرف شؤمهم وصدق من يلومهم فأقصيناهم وشردناهم وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادي وأبعدناهم ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا بادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر واخوان الخديعة والمكر وبعث الينا برؤسهم ما بين رئيسهم الشقي ومرؤسهم وقد طفنا على جداول السيوف حبابها وراق بحناء الدماء خضابها وبرز الناس الى مشاهدتها معتبرين وفي قدرة الله تعالى مستبصرين ولدفاع الناس بعضهم ببعض شاكرين وأحق الله تعالى الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين فأمرنا بنصب تلك الرؤس بسور الغدر الذي فرعته وجعلناها اعلى عاتق العمل الذي اخترعته وشرعنا في معالجة الفلم وأفضنا على العباد والبلاد حكم السلم فاجتمع الشمل كأحسن أحواله وسكن هذا الوطن بعد زلزاله وأفاق من أهواله ولعلمنا بفضلكم الذي قضاياه شائعة ومقدماته ذائعة أخبرناكم به على اختصار واجتزاء واقتصار ليسر دينكم المتين بتماسك هذا الثغر الاقصى بعد استرساله واشرافه على سوء مآله وكنا نخاطب عن أخينا السلطان الجليل المعظم الاسعد الاوحد الخليفة أمير المؤمنين أبي اسحق ابن الخليفة أمير المؤمنين المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر ابن الائمة المهتدين

والعلماء

والخلفاء الراشدين وصل الله تعالى أسباب سعده وحرس أكناف مجده لولا انا التزمنا
كونه في هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية فاجتزأنا بمخاطبة جهتكم السنية
وبين سلفنا وسلفكم من الود الراسخ البنيان والكريم الاثر والعيان ما يدعو الى أن
يكون سبب المخاطبة موصولا وآخرة الود خيرا من الاولى لكن الطريق جم العوائق
والبحر مفروق البوائق وقبول العذر بشواغل القطر بالفضل لائق ومرادنا أن يتصل
الود ويتجدد العهد والله عز وجل يتولى أمور المسلمين بمتوارد احسانه ويجمع قلوبهم
حيث كانوا على طاعة الله تعالى ورضوانه وهو سبحانه يطيل سعادتكم ويحرس
مجادتكم وينجح ادارتكم ويسنى ارادتكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله
تعالى وبركاته * (ومن نثره رحمه الله تعالى قوله أيها الناس ضاعف الله تعالى بمزيد النعم
سروركم وتكفل بلطفه الخفي في مثل هذا القطر الغريب أموركم أبشركم بما كتب به
سلطانكم السعيد الحكم المترادفة يمنه وسعادته نعم الله تعالى عليكم أمتع الله تعالى
الاسلام ببقائه وأيده على أعدائه ونصره في أرضه بملائكة سمائه وان الله تعالى فتح له
الفتح المبين وأعز بحركته جهاده الدين وبيض وجوه المؤمنين وأظفره بالطريرة البلد الذي
جمع المسلمين باسرهم بجمعه تثير الحمية وتحرك النفس الابية فانتقم الله تعالى منهم على
يده وبلغه من استئصالهم غاية مقصده فصدق من الله تعالى لاوليائه وعلى أعدائه الوعد
والوعيد وحكم بابادتهم المبدئ المعيد وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان
أخذه أليم شديد وتحصل من سبيه بعدما رويت السيوف من دمائهم آلاف عديدة
لم يسمع بمثلها في المدد المديدة والعهود البعيدة ولم يصب من اخوانكم المسلمين عدد يذكر
ولا رجل يعتبر فتح هني وصنع سني ولطف خفي ووعد وفي فاستبشروا بفضل الله
تعالى ونعمته وتفرغوا عند الافتقار والانقطاع لرحمته وقابلوا نعمه بالشكر يزدكم
واستبصروا في الدفاع عن دينكم ينصركم ويؤيدكم واغتبطوا بهذه الدولة المباركة
التي لم تعدموا من الله تعالى معها غيثا خصيبا ولا رأيا مصيبا ولا نصرا عزيزا ولا فتحا
قريبا وتضرعوا في بقائها ونصر لوائها الى من لم يزل سميعا للدعاء مجيبا والله عز وجل
يجعل البشائر الناشئة فيكم عادة ولا يعدمكم ولا أولى الامر منكم توفيقا وسعادة
والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته من مبلغ ذلك فلان انتهى (ومن نثر
لسان الدين رحمه الله تعالى) ما أنشأه عن سلطانه الغني بالله تعالى حين وصل ابنه الذي
كان بفاس يخاطب سلطان فاس مانصه المقام الذي تقلد نافلة الفضل شفعا وجود صورة
الكمال افرادا وجمعا واستولى وجمع بين المنح والتهنئة بالفتح فأحرز أصلا وفرعا واستحق
الشكر عقلا وشرعا وأغرى أيدى جوده بالقصد الذى هو حظ وليه من وجوده
فأثار من جيش اللقاء نقعا ووسط به جمعا مقام محل أخينا الذى أقلام مقاصده ذربة
بحسن التوقيع وعيون فضله مذكاة لاحكام الصنيع وعذبات فخره تفوت ذروة العلم
المنيع ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع أبقاه الله تعالى وألسن فضله ناطقة
وأقيسة سعده صادقة وألويته بالنصر العزيز خافقة وبضائع مكارمه في أسواق البر نافقة

وصائب التوفيق لـ كاتب أغراضه موافقة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا سلام كريم طيب برعميم يخص مقامكم الاعلى وطريقتكم المثلى
واخوتكم الفضلى ورحمة الله تعالى وبركاته مجل قدركم وملتزم بركم وموجب حمدكم
وشكركم فلان أما بعد حمد الله تعالى الذى جعل الشكر على المكرمات وقفا ونهج
منه بازائها سبيلا لا تلتبس ولا تخفى وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلفا وجعل المودة فى
ذاته مما يقرب اليه زلفى مربح تجارة من قصد وجهه بعمله حتى يرى الشئ ضعفا وناصر
هذه الجزيرة من أوليائه الكرام البررة بمن يوسعها فضلا وعطفا ومدنى ثمار الآمال
فتتمتع بها اجتناء وقطفا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى العربى الكريم
الرؤف الرحيم الذى مدّ من الرحمة على الامة صفا وملأ قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفا
القائل من أيقن بالخلف جاد بالعطية ووعد من عامل الله تعالى بربح المقاصد السنية
وعدا لا يجد خلفا والرضا عن آله وأصحابه الذين كانوا من بعده للاسلام كهفا وعلى أهله
فى الهواجر ظلا ملتفا غيوث الندى كلما شاموا سماحا وليوث العدى كلما شهدوا زحفا
والدعاء لمقام اخوتكم الاسعد بالنصر الذى يكف من عدوان الكفر كفا والمجد الذى
لا يغادر كتابه من المفاخر التى ترك الاول للآخر حرفا والى هذا أيدكم الله بنصر من عنده
وحكم للكم الاسمى باتصال سعده وأنجز فى ظهوره على من عاند أمره سابق وعده
فاننا نقرر لدى مقامكم وان كان الغنى بأصالة عقله عن اجتلاء الشاهد ونقله وجلاء
البيان وصقله أن الهدايا وان لم تخل العين منها كما حلت أو تنال اوها الاستزار فنابهت
فى حلة الاعتبار ولا حلت أو كانت زيفا كما أغرى بها الاختبار قلت لا بدّ أن تترك
فى النفوس ميلا وأن تستدعى من حسن الجزاء كيلا وأن تنال من جانب التراحم
والتعاطف نيلا وأى دليل أوضح محجة وأبين حجة من قوله صلى الله عليه وسلم تهادوا
تحابوا من غير تبيين مقدار ولا اعمال اعتبار ولا تفرقة بين لجين ولا نضار فكيف
اذا كانت الهدية فلذة الكبد التى لا يلذ العيش بعد فراقها ولا تنجلى ظلم الجوانح
الا بطلوع شمسها واشراقها وجمع الشمل الذى هو أقصى آمال النفوس الآلفة
والبواطن المصاحبة للمنين السالفة لاسيما اذا اقتعدت محل الهنا بالفتح الرائق
السنا وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البر وقومة الاعتنا فهنالك تفتر ألسن
الثناء وتتطابق أعلام الشكر السامية البناء وانه ورد علينا كتابكم الذى سطره
البر وأملاه وكنفه الحفظ وتولاه ونمقه البيان وحلاه مهنئا بما منح الله جل جلاله
من ردّ الحق وتعيين الجمع ورفع الفرق وتطويق الامان وأمان الطرق وامداد السعد
وبلوغ القصد وقطع دابر من جحد نعمة الاب والجد وسل سيف البغى داعى المد
والحمد لله تعالى حمدا يلهمه ويتيحه ونسأله إمدادا يوفقه ويبيحه على أن أحسن العقبى
وأعقب الحسنى وأرى النعم بين فرادى ومثنى وجمع الشمل الذى قد تبدد وجدد رسم
السعادة لهذا القطر فتجدد وأخذ الظالم فلم يجد من محيص وجمع لنا الاجر والتمحيص بين
تمحيص وتمحيص وقاد برؤس الفجرة الغدرة الفرصة التى فرعوها وأطفأ أبراق دمائهم

نار الضلالة التي شرعوها وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر والحق الذي لا يجحد ولا ينكر فلقد اوى لما تبرأت الخلصان وتحفى عندما تنكر الزمان وسبب الادالة وطالع الاصالة والجلالة حتى فرج الله تعالى الكربة وآنس الغربة وأقال العثرة وتقبل القربة فله الحمد على آلائه وصلة نعمائه ملء أرضه وسمائه ووصل صحبته الولد مكنوفا بجناح اللطف ممهدا له ببركتكم مهاد العطف فبرزنا الى تلقيه تنويها بالهدية تكم واشادة وابداء في بركم واعادة وأركبنا الجيش الذي آثرنا الحسين استقلالنا بعرضه وقررنا بموجب الاستحقاق فرضه فبرز الى الفضاء الافيح حسن الترتيب سافرا عن المرأى العجيب ولولا الحنان الذي تجده النفوس للابناء وتستشعره والشوق الى اللقاء الذي لا يجحده منصف ولا ينكره لما شق علينا طول مقامه في حجركم ولا نواؤه لصق أريكة أمركم لجواركم محل لاستفادة رسوم الامارة وتعلم السياسة والادارة حتى يرد علينا بقدوم كتيبة جهادكم ويقود الينا طليعة نصركم ايانا وامدادكم فنحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها وزين المجد آفاقها وقدرها فأحكم طباقها وتقرر لديكم أن حظنا من ودادكم ومحلنا من جميل اعتقادكم حظ بان رجحانه وفضله ولم يأت بين من سلف من السلف مثله من الصحبة في المنزل الخشن وهي الوسيلة وفي رعيها تظهر الفضيلة والاشتراك في لازم الوصول الى الحق وضم أشتات الخلق والمودة الواضحة الطرق الى ما بين السلف من الود الآمن بدره من الكلفة المنشورة أذمته لخلف فاذا كانت المعاملة جارية على حسبه وشعبها راجعة الى مذهبه جنى الاسلام ثمرة حاله واستكفى الدين ايالة كافله فالله عز وجل يمهد البلاد بين تدبيركم ويجري على مهيع السداد جميع أموركم ويجعلكم من زين الجهاد عواتق أعماله وكان رضا الله تعالى عنه أقصى آماله حتى تربي ما تركم على ما آثر أسلافكم الذين عرف هذا الوطن الجهادي امدادهم وشكر جهادهم وقبل الله تعالى فيه أموالهم وأولادهم وحسن من أجله معادهم وقد حضر بين يدي رسولكم الذي وجهتم الولد أسعده الله تعالى لنظره وتخيرتموه لصحبة سفره فلان وهو من الامانة والفضل والرجاحة والعقل بحيث طابق اختياركم واستحق ايثاركم فأطنب في تقرير ما لديكم من عناية بهذه الاوطان عينت الرفد وضربت الوعد وأخلصت في سبيل الله تعالى القصد وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الاركان المؤسسة على التقوى والرضوان فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم وقابلنا بالثناء الجميل قولكم وعملكم والله تعالى يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى *

ومن ذلك ما كتبه رحمه الله تعالى على لسان الامير سعد ابن سلطانه الغني بالله تعالى اليه وهو مولاي ومولى كبيري ومولى المسلمين ورحمتي المتكفلة بالسعد الرائق الجبين يقبل قدمكم التي جعل الله تعالى العز في تقبيلها والسعد في اتباع سبيلها عبدكم الصغير في سنه الكبير في خدمتكم وخدمة كبيره في حياتكم بفضل الله تعالى ومنه الهائم لتمريغ وجهه في كتابكم من الذراع المنبئة طباعه عن العبودية الكامنة بالبدار الى ذلك

والاسراع عبدكم وولدكم سعد كتبه من بابكم المحوط بعز أمركم المتصف ان شاء الله تعالى بإباء نصركم وقد وصل الى عبدكم تشريفكم السابغ الحلل وتنويهكم المبلغ غايات الامل وخطابكم الكريم وغمامة رحمتكم الهامية الديم فيالهمن عز أنبت لى الفخر فى أبناء الملوك وسار بى من الترشيح لرتب حظوتكم على المنهج المسلوك قرر من عناية مولاى وسعادته واقتران السعود حيث حل بوفادته ما تكفل ببلوغ الآمال وتم لسان الحال فى شكر الله تعالى لسان المقال والله تعالى يديم أيام مولاى حتى يقوم بحق شكر النعم لسانه وتؤدى بعده جوارحه من الدفاع بين يدى سلطانه ما يسر به سلطانه ويبعث جوابه منقولا لليد سامله من يده ليهنئ تقبيل اليد الكريمة بصال تأكيد ويقرر ما العبد الى وجهه الكريم من شوق شديد ويعرف شمول نعمة الله تعالى ونعمته لمن ببابه من خدم وحرم وعبيد وتجديد الرغبة لمولاه فى صلة الانعام بتشريفه واعلامه بتزايدات حركاته وتعريفه ففى ضمن ذلك كل عز مشيد وخبر جديد ويهدى تحية أهل منزل مولاى على اختلافهم بحسب منازلهم من نعمة سلطانه التى يأخذ منها كل بحظه والسلام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * وقال رحمه الله تعالى ومن نثرى ما خاطبت به السلطان على لسان ولده من مالقة وقد وصلت به اليه من المغرب مولاى الذى رضا الله تعالى مقترن برضاه والنجح مسبب عن نيته ودعاه وطاعته مرتبطة بطاعة الله أبقى الله تعالى على بابكم ظل رحماه وغمام نعماه وزادنى من مواهبه هداية فى توفية حقه الكبير فان الهدى هدى الله يقبل مواطئ أقدامكم التى ثراها شرف الخدود وفخر الجباه ويقرر من عبوديته ما يجعل الحق مقتضاه ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذى يحبه الله تعالى ويرضاه ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة حرسها الله والوجود ألسن بالعز بالله ناطقه والاعلام والنصر ألوية بالسعد خافقه وأنواع التوفيق متوافقه وصنائع اللطيف الخبير مصاحبة مرافقه وقد وصل يا مولاى لعبدكم المفتخر بالعبودية لكم ما بعث به على مقامكم وبادت به سحائب انعامكم وان غشت بحية ستركم المسدول ورق ظل اهتمامكم الموصول وان ارتسم بخدمة أبوابكم الشريفة من الخدام وأولى المراقبة والالتزام ما يضيق عنه بيان العباره ويفتح فيه لسان القول والاشاره من عنايات سنيه ونعم باطنة وجليه وملاحظة مولويه ومقاصد ملكيه فانثنت من قباب مذهبه وملابس منتخبه وأسرة مرتبه ومحاسن لا مستورة ولا محجبه واللواء الذى نشرتم على عبدكم ظله الظليل ومددتم عليه جناح العز الجليل جعله الله تعالى أسعد لواء يسير فى خدمتكم ومدّ على وعليه لواء حرمتكم حتى يكون لجهادى بين يديكم شاهدا وبالنصر العزيز والفتح المبين عليكم عائدا ولطائفة الكفر لامركم قائدا ولاوليا بابكم هاديا ولاعدائكم كائدا واتفق يا مولاى ان كان عبدكم قد ركب مغتنما برد اليوم وموثرا الرياضة فى عقب النوم والتف عليه الخدام والاولياء الكرام فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايات المجلوة الصور المتلوة السور وقد حشر الناس وحضرت منهم الاجناس فعلا الدعاء واستمر الثناء وراقت الابصار تلك

الهمة العليا فنسأل الله تعالى يا مولاى أن يكافئ مقامكم بالعز الذى لا يتبدل والنصر الذى يستأنف ويستقبل والسعد الذى محكمه لا يتأول والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على أبوابكم الرفيعة المقدار وارتياح لقرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما • اذا دنت الديار من الديار

والعمل على تيسير الحركة متصل والدهر لأوامر سعدكم محتفل بفضل الله تعالى والسلام على مقام مولاى مقام الشفقة والرحمه والمنة والنعمه ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن انشاء لسان الدين) فى تولية الامير يوسف المذكور مشيخة الغزاة على لسان السلطان والده ما نصه هذا ظهير كريم فاتح بنشر الالوية والبنود وقود العساكر والجنود وأجال فى ميدان الوجود جياد البأس والجود وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهائم والنجود على الطائفين والعاكفين والركع السجود عقد للمعتمد به عقد التشريف والقدر المنيف زاكى الشهود وأوجب المنافسة بين مجالس السروج ومضاجع المهود وبشر السيوف فى الغمود وأنشاريح النصر آمنة من الخمود أمضى أحكامه وأنهد العز أمامه وفتح عن زهر السرور والحبور كمامه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج بن نصر أيد الله تعالى أمره وخلد ذكره لكبير ولده وسابق أمده وريحانة خلده وياقوتة الملك على يده الامير الكبير الطاهر الظاهر الاعلى واسطة السلك وهلال سماء الملك ومصباح الظلم الحلك ومظنة العناية الازلية من مدبر الفلك ومجرى الفلك عنوان سعده وحسام نصره وعضده وسمى جده وسلالة فضله ومجده السعيد المظفر الهمام الاعلى الامضى العالم العامل الارضى المجاهد المؤمل المعظم أبى الحجاج يوسف ألبسه الله تعالى من رضاه عنه حللا لا تخلق جدتها الايام ولا تبلغ كنهها الافهام وبلغه فى خدمته المبالغ التى يسر بها الاسلام وتسجع فى بجارصنائعها الاقلام وحرس معاليها الباهرة بعينه التى لا تنام وكنفه بركنه الذى لا يضام فهو الفرع الذى يرى فضله على أصله وارتسم نصره فى نصله واشتمل حده على فصله وشهدت ألسن خلاله برفعة جلاله وظهرت دلائل سعادته فى بدء كل أمر واعادته لما صرف وجهه الى ترشيحه لافتراع هضاب المجد البعيد المدى وتوشيحه بالصبر والحلم والباس والندى وأرهف منه سيفا من سيوف الله تعالى لضرب هام العدا وأطلعه فى سماء الملك بدرا هدى لمن راح وغدا وأخذه بالآداب التى تقيم من النفوس أودا وتبذر فى اليوم فتجنى غدا ورقاه فى رتب المعالى طورا فطورا ترقى النبات ورقا ونورا ليجده بحول الله تعالى يدا باطشة بأعدائه ولسانا مجيبا عند ندائه وطرازا على حلة علائه وغماما من غمائم آلائه وكوكبا وهاجا بسمائه وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الاندلسية من جنده قبل أن ينتقل عن مهده وظلله بجناح رايته وهو على كندداته واستركب جيش الاسلام ترحيبا بوفادته وتنويها بجبادته وأثبت فى غرض الامارة النصرية سهم سعادته رأى أن يزيده من عنايته ضروبا وأجناسا ويتبع أثره ناسا فناسا قد اختلفوا السنا ولباسا وأنفقوا ابتغاء لرضاة الله

والتماسا من كرم انتمائه وزينت بالحسب العلى سماؤه وعرف غناؤه وتأسس على
الجادة بناؤه حتى لايدع من العناية فنا الا وجلبه اليه ولامقادة ثغر الا جعلها فى يديه
ولا حلة عز الا أضفى ملابسها عليه وكان جيش الاسلام فى هذه البلاد الاندلسية أمن الله
سبحانه خلالها وسكن زلزالها وصدق فى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شئ آمالها
كاف همته ومرمى ذمته وميدان اجتهاده ومتعلق أمل جهاده ومعراج ارادته
الى تحصيل سعادته وسبيل خلاله الى بلوغ كماله فلم يدع علة الا أزاحها ولاطلبة
الا أبال قداحها ولاعزيمة الا أورى اقتداحها ولارغبة الا فسح ساحها آخذا مدونته
بالتهذيب ومصافه بالترتيب وآماله بالتقريب محسنا فى تلقى الغريب وتأنيس المريب
مستنجزا له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ورفع عنه لهذا العهد نظر من حكم
الاغراض فى حماته واستشعر عروق الضغائن لتشذيب كماته واشتغل عن حسن
الوساطة لهم بمصلحة ذاته وجلب جبايته وتثمير ماله وتوفير أقواته ذاهبا أقصى مذاهب
التعمير بأمد حياته فافرج الضيق وخلص الى حسن نظره الطريق وساغ الريق
ورضى الفريق رأى والله الكفيل بنجح رأيه وشكر سعيه وصلة حفظه ورعيه أن
يجهد لهم اختياره ويحسن لديهم آثاره ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده وأبطال
جلاده وحماة أحوازه وآلات اعتزازه من يجرى مجرى نفسه النفيسة فى كل منى
ويكون له لفظ الولاية وله أيده الله تعالى المعنى فقدمه على الجماعة الاولى كبرى الكتائب
ومقادة الجنائب وأجمة الابطال ومزنة الودق الهطال المشتملة من الغزاة على مشيخة
آل يعقوب نسباء الملوك الكرام وأعلام الاسلام وسائر قبائل بنى مرين ليوث
العرين وغيرهم من اصناف القبائل وأولى الوسائل ليحوط جماعتهم ويعرف تفقده
اضاعتهم ويستخلص لله تعالى ولابيه أيده الله تعالى طاعتهم ويشرف بامارته مواكبهم
ويزين بهلاله الناهض الى الابدار على فلك سعادة الاقدار كواكبهم تقديما أشرق له
وجه الدين الحنيف وتهلل وأحس باقتراب ما أمل فللخيل اختيال ومراح وللاسل
السمر اهتزاز وارتياح وللصدور انشراح وللآمال مغدى فى فضل الله تعالى ومراح
فليتول ذلك أسعده الله تعالى تولى مثله ممن أسرة الملك أسرته وأسوة النبى صلوات الله
تعالى عليه أسوته والملك الكريم أصل لفرعه والنسب العربى محتد لطيب طبعه آخذا
أشرافهم بترفيع المجالس بنسبة أقدارهم مغريا حسن اللقاء بايثارهم شاكرا غناءهم
مستدعيا ثناءهم مستدر الارزاقهم موجبا المزية بحسب استحقاقهم شافعا الديه
فى رغباتهم المؤملة ووسائلهم المحصلة مسهلا الاذن لوفودهم المتلاحقة منفقا
بضائعهم النافقة مؤنسا لغرمائهم مستجليا أحوال أهاليهم وآبائهم عيزا بين أغفالهم
ونبهائهم وعلى جماعتهم رعى الله تعالى جهادهم ووفر أعدادهم أن يطيعوه فى طاعة الله
تعالى وطاعة ابيه ويكونوا يدا واحدة على دفاع أعداء الله تعالى وأعاديه ويشدوا فى
مواقف المكريهة أزره ويمتثلوا نهيه وأمره حتى يعظم الانتفاع ويشهر الدفاع
ويخلص المصال لله تعالى والمصاع فلو وجد أيده الله تعالى غاية فى تشريفهم لبلغها

أو هبة لسوّغها لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ولا وراء مباشرته بنفسه مغرب والله تعالى منجح الاعمال ومبلغ الآمال والكفيل بسعادة المآل فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمر مطاع وفخر مستند الى اجماع ووجوب اتباع وليكن خير مرعى لخير راع بحول الله تعالى وأقطعه أيده الله تعالى ليكون بعض المواد لازواد سفره وبساط نفزه في جملة ما أولاه من نعمه وسوّغه من موارد كرمه جميع القرية المنسوبة الى عرب غنان وهي المحلة الاثيرة والمنزلة الشهيرة تنطلق عليها أيدي خدامه ورجاله جارية مجرى صريح ماله محررة من كل وظيفة لاستغلاله ان شاء الله تعالى فهو المستعان سبحانه وكتب في كذا انتهى

*(وكتب) لسان الدين رحمه الله تعالى في شأن تقليد الامير سعد أخي المذكور الاصغر منه سنا ما صورته هذا ظهير جعل الله تعالى له الملائكة ظهيرا وعقد منه في سبيل الله تعالى لواء منصورا وأعطى المعتد به باليمين كتابا منشورا وما كان عطاء ربك محظورا وأطلع صبح العناية المبصرة الآية يبهر سفورا ويسطع نورا وأقر عيونا للمسلمين وشرح صدورا ووعد الاهلة أن تصير بامداد شمس الهدى اياها بدورا وبشر الاسلام بالنصر المنتظر والفتح الرائق الغرر مواسط وثغورا وأتبع حماة الدين لواء الامارة السعيدة النصرية فأسعد بها آمرا وأكرم بها مأمورا أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه أمير المسلمين عبد الله محمد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحجاج ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أعلى الله تعالى رايته وسدد رأيه وشكر عن الاسلام والمسلمين سعيه اقرة عينه ومقتضى حقه من العدو وديته وغصن دوحه وآية لوحه ودرة قلادته ودري أفلاك مجادته وسيف نصره وهلال نصره وزينة عصره ومتقبل هديه ورشده ومطلع اشراق سعده وانجاز وعده ولده الاسعد وسليل ملكه المؤيد الامير الاجل الاعز الاسنى الاطهر الاظهر الاعلى لابس أثواب رضاه ونعمته ومنحة الله لنصره وخدمته ومظهر عزه وبعد همته التقي الرضي العالم العامل الماجد سامي الحي تحت ظل طاعته وكافي الاسلام الذي يأمن من اضاعته المحرز مزايا الاعمار الطويلة حظ الشهر في يومه وحظ اليوم في ساعته الموقر المهيب المؤمل المعظم أبي النصر سعد عرفه الله تعالى بركة سعد بن عبادة جده خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم مجده ووزره في حله وعقده وأجناه ثمرة النصر الذي كان به ووصل سببه بسببه فما النصر الا من عنده وأنتج له الفتح المبين من مقدمتي نصره وسعده لما صرف وجه عنايته اليه في هذه البلاد الاندلسية التي خلص لله انفرادها وانقطاعها وتمحض لأن تكون كلمة الله هي العليا قراعها وصدق مصالها في سبيله جل وعلا ومصاعها الى ما يهد أرجاءها ويحقق رجاءها من سلم يعقد ولا يعدم الحزم معه ولا يفقد وعطاء ينقد ورأي لا يتعقب ولا ينقد وحرب تضمر له الجياد ويعتقل الاسل المياد وكان الجيش روض أمله الذي في جنباته يسرح ومرمى فكره الذي عنه لا يبرح فديوانه ديوان امانيه الذي تسهب فيه وتشرح أسهمه من

سياسته أرق الحطوط وأسناها وقصر عليه لفظ العناية ومعناها ووقف عليه موحدها ومثناها فأزاح علله وأحيا أمله وأنشأ بذله ورفع عنه من لم يبذل البذله ولا أخلص تقدمه عمله واختار لقيادة مقانبه المنصوره وامارة غزواته المبروره أقرب الناس الى نفسه نسبا وأوصلهم به سببا وأحقهم بالرتب المنيفه والمظاهر الشريفه ذاتا وأبا وجدا وحسبا وأثره على أشرافه وذلل به الانقال على أعرافه وصرف اليه آماله واستعمل في استه يمينه وفي أعنته شماله وعقد عليه الوية الخافقة لعزة نصره ورأى الظهور على أعداء الله تعالى جنى فهيأ له بصره وأدار هالة تمام الجهاد عن قرب بالولادة على بدره ونبه نفوس المسلمين على جلالة قدره وقدمه على الكتيبة الثانية من عسكر الغزاة المشتملة على الاشياخ من أولاد يعقوب كبارى مرين وسائر قبائلهم المكرمين وغيرهم من القبائل المحترمين ينوب عن أمره في عرض مسائلهم وقرى وافدهم واجراء عوائدهم تقديما لملة الاسلام واستبشر وتيقن الظفر فاستبصر ليعلم من استنصر فليطلبوا الله في طاعته الكبرى الطاعه وليعلقوا بنان نداء بنان الطماعه ويؤملوا على يديه نجح الوسيلة الى مقامه والشفاعه ويعلموا أن اختصاصهم بهذا العنوان على رفع محالهم لديه وعزة شأنهم عليه فلو وجد هضبة أعلى لرفعها لهم وأعلاها أو عزة أعز لألاها أو قبلة أزكى لصرف وجوههم شطرها وولاها حتى تجتنى ثمرة هذا القصد وتعود بالسعد حركة هذا الرصد وتعلو ذؤابة هذا المجد وتشهد بنصر الدين على يده ألسنة الغور والنجد بفضل الله سبحانه وعليه أسعد الله الدولة باستعماله مكافحا بأعلاها وزينا لالايها وسيفا في طاعة امامها أن يقدم منهم في مجلسه أهل التقديم ويقابل كرامهم بالتكريم ويستدعي آراء مشايخهم في المشكلات في أمور الحرب ويعضي جفون عزائمهم في مرقب الصبر والضرب ويتعهدهم باحسانه عند الفناء ويقابل حميد سعيهم بالثناء على هذا يعتمد وبحسبه يعمل وهو الواجب الذي لا يهمل وقصده بالاعظام والاجلال والانقياد الذي يعود بالآمال وينجح الاعمال بحول الله تعالى متقبل وكتب في كذا انتهى *

(ومما اشتمل على نظم لسان الدين ونثره) ما كتب به من ملا الى سلطانه الغني بالله تعالى وقد بلغه ما كان من منع الله سبحانه له وعودته الى سلطانه

هنيأ بما خولت من رفعة الشان * وان كره الباغي وان رغم الشاني
وأن خصك الرحمن جل جلاله * بمعجزة منسوبة لسليمان
أغار على كرسيه بعض جنه * فألقت له الدنيا مقالد اذعان
فلما رآها فتنة خر ساجدا * وقال الهي امنن على بغفران
وهب لي ملكا بعدها ليس ينبغي * تقلده بعدي لانس ولا جان
فآتاه لما أن أجاب دعاءه * من العز مالم يؤت يوما لانسان
وان كان هذا الامر في الدهر مفردا * فأنت له لما اقتديت به الثاني
فقابل صنيع الله بالشكر واستعن * به وابر احسان الاله باحسان
وحق الذي سماك باسم محمد * لو ان الصبا قد عاد منه بريعان

لما بلغ النعما عليك سروره ● ألسنة واف لا ألسنة شنوءان
فانى انا العبد الصريح انتسابه ● كما أنت مولاى العزيز وسلطانى
اذا كنت فى عز وملك وغبطة ● فقد نلت أوطارى وراجعت أوطانى

مولاى الذى شأنه عجب والايمان بعناية الله تعالى به قد وجب وعزه أظهره من برداء العزة احتجب اذا كانت الغاية لا تدرك فأولى أن تسلم وتترك ومنة الله تعالى عليك ليست مما يشرح قد عقل العقل فما يبرح وقيد اللسان فما يرعى فى مجال العبارة ولا يسرح اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرا ترضاه وامدادا من لدنك تتقاضاه يا الله يا الله سعود أنارت بعد أفول شهابها وحياة كرت بعد ذهابها وأحباب اجتمعت بعد فراقها وأوطان دنت بعد بعد شامها من عراقها وأعداء أذهب الله تعالى رسم بغيهم ومحاه وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه وعباد أعطوا من كشف الغم ما سألوه وتازرون لو سئلوا فى اتاحة القرب بما فى أرماقهم لبذلوه وسبحان الذى يقول ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه فلبن الاسلام بياض وجهه بعد اسوداده وتغلب ايالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده وعودة الملك المظلوم الى معتاده واستواء الحق النائى جنبه فوق مهاده ورد الارث المغصوب الى مستحقه عن آبائه وأجداده والحمد لله الذى غسل عن وجه الامة الحنيفية العار وأنقذ عهدتها وقد ملكها الذعار فرد المعار وأعيد الشعار فحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والعبد يا مولاى قد بهرت عقله آلاء الله تعالى قبلك فالفكر جائل واللسان ساكت والعقل ذاهل والطرف باهت فان أقام رسم المخاطبة فقلم مرح وركض وطرس هز جناح الارتياح ونفض ليس هذا المرام مما يرام ولا هذه العناية التى تحار فيها الافهام مما تصمى غرضه السهام فنسأل الله تعالى أن يجعل مولاى من الشاكرين وبأحكام تقلبات الايام من المعتبرين حتى لا يغره السراب الخادع والدهر المرغم للانوف الجادع ولا يرى غير الله فى الوجود من صانع ولا معط ولا مانع ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد والسلام انتهى ● (ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى أبا عبد الله بن عمر التونسى قوله سيدى الذى عهده لا ينسى وذكره يصبح فى ترديده بالجميل ويمسى أبقاكم الله تعالى تجلون من السعادة شمسا وتصرفون فى طاعته لسانا فردا وبنانا خمسا وصلنى كتابكم الاشعث الاغبر ومقتضبكم الذى أضغاثه لا تعبر شاهدة بعدم الاعتنا أوضاعه معدوما امتاعه قصيرا فى التعريف بالحال المتشوف اليها باعه مضمنا الاحالة على خلى من معناها غير متلبس بوحدها ولا مثناها سألته كما يسأل المريض عما عند الطبيب ويعرض الحبيب على تعرف أحوال الحبيب فذكر أنه لم يحمل غير تلك السحاة المغنية فى الاختصار المجحفة بحظى الاسماع والابصار فهممت بالعتب على البخل بالكتب ثم عذرت سيدى بما يعترى مثله من شواغل تطرق وخواطر تومض وتبرق واذا كان أمنا سربه مهنئا شربه فهو الامل ويقنع هذا المجمل وان كان التفسير هو الاكمل وما ثم ما يعمل وودّه

فى كل حال وقد والله سبحانه بالتوفيق يمده والسلام انتهى • وكانت للسان الدين رحمه الله تعالى مخاطبات كثيرة لسلطان الدولة وأعيانها دلت على قوة عارضته فى البلاغة وقد ألمعنا بجملة منها فى هذا الكتاب فى مواضع ولم نكثر منها طلبا للاختصار أو التوسط بحسب ما اقتضاه الباعث فى الحال والله سبحانه وتعالى يبلغ الآمال ويزكى الاعمال •

(ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) ما كتبه عن السلطان أبى الحجاج يوسف بن نصر الى سيد العالمين صلى الله عليه وسلم اثر نظم ونص الكل هو

اذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه • كفى حسب فؤادى أن يهب نسيمه
ويقنعنى أنى به متكيف • فزمزمه دمعى وجسمى حطيمه
يعود فؤادى ذكر من سكن الغضا • فيقعده فوق الغضا ويقيمه
ولم أر شيأ كالنسيم اذا سرى • شفى سقم القلب المشوق سقيمه
نعلل بالتذكار نفسا مشوقة • ندير عليها كأسه ونديمه
وما شفنى بالغور قد مرنح • ولا شاقنى من وحش وجرة ريمه
ولا سهرت عينى لبرق ثنية • من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
براني شوق للنبى محمد • يسوم فؤادى برحه ما يسومه
ألا يا رسول الله ناداك ضارع • على النأى محفوظ الوداد سليمه
مشوق اذا ما الليل مد رواقه • تهم به تحت الظلام همومه
اذا ما حديث عنك جاءت به الصبا • شجاه من الشوق الحثيث قديمه
أيجهر بالشكوى وأنت سميعها • ويشرح ما يخفى وأنت عليمه
وتعوزه السقيا وأنت غياثه • وتتلفه البلوى وأنت رحيمه
بنورك نور الله قد أشرق الهدى • فأقماره وضاحة ونجومه
لك انهل فضل الله بالارض ساكبا • فأنواؤه ملتفة وغيومه
ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى • خليل الذى أوطاكها وكليمه
لك الخلق الاعلى الذى جل ذكره • ومجدك فى الذكر العظيم عظيمه
يجل مدى علياك عن مدح مادح • فموسر در القول فيك عديمه
ولى يا رسول الله فيك وراثة • ومجدك لا ينسى الذمام كريمه
وعندى الى أنصار دينك نسبة • هى الفخر لا يخشى انتقالا مقيمه
وكان بودى أن أزور مبوّأ • بك افتخرت أطلاله ورسومه
وقد يجهد الانسان طرف اعتزامه • ويعوزه من بعد ذاك مرومه
وعذرى فى تسويف عزمى ظاهر • اذا ضاق عذر العزم عمن يلومه
عدتنى بأقصى الغرب عن تربك العدا • جلالقة الثغر الغريب ورومه
أجاهد منهم فى سبيلك أمة • هى البحر يعيى أمرها من يرومه
فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى • لريع حماه واستبيح حريمه
فلا تقطع الحبل الذى قد وصلته • فمجدك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذى نستدره * وأنت لنا الظل الذى نستديمه
ولما نأت دارى وأعوز مطمعى * وأقلقنى شوق يشب جحيمه
بعثت بها جهد المقل معوّلا * على مجدك الاعلى الذى جل خيمه
وكان بها همى وصدق قريحتى * فساعدنى هاء الروىّ وميمه
فلا تنسنى ياخير من وطئ الثرى * فمثلك لاينسى لديه خديمه
عليك صلاة الله ماذرّ شارق * وماراق من وجه الصباح وسيمه

الى رسول الحق الى كافة الخلق وغمام الرحمة الصادق البرق الحائز فى ميدان اصطفاء الرحمن قصب السبق خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء ومن وجبت له النبوّة وآدم بين الطين والماء شفيع أرباب الذنوب وطبيب أدواء القلوب والوسيلة الى علام الغيوب نبىّ الهدى الذى طهر قلبه وغفر ذنبه وختم به الرسالة ربه وجرى فى النفوس مجرى الانفاس حبه الشفيع المشفع يوم العرض المحمود فى ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن على سرّ الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور المؤيد بكفاية الله وعصمته الموفور حظه من عنايته ونعمته الظل الخفاق على أمّته من لو حازت الشمس بعض كماله ماعدمت اشراقا أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم اشفاقا فائدة الكون ومعناه وسرّ الوجود الذى بهر الوجود سناه وصفىّ حضرة القدس الذى لاينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذى سبقت له البشرى ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل عليه سبحان الذى أسرى من الانوار من عنصر نوره مستمدّه والآثار تخلق وآثاره مستجدّه من طوى بساط الوحى لفقده وسدّ باب الرسالة والنبوّة من بعده وأوتى جوامع الكلم فوقفت البلغاء حسرى دون حدّه الذى انتقل فى الغرر الكريمة نوره وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره وأخبرت الكتب المنزلة على الانبياء بأسمائه وصفاته وأخذ عهد الايمان به على من اتصلت بمبعثه منهم أيام حياته المفزع الامنع يوم الفزع الاكبر والسند المعتمد عليه فى أهوال المحشر ذو المعجزات التى أثبتتها المشاهدة والحس وأقرّ بها الجن والانس من جماد يتكلم وجذع لفراقه يتألم وقمر له ينشق وحجر يشهد أن ماجاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين أصابعه يتبجس وغمام باستسقائه يصوب وطوى بصق فى أجاجها فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب المخصوص بمناقب الكمال وكمال المناقب المسمى بالحاشر العاقب ذو المجد البعيد المرامى والمراقب أكرم من رفعت اليه وسيلة المعترف والمقترب ونجحت لديه قربة البعيد والمقترب سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى فاز بطاعته المحسنون واستنقذ بشفاعته المذنبون وسعد باتباعه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون صلى الله عليه وسلم مالمع برق وهمع ودق وطلعت شمس ونسخ اليوم أمس من عتيق شفاعته وعبد طاعته المعتصم بسببه المؤمن بالله ثم به المستشفى بذكره كلما تألم المفتتح بالصلاة عليه كلما تكلم الذى ان ذكر تمثل طلوعه بين أصحابه وآله

وان هب النسيم العاطر وجد فيه طيب خلاله وان سمع الاذان تذكر صوت بلاله وان
ذكر القرآن استشعر تردد جبريل بين معاهده وخلاله لاثم تربه ومؤمل قربه ورهين
طاعته وحبه المتوسل به الى رضا الله ربه يوسف بن اسمعيل بن نصر كتبه اليك يارسول
الله والدمع ماح وخيل الوجدذات جماح عن شوق يزداد كلما نقص الصبر وانكسار
لا يتاح له الا بدتو من ارك الجبر وكيف لا يعي مشوقك الامر وتوطأ على كبده الجمر
وقد مطلت الايام بالقدوم على تربك المقدسة اللحد ووعدت الآمال ودانت باخلاف
الوعد وانصرفت الرفاق والعين بنور ضريحك ما اكتحلت والركائب اليك ما رحلت
والعزائم قالت وما فعلت والنواظر فى تلك المشاهد الكريمة لم تسرح وطيور الآمال
عن وكور العجز لم تبرح فياءها من معاهد فاز من حياها ومشاهد ما اعطر رياها
بلاد نيطت بها عليك التمائم وأشرقت بنورك منها النجود والتهائم ونزل فى حجراتها
عليك الملك وانجلى بضياء فرقانك فيها الحلك مدارس الآيات والسور ومطالع
المعجزات السافرة الغرر حيث قضيت الفروض وحتمت وافتتحت سورة الرحمن وختمت
وابتدئت الملة الحنيفية وتممت ونسخت الآيات وأحكمت أما والذى بعثك بالحق
هاديا وأطلعك للخلق نورا باديا لا يطفئ غلتى الا شربك ولا يسكن لوعتى الا قربك فما أسعد
من أفاض من حرم الله الى حرمك وأصبح بعد أداء ما فرضت عن الله ضيف كرمك
وعفر الخد فى معاهدك ومعاهد أسرتك وتردد ما بين داري بعثتك وهجرتك وانى
لما عاقنى عن زيارتك العوائق وان كان شغلى عنك بك وعدتنى الاعداء فيك عن وصل
سببي بسببك وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه وعدو تتكاثف أفواجه ويحجب
الشمس عند الظهيرة عجاجه فى طائفة من المؤمنين بك وطنوا على الصبر نفوسهم وجعلوا
التوكل على الله وعليك لبوسهم ورفعوا الى مصارختك رؤسهم واستعذبوا فى مرضاة
الله تعالى ومرضاتك بؤسهم يطيرون من هيعة الى أخرى ويلتفتون والمخاوف عن يمنى
ويسرى ويقارعون وهم الفئة القليلة جموعا كجموع قيصر وكسرى لا يبلغون من عدو
هو الذر عند انتشاره عشر معشاره قد باعوا من الله تعالى الحياة الدنيا لان تكون كلمة
الله تعالى هى العليا فيالها من سرب مروع وسرح للامنك ممنوع ودعاء الى الله
واليك مرفوع وصبية حمر الحواصل تخفق فوق أوكارها أجنحة المناصل والصليب
قد عطى فمد ذراعيه ورفعت الاطماع بضبعيه وقد حجبت بالقتام السماء وتلاطمت
امواج الحديد والبأس الشديد فالتقى الماء ولم يبق الا الذماء وعلى ذلك فاضعفت
البصائر ولا ساءت الظنون وما وعد به الشهداء تعتقده القلوب حتى تكاد تشاهده
العيون الى أن نلقاك غدا ان شاء الله تعالى وقد ابلينا العذر وارغمنا الكفر وأعملنا فى
سبيل الله تعالى وسبيلك البيض والسمر استنبت رقعتى هذه لتطير اليك من شوق بجناح
خافق وتسعد من نيتى التى تصحبها برفيق موافق فتؤدى عن عبدك وتبلغ وتعفر الخد
فى تربك وتمرغ وتطيب بريا معاهدك الطاهرة وبيوتك وتقف وقوف الخضوع
والخشوع تجاه تابوتك وتقول بلسان التملق عند التشبث بأسبابك والتعلق منكسرة

الطرف حذرا بهرجها من عدم الصرف يا غياث الامة وغمام الرحمة ارحم غربتى وانقطاعى وتغمد بطولك قصر باعى وقوّ على هيبتك خور طباعى فكم جزت من لج مهول وجبت من حزون وسهول وقابل بالقبول نيابتى وعجل بالرضا اجابتى ومعلوم من كمال تلك الشيم وسجايا تيك الديم أن لا يخيب قصد من حط بفنائها ولا يظمأ وارد أكب على انائها اللهمّ يا من جعلته أوّل الانبياء بالمعنى وآخرهم بالصورة وأعطيته لواء الحمد يسير آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة وملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة وجعلتنى من أمته المجبولة على حبه المفطورة وشوّقتنى الى معاهده المبرورة ومشاهده المزورة ووكلت لسانى بالصلاة عليه وقلبى بالحنين اليه ورغبتى بالتماس ما لديه فلا تقطع منه أسبابى ولا تحرمنى من حبه ثوابى وتداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى هذه يا رسول الله وسيلة من بعدت داره وشط مزاره ولم يجعل بيده اختياره فان لم تكن للقبول أهلا فأنت للاغضاء والسماح أهل وان كانت ألفاظها وعرة فجنابك للقاصدين سهل وان كان الحب يتوارث كما أخبرت والعروق تدس حسبما اليه أشرت فلى بانتسابى الى سعد عميد أنصارك مزيه ووسيلة أثيرة حفيه فان لم يكن لى عمل ترتضيه فلى نيه فلا تنسنى ومن بهذه الجزيرة المفتتحة بسيف كلمتك على أيدى خيار أمتك فانما نحن بها وديعة تحت بعض أقفالك نعوذ بوجه ربك من اغفالك ونستنشق من ريح عنايتك نفحه ونرتقب من محيا قبولك لمحه ندافع بها عدوّا طغى وبغى وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى فواتف التمحيص قد أعيت من كتب ورمخ والبحر قد أصمت من استصرخ والطاغية فى العدوان مستبصر والعدوّ محلق والولى مقصر وبجاهك ندفع ما لا نطيق وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيفيق فلا تفردنا ولا تهملنا وناد ربك فينا ربنا ولا تحملنا وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك تكفيهم وربك يقول لك وقوله الحق وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى وأجاب داعيا اذا دعا وصلى الله على جميع أحزابك وآلك صلاة تليق بجلالك وتحق لكمالك وعلى ضجيعك وصديقك وحبيبك ورفيقك خليفتك فى أمتك وفاروقك المستخلف بعده على جلتك وصهرك ذى النورين المخصوص ببرّك ونحلتك وابن عمك سيفك المسلول على حلتك بدر سمائك ووالد أهلتك والسلام الكريم عليك وعليهم كثيرا أثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب بحضرة جزيرة الاندلس غرناطة صانها الله تعالى ووقاها ودفع عنها ببركتك كيد عداها انتهت الرسالة *

(وكتب أيضا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان مخدومه السلطان الغنى بالله محمد ابن السلطان أبى الحجاج رحم الله تعالى الجميع ما صورته

دعاك بأقصى المغربين غريب * وأنت على بعد المزار قريب
مدلّ بأسباب الرجاء وطرفه * غضيض على حكم الحياء مريب
يكاف قرص البدر حمل تحية * اذا ما هوى والشمس حين تغيب
لترجع من تلك المعالم غدوة * وقد ذاع من ردّ التحية طيب

ويستودع الريح الشمال شمائلا * من الحب لم يعلم بهن رقيب
ويطلب في جيب الجنوب جوابها * اذا ما اطلت والصباح جنيب
اذا اثر الاخفاف لاحت محاربا * يخر عليها راكعا وينيب
ويلقى ركاب الحج وهي قوافل * طلاح وقد لبى النداء لبيب
فلا قول الا أنة وتوجع * ولا حول الا زفرة ونحيب
غليل ولكن من قبولك منهل * عليل ولكن من رضاك طبيب
ألا ليت شعري والامانى ضلة * وقد تخدع الآمال ثم تصيب
اينجد نجد بعد شحط مزاره * ويكثب بعد البعد منه كثيب
وتقضى ديونى بعد ما مطل المدى * وينفذ بيعى والمبيع معيب
وهل أقتضى دهرى فيسمح طائعا * وأدعو بعطفى مسمعا فيجيب
ويا ليت شعرى هل لحوضى مورد * لديك وهل لى فى رضاك نصيب
ولكنك المولى الجواد وجاره * على أى حال كان ليس يخيب
وكيف يضيق الذرع يوما بقاصد * وذاك الجناب المستجار رحيب
وما هاجنى الا تألق بارق * يلوح بفود الليل منه مشيب
ذكرت به ركب الحجاز وجيرة * أهاب بها نحو الحبيب مهيب
فبت وجفنى من لآلئ دمعه * غنى وصبرى للشجون سليب
ترنحنى الذكرى ويهفو بى الهوى * كما مال غصن فى الرياض رطيب
وأحضر تعليلا لشوقى بالمنى * ويطرق وجد غالب فأغيب
مراى لو أعطى الامانى زورة * يبث غرام عندها ووجيب
فقول حبيب اذ يقول تشوقا * عسى وطن يدنو الى حبيب
تعجبت من سيفى وقد جاور الغمد * بقلبى فلم يسبكه منه مذيب
وأعجب أن لا يورق الرمح فى يدى * ومن فوقه غيث المشرق سكيب
فيا سرح ذاك الحى لو اخلف الحيا * لاغناك من صوب الدموع صبيب
ويا هاجر الجو الجديب تلبثا * فعهدى رطب الجانبين خصيب
ويا قادح الزند الشحاح ترفقا * عليك فشوقى الخارجى شبيب
ايا شائم الرسل المسكين مكانه * حديث الغريب الدار فيك غريب
فؤادى على جمر البعاد مقلب * يباح عليه للدموع قليب
فو الله ما يزداد الا تلهبا * أأبصرت ماء ثار عنه لهيب
فلله ليل الحلم ويومها * اذا شئته للشوق العصاب عصيب
هواى هدى فيك اهتديت بنوره * ومتنبى للصحب منك تثيب
وحسبى على انى لصحبك منتم * وللخزرجيين الكرام نسيب
عدت عن مغانيك المشرقة للعدا * عقارب لا يخشى لهن دبيب
سراص على اطفاء نور قدحته * فمستاب من دونه وسليب

فكم من شهيد فى رضاك مجدّل • يظلله نسر ويندب ذيب
تمرّ الرياح الغفل فوق كلومهم • فتعبق من أنفاسها وتطيب
لتمرك عنك الشغل من غيرمنة • وهل يتساوى مشهد ومغيب
فان صح منك الحظ طاوعنى المنى • ويبعد مرمى السهم وهو مصيب
ولولاك لم يعجم من الروم عودها • فعود الصليب الاعجمى صليب
وقد كانت الاحوال لولا مراقب • ضمنت ووعد بالظهور قريب
فماشئت من نصر عزيز وأنعم • أثاب بهن المؤمنين مثيب
منابر عز اذن الفتح فوقها • وافصح للعضب الطرير خطيب
تقود الى هيجائها كل صائل • كما ريح مكحول اللحاظ ربيب
ونجتاب من سرد اليقين مدارعا • يكفتها من بحتنى قريب
اذا اضطرب الخطى حول غديرها • يروقك منها لجة وقضيب
فعذرا واغضاء ولا تنس صارخا • بعزك يرجو أن يجيب مجيب
وجاهك بعد الله نرجو وانه • لحظ ملىء بالوفاء رغيب
عليك صلاة الله ماطيب الفضا • عليك مطيل بالثناء مطيب
وما اهتز قد للغصون مرنح • وما افتر ثغر للبروق شنيب

الى حجة الله تعالى المؤيدة ببراهين أنواره وفائدة الكون ونكتة أدواره وصفوة نوع البشر ومنتهى أطواره الى المجتبى وموجود الوجود لم يغن بمطلق الوجود عديمه المصطفى من ذرية آدم قبل أن يكسو العظام أديمه المحتوم فى القدم وظلمات العدم عند صدق القدم تفضيله وتقديمه الى وديعة النور المنتقل فى الجباه الكريمة والغرر ودرة الانبياء التى لها الفضل على الدرر وغمام الرحمة الهامية الدرر الى مختار الله تعالى المخصوص باجتبائه وحبيبه الذى له المزية على أحبائه وذرية أنبياء الله تعالى آبائه الى الذى شرح صدره وغسله ثم بعثه واسطة بينه وبين العباد وأرسله وأتم عليه انعامه الذى أجزله وأنزل عليه من الهدى والنور ما أنزله الى بشرى المسيح والذبيح ومن اهم التجر الربيح المنصور بالرعب والريح المخصوص بالنسب الصريح الى الذى جعله فى المحول غماما وللانبياء اماما وشق صدره لتلقى روح أمره غلاما وأعلم به فى التوراة والانجيل اعلاما وعلم المؤمنين صلاة عليه وسلاما الى الشفيع الذى لاترد فى العصاة شفاعته والوجيه الذى قرنت بطاعة الله تعالى طاعته والرؤف الرحيم الذى خلصت الى الله تعالى فى أهل الجرائم ضراعته صاحب الآيات التى لايسع ردها والمعجزات التى أربى على الالاف عدها من قمر شق وجذع حن له وحق وبنان يتفجر بالما فيقوم برى الظما وطعام يشبع الجم الكثير يسيره وغمام يظال به مقامه ومسيره خطيب المقام المحمود اذا كان العرض وأول من تنشق عنه الارض ووسيلة الله تعالى التى لولاها ما أقرض القرض ولا عرف النفل والفرض محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المحود الظلال من ذى الجلال الشاهد بصدقه صحف الانبياء وكتب الارسال وآياته التى

أثلجت القلوب ببرد اليقين السلسال صلى الله عليه وسلم ما ذرّ شارق وأومض بارق وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق صلاة تتأرج على شذى الزهر وتتبلج عن سنى الكواكب الزهر وتتردد بين السر والجهر وتستغرق ساعات اليوم وأيام الشهر وتدوم بدوام الدهر من عبد هداه ومستقرى مواقع نداه ومزاحم أبناء أنصاره فى منتداه وبعض سهامه المفوّقة الى نحور عداه مؤمّل العتق من النار بشفاعته ومحرز طاعة الجبار بطاعته الآمن باتصال رعيه من اهمال الله تعالى واضاعته متخذ الصلاة عليه وسائل نجاه وذخائر فى الشدائد مرتجاه متاجر بضائعها غير مزجاه الذى ملأ بحبه جوانح صدره وجعل ذكره هالة لبدره وأوجب حقه على قدر العبد لا على قدره محمد بن يوسف بن نصر الانصارى الخزرجى نسيب سعد بن عبادة من أصحابه وبوارق سحابه وسيوف نصرته وأقطاب دار هجرته ظلله الله تعالى يوم الفزع الأكبر من رضاك عنه بظلال الامان كما أنار قلبه من هدايتك بأنوار الهدى والايمان وجعله من أهل السابقة فى فضاء حبك والهيمان كتبه اليك يا رسول الله واليراع تقتضى الهيبة صفرة لونه والمداد يكاد أن يحول سواد جونه وورقة الكتاب يخفق فؤادها حرصا على حفظ اسمك الكريم وصونه والدمع يقطر فتنقط به الحروف وتفصل الاسطار وتوهم المثول بمثواك المقدس لا يمر بالخاطر سواه ولا يخطر عن قلب بالبعد عنك قريح وجفن بالبكاء جريح وتأوّه عن تبريح كلما هبّ من أرضك نسيم ريح وانكسار إلا يجبرك واغتراب لا يؤنس فيه الا قربك وان يقض فقبرك وكيف لا يسلم فى مثلها الاسى ويوحش الصباح والمسا ويرجف جبل الصبر بعد ما رسا لولا لعل وعسى فقد سارت الركبان اليك ولم يقض مسير وحومت الاسراب عليك والجناح كسير ووعدت الآمال فاخلفت وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ولم تحصل النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الاثيل الاعلى التمثيل ولا من المعالم الملتمسة التنوير الاعلى التصوير مهبط وحى الله تعالى ومتنزل أسمائه ومتردد ملائكة سمائه ومدافن أوليائه وملاحد أصحاب خيرة أنبيائه رزقنى الله تعالى الرضا بقضائه والصبر على جاسم المقدور وامضائه من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى دار ملك الاسلام بالاندلس قاصية سبيلك وسجية رجالك يا رسول الله وخيلك وانأى مطارح دعوتك ومساحب ذيلك حيث مصاف الجهاد فى سبيل الله وسبيلك قد طال لها القيام وشهبان الاسنة أطلعها منه الاعتام وأسواق بيع النفوس من الله تعالى قد تعدّدت بها الايامى والايتام حيث الجراح قد تحلت بعسجد نجيعها النحور والشهداء تحف بها الحور والامم الغريبة قد قطعها عن المدد البحور حيث المباسم المفترّة تجلوها المصارع البرّة فتحييها بالعراء ثغور الازاهر وتندبها صوادح الادواح رنات تلك المزاهر وتحمل السحاب أشلاءها المعطلة من ظاهرها بالجواهر وحيث الاسلام من عدوّه المكايد بمنزلة قطرة من عارض غمام وحصاة من ثبير أو شمام وقد سدّت الطريق وأسلم الفراق الفريق وأغص الريق ويئس من الساحل الغريق الا أن الاسلام بهذه الجهة المتمسكة بحبل الله تعالى وحبلك المهتدية بأدلة

سبلك سالم والحمد لله تعالى من الانصداع محروس بفضل الله تعالى من الابتداع معقود
من جديد الملة معدوم فيه وجود الطوائف المضلة الا ما يخص الكفر من هذه العلة
والاستظهار على جمع الكثرة من جموعه بجمع القلة ولهذه الايام يا رسول الله أقام
الله تعالى أوده بترا بوجهك الوجيه ورعيا وانجاز الوعد لذوهو الذى لا يخلف وعدا
ولا يخيب سعيا وفتح لنا فتوحا أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب وبشرتنا منه تعالى بغفر
التقصير ورفع التثريب ونصرنا وله المنة على عبدة الصليب وجعل لا لقنا الرديني ولا سمنا
السمردى حكم التغليب واذا كانت الموالى التى طوقت الاعناق منها وقررت العوائد
الحسان سيرها وسننها تبادر اليها قوابها الصرحاء وتتقدمها النصحاء بالبشائر
والمسرات التى تشاع فى العشائر وتجلو لديها نتائج أيديها وغايات مباديها وتتاحفها
وتهاديها بمجانى جنانها وأزاهر غواديها وتطرف محاضرها بطرف بواديها فبابك
يا رسول الله أولى بذلك وأحق ولك الحق الحق والحرمنا عبدك المسترق حسبما يحلو
الرق وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المطمع ومثواك الجمع وملوك الاسلام فى
الحقيقة عبيد سدتك المؤملة وخول مثابتك المحسنة بالحسنات المجملة وشهب تعشو
الى بدورك المكملة وبعض سيوفك المقلدة فى سبيل الله تعالى المحلاة وحرسة مهادك
وسلاح جهادك وبروق عهادك وان مكفول احترامك الذى لا يخفر ووربى انعامك
الذى لا يكفر وملتحف جاهك الذى يمحى ذنبه بشفاعتك ان شاء الله تعالى ويغفر يطالع
روضة الجنة المفتحة أبوابها بشوالك ويفاتح صوان القدس الذى أجنك وحوالك وينثر
بضائع الصلاة عليك بين يدى الضريح الذى طوالك ويعرض جنى ما غرست وبذرت
ومصداق ما بشرت به لما بشرت وأنذرت وما انتهى اليه طلق جهادك ومصب
عهادك لتقر عين نصحك التى أنام العيون الساهرة هجوعها وأشبع البطون ورواها
ظموها فى الله تعالى وجوعها وان كانت الامور بمرأى من عين عنايتك وغيبها متعرف
بين افصاحك وكنايتك وجملها يا رسول الله صلى الله عليك وبلغ وسيلتى اليك هو أن
الله سبحانه لما عرفنى لطفه الخفى فى التمحيص المقتضى عدم المحيص ثم فى التخصيص
المغنى بعيانه عن التنصيص وفق ببركاتك السارية رحماتها فى القلوب ووسائل محبتك
العائدة بنيل المطلوب الى استفادة عظة واعتبار واغتنام اقبال بعد ادبار ومزيد
استبصار واستعانة بالله تعالى وانتصار فسكن هبوب الكفر بعد اعصار وحل مخنق
الاسلام بعد حصار وجرت على سنن السنة بحسب الاستطاعة والمنة السيرة وجبرت
بجاهك القلوب الكسيرة وسهلت المآرب العسيرة ورفع بيد العزة الضيم وكشف
بنور البصيرة الغيم وظهر القليل على الكثير وباء الكفر بخطة التعثير واستوى الدين
الحنيف على المهاد الوثير فاهتبلنا يا رسول الله غرة العدو واهتززناها وشمنا صوارم عزة
الغدو وهززناها وأزحنا علل الجيوش وجهزناها فكان مما ساعد عليه القدر
والخطب المبتدر والورد الذى حصل بعده الصدر أننا عاجلنا مدينة برغه وقد
جرعت الاختين مالقة ورنده من مدافن دينك ومزاين ميادينك أكؤس الفراق

وأذكرت مثل من بالعراق وسدت طرق التزاور عن الطراق وأسالت المسيل
بالنجيع المراق في مراصد المراد والمراق ومنعت المراسلة مع هدى الحمام لا بل
مع طيف المنام عند الالمام فيسر الله تعالى اقتحامها وأحتيض الشفار في زرق
الكفار المامها وأزال بشبا السيوف من بين تلك الحروف اقحامها فانطلق المسرى
واستبشرت القواعد الحسرى وعدمت بطريقها المخيف مصارع الصرعى ومناقب
الاسرى والحمد لله على فتحه الاسنى ومنحه الاسرى ولا اله الا هو منفل قيصر وكسرى
وفاتح مغلقاتهما المنيعة قسرا واستولى الاسلام منها على قرار جنات وأم بنات
وقاعدة حصون وشجرة غصون طهرت مساجدها المغتصبة المكرهه وجمع بمحفلها
المصلى الاقبل وابرهه وانطلقت بذكر الله الالسنة المدرهه وفاز بسبق ميدانها
جيادك المرهه هذا وطاغية الروم على توفر جموعه وهول مرتبه ومسمعه
قريب جواره بحيث يتصل خواره وقد حرك اليها الحنين حواره ثم نازل المسلمون بعدها
ثغر الاسلام الذى أعيا النطاسى علاجه وكرك هذا القطر الذى لا تطاول أعلامه
ولا تساول أعلاجه وركاب الغارات التى تطوى المراحل الى نكاية المسلمين على البرود
وبحر الحيات التى لا تخلع على اختلاف الفصول جلود الزرود ومنغص الورود فى العذب
المورود ومقض المضاجع وحلم الهاجع ومجهز الخطب الفاجئ الفاجع ومستدرك
فائتة الراجع قبل هبوب الطائر الساجع حصن أشر حماه الله تعالى دعاء لا خبرا كما جعله
للمتفكرين فى قدرته معتبرا فأحاطوا به احاطة القلادة بالجيد وأذلوا عزته بعزة
ذى العرش المجيد وحفت به الرايات يسمها وسمك ويلوح فى صفحاتها اسم الله تعالى
واسمك فلا ترى الا نفوسا تتزاحم على مورد الشهادة أسرابها وليوثا يصدق فى الله
تعالى ضرابها وأرسل الله عليها رجزا اسرائيليا من جراد السهام تشذ آياته عن
الافهام وسدد الى الجبل النفوس القابلة للالهام من بعد الاستغلاق والاستبهام
وقد عبثت جوارح صخوره فى قنائص الهام وأعيا صعبه على الجيش اللهام فأخذ
صاعقه النقض والنقب وزغا فوق أهله الصقب ونصبت المعارج والمراقى وفرعت
المناكب والتراقى واغتنم الصادقون مع الله تعالى الحظ الباقى وقال الشهيد السابق
بالفوز استباقى ودخل البلد فالتهم السيف واستلب الحق والزيف ثم استخلصت
القصبة فعلت أعلامك فى ابراجها المشيده وظهر نا شد دينك منها بالتشيده وشكر الله
تعالى فى قصدها مساعى النصائح الرشيده وعمل ما يرضيك يارسول الله فى سد ثلمها وصون
مشتاتها ومداواة ألمها حرصا على الاقتداء فى مثلها بأعمالك والاهتداء بمشكاة
كمالك ورتب فيها الحماة تشجى العدو وتصل فى مرضاة الله تعالى ومرضاتك رواحها
الغدو ثم كان الغزو الى مدينة اطريرة بنت حاضرة الكفر اشبيلية التى أظلتها بالجناح
الساتر وأنامتها فى ضمان الامان للحسام الباتر وقد وتر الاسلام من هذه المومسة
البائنة بوتر الواتر واحتفظ منها بذى الوضاح المهاتر لما جرته على أسراه من عمل الخاتل
الخاتر حسب المنقول لاهل التواتر فطوى اليها المسلمون المدى النازح ولم تثن المطى

الروازح

الروائح وصدق في الجد جدها المازح وخفقت فوق أوكارها أجنحة الاعلام وغشيتها أفواج الملائكة المسومة وظلال الغمام وصابت من السهام ودق الرهام وكاد يكفى السهام على الارض ارتجاج أطوادها بكلمة الاسلام وقد صم خاطب عروس الشهادة عن الملام وسمح بالعزيز المصون مبايع الملك العلام وتكلم لسان الحديد الصامت وصمت الابذكر الله لسان الكلام ووفت الاوتار بالاوتار ووصل بالنعلى دروع الابيض البتار وسلطت النار على أربابها وأذن الله تعالى في تبار تلك الامة وتبابها فنزلوا على حكم السيف آلافا بعد أن أتلفوا بالسلاح اتلافا واستوعب المقاتلة كافا وقرنوا في الجذل اكتافا وحملت العقائل والخرائد والولدان والولائد اركابا من فوق الظهور وأردافا وأقلت منها أفلاك الحمول بدورا تفى من ليالى المحاق أسدافا وامتلأت الايدى من المواهب والغنائم بما لا يصوره حلم النائم وتركت العوافى تتداعى الى تلك الولائم وتفتن من مطاعمها في الملائم وشنت الغارات على حمص جلات خارجها امتضارا وكست كبار الروم بها صغارا وأجرت ابطالها اجارا واستاقت من النعم ما لا يقبل الحصر استبحارا ولم يكن الا أن عدل القسم واستقل بالقفول العزيز الرسم ووضح من التوفيق الوسم فكانت الحركة الى قاعدة جيان قيمة الطلل الابرد ونسيجة المؤال المفرد وكناس الغيد الخرّد وكرسى الاماره وبحر العماره ومهوى هوى الغيث الهتون وحزب التين والزيتون حيث خندق الجنة تدنو لاهل النار مجانيه وتشرق بشواطئ الانهار اشراق الازهار زهر مبانيه والقلعة التى تحجبت بنان شرفاتها بخواتم النجوم وهمت من دون معاصمها البيض سحائب الغيث السجوم والعقيلة التى أبدى الاسلام يوم طلاقها وهجوم فراقها سامة الوجوم لذلك الهجوم فرمتها البلاد المسلمة بافلاذ أكبادها الوادعه وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادعه وحبتها بالقادحة الفادعه نفضت الربا والوهاد بالتكبير والتهليل وتجاوبت الخيل بالصهيل وانهالت الجموع المجاهدة في الله تعالى انهيال الكثيب المهيل وفهمت نفوس العباد المجاهدة في الله تعالى حق الجهاد معانى التيسير من ربها والتسهيل وسفرت الرايات عن المرأى الجميل وأربت المحلات المسلمة على التأميل ولما صبحتها النواصى المقبلة الغرر والاعلام المكتتبة الطرر برزحاميتها مصحرين وللعورة المستباحة مستنصرين فكاثرهم من سرعان الابطال رجل الدبى وثبت الوهاد والربا فأجحروهم من وراء السور وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور وتركت صرعاهم ولائم للنسور ثم اقتحموا ربض المدينة الاعظم فافترعوه وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه وأكؤس الحتوف جرعوه ولم يتصل أولى الناس باخراهم ويحمد بجميم النصر العزيز سراهم حتى جدل الكافر الصبر وأسلم الجلد وأنزل على المسلمين النصر فدخل البلد وطاح في السيل الجارف الوالد منه والولد وأتم الطارف والمتلد فكان هولا بعيد الشناعه وبعثا كقيام الساعه أعجل المجانيق عن الركوع والسجود والسلالم عن مطاولة النجود والادى عن ردم الخنادق والاغوار والاكبش

عن مناطحة الاسوار والنفوط عن اصعاق الفيار وعمد الحديد ومعاول البأس الشديد
عن نقب الابراج ونقض الاحجار فهلك الكفار وأبيد الشيب والشبان وكسرت
الصلبان وفجع بهدم الكنائس الرهبان وأهبطت النواقيس من مراقيها العاليه
وصروحها المتعاليه وخلعت ألسنتها الكاذبه ونقل ما استطاعته الايدى الجاذبه
وعجزت عن الاسلاب ذوات الظهور وجلل الاسلام شعار العز والظهور بساحات عن
مثل سوالف الدهور والاعوام والشهور واعرست الشهداء ومنوا النفوس المبيعة
من الله تعالى نحل الصدقات والمهور ومن بعد ذلك هدم السور ونحيت عن محيطه
المحكم السطور وكاد يسير ذلك الجبل الذى افتقدته المدينة ويدك ذلك الطور ومن
بعد ما خرب الوجار عقرت الاشجار وعفر المنار وسلطت على بنات التراب والماء النار
وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصائب وأصمى لبتها السهم الصائب وجللتها الفجائع
العصائب فالذئاب فى الليل البهيم تعسل والضباع من الحدب البعيد تنسل
وقد ضاقت الجدل عن الخانق وبيع العرض الثمين بالدانق وسبكت اسورة
الاسوار وسويت الهضاب بالاغوار واكتسحت الاحواز القاصية سرايا الغوار
وحجبت بالدخان مطالع الانوار وخلفت قاعها عبرة للمعتبرين وعظة للناظرين وآية
للمستبصرين ونادى لسان الحميه بالثارات الاسكندريه فأسمع آذان القيسى
والمسافرين وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين ثم كانت الحركة الى أختها
الكبرى ولدتها الحزينة عليها العبرى مدينة أبدة ذات العمران المستبحر والربض المخترق
المصحر والمبانى الشم الانوف وعقائل المصانع الجمة الحلى والشنوف والنباب الانوف
بلدة التجر والعسكر الجر وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله تعالى الكذب
الفجر فخذل الله تعالى حاميتها التى يعيى الحسبان عدها وسجر بحورها التى لا يرام مدها
وحقت عليها كلمة الله تعالى التى لا يستطاع ردها فدخلت لاول وهله واستوعبتها
والمنة لله تعالى فى نهله ولم يكف السيف من عليها ولا مهله فلما تناولها العفاء والتخريب
واستباحها الفتح القريب وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب
وأقعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب وأضرعت مسابقها الهول المصاب انصرف
عنها المسلمون بالفتح الذى عظم صيته والعز الذى سما طرفه واشرأب ليته والعزم الذى
حمد مسراه ومبيته والحمد لله ناظم الامر وقد راب شتيته وجابر الكسر وقد أفات الجبر
مفيته ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة
التى على عمل أهلها فى القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسى الذى بعصاه رعى
الهمل والمصر الذى له فى خطة المعمور الناقة والجمل والافق الذى هو لشمس الخلافة
العبشمية الحمل مخيم الاسلام بعقوتها المستباحه وأجازتم رهاالمعى على السباحه
وعمم دوحها الاشب بوارا وأدار الكماة بسورها سوارا وأخذوا بمخنقها حصارا وأعمل
الفضل بشجر نصلها اجتناء ما شاء واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انجحارا
فأعمل الى المسلين اصحارا حتى فرع بعض جهاتها اغلابا جهارا ورفعت الاعلام اعلاما

بعز الاسلام واظهارا فلولا استهلال الغوادى وان أتى الوادى لافضت الى فتح الفتوح
تلك المبادى واقضى تفشه العاكف والبادى فاقتضى الرأى وإذن الزمان فى اغتصاب
الكفر اياها منتاب نعمل بشراه بفضل الله تعالى أقتاء وأقتاب ولكل أجل كتاب
أن نراض صعبها حتى يعود ذلولا وتعفى معاهدها الاهلة فتترك طلولا فاذا بفع الله تعالى
بمارج النار طواتفها المارجه واباد بخارجها الطائرة والدارجه خطب السيف
منها أم خارجه فعند ذلك أطلقنا بها ألسنة النار ومفارق الهضاب بالهشيم قد شابت
والغلات المستغلات قد دعاها الفضل فما ارتابت وكان صحيفة نهرها لما أضرمت النار
حافى ظهرها اذابت وحية قرت أمام الحريق فانسابت وتخلفت الغمائم الدخان عمائم
تلوى بها رؤس الجبال أيدى الرياح وتنشرها بعد الركود أيدى الاجتياح وأغريت
باقطارها الشاسعه وجهاتها الواسعه جنود الجوع وتوعدت بالرجوع فسلب
أهلها التوقع الهجوم منزور الهجوع فاعلامها خاشعة خاضعه وولدانها لثدى البؤس
راضعه والله سبحانه يوفد بخبر فتحها القريب ركاب البشرى وينشر رحمته قبلها نشرا
ثم تنوعت يا رسول الله لهذا العهد أحوال العدو تنوعا يوهم افاقته من الغمره وكادت
فتنته تؤذن بخمود الجمره وبوقع الواقع وحذر ذلك السم الناقع وخيف الخرق الذى
يحار فيه الراقع فتعرفنا عوائد الله سبحانه ببركة هدايتك وموصول عنايتك فأنزل
النصر والسكينه ومكن العقائد المكينه فثابت العزائم وهبت واطردت عوائد الاقدام
واستتبت وماراع العدو الا خيل الله تعالى تجوس خلاله وشمس الحق توجب ظلاله
وهلال الذى هديت يدحض ضلاله ونازلنا حصنى قنبيل والحائر وهما معقلان
متجاوران يتناجى منهما الساكن سرارا وقد اتخذا بين النجوم قرارا وفصل بينهما حسام
النهر يروق غرارا والتف معصمه فى حلة العصب وقد جعل الجسر سوارا فخذل الصليب
بذلك الثغر من تولاه وارتفعت أعلام الاسلام بأعلاه وتبرجت عروس الفتح المبين
بجلاه والحمد لله تعالى على ما أولاه ثم تحركنا على نفثة تعدى ثغر الموسطة على عدوه
المساور فى المضاجع ومصبحه بالفاجئ الفاجع فنازلنا حصن روطة الآخذ بالكظم
المعترض بالشجا اعتراض العظم وقد خصنه العدو مدداً انجيسا ولم يال اختياره رأيا
ولا تلبيسا فأعيا داؤه واستقلت بالمدافعة أعداؤه ولما أتلع اليه جيد المجنيق
رقد برك عليه برك الفنيق وشد عصام المنع الوثيق لجأ أهله الى التماس العهود والمواثيق
وقد غصوا بالريق وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق فسكناه من حامية المجاهدين بمن
يحمى ذماره ويقرر اعتماره واستولى أهل الثغور الى هذا الحد على معاقل كانت مستغلقة
ففتحوها وشرعوا أرشية الرماح الى قلب قلوبها فمتحوها ولم تكد الجيوش المجاهدة
تنفض عن الاعراف متراكم الغبار وترخى عن آباط خيلها الشد حزم المغار حتى عاودت
النفوس شوقها واستبعث ذوقها وخطبت التى لا فوقها وذهبت بها الآمال الى الغاية
القاصيه والمدارك المتصاعبة على الافكار المتعاصيه فقصدنا الجزيرة الخضراء باب هذا
الوطن الذى منه طرق وادعه ومطلع الحق الذى صدع الباطل صادعه وثنية الفتح التى

رق منها الامعه ومشرف الهجوم الذى لم تكن لتمتد على غيره مطامعه ومرصة المجاز التى لاتنكر وبجمع البحرين فى بعض مايذكر حيث يتقارب الشطان ويتوازى الخطان وكاد أن تلتقى حلقتا البطان وقد كان المكر قدر قدره هذه المرصة التى طرق منها حماه ورماه الفتح الاول بما رماه وعلم أن لاتتصل أيدى المسلمين باخوانهم الا من تلقائها وانه لايعدم المكروه مع بقائها فأجلب عليها برجله وخيله وسد أفق البحر بأساطيله ومراكب أباطيله بقطع أمله وتداعى المسلمون بالعدوتين الى استنقاذها من لهواته أوامساكها من دون هواته فعجز الحول ووقع بملكه اياها القول واستأزها قهرا وقد صابرت الضيق مايناهز ثلاثين شهرا وأطرق الاسلام بعدها اطراق الواجم واسودت الوجوه لخبرها الهاجم وبكتها حتى دموع الغيث الساجم وانقطع المدد الامن رحمة من ينفس الكروب ويغرى بالادالة الشروق والغروب ولما شكابنا الله تعالى نحرها وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الارض تكاثر نجم السماء برها وبحرها ونازلناها نديقها شديد النزال ونجمنا بصدق الوعيد فى سبيل الاعتزال رأينا بأوالابطاء الاباالله تعالى ولا ابطال ومنعة يتحاماها الابطال وجنابا روضه الغيث الهطال أماأسواقها فهى التى أخذت الصد والغرر واستعدت بخلاء الجلاد عن البلاد فارتبكت الدور تحوز بحرا من العمارة ثانيا وتشكك أن يكون الانس لها بانيا وأما أبراجها فصفوف وصنوف تزين صفحات السائف منها أنوف وآذان لها من دوامغ الصخر شنوف وأما خندقها فصخر مجلوب وسور مقلوب فصدقها المسلمون القتال بجعب محاها من نفوسهم واقتران اغتصابهم بابيوسهم وأذول شموسهم فرشقوها بالنبال بطلال تحجب الشمس فلا يشرق سناها وعبروا الى المراقى البعيدة لايعون منها وهو سهاالنقابا وحصونها عقابا ودخلوا مدينة البنة بنتها غلابا واحسبوا السيوف استلالاوالايدى اكتسابا واستوعب القتل مقاتلتها السابقة الجن البالغة التى وأخذهم الهول المتفاقم وجدلوا كأنهم الاراقم لم تفلت منهم عين تطرف ولا لسان يلى من يستطلع الخبر أو يستشرف ثم سمت الهمم الايمانية الى المدينة الكبرى فداروا سوارا على سورها وتجاسروا على اقتحام أودية الفناء من فوق جسورها ودنوا اليها بالضروب من حيل الحروب بروجا مشيده ومجانيق توثق حبالها منها نشيده وخفقت بنصر الله تعالى عذبات الاعلام وأمدت الملائكة مدد السلام فخذل الله تعالى كفارها وأكهم شفارها وقلم بيد قدرته أظفارها فالتمسوا الامان للخروج ونزلوا على مراقى العروج الى الاباطح والمروح من سماتها ذات البروج فكان بروزهم من العراء الى الارض تذكرة بيوم العرض وقد جلل المقاتلة الصغار وتعلق بالامان النساء والصغار وبودرت المدينة بالتطهير ونطقت المآذن العالية بالاذان الشهير والذكر الجهير ومارحت كفارها التماثيل عن المسجد الكبير وأزرى بألسنة النواقيس لسان التهليل والتكبير وأرات عن الصروح أبراجها يعى الهندام مرامها وألقى منبر الاسلام بها جرانه وأفانت غربته وأعيد اليه قربه وقربته وتلا راعظ الجمع المشهود

انقابا
كذا
ساقطا
صل
سروها
ايلام
صحيحه

ذول منجر الوعود وبورق العرد وماظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فكان الدمع يغرق الآماق والوجد يستأصل الارماق وارتفعت الرغبات وعلت السبات وجئ بأسرى المسلمين يرسفون فى القيود الثقال وينسلون من أجداث الاعتقال نفكت عن سوقهم أساود الحديد وعن أعناقهم فلكات البأس الشديد وظللوا بجناح اللطف العريض المديد وترتبت فى المقاعد الحاميه وأزهرت بذكر الله تعالى المآذن الساميه وعادت المدينة لاحسن أحوالها وسكنت من بعد أهوالها وعادت الجالية الى أموالها ورجع الى القطر شبابه ورد على دار الاسلام بابه واتصلت بأهل لا اله الا الله أسبابه فهى اليوم فى بلاد الاسلام قلادة النحر وحاضرة البر والبحر أبقى الله تعالى عليها وعلى ماوراءها من بيوت أمتك وودائع الله تعالى فى ذمتك بكامة دينك الصالحة الباقيه وسدل عليه أستار عصمته الواقيه وعدنا والصلاة علينا شعار البروز والقفول وهجيرى الشروق والافول والجهاد يارسول الله الشأن المعتمد ما امتد بالاجل الامد والمستعان الفرد الصمد ولهذا العهد يارسول الله صلى الله عليك ولغ وسيأتى اليك بلغص هذا القطر المرتدى بجاهك الذى لايذل من ادرعه ولايضل من اهتدى بالسبيل الذى شرعه الى أن لاطفنا ملك الروم بأربعة من البلاد كان الكفر قد اغتصبها ورفع التماثيل ببيوت الله تعالى ونصبها فانجاب عنها نور الحلك ودار بادالتها الى دعوتك الفلك وعاد الى مكانها القرآن الذى نزل به على قلبك الملك فوجبت مطالعة مقرك النبوى بأحوال هذه الامة المكفولة فى حجرك المفضلة بادارة حجرك المهتدية بأنوار فجرك وهل هو الاثمرات سعيك وتمائم رعيك وبركة حبك ورضاك الكفيل برضا ربك وغمام رعدك وانجاز وعدك وشعاع من نور سعدك وبذر يجنى ريعه من بعدك ونصر رايتك وبرهان آيتك وأثر حمايتك ورعايتك واستنبت هذه الرسالة ماثجة بحر الندى الممنوح ومفاتحة باب الهدى بفتح الفتوح وقارعة المظاهر والصروح وملقية الرحل بمتنزل الملائكة والروح لتمد الى قبولك يد استمناح وتطير اليك من الشوق الحثيث بجناح ثم تقف بموقف الانكسار وان كان تجرها آمنا من الخسار وتقدم بأنس القربه وتحجم بوحشة الغربه وتتأخر بالهيبه وتجهش لطول الغيبه وتقول ارحم بعد دارى وضعف اقتدارى وانتزاح أوطانى وخلو أعطانى وقلة زادى وفراغ مزادى وتقبل وسيلة اعترافى وتغمد هفوة اقترافى وعجل بالرضا انصراف متحملى لانصرافى فكم جبت من بحر زاخر وقفر بالركائب ساخر وحاش لله تعالى أن يخيب قاصدك أو تتخطانى مقاصدك أو تطردنى موائدك أو تضيق عنى عوائدك ثم تقدمقتضية مزيد رحمتك مستدعية دعاء من حضر من أمتك وأصحبتها يارسول الله عرضا من النواقيس التى كانت بهذه البلاد المفتتحة تعين الاقامة والاذان وتسمع الاسماع الضالة والآذان

عما قبل الحركه وسالم المعركه ومكن من نقله الايدى المشتركه واستحق بالقدوم عليك والاسلام بين يديك السابقة فى الازل البركه وما سواها فكانت جبالا عجزعن نقلها الهندام فنسخ وجودها الاعدام وهى يارسول الله جنى من جنانك ورطب من أفنانك وأثر ظاهر علينا من مسحة حنانك هذه هى الحال والاتصال والعائق أن تشد اليك الرحال ويعمل الترحال الى أن نلقاك فى عرصات القيامة شفيعا وفضل جاهك ان شاء الله تعالى محلا رفيعا ونقدم فى زمرة الشهداء الدامية كلومهم من أجلك الناهلة غللهم من سجالك ونبتهل الى الله تعالى الذى أطلعك فى سماء الهداية سراجا وأعلى لك فى السبع الطباق معراجا وأم الانبياء منك بالنبى الخاتم وقفى على آثار نجومها المشرقة بقمرك العاتم أن لا يقطع عن هذه الامة الغريبة أسبابك ولا يسد فى وجوهها أبوابك ويوفقها الاتباع هداك ويثبت أقدامها على جهاد عداك وكيف تعدم ترقيها أو تخشى بخسا وأنت مرقيها أو يعذبها الله تعالى وأنت فيها وصلاة الله وسلامه تحط بفنائك رحال طيبها وتهدر فى ناديك شقاشق خطيبها ما أذكر الصباح الطلق هداك والغمام السكب نداك وما حن مشتاق الى لثم ضريحك وبليت نسمات الاسحار عما استرقت فى ريحك

وكتب فى هكذا انتهت الرسالة وفيها ما لا خفاء به من براعة لسان الدين رحمه الله تعالى وقدس روحه الطاهرة آمين (ومما) علق بحفظى من نثره رحمه الله تعالى أثناء رسالة فى العزاء خاطب بها ملك المغرب قوله بعد كلام أين مروان بن الحكم ودهاؤه وعبد الملك بن مروان وبهاؤه والوليد وبناؤه وسليمان وغذاؤه وعمر بن عبد العزيز وشاؤه ويزيد ونساؤه وهشام وخيلاؤه والوليد وندماؤه والجعدى وآراؤه أم أين السفاح وصمصامه والمنصور واعتزامه والمهدى واعظامه والهادى واقدامه والرشيد وأيامه والامين وندامه والمأمون وكلامه والمعتصم واسراجه والجامه انتهى (وقد تقدم) كلام أبى الخطاب بن دحية فى هذا المعنى بطوله فى الباب الثانى من هذا القسم فليراجع ثمة (قلت) وقد تقدم فى الخطبة نماذج لمثل هذا وقد كنت نسجت على منوال لسان الدين وأنا بالمغرب نثرا مما لم يحضرنى منه الآن غير قولى أين الاسكندر ويونانه وشداد وبنيانه والنمرود وعدوانه وفرعون وهامانه وقارون وطغيانه وكسرى أنوشروان وايوانه وقيصر وبطارقته وأعوانه وسيف بن ذى يزن وغمدانه والمنذر ونعمانه الى أن قلت وأين أبو بكر رضى الله تعالى عنه وثباته وعمر رضى الله تعالى عنه ونباته وعثمان رضى الله تعالى عنه وقرباته أم أين على رضى الله تعالى عنه وشجاعته وعلمه وأين معاوية رضى الله تعالى عنه وحلمه وأين يزيد وظلمه ثم ذكرت ما تقدم للسان الدين وقلت بعده وأين الواثق وغناؤه والمتوكل ومواليه وأولياؤه وأبناؤه والمنتصر وآماله والمعتز وجماله والمستعين وعماله والمهتدى وأعماله والمعتضد وذكاؤه واحاطته بالاخبار واشتماله والمقتدر ونساؤه واهماله الى أن قلت وأين بنو عبيد وضلالهم وبنو بويه وجلالهم وبنو سلجوق وقتالهم وبنو سامان واعظامهم وبنو أيوب وصلاحهم والجراكسة ومماليكهم وسلاحهم (ثم قلت) فى ملوك المغرب وأين عبد الرحمن الداخل وأمراؤه والناصر

وزهراؤه والحكم ووزراؤه والمؤيد وظهراؤه أم أين المنصور بن أبي عامر وغزواته ومواليه والمظفر وأدواته ومعاليه أم أين بنو حمود وعلاهم وأوصياؤهم وحلاهم وبنو جهور وحزمهم وبنو باديس وعزمهم وأين بنو عباد ومعتمدهم الذي سنى كرمه للمعتفين باد وبنو ذي النون ومزيتهم وبنو صمادح ومريتهم وبنو الافطس وشهود وما كان لهم من المكارم في الحفل المشهود وأين لمتونه وصبرهم الذي ركبوا متونه أم أين الموحدون وناصرهم ومنصورهم ومصانعهم وقصورهم أم أين بنو الاحمر وغرناطتهم وازالتهم عن حوزة الدين أدناس المعتدين وامالتهم وجعلهم الامور لمثل ابن الحكيم ولسان الدين وامالتهم أم أين بنو مرين وفارسهم ومغانيهم ومدارسهم وأين بنو زيان ومنازلهم الشاهقه وأشجار عزمهم الباسقه وأين الحفصيون ومستنصرهم الذي قضى للمعالي الديون وأبو فارس الذي شنفت بأخباره آذان الطروس والمهارق طحنت والله تعالى الجميع رحى المنون وتأيمت الازواج ويتم البنون وطالت الايام والسنون وبقيت القصور العالية خاليه والرسوم المتكاثرة داثره والسلوك المنظومة متناثره وعن قريب يقف الكل بين يدي رب الارباب في يوم تذهل فيه الالباب وتتقطع الامن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسباب ويقتص للمظلوم من الظالم وتنهج للنجاة الطرق والمعالم وتبلى السرائر لدى من هو بها عالم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم يحكم الله تعالى في الخلائق بالحق حسبما سبق في علمه اذ جعلهم قريبا وبعيدا وشقيا وسعيدا اللهم اجعلنا في ذلك اليوم الصعب ممن فاز بالجاه وجار شفاعة نبيك ومصطفاك ذي الحرمة والجاه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم انتهى (رجع) لمثل لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

(ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى) ما خاطب به سلطان المغرب أبا زيان لما تم له الامر وهو مشتمل على نظم ونثر ونصه

يا ابن الخلائف يا سمي محمد * يا من علاه ليس يحصر حاصر
أبشر فأنت مجدد الملك الذي * لولاك أصبح وهو رسم داثر
من ذا يعاند منك وارثه الذي * بسعوده فلك المشيئة دائر
ألقت اليك يد الخلافة أمرها * اذ كنت أنت لها الولي الناصر
هذا وبينك للصريخ وبينها * حرب مضرسة وبحر زاخر
من كان هذا الصنع أول أمره * حسنت له العقبى وعز الآخر
مولاي عندي في علاك محبة * والله يعلم ما تكن ضمائر
قلبي يحدثني بأنك جابر * كسري وحظي منك حظ وافر
بشرى بجدودك قد حططت سفينتي * وسيأتي لعلاك نور باهر
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما * يأتي الملك سيف أمرك عامر
فهو الولي لدى الذي اقتحم الردى * وقضى العزيمة وهو سيف باتر
وولي جدك في الشدائد عندما * خذلت علاه قبائل وعشائر

فاستمد منه النصح واعلم أنه * فى كل معضلة طبيب ماهر
ان كنت قد عطلت بعض مدائحى * فهى الرياض وللرياض بواكر

مولانا وعمدة ديننا ودنيانا الذى سخر الله تعالى البر والبحر بأمره وحكم فوق السموات السبع بعز نصره وأغنى يوم سعده عن سل السلاح وشهره وفتق عن زهر الصنع الجميل كمامة تسليمه وصبره وقيض له فى علم غيبه وزيرا مدخورا لشد أزره ورد الملك اليه على حال حصره الخليفة الامام الذى استبشر به الاسلام وخفقت بعزه الاعلام ولاح بدر محياه فانتض الظلام المقتدى بالنبى الكريم سميه فى المراشد التى تألق منها الصبح والمقاصد التى لازمها النجح والتمحيص الذى تبعه المنح حتى فى الهجرة التى جاء بعدها الفتح أبو زيان ابن مولانا السلطان ولى العهد ترشيحا ومآلا ومؤمل الاسلام تقلدا للمذهب الصريح وانتحالا وأمير المسلمين لو أوسعه القدر امهالا ووسطى عقد البنين خلالا تقى متعددة وخلالا المختص بالشهادة ولما يعرف بدره هلالا المعوض بما عند الله تعالى سعادة ألبسته سربالا وأبلغته من رضوان الله تعالى آمالا أبى عبد الرحمن ابن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء وعنصر الصبر والوفاء وستر الله تعالى المسدول على الضعفاء والمجاهد فى سبيل الله تعالى بنفسه وماله المنيف على مراكز النجوم بهممه وآماله المقدس أبى الحسن ابن موالينا الخلفاء الطاهرين والائمة المرضيين من قبيل بنى مرين وصفوة الله تعالى فى هذا المغرب الاقصى من اوليائه المؤمنين وزينة الدنيا وعمدة الدين هنأه الله تعالى ما أورثه من سرير الملك الاصيل وخوله من سعادة الدنيا والدين على الاجمال والتفصيل وتوجه من تاج العزة القعساء عند اشتداد السبيل وعوضه من قبيل الملائكة عند تشتت القبيل وجعل قدمه الراسخه وآياته الناسخه وربوته السامية الباذخه وعزة نصره الشادخه وأوزعه شكر آلائه فى الخلاص من ملكة أعدائه وخطر البحر وعدوان مائه وغول السفر وارتكاب الغرر وثبات أقدام أوليائه الذين ما بدلوا تبديلا ولا ارتضوا القبلة طاعته بعد أن ولوا وجوههم شطرها تحويلا بل صبروا صبرا جميلا وباعوا نفوسهم تتميما لعقدة ايمانهم وتكميلا يسلم على مقامكم الذى وسم السعد مشرق جبينه وذخرت قبول الطاعة ليمينه وأقسم السعد بطاهرة أمره السعيد فبر والشكر لله تعالى فى يمينه عبدكم الذى اعتلق منكم بالوسيلة الكبرى وقر بملككم عينا وشرح صدرا وبذل الجهد وان قل قدرة وقدرا والتمس لكم الدعاء علنا وسرا ابن الخطيب الذى حط رحل اقتصاده بتراب الملوك الكرام بعد ودكم محاريب بركم وأسباب وجودكم وآبائكم الذين فى مثاويهم ورعيهم يظهر للناس مخايل هداكم ونذر مصائب جودكم ملتحفا منذ سنتين بأمونة قبورهم وثيابها مستظلا بأفنيتها المعظمة وقبابها متمرغا خده بترابها مواصلا الصراخ بالمرينى وباليعقوب متطارحا على أبوابها فلم يتح الله تعالى له نصرة ترعى الضيف وتحمى الدخيل أو حجة تدفع الضيم وتشفى الغليل الا على يدكم يا أيها الكريم ابن الكريم وبطل الميدان فى موقف الهول العظيم المدخور لنصر المظلوم وانصاف الغريم واجالة أعلام الفتح بفتح الاقاليم

كتبه

كتبه مهنئا بما سنى الله تعالى لكم من الصنع الذى خرق حجاب العاده وأرى اعجاز
السعاده مجلا ذلك بين يدى المبادرة الى اثم بساطكم الذى لثمرف وجوهها تلثمه الوجوه
وتغشاه الاملاك الجبابرة وتزجوه وأداء الواجب من القيام بمنظوم ثنائه فى الحفل
المشهود والابلاغ لسان الجد وسع المجهود والقاء ما عند العبد من خلوص وجنوح
وحب واضح أى وضوح فولى دعوتكم الشيخ ابو ثابت أعزه الله تعالى يقرره ويبين
مجمله ويفسره والعبد واثق بفضل الله تعالى على يديكم وملتمس النصر لديكم وقاطع أن
طلبته بكم تتسنى وانكم سبب عاقبته الحسنى اما بالظهور على الوطن الذى تجرأ به
المتغلب على ملككم ومد اليد الى شرككم ونقص ارثكم المسلم المحرر وزلزل وطنكم
المؤسس على الطاعة المقرر وأضرم النار فى بسائطكم وجبالكم وأطلق يد الفتنة على
بيوت أموالكم ومتكثرا عليكم بالقله متعززا بالذله جانيا على داركم بما لا تبيحه الملة
أو بالشفاعة الجازمة ان لم يأذن الله تعالى فى الانتصاف والله تعالى يجعل الظهور بكم
من الاوصاف ويعينكم على جبر الكسير وتيسير الامر العسير ويهنيكم منحة الملك
الكبير ويبقى كلمته فى عقبكم بعد تملى التعمير والسلام *(وله رحمه الله تعالى) فى مخاطبة
السلطان أبى زيان المذكور المولى الذى طوق المنن وأحيا السنن وأنبت الله تعالى حبه
فى القلوب النبات الحسن ناظم كلمة الدين بعد انتشارها ومقيل عثارها والآخذ بثارها
والمجدد لآثارها السلطان أبو زيان الى آخره أبقاكم الله تعالى عالى القدم منصور العلم
ظاهرا على الامم مقصود الحمى كالركن الملتزم عبد مقامكم الذى آويتموه غريبا
وآنستموه مريبا وأنلتموه على عدوه الدهر نصرا عزيزا وفتحا قريبا فلم يخش دركا وتثريبا
ولا عدم حظوة وشفقة ونعمة وتقريبا ابن الخطيب عن ثناء يعطر الآفاق ويرقم
الاوراق ويخرق الجيوب والاطواق وحب بهر نورا وراق وجاس اشتهاره الشام
والعراق ويطالع العبد محل مولاه الذى خلف ببابه قلبه وولده وصبره وجلده وصير
وطنه داره الحقيق وبلده أنه لما قدم على محل أخيه المعتمد بما أودع الله تعالى من
الخلال الشريفة فيه مولاى ابن مولاى أبى عبد الله كمل الله تعالى جميل رعيه وكرم
عهده وحكم باعلاء جده ومضاء حده رعى الوسيله وصدق المخيله وجلا عند اجتلاء
مخاطبتكم أسارير الفضيله فلم يدع حقا الا صرفه ولا نكرة الا عرفه ولا نعمة الا اسكبها
ولا مزية الا أوجبها ولا رتبة الا أعلاها ولا نعمة الا أولاها وماذاك يا مولاى وان
تعددت الرسائل والاذمه وادكرت القرب بعد أمه الا بوصاتكم التى لا تهمل
وحرمتكم التى لا تجهل وعطف مقامكم الذى اشتهر واعتنائكم بعبدكم الذى راق
وبهر فالعبد عبدكم بكل اعتبار وخديمكم وان نأت الدار ومحسوب على نعمة مقامكم
الرفيع المقدار والاهل فى مقامكم غير منقطع السبب والاهل والولد تحت كنف
مقامكم الاصيل الحسب حتى يمن الله تعالى بجمع بيته وزيارة رسوله على يديكم ويكون
قضاء هذا الوطر منسوبا اليكم وبعد هذا يستقر القرار حيث يختار من يخلق ما يشاء
ويختار بحول الله تعالى والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدى وداعه وبرأى وزيره

السعد واستماعه من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره ونجاح أحواله واستقامة أموره ويمنيه بصدق الوعد وامطار الرعد وظهور السعد وهى وسيلة اذا عدت الوسائل وروعيت الذمم الجلائل ومثل مولاى من رعى وأبقى وسلك التى هى أبر وأتقى وما قصر عنه القلم من حق مولاى فالرسول أعزه الله تعالى يتممه وما قصر عنه الرسول فالله تعالى يعلمه وهو يصل وعلاءه ويديم أيام مولاى ويبقى مجده ويصل سعده والسلام انتهى *

(ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) شيخ الدولة يحيى بن رحو قوله سيدى الذى له المزية العظمى والمحل الاسمى شيخ قبيل بنى مرين وقطب مدار الاسرار على الاجمال والتعيين والمتميز بالدهاء والرجاحه والمعرفة الفسيحة الساحه والصدقة المباحه وشروط الصوفية من ترك الاذى ووجود الراحه أسلم على ذاتكم الطاهرة التى بخلت الازمان والله أن تأتى بنظيرها وتنافست الدول فى تكبيرها وسارت المواكب الملوكية بمسيرها وأثنت الالسن بفضلها وخيرها وأقرر لديها انى أعددت من معرفتها بالاندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا اعداداله وخزنا اذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقه ولا ترد اليد الى الذخيرة الا فى اضاقة وعجز طاقه وما كانت الوصلة بمثلها ليهملها مثلى جهلا بقيمتها العاليه وازراء بجهتها الكافلة الكافيه لكن نابت عن يدها أيد وكفى عن ابتذالها ما كف الله تعالى من عمرو وزيد والآن أقرر انى قد كادت حاجتى الى ذلك العتاد أن تتعرض وزبدته أن تتمخض اذ هو حظى من رعى ذلك القبيل الذى قصرت عليه رياسته والوزير الذى من رأيه تستمد سياسته واذا وفدت خاصة هذه المدينة مهنين وبشكر ايالته الكريمة مثنين فخيمه ظل ظليل ومشاركته معتمدى فى الكثير فكيف ولا غرض لى الا فى القليل وعندى أن رعيه لمثلى لا يفتقر الى وسيلة تجلب ولا ذمام يحسب فله من قدرة در الهناء وشد أعلام الحمد والثناء سامية البناء وعرف أن الدنيا على الله تعالى أحقر الاشياء وقد رفعت أمرى كله بعد الله تعالى الى رأيك وغنيت عن سعى لنفسى بجميل سعيك والسلام *

(ومما خاطب به لسان الدين) شيخه سيدى ابا عبد الله بن مرزوق التلمسانى رضى الله تعالى عنه قوله شافعا ياسيدى أبقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه وبلغ سيادتكم ما تؤمله من فضل الله تعالى وترجوه وكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخره وجعل عز الدنيا متصلا لكم بعز الآخره بعد تقبيل يدكم التى يدها الاتزال تشكر وحسناتها عند الله تعالى تذكر أنهى الى مقامكم أن الشيخ الكذا أبا فلان مع كونه مستحق التجلة بهجرة الى أبوابكم الكريمة قدمت ووسائل من اصالة وحشمة كرمت وفضل ووقار وتنزيه للولاية ان كانت ذات احتقار ومن اقتضى الفضل بره وأدب شكر الاختبار عليه وسره له بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعيه وفى الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيه وتوجه الى بابكم والتمسك بأسبابكم والمؤمل من سيدى ستره بجناح رعيه فى حال الكبره ولحظه بطرف المبره اما فى استعمال يليق بذوى الاحتشام أو سكون تحت رعى واهتمام واعانة على عمل صالح يكون مسك ختام وهو أحق الغرضين بالتزام

واسالة سيدى فى حفظه رسم مثله على الله تعالى الذى يجزى المحسنين بفضله ومنه نسأل أن يديم أيام المجلس العلى محروسا من النوائب مبلغ الآمال والمآرب والمملوك قد قرر شأنه فى اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة البكم والتحسب فى هذه الابواب عليكم وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذى يعطى ويمنع وعلى الامر أجمع والسلام *(وكتب اليه أيضا فى الشفاعة بمانصه سيدى الاعظم وملاذى الاعصم وعروة عزى الوثقى التى لا انفصم أبقاك الله تعالى بقاء آثارك آية للعز تأمر الدهر فيأتمر ويلبى بفضائلك الطائف والمعتمر بأى لسان أثنى على فواضلك وهى أمهات المنن وطرف الشام واليمن ومقامات بديع الزمن والتحف المترفعة عن الثمن فحسبى دعاء أردده وأواليه وأرتقب مطلوب الاجابة من مقدمه وتاليه وان تشوف المنعم للحال الموقوف خبره بمشيئة الله تعالى على جميل سعيه الموسد على وطاء لطفه المغشى بغطاء رعيه فلب خافق وقلب مؤمن يجول به وسواس منافق وقد تجاوز موسى مجمع البحرين وأصبح سرى بابه سرى العين ولقد كانت مراحل الرمل قصيرة قبل أن يكسبها زجل ثقل الحركه ويخلطها سى فى وطائفها المشتركه ولبث أمرى برزالى طرف وأفضى الى منصرف وربما ظفر آيس بما يرجوه وبرز المحبوب من المكروه والله تعالى لا يفضح جاه الكتاب الذى أحيا وأنشر وحيا وبشر وأعطى صحيفته باليمين وقد جمعت مثابتكم المحشر وموصل كتابى ينوب فى تقبيل اليد العليا منابى وليعلم سيدى أن هذا القطر على شهرته وتألق مشتريه وزهرته اذا انتحل كرامه وعهد الفضل لم يبق الا انصرامه فهو لبابه المتخير وزلاله الذى لا يتغير أصالة معروفه وهمة الى الايثار مصروفه وبلاء على السن والكبرة وبجولية خليقة بصلة الحرمة والمبره والوسيلة لا تطرح والمعنى الذى لا يفسر لوضوحه ولا يشرح وهواء تقاؤه الى جناب سيدى حديثا وقديما واعترافه بنعمه مديراً لها ومديما والله تعالى يوفى من ايثار سيدى حظه ويجدد له برعيه ولحظه حتى يعود خافقاً عالم اقباله معلما برداء احتباله مسرورا ببلوغ آماله فلعمرى ان محل ولايته لكنى وان عهد أملته لوفى وان عامل جده لطاهر وخفى ومايفعله سيدى من رعيه وانجاح سعيه محسوب من مناقبه ومعدود فى فضل مذاهبه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * وقد تكررت فى كتابنا هذا مخاطبات لسان الدين رحمه الله تعالى للخطيب بن مرزوق المذكور نظما ونثرا اذ كان أعنى ابن مرزوق رئيس الدوله ومعتمدا لجله وسبق منا التعريف ببعض أحواله فى باب مشايخ لسان الدين بما جرته المناسبة فليرجع اليه من أراده والله تعالى يجعل الجميع من أهل السعاده * (ومما اشتمل على نثر لسان الدين ونظمه ماخاطب به الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من بجر المريه واستقر ببلد بسكرة عند رئيسها أبى العباس بن مزنى صحبة رسالة خطبها أخوه ابوزكريا وقد تقلد كتابة صاحب تلمسان ووصل الكتاب عنه من انشائه وهذه صورة ما كتبه لسان الدين رحمه الله تعالى

بنفسى ومانفسى على بهينة * فينزلنى عنها المكاس باثمان

حبيب نأى عنى وصم لأنتى • وراش سهام البين عمدا فأصمانى
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا • فقد آذنى لما ترحل همان
شرعت له من دمع عينى موردا • فكدر شربى بالفراق وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جميمه • فأجدب آمالى وأوحش أزمانى
حلفت على ما عنده لى من رضا • قياسا بما عندى فأحنث أيمانى
وانى على ما نالنى منه من قلى • لاشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنونى فيه تقريب عرشه • فقست بجن الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه • وثبت وما استثبت شيمة هيمان
وتالله ما أصغيت فيه لعاذل • تحاميته حتى ارعوى وتحامانى
ولا استشعرت نفسى برحمة عابد • تظلل يوما مثله عبد رحمن
ولا شعرت من قبله بتشوق • تخلل منها بين روح وجثمان

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فسل به أية درج بعد أن تجاوز اللوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله تعالى الارج وأنى بالصبر على ابر الدبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر حتى حكم القهر وهل للعين أن تسلو سلو المقصر عن انسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائى والمشاهد وفى الجسد مضغة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلام المعول أعيت مراوضة الفراق على الراق وكادت لوعة الاشتياق أن تفضى الى السياق

تركتمونى بعد تشييعكم • أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنى ندما تارة • وأستميح الدمع أحيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخاليه وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم الباليه أسأل نون النوى عن أهليه وميم الموقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافى المثلثة عن منازل الموحدين وأحار بين تلك الاطلال حيرة الملحدين لقد ضلات اذا وما أنا من المهتدين كانت لعمر الله بسالة عن جفونى المؤرقه ونائم عن همومى المجتمعة المتفرقه ظعن عن ملال لا متبرما منى بشر خلال وكدر الوصل بعد صفائه وضرج النصل بعد عهد وفائه

أقل اشتياقا أيها القلب ربما • رأيتك تصفى الود من ليس جازيا

فها أنا أبكى عليه بدم أساله وانهل فيه أسى له وأعلل بذكراه قلبا صدعه وأودعه من الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وانشق رياه أنف ارتياح قد جدعه واستعدى به على ظلم ابتدعه

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما • قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذى حله لمزجت الحنين بالعتب وبثثت كتائبه كمنا فى شعاب الكتب تهز من الالفات رماحا حذر الاسنه وتوتر من النونات أمثال

القسى المرنه وتقود من بياض الطرس وسواد النقش بلقا تردى فى الاعنه ولكنه أوى الى الحرم الامين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة العوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المزنيه والظلال اليزنيه والهمم السنيه والشيم التى لاترضى بالدون ولا بالدنيه حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجرها السنوح والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوابي الجفان الميل والجنوح

نسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه وتغمد بالعفو ذنبه ولله در القائل حيث يقول

فرحقه لقد انتدبت لوصفه * بالبخل لولا أن حمصا داره

بلد متى أذكره تهيج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا لاكفرا وأين قرارة النخيل من مثوى الاقلف البخيل ومكذبة المخيل وأين ثمانية حجر من متبوإ من ألحد وفجر

من أنكر غيثا منشؤه * فى الارض وليس بخلفها

فبنان بنى مزنى مزن * تنهل بلطف مصرفها

مزن مذحل بسكرة * يوما نطقت بمصحفها

شكرت حتى بعبارتها * وبمعناها وبأحرفها

ضحكت بأبى العباس من الايام ثنايا زخرفها

وتنكرت الدنيا حتى * عرفت منه بمعرفها

بل نقول ياعمل الولد لاأقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخاد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فحيا الله تعالى زمنا شفيت برقى قربك زماناته واجتليت فى صدف مجدك جماناته ويامن لمشوق لم تقض من طول خلتك لباناته واهلا بروض أظلت أشتات معارفك باناته فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتغاشى وعشياته تتخافت وتتلاشى ومزنه بالك ودوحه فى ماتم ذى اشتباك كأن لم تكن قرها لات قبابه ولم يك أنسك شارع بابه الى صفوة الظرف ولبابه ولم يسبح انسان عينك فى ماء شبابه فاهق عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب بينها فى ربوع الجوى ونطق بالزخرف فانطق عن الهوى وبأى شئ نعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طمى نهرك الفياض وفهقت الحياض ولاكان الشانئ المشنوء والجرب المهنوء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وشارك فى الذم الناقة والجمل واستأثر جنحه ببدر النادى لما كمل نشر الشراع فراع وأعمل الاسراع كأنما هو تمساح النيل ضايق الاحباب فى البرهه واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهه ولجج بها والعيون تنظر والغمر على الاتباع يحظر فلم يقدر الاعلى الاسف والاثر المنشف والرجوع بملء العيبه من الخيبه ووقر الجسره من الحسره وانما أشكو الى الله البث والحزن ونستمطر من عبارتنا المزن وبسيف الرجاء نصول اذا شرعت للياس النصول

ما أقدر الله أن يدني على شحط • من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلم العراق رغيبا لما نويت مغيبا وجلت الوقت الهني تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه شقة النفس كيف حال تلك الشمائل المزدهرة الخمائل والشيم الهامية الديم هل يعزي بالهامن راعت بالبعد باله وأخمدت بعاصف البين ذباله أو ترق لشؤون شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت حبال الصبر ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك بعد أن أضرمت واشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التي فعلت أن تترفق بذمي أو تزود بنسمة ما ارماق ظما وتتعاهد المعاهد بتحية يشم منها شذا أنفاسك أو تنظر الينا على البعد بمقلة حوراء من سواد انقاسك وبياض قرطاسك فربما اقنعت الانفس المحبة بخيال زور وتعللت بنوال منزور ورضيت لما تصد العنقاء بزرزور

يامن ترحل والنسيم لاجله • تشتاق ان هبت شذى رياها

تحيي النفوس اذا بعثت تحية • فاذا عزمت اقرأ ومن أحياها

ولئن أحييت بما فيما سلف نفوسا تفديك والله تعالى الى الخير يهديك فنحن نقول معشر مريديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فاني لم أجترئ على خطابك بالفقر الفقيره وأدلات لدى بحرانك برفع العقيره لاعن نشاط بعثت مرموسه ولا اغتباط بالادب تغرى بسياسته سوسه وانبساط أوحى الى على الفترة ناموسه وانما هو اتفاق جرته نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وشارق لا مخارق فتم قياس فارق أوطن غنى به بعد الممات مفارق والذي به سوغ منه المكروه وجبيه ما اقتضاه الصنو يحيي مد الله تعالى حياته وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشف به لهذه القريحة بلالتها بعد أن رضي علالتها ورشح الى الصهر الحضرمي سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما عانه فامليت مجيبا ما لا يعد في يوم الرهان نجيبا واسمعت وجيبا لما ساجلت هذه الترهات مصراعيا حتى ألف القلم العريان سجيه وجمع بردون الغزارة فلم اطق كبحه لم أفق من غمرة علوه وموقف متلوه الا وقد عبر الى فئتك معتزا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش اهابرا وان كان لونه من الوجل مصفرا وليس باول من هجر في التماس الوصل من هجر أو بعث التمر الى هجر وأي نسبة بين اليوم وبين زخرف الكلام واباله تجياد الاقلام في مجاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض واستولى الكسل ونسلت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع بربط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرور الشيات عند البيات والشيب الموت العاجل واذا ابيض زرع صبحته المناجل والمعتبر الآجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده واسره في ملكة عاده فاغض أبقاك الله واسمح لمن قصر عن المطمح وباعين الكلالة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله تعالى فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك

ايه

أية سلكت ووصلت من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدى وساكن خلدى بل أخى وان عتبته وسيدى ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (قلت هذه الرسالة) الرافلة فى حلل البلاغة لم أرمثلها ولم أقف عليه فرحم الله تعالى لسان الدين ووجه سحائب الرحمة اليه فلقد كان آية الله فى النظم والنثر وجميع العلوم على اختلافها وكما خاطب الولى ابن خلدون خاطب أخاه أبا زكريا يحيى حسبما قال فى بعض كتبه ومما خاطبت به الفقيه أبا زكريا بن خلدون لما ولى الكتابة عن السلطان أبى حمو سلطان تلمسان من بنى زيان واقترن بذلك نصر وصنع غبطته به واشتدت به قصد تنفيقه وانهاضه لديه يخص الحبيب الذى هو فى الاستظهار به أخ وفى الشفقة عليه ولد والولى الذى ما بعد قرب مثله أمل ولا على بعده جلد والفاضل الذى لا يختلف فى فضله ساكن ولا بلد أبقاه الله تعالى وفاز فوزه وعصمته لها من توفيق الله سبحانه عمد ومورد سعادته المسوغ لمادته لا غور ولا ثمد ومدى امداده من حرائث الهام الله تعالى وسداده ليس له أمد وحيى فرح قلبه بمواهب من ربه أن يطرقه كمد تحية يحله من صميم قلبه بمحله المنشى رواق الشفقة مرفوعا بعمد المحبة والمقة فوق ظعنه وحله مؤثره ومجله المعتنى بدق أمره وجله ابن الخطيب من الحضرة الجهادية غرناطة صان الله تعالى خلالها ووقى هجير هجر الغيوم ظلالها وعمر بأسود الله تعالى أغيالها كما أغرى بمن كفر بالله تعالى صيالها ولا زالت الامنة من الله تعالى تصوب وقوة يسترد بها المغصوب ويخفض الصليب المنصوب والحمد لله تعالى الذى بحمده ينال المطلوب وبذكره تطمئن القلوب ومودتكم المودة التى غذتها اندى الخلوص بلبانها وأحلتها دلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ومهدت موات الخؤولة الكبرى أساس بنيانها واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة ان شاء الله تعالى واتصال زمانها واقتضاء عهود الايام بينها وأمانها ولله در القائل

فان لم يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

وصل الله تعالى ذلك من أجله وفى ذاته وجعله وسيلة الى مرضاته وقربة تنفع عند اعتبار ما روى من سنن الجبار ومفترضاته وقد وصل كتابكم الذى فاتح بالريحان الروح وحلة من مرسوم الولاء محل البسملة من اللوح وأذن لنوافح الثناء بالفوح يشهد عدله بأن البيان يا آل خلدون سكن من مثواكم دار خلود وقدح زندا غير صلود واستأثر من محاربكم السيالة وقصب أقلامكم المياده المياله بأب منجب وأم ولود يقفو شانيه غير المشنو وفصيله غير الجرب ولا المهنو من الخطاب السلطانى سفينة منوح ان لم نقل سفينة نوح ما شئت من آل أزواج وزمر من الفصل وأفواج وأمواج كرم تطفو فوق أمواج وفنون بشائر واهطاع قبائل وعشائر وضرب للمسرة أعمالا الشائر فلله هو من قلم راعى نسب القنا فوصل الرحم وأنجد الوشيج والملتحم وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم وأخاف من شذ عن الطاعة مع الاستطاعة فقال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ولو لم يوجب الحق برقه ورعده ووعيده ووعده لا وجمه بغنيه

وسعده فلقد ظهرت مخايل نجحه علاوة على نجحه ووضحت محاسن صبحه فى وحشة الموقف الصعب وقبحه وصل الله تعالى له عوائد منحه وجعله أبدا كلما استقبل باب أمل وكله الله تعالى بفتحه أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا على حبة القلب حبه وأنبته النبات الحسن ربه وساعده من الغمام سكبه ومن النسيم اللدن مهبه فرسم ثبت عند المولى نظيره ومن غير معارض بضيره وربما أربى بتذييل مزيد وشهادة ثابت ويزيد ولم لا يكون ذلك والقلب على القلب شاهد وكونها أجنادا مجندة لا يحتاج تقريره الى ماهد أو جهد جاهد ومودة الاخوة سبيلها الاحب ودليلها الدعوة الصادقة مصاحب الى ما سبق من فضل واقتناء ونظافة سقاء واعتقاد لا يراع سربه بذئب انتقاد واجتلاء شهاب وقاد لا يحوج الى ايقاد انما عاق عن مواصلة ذلك نوى شط منها الشطن وتشذيب لم يتعين معه الوطن فلما تعين وكاد الصبح أن يتبين عاد الوميض ديجورا والتماديجرا مسجورا الى أن اعاق الله تعالى مشكم البدبالسبب الوثيق وأحلكم منجى نيق لا يخاف من منجنيق وجعل يراعكم لسعادة موسى معجزة تأتى على الخبر بالعيان فتخر لثعبانها سحرة البيان

أيحيى سقى حيث حلت الحيا • فنعم الشعاب ونعم الركون
وحيا يراعــــك من آية • فقد حركت القوم بعد السكون
دعوت لخدمة موسى عصاه • فجاءت تلقف ما يأفكون
فاذعن من يدعى السحر رغما • وأسلم من أجلها المشركون
وساعدك السعد فيما أردت • فكان كما ينبغى أن يكون

فانتم أولى الاصدقاء بصلة السبب ورعى الوسائل والقرب أبقاكم الله تعالى وأبدى الغبطة بكم عاليه وأحوال تلكم الجهات بدرككم المهمات حاليه وديم المسرات من انعامكم المدرات على معهود المبرات متواليه وأما ما تشوفتم اليه من حال وليكم فأمل متقلص الظل وارتقاب لهجوم جيش الاجل المطل ومقام على مساورة الصل وعمل يكذب الدعوى وطمأنينة تنتظر الغارة الشعوا ويد بالمدخور تفتح وأخرى تجهد وتمنح ومرض يزور فيثقل وضعف عن الواجب يعقل الا ان الالطاف تستروح والقلب من باب الرجاء لا يبرح وربما ظفر البائس ولم تطرد المقايس تداركنا الله تعالى بعفوه وأوردنا من منهل الرضا والقبول على صفوه وأذن لهذا الخرق فى رفوه وأما ما طلبتم من انتساخ ديوان واعمال بنان فى الاتحاف ببيان فتلك عهود لدى مهجوره ومعاهد لا متعهدة ولا مزوره شغل عن ذلك الخوض بطولبيه وحرص يقتنى من لغط المائخ عجبه وحول جهاد تساوى جماداه ورجبه فلولا التماس أجر وتعلل بربح تجر لقات أهلا بذات الحنين فلئن شكت وبذلت المصون بسبب ما امسكت فلقد ضحكت فى الباطن صعف ما بكت ونستغفر الله تعالى من سوء انتحال وايثار المزاح بكل حال وما الذى ينتظر مثلى ممن عرف المآخذ والمتارك وجرب المايلى المبارك وخبر ماء الدنيا الفارك هذا أيها الحبيب ما وسعه الوقت الضيق وقد ذهب الشباب الريق فليسمح

فيه معهود كمالك جعل الله تعالى مطاوعة آمالك مطاوعة يمينك لشمالك ووطالك موطأ العز يباب كل مالك وقرن النجح باعمالك وحفظك فى نفسك وأهلك ومالك والسلام انتهى *ومن مخاطبات لسان الدين) لصاحبه العلامة أبى القاسم بن رضوان

قد كنت أجهد فى التماس صنيعة * نفسا شهاب ذكائها وقاد
وأقول لو كان المخاطب غيركم * عند الشدائد تذهب الاحقاد

سيدى أبقاكم الله تعالى علم فضل وانصاف ومجموع كمال أوصاف كلام قصير والله تعالى بحسنات الاقوال والافعال بصير واليه بعد هذا الخباط كله المرجع والمصير وليس لنا الا هو مولى ونصير وهذا الرجل سيدى الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق جبره الله تعالى بالامس كان تقف ببابه ونتمسك بأسبابه ونتوسل الى الدنيا به فان كنا قد عرفنا خيرا وجبت المشاركه أو كفافا تعينت المتاركه أو شرا اهتبلت غرة الهدى الاقس المباركه واتصفت بصفة من يعصى فيسمح ويسأل فيمنح ويعود الى القبح بالفعل الجميل ويجيب بذ التأميل ومع هذا فلم يدر الا خيرا كرم منه المورد والمصرف ومن عرف حجة على من لا يعرف وأنتم فى الوقت سراج علم لا يخبو سناه ومجموع تحف عرفنا منه ماعرفناه وهذه هى الشهرة التى تغتنم اذا سفرت والهنة التى تجبر عليها النفس اذا نفرت حتى لا تجد بعون الله تعالى عارضا يعوقها عن الخير فسبيل الكمال الاخير والاجر فى اقتداء كتاب الشفاعة وتحرى المقاصد النفاعه وتفريق المضاعه قد ضمنه من وعد بقيام الساعه والجزاء على الطاعة وغير الطاعه وهذه المشاركه تسجيل افضلكم قبلى وهى فى الحقيقة لى فكيف والله تعالى يرى عملكم وعملى والمترول حقير والوجود الى رحمة من رحمات الله تعالى فقير والسلام انتهى *(ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى قوله فى مخاطبة شيخ العرب مبارك بن ابراهيم رحمه الله تعالى

ساحات دارك للضياف مبارك * وبضوء نار قراك يهدى السالك
ونوالك المبذول قد شمل الورى * طرا وفضلك ليس فيه مشارك
قل للذى قال الوجود قد انطوى * والبأس ليس له حسام فاتك
والجود ليس له غمام هاطل * والمجد ليس له همام باتك
جمع الشجاعة والرجاحة والندى * والبأس والرأى الاصيل مبارك
للدين والدنيا وللشيم العلا * والجود انشئ الغمام السافك
عند الهياج ربيعة بن مكدم * فى الفضل والتقوى الفضيل ومالك
ورثا لجلالة عن أبيه وجده * فكأنهم ما غاب منهم هالك
فجياده للآملين مراكب * وخيامه للقاصدين أرائك
فاذا المعالى أصبحت مملوكة * أعناقها بالحق فهو المالك
يا فارس العرب الذى من بيته * حرم لهاجيه به ومناسك
يا من يبشر باسمه قصاده * فلهم اليه مسارب ومسالك
أنت الذى استأثرت فيك بغبطتى * ونوالك فيه مآخذ ومتارك

لازلت نورا يهتدى بضيائه * من جنه للروع ليل حالك

ويخص مجدك من سلامى عاطر * كالمسك صاك به الغوالى صائك

الحمد لله تعالى الذى جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالا ووجهك جمالا وقربك جاها ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك آلا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها وقطب سيادتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ومكرمة لا يضل المتصف بها ولا يشقى اذ جعل خيمتك فى هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على قياس المذاهب والطوائف وصرف الالسنة الى مدحك والقلوب الى حبك وما ذلك الا لسريرة لك عند ربك ولقد كنت أيام تجمعنى واياك المجالس السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الامل سالكا لما يلوح لى على وجهك من سيما المجد والحياء والشيم الدالة على العلياء وزكاء الاصول وكرم الآباء وكان والدى رحمه الله تعالى قد عين للقاء السلطان قريبكم المتوجه فى الرسالة الى الاندلس نائبا فى تأنيسه عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدومه واتصلت بعد ذلك بينهما المهاداة والمعرفه والوسائل المختلفه فعلم لاجل هذه الوسائل شوقى الى التشرف بزيارة ذلك الجناب الذى حلوله شرف وفخر ومعرفته كنز وذخر فلما ظهر الآن لمحل الاخ الكذا القائد ملازمة التصاقه بك والتعلق بسببك رأيت انه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى ييسر فى البعض عند تقرير الامن وهدنة الارض وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد وماجدا وابن أمجاد ومثلك لا يوصى بحسن جواره ولا ينبه على ايثاره وقبيلك فى الحديث من العرب والقديم وهو الذى أوجب لها مزية التقديم لم يتحرقها بذهب بجمع ولا ذخيرة ومع ولا قصر يبنى ولا غرس يجنى انما فخرها عدو يغلب وشاء يجلب وجار ينصر وحديث يذكر وجود على الفاقه وسماحة بحسب الطاقه فقد ذهب الذهب وفنى النشب وتمزقت الاثواب وهلكت الخيل العراب وكل الذى فوق التراب تراب وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى وتصقل وقصد الشاعر اذ يقول

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة ان يسر الله تعالى بعدها لقاء الامير جعلى اللسان عما فى الضمير

ومدحى على الاملاك مدح وانما * رأيتك منها فامتدحت على رسمى

وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى * ولو أنه قد حل فى مفرق النجم انتهى

•(ومن ذلك) ماخاطب به شيخه الخطيب سيدى أبا عبد الله بن مرزوق وهو

راش زمانى وبرى نبله * فكنت لى من دفعها جنه

ولو قهرت الموت امتنى * منه وأدخلتنى الجنه

فكيف لا أشكرها منة * قد عرفتها الانس والجنه

بماذا اخاطب به تلك الجلاله فيتيسر الخطاب وتحصل الدلاله أبسيدى ويشركنى فيه من قال لا اله الا الله بفيه أو بروح حياتى وماهية ذاتى وذخرى الكبير الكثير

لابل فلك الاثير وهو تضيق على الولد والاهل وتعدى المراتب المحدودة من الجهل فلم يبق الا الاشارة الخارجة عن وظائف اللسان وهى بعض دلالات الانسان أخذت الاكسير وجبرت الكسير ورويت يا ابا العلا التيسير وعمرت بالكرم وأمن حمام الحرم القاص والمسير فمن رام شكر بعض أياديك فقد شد حقائب الرحال الى نيل المحال والحق أن نكل جزائك لمن جعل الى المجد اعتزائك ونولى شكرك وثنائك الى من عمر بما يرضيه من الرفق بالخلق واقامة الحق امالك وندعو منك بالبقاء الى الروض المجود وعمام الجود وامام الركع السجود لابل نور الله تعالى المشرق على التهائم والنجود ورحمته المنوية أثناء هذا الوجود وليعلم سيدى أن النصر طماعة جماعه وسراب آمالها بحاره لماعه فلا تفيق من كد ولا تقف عند حد سيما اذا لم يهذبها السلوك والتجريد ولم يسر منها الى عالم الغيب البريد ولا تجلت لها السعادة التى يجذب بها المراد ويشمر لها المريد الى أن يأتى عما دون الحق الحميد ويصح التوحيد وقد مثلت الآن خصما يوسع ظهر استظهارى بالتسليم قصما ويقول المال عدلى عند القيم وطيبى فى الاحوال السقيمه وهو نتيجة كدى عند الاقيسة العقيمه ومن استخلصنى على شرفى اذا تفاضلت الجواهر وتبينت للحق المظاهر وتعينت المراتب التى يقعدها على رأى البراهمة النور الاصفهبذى والنور القاهر خلاص المال طوع يديه وهو كما قال الله تعالى اهون عليه فالاطمها حتى تلين معاطفها واخادعها حتى تلوى اخادعها وأقول قد وقع الوعد وأشرق السعد ولان الجعد وسكن الرعد ولله تعالى الامر من قبل ومن بعد فتجيبنى العمر المنام وايام الجمام والقدرة قد يحق لها الاغتنام وهم العاقل الى وقته الحاضر مصروف واذا لم يعبر حائط مثل معروف وفى الوقت زبون يرجى به استخلاص الحقوق ويستبعد وقوع العقوق فان رأى مولاى أن يشفع المنيه ويقرع بابا ثانيا من أبواب الجنه قبل أن يشغل شاغل أو يكثر الاكل والشرب واش أو واغل أو يشوبه للمتعدى نظر فى اللجاج أو يدس له ما يحمله على الاحتجاج أو متسع مناطها فسيح استنباطها كثير هياطها ومياطها فهو تمام منعته التى لم ينسج على منوالها الاحرار ولا اهتدت الى حسنتها الابرار ولا عرف بدر تجددها السرار فاليه كان الفرار ولله تعالى ثم له خلاص الاضطرار ويستقر تحت دخيله القرار وتطمئن الدار فان ما ابتدأ به من عزه ربى على الايدى العادية منه حكم الحكام وفارع الهضاب والاكام على ملا ومجمع ومرأى من الخلق ومسمع يقتضى اطراد قياس العزة القعساء وسعادة الاصباح والامساء وظهور درجات الرجال على النساء فهو جاه حارت فيه الاوهام وهذه أذياله ومن ركب حقيقة أمرها هان عليه خياله والمال ماله والعيال عياله والوجود سريع زياله والجزاء عند الله تعالى مكياله وعروض المغصوب باقية الاعيان مستقلة الشجر فائقة النبات تمنع عن شرائها قاعدة الاديان وغيرها من مكيل وموزون بين مأكول ومخزون والكتب ملقاة بالقاع مطروحة بأخبث البقاع فان تأتى الجبر والا فالصبر على أن وعد عمادى لا يفارق الانجاز ومكرمته التى طوقها قد بلغت الشام والحجاز وحقيقة الترامه تباين

المجاز وآية مجد تستصحب الاعجاز وقد در ابراهيم بن المهدي يخاطب المأمون
لما أكذب في العفو عنه الظنون

وهبت مالي ولم تبخل علي به ۞ وقبل ذلك مالي قد وهبت دمي

وقد كانت هذه المقبة غريبة فعززتها بأختها الكبرى وفريدة فبعثت بأخرى وشفعت
وترا أبقاك الله تعالى لتخليد المناقب واعلاء المراتب وجعل أخمص نعلك تاجا للنجم
الثاقب وتكفل لك في النفس والولد بحسن العواقب

آمين آمين لا أرضى بواحدة ۞ حتى أضيف اليها ألف آمينا

وأما نسبة سدى على انشاء رزق وتقرير رفد ورفق فلا أنبه حاتما وكعبا أن يلاقعبا
لمن خاض بحرا أو ركب صعبا هذا أمر كدانيه الكافي وداء لو شرا لاشاق اذهبه
الشافي والسلام انتهى •(ومن انشاء لسان الدين) رحمه الله تعالى على لسان السلطان
قوله هذا ظهير كريم متضمنه استجلاء لامور الرعية واستطلاع ورعاية كرمت منها
أجناس وأنواع وعدل بهر منه شعاع ووصايا يجب لها اطاع اصدرناه للفقيه فلان
لما تقرر لدينا من ديانته وعدله وفضله رأينا أنه احق من نقلده الامر الاكيد ونرمي به من
اغراض البر الغرض البعيد ونستكشف به احوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من
أحوالها ولا يتطرق اليها طارق من أهوالها وينهي الينا الحوادث التي تنشأ فيها انشاء
يتكفل بحياطة أبشارها وأموالها وأمرناه أن يتوجه الى جهة كذا حاطها الله تعالى
فيجمع الناس في مساجدهم ويندبهم من مشاهدهم ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح
أحوالهم واصلاح أموالهم ومكابدتنا المشقة في مداراة عدوهم الذي جعل من
أحواله ما غاب عنهم دفعه الله تعالى بقدرته ووقى نفوسهم وحريمهم من معرته ولما رأينا
من انبتات الاسباب التي تؤمل وعجز الحيل التي كانت تعمل ويستدعي انجادهم
بالدعاء واخلاصهم فيه الى رب السماء ويسأل عن سيرة القواد وولاة الاحكام
بالبلاد فمن نالته مظلمة فليرفعها اليه ويقصها عليه ليبلغها الينا ويوفدها مقررة
الموجبات لدينا ويحتبر ما افترض صدقة للجبل وما فضل عن كريم ذلك العمل ليعين
الى بناء الحصن بجبل فارة يسر الله تعالى لهم في اتمامه وجعل صدقتهم تلك مسك
ختامه وغيره مما افترض اعانة للمسافرين وانجادا للجهاد الكافرين فيعلم مقداره
ويتولى اختياره حتى لا يحمل منه شيء على ضعيف ولا يعدل به لمشروف عن شريف
ولا تقع فيه مضايقة ذي الجاه ولا مخادعة غير المراقب لله ومتى تحقق أن غنيا قصر
به عن حقه أو ضعيفا كلف منه فوق طوقه فيجبر الفقير من الغني ويجري من العدل
على السنن السوي ويعلم الناس أن هذه المعونة وان كانت بالنسبة الى محل ضرورتها
يسيره وأن الله تعالى يضاعفها لهم أضعافا كثيره فليست مما يلزم ولا من المغارم
التي بتكريرها يجزم ويتطرق عهود التوفيق فيصرفها في مصارفها المتبينه وطرقها
الواضحة البينه ويتفقد المساجد تفقدا يكسو عاريها ويقيم منها المآرب تتميما رضي
باديها ويندب الناس الى تعليم القرآن لصبيانهم فذلك أصل أديانهم ويحذرهم اللعب

على

على كل شئ من أعشارهم فالزكاة أخت الصلاة وهما من قواعد الاسلام وقد اخترنا لهم
باقصى الجد والاعتزام ورفعنا عنهم رسم التعريف نظرا اليهم بعين الاهتمام وقدمنا
الثقات لهذه الاحكام وجعلنا الخرص شرعيا فى هذا العام وفيما بعده ان شاء الله تعالى
من الاعوام ومن أهم ما أسندناه اليه وعولنا فيه عليه البحث بتلك الاحواز عن أهل
البدع والاهواء والسالكين من السبيل على غير السواء ومن ينبز بفساد العقد
وتحريف القصد والتلبس بالصوفية وهو فى الباطن من أهل الفساد والذاهبين الى
الاباحة وتاويل المعاد والمؤاخين بين النساء والرجال والمتبعين لمذاهب الضلال فمهما
عثر على مطوق بالتهمه منبز بشئ من ذلك من هذه الامه فليشد ثقافه شدا ويسد عنه
سبيل الخلاص سدا ويسترع فى شأنه الموجبات ويستوعب الشهادات حتى
ينظر فى حسم دائه ويعاجل المرض بدوائه فليتول ماذكرنا نائبا باحسن المناب
وبقصد وجه الله تعالى راجيا منه جزيل الثواب ويعمل عمل من لا يخاف فى الله لومة
لائم ليجد ذلك فى موقف الحساب وعلى من يقف عليه من القواد والاشياخ والحكام
أن يكونوا معه يدا واحدة على ما حررنا فى هذه الفصول من العمل المقبول والعدل
المبذول ومن قصر عن غاية من غاياته أو خالف مقتضى من مقتضياته فعقابه عقاب من
عصى أمر الله وأمرنا فلا يلم الا نفسه التى غرته والى مصرع النكير جرته والله تعالى
المستعان انتهى *(ومن ذلك) ما خاطب به تربة السلطان الكبير أبى الحسن المرينى
لما قصدها عقب ما شرع فى جواره وتوسل الى أغراضه بذلك الى ولده رحمه الله تعالى الجميع
السلام عليك ثم السلام ايها المولى الهمام الذى عرف فضله الاسلام وأوجبت حقه
العلماء الاعلام وخفقت بعز نصره الاعلام وتنافست فى انفاذ أمره ونهيه السيوف
والاقلام السلام عليك أيها المولى الذى قسم زمانه بين حكم فصل وامضاء نصل واحراز
خصل وعبادة قامت من اليقين على أصل السلام عليك يا مقرر الصدقات الجاريه
ومشبع البطون الجائعة وكاسى الظهور العاريه وقادح زناد العزائم الواريه
ومكتب الكتائب الغازيه فى سبيل الله تعالى والسرايا الساريه السلام عليك يا حجة
الصبر والتسليم ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضى والقلب السليم ومفوض الامر فى
الشدائد الى السميع العليم ومعمل البنان الطاهر فى اكتتاب الذكر الحكيم كرم الله
تعالى تربتك وقدسها وطيب روحك الزكية وآنسها فلقد كنت للدهر جمالا وللاسلام
ثمالا وللمستجير مجيرا وللمظلوم وليا ونصيرا لقد كنت للمحارب صدرا وفى المواكب
بدرا وللمواهب بحرا وعلى العباد والبلاد ظلا ظليلا وسترا لقد قرعت أعلام عزك
الثنايا وابرأت همتك ملوك الارض الهدايا كانك لم تعرض الجنود ولم تنشر البنود
ولم تبسط العدل المحدود ولم توجد الجود ولم تزين الركع السجود فتوسدت الثرى
وأطلت الكرى وشربت الكاس التى يشرب بها الورى وأصبحت ضارع الخد كليل الحد
سالكا سنن الاب والجد لم تجد بعد انصرام أجلك الا صالح عملك ولا صحبت لقبرك
الا رابح تجرك وما أسلفت من رضاك وصبرك فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك

ويجود بسحاب الرحمة ترابك وينفعك بصدق اليقين ويجعلك من الائمة المتقين ويعلى درجتك فى عليين ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وليهنك أن صير الله تعالى ملكك من بعدك الى نير سعدك وبارق رعدك ومنجز وعدك أرضى ولدك وريحانة خلدك وشقة نفسك والسرحة المباركة من غرسك ونور شمسك وموصل عملك البر الى رمسك فقد ظهر عليه أثر دعواتك فى خلواتك وأعقاب صلواتك فكلمتك والمنة لله تعالى باقيه وحسنتك الى محل القبول راقيه يرعى بك الوسيله ويتمم مقاصدك الجليله أعانه الله تعالى ببركة رضاك على ماقلده وعمر بتقواه يومه وغده وأبعد فى السعد أمده وأطلق بالخير يده وجعل الملائكة أنصاره والاقدار عدده وانى أيها المولى الكريم البر الرحيم لما اشترانى وراشنى وبرانى وتعبدنى باحسانه واستعمل فى استخلاصى خطيئاته ووصية لسانه لم أجد مكافأة الا التقرب اليك واليه برثائك واغراء لسانى بتخليد علائك وتعفير الوجنة فى حرمك والاشادة بعد الممات بمجدك وكرمك ففتحت الباب فى هذا الغرض الى القيام بحقك المفترض الذى لولاه لاتصلت الغفلة عن آدائه وتمادت غايت الالسن ولا كادت متميزا بالسبق الى أداء هذا الحق بادئا بزيارة قبرك الذى هو رحلة الغرب مانويته من رحلة الشرق وما أعرضت عنه فأقطعه اثر مواقع الاستحسان وقد جمع بين الشكر والتنويه والاحسان والله سبحانه يجعله عملا مقبولا ويبلغ فيه من القبول مأمولا ويتغمد من ضاجعته من سلفك الكرام بالمغفرة الصيبه والتحيات الطيبه فنعم الملوك الكبار والخلفاء الابرار والائمة الاخيار الذين كرمت منهم السير وحسنت الاخبار وسعد بعزماتهم الجهادية المؤمنون وشقى الكفار وصلوات الله تعالى عودا وبدأ على الرسول الذى اصطفاه واختاره فهو المصطفى المختار وعلى آله وأصحابه الذين هم السادة الابرار وسلم تسليما انتهى • (وقال لسان الدين رحمه الله تعالى ومما خاطبت به الوزير المتغلب على الملك بالمغرب مانصه

لاترج الا الله فى شدة • وثق به فهو الذى أيدك
حاشاك أن ترجو الا الذى • فى ظلمة الاحشاء قد أوجدك
فاشكره بالرحمة فى خلقه • ووجهك ابسط بالرضا أويدك
والله لاتهمل ألطافه • قلادة الحق الذى قلدك
ما أسعد الملك الذى سسته • ياعمر العدل وما أسعدك

خص الوزير الذى بر سعده وحمد فى المضاء قصده وعول على الشيم التى اقتناها مجده وأورثه اياها أبوه وجده الوزير عمر الكذا ابن الشيخ الكذا أبقاه الله تعالى ثابت القدم خافق العلم شهير احديث سعده فى الامم مثلا خبر بسالته وجلالته فى العرب والعجم تحية معظم مجده الكبير المستند الى عهده الوثيق وحسبه الشهير المسرور بما سناه الله تعالى له من نجح التدبير والنصر العديم النظير والجهاد اياه عند اسلام النصير وفراق القبيل والعشير ابن الخطيب والمدعو دة الى الله تعالى فى صلة سعد الوزير أبقاه الله تعالى ودوام عصمته واللسان يطنب ويسهب فى شكر نعمته والامل

متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته وقدكان شيعه مع الشفقة التي أذابت الفؤاد وألزمت الارق والسهاد على علم بأن عناية الله تعالى عليه عاكفه وديم آلائه لديه واكفه فان الذي أقدره وأيده ونصره وأنفذ مشيئته مادبره كفيل بامداده وملي باسعاده ومرجو لاصلاح دنياه ومعاده وفي أثناء هذه الاراجيف استولى على معظم وزارته الجذع وتماورته الافكار تأخذ وتدع فاني كما يعلم الوزير أعزه الله تعالى منقطع الاسباب مستوحش من الجهة الاندلسية على بعد الجناب ومستعد على يكوني من المعدودين فيمن لهم من الخلصاء والاحباب فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس وأمان النفس واللحاق بمامن يرعاني برعي الوزير بجلال ماديرا لامر من له التدبير في أثنائه وتمهيد أساس بنائه ورد البشير بما سناه الله تعالى لسيدي وجابر كسري ومنصفي بفضل الله تعالى من دهري من الصنع الذي ظهر وراق نوره وبهر فامنت وان لم أكن ممن جنى وحققت المسرات بين فرادي ومثنى وانشرح بفضل الله تعالى صدري وزارتني النعم والتهاني من حيث أدري ولا أدري ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير واحسانه وسبق اليه امتنانه نائباعني في تقبيل يده وشكر يده والوقوف ببابه والتمسك بأسبابه آثرته بذلك لامور منها المزاولة فيما كان يلزمني من اخوته الاصاغر وتدريبه على خدمة الجلال الباهر وافرادي له بالبركه ولعائق ضعف عن الحركه وبعد ذلك أشرع بفضل الله تعالى في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العليه عارضا من شأني ماأما يكون وفق الامنيه ورب عمل أغنى عنه فضل نيه والسلام الكريم على سيدي ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (قال وكتبت اليه أيضا على أثر الفتح الذي تكيف له سيدي الذي أسر بسعادته وظهور عناية الله تعالى به في ابدائه واعادته وأعلم كرم مجادته واعترف بسيادته الوزير الميمون الطائر الجاري حديث سعده ومضائه مجرى المثل السائر أبقاه الله تعالى عزيز الانصار جارية بين نقيبته حركة الفلك الدوار معصوما من المكاره بعصمة الواحد القهار معظم سيادته الرفيعة الجانب وموقر وزارته الشهيرة المناسب الداعي الى الله تعالى بطول بقائه في عزواضح المذاهب وصنع واكف السحائب ابن الخطيب عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء ويد ممدودة الى الله تعالى بالدعاء والتماس لما يعد من جزيل النعماء والفتح الذي تفتح له أبواب السماء وقد اتصل ماسناه الله تعالى له من النصر والظهور والصنع البادي السفور لما التقى الجمعان وتوردت أكؤس الطعان وتبين الشجاع من الجبان وظهر من كرات سيدي وبسالته ماتحدثت به ألسنة الركبان حتى كانت الطائلة لحزبه وظهرت عليه عناية ربه فقلت الحمد لله الذي جعل سعد سيادتي متصل الآيات واضح الغرر والشيات وقد كنت بعثت أهنئه بما تقدم من صنع جميل و بلوغ تأميل فقلت اللهم أفد علينا التهاني تترى واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصغرى واجمع له بين نعم الدنيا والاخرى والناس أبقى الله تعالى سيدي لهم مع الاستناد اليك جهات وأمور مشتبهات . الاالحب المشيع فجهتك هي

التي آنست الغربه وفرجت الكربه ووعدت بالخير وضمنت عاقبة الصبر وانا أرتقب ورود التعريف المولوي على عبيده بهذه المدينة واصل الله تعالى لمباشرتها الهناء وقرة العين بمشاهدة الآلاء والله عز وجل يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه ويرادف قبله نعمه وآلاءه بفضله انتهى * (وقال ومما خاطبت به المذكور وأنا ساكن بسلا

أيا عمر العدل الذي مطل المدى * بوعد الهدى حتى وفيت بدينه
ويا صارم الملك الذي يستعده * لدفع عداه أو لحلى زينه
هنت عينك اليقظى من الله عصمة * كفت وجه دين الله موقع شينه
وهل أنت الا الملك والدين والدنا * ولا يلبس الحق المبين بمينه
اذا مال منك العين طرفا فانما * أصيب به الاسلام في عين عينه

الوزير الذي هو للدين الوزر الواقي والعلم السامي المراقب والمراقي والحلي القلائد فوق الترائب والتراقي والكنز المؤمل والذخر الباقي حجب الله تعالى العيون عن عين كمالك وصير الفلك الدوار مطية آمالك وجعل اتفاق اليمن مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقودا بشمالك اعلم أن مطلق لسان الثناء على مجدك والمستضيء على البعد بنور سعدك ومعقود الرجاء بعروة وعدك لا يزال في كل ساعة يسحب الفلك فيه ذيلها ويعاقب يومها وليلها مصغي الاذن الى نبإ يدفع عنك لله تعالى دفاعا أو يمد في ميدان سعدك باعا وأنت اليوم النصير على الدهر الظلوم وآسي الكلوم وذو المقام المعلوم فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين أيدي السادة الخدام وتتعكس به المناقصة والاقدام من كرة مرسلة الشهاب أو نار فجة ظاهر عليها من اسمها صبغة الالتهاب حومت حول عينك لا كدر صفاؤها ولا هدم فوق مهاد الدعة والأمن اغفاؤها فرعت حول حماها ورامت أن تصيب فخيب الله تعالى مرماها

ترى الشيء مما تتقي فتهابه * وما لا ترى مما يقي الله أكثر

فقلت مكروه أخطأ سهمه وتنبيه من الله تعالى لمن يسل عقله وفهمه ودفاع قام دليله ووعد أشرق جليله وأيام أعربت عن اقبالها وعصمة غطت بسربالها وجوارح جعل الله تعالى الملائكة تحرسها فلا تغتالها الحوادث ولا تفترسها والفطن يشعر بالشيء وان جهل أسبابه والموفق يسمع من الكون جوابه فبادرت أهنئه تهنئة من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه من جوارحه ويرسل طير الشكر لله تعالى في مساقط اللطف الخفي ومسارحه وسأله سبحانه أن يجعلك من النوائب بحرا لا يقرب وربعك ربعا لا يخرب ما سبح الحوت ودب العقرب ثم انى شفعت الهناء ووترته وأظهرت السرور فما سترته بما سناه لتدبيرك من مسالمة تكذب الارجاف وتغني عن الايجاف وتخصب الابل العجاف وتريح من كيد وتفرغ الى مجادلة عمرو وزيد وكأني بسعدك قد سدل الامان وعدل الزمان وأصلح الفاسد ونفق الكاسد وقهر الروع المستأسد وسر الحبيب وساء الحاسد والسلام انتهى * (ومن انشاء لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به الرئيس عامر بن محمد بن علي الهنتاني معزيا له عن أخيه عبد العزيز

ابا

أبا ثابت كن في الشدائد ثابتا * أعيذك أن يلقى حسودك شامتا
عزاؤك عن عبد العزيز هو الذي * يليق بعز منك أعجز ناعتا
فقد دوحتك الغناء طالت ذوائبا * وسرحتك الشماء طابت منابتا
لقد هدّ أركان الوجود مصابه * وأنطق منه الشجو من كان صامتا
فمن نفس حرّا وثقى الحزن كظمها * ومن نفس بالوجد أصبح خافتا
هو الموت للانسان فصل لحدّه * وكيف ترجّى أن تصاحب مائتا
وللصبر أولى أن يكون رجوعنا * اذا لم تكن بالحزن ترجع فائتا

اتصل بي أيها الهمام وبدر المجد الذي لا يفارقه التمام ما جنته على علائك الايام واقتنصه مخالب الردى بعد أن طال الخيام وما استأثر به الحمام فلم يغن الدفاع ولا نفع الذمام من وفاة صنوك الكريم الصفات وهلال وسطى الاسلاك وبدر الاحلاك ومجير الاملاك وذهاب المسح الوهاب وأما الديغ صل الفراق الذي لا يفيق بالفراق وجريح سهم البين ومجارى العيون الجارية بدمع العين لفقد أنيس سهل على مضض النكبه وفى لبث الخطب عن فريستى بعد صدق الوثبه وآنسنى فى الاغتراب وصحبنى الى منقطع التراب وكفل أصاغرى شبرا لكفاله وعاملنى من حسن العشرة بما جل عقد الوكاله انتزعه الدهر من يدى حيث لا أهل ولا وطن والاغتراب قد ألقى بعطن وذات اليد يعلم حالها من يعلم ما ظهر وما بطن ورأيت من تطارح الاصاغر على شلو الغريب النازح عن النسيب والقريب ما حملنى على أن جعلت البيت له ضريحا ومدفنا صريحا لا تخدع مريرى انه لم يزل مقيما لديه وأن ظل شفقته منسحب عليه فأعيا مصابى عند ذلك الجرح وأعظم الظما البرح ونكا القرح القرح اذ كان ركنا قد بنته لى يد معرفتك ومتصما فى البر بى والرعى لصاغيتى بكريم صفتك فوالهفا عليه من حسام وعز سام وأياد جسام وشهرة بين بنى حام وسام أى جمال خلق ووجه للقاصد طلق وشيم تطمح للمعالى بحق وأى عضد لك يا سيدى لا يهين اذا سطا ولا يقهر اذا خطا يوجب لك على تحليه بالشيبه ما توجبه البنوة من الهيبه ويرد ضيفك آمنا من الخيبه ويسد ثغرك عند الغيبه ذهبت الى الجذع فرأيت مصابه أكبر ودعوت بالصبر فولى وأدبر واستنجدت الدمع فنضب واستصرخت الرجاء فأنكر ما روى واقتضب وبأى حزن يلقى عبد العزيز وقد جل فقده أو يلقى لا بجه وقد عظم وقده اللوم لو بكى بندى أياديه أو بغمائم غواديه أو بعباب واديه وهى الايام أى شامخ لم تهده أو جديد لم تبله وان طالت المده فرقت بين التيجان والمفارق والخدود والنمارق والطلى والعقود والكاس وابنة العنقود فما التعالل بالمان والتماهى اغفاءة أجفان والتشبث بالحبائل والتماهى ظل زائل والصبر على المصائب ووقوع سهمها الصائب أولى ما اعتمد طلابا ورجع اليه طوعا أو غلابا فأنا يا سيدى أقيم رسم التعزيه وان نوديت بضاعف الرزيه ولا عتب على القدر فى الورد من الامر والصدر ولولا أن هذا الواقع مما لا يجدى فيه الخلصان ولا يغنى فيه البراع ولا الخرصان لابلى جدّه من اقترضته معروفا وكان بالتشيع الى

تلك الوشيجة معروفا لكم أسرف أن يوقيها الاسلمة التسليم لحكم العليم ومن الجوانح على المضض الاليم ولعمرى لقد خلدت لهذا الفقيد وان طمس الحمام محاسنه الوضاحه لما كبر منه الساحه محامد تنشره وتعود أيام الحمد وتنشره يفخر بها بنوه ويستكثر بها كتب والمجد ومفتخره وأنتم عماد البازه وعلم المفازه وقطب المدار وعامر الدار وأسد الاجمه وبطل الكتيبة المجمه وكافل البيت والمترحم على الحي والميت ومثلك لا يهدى الى نهج لاحب ولا ترشد نار الحباحب ولا ينبه على سنن نجيبة كريم أو صاحب فذرك أعلى ومثلك أبلى وأنت صدر الزمان بلا مدافع وخير معلى لأعلام الفضل ورافع وما أوان أخرت فرض يعتك لما لحقنى من المصاب ونالنى من الأوصاب ونزل بى من جور الزمان الغصاب عن يقبل عذره الكريم ويسعه الحرم المحترم والله سبحانه الكفيل لسيدى وعمادى ببقاء يكمل به الابناء ويشيد الاثناء ويعلى اقومه رتب العز سامية البناء حتى لا يوحش مكان فقيد مع وجوده ولا يحس بعض زمان مع جوده ويقر عينه فى ولده وولد ولده ويجعل أيدى مناويه تحت يده والسلام * (وخاطبه لسان الدين أيضا باتصه سيدى الذى هو حل المعرب كله والجمع على طهارة بيته وزكا أصله علم أهل المجد والدين وبقية كبار الموحدين بعد السلام الذى لتلك الجلالة الراسخة القواعد السامية المصاعد والدعاء بأن يفتح لك فى مشفقات هذه الاحوال مسالك التوفيق ويمسك من عصمته بالسبب الوثيق أعزك ان جبلك اليوم وقد عظم الرجفان وفاض التنور وطمى الطوفان ترقى الدور من الغرق بجودى جوده وتغتبط غاية الاغتباط بوجوده والله لولا اعلاق التى يجب لها الالتزام ماوقع على غير قصد لك الاعتزام والله تعالى يصل باعثه على تحصيل المقاصد ويبقى عليك رفيع العماد كثير الرماد ويجعل أبا يحيى خلا سامك بعد عمر النهاية المعتد الآماد ويبقى كلمة التوحيد بكم الى يوم التناد وحامل القائد لكذا معروف السابقة والجهاد وعمله لا ينكر فى الذواد لما استبهمت السبل والتبس القول والعمل لم يجد أنجى من الركون الى جنابك والتمسك بأسبابك والانتظام فى حلة خواصك وأحبابك حتى ينبلج الصبح ويظهر النجح ويعظم المنح ويكون بعد هجرته الفتح ومثلكم من قصد وأمل وانتهى اليه المطاوأعمل وأما الذى عندى من القيام بحق تلك الذات الشريفه والقول بمناقبها المنيفه فوشى لا تفى به العباره ولا تؤديه الالفاظ المستعاره والله تعالى المسؤل فى صلة عز سيدى ودوام سعده والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى * (وقال لسان الدين رحمه الله تعالى) ومما خاطبت به شيخ الدولة وقد استقل من مرض مانصه

لا أعدم الله دار الملك منك سنى * يجلى به الحالكان الظلم والظلم
وأشدتك الليالى وهى صادقة * الجد عرق اذا وفيت والكرم

من علم أعلى الله تعالى قدرك أن الجد جواد حلالك شبابه لا بل المتبدر أنت آيانه لا بل الاسلام جسم أنت حياته دعا منك بالبقاء لجديروق بك جبينه وملك تنيره وتزينه

ولدير تعالى الله تعالى بأ زا درتديرنه فلقد أملت قوس المؤمنين لا لامك ووجه
الاسلام لترقع اسلامك وأخرت الاعلام لتأخر اطراوك بصالح الملك واعلامك فانما
آمال الدين والدنيا متشبثة بأذيال أيامك ورحال الامر مخيمة بين خلالك وخيامك فاذا
قابلت الاشراف نعم الله تعالى بشكر ورمت الغفلة عن ذلك بذكر فاشكره جل وعلا
على اسائك وهنائك واجر في ميدان حمده مطالفا من عنانك على ما طوقك من استرقاق
حر وافاضة ايادغر واشباع عسجد من الجدود واتاحة نفع ودفع ضر وادالة حلو
من مر وكن على ثقة من مدافعة الله تعالى عن حماك وعز تبلغ ذوائبه السماك ورزق
يعجز مقال منتماك ودونك مجالس الامامة فقد تديرت بزمامك وحظوة الخلافة فاستحقها
بوسائلك القديمة وذمامك ومحاسن الدولة فاجلها على منصة أمامك ورسوم البر فأغربها
عين اهتمامك وذروة المنبر فأعمر بمباطنة حسامك وأبحر الآمال زهر الايادي البيض
من كمائم أكمامك فما عزدولة بك يا خليفة الكار قد استظهرت وأذلت المعاند وقهرت
وباعمال آرائك اشتهرت فراقت فضائلها وبهرت بجزالة كما شق البلج جارح واطاقة كما
طارح به المتألم مطارح وفكر في الغيب سارح ودين لغوامض الحلم والعدل شارح
ومكارم محت آثار الكرماء وانصضت وحلت عقود أخبار الاجواد في الاعصار وفسخت
فلم تدع لفضل الفضل ذكرا وتركت معروف يحيي بن خالد نكرا لا بل لم يبق لكعب من
علو كعب وأنست دعوى حاتم بأى ماح وحاتم فصارت سبي جوار ومنع جوار وعقر ناب
عند اقشعرار جناب وأين يقع من كبر قدر ترفع عن الكبر وجود نخضب الايدي بحناء
التبر وعز استخدم الاسل الطوال بيراع أقل من الشبر وحقن الدماء المراقة باراقة مجيج
الحبر وفك العقال ورفع الحروب الثقال وراعى الذرة والمثقال وعثر الزمان فأقال
ووجد لسان الصدق فقال أقسم ببارئ النسم وهو أبر القسم ما فازت بمثلك الدول
ولا ظفرت بمثلك الملوك الاواخر والاول ولو تقدمت لم يضرب الا بك المثل ولم يقع الاعلى
سننك وكابك والاجماع انعقد على آدابك العمل والمملوك لمشام مالكه برق العافيه
وتدرع بالالطاف الخافيه كتب مبشرا بالهناء ومذ يا ما يجب من الحمد والثناء وشاكرا
ما له بوجوده من الاعتناء فقد بادر ركن الدين بالبناء وأبقى الستر والمنة على الآباء
والابناء فنسأل الله تعالى أن يمتع منك بأمير الملوك ووسطى السلوك وسلالة أرباب
المقامات والسلوك ويقيك وجنة العصمة وافره وغرة العزة القعساء سافره وغاية
عادة السعادة غير نافره وكتيبة الامل في مقامك السعيد غانمة ظافره ما زحمت
للصباح شهب المراكب وتفتحت بشاطئ نهر المجرة ازهار الكواكب والسلام انتهى
*(ومن ذلك ما خاطب به سيدي أبا عبد الله بن مرزوق جوابا عن كتابه وقد استقر خطيب
السلطان بتونس

ولما أن نأت منكم ديار * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لانظركم بشيء مثل عيني

بم أفاتحك يا سيدي وأجل عددي كيف أهدي سلاما فلا أحذر ملاما أو أتخب لك

كلا ما فلا أجد لتبعة التقصير في حقك الكبير الا ما ان فاتت تحية كسرى في الثناء وتبع فكلمة في مربع الجمعة تربع وانها المصيف فيه والمربع والجميم والمتبع مترددي متى شاءت وتشبع وان ملت اذا العارض خطر ومهما همى أوقطر سلام الله يا مطر فهو في الشريعة بطر وركب به خطر ولا يرعى به وطن ولا يقضى به وطر واما العرق الاوشج ولا يستوي البان والبنفسج والعوسج والعرفج

سلام وتسليم وروح ورحمة • عليك وممدود من الظل سجسج

وما كان فضلك ليمنعني الكفران أن أشكره ولا لينسيني الشيطان أن أذكره فأتخذ في البحر سبيلا أو أسلك غير الوفاء مذهبا تأبى ذلك والمنة لله تعالى طباع لها في مجال الرعي باع وتحقيق واشباع وسوائم من الانصاف ترعى في رياض الاعتراف فلا يطرقها ارتياع ولا تحيفها سباع وكيف تجحد تلك الحقوق وهي شمس ظهيره وأذان عقيرة جهيره فوق مئذنة شهيره آدت الاكاد لها ديون تستغرق الذمم وتسترق حتى الرمم فان قضيت في الحياة فهي الخطة التي نرتضيها ولا نقنع من عامل الدهر المساعد الا أن ينقد مراسمها ويمضيها وان قطع الاجل فالغني الحميد من خزائنه التي لا تبيد يقتضيها ويرضي من يقتضيها وحيا الله تعالى أيها العلم السامي الجلال زمنا بمعرفتك المبرة على الآمال برّ وأتحف وان اساء بفراقك وأجحف وأعرى بعد ما ألحف وأظفر باليتيمة المذخورة للشدائد والمزائن ثم أوحش منها أمونة هذه الخزائن فآب حنين الامل بخفيه وأصبح المغرب غريبا يقلب كفيه ونستغفر الله تعالى من هذه الغفلات ونسترديه دليلا في مثل هذه الفلوات وأي ذنب في الفراق للزمن أو لغراب الدمن أو للرواحل المذللة ما بين الشام الى اليمن وما منها الا عبد مقهور وفي ربقة القدر مبهور عقد والحمد لله مشهور وحجة لها على النفس اللوامة ظهور جعلنا الله تعالى ممن ذكر المسبب في الاسباب وتذكر وما يذكر الا أولوا الالباب قبل غلق الرهن وسد الباب وبالجملة فالفراق ذاتي ووعده ماتي فان لم يكن فكأن قد ما أقرب اليوم من الغد والمرء في الوجود غريب وكل آت قريب وما من مقام الا زيال من غير احتيال والاعمار مراحل والايام أميال شعر

نصيبك في حياتك من حبيب • نصيبك في منامك من خيال

جعل الله تعالى الادب مع الحق شاننا وأبعد عنا الفراق الذي شاننا واني لاسر لسيدي بان رعى الله تعالى صالح سلفه وتداركه بالتلافي في تلفه وخلص سعادته من كلفه واله من الامر في كنفه وعلى قدرها تصاب العلياء واشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء هذا والخير والشر في هذه الدار المؤسسة على الاكدار ظلان مضمحلان فقد ارتفع ما نشر أو نفع وفارق المكان فكانه ما كان ومن كلمات الملوك البعيدة عن الشكوك الى أن يشاء مالك الملوك

خذ من زمانك ما تيسر • واترك بجهدك ما تعسر

ولرب مجمل الحالة • ترضى به ما لم يفسر

والدهر ليس بدائم • لابد أن سيسوء ان سر

واكتم حديثك جاهدا • شمت المحدث أو تحسر
والناس آنية الزجا • ج اذا عثرت به تكسر
لاتعدم التقوى فمن • عدم التقى فى الناس أعسر
واذا امرؤ خسر الاله فليس خلق منه أخسر

وان الله تعالى فى رعيك اسرا ولطفا مستمرا مستقرا اذ ألقاك اليم الى الساحل فاتخذ بيدك من ورطة الواحل وحرك منك عزيمة الراحل الى المالك الحلاحل فاداك من ابراهيمك سميا وعرفك بعد الولى وسميا ونقلك من عناية الى عنايه وهو الذى يقول وقوله الحق ما ننسخ من آية الآيه وقد وصل كتاب سيدى يحمد ولله الحمد العواقب ويصف المراقى التى حلها والمراقب وينشر المفاخر الحفصية والمناقب ويذكر ما هيأه الله تعالى لديها من اقبال ورخاء بال خصيصى اشتمال ونشوة آمال وانه اغتبط وارتبط وألقى العصا بعدما خبط ومثل تلك الخلافة العلية من تزن الذوات المخصوصة من الله تعالى بتشريف الادوات بميزان تميزها وتفرق بين شبه المعادن وابريزها وشبه الشئ منجذب اليه معروف ولقد أخطأ من قال الناس ظروف انما هم شجرات مربع فى بقعة ماحله وابل مائة لاتجد فيها راحله وما هو الا اتفاق وتجبه للملك واحقاق وقلما كذب اجماع واصفاق والجليس الصالح لرب السياسة أمل مطلوب وحظ اليه مجلوب وان سئل أطرف وعمر الوقت ببضاعة اشرف ومرق الطباع ومدق الحسنات الباع وسلى فى الخطوب وأضحك فى اليوم القطوب وهدى الى اقوم الطرق وأعان على نوائب الحق وزرع له المودة فى قلوب الخلق زاد الله تعالى سيدى لديها قربا وأثيرا وجعل فيه للجميع خيرا كثيرا بفضله وكرمه ولعلى بانه أبقاه الله تعالى يقبل نصحى ولا يرتاب فى صدق صبحى أغبطه بمثواه وأنشده ما حضر من البديهة فى مسارة هداه ونجواه

بمقام ابراهيم عذ واصرف به • فكرا تورق عن بواعث تنبرى
بجواره حرم وأنت حمامة • ورقاء والاغصان عود المنبر
فلقد أمنت من الزمان وريبه • وهو المروع للمسئ وللبرى

وان تشوف سيدى فلعمر وليه لو كان المطلوب دينا لوجب وقوع الاجتزاء ولاغتبط بما تحصل فى هذه الجزور المبيعة فى حانوت الزور من السهام الوافرة الاجزاء فالسلطان رعاه الله تعالى يوجب ما فوق مزية التعليم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن نالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم وترك لما بالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم ولا ينكر ذلك فى الحديث ولا فى القديم لكن النفس منصرفة عن هذا الغرض نافضة يدها من العرض قد فوقت الحاصل ووصلت فى الله تعالى القاطع وقطعت الواصل وصدقت لما نصح الفود الناصل وتأهبت للقاء الحمام الواصل وقلت

انظر خضاب الشباب قد نصلا • وزائر الانس بعده انفصلا

ومطلبي والذي كانت به • حاجات تحصيله تما حصلا
لا أمل مسعف ولا عمل • ونحن في ذا الموت قد وصلا

والوقت الى الامداد منكم بالدعاء في الاصائل والاسحار الى مقيل العثار شديد الافتقار والله عز وجل يصل لسيدي رعي جوانبه ويتولى تيسير آماله من فضله العميم وما ربه واقرأ عليه من التحيات الحلية من فوق رحال الاريحيات أزكاها ما أرجع البرق الغمام فأبكاها وحمد الروض جمال النجوم الزواهر وقابلها بابتسام الازهار وحكاها واضطجع هرم الليل عند الميل عصا الجوزاء وتوكاها ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى • (ومما خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى) ابن مرزوق المذكور قوله سيدي وعمادي كشف قناع النصيحة من وظائف صديق أو خديم اصيق وأما بلاكما الجوتين حقيق ويتلجلج في صدري كلام اناالى نفثه ذو احتياج ولو في سبيل هياج وخرق سياج وخوض دياج وقد أصبحت سعادتي عن أصل سعادتك فرعا فوجب النصح طبعا وشرعا فليعلم سيدي أن الجاه ورطه والاستغراق في تيار الدول غلطه وعمدا الطود الاأن يقي الله تعالى تكون السقطه وانه والله تعالى يعصمه من الحوادث ويقيه من الخطوب الكوارث وان تبعه الجمع فهو مفرد وبسهام الحسدة مقصد وان الذي يقبل يده يفهر حسده ومامن يوم الاوالعلل تستشرى والحيل تريش وتبرى ونجوم المكايد تسرى والعين الساهرة تطرق العين النائمة من حيث تدري ولا تدري وهذا الباب الكريم مخصوص بالزيارة والبركه وخصوصا في مثل هذه الحركه فثم طوائر غمائم السرائر وحيل تصيب في الجو الطائر وما عسى أن يحفظ المحسود وقد عوت الكلاب وزأرت الاسود وان ظن سيدي أن الخطة الدينية تذب عن نفسها أو تنفع مع غير جنسها فقياس غير صحيح وهبوب ريح واعماهي درجة فوق الوزارة والحجابه ودهر يدعى فيبادر بالاجابه وجاه يجرعلى القبيل الاذيال ويفيد العز والمال ويحرها الى وصدور تحمل الجبال وان قنع بالامان من جهة السلطان لم يؤمن أن يقع فيه والله سبحانه بقيه ويمتع به ويقيه ما البشر بصدده والحي يجري الى أمده فيستظهر الغير بقبيل ويجري من التغلب على سبيل ويبقى سيدي والله تعالى يعصمه طائرا بلا جناح ومحاربا دون سلاح ينادي من مكان يتبوؤه في طال ويقرع سن النادم والامر جال ومثله بين غير صنفه من لا يتصف بظرف ولا يلتفت الى الانسانية بطرف ولا يعبد الله تعالى ولو على حرف محمول عليه من حيث الصنفيه متعمد بالعداوة الخفيه وان ظن غير هذا فهو مخدوع مسحور ومفتون مغرور وبالفكر في الخلاص تفاضلت النفوس واستدفع البوس وله وجوه كلها متعذر الحصول دونه بيض النصول والاما كان من الغرض الذي بان فيه بعد الجد الفتور وعدل عنه وقد أخذ الدستور وتيسرت الامور وتقررت الاعمان والنذور فانه عرض قريب وسفر قاصد وسعي لا ينفق فيه سيدي من المال درهم واحد ووطن لحركته راصد لا يمنع عليه واهله ولا يستصعب سهله وأميره جبره الله تعالى يطارح في تعيينكم لاقتضائه واستحكام

آرائه وتأمين خائفه واستقدام أصنافه وطوائفه ويتحركون حركة العزو المنويه والقدر النبيه لا يعوزكم من وراءكم مطلب ولا يلفي عن مخالفتكم مذهب ولا يكدر لكم مشرب وتمر أيام وشهور وتظهر بطون للدهر وظهور وتفتح أبواب وتسبب أسباب من رجوع يأتي بعد السكون والفتور وقد سكنت الخواطر وتنوعت الامور أو مقام تهدنه البلاد ويعمل في ترتيب الصلة الحسنة الاجتهاد وتستغرق في هذا الغرض الآماد ويأتي ان حدث وتراكم حادث الاستقلال والاستبداد تنهتا فيه الاعمار ويكون ان ينتقل به على الشرق والغرب الجبار أو الحكم في ذخيرة سمائها المقدار وذهل عند مشاهدتها الاعتبار وخزانة الكتب بجملتها وفيها الامهات الكبار قد تجافت عنها الحاجة وعدم اليها الاضطرار والربع الذي يسوغ بالشرع والعقار فهذا كله حاصل وثم ضامن لا يتهم وكافل وعهود صبغها غير ناصل وبالجملة فالوطن لاغراض الملك جامع ولمقاصده من المقام او الانتقال مطيع وسامع وان توقع اثارة فتنه أو ارتكاب احنه فالامر أقرب وحالة التيسير أغرب وهذه الحجة في تلسان غير معتبره وأجوبتها مقرره وقدوم رسول الطاغية واعانته تحصل في الغالب على هذه المطالب وبالجملة فالدنيا قد اختلت والاقدام قد زلت والاموال قد قلت وشيمة الدهر ولت وذلك القطر على علاته أحكم ان يروم الجاه وأمنع وأجدى بكل اعتبار وأنفع وقد حضرت لاستخلاصكم ايام الآلة التي لا تتأتى في كل زمان وتهيأ امكانه أي امكان واقتضيت أعيان وعرضت سلع تقل لها الأثمان وارتهنت الوفاء مروءات وأديان وتحقق بذلك القطر الفساد الذي اشتهر به مأموره وأميره والمنكر الذي يجب على كل مسلم تغييره فان شئت شرعا فالحكم ظاهر أو طبعا فالطبع حاضر وما ثم عاذل بل عاذر والمؤنة التي تلزم أقل من أن تكون ثمن بعض الحصون فضلا عن الشجرة ذات الغصون وما يسع لك في هذا الغرض شئ له خطر ولا يستنقذ من العصمة سطر والمدحكمة بكل أوشطر وما يخص المملوك من هذا الامر الا استنقاذ نشب واستخلاص مؤمل بين موروث ومكتسب وبعد أن لا ينفرد في زمن من الازمان ملوك في كل وقت وأعيان ومروءات وأحساب وأديان والله سبحانه كل يوم هو في شان وأما خدمة دولة فهي على حرام لا ينصح لي فيها ان أعقد ها مرام وكاني بالمشرق لاحق ولا نفاسه الزكية ناشق فما هي الأطماع سراب الماع فاذا انقطعت انفسحت الدنيا واتسعت ومعاش في عمار أو عكوف في كسر دار لمداومة استقالة واستغفار والله ما توهم أن من تلك البلاد يستنسر بغاثه عليكم أو يحتقر ما لديكم فقد ظهر الكائن وتطابق الخبر والمعاين فسبحان من يقوي الضعيف ويهين المخيف ويجري يد المشروف والشريف والهم بيد الله تعالى يجددها ويخذلها والارض في قبضته يرعاها ويهملها هذا بث لا يسع افشاؤه وسر ان لم يطو سقط به على السرحان شاؤه وفيه ما ينكره الآمر وتتعلق به الظنون وتعمل الخواطر فتدبروه واعتبروه وبعقلكم فاسبروه ثم غطوه بالاحراق واستروه والله تعالى يرشدكم للتي هي أسعد ويحملكم على ما فيه لكم العز السرمد

قوله تنهتا فيه الخ ساقط في النسخ محرف عن ... مما يناسب المقام لمن ينتقل الخ على من ينتقل ذلك والربع نسخة ساقط من ذلك كله ويحرر

والفخر الذي لا ينفد والسلام انتهى * (وقال) رحمه الله تعالى ومما صدر عني ما اجيبت به عن كتاب بعث به الى الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدره المكنون
ماشئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالممنون
أوشئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة أم يحيى أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

ماهذا النشر والصف والحشر واللف والنشر والفجر والليالي العشر شذا كما تنفست دارين وسطور رقم خلالها التزيين وبيان قام على ابداعه البرهان المبين ونفس وشي به طرس نجاه كانه العيون العين لابل ماهذه الكتائب الكتيبة التي أطلقت علينا الاعنه وأشرعت الينا الأسنه وراعت الانس والجنه فأقسم بالرحمن لولا انها رفعت شعار الامان وحيت بتحية الايمان لراعت السرب وعاقت الذود أن يرد الشرب أظنها مدد الجهاد قدم وشارد العرب استعمل في سبيل الله واستخدم والمتأخر على مافاته ندم والعزم وجد بعد ماعدم نستغفر الله انما هي رقاع الرقاع وصلات صلاة ليس فيها سبق ولا ارقاع وبقاع لها بطل الطباع الكريمة انتفاع وألحان بيان يعضدها ايقاع ودر منسوق ورطب لغناها بسوق ولله در القائل المنسوق ومن نصر الشيخ على كتيبة نعقبها كتيبه واقتضاء وجيبة من ذي غلة غير غيبه بيناهو يكابد من مراجعة الحي من حضرموت المرت ولا يكاد يرجع الصوت اذ صبحته قيس وهي التي شذت عن القياس وأحجمت عن مبارزتها أسود الاخياس فلولا امتثال أمر وصبر على جمر لاعاد ماحكي في مبارزة الوصي عن عمرو فتحرج من الخطل وبين عذر المكره عن مناجزة البطل ألم يدر قائد رعيلها وزائر غيلها اني أمت بذمة من عميد لا تخفر وان ذنب اضافتي اليه لا يغفر وحقه الحق الذي لا يجحد ولا يكفر

لما رأت راية القيسي زاحفة * الي ريعت وقالت لي وما العمل
قلت الوغى ليس من رأيي ولا عملي * لاناقة لي في هذا ولا جمل
قد كان ذا الورقات الصهيل ضحى * تهز عطفي كأني شارب ثمل
والآن قد موح المرمى وقوضت الـخيمات والركب بعد اللبث محتمل
قالت ألست شهاب الدين تضرمها * حاشى العلا أن يقال استنوق الجمل
وان أحسن من هذا وذا وزر * بمثله في الدواهي يبلغ الامل
هو الحي لا يبحو استجره ففيئه الامن منسدل والفضل مكتمل
والله لو أعمل الراعي النقاد به * ماخاف من أسد خفان به همل
تكون من قوم موسى ان قضوا عدلوا * وان تقاعد دهر جائر حملوا
هم الجبال الرواسي كلما حكموا * هم البحار الطوامي كلما جملوا

فقلت كان لك الرحمن بعدي ما * سواه معتقد والرأي معتمل
فها أنا تحت ظل منه يخفق * والشمل مني بستر العز يشتمل
فقل لقيس اقد خاب القياس فلا * تذكروا المصاع وتحت الليل فاحتملوا
دامت لديم النعمى مساجلة * يمناه تنهمل اليمنى فتنهمل
وآمنت شمس علياه الافول الى * طي الوجود فلا شمس ولا حمل

ولو نحوي والعوذ بالله نجم هذا المتات ولم يتصف السبب وحاشاه بالاتصال ولا بالانبتات لرعي العدل مكفول وسبب الرفق موصول وان اشتجرت نصول والهرم تأبى الاهمال المنزل الى نزاله والناسك التائب يدين ضرب الغارات باعتزاله الامن أعرق في مذهب الخارجي الاخرق نافع بن الازرق وحسبي وقد ساء كسبي أن أترك الخطر لراكبه وأخلي الطريق لمن يبتغي المناربه ونسير بسير أمثالي من الضعفاء ونكف نهر زمان الاكتفاء ونسلم لخاويه هذا الفن الى الاكفاء ونقول بالبنين والرفاء فقد ذهب الزمن المذهب وتبين المذهب وشاخ البازي الاشهب وعاد العمر ينهب ومرهب الموت من فوق الفود يرهب اللهم ألهم هذه الانفس رشدها واذكرها السكرات ومابعدها ايه أخي والفضل وصفك ونعتك والزيف يبهرجه بحثك وسهام البراعة انفردتم باريك وبحتك وما تتقي رسالتك البرة بل غمامتك الثرة وحيتني ثغور فضلك المفترة نعظمت بورودها المسرة جددت العهد بعهود باقاتك وانهلت ظماي الاستطلاع من سقاتك واقتضت تجديد الدعاء ببقائك الانهار باذهات عند وداعك وأبهر عقلها ما نور ابداعك فلم تلق الوصيه وسلكت المسالك القصيه وابعدت من التحاوف وجاءت تبتغي من أسرار التصوف ومتى تقرن هيبة السبع الشداد بحانوت الحداد أو تنظر أحكام الاعتكاف بدكان الاسكاف أو يتعلم طبع المثقال بحانوت البقال والفاتن للغالب وقد تلتبس المطالب انكم أمرتموها لما أصدرتموها باعمال التشوف فطردت حكم الابدال غائبة عما يلزم من الجدال ومحت الشين صادا وعينت لزرع الوصية حصادا والله تعالى يجعل الحب عند ظن من نظر مرآته أو وصفه ببعض صفاته وهي تراق عن صفاته فالتصوف أشرف وظلاله أورف من أن ينال كاف بباطل ومغرور بسراب ماطل لارباب هاطل ومفتون بجمال حال أو عاطل ومن قال ولم يتصف بمقاله نعقله لم يرم عن عقاله وحبال أثقاله مانعة له من انتقاله وعلى ذلك وبعد تقرير هذه المسالك فقد عمرت يدها كيلا تمردها صفرا بعد اعمال السفر أو ترى انها قد طولبت بذنب الغلط المغتفر وأصحبت المراجعة بمجالس وعظ فتحت به باب الحرج الى انكار الامام أبي الفرج وفن الوعظ لما تأمل الاخ هو الصديق المسعد والبرق قبل غمام رحمته والرعد ولله در القائل است به ولم تبعد والاعتراض بعد ملازم لكن الاسعاف لقصده لازم وعامل عند الاعتلال بالعذر جازم واغضاؤه ملتمس وفضله لا يخبو منه قبس وعذرا أيها الفاضل وبعد الاعتذار عن القلم المهذار واغفال الحذار اقرأ عليهم من طيب السلام ما يخجل ازهار الكمام عقب الغمام

ورحمة الله تعالى من عليه على الكاتب ولعلها افتقدتها من عتب العاتب ابن الخطيب
فانى كتبته والليل دامس وبحر الظلام طامس وعادة الكسل طبع خامس والنائم
بشكوى البرغوث هامس والذبال المنادم خافت لا يهتدى اليه الفراش المتهافت يقوم
ويقعد ويفيق ثم يرعد ويزفر بخمد وربما صار ورقة آس أو مبضع آس وربما
اشبه العاشق فى البوح بما يخفيه وظهوره من فيه فتميله الآمال وتلويه وتميته
النواسم الهفافة بعدما تحييه والمطر قد تعذر معه الوطر وساءه الخطر وفصل فى
البيوت المتداعية ما لا تفعل الترك والتتار والنشاط قد طوى منه البساط والجوارح
بالكلال تعتذر وربطات الغد تنتظر والفكر فى الامور السلطانية جائل وهى بحر
هائل ومثلى مقنوع منه باليسير ومعذور فى قصر الباع وضعف المسير والسلام انتهى
وهى من البلاغة فى الذروة ٥ (ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى) قوله ومما صدر عنى
فى السياسة حديث من امتاز باعتبار الاخبار وحاز درجة الاشتهار بنقل حوادث
الليل والنهار وولج بين الكمائم والازهار وتلطف لخجل الورد من تبسم النهار (قال)
سهر الرشيد ليلة وقد مال فى هجر النبيذ ميله وجهد ندماؤه فى جلب راحته والمام
النوم بساحته فشحت مهادهم ولم يغن اجتهادهم فقال اذهبوا الى طرق سماها
ورسمها واقتهات قسمها فمن عثرتم عليه من طارق ليل أو غثاء سيل أو ساحب ذيل
فبلغوه الامنة سوغوه واستدعوه ولا تدعوه فطاروا عجالى وتفرقوا ركبانا
ورجالا فلم يكن الا ارتداد طرف أو فواق حرف وأتوا بالغنيمة التى اكتسبوها
والبضاعة التى جلبوها يتوسطهم الاشعث الاغبر واللج الذى لا يعبر شيخ طويل القامه
ظاهر الاستقامه سبلته مشمطه وعلى أنفه من القبح مطه وعليه ثوب مرقوع لطير
الخرق عليه وقوع يهينم بذكر مسموع وينبئ عن وقت مجموع فلما مثل سلم وما نبس
بعدها ولا تكلم فأشار اليه الملك فقعد بعد أن انشمر واتئد وجلس فما استرق النظر
ولا اختلس اثم حركه فكره معقودة بزمام ذكره ولحظات اعتباره فى تفاصيل أخباره
فابتدره الرشيد سائلا وانصرف اليه مائلا وقال من الرجل فقال فارسى الاصل
أعجمى الجنس عربى الفصل قال بلدك وأهلك وولدك قال أما الولد فولد الديوان
وأما البلد فمدينة الايوان قال النحلة وما أعملت اليه الرحلة قال أما الرحلة فالاعتبار
وأما النحلة فالامر الكبار قال ونسك الذى اشتمل عليه دنك فقال الحكمة فنى الذى
جعلته أثيرا وأضجعت فيه فراشا وثيرا وسبحان الذى يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا وما سوى ذلك فتبع ولى فيه مطاف ومرتبع قال فتعاضد جذل الرشيد
وتوفر كأنما أغشى وجهه قطعة من الصبح اذا أسفر وقال ما رأيت كالليلة أجمع لامل
شارد وأتم مؤانسة وارد يا هذا انى سائلك وان تخيب بعدو سائلك فأخبرنى ما عندك
فى هذا الامر الذى بلينا بحمل أعبائه ومنينا براوضة ابائه فقال هذا الامر قلادة
ثقيله ومن خطة العجز مستقيله ومفتقرة لسعة الذرع وربط السياسة المدنية بالشرع
يفسده الحكم فى غير محله ويكون ذريعة الى حله ويصلحه مقابلة الشكل بشكله

ومن لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع الى أكله (فقال الملك أجملت ففصل وبريت فنصل وكانت فاوصل وانثر الحب لمن يحوصل واقسم السياسة فنونا واجعل لكل لقب قانونا وابدأ بالرعيه وشروطها المرعيه (فقال) رعيتك ودائع الله تعالى قبلك ومرآة العدل الذى عليه جبلك ولا تصل الى ضبطهم الا باعانة الله تعالى التى وهب لك وأفضل ما استدعيت به عونه فيهم وكفايته التى تكفيهم تقويم نفسك عند قصد تقويمهم ورضاك بالسهر لتنويمهم وحراسة كهلهم ورضيعهم والترفع عن تضييعهم وأخذ كل طبقة بما عليها ومالها أخذا يحوط مالها ويحفظ عليها كمالها ويقصر عن غير الواجبات آمالها حتى تستشعر عليتها ايثارأثرتك وحنانك وتعرف أوساطها فى النصب امتنانك ويحذر سفلتها سنانك وحظر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها أو تخالف دورها أو تجاوز بأمر طاعتك فورها وسد فيها سبل الذريعه واقصر جميعها عن خدمة الملك بموجب الشريعه وامنع أغنياءها من البطر والبطاله والنظر فى شبهات الدين بالتشدق والاطاله والتقول فيما شجر بين الناس كلامها ويرفض ما تبزيه أعلامها فان ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق وامنعهم من خش الحرص والشره وتعاهدهم بالمواعظ التى تجلو البصائر من المره واحملهم من الاجتهاد فى العمارة على أحسن المذاهب وانههم عن التحاسد على المواهب وروضهم على الانفاق بقدر الحال والتعزى عن الفائت فرده من المحال وحذ الجدل على أهل اليسار والسفهاء على أولى الاعسار وخذهم من الشريعة بالواضح الظاهر وامنعهم من تأويلها منع القاهر ولا تطلق لهم التجمع على من أنكروا امره فى نواديهم وكف عنهم أكف تعديهم ولا تبح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم ولتكن غايتهم فيما توجهت اليه اباتهم وتكمت عن الموافقة عليه راياتهم انهاءه الى من وكلته بمصالحهم من ثقاتك المحافظين على أوقاتك وقدم منهم من أمنت عليهم مكره وجدت على الانصاف شكره ومن كثر حياؤه من التأنيب وقابل الهفوة باستتابة المنيب ومن لا يتخطى عن محله الذى حله فربما عمد الى المبرم فحله وحسن النية لهم بجهد الاستطاعه واعتبر المكاره فى جنب حسن الطاعه وان ثار جوادهم واختلف فى طاعتك مرادهم فحصن لثورتهم واثبت لفورتهم فاذا سألوا وسالوا وتفرقوا وانسلوا فاحتقر كثرتهم ولا تقل عثرتهم واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ولا تتركنهم على حالك اتكالا (ثم قال) والوزير الصالح أفضل عددك وأوصل مددك فهو الذى يصونك عن الابتذال ومباشرة الانذال ويثب لك على الفرصه وينوب فى تجرع الغصه واستجلاء القصه ويستحضر ما نسيته من أمورك ويغلب فيه الرأى بموافقة أمورك ولا يسعه ما تحتملك المسامحة به حتى يستوفيه واحذر مصادمة تياره والتجوز فى اختياره وقدم استخارة الله تعالى فى ايثاره وأرسل عيون الملاحظة على آثاره وليكن معروفا بالاخلاص لدولتك معقود الرضا والغضب برضاك وصولتك زاهدا عما فى يديك مؤثرا لكل ما يزلف لديك بعيد الهمه راعيا للاذمه كامل الآله محيطا بالايالة رحيب الصدر رفيع القدر معروف

البت فيه الحق والميت موثر العدل والاصلاح دربا بعمل السلاح ذاخبرة بعمل الملك وتدبيرها وطهرها وسرها صحيح العقد متحرزا من النقد جاذا عند لهوك متيقظا في حال سهوك يلين عند غضبك ويصل الاسهاب بتقضبك فلنا من شكره دونك وحمده نائب الك الاصابة بحمده وان أعياعليك وجود أكثر هذه الخلال وسبق الى نقصها شئ من الاختلال فاطلب منه سكون النفس وهدوءها وأن لا يرى منك رتبة الارأى قدره دونها وتقوى الله تعالى تفضل شرف الاكتساب وهي للفضائل فذلكة الحساب وساوق حفظ غيبه بين قربه ونأيه واجعل حظه من نعمتك موازيا لماناك من حسن رأيه واجتنب منهم من يرى في نفسه الى الملك سبيلا أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلا أومن كان ماله الى ماله أومن تقدم لعدوك استعماله أومن يمت لسوالك آماله أومن يغلم عليه اعراض وجهك ويهمه نادر نجهك أومن يداخل غير أحبابك أومن ينافس أحدا ببابك (وأما الجند) فاصرف التقديم منهم للمقاتلة والمكايدة والمحاتلة واستوف عليهم شرائط الخدمه وخذهم بالثبات للصدمه ووف ما أوجبت لهم من الجراية والنعمه وتعاهدهم عند الغناء بالصلة والطعمه ولا تكرم منهم الا من أكرمه غناؤه وطاب في الذب عن ملكك ثناؤه وول عليهم النبهاء من خيارهم واجتهد في صرفهم عن الافتتان بأهاليهم وديارهم ولا تواطئهم الدعة مهادا وقدمهم على حسبك وبعوثك بهما اردت جهادا ولا تلن لهم في الاغماض عن حسن طاعتك قيادا وعودهم حسن المواساة بأنفسهم اعتيادا ولا تسمح لاحد منهم في اغفال شئ من سلاح استظهاره أوعدة اشتهاره وليكن ما فضل من شبعهم وريهم مصروفا الى سلاحهم وزيهم والتزيد في مراكبهم وغلمانهم من غير اعتبار لاثمانهم وامنعهم من المشغلات والمتاجر ومايتكسب به غير المشاجر وليكن من الغزو اكتسابهم وعلى المغانم حسابهم كالجوارح التي تفسد باعتيادها أن تطعم من غير اصطيادها واعلم انه لا تبدل نفوسها من عالم الانسان الا ان تملك قلوبها بالاحسان وفضل الاحسان وتملك حركاتها بالتقويم وترتيبها بالميزان القويم ومن تنق باشفاقه على أولادها ويشترى رضا الله تعالى به بره على طاعته وجلادها فاذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمتك الى مواقف التلف طامعة دواعي الكلف واثقة منك بحسن الخلف واسبق الى تمييزهم استباقا وطبقهم طباقا أعلاها من تأملت منه في المحاربة عملا اخطارا وأبعدهم في مرضاتك مطارا وأضبطهم لما تحت يده من رجالك حرما ووقارا واستهانة بالعظائم واحتقارا وأحسنهم ان تقلده أمرك من الرعية جوارا اذا أجدت اختبارا وأشدهم على مماثلة من مارسه من الخوارج عليك اصطبارا ومن يلي في الذي من لك اعلاء واسرارا ولقته الضر في معارض الدفاع عنك مرارا وبعده من كانت محبته لك أزيد من نجدته وموقع رأيه أنفع من موقع صعدته وبعدهما من حسن انقياده لامرائك واجتهاده لا رائك ومن يجعل نفسه من الامر حيث جعله وكان صبره على ماعراه كثيرا من اعتداده بما فعله واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ولم يستحي من

التزيد باضعاف مابذله من الدفاع وشكا الجنس فيما تعذر عليه من فوائدك وقاس بين عوائد عدلك وعوائدك وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله وأظهر الكراهية لحاله (وأما العمال) فانهم ينبؤن عن مذهبك وحالهم فى الغالب شديدة الشبه بك فعرّفهم فى أمانتك السعاده وألزمهم فى رعيتك العاده وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم فى الانصاف بالعدل والانصاف وأحلهم من الحظايه بنسبة مراتبهم من الامانة والكفايه وقفهم عند تقليد الارجاء مواقف الخوف والرجاء وقرر فى نفوسهم أن أعظم مابه اليك تقربوا وفيه تدربوا وفى سبيله أجدوا وأعربوا اقامة حق ودحض باطل حتى لا يشكو غريم مطل ماطل وهو آثر لديك من كل رباب هاطل وكفهم من الرزق الموافق عن التصدى لدنىء المرافق واصطنع منهم من تيسرت كفايته وقويت للرعايا الفته ومن زاد على تأميله صبره وأربى على خبره خبره وكانت رغبته فى حسن الذكر تشف على بنات الفكر واجتنب منهم من يغلب عليه التخرق فى الانفاق وعدم الاشفاق والتنافس فى الاكتساب وسهل عليه سوء الحساب وكانت ذريعته الصانعة بالنفايه دون التقصى والكفايه ومن كان منشؤه خاملا ولا عباء الدناءة حاملا وابغ من يكون الاعتذار فى أعماله أوضح من الاعتذار فى أقواله ولا يفتننك من قلدته اجتلاب الحظ المقنع والتفنق بالسعى المسمع ومخالفة السنن المرعيه واتباعه رضاك بسخط الرعيه فانه قد غشك من حيث بك وشك وجعل من يمينك فى شمالك حاضر مالك ولا تضمن عاملا مال عمله وحل بينه فيه وبين أمله فانك تميت رسومك بحسباه وتخرجه من خدمتك فيه الا أن تملكه اياه ولا تجمع له بين الاعمال فيسقط استظهارك ببلد على بلد والاحتجاج على والد بولد واحرص على أن يكون فى الولاية غريبا ومنتقله منك قريبا ورهينة لا يزال معها مريبا ولا تقبل مصالحته على شىء اختانه ولو برغيبة فتانه فتقبل المصانعة فى أماناتك وتكون مشاركا له فى خياناتك ولا تطل مدة العمل وتعاهد كشف الامور ممن يرعى الهمل ويبلغ الامل (وأما الولد) فأحسن آدابهم واجعل الخير دابهم وخف عليهم من اشفاقك وحنانك أكثر من غلظة جنانك واكتم عنهم ميلك وأفض فيهم جودك ونيلك ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك وأثبهم على حسن الجواب وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب وعلمهم الصبر على الصرائر والمهلة عند استخفاف الجرائر وخذهم بحسن السرائر وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس وحسن الاصطناع والاحتراس والاستكثار من أولى المراتب والعلوم والسياسات والحلوم والمقام المعلوم وكره اليهم مجالسة الملهين ومصاحبة الساهين وجاهد أهواءهم عن عقولهم وحذر الكذب على مقولهم ورشحهم اذا آنست منهم رشدا أو هديا وأرضعهم من الموازرة والمشاورة ثديا لتدربهم على الاعتياد وتحملهم على الازدياد وروضهم رياضة الجياد واحذر عليهم الشهوات فهى داؤهم واعداؤك فى الحقيقة وأعداؤهم وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت واقذعها اذا هجمت قبل أن يظهر تضعيفها ويقوى ضعيفها فان أعجزتك فى الصغر الحيل عظم الميل

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت • ولن تلين اذا قومتها الخشب

واذا قدروا على التدبير وتشوّفوا للعمل الكبير اياك أن توطنهم فى مكانك جهدامكانك وتزقهم فى بلدانك تفريق عبدانك واستعملهم فى بعوث جهادك والنيابة عنك فى سبيل اجتهادك فان حضرتك تشغلهم بالتحاسد والتبارى والتقاصد وانظر اليهم بأعين الثقات فان عين الثقة تبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة (وأما الخدم) فانهم بمنزلة الجوارح التى تفرق بها وتجمع وتبصر وتسمع فرضهم بالصدق والامانه ومنهم صون الخيانه وخذهم بحسن الانقياد الى ما آثرته والتقليل مما استكثرته واحذرهم من تفويت شهواته وضاقت من هواه أهوائه فان الشهوات تنازعك فى استرقاقه وتشاركك فى استحقاقه وخيرهم من ستر ذلك عنه بلطف الحيله وأداب للفساد حيله وأشرب قلوبهم أن الحق فى كل ما حاولته واستنزلته وأن الباطل فى كل ما جانبته واعتزلته وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب وباين الادب وتجنب وأعط من أكددته وامتهنت منه ملكه وشدته روحة يستقل فيها بعقبته على حسب صعوبة ما يعانيه تعطهم فيها يسار حهم وتجم كايلة جوارحهم واشكك عطاياك فيهم بالمقدار الذى لا يبطر اعلامهم ولا يوسف الاصاغر فيفسد أحلامهم ولا ترم محسنهم بالعناية من احسانك واترك ازيدهم فضلة من رفدك وامانك وحذر عليهم مخالفتك ولو فى صلاحك بجد صلاحك وامنعهم من التواثب والتشاجر ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهاجر واستخلص منهم لسرك من قلت فى الافشاء ذنوبه وكان أصبر على ما ينوبه ولو دائما من كانت رغبته فى وظيفة لسانك أكثر من رغبته فى احسانك وضبطه لما تقلدمن وديعتك أحب اليه من حسن صنيعتك وللسفارة عنك من حلا الصدق فى فمه وآثره ولو باخطار دمه واستوفى لك وعليك فهم ما تحمله وعنى بنقله حتى لا يهمله وان تودعه أعداء ولتلك من كان مقصور الامل قليل القول صادق العمل ومن كانت قوته زائدة على رجته وعطمه فى مرضاتك آثر من شهمته ورأيه فى الحذر سديد وتحرزه من الحيل شديد وبخدمتك فى ليلك ونهارك من لذات طباعه وامتد فى حسن الصحبة باعه وأمن كيده وغدره وسلم من الحقد صدره ورأى المطامع قاطع واستثقل اعادة ما سمع وكان بريئا من الملال والبشر عليه أغلب الخلال ولا تؤنسهم منك بقبيح فعل ولا قول ولا تؤيسهم من طول ومكن فى نفوسهم أن أقوى شفعائهم وأقرب الى الاجابة من دعائهم اصابة الغرض فيما به وكلوا وعليه شكلوا فانك لا تعدم بهم انتفاعا ولا يعدمون لديك ارتفاعا (وأما الحرم) فهم مغارس الولد ورياحين الخلد وراحة القلب الذى أجهدته الافكار والنفس التى تقسمها الاجهاد الى المساعى والافكار فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم المترفعة عن القيم ما لا يسوءك فى خلدك أن يكون فى ولدك واحذر أن تجعل لمكر بشر دون بصر اليهن سبيلا وانصب دون ذلك عذابا وبيلا وارعهن من النساء العجز من بانت فى الديانة والامانة سبيله وقويت غيرته ونبله وخذهن بملازمة الثبات والشيم السنيات وحسن الاسترسال والخلق السلسال

وحذرعليهن التغاير والتغاير والتنافس والتخاير واحسن بينهن فى الاغراض والتصامم عن الاعراض والمحاباة بالاعراض واقلل من مخالطتهن فهو أبقى لهيمتك وأسبل لحرمتك ولتكن عشرتك لهن عند الكلال والملال وضيق الاحتمال بكثرة الاعمال وعند الغضب والنوم والفراغ من نصب اليوم واجعل مبيتك بينهن تنم بركاتك وتستتر حركاتك وافصل من ولدت منهن الى مسكن يختبر به استقلالها ويعتبر بالتفرد خلالها ولا تطالق لحرمة شفاعة ولا تدبيرا ولا تنط بها من الامر صغيرا ولا كبيرا واحذر أن يظاهر على خدمهن فى خروجهن عن القصور وبروزهن من أجنة الاسد الهصور زى بارع ولا طيب للانوف مسارع واخصص بذلك من طعن فى السن ويئس من الانس والجن ومن توفر النزوع الى الخيرات قبله وقصر عن جمال الصورة ورسم بالبله ثم لما بلغ الى هذا الحد حمى وطيس استحفاره وختم حزبه باستغفاره ثم صمت مليا واستعاد كلاما أوليا ثم قال واعلم يا امير المؤمنين سدد الله تعالى سهمك لاغراض خلافته وعصمك من الزمان وآفته انك فى مجلس الفصل ومباشرة الفرع من ملكك والاصل فى طائفة من عز الله تعالى تذب عنك حماتها وتدافع عن حوزتك كماتها فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزرى منه بضاعه أو يجمح بك رضاك على اضاعه ولتكن قدرتك وقفا على الانصاف بالعدل والانصاف واحكم بالسويه واجنح بتدبيرك الى حسن الرويه وخف أن تقعد بك اناتك عن حزم تعين أو تستفزك العجلة فى أمر لم يتبين وأطع الحجة ما توجهت اليك ولا تحفل بها اذا كانت عليك فانقيادك اليها أحسن من ظفرك والحق أجدى من نفرك ولا تردن النصيحة فى وجه ولا تقابل عليها بجبه فتنبهها اذا استدعيتها وتحجب عنك ان استوعيتها ولا تستدعها من غير أهلها فيشغبك أولو الاغراض بجهلها واحرص على أن لا ينقضى مجلس جلسته أو زمن اختلسته الا وقد أحرزت فضيلة زائده أو وثقت منه فى معادك بفائده ولا يزهدنك فى المال كثرته فتقل فى نفسك أثرته وقس الشاهد بالغائب واذكر وقوع ما لا يحتسب من النوائب فالمال المصون أمنع الحصون ومن قل ماله قصرت آماله وتهاون بيمينه شماله والملك اذا فقد خزينه أخنى على أهل الجدة التى تزينه وعاد على رعيته بالاجحاف وعلى جبايته بالالحاف وساء معتاد عيشه وصغر فى عيون جيشه وتواعليه بنصره وأنفوا من الاقتصار على قصره وفى المال قوة معنويه تصرف الناس لصاحبه وتربط آمال أهل السلاح به والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة الى خلافه فتجمع بالشهوات بين اتلافك واتلافه واستأنس بحسن جوارها واصرف فى حقوق الله تعالى بعض أطوارها فان فضل المال عن الاجل فأجل ولم يضر ما خلف منه بين يدى الله عز وجل وما ينفق فى سبيل الشريعه وسد الذريعه مأمول خلفه وما سواه فمتعين تلفه واستخلص لنواديك الخاصه ومجالسك العامة والخاصه من يليق بولوج عتبها والعروج لرتبها أما العامية فمن عظم عند الناس قدره وانشرح بالعلم صدره أو ظهر يساره وكان لله تعالى اخباته وانكساره ومن كان للقيام منتصبا وبتاج

الدورة معتصبا وأما الخاصة فمن رقت طباعه وامتد فيما يليق بتلك المجالس باعه
ومن تبحر في سير الحكماء وأخلاق الكرماء ومن له فضل سافر وطبع للدنية منافر
ولديه من كل ما تستتر به الملوك من العوام حظ وافر وصف الباهم بحصول خيرك وسكن
قلوبهم بين طيرك وأغنهم ما قدرت عن غيرك واعلم بأن مواقع العلماء من ملكك مواقع
المشاعل المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء وتجلو بنورها
صور الاشياء وفرعها القصير ما زين مدنك ويحسن من بعد البلاء حديثك وبعناية
الاواخر ذكرت الاول واذا محيت المفاخر خربت الدول واعلم أن بقاء الذكر
مشروط بعمارة البلدان وتخليد الآثار الباقية في القاصي والدان فاحرص على
ما يوضح في الدهر سبيلك ويحرز المزية على من قبلك وان خير الملوك من شاق بالحجة وهو
قادر على القهر وبذل الانصاف في السر والجهر مع التمكن من المال والظهر وسار
الرعية بجمال لملكك وشرف وفاتهم من ذلك طارف فغاب أليق الحالين بملكك وأولاهما
بطلعتك وحلك واعلم أن كرامة الجور داثره وكرامة العدل متكاثره والغلبة بالخير
سياده وبالشر هواده واعلم أن حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكاية الخوارج
ويسمو بك الى المعارج فانها تقصد أنواع المدع وتورى بتغيير البدع وأطلق على
عدوك أيدي الاقوياء من الاكفاء وألسنة الضعفاء وامتثل عند نكثهم
شعار الوفاء ولتكن ثقتك بالله تعالى أكثر من ثقتك بقوة تجدها وكتيبة تجدها فان
الاخلاص يمنحك قوى لا تكتسب ويهدك مع الاوقات نصرا لا يحتسب والتمس أبدا
سلم من سالمك بنفيس ما في يدك وفضل حاصل يومك على منتظر غدك فان أبي وضيع
محبتك وقامت عليه للناس بذلك حجتك فالنفوس على الباغين ميل وإياهم من جانبه نيل
واستمد في كل يوم سيرة من يناويك واجتهد أن لا يوازيك في خير ولا يساويك واكذب
بالخير ما يشيعه من مساويك ولا تقبل من الاطراء الا ما كان قبلك فضل عن اطالته
وجد تزرى على بطالته ولا تلق المذنب بجميلك وسبك واذكر عند حركة الغضب ذنوبك
الى ربك ولا تنس أن رب المذنب أجلسك مجلس الفصل وجعل في قبضتك رياش النصل
وتشاغل في هدنة الايام بالاستعداد واعلم أن التراخي منذر بالاشتداد ولا تهمل عرض
ديوانك واختبار أعوانك وتحصين معاقلك وقلاعك وعم ايالتك بحسن اطلاعك
ولا تشغل زمن الهدنة بلذاتك فتجني في الشدة على ذاتك ولا تطلق في دولتك ألسنة
الكهانة والارجاف ومطاردة الآمال العجاف فانه يبعث سوء القول ويفتح باب
الغول وخذ على المدرسين والمتعلمين والعلماء والمتكلمين حمل الاحداث على الشكوك
الخالجة والمزلات الوالجة فانه يفسد طباعهم ويغرى سباعهم ويمد في مخالفة الملة
باعهم واستسهل الشفاعات فانها تفسد عليك حسن الاختيار وتنفس الخيار وابذل
في الاسرى من حسن ملكتك ما يرضى من ملكك رقابها وقلدك ثوابها وعقابها وناق
بدء نهارك بذكر الله تعالى في ترقبك واستدلالك واختم اليوم بمثل ذلك واعلم انك مع
كثرة حجابك وكثافة حجابك بمنزلة الظاهر للعيون المطالب بالديون لشدة البحث عن

امورك

أمورك وتعرّف السرّ الخفيّ بين أمرك ومأمورك فاعمل في سرك مالا تستقبح أن يكون ظاهرا ولا تأنف أن تكون به مجاهرا وأحكم برك في الله وفضلك وخف من ذوقك يخف من تحتك واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أو زادت مؤنته على نصيبه منك وفرضه فأصمت الحجج وثوق النجح واستعرب بالامل ولا يحملنك استعظام الامور على الاستهانة بالعمل ولا تحقرن صغير الفساد فيأخذ في الاستشاد واحبس الالسنة عن التخالي باغتيابك والتشبث بأذيال ثيابك فان سوء الطاعة ينتقل من الاعين الباصره الى الالسن القاصره ثم الى الايدي المتناصره ولا تثق بنفسك في قتال عدو باياك حتى تظفر بعدو غضبك وهواك ولكن خوفك من سوء تدبيرك أكثر من عدوك الساعي في تتبيرك واذا استفزت ناجما او امنت ثائرا هاجما فلا تقلده البلد الذي فيه نجم وهي عارضه فيه وانسجم بعظام عليك القدح في اختيارك والغض من ابشارك واحترز من كيده في جوارك وما تلك فانك أكبر همه وليس بأكبر همك وجل المملكة بتأمين الطرقات وتسهيل الاقوات وتجديد ما يتعامل من الصرف في البياعات واجراء العوائد مع الايام والساعات ولا يبخس عيار قيم البضاعات ولتكن يدك عن أموال الناس محجوره وفي احترامها الاعين الثلاثة ماجوره مال من عدا طوره طور أهله وتخارق في الملابس والزينه وفضول المدينه يروم معارضتك بجهله ومن باطن اعدائك وامن اعتدائك ومن أساء جوار رعيتك باحساره وبذل الاذاية فيهم بيمينه ويساره وأضمر مامنيت به التعادي بين عبدانك أوفى بلد من بلدانك فسد فيه الباب واسأل عن الاسباب وانقلهم بوساطة أولي الالباب الى حالة الاحباب ولا تطوق الاعلام أطواق المنون بهواجس الظنون فهو أمر لا يقف عند حد ولا ينتهي الى عد واجعل ولدك في احتراسك حتى لا يطمع في افتراسك * ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف وعموده يريد أن ينقصف ومجال الوصايا أكثر مما يصف قال يا أمير المؤمنين بحر السياسة زاخر وعمر المتسع بناديك مستأخر فان أذنت في فن من فنون الانس يجذب بالمقاد الى راحة الرقاد ويعتق النفس بقدرة ذي الجلال من ملكة الكلال فقال أما والله قد استحسنا ما سردت فشأنك وما أردت فاستدعى عودا فأصلحه حتى جدده وأبعد في اختباره أمده ثم حركه وأطال الجس منه ثم تغنى بصوت يستدعي الانصات ويصدع الحصاة ويستفز الحليم عن وقاره ويستوقف الطير ورزق بنيه في منقاره وقال

صاح ما أعطر القبول بنفحه * أتراها أطالت اللبث ثمه
هي دار الهوى مني النفس فيها * أبد الدهر والاماني جمه
ان يكن ما أرج الجو منها * واستفاد الشذا والانمه
من لطرفي بنظرة ولا نفي * في رباها وفي ثراها بشمه
ذكر العهد فانتفضت كأني * طرقتني من الملائك لمه
وطن قد نضيت فيه شبابا * لم تدنس منه البرود مذمه

بتّ عنه والعمر من أجل من قد * خلفته خلاله مغتمه
كان حلما ويح من أمل الدهر وأعماه جهله وأصمه
تامل العيش بعد أن خلق الجسم وبانه عسير المرمه
وغدت وفرة الشبيبة بالشيـ * ـب على رغم أنفها معتمه
فلقد فاز سالك جعل الله الى الله قصده ومأمه
من يبت من غرور دنيا بهم * يلدغ القلب اكثر الله همه

ثم أمال العين الى لون التنويم فأخذ كل فى النعاس والتهويم وأطال الجس فى الثقيل عاكما عكوف الصاحى فى المقيل حتى طاعبون القوم بخيوط النوم وعمر بهم المراقد كانما أدار عليهم المراقد ثم انصرف فما علم به أحد ولا عرف ولما أفاق الرشيد جد فى طلبه فلم يعلم منقلبه فأسف للفراق وأمر بتخليد حكمه فى بطون الاوراق فهى الى اليوم تتلى وتنقل وتجلى القلوب بها وتصقل والحمد لله رب العالمين انتهى *(وقال) فى الاحاطة بعد ايراد نبذة من نثره ما صورته فهذا ما حضرنى من المنثور وحظه عندى من الاجادة ضعيف وغرضه كما شاء الله تعالى سخيف لكن الله سبحانه بعباده لطيف انتهى *(ومما) علق بحفظى من نثره قوله فى تحليته لبعض أهل زمانه هو امام الفئة وعين أعيان هذه المائه * وقوله فى وصف فاس نعم العرين لاسود بنى مرين ذات المشاهد التى منها مطرح الجنة ومسجد الصابرين

بلد اعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤوس

جمعت ما ولد سام وحام وكثرة الالتئام والالتحام واشتد الزحام الى أن قال يلقى الرجل أباه وأخاه فلا يدعوه لبيته ولا يطعمه من بقله وزيته ولا يطرق الضيف حماهم ولا يعرف اسمهم ولا مسماهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم * وقوله فى وصف مراكش المحروسة ذات المقاصر والقصور ومأوى الليث الهصور ومسكن الناصر والمنصور الى أن قال ومنارها فى العلاء بمنزلة أولى الولاء ثم قال بعد كلام الا أن ثراها هائل وزمانها حرب وائل وعقاربها كثيرة الدبيب منغصة لمضاجعة الحبيب انتهى ما كتبته من حفظى لطول العهد *(وقال رحمه الله تعالى فى وصف مدينة بسطة من كلام لم يحضرنى جميعه الآن محل خصيب ومنزل رحيب وكفاها مسجد الجنة دليلا على البركة وباب المسك دليلا على الطيب ولها من اسمها نصيب اذ هى بحر الطعام وينبوع العيون المتعددة بتعدد أيام العام انتهى *(ولما) أجرى ذكر بسطة الامام أبو الحسن القلصادى فى رحلته قال سقى الله تعالى أرباها المشرقه وأغصانها المورقه ثابت الاحسان ومهدها بالهدنة والامان دار تتخيل منها الدور وتتقاصر عنها القصور وتقر لها بالقصور مع ما حوته من المحاسن والفضائل من صحة أجسام أهلها وما طبعوا عليه من كرم الشمائل وحسبك فيها من عدم الحرج أن داخلها باب الفرج ثم قال ولله در القائل

دار مشى الاتقان فى تحييدها • حتى تناسب روضها وبناؤها
مرقومة الجنبات ذات قرارة • يتسدّ ندام العيون فضاؤها
مازال يضحك دائما نوارها • فى وجه ساحته ويلعب ماؤها

ولبعض أصحابنا بها وهو الاديب الكاتب أبو عبد الله بن الازرق

فى بسطة حيث الاباطح مشرقه • أضحت جفونى بالمحاسن معلقه

وله أيضا فى توريه

قل لمن رام النوى عن وطن • قوله ليس بها من حرج
فرج الهم بسكنى بسطة • انها فى بسطة باب الفرج

انتهى

•(رجع)• ومن نثر لسان الدين رحمه الله تعالى ما خاطب به السلطان على لسان جدّته وهو الى قرة أعيننا وأعين المؤمنين وفلذة كبدنا الذى نصل للقائه الحنين بالحنين وعزنا الذى حلّ للنامن كنفه بالحرم الامين وسترنا الذى خلفنا رضاه من أفقده الدهر من كرم البنين ووارثنا المستأثر بعد نابطول السنين أمير المسلمين الاسعد المؤيد الموفق الطاهر البرّ الرحيم الارضى الكامل الفاضل حفيدنا محمد ابن ولدنا الرضى وواحدنا الكريم الحنىّ السلطان الكبير الجليل السعيد الطاهر الظاهر المقدّس جعل الله تعالى من عصمته رعيا رافقه وأجرى القدر بما وافقه وحفظ عليه الكمال الذى تناسب فيه خلقه وخلائقه والبرّ الذى حسنت فيه طرقه وطرائقه من المستظلة بظلال رضاه وبرّه المبتهلة الى الله تعالى فى عز نصره وسعادة أمره الداعية الى الله تعالى أن يسترها فى الحياة وما بعدها بستره ومايفضل عمرها من عمره جدّته الناظرة اليه كتبته من كنفه العزيز بحمرائه العلية عن الخير الدائم بدوامه واليسر اللازم ببركة أيامه ولا زائد بفضل الله تعالى الا الشوق اليه وتحويم الكبد الخافقة خفوق رايته عليه وتجهيز مواكب الدعاء المقبول من خلفه ومن بين يديه وقد وصل كتابه العزيز الوفادة والوصول الكريم الجمل والفصول مطلع وجه السرور والجذل ومهدى قصىّ الامل ومجدّد العهد بجديته الذى فى ضمنه شفاء الغالى وبرء العلل مهديا تحفة عافيته وهى الهدية التى جلت عن المكافاه وترفعت عن المجازاه انما يجازى عليها من يصل بفضله عادتها ويوالى بعد الابداء اعادتها ووصفتم ياولدى ماعرفتم من نعم الله تعالى التى انثالت عليكم سحائبها وعنايته التى يلتق ركائبكم تسهيلها وترحابها واستبشار الجهات بقدومكم الميمون واجتلاء وجهكم الذى فيه للاسلام قرة العيون وكيف لايكون ذلك وأنتم ذخرهم العزيز وحرزهم الحريز والندرة التى خلصها من معادن سلفكم الذهب الابريز فى أيامكم والحمد لله نامت أجفانهم وتكيف أمانهم نسأل الله تعالى أن يديم لنا ولهم نعمة بقائكم ويعلى الدين بعلوّكم فى معارج العز وارتقائكم فقابلنا ماقرّره سلطانكم بالحمد والثنا والشكر المتصل على الآنا ومحضتكم من خالص الدعاء مايتكفل لكم بالحسنى وما وعد الله تعالى من نيل الرجاء وتمهيد الارجاء وأصدرت هذا الجواب لكم مصدر الهناء بنعم الله تعالى المغدقة والآلاء ونسأل من فضلكم وبرّكم صلة التعريف بمثل هذه الاخبار السارة والانباء

واتحافنا بعنايتكم مع الصباح والمساء وان كان مجدكم غنيا عن التنبيه لمثل هذه الاشياء أدام الله تعالى لكم أسباب البقاء وكان لكم في كل حال من اقامة وارتحال بعزة وجهه وقدرته انتهى * ويرحم الله تعالى لسان الدين بن الخطيب فانه يعبر في كل مقام بما يليق فتارة يترقى في أدراج البراعه وطورا يتملك عنان اليراعه * (وأما شعر لسان الدين رحمه الله تعالى) فهو من النهاية في الحسن وقد تقدم في هذا الكتاب منه نبذة في أثناء نثره وكلامه الذي جلبنا وفي مواضع غيرهما جملة مفيدة من شعره رحمه الله تعالى وقال رحمه الله تعالى في الاحاطة ما نصه الشعر ولنثبت جملة من مطولاته ونسله بشئ من مقطوعاته ونقدم من المطولات أمداح رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركا بها فمن ذلك قولي

هل كنت تعلم في هبوب الريح • نفسا يروح لاعج التبريح
أهدتك من شيح الحجاز تحية • فاحت لها عرض البطاح الفيح
بالله قل لي كيف نيران الهوى • ما بين ريح في الفلاة وشيح
وخضيبة المنقار تحسب أنها • نهلت بمورد دمعي المسفوح
باحت بما تخفي وناحت في الدجى • فرأيت في الآماق دعوة نوح
نطقت بما يخفيه قلبي أدمعي • وأطالما صمتت عن التصريح
عجبا لأجفاني سمحن شهادة • عن ثابت بين الضلوع جريح
ولطالما كتبت رواة مدامعي • في صفحتيها حلية التجريح
جاد الحمى بعدي وأجراع الحمى • جود تكفل بمتون الريح
هن المنازل ما تزايد بعدها • سال ولا وجدي بها بمريح
حسبي ولوعا أن أزور بفكرتي • زوارها والجسم رهن نزوح
فأبث فيها من حديث صبابتي • وأحث فيها من جناح جموحي
ودجنة كادت تضل بها السرى • لولا وميض البارق الممسوح
وعشت كواكب جوها فكأنها • ورق تقلبها بنان شحيح
سايرت منها اللجة مهما ارقلت • وطمت رميت عبابها بسبوح
حتى اذا الكف الخضيب بأفقها • صفحت بوجه للصباح صبيح
شمت الني وحمدت ادلاج السرى • وزجرت للآمال كل سنيح
فكأنما ليلى نسيب قصيدتي • والصبح فيه تخلص لمديح
لما حططت بخير من وطئ الثرى • بعنان كل مولد وصريح
وحي اله العرش بين عباده • وأمينه الأرضى على ما يوحي
والآية الكبرى التي أنوارها • ضاءت أشعتها بصفحة يوح
رب المقال الصدق والآي التي • راقت بها أوراق كل صحيح
كهف الانام اذا تفاقم معضل • حلوا بساحة بابه المفتوح
يردون منه على مثابة راحم • جم الهبات عن الذنوب صفوح

لهفي على عمر مضى أنفقته * في ملعب للترهات فسيح
يا زاجر الوجناء يعتسف الفلا * والليل يعثر في فضول مسوح
يصل السرى سبقا الى خير الورى * والركب بين موسد وطريح
لي في حمى ذاك الضريح لبانة * ان أصبحت لبنى أنا ابن ذريح
ويهبط الروح الامين أمانة * اليمن فيها والامان لروحي
يا صفوة الله المكين مكانه * يا خير مؤتمن وخير نصيح
أقرضت فيك الله صدق محبتي * أيكون تجري فيك غير ربيح
حاشا وكلا أن تخيب وسائلي * أو أن أرى مسعاي غير نجيح
ان عاق عنك قبيح ما كسبت يدي * يوما فوجه العفو غير قبيح
واجتليت من حلبة الفكر التي * أغريتها بغرامي المشروح
قصرت خطاها بعدما أمرتها * من كل موفور الجمام جموح
مدحتك آيات الكتاب فما عسى * يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله أثنى مفصحا * كان القصور قصار كل فصيح
صلى عليك الله ما هبت صبا * فهفت بغصن في الرياض مروح
واستأثر الرحمن جل جلاله * عن خلقه بخفي سر الروح

وأنشدت السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الاعظم من عام ثلاثة وستين وسبعمائة هذه القصيدة

تألق نجديا فأذكرني نجدا * وهاج بي الشوق المبرح والوجدا
وميض رأى برد الغمامة مغفلا * فمد يدا بالتبر أعلمت البردا
تبسم في بحرية قد تجهمت * فما بذلت وصلا ولا ضربت وعدا
وراود منها فاركا قد تنعمت * فأهوى لها نصلا وهددها رعدا
وأغرى بها كف الغلاب فأصبحت * ذلولا ولم تسطع لامرته ردا
بحلتها الحمراء من شفق الضحى * نضاها وحل المزن من جيدها عقدا
لك الله من برق كأن وميضه * يد الساهر المقرور قد قدحت زندا
لعل من سكانه شيم الندى * فغادر أجراع الحمى روضة تندى
وتوج من نوارها قنن الربا * وختم من أزهارها القضب الملدا
لسرعان ما كانت مناسف للصبا * فقد ضحكت زهرا وقد خجلت وردا
بلاد عهدنا في قرارتها الصبا * يقل لذاك العهد أن يألف العهدا
اذا ما النسيم اعتل في عرصاتها * تناول فيها البان والشيح والرندا
فكم في مجاني وردها من علاقة * اذا ما استثيرت أرضها أنبتت وجدا
اذا استشعرتها النفس عاهدت الجوى * اذا التمحتها العين عاقدت السهدا
ومن عاشق حر اذا ما استماله * حديث الهوى العذري صيره عبدا
ومن ذابل يحكي المحبين رقة * فيثني اذا ما هب عرف الصبا قدا

سقى الله نجدا ما تنفست بذكرها • على كبدى الا وجدت لها بردا
وآنس قلبى فوز لعهد سافنا • وقل على الايام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق الا ذبالة • اذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا
صبور اذا الشوق استجاد كتيبة • تجوس خلال الصبر كان لها سدا
وقد كنت جلدا قبل أن يذهب النوى • ذماى وأن يستأصل العظم والجلدا
أأجحد حق الحب والدمع شاهد • وقد وقع التسجيل من بعد ما أدى
تناثر فى اثر الحمول فريده • فلله عينا من رأى الجوهر الفردا
جرى يققا فى ملعب الخد اشهبا • واجهده ركض الاسى فجرى وردا
ومرتحل أجريت دمى خلفه • ليرجعه فاستن فى اثره قصدا
وقلت لقلبى طر اليه برقة • فكان جناحا فى المسير بها هدا
سرقت صواع العزم يوم فراقه • فلج ولم يرقب سواعا ولا ودا
وكلت عينى من غبار طريقه • فأعقبها دمعا وأورثها سهدا
لى الله كم أهدى بنجد وحاجر • وأكنى بدعد فى غرامى او سعدى
وما هو الا الشوق ثار كمينه • فاذهل نفسا لم تبن عنده قصدا
وما لى الآن سرى الركب موهنا • وأعمل فى رمل الحمى النص والوخدا
وجاشت جنود الصبر والبين والاسى • لدى فكان الصبر أضعفها جندا
ورمت نهوضا واعتزمت مودعا • فصدنى المقدور عن وجهتى صدا
رقيق بدت للمشترين عيوبه • ولم تلتفت دعواه فاستوجب الردا
تخلف عن ركب طيبة عانيا • أما آن للعانى المعنى بأن يفدى
تخلف مربى قد أصيب جناحه • وطرن فلم يسطع مراحا ولا مغدى
نشدتك يا ركب الحجاز تضاءلت • لك الارض مهما استعرض السهب وامتدا
وجم لك المرعى وأذعنت الصوى • ولم تفتقد ظلا ظليلا ولا وردا
اذا أنت شافهت الديار بطيبة • وجئت بها القبر المقدس والعدا
وآنست نورا من جناب محمد • يجلى القلوب الغلف والاعين الرمدا
فنب عن بعيد الدار فى ذلك الحمى • وأذر به دمعا وعفر به خدا
وقل يا رسول الله عبد تقاصرت • خطاه وأضحى من أحبته فردا
ولم يستطع من بعد ما بعد المدى • سوى لوعة تعتاد أو مدحة تهدى
تداركه يا غوث العباد برحمة • لجودك ما أجدى وكفك ما أندى
أجارك الله العباد من الردى • وبوأهم ظلا من الامن ممتدا
حباك بتبليغ الرسالة وأقطعك الرضا • وتوجك العليا وألبسك الحمدا
وطهر منك القلب لما استخصه • فجلله نورا وأوسعه رشدا
دعاه فما ولى هداه فما غوى • سقاه فما يظما جلاه فما يصدا
تقدمت مختارا تأخرت مبعثا • فقد شملت علياؤك القبل والبعدا

وعلة هذا الكون أنت وكل ما * أعاد فأنت القصد فيه وما أبدا
وهل هو الا مظهر أنت سره * ليمتاز في الخلق المكب من الافدى
ففي عالم الاسرار ذاتك تجتلى * ملامح نور لاح للطور فانهدا
وفي عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشقى من استشقى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا أن ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولا حدا
فماذا عسى يثنى عليك مقصر * ولم يأل فيك الذكر مدحا ولا حمدا
بماذا عسى يجزيك هالك شقوة * من النار قد أوردته بعدها الخلدا
عليك صلاة الله يا كاشف العمى * ومذهب ليل الروع وهو قد اربدا
الى كم أرانى في البطالة كانعا * وعمري قد ولى ووزري قد اعتدا
تقضى زمانى في لعل وفي عسى * فلا عزمة تمضى ولا لوعة تهدا
حسام جبان كلما شيم نصله * تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
ألا ليت شعرى هل أرانى ناهدا * أقود القلاص البدن والضامر النهدا
وضيع لسان الصدق فوق شملة * مضمرة وسدت من كورها مهدا
فتهدى باشواق السراة اذا سرت * وتحدى باشعار الركاب اذا تحدى
الى أن أحط الرحل في تربك الذى * تضوع ندا ما رأينا له ندا
وأطفئ في تلك الموارد غلتى * واحسب قربا منهجة شكت البعدا
لمولدك اهتز الوجود فاشرقت * قصور ببصرى ضاءت الهضب والوهدا
ومن رعبه الاوثان خرت مهابة * ومن هوله ايوان كسرى قد انهدا
وغاض له الوادى وصبح عزه * بيوت النار الفرس أعدمها الوقدا
رعى الله منه الليلة أطلع الهدى * على الارض من آفاقها القمر السعدا
وأقرض ملكا قام فيها بحقها * لقد أحرز الفخر المؤثل والمجدا
وحيا على شط الخليج محلة * يحالف من فيها بها العيشة الرغدا
وجاد الغمام العد فيها خلائفا * ما ترهم لا تعرف الحصر والعدا
عليا وعثمانا ويعقوب لا عدا * رضا الله ذاك النجل والاب والجدا
سواهم وفى حومة البأس والندى * فكانوا الغيوث المستهلة والاسدا
ولله ما قد خلفوا من خليفة * سوى الارث عنهم والوصية والعهدا
اذا ما أراد الصعب أغرى بنيله * صدور العوالى والمطهمة الجردا
وكم معتد اردى وكم تائه هدى * وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدى
أبا سالم دين الاله بك اعتلى * أبا سالم ظل الاله بك امتدا
ندم من دفاع الله تحت وقاية * كفاك بها أن تصحب الخلق السرمدا
ودونكها بنت تنجبة فكرة * اذا ستر شحت للنظم كانت مفاصلدا
ولو تركت منى الليالى صبابة * لا جهدتها ركضا وارهقتها شدا
ولكنه جهد المقل بلغته * وقد أوضح الاعذار من بلغ الجهدا

وقلت أخاطب السلطان الملك الكبير العالم أبا عنان على أثر انصرافي من بابه رحمه الله تعالى

أبدى لداعي الفوز وجه منيب • وأفاق من عذل ومن تأنيب
كلف الجنان اذا جرى ذكر الحمى • والبان حق له حنين النيب
والنفس لا تنفك تكلف بالهوى • والشيب يجذبها بعين رقيبه
رحل الصبا فطرحت في أعقابه • ما كان من غزل ومن تشبيب
أترى التغزل بعد أن ظعن الصبا • شأني الغداة أو النسيب نسيبي
أنى لمثلي بالهوى من بعدما • للوخط في الفودين أي دبيب
لبس البياض وحل ذروة منبر • من والى الوعظ فعل خطيبه
قد كان يسترني ظلام شبيبتي • والآن يفضحني صباح مشيبي
واذا الجديدان استجدا أبليا • من لبثة الاعمار كل قشيب
سائل عن الدهر الخؤون وأهله • تسل المهلب عن حروب شبيب
متقلب الحالات فاخبر نقله • مهما أعدت يدا الى تقليب
فكل الامور اذا اعترتك لربها • ما ضاق لطف الرب عن مربوب
قد يخبأ المحبوب في مكروهها • من يخبأ المكروه في المحبوب
واصبر على مضض الليالي انها • حوامل سيلدن كل عجيب
واقنع بحظ لم تنله بحيلة • ما كل رام سهمه بمصيب
يقع الحريص على الردى ولكم غدا • ترك التسبب أنفع التسبيب
من رام نيل الشيء قبل أوانه • رام انتقال يلملم وعسيب
فاذا جعلت الصبر مفزع معضل • عاجلت علته بطب طبيب
واذا استعنت على الزمان بفارس • أبي نداءك منه خير مجيب
بخليفة الله الذي في كفه • غيث بروض سماح كل جديب
المنتقى من طينة المجد الذي • ما كان يوما صرفه بمشوب
يرمي الصعاب بصعبه فيقودها • ذللا على حسب الهوى المرغوب
ويرى الحقائق من وراء حجابها • لا فرق بين شهادة ومغيب
من آل عبد الحق حيث توشحت • شهب العلا وربت بأي كثيب
أسد الشرى سرج الورى فمقامهم • لله بين محارب وحروب
لما دعا الداعي وثوب صارخا • ثاروا وأموا حومة التثويب
شهب ثواقب في سماء عجاجة • مأثورها قد صح بالتجريب
ما شئت في آفاقها من رامح • يبدو وكف بالنجيع خضيب
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم • فتبسمت والجو في تقطيب
نظموا ابلمات العلا واستوثقوا • كالرمح أنبوبا على أنبوب
تروى العوالي والمعالي عنهم • أثر الندى المولود والمكسوب
من كل موثوق به استناده • بالقطع أو بالوضع غير معيب

فأبو عنان عن علي نصه * للنقل عن عثمان عن يعقوب
جاؤا كما اتسق الحساب أصالة * وغدوا فذلكة لذلك المكتوب
متجسدا من جوهر النور الذي * لم ترم يوما شمسه بغروب
متألقا من مطلع الحق الذي * هو نور أبصار وسر قلوب
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا * من بعد طول تجهم وقطوب
هي دعوة الحق التي أوضاعها * جمعت من الآثار كل غريب
هي دعوة العدل الذي شمل الورى * فالشاة لا تخشى اعتداء الذيب
لو أن كسرى الفرس أدرك فارسا * ألقى اليه بتاجه المعصوب
لما حللت بأرضه مستقبلا * ما شئت من بر ومن ترحيب
شمل الرضاء وكان كل ثنية * تومي بثغر للسلام شنيب
وأتيت في بحر القرى أم القرى * حتى حططت بعرفا التقريب
فرأيت أمن الله في ظل التقى * والعدل تحت سرادق مضروب
ورأيت سيف الله مطرور الشبا * يمضي القضاء بحده المرهوب
وشهدت نور الحق ليس بآفل * والدين والدنيا على ترتيب
ووردت بحر العلم يقذف موجه * للناس من درر الهدى بضروب
لله من شيم كأزهار الربا * غب انثيال العارض المسكوب
وجمال مرأى في رداء مهابة * كالسيف مصقول الفرند مهيب
يا جنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبي
أسفي على ما ضاع من حظي بها * لا تنقضي زفراته ونحيبي
ان أشرقت شمس شرقت بمدمعي * وتفيض في وقت الغروب غروبي
حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوي وباكية الاصيل شحوبي
وشهادة الاخلاص توجب رجعتي * لنعيمها من غير مس لغوب
يا ناصر الدين الحنيف وأهله * أصغاء مسغبة وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم * يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا * بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر في آفاقهم * أو ليس صبحك منهم بقريب
فالطم بعين العزم من ثغر غدا * حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس وجدك ضامن * أن لا يخيب لديك ذو مطلوب
غصب العدو بلادها وحسامك الـ * ـماضي الشبا مسترجع المغصوب
أرض السوابح في المجاز جزيرة * من كل قودة مقرب وجنيب
يتأود الأسل المثقف فوقها * ويجيب صاهلة رغاء نجيب
والنصر يضحك كل مبسم غرة * واليمن معقود بكل سبيب
والروم قد رمت بكل نجم ثاقب * يذكي بأربعها شواظ لهيب

بذوابل الصلب التي تركت بني * زيان بين مجدّل وسليب
وأضف الى لام الوغى الف القنا * تظهر لديك علامة التغليب
ان كنت تجهل بالهزائم وردها * ورد الصليب اليوم غير صليب
ولك الكتائب كالخمائل أطلعت * زهر الاسنة فوق كل قضيب
فرع العطفين لامن نشوة * وبورّد الخدين غير مريب
يبدو سداد الرأى فى راياتها * وأمورها تجرى على تجريب
وترى الطيور عصائبا من فوقها * ظلوا يوم فى الضلال عصيب
هذبتها بالرفق يذكر يومه * عرض الورى للموعد المكتوب
وهى الكتائب ان ترسى عرضها * كانت مدوّنة بلا تهذيب
قدمت سالبة العدو وبعدها * أخرى بعز النصر ذات وجوب
حتى اذا فرض الجلاد جداله * ورأيت ريح النصر ذات هبوب
واذا توسط وصل سيفك عندها * برأى قياسك فزت بالمطلوب
وتبرأ الشيطان لما أن علا * حزب الهدى من حزبه المغلوب
الارض ارث والمطامع جمة * كل يمد الى القياس نصيب
وخلائف التقوى هم وراثها * فالملك بها بالحظ والتعصيب
لكانى بك قد تركت ربوعها * قفرا بكر الغزو والتعقيب
وأقمت فيها مأتما لكنه * عرس لنسر بالفلاة وذيب
وتركت مقلتها بقلب واجب * رهبا وخد بالاسى مندوب
تبكى نوادبها ويشقان الخطا * من شلو طاغية لشلو سليب
جعل الاله البيت منك مثابة * للعاكفين وأنت خير مثيب
فاذا ذكرت كان هبات الصبا * فضت بدرجها لطيمة طيب
لولا ارتباط الكون بالمعنى الذى * قصر الحجا عن سرّه المحجوب
قلنا انما الملك الذى شرفته * جسد البسيط مزية التركيب
ولاجل قطرك شمسها ونجومها * عدلت من التشريق للتغريب
تبدو بمطلع أفقها فضية * وتغيب عندك وهى فى تذهيب
مولاى أشواقى اليك تهزنى * والنار تفضح عرف عود الطيب
جعلى علاك أطلتها وأطبتها * ولكم مطيل وهو غير مطيب
طالبت أفكارى بفرض يديها * فوفت بشرط الفور والترتيب
متنى اناف على تلك العلا * لكن شعرى فيك شعر حبيب
والطبع خل والقريحة حرة * فاقبله بين نجيبة ونجيب
هابت مقامك فاطمأنت صعابها * حتى غدت ذللا على التدريب
لكننى سهلتها وأذلتها * من كل وحشى بكل ربيب
ان كنت قد قاربت فى تعديلها * لابد فى التعديل من تقريب

عذرى لتقصيرى وعجزى ناصح * ويجل منك العفو عن تثريب
من لم يدن لله فيك بقربة * هو من جناب الله غير قريب

ولما احتفل السلطان لاعذار ولده نظمت هذه القصيدة مساعدة لمن نظم من الاصحاب وتشتمل على أوصاف من ذكر الحلبة التى أرسلها والطلبة التى نصبها فى الهواء للفرسان يرسلون العصى اليها والنيران التى أرسل عليها الاكاب الرومية تمسكها فى صورة القرط من آذانها وهى آخر النظم فى الاغراض السلطانية قصر الله تعالى أمد استنادى على ذكره وشغلها به عن غيره

شمطت وفود الليل بان به الوخط * وعسكره الزنجى هزمه القبط
اتاه وليد الصبح من بعد كبرة * أولد اجنى ناحل الجسم مشمط
كأن النجوم الزهر اعشار سورة * ومن خطرات الرجم أثناءها سمط
وقد وردت نهر المجرة محرة * غوائص فيه مثل ما تفعل البط
وقد جعلت تفلى بأنملها الفلا * ويرسل منها فى غدائره مشط
يشف عباب الليل عنها جواهرا * ذكت فيها النهب العرب والالقط
فسارت خيالا مثلها غير أنه * من البث والشكوى يبين له لغط
سمرت سلخ شهر فى تلافت مقلة * على قتب الاحلام تسمو وتنحط
لى الله من نفس شعاع ومهجة * اذا قدحت لم يخب من زندها سقط
ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوى * وعن نقطة مفروضة ينشأ الخط
فأقسم لولا زاجر الشيب والنهى * ونفس لغير الله ما خضعت قط
لريع لها الاحراس منى بطارق * مضارقه شمط وأسيافه شمط
تناقله كوماء سامية الذرا * ويقذفه شهم من النيق منحط
ولولا النهى لم تستبن سبل الهدى * وكاد وزان الحق يدركه الغمط
ولولا وادى الشيب لم يبرح الهوى * يهيم به نوء على الرمل منحط
ولولا أمير المسلمين محمد * لهالت بحار الروع واحتجب الشط
ينوب عن الاصباح ان مطل الدجى * وينهض سق السرح ان عظم القحط
تقر له الاملاك بالشيم العلا * اذا بذل المعروف أو نصب القسط
أرادوه فارتدوا وجاروه فانثنوا * وساموه فى مرقى الجلالة فانحطوا
تبرع على المداح غر خلاله * ومارسوا فوق الطروس وما خطوا
تعلم منه الدهر حاليه فى الورى * فآونة يسخو وآونة يسطو
ويجمع بين القبض والبسط كفه * بحكمة من فى كفه القبض والبسط
خلائق قد طابت مذاقا ونفحة * كما مزجت بالبارد العذب اسفنط
اسبط الامام الغالبى محمد * وبالفخر ملك كنت انت له سبط
وقتك أواقى الله من كل غائل * فأى صلاح ما الجن وما الهمط
لقد زلزلت منك العزائم دولة * أناخت على الاسلام تجنى وتشتط

ايالك غدر ضيع الله ركنها • ونادى باهليها التبار فلم يبطوا
على قدر جلى لك الله بؤسها • ولا يكمل الجيران أو ينضج الخلط
وكانوا نعيم الجنتين تفيؤا • ولما يقع منها النزول ولا الهبط
فقد عوضوا بالاثل والخمط بعدها • وهيهات أين الاثل منها او الخمط
فمن طائح فوق العراء مجدل • ومن راسف فى القيد أرهقه الضغط
وأنقذ منك الله أمة أحمد • أمانا كما يصفو على الغادة المرط
انمت على مهد الامان عيونها • فيسمع من بعد السهاد لها غط
وصم صدى الدنيا فلما رحمتها • تزاحم مرتاد عليها ومختبط
واحكمت عقد السلم لم تأل بعده • وجانصح العقد واستوثق الربط
وأيقن مرتاب وأصحب نافر • وأذعن معتاص وأقصر مشتط
ولله مبناك الذى معجزاته • حمت أن توافيها الشفاه أو الخط
وأنت غريب الدار مسقط رأسه • ومن دون قرشيه القتادة والخرط
تناسبت الاوضاع فيك واحكمت • على قدر حتى الازائك والبسط
بناء على وفق العلا رائق الحلى • كما سمط المنظوم أو نظم السمط
ولله أعذار دعوت له الورى • فهب الداعيه المهيب وان شطوا
تقودهم الزلفى ويدعوهم الرضا • ويحدوهم الخصب المضاعف والغبط
وأغربت بالهم العلاج تحفيا • فلم يدخر الشيء الغريب ولا النمط
أتت صورة معلولة عن مزاجها • واصل اختلاف الصورة المزج والخلط
قضيت بها دين الزمان ولم يزل • أكذ كذوب الوعد يلوى ويشتط
وأرسلت يوم السبق كل طمرة • كما تقذف الملومة النار والنفط
رنت عن كحيل كالغزال اذا رنا • وأوفت بهاد كالظليم اذا يعطو
وقامت على منحوتة من زبرجد • تخط على الصم الصلاب اذا تخطو
وكل عتيق من عتائق رومة • تأنق فى استخطاطه القمر والقمط
وطاعته غر السكائك أعانها • على الكون عرق واشج ولى سبط
تلقف حيات العصى اذا هوت • فثعبانها لا يستقيم له سرط
أزرت بها بحر الهواء سفينة • على الجو لا الجودى كان لها حط
وطاردت مقدام الصوار بجارح • يصاب به منه الشماخ أو الابط
متين الشوى فى رأسه مهورية • مقصرة عن سن ما ينبت الخط
وقد كان ذا تاج فلما امتلاها • يسامته زانه منهما قرط
وجى بشبل الملك يجد عزمه • عليه الحفاظ الجعد والخلق السبط
سمعت به لم ترع فرط ضنانة • وفى مثلها من سنة يترك الفرط
فأقدم مختارا وحكم عاذرا • ولم يشتمل مستك عليه ولا ضبط
ولو غير ذات الله رامته نفسه • فتى كالافاعى الرقط أردونها الرقط

وأسد نزال من ذؤابة خزرج * بها ليل لا روم القديم ولا قبط
جلادهم مثنى اذا اشتجر الوغى * كأن رعاء بالعضاه لها خبط
كتائب أمثال الكتاب تتاليا * فمن بيضها شكل ومن سمرها نقط
دليلهم القرآن ياحبذا الهدى * ورهطهم الانصار يا حبذا الرهط
وبيض كأمثال البروق غمامها * اذا وشحت سحب القتام دم عبط
ولكنه حكم يطاع وسنة * وأعمال بر لا يليق بها الحبط
وربة نقص للكمال مآله * ولا غرو فالاقلام يصلحها القط
فهنيته صنعا ودمت مملكا * عزيزا تشيد المعلوات وتختط
ودون الذى يهدى ثنائك فى الورى * من الطيب ماتهدى الالوة والقسط
رضيت ومن لم يرض بالله حاكما * ضلالا فلله الرضا وله السخط
حياتك للاسلام شرط حياته * ولا يوجد المشروط ان عدم الشرط

هذا كاف فى المطولات انحلب منها ما عرضا يدل على حبوبها وتحف منها انفس الظرفاء بطلوبها منقولة من الكتاب المسمى بايات الابيات ومن الكتاب المسمى بالصيب والجهام (فمن التورية) على طريقة المشارقة قولى

مصححى فيك عن قتادة يروى * وروى عن أبى الزناد فؤادى
وكذا النوم شاعر فيك امسى * من دموعى يهيم فى كل وادى

ومن هذا الباب أيضا

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقد رابها صبرى على موقف البين
اتت بصحاح الجوهرى دموعها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

وفى هذا المعنى

كتبت بدمع عينى صفح خدى * وقد منع الكرى هجر الخليل
وراب الحاضرين فقلت هذا * كتاب العين ينسب للخليل

ومن الاغراض الطريفة فيها

تعجلت وخط الشيب فى زمن الصبا * لخوضى غمار الهم فى طلب المجد
فهما رأيتم شيبة فوق مفرقى * فلا تنكروها انها شيبة الحمد

ومن التورية بالنجوم والكاتب بيته بيت شرفه

ناوت على زمنى همة * فأعتبنى الزمن العاتب
وشرفنى الله فى موطنى * وفى بيته يشرف الكاتب

وابدع منها قولى لمن يدعى بشمس الدين

قل لشمس الدين وقيت الردى * لم يدع سقمك عندى جلدا
رمدت عينك هذا عجب * أوعين الشمس تشكو الرمدا

وقلت فى غرض التورية بما يظهر من الابيات

أفل الالى كانوا شموس مالورى فالكون مظلم

وتناكر الناس الحديث الحق وانتقد المعلم
انا كتب السلطان ما * طالعت قط كتاب مسلم
الا ضخاما قادحا * فى الدين والله المسلم

وفى معنى الدعابة مع بعض الطلبة

قال لى عندما أتى بجدال * وشكوك على اصول الدين
ولسانى يذل الدال تاه * عاجز فى الامور عن تبيين
التمس مخرجا يوافق قولى * قلت احسنت يا جلال التين

وفى التورية

اذم ذوى التطفيل مهما أتى * وان تكن اجلتهم فاعنه
يمشى على رجليه مع انه * من جنس من يمشى على بطنه

وقلت

أفقد جفنى لذيذ الوسن * من لم ازل فيه خليع الرسن
عذاره المسكى فى خده * انبته الله النبات الحسن

وقلت فى رثاء من اسمه حسن

اشكو الى الله من بثى ومن شجنى * لم أجن من محنتى شيأ سوى محنى
اصابت الحسن العين التى رشقت * وعادة العين لا تصمى سوى الحسن

وفى الشيب

تفر عن الشيب الغوانى تعززا * كما يعتريها ان رأت سام ابرصا
بدا وضحا فى جدة العمر شانيا * فمن سام شيخا فهو قد سام ابرصا

وقلت فى السها من النجوم الجوفية

قالوا السها بادى النحول كانه * متستر يبدو ويخايل خوفه
اتراه يشكو قلت هذا ممكن * والله يعلم داره من جوفه

وقلت

عابوا وقالوا بساقه شعر * لقد عداه الكمال من ساق
قلت انظروا ورد روض وجنته * وكل ورد مشوك الساق

وقلت فى التضمين

ونعت قصة اشتياقى اليه * فزوى الوجه رافضا الفتوه
ورمى بالكتاب ضعف احتمال * قلت يحيى خذ الكتاب بقوه

وقلت

وذى حيل يعيى التقية أمره * مكايده فى لجة الليل تسبح
يدب شبول الليث والليث ساهر * ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت

لما رأوا كلفى به وددروا * مقدار مالى فيه من حب

قالوا الهوى حلو فقلت لهم * طعمت حلاوته على قلبي

وقلت ولهما حكاية

وذى زوجة تشكو فقلت لها اسقها * دواء من الحب الملين للبطن

فقال أبت شرب الدواء بطبعها * فقلت اسقها ان عافت الشرب بالقرن

وقلت

لعنوا ربا من خبائث ظلمهم * فالله يلعن أهل سوق العنبر

والله لا أوطأت ساقى سوقهم * أبد الزمان فتلك سوق العنبرى

ومن الفكاهات

ولما دعانى داعى الهوى * وأخلف ما كنت أمّلته

ولم يبق غير البكا حيلة * بكيت بمقدار ما نلته

وقلت وقد رفع للسلطان باكورة بنفسج

قدم البنفسج وهو نعم الوارد * قدم منه الى طيب زائد

فسألته ما باله فأجابنى * والحق لا يبغى عليه شاهد

أقبلت أطلب من بنان محمد * صلة تعاد على منه عائد

وقلت من التشبيه

سهرنا وفى سير النجوم اعتبارنا * الى أن ضفا الليل من فوقنا رابط

تخلنا شهاب الرجم ابرة خائط * مسوحا وما يبقى من الذنب الخيط

وقلت أودع صديقا أنست به

فلاحة مثلى معقوتة * وان أعجب البدء منها وراق

زرعت اللقاء وعاجلته * فلم أستفد منه الا الفراق

ومن تضمين المثل

لا تهج بالذكر فى كبدى * نار وجد شق محتمله

ويقول الناس فى مثل * لا تحرك من دنا أجله

ومن المدح

عجبا لراحتك الثقة بالندى * أن لا تكون على الغمام غماما

تهمى ووجهك نوره متألق * والقطر ان صحب السحاب اغاما

ومن أبيات المدح

يا ناصر الدين الماقل ناصره * ومطلع الجود فى الدنيا وقد أفلا

لولا التشهد والترداد منك له * لم يسمع الناس يوما من لسانك لا

ومن أوصاف صنيع سلطانى

ماذا أحدث فى صنيع خلافة * هشت اليه الشهب فى آفاقها

فكأنما الجوزاء حين تعرضت * شدت لتخدم فيه عقد نطاقها

ومن قصيدة فى وصف فرس

فبوّأته من مهجتي متبوّأ • خفيا على سرّ الفؤاد المكتم
ويا عجبا مني وفرط تشيعي • أهيم بوجدي فيه وهو ابن ملجم

ومن الحماسة في التورية بالمنطق

حتى اذا ارض الجلاد جداله • ورأيت ريح النصر ذات هبوب
قدمت سالبة العدوّ بعدها • أحرى بعز النصر ذات وجوب
واذا توسط حد سيفك عندها • بحرأى قياس فزت بالمطلوب

وفي شاعة قصيدة

ماضرّني ان لم أجئ متقدما • السبق يعرف آخر المضمار
ولئن غدا ربع البلاغة بلقعا • فلرب كنز في أساس جدار

ومن المدح

ان أبهم الخطب جلى في دجنته • رأيا يفرّق بين الغيّ والرشد
وان عتا الدهر أبدى من أسرّته • وكمه هدى حيران وريّ صدى
وان نظرت الى لألاء غرّته • يوم الهياج رأيت الشمس في الاسد

ومن الاوصاف في قصيدة

كم ليال بت في ظلمائها • امتطي من نار شوقي فرشا
وكأن النجم شرب ثمل • واصل الليلة حتى ارتعشا

ومن التورية بالكفتين من الحيل العددية

لاعدل في الملك الاوهو قد نصبه • وصير الخلق في ميزانه عصبه
والكفتان ترى من كفه درنا • أن تخرج العدد المجهول للطلبه

وفي رجل يحتال على الولاية

حلفت لهم أنك ذو يسار • وذو ثقة وبر في اليمين
ليستندوا اليك بجمع مال • فتأكل باليسار وباليمين

وقلت ولها حكاية تظهر من الابيات

قلت لما استقل مولاي زرعي • ورأى غلة الطعام قليله
دمنتي لا تجاعي الحرث كلت • فهي اليوم دمنة وكليله

ومما صدرت به كتابا لاحد الفضلاء

يامن تقلد للعلاء سلوكا • والفضل صير نهجه مسلوكا
كاتبتني متفضلا فلكتني • لازلت منك مكاتبا مملوكا

وقلت في غرض يظهر منه

جلس المولى لتسليم الورى • ولفصل البرد في الجوّ احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا • قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت من التورية

ياما لكي بجلال • تهدى الى القلب حيره

اضرمت قلبي نارا * يا مالك بن نويره

وقلت أيضا

أصاف الى الجفون السود شعرا * كحبر الليل أوصبغ المداد
فقلت امير هذا الحسن تركوا الاجوبه بتكثير السواد

وقلت أيضا

يا بي بدر غرانى * ستحيا شرح صدرى
فانا اليوم شهيد السحب من غزوة بدر

وقلت واهما حكاية

اما البلد بالخصب لم تأل شهرة * كما اشتهرت فى فضلها البلدة القدد
فآمن قلب الاوزمن علة النوى * واصبح فيها التين منشرح الصدر

ومن الدعات المشرقية فى التورية

يا قائدى نحو الغرام بمقلة * نفقت سلاوتها بكل فؤاد
ماذا جنيت على من مضض الهوى * الله ينصف منك يا قوادى

ومن هذا النمط المشرقى

وقالت حلفت الكس منى بنورة * فقلت اها استنصرت من ليس ينصر
الا فابقى عنى فديتك واصدقى * فحلق ذالك الكس انى مقصر

ومنها

قال لى والدموع تهل محسا * فى عراض من الخدود تجول
بك مابى فقلت مولاى عافا * لك المعافى من عبرتى وتحولى
اما جفنى القريح روى عن الاعمش والجفن منك عن مكحول

ومن أبيات التورية أو ما داخلته

فى مصر قلبى من خرائن يوسف * حب وعير سدامعى تمتاره
حليت شعرى باسمه فكأنه * فى كل شطر حله ديناره

ومن المدح أيضا ولا أستحضر لقبه

رأيت بكفك اعتبارا * بأسا وندى مال ان يسارى
فقلت وقد عجبت منها * يا بحر متى تدعو نوارا

وقلت مما يجرى مجرى الحكم

ان الهوى لشكاية معروفة * صبرالصبرمن اجل علاجها
والنفس ان الفت مرارة طعمه * ضمنت بذالك صلاح منهاجها

ومن التراكب فى الاوصاف

كأنما الروض ملك * يا هي به جلساه
يرضى الديم فهما * سقى الرياض كساه

وفى غرض النسيب

أصبح الخد منك جنة عدن * مجتلى أعين وشم أنوف
فالته من الجفون سيوف * جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقلت في النسيب

أرسلت طرفي في حلاك بنظرة * هي كانت السبب الغريب لما بي
وأراك بالعبرات قد عاقبتها * ليس الرسول بموضع لعقاب

ومن تحسين القبيح

وأسود يعدى القلب سهم جفونه * فتمضي صحيحات القلوب به مرضى
رأى الحسن أن اللحظ منه مهند * فخرقه كيما يكون له أمضى

ومن النزعات الحسنة

من لي بذكرى كلما أوجستها * تمحو سلوى واشتياقي تثبت
وسحاب دمع كلما أمطرته * غير القتاد بمنحنى لا ينبت

ومن النسيب

جاء العذار بنال غير محدود * تنتهي الحسن منه غير محدود
ناديت قلبي اذ لاحت طلائعه * يا صبر أيوب هذا درع داود

وفي نقيضه

ما ضر من ان أخلفت موعودي * وروض خدك أضحى ذاوي العود
وقال قوس عذار فوق صفحته * سفينة الحسن قد حطت على الجودي

ومن التضمين

يا من بأكناف فؤادي ربع * قد ضاق بي عن حبك المتسع
ما نسك لي جدوى ولا أرعوى * شح مطاع وهوى متبع

ومن الاغراض المخترعة

أنكرت لما أمال عارضه * فقال لي حين رابه نظرى
ألم تقل لي بأنني قمر * فانظر الى وبرا رئب القمر

ومن التضمين

يا كوكب الحسن يا معنا باقره * يا روضه المتناهي الربيع بأثمره
امرتني بسلو عنك ممتنع * ما مور حسنك لما يقض ما أمره

وقلت

لما رضيت بفرقتي وبعادي * وضربت آمالي وخنت ودادي
لاعنت أم الصبر فيك وبعده * ورثت للاشجان كنز فؤادي
فالصبر مني أجنبي بعدها * ولواعج الاشجان من أولادي

ومن الاغراض المشرقية

سار بي للامير يشكو اعتراضي * يوسف والشهود أبناء جنسه
قال لي ما تقول قلت مجيبا * لم تخف من نكاله أو لحبسه

حصحص الحق باخوند فدعنى * أنا راودت يوسفا عن نفسه

ومن الاوصاف

بتنا نطارح هم القحط ليلتنا * وأيد الهم والسهد البراغيثا

وكان يحمد ما كنا نكابده * من المشقة لو أن البراغيثا

وفى قريب من المعنى

وقالوا ابدت منكم على الجسم حمرة * فقلت براغيث لكم رقطونا

عدت نحونا الليلا ومن بعدنا اعتدت * كما رقصت فى القاو برز قطونا

ومن التضمين

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه

الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

وفى رثاء السلطان أبى الحجاج رحمه الله تعالى

غبت فلا عين ولا مخبر * ولا انتظار منك مرقوب

يا يوسف أنت لنا يوسف * وكلنا فى الحزن يعقوب

وقلت ولها حكاية

طال حزنى لنشاط ذاهب * كنت أسقى دائما من حانه

وشباب كان يندى نضرة * نزل الثلج على ريحانه

وقلت وقد اعجبنى نشاط ولدى

سرق الدهر شبابى من يدى * ففؤادى مشعر بالكمد

وجدت الامر اذ أبصرته * باع ما أفقدنى من ولدى

وقلت ولها حكاية

قلت للشيب لا ربك جفاتى * فى اختصارى لك البرور ومقتك

انت بالعتب يا مشيبى أولى * جئتنى غفلة وفى غير وقتك

ومما خططته فى رملة نزلتها

أقمنا برهة ثم ارتحلنا * كذاك الدهر حال بعد حال

وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال

ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقلت أيام مقامى بسلا

ايا أهل هذا القطر ساعده القطر * بليت فسدلونى لمن يرفع الامر

تشاغلت بالدنيا وتمت مفرطا * وفى شغلى أو نومتى سرق العمر

وقلت والبقاء لله وحده وبه نختم الهذر

عد عن كيت وكيت * ما عليها غير ميت

كيف ترجو حالة البقيا المصباح وزيت

انتهى ما نقلته من الاحاطة من ترجمة نظامه وبعض ما ذكرهنا قد تقدم وكررته لكونه

بالقلم في الاحاطة وقد ذكرت أثناء الابواب غير هذا الباب من نظم لسان الدين رحمه الله تعالى كثيرا ولنعزز ذلك هنا بذكر ما لم يتقدم ذكره اذ نظمه بحر لا ساحل له ولذا كتب ابنه أبو الحسن علي هذا المحل من الاحاطة ما صورته ولوالدي أيضا المترجم به رحمه الله تعالى في سكين الاضاحي لسلطانه أبي الحجاج يوسف بن نصر فيما يكتب بالسكين المفضضة

لي الفخران أبصرتني أو سمعت بي * على كل مصقول الغرارين مرهف
كفاني فخرا أن تراني قائما * بسنة ابراهيم في كف يوسف

ومقطوعاته كثيرة لم يتضمن هذا الديوان منها الا القليل بسبب الاختصار ومن اراد الوقوف على جملتها فعليه بكتاب الصيب والجهام في شعره رحمه الله تعالى قال ذلك ولده علي لطف الله تعالى به آمين انتهى * (فمن ذلك) قوله رحمه الله تعالى

عسى خطرة بالركب يا حادي العيس * على الهضبة الشماء من قصر باديس
لنظفر من ذاك الزلال بعلة * وننعم في تلك الظلال بتعريس
حبست بها ركبي فواقا وانما * عقدت على قلبي بها عقد تحبيس
لقد رسخت آي الجوى في جوانحي * كما رسخ الانجيل في قلب قسيس
بميدان جفني للسهاد كتيبة * تغير على سرح الكرى في كراديس
ومابي الا نفحة حاجرية * سرت والدجى ما بين وهن وتغليس
ألا نفس يا ريح من جانب الحمى * تنفس من نار الجوى بعض تنفيس
ويا قلب لا تلق السلاح فربما * تعذر في الدهر اطراد المقاييس
وقد تعتب الايام بعد عتابها * وقد يعقب الله النعيم من البوس
ولا تخش بلج الدمع يا خطرة الكرى * الى الجفن بل تيسي على صرح بلقيس
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا * مقالة تأنيب يشاب بتأنيس
وقد كنت تعطو كلما هبت الصبا * بريان في ماء الشبيبة مغموس
ومن رابح الايام يا ابنة عامر * يجوب الفلا راحت بداء بتفليس
فلا تعجبي والصدق خير سجية * ظهور النوى الا بطون النواميس
وقفراء أمار كبها فضلل * ومر بعها من آنس غير مأنوس
صحبنا بها من هضبة لقرارة * ضلالا وملنا من كناس الى خيس
اذا ما نفضنا عن مقيل غزالة * نزلنا فعرسنا بساحة عتريس
أدرنا بها كاسا دهاقا من السرى * أملنا بها عند الصباح من الرؤس
وحانة خمار هدانا لقصدها * شميم الحميا واصطكاك النواقيس
تطلع ربانيها من سداره * يزمزم في جنح الظلام بتقديس
بكرنا وقلنا اذ نزلنا بساحة * عن الصافنات الجرد والنجب العيس
أيا عابد الناسوت انا صبابة * أتينا لتثليث بلى ولتسديس
وما قصدنا الا المقام بحانة * وكم ألبس الحق المبين بتلبيس
فأزلنا فورا على جنباتها * محاريب شتى لاختلاف النواميس

بدرنا

بدرنا بها طين الختام بصعدة * أردنا بها تجديد حسرة ابليس
ودار العذارى بالمدام كانها * قطا تتهادى فى رياش الطواويس
وصارفنا فيها نضارا بمثله * كانا ملأنا الكاس ليلا من الكيس
وقنا تشاوى عند مامتع الضحى * كانهضت غلب الاسود من الخيس
فقال لبئس المسلمون ضيوفنا * أما وأبيك الخير ماهن بالبيس
وهل فى بنى منشو الا امبرز * بحلبة شورى أو بحلقة تدريس
اذا اهتز عسال اليراعة فاتكا * أسال نجيع الحبر فوق القراطيس
يقلب تحت النقع مقلة ضاحك * اذا التفت الابطال عن مقل شوس
سيناء عقار الروم فى عقر دارها * بحلية تمويه وخدعة تدليس
لئن أنكرت شكلى ففضلى واضح * وهل جائز فى العقل انكار محسوس
رسبت بأقصى الغرب ثغر مضلة * وكم درة عليا فى قاع قاموس
وأغربت سوسى بالعذيب وبارق * على وطن دانى الجوار من السوس

(ومن أبدع ما صدر عن لسان الدين رحمه الله تعالى لاميته المشهورة التى خاطب بها سلطانه حين عاد من المغرب الى الاندلس واعاد الله تعالى عليه ملكه الذى كان خلع منه ويقال ان السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء اعجابا بها وانها الى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التى استولى عليها العدو الكافر اعادها الله تعالى للاسلام وأول هذه القصيدة

الحق يعلو والاباطل تسفل * والله عن أحكامه لا يسأل

قال لسان الدين رحمه الله تعالى نظمتها السلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا لما اتصل طالبا حقه بالاندلس كان صنع الله تعالى براعة استهلالها ووجهت بها اليه الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح وفاء بنذرى وسميتها المنح الغريب فى الفتح القريب ومنها

واذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل
واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل
والمستعد لما يؤمل ظافر * وكفاك شاهد قيدوا وتوكلوا
أعمد واحمد منك سجية * بجليها دون الورى تجمل
أما سعودك فهو دون منازع * عقد بأحكام القضاء مسجل
ولك السجايا الغر والشيم التى * بغريبها يتمثل المتمثل
ولك الوقار اذا تزلزلت الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل
عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما يكمل
تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الجانى الذى * أرضاك فيما قد جناه الاول

والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تقدمك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فأى صبر يجمل
والبحر قد حنيت عليك ضلوعه * والريح تقطع للزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت وقد غدت * تختال فى برد الشباب وترفل
جوفاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الاثى وماذا تحمل

ومنها

صبحتهم غرر الجياد كأنما * مدّ الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجلاد به أغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تدلى للصهيل فلبل
جيد كما النعت الطليم وفوقه * اذن مشقة وطرف أكحل
فكأنما هو صورة فى هيكل * من لطفه وكأنما هو هيكل

ومنها

وخليج هندراق حسن صفاته * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرّد والصفح متشابه موّرد والشط منه مهدل
وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * مره العيون فبالعجاجة تكحل
متأوّد أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له أن الصبح بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

ومنها

لله صرفك الذى وثباته * وثبات مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مشتجر القنا * اذ ثوّب الداعى المهيب وأقبلوا
قوم اذا لفح الهجير وجوههم * حجبوا برايات الجهاد وظللوا

وهى طويلة لم يحضرنى الآن منها سوى ما كتبته ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

يا امام الهدى وأىّ امام * أوضح الحق بعد اخفاء رسمه
انت عبد الحليم حلما وبرّا * فالمعنى له نصيب من اسمه

وقال يخاطب عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحيانى أبا مالك ابن سلطان افريقية مودّعا

أبا مالك أنت نجل الملوك * غيوث الندى وليوث النزال
ومثلك رتاح للمكرمات * ومالك بين الورى من مثال
عزيز بأنفسنا أن نرى * ركابك مؤذنة بارتحال

وقد خبرت منك خلقا كريما * أناف على درجات الكمال
وفازت لديك بساعات أنس * كما زار في الليل طيف الخيال
ولولا تعللنا أننا * نزورك فوق بساط الجلال
ونبلغ فيك الذي نبتغي * وذلك على الله سهل المنال
لما فترت أنفس من أسى * ولا برحت أدمع في انهمال
تلقتك حيث احتللت السعود * وكان لك الله في كل حال

وتوفي أبو مالك المخاطب بهذا في بلاد الجريد سنة ٧٤٠ ومن نظم ابن الخطيب قوله لما أشرف على الحضرة المراكشية حاطها الله تعالى

ماذا أحدث عن بحر سبحت به * من البحار فلا اثم ولا حرج
وعالم مبتدع الاشياء مستويا * ما ان يدرك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا * صحت ابشرى بمطايا جاءك الفرج
قربت من عامر دارا ومنزلة * والشاهد العدل هذا الطيب والارج

وقال رحمه الله تعالى

كأنا بناسنا خوص ذلالها * وعدودها في سيرنا ليس يقصر
مراكب في البحر المحيط تخبطت * ولا جهة تدري ولا البر يبصر

وقال سامحه الله تعالى وهو مكتوب بالمدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج بن نصر رحمه الله تعالى

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم * وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم
ويقصد وجه الله بالعمل الرضا * وتجنى ثمار العز من شجر العزم
تفاخر مني حضرة الملك كلما * تقدم خصم في الفخار الى خصم
فاجدى اذا ضن الغمام من الحيا * وأهدى اذا جن الظلام من النجم
فيا طاعنا للعلم يطلب رحلة * كفيت اعتراض البيد أو لجج اليم
بيابي حط الرحل لا تنو وجهة * فقد فزت في حال الاقامة بالغنم
فكم من شهاب في سمائي ثاقب * ومن هالة دارت على قمر تم
يفيضون من نور مبين الى هدى * ومن حكمة تجلو القلوب الى حكم
جزى الله عني يوسفا خير ما جزى * ملوك بني نصر عن الدين والعلم

وقال رحمه الله تعالى مررت يوما مع شيخنا أبي البركات بن الحاج ببعض مسالك غرناطة حرسها الله تعالى فأنشدني من نظمه

غرناطة ما مثلها حضره * الماء والبهجة والخضره

واستجازني رحمه الله تعالى فقلت

سكانها قد أسكنوا جنة * فهم يلقون بها نضره

وقال في تورية طبية

اني وان كنت ذا اعتلال * رث القوى بين الهزال

في عارض التيس لي شفاء * فكيف في عارض الغزال

وقال رحمه الله تعالى يخاطب شيخه سيدي أبا عبد الله بن مرزوق موطئا لي بيت المشارقة في العذار

أما والذي تبلى لديه السرائر * لما كنت أرضى الخسف لولا الضرائر
غدوت لضيم ابن الريب فريسة * اما ناصر قوى النصرى ثائر
اذا التمست كفي لديه براءتي * حكاني جان أوبقته الجرائر
وما كان طبعي أن أنال براءة * بحكم من جرائها قد جائر
متى جاد بالدينار أخضر زانها * ودارته دارت عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيت كيس مرارتي * ورقت لبلواي النفوس الامائر
تذكرت بيتا في العذار لبعضهم * له مثل بالحسن في الارض سائر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ماشقت عليه المرائر
وجاه ابن مرزوق لدى ذخيرة * وللشدة العظمى تعد الذخائر
ولو كان يدري ما دهاني لساءه * وأنكر ما صارت اليه المصائر

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحد الشرفاء

أعيا اللقاء على الاحبة * في جوله لاتقبل التنصيلا
فعلت بابك عن يمينك نائما * أهديه عند زيارتي تقبيلا
فاذا وجدت تلك ما أملته * أولم أجدك فقد شفيت غليلا

ولما دخل رحمه الله تعالى مدينة انفا ومر منها على دار عظيمة تنسب الى والي جبايتها عبو من بني الترجمان قارون قومه وغني صنفه قال

قدمر رنا بدار عبو الوالي * وهي تشكو صروف الليالي
أقصدت ربها الحوادث لما * رشقته بما تبات زوال
كان بالامس والياً مستطيلا * وهو اليوم ماله من وال

وقال في الشيخ ابن بطان الصنهاجي

لله درك يا ابن بطان ها * لشهير جودك في البسيطة جاحد
ان كان في الدنيا كريم واحد * يزن الجميع فانت ذاك الواحد
أحييت فضلك جعفر بحبائه * ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مفرد * ولديكما شاء العلاء ووالد
وهي الليالي لاتزال صروفها * يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبعتبي الله يصلح منك ما * قد كان أفسده الزمان القاصد

وقال رحمه الله تعالى وقد اشتد به البرغوث

زحفت الى كتائب البرغوث * ثم الظلام بركبها المحثوث
بالحلة السوداء قابل مقدمي * تدأى قرى اعتة خبيث
لسعت بهن ذباب سرح تجادي * ليلا فحل الصبر جد رثيث

ان صابرت نفسى اذاه تعبدت * أوصحت منه انفت من تحنيني
جيشان من ليل وبرغوث فهل * جيش الصباح اصرخني بمغيث

وقال يخاطب الوالى محمد بن حسون بن أبى العلاء وصدر بها رسالة

لم يبق لى بجود الولاية حاجة * فى الامن أو فى الجاه أو فى المال
بعد اللقاء أولى الفضائل بغيتى * ورأيت هذا القصد شرط كمال
أجملته وتشوقت لبيانه * همم فكنت مفسر الاجمال
وخصصت بالالقاء غيرك غيرة * وجعلت ذكرك شاهد الاعمال
للبست يا ابن أبى العلا قشب الملا * وتركت أهل الارض فى أسمال
ان دون الفضلاء فضلا معلما * فلقد أتيت عليه بالاكمال
تثنى عليك رعية آمالها * فى أن تفوز يداك بالا مال
أرعيتها هملا فلم يطرق لها * بمنيع سورك طارق الاهمال
من كنت واليه تولته العلا * ومن اطرحت فماله من وال

وقال فى عثمان بن يحيى بن عمر بن روح

أسمى ذى النورين وجهك فى الوغى * شمس الضحى حلت بليث عرين
ان تفتخر برين أرض العدوة القصوى فانك أنت فخر مرين

وقال رحمه الله تعالى عند وقوفه على مراكش واعتباره بما صار اليه أمرها

بلد قد غزاه صرف الليالى * وأباح المصون منه مبيح
فالذى خر من بناه قتيل * والذى خر منه بعض جريح
وكان الذى يزور طبيب * قد تأتى له بها التشريح
اعجمت منه أربع ورسوم * كان قدما بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغانى * وجال اخفاء ذلك الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما * أصبح الدهر وهو عبد صريح
دوخوا نازح البسيطة حتى * قال ماشاء ذابل وصفيح
حين شبت لهم من البأس نار * ثم هبت لهم من النصر ريح
أثر يندب المؤثر لما * طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى * جسد بعد ما تولى الروح

وقال رحمه الله تعالى يخاطب أحمد بن يوسف حفيد الولى الصالح سيدى ابى محمد صالح النائم فى ظل صيته رحمه الله تعالى

ياحفيد الولى ياوارث الفخر * الذى نال فى مقام وحال
لك يا أحمد بن يوسف جئنا * كل قطر يعى اكف الرحال

وقال فى نفاضة الجراب لما خرجت من اسفى سرت الى منزل ينسب الى ابى حذو وفيه رجل من بنى المنسوب اليه اسمه يعقوب فألطف واجزل وآنس فى الليل وطلبنى بتذكرة تثبت عندى معرفته فكتبت له

رلنا على يعقوب نجل أبي حذو • فعرفنا الفضل الذي ماله حد
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى • فلم يبق لحسم لم شل ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه • وبلقاه منا البر والشكر والحمد

وقال

أألتي الى الايام فضل مقادتي • فتجبني ما بين كدر وارداق
وأنلف بين الملق والرزق مكرق • ولست بحلاق ولست برواق
اذا كنت بالاثراء لي في تملق • رضيت بعز النفس في عز املاق

وقال

لك الملك ملك الحسن فاقض بنا الذي • تشاء فما يعصى لامرك واجبه
اذا ما كسرت النعمان تحت حاجب • تحكم في الالباب كسرى وحاجبه

وقال

سالساريع العام للعام رحمة • فمن ولم يمم بذرة انعام
فقلما وقدرة الوجوه ولم يبل • قليل الحيا قبحت واللهمس عام

وقال

تحوته صرف الزمان وهل ترى • بقاء على أودواما على أمر
هو الدهر ذو وجهين يوم وليلة • ومن كان ذا وجهين يعتب في غدر

وقال رحمه الله تعالى في شجر اللوز

انظر الى يمنى وحسنى بسوق • يهفو النسيم بقدى المشرق
يجلو اللواحظ منظرى حسنا كما • يجلو ثمر العانيات عروق

وقال رحمه الله تعالى في ساق

كيف آمنتا على الشرب طيبا • لطه في القلوب غير أمين
راح يسقي فصب في الكاس ردا • ثقة منه بالذي في العيون

وقال يخاطب السلطان

أنت للمسلمين خير عماد • وملاذ وأي حرز حرين
لو رأى ما شرعت للخلق فيه • عمر الفاضل بن عبد العزيز
لجزى ملكك المبارك خيرا • وقضى بالشفوف والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل • ويقول مقول أووجيز
كل ملك يرى بصحبة أهل الشعر قد باء بالمحل العزيز
فاذا ما طعرت منهم بأكسير ملأت البلاد من ابريز
والبرايا تبيد والملك يفنى • أين كسرى الملوك مع ابرويز

وقال رحمه الله تعالى

مالي أهذب نفسي في مطامعها • والنفس تأنف تهذيبي وتهذي بي
اذا استعنت على أهلي تجربة • تأبى المقادير تجري وتجري بي

وقال

من لانصيب لحصه فى خيره * واذا سعى لم يقض حاجة غيره
فاقصد أباه متى أردت وقل له * الله يلهمه العزاء بأيره

وقال رحمه الله تعالى

أمستخرجا كنز العقيق بآماق * أما شدك الرحمن فى الرمق الباقى
فقد ضعفت عن حمل صبرى طاقتى * عليك وضاقت عن زفيرى اطواقى

وقال رحمه الله تعالى

اذا لم أشاهد منك قبل منيتى * نهاية آمالى وغاية غاياتى
فحسن عزائى حيل بينى وبينه * وقرة عينى لم تحل بمرآتى
شهودك امنى من عداة خواطرى * وقربك حرزى من توقع آفاتى
فان لم يكن وصل فهم اشارة * فيا حسن شاراتى بها من اشاراتى

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الدنيا

دنيا خدعت الذى سفرت له * عن صفحة لم يحل بها كرم
سرقت حظ الاله من يده * فهان ما كان منه يحترم
هذا الذى نال منك ليس له * منقطع دائم ومنصرم
وهبه نال الذى أراد أما * بين يديه المشيب والهرم

ولما أورد رحمه الله تعالى قول القائل فى وصف الدنيا

كلما أنبت الزمان قناة * ركب المرء فى القناة سنانا
وكانا لم يرض فيما بريب الدهر حتى أعانه من أعانا

قال اثره ما نصه والحق ماقلته من أبيات تناسب ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله

والله ان لم يداركها وقد وحلت * بلحمة أو بلطف من لدنه خفى
ولم يجد بتلافيها على عجل * ما أمرها صائرا الا الى تلف

لحب الدنيا رأس كل بلاء * ولولا لم تزل النفس صافية عالية عن سجنها الاولى انتهى
ومن نظمه رحمه الله تعالى قوله

ان رأى الحق فيك منه بقيه * فاتق البعد فيه حق التقيه
واذا لم يكن لذاك رسم * فانم تلك حالة حقيقيه

وقوله رحمه الله تعالى

تسامح اذا مالم تفدك عبارة * وان أشكلت يوما فخذها كما هيا
وتخلص ما دندنت بالقول حوله * اذا قت بالباقى فما زلت باقيا

وقال رحمه الله تعالى

ففى عالم الاسرار ذاتك تجتلى * ملامح نور ولاح للطور فانهدا
وفى عالم الحس اغتديت مبوأ * لتشقى من استشقى وتهدى من استهدى
فما كنت لولا أن ثبت هداية * من الله مثل الخلق رسما ولا حدا

وهذه الابيات فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وقال رحمه الله تعالى

حمامة البان ماهذا البكاء على * مرّ الليالى وماذا البث والحزن
لا منزل بنت عنه أنت تندبه * ولا حبيب ولا خل ولا سكن
لو كنت تنفث عن شوق منيت به * اذا الصبا ربما اعتادك الغصن

وقال رحمه الله تعالى مضمنا

أمط عنك مهما اسطعت كل ارادة * والا تخفى القوم عنك بعيد
تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فانت مريد

وقال رحمه الله تعالى

تعلقته من دوحة الجود والباس * قضيبا لعوبا بالرياء وبالياس
ضروبا بضرب لليراعة والقنا * طروبا بحمل المشرفية والكاس
يذكرنيه الصبح عند انصداعه * جمال رواه فى تأرّج أنفاسى
ويبدو لعينى شعره وجبينه * اذا ماسفحت الحبر فى صفح قرطاس

وقال رحمه الله تعالى

أحب لطبها جلى ودر حلى * وعزى والقلادة والطريقا
ومن أخشاه من سبع ولص * فكيف فريقها ساوا فريقا
وكيف أخص باسم الحب ان لم * أحب لاجلها الاصديقا

وقال رحمه الله تعالى وقلت من قصيدة

اما صفة الاكوان أدرج خطها * مسرّ ذوى التحقيق فى طى أوراق
ففى عالم الاشباح ليلى وطلتى * ومن عالم الارواح نورى واشراقى

وقال رحمه الله تعالى

مولاى مولاى ان أرصالنبدل دمى * فقد أتيت به أسعى على قدمى
وان تعاظم ذنب قدجنته يدى * وطال قرعى عليه السن من ندم
فهبه لى واغتفر ما كان من خطا * وزلة وارع لى سعيى على القدم

وقال رحمه الله تعالى من قصيدته العينية السلوية التى وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده

بولى الله فابدأ وابتدر * واحد الآحاد فى باب الورع

قلت هذا الولى هو العارف بالله تعالى سيدى الحاج أحمد بن عاشر أحد العلماء أصحاب الكرامات المشهورة بالمغرب وقد زرت قبره بسلا عام تسعة وألف وهو أحمد بن عمر بن محمد ابن عاشر الاندلسى نزيل سلا الولى الزاهد المشهور بالمناقب والاحوال قال ابن عرفة ما أدركت مبرزا فى زماننا هذا الا الشيخ أبا الحسن المنتصر وأحمد بن عاشر بسلا انتهى وقال بلديّنا أبو عبد الله بن صعد التلمسانى فى كتابه النجم الثاقب فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان أحد الاولياء الابدال معدودا فى كبار العلماء مشهورا باجابة الدعاء معروفا بالكرامات مقدما فى صدور الزهاد منقطعا عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من صالحى العباد

ملازما للقبور في الخلاء المتصل بحر مدينة سلا منفردا عن الخلق لا يفكر في أمر الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبة مشهورة ممن جمع له العلم والعمل والقى عليه القبول من الخلق شديد الهيبة عظيم الوقار كثير الخشية طويل التفكر والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عنان وارتحل اليه عام سبعة وخمسين وسبعمائة فوقف ببابه طويلا فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من حبه واجلاله ثم عاود الوقوف ببابه مرارا فما وصل اليه فبعث له بعض أولاده بكتاب كتبه اليه يستعطفه لزيارته ورؤيته فاجابه بما قطع رجاءه منه وأيس من لقائه واشتد حرصه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى حجبه الله عنا انتهى ولما أجرى ذكره لسان الدين في نفاضة الجراب قال ما ملخصه واقيت من أولياء الله تعالى بسلا الولي الزاهد الكبير المنقطع القرين فرارا عن زهرة الدنيا وعزوفا عنها واغتباطا في الورع وشهرة بالكشف واجابة الدعوة وظهور الكرامة أبا العباس بن عاشر يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبة تأتيه وكنف هيبته قاعدا بين القبور في الخلاء رث الهيئة مطرق اللحظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة قد ضرسه أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من قاصده مجرمز للوثبة من طارقه نفع الله تعالى به انتهى وقال ابن الخطيب القسطنطيني الشهير بابن قنفذ لقيته بسلا سنة ٧٦٣ وهو على أتم حال في الورع والفرار من الامراء والتمسك بالسنة وهو الشيخ الفقيه الولي توفي في سنة خمس وستين وسبعمائة انتهى وممن انتفع به ونال بركته الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم وقد ترجمناه في هذا الكتاب وقال ابن عباد المذكور في رسائله وقد كنت قدما خرجت في يوم مولده صلى الله عليه وسلم صائما الى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الاكل فقلت اني صائم فنظر الي سيدي الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد فتأملت قوله فوجدته حقا وكأنه أيقظني من النوم انتهى وقال ابن قنفذ السابق في رحلته ما صورته وكان ابن عاشر رحمه الله تعالى فريدا في الورع ميسرا عليه في ذلك أتم تيسير محفوظا من كل ما فيه شبهة كثير النفور من الناس وخصوصا أصحاب الولاية في الاعمال وجرت على يده تلامذة نجباء أخيار وطريقه أنه جعل احياء علوم الدين بين عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد وصدق وانقياد وكان الحجة في ذلك الطريق وأول اجتماعي به نذر مني فجبسته بيدي وهززته فتبسم ووقف معي وسألني عن نسبي ودعا لي وطلبته بما يطعمني فاعتذر لي بالاقلال ثم قال أمهل فدخل وأخرج لي حبات تين يابسة في يده اليمنى وغطاها باليد اليسرى ودفعها الي وضحك معي وتعجب الحاضرون من لبانته وانشراحه معي لانه لا ينبسط الى أحد وحصل لي بذلك فخر لا يدري قدره الا من حاول بعضه معه وقصدني كثير من الخواص فسألني عن مجلسي معه وما وقع من جوابه وسؤاله وقد حاول ملك المغرب لما ارتحل اليه في عام سبعة وخمسين وسبعمائة على اتيانه فلم يقدر عليه بوجه وحجبه الله تعالى حتى تبعه يوم جمعة من الجامع الاعظم على قدميه والناس ينظرونه وهو لم يره فرجع ولم يكن قوته الا من نسخ العمدة في الحديث وكيف يبيعها وان يبيعها ولا يأخذ الا قيمتها ولم تزل

بالله وبركته فى زيادة الى أن توفى سنة ٧٦٥ وسأله بعض الاخيار بحضرتى عن الفرق بين
مكاشفة المسلم ومكاشفة النصرانى لوجود ذلك من بعضهم فقال المسلم الذى له هذه الدرجة
يرى من الماهية والنصرانى لا يرى ثم قال وهل يرى الفقيه من الماهية فقال له نعم ثم
دار يمينا وشمالا لا يجد صاحب عاهة يأتى بالعيان فلم يجد أحدا وكأنه اغتاظ لهذا السؤال
ثم أخرج يده وقال يأتى لمن يقعد من البركة بعينه بيده بقيمه وقد ذهب أمله بعد
أن جنا الى الارض فى الصفة ثم قال وسئل بعضهم عن هذا وكان السائل نصرانيا يأتى فى زى
المسلم فقال له الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك قال فسقط وفضحه الله تعالى وأسلم
بسبب ذلك انتهى كلام ابن قنفذ القسطنطينى رحمه الله تعالى وترجمة ولى الله تعالى سيدى
الحاج ابن عاشر نفعنا الله تعالى ببركاته متسعة جدا وكراماته ومناقبه لا نبلغ لها حدا
ولا نطيق لها عدا وانما المقصد ذكره قصد التبرك به والله ولى التوفيق وهو الهادى
الى سواء الطريق (رجع) الى خبر لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فنقول ومن
مداعباته رحمه الله تعالى قوله

ومولع بالكتب يبتاعها ● بأرخص السوم وأغلاه
فى نصف الاستذكار أفنيته ● مختصر العين وأرضاه

ويعنى بمختصر العين الزبيدى فافهم وقال رحمه الله تعالى من قصيدة

والله ما اعتل الاصيل وانما ● تعلم من شعرى فبان اعتلاله

وهذا غاية فى المبالغة وحسن التعليل ● وقال رحمه الله تعالى وقفت على قبر المعتمد بالله
فى مدينة اغمات فى حركة راحة أعملتها الى الجهات المراكشية باعثها لقاء الصالحين
ومشاهدة الآثار عام واحد وستين وسبعمائة وهو بمقبرة اغمات فى نشز من الارض
وقد حفت به سدرة والى جنبه قبر اعتماد حظيته مولاة رميك وعليهما أثر التغرب ومعاناة
الخمول من بعد الملك فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما فأنشدت فى الحال

قد زرت قبرك عن طوع بأغمات ● رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أندى الملوك يدا ● ويا سراج الليالى المدلهمات
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه ● الى حياتى لجادت فيه أبياتى
أناف قبرك فى هضب يميزه ● فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا ● فأنت سلطان أحياء وأموات
ما رئى مثلك فى ماض ومعتقدى ● أن لا يرى الدهر فى حال ولا آت

وقد تقدم هذا فى القسم الاول فى الباب السابع منه وكررته هنا والله الموفق ● وقال رحمه
الله تعالى موريا عن أكل مشرف الدار القابض أى أكل ماله

مشرف دار الملك ما باله ● منتفخ الجوف شكا نافضا
فقيل لى ليس به علة ● لكنه قد أكل القابضا

وقال

يا نفس لا تمتى الى سلوة ● كم أخلف الموعد مرقوب

وأنت باقاتي وما لذا بشراهيم بالحزن ويعقوب

وقال في السعيد أبي بكر ابن السلطان ابن عنان

أميركان قمر الدجى * أفاض الضياء على صفحتيه
تملأ قاسي من حبه * غداة نظرت بعيني اليه
فلا بسط الدهر كف الردى * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

وقال يخاطب الخطيب بن مرزوق

تعلم طبة ورى خلال سقيه * وان كان منسوبا الى غير بسطام
وبيا فقير الوقت لابس خرقة * فليس براض غير صحبة صوام
فديتك لا ترده عنك خيبا * ودرسه يا مولاى قصة بلعام

وقال مما كتبت به الى ابن مرزوق المذكور وقد وصل ولده الى سلا ومنع ابن الخطيب عن
لقائه عذر مرض وكان نزوله بزاوية النسالة

صدني عن لقاه نجلك عذر * يمنع الجسم عن تمام العباده
واختصرت القرى لان سطر رسلا * في محل الغنى ودار الزهاده
ولو انى استقلت لم يعن الدهر ولانلت بعض بعض اراده
وعلى كل حالة فقصورى * عادة اذ قبولك العذر عاده
لاعدمت الرضا من الله والحسنى كانص وحسبه والزياده

وقال يخاطبه من ضريح السلطان أبي الحسن بشالة لاستنهاض عزيمته في قضاء غرضه

برئت لله من حولى ومن حيلى * ان نام عنى وليى فهو خيرولى
أصبحت مالى من عطف أؤمله * من غيره فى مهمات ولا بدل
ما كنت أحسب أن أرمى بقاصمة * للهجر أقطع فيها جانب الامل
من بعد ما خاضت غمرى الشفاعة ما * بين العلا والدنيا والبيض والاسل
ان كنت لست بأهل للذى طمحت * اليه نفسى وأهوى نحوه أملى
فكيف يلغى ولا ترعى وسيلته * دخيل قبر أمير المسلمين على
من بعد ما اشتهرت حالى به وسرت * بها الركائب فى سهل وفى جبل
والرسل تترى ولا تخفى نتائجها * عند التأمل من قول ولا عمل
ولا الليل من صبح أطالعه * كان همى قد مدت الدجنة لى
لو أننى بابن مرزوق عقدت يدى * وكان محتكما فى خيرة الدول
لكان كربى قد أفضى الى فرج * وكان حزنى قد أوفى على جذل
المحت بالعتب لم أحذر مواقعه * أنا الغريق فما خوفى من البلل
ولست أجحد ما خولت من نعم * لكنها النفس لا تنفك عن أمل
ولست أيأس من وعد وعدت به * وانما خلق الانسان من عجل

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا الحجاج

أمولاى ان الشعر ديوان حكمة * يفيد الغنى والعز والجاه من كانا

وقد وجد المختار في الفضل منهما * له وزراء كمبا عليه وحساما
وفيما رواه الناقلون وأثبتوا * بذلك ديوانا صحيحا فدونا
بأن أبا بكر خليفته الرضا * وفاروقه الادنى اليه وعثمانا
وأن عليا قدس الله جمعهم * وكرمنا بالقرب منهم وحيانا
لهم في ضروب القول اذهم فحوله * خطاب وشعر يستقران تبيانا
وفاض على أهل القريض نوالهم * فروض روض القول صار وتهتانا
وأنت أحق الناس أن تفعل الذى * به فعل المختار دينا وايمانا
فمازلت تهدى في البرية هديه * وتقتفى بمارضيه سرا واعلانا
وان قيل قدر المرء ما هو محسن * فصنعة نظم القول أرفعه شانا

وقال مورّيا

تبسمى حبيب في ثناياه بارق * واكتنا للواردين عذابه
اذا كان لى منه عن الوصل حاجز * فدمعى عقيق بالجفون مذابه

وقال

عذبت قلبي بالهوى فتيامه * في نار هجرك دائما وتعيده
ولقد عهدت القلب وهو موحد * فعلام يقضي في العذاب خلوده

وقال في التجنيس

دعو تلك للوقت الذى جنبانه * تداعت مبانيها وهمت بأن تهوى
وقلت لعهد الوصل والقرب بعدما * تناءى وهل أسلو سلاتى وأنت هى
ومن شام من جو الشبيبة بارقا * ولم تنهه عنه النهى كيف ينتهي

وقال

ناديت دمعى اذ جد الرحيل بهم * والقلب من فرق التوديع قد وجلا
سقطت يادمع من عينى غداة نأى * عنى الحبيب ولم تقض الذى وجبا

وقال

شابهت الورى أسماء الجوار * وسبقة على رحيب الفضا
هو الشيخ أبردشي برى * اذا لبس البرنس الابيضا

وقال قلت أخاطب بعض من أدل عليه وما أولاني بذلك

اذا قمت قل بعقيب الكرى * الهى أنت اله الورى
تباركت أنشأتهم من تراب * وأنشأتني يوم من خرا

قلت ولا خفاء بشاعة هذا فحذفه أولى من اثباته * وقال يداعب بعض أصحابه

شيخ رباط ان أتى شادن * خلوته عند انسدال الظلام
أدلى وقد أبصره دلوه * وقال يابشراى هذا غلام

وقال في غرض باهر

لم أجد فيه لي بث لقلبي * وتبرلا لجتي واعتذارى

ثقل الله ظهره بعيال * سوّد الله وجهه بعذار

وقال من قصيدة

أخذت وأمواج الردى متلاطمه * بضبعى "يا نجل الوصى" وفاطمه

وقال

ووجه غرست الورد فيه بنظرة * فيا ليت كفى متعت بجنى غرسى

كأن سواد الخال فى وجناته * علامة مولانا على أحمر الطرس

وبينهما فى باطن الامر نسبة * لذلك أمضيت الغرام على نفسى

وقال يشير الى بعض طبقات الغناء

ضرط الفقيه فقلت ذا الغريبة * ما كان ذلك منه بالمعلوم

فدنا الى وقال قد أصرفتكم * من ضرطتى بغريبة المزموم

وفى آخر سنة أربع وسبعين وجه الى السلطان أبى حم سلطان تلمسان أبياتا الرومية فى غرض الهناء وهى

وقف الغرام على شانك لسانى * رعيا لما أوليت من احسان

فكأنما شكرى لما أوليته * شكر الرياض لعارض النيسان

أنا شيعة لك حيث كنت قضية * لم يختلف فى حكمها نفسان

ولقد تشاجرت الرماح فكنت فى * ميدان نصرك فارس الفرسان

ورويت غرّ مآثر اسندتها * لعلاك بين صحائح وحسان

ولانت أولى بالتشيع شيعة * لم تتق لسواك من انسان

الشمس أنت قد انفردت وهل يرى * بين الورى فى مطلع شمسان

جبرت بجبرك كل نفس حرة * وشدا بشكر الله كل لسان

وبدت سعودك مستقيما سيرها * وعلت فقر أمامها الفسان

فاستقبل السعد المعاود سافرا * عن أى وجه للرضا حسان

وابغ المزيد بشكر ربك ولتثق * بضاعف الانعام والاحسان

فالشكر يقتاد المزيد ركائبا * تنتاب بابك منه فى أرسان

ثم السلام عليك يروى عرفه * طيبا بعرف العود والبلسان

وقال

بحق ما بيننا يا ساكنى القصبه * ردّوا على حياتى فهى مغتصبه

ماذا جنيتم على قلبى ببينكم * وأنتم الاهل والاحباب والعصبه

قلت ولعل ابن زمرك قال أبياته التى على هذا الروى المذكورة فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب جوابا لهذه حين كان ابن زمرك من جملة أتباع لسان الدين رحم الله تعالى الجميع

وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

حين سار واعى وقد خفقتنى * عبرات قد أعربت عن ولوعى

صحت من ينصر الغريب فلما * لم أجد ناصرا بلعت دموعى

وقال

وقائل لي والدموع تهل سحبا • في عارض من الخدود محول
بك ما بي فقلت مولاي عائذا • لك المعافى من عبرتي وغرولي
أنا جفني القريح يروي عن الاعمش والجفن منك عن مكحول

وقال

أشكو لمبسمه المريق وقد سعى • عني الماء المشتهى ورحيقه
يا ريقه سحرتني ومطلتني • ما أنت الا البارد بريقه

وقال فيمن ركب البحر وما دم

ركب السفينة واستقل بأفقها • فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا اليه بعده فأجبتهم • لا غرو ان ماد القضيب الاملد

وقال عند ما خرج السلطان ابن الاحمر من فاس متوجها الى الاندلس لطلب حقه

ولما حتمت السير والله حاكم • بملكك في الدنيا بعزوفي الاخرى
حكى فرس الشطرنج طرفك لا يرى • ينقل من بيضاء الا الى حمرا

ويعني بالبيضاء فاسا الجديدة وبالحمراء حمراء غرناطة وتذكرت هنا أن بعض علماء الاندلس وأظنه أبا عبد الله بن جزي لما رمدت عين بعض أهل فاس سأله عنها فقال

ياسيدي عيني قد • أودى قذاها بالانس
فنظرها ترها • دار مليك الاندلس

يعني حمراء فأجابه بقوله

وقيت مما تشتكي • من القذى والوصب
لما رمدت عين النبل • عين العلا والادب
فلتحمدن أن لم تكن • دار مليك المغرب

يعني بيضاء وهذا من غريب ما يحاضر به (رجع) وقال لسان الدين رحمه الله تعالى

أجاد يراع الحسن خط عذاره • وأودعه السر المصون الذي يدري
ولم يفتقر فيه لختم وطابع • فبسمه أغناه عن طابع السر

وقال في غرناطة

أحييك يا معنى الكمال بواجب • وأقطع في أوصافك الغر أوقاتي
تقسم منك الترب قومي وجيرتي • ففي الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

وقال في غرض يغلو نحو المشارقة

رعوا بالسلو حليف الغرام • وأدمعه كالحيا الهاطل
أعوذ بعزك ياسيدي • لذلي من دعوة الباطل

وقال

يا ليل طلت ولم تجد بتبسم • وأريتني خلق العبوس الصادم
هلا رحمت تغربي وتفرقي • ثم أقسالك يا ابن الخادم

وقال

وقال فى مروحة سلطانية

كانى قوس الشمس عندطلوعها * وقدقدمت من قبلها نسمة الفجر
والا كما هبت بمحتدم الوغى * بنصر ولكن من بنود بنى نصر

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب

بين السهام وبين كتبك نسبة * فبها يصاب من العدوّ المقتل
واذا أردت انهاز يادة نسبة * هذى وهذى فى الكنانة تجعل

وقال يتغزل وفيه معنى غريب

ان اللحاظ هى السيوف حقيقة * ومن استراب فحجتى تكفيه
لم يدع غمد السيف جفنا باطلا * الا الشبه اللحظ يغمد فيه

قيل وأحسن منه قول غيره

ان العيون النجل أمضى موقعا * من كل هندى وكل يمان
فضل العيون على السيوف بانها * قتلت ولم تخرج من الاجفان

وأصل ما قال لسان الدين قول الاول

بين اللحاظ وعينيه مناسبة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى فى الساعة وتسميها المغاربة المنجانة

تأمل الرمل فى المنجان منقطعا * يجرى وقدرد عمرا منك منتهبا
والله لو كان وادى الرمل يجمعه * ماطال كامله الا وقد ذهبا

وقال

أقول لعاذلى لما نهانى * وقد وجد المقالة اذ جفانى
علمت بانه مرّ التجنى * وفاتك أنه حلو اللسان

وقال فى فرض صوفى

لا تنكروا ان كنت قد أحببتكم * أوأننى استولى علىّ هواكم
طوعا وكرها ما زون فاننى * طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقال يمدح وفيه تورية

وان نظرت الى لألاء غرته * يوم الهياج رأيت الشمس فى الاسد

وقال مما يكتب على طاق الماء بباب القبة

أنا طاق تزهو بى الايام * تعبت فى بدائعى الافهام
وتبدّيت للنواظر محرا * باكاك الاناء فى امام
واقف للصلاة حتى اذا ما * جئت للشرب حان منى سلام

وقال فى ذلك أيضا

يا ما نبى لله ما أحكمته * فلانت بين العالمين رئيس
أحكمت تاجى يوم صيغت رؤوسه * فصبت اليه مفارق ورؤس
وأقمت فى محرابه فكأنه * مجلى اذا الماء فيه عروس

وقال فى المشيب

انى لـبـلى بالهوى من بعدما * للوخط فى الفودين أى دبيب
لبس البياض وحل ذروة منبر * منى ووالى الوعظ فعل خطيب

وقال رحمه الله تعالى

والله ما يبان على ماله * أوجاهه من ذب عن عرضه
والناس فى خير وفى صدة * هم شهداء الله فى أرضه

وقال

الهى بالبيت المقدس والمسعى * وجمع اذاما الخلق قد نزلوا الجمعا
وبالموقف المشهود يا رب فى منى * اذا ما أسال الناس من خوفك الدمعا
وبالمصطفى والصحب عجل اقالتى * وأنجح دعائى فيك يا خير من يدعى
صدعت وأنت المستغاث جنابه * أقل عثرتى يا مولائى واجبر الصدعا

وقال رحمه الله تعالى فى بنيونش سبتة

بنيونش أسنى الاماكن رفعة * وأجل أرض الله طراشانا
هى جنة الدنيا التى من حلها * نال الرضا والروح والريحانا
قالوا القرود بها فقلت فضيلة * حيوانها قد قارب الانسانا

وفى بنيونش هذه يقول أبو عبد الله بن جبير

بنيونش جنة ولكن * طريقها يقطع النياطا
وجنة الخلد لا يراها * الا الذى يقطع الصراطا

وقال ابن الخطيب رحمه الله تعالى

ان الهوى لشكاية معروفة * صبر التصبر من أجل علاجها
والصبر ان ألفت مرارة طعمه * يوما صممت لها اصلاح مزاجها

وقال رحمه الله تعالى

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقد رام اصبرى على موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى دموعها * فقابلت من دمعى بمختصر العين

وقال رحمه الله تعالى

تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى * وأقصر من المنام طيف خياله
فياليت شعرى من اتاح لى المنى * وعذب بالى هل أمر ببباله

وقال رحمه الله تعالى

عيون جنيت بعلام تحرق أضلعى * ايماجنى جار يعذب جار
ياقلب لاتدهشك نيران الهوى * فكذا ابراهيم تلك النار
فاصبر على ماجاوانتل المنى * بالمسك أدرك نفشه الدينار

وقال رحمه الله تعالى

وما كان الا أن جنى الطرف نظرة * غدا القلب رهنا فى عقوبة ذنبه

وما العدل أن يأتي امرؤ بجريرة * فيؤخذ في أوزارها جار جنبه

وقال رحمه الله تعالى

برى جسدي فيكم غرام ولوعة * اذا سكن الليل البهيم تثور
فلولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي * خيالكم بالليل حين يزور
ولو شئت في طي الكتاب لزرتكم * ولم تدر عني أحرف وسطور

وقال رحمه الله تعالى

بلد تحف به الرياض كأنه * وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وقال رحمه الله تعالى يخاطب السلطان أبا حمو صاحب تلمسان ويشكره على ما كان أعان به أهل الاندلس

لقد زاد الجزيرة منك بحر * يمد فليس نعرف منه جزرا
أعدت لها بعهدك عهد موسى * سميك فهي تتلومنه ذكرا
أقمت جدارها وأقدت كنزا * ولو شئت اتخذت عليه أجرا

وقال أيضا

وقالوا الجزيرة قد صوحت * فقلت غمام الندى تنتظر
اذا وكفت كف موسى بها * غماما يعود الجناب الخضر

وقال رحمه الله تعالى عقب الاياب من الرحلة المراكشية

أفادت وجهتي بلد الشمالا * قضى ديني وأصلح بعض حالي
ومتعت الخواطر بانشراح * وأطرفت النواظر باكتحال
وأبت خفيف ظهر والمطايا * بجاهك تشتكي ثقل الرحال
وشاني للمعالم غير شان * وحالي بالمكارم جد حال
لحب علاك ايماني وعقدي * وشكرك ديني الذي واتصالي
كما قد صح لله انقطاعي * بتأميلي جنابك وارتحالي
وما يبقى سوى فعل جميل * وحال الدهر لا تبقى بحال
وكل بداية فالى انتهاء * وكل اقامة فالى ارتحال
ومن سام الزمان دوام أمر * فقد وقف الرجاء على المحال

وقال رحمه الله تعالى في الضراعة الى ربه والاعتراف بذنبه

مولاي أن أذنبت يشكر أن يرى * منك الكمال ومني النقصان
والعفو عن سبب الذنوب مسبب * لولا الجناية لم يكن غفران

وقال رحمه الله تعالى

سلام على تلك المرابع انها * معاهد آلافي وعهد صحابي
ويا أسفا المغنى الغني فطالما * سكبت على مثواه ماء شبابي

وقال سامحه الله تعالى

أمرطاني الذى أرعبت عنه • ولم أرزأبه مالا ولا دم
لئن أرعبت عنك بغير قصد • فقبلي فارق الفردوس آدم

ومن ميلادياته رحمه الله تعالى قوله

ما على القلب بعدكم من جناح • أن يرى طائرا بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب اذا هب باسامكم نسيم الصباح
عبرة الملى والحديث شجون • والليالي تلين بعد الجماح
أترون السلو خامر قلبي • بعدكم لا وفالق الاصباح
ولو انى أعطى اقتراحي على الايشام ما كان بعدكم باقتراحي
ضايقتني فيكم صروف الليالي • واستدارت على دور الوشاح
وسقتني كاس الفراق دهاقا • في اغتباق مواصل واصطباح
واستباحت من جلدي وقناتي • حرما لم أخله بالمستباح

ومنها

يا ترى والنفوس أسرى أماني • ما لها من وثاقها من سراح
هل يتاح الورود بعد ديار • أو يتاح اللقاء بعد انتزاح
واذا أعوز الجسوم التلاقي • ناب عنه تعارف الارواح

وهي طويلة لم يحضرني منها الآن سوى ما ذكرته وقد حذا حذوها الفقيه الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون صاحب التاريخ فقال في مولد عام ثمانية وسبعين وسبعمائة واستطرد لمدح السلطان أبي حمو موسى صاحب تلمسان الذى تقدم ذكره قريبا

ما على الصب في الهوى من جناح • أن يرى حلف عبرة وانتقاح
واذا ما المحب عيل اصطبارا • كيف يصغي الى نصيحة لاح
يا رعى الله بالمحصب ربعا • آذنت عهده النوى بانتزاح
كم أدرنا كاس الهوى فيه مزجا • رب جد من الهوى في المزاح
هل الى رسمه الجميل سبيل • يا حداة المطي تلك الطلاح
نسأل الدار بالخليط ونسقي • ذلك الربع بالدموع السفاح
أي شجو عانيت بعد نواها • من أسى لازم وصبر مزاح
أهل ودى ان رابكم برح وجدى • من صبا بارق وبرق لياح
فاسألوا البرق عن خفوق فؤادى • والصبا عن سقام جسمي المتاح
يا أهيل الحمى فداء مشوق • ماله عن هوى الدمى من براح
طالما استعذب المدامع وردا • في هواكم عن كل عذب قراح
عاده بالطلول للشوق عيد • من حمام مردد صداح
من لقلب من الجوى في ضرام • وجفون من البكا في جراح
واصب يجعه الذكر شوقا • فهو سكران تاه من غير راح

وبال

وليال قضيت للهو فيها * وطراوالشباب ضافى الجناح
راكبا فى الهوى ذلول تصاب * ساحبا فى الغرام ذيل مراح
ونجوم المنى تشير الى أن * روّح الشيب سربها بالصباح
أى عمرى حمدت لم أخل منه * بسوى حسرة وطول افتضاح
وانكسارى يوم القيامة ان لم * يغفر الله زلتى واجتراحى
لم أقدم وسيلة فيه الا * حب خير الورى الشفيع الماحى
سيد العالمين دنيا وأخرى * أشرف الخلق فى العلا والسماح
سيد الكون من سماء وأرض * سره بين غاية وافتتاح
زهرة الغيب مظهر الوحى معنى الشـ * ـور كنه المشكاة والمصباح
آية المكرمات قطب المعالى * مصطفى الله من قريش البطاح
أوّل الانبياء تخصيص زلفى * آخر المرسلين بعث نجاح
صفوة الخلق أرفع الرسل قدرا * وسراج الهدى وشمس الفلاح
من لميلاده بمكة ضاءت * من قرى قيصر جميع الضواحى
وخبت نار فارس وتداعت * من مشيد الايوان كل النواحى
من رقى فى السماء سبعا طباقا * ورأى آى ربه فى اتضاح
ودنا منه قاب قوسين قربا * ظاهرا فى العلا بكل اقتراح
من هدى الخلق بين حمر وسود * وجلا ليل غيهم بالصباح
من يجير الورى غدا يوم يجزى * كل عاص وطائع باجتراح
من الى حوضه وظل لواه * يلجأ الناس بين ظام وضاح
أحمد المجتبى حبيبا وأنى * فوق عز الحبيب مرمى طماح
فى أناجيله المسيح تلاه * باسمه والكليم فى الالواح
وله كم حجة وبرهان صدق * فى سماع أتى بها والتماح
ان فى النجم والنبات لآيا * بهرت والجماد والارواح
معجزات فتن المدارك وصفا * وحسابا كالزهر أو كالصباح
يا رواة القريض والشعر عجزا * ما عسى تدركون بالامداح
انما حسبنا الصلاة عليه * وهى للفوز آية استفتاح
يا الهى بحق أحمد عفوا * عن ذنوب جنيتهن قباح
وأدم دولة الخليفة موسى * ذى المعالى المبينة الاوضاح
مفخر الملك مستقر المزايا * مظهر اللطف ذو التقى والصلاح
ناصر الحق خاذل الجور عدلا * ملجأ الخائفين بحر السماح
يتلقى الندى بوجه حيى * ويلاقى العدا بأس صفاح
وله المكرمات ارثا ولبثا * حاز حمدا بها معلى القداح
من علا باذخ وفخر صميم * وكمال بحت ومجد صراح

وأحاديث في المعالي حسان • رويت عنه في العوالي الصحاح
عاقد صفقة العلا كل حين • فائز فيه سعيه بالرباح
للندى والهدى يروح ويغدو • أي مغدى إلى العلا ومراح
ملك تشرق الأسرة منه • في سماء السرير نور صباح
وإذا ما علا بمالي العوالي • صهوة الجرد فهو ليث الكفاح
لبس الدهر منه حلة حسن • وثنى للسرور عطف مراح
وعلى عاتق الخلافة منه • طرز فخر يسبي النهى بالتماح
ورث الملك شامخا عن سراة • شيدوا ركنه بأيدي الصفاح
من بني القاسم الذين تحلوا • بالمعالي واستأثروا بالفلاح
فرعوا هضبة الخلافة مجدا • ورفعوا سقفه على الأرماح
نشروا راية المفاخر حمدا • فاق نشر الورد بالربا والبطاح
يا إمام الملوك جلالا • وجمالا فديت بالأرواح
أنت شمس الكمال دمت عليها • في اغتباق من الهنا واصطباح
وبنوك الأعلون أنجم سعد • زاهرات بنورك الوضاح
وأبو تاشفين بدر منير • زانه الله بالخلال الصباح
أكمل العالمين خلقا وخلقا • أشرف الناس في الهدى والكفاح
وبكم زينت سماء المعالي • واهتدى الناس في الدجى والصباح

وكان السلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله (ومن احتفاله له) ما حكاه شيخ شيوخ شيوخنا الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني في كتابه راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه أنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشوره من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبرا مذابا ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمقة تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر ورتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رضوان الله تعالى عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت

في أحسن صورة في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادي حيّ على الفلاح انتهى وقال التنسي المذكور في كتابه المسمى بنظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الاعيان مانصه وكان السلطان أبو حمو يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة يحشر لها الاشراف والسوقة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وشمع كالاسطوانات وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون وبأيديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها أرقم خارج من كوة بجذر الايكة صاعدا وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دوين رأس الخزانة قمر اكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان في فم كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه فهنالك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء بيمناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا وقد اشتملت من انواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الانفس وتستحسنها الاعين وتلذ بسماع أسمائها الآذان ويشره لمبصرها الاقرب منها والمتناول وان كان ليس بغرثان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلي هنالك صلاة الصبح على هذا الاسلوب قضى ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام دولته أعلى الله تعالى مقامه في عليين وشكر له في ذلك صنعه الجميل آمين وما من ليلة مولد مرّت في أيامه الا ونظم فيها قصيدا في مديح مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المسمع في ذلك الحفل العظيم بانشاده ثم يتلوه انشاد من رفع الى مقامه العلي في تلك الليلة نظما انتهى وهو أتم مساقا مما في راح الارواح ولا بأس أن نلم ببعض المقطوعات التي أنشأها الكاتب أبو زكريا يحيى بن خلدون المذكور على لسان جارية المنجانة في مخاطبة السلطان أبي حمو معلمة بما مر من ليل في مضي ساعتين قوله

أخليفة الرحمن والملك الذي ✱ تعنو لعز علاه أملاك البشر
قد مجلسك الذي يحكي علا ✱ بك ما لكي أفق السماء ان نظر
أو ما ترى فيه النجوم زواهرا ✱ وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت ✱ تثني عليك ثنا الرياض على المطر
لازال هذا الملك منصورا بكم ✱ وبلغت مما ترتجي أسنى الوطر

وقوله فى مضى ثلاث ساعات

أمولاى يا ابن الملوك الألى • لهم فى المعالى سنى الرتب
تولت ثلاث من الليل أبقت • لك الفخر فى عجمها والعرب
فدم حجة الله فى أرضه • تنال الذى شئته من أرب

وقوله فى مضى ست ساعات

يا ماجدا وهو فرد • تخاله فى عساكر
ست من الليل ولت • ما ان لهما من نظائر
دامت لياليك حتى • الى المعاد تواتر

وقوله فى مضى ثمان ساعات

يا أكرم الخلق ذاتا • وأشرف الناس أسره
مرت ثمان وأبقت • فى القلب منك مسره
فيمن كان شباب • أنا نعيم ونضره
ولى بها الدهر عنى • ترى لها بعد كره
فالله يبقيك مولى • يطيل فى السعد عمره

وقوله فى مضى عشر ساعات

يا مالك الدهر والخيل التى حكمت • له بعز على الايام مقتبل
هذا الصباح الذى لاحت بشائره • والليل ودعنا توديع مرتحل
لله عشر من الساعات باهرة • مضين لا عن قلى منا ولا ملل
كذا تمر ليالى العمر راحلة • عنا ونحن من الآمال فى شغل
نمسى ونصبح فى لهو نسر به • جهلا وذلك يدنينا من الاجل
والعمر يمضى ولا ندرى فوا أسفى • عليه اذ مر فى الآثام والزلل
يا ليت شعرى غدا كيف الخلاص به • ولم نقدم له شيئا من العمل
يا رب عفوك عما قد جنته يدى • فليس لى بجزاء الذنب من قبل
يا رب وانصر أمير المسلمين أبا • عمرو الرضى وأنله غاية الامل
وأبق فى العز والتمكين مدته • وأعل دولته العليا على الدول انتهى

(رجع الى نظم لسان الدين رحمه الله تعالى) فنقول وأما موشحاته وأزجاله فكثيرة وقد انتهت اليه رياسة هذا الفن كما صرح بذلك قاضى القضاة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه الكبير ولنذكر بعض كلامه اذ لا يخلو من فائدة زائدة قال رحمه الله تعالى ما ملخصه وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافى تلك الاغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد الى آخر القطعة وأكثر ما تنتهى عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها

ويمدحون كما يفعل في القصائد ويتجاوزون في ذلك الى الغاية واستطرفه الناس وجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم ابن معافى القبرى من شعراء الامير عبدالله بن محمد المروانى وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد ولم يذكر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم * شمس ضحى * غصن نقا * مسك شم
ما أتم * ما أوضحا * ما أورقا * ما أنم
لا جرم * من لمحا * قد عشقا * قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمان ملوك الطوائف وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول

قد ترنم * بأبدع تلحين * وشقت المذانب * رياض البساتين

وفي انتهائه حيث يقول

تخطر ولا تسلم * عساك المأمون * مروع الكتائب * يحيى بن ذى النون

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين فظهرت لهم البدائع وفرسان حلبتهم الاعمى التطيلي ثم يحيى بن بقى وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفي المعالم * أشجان
والركب وسط الفلا * بالخرد النواعم * قد بانوا

وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعمى التطيلي للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان * سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى

خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسى أنه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقى حين وقع له

أما ترى أحمد * في مجده العالى لا يلحق
أطلعه المغرب * فأرنا مثله يا مشرق

وكان في عصرهما من الوشاحين المطبوعين أبو بكر الابيض وكان في عصرهم أيضا الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى على بعض قيناته موشحته جرر الذيل أيما جر فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله

عقد الله راية النصر • لامير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف الايمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ومشى عليه ثم قال ابن خلدون بعد كلام واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف الى أن قال وابن هردوس الذي له يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي وابن مؤهل الذي له

ما العيد في حلة وطاق • وشم طيب • وانما العيد في التلاقي • مع الحبيب

وأبو اسحق الدويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها

كحل الدجى يجري • من مقلة الفجر • على الصباح

ومعصم النهر • في حلل خضر • من البطاح

فتحرك ابن زهر وقال أنت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فأخبره فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي أدركت هو أبو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح فقال كنت أقول

ما للموله • من سكره لا يفيق • ياله سكران

هل تستعاد • أيامنا بالخليج • ولياليـنا

اذ يستفاد • من النسيم الاريج • مسك دارينا

واذ يكاد • حسن المكان البهيج • أن يحيينا

نهر أظله • دوح عليه أنيق • مورق فينان

والماء يجري • وعائم وغريق • من جنى الريحان

واشتهر بعده ابن حيون الى أن قال وبعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلف فقال على مثل ماذا فقال على مثل قولي

يا هاجري • هل الى الوصال • منك سبيل

أوهل ترى • عن هواك سال • قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله

ان سيل الصباح في الشرق • عاد بحرا في أجمع الافق

فتداعت نوادب الورق • أتراها خافت من الغرق

فبكت سحرة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل ابن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

أو أسهرتني لزمان مضى * عشية بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضا * وبت على جمرات الغضى
أعانق بالفكر تلك الطلول * وألثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير مامرة فما سمعته يقول لله درك الا في قوله

قسما بالهوى لذي حجر * ما لليل المشوق من فجر
جمد الصبح ليس يطرد * ما لليلي فيما أظن غد
صح يا ليل أنك الابد
أو تقصت قوادم النسر * فنجوم السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي ضنى واكتئاب * أمرضه يا ويلتاه الطبيب
عامله محبوبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنني * لم أبكه الا لفقد الخيال
وذو الوصال اليوم قد غرني * منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صدني * بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة

يد الاصباح * قدحت زناد الانوار * من مجامر الزهر

وابن خزر البجائي وله من موشحة

ثغر الزمان موافق * حياك منه بابتسام

ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما * لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منوالها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره فقال

جادك الغيث اذا الغيث همى * يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما * في الكرى أو خلسة المختلس
اذ يقود الدهر أشتات المنى * ينقل الخطو على ما يرسم
زمرا بين فرادى وثنا * مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنى * فثغور الزهر منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما * كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهي منه بأبهى ملبس
في ليال كتمت سر الهوى * بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر

وطر ما فيه من عيب سوى • أنه مر كلمح البصر
حين لذ الأنس شيئا أو كما • هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا أو ربما • أثرت فينا عيون النرجس
أي شئ لامرئ قد خلصا • فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار منه الفرصا • أمنت من مكره ما تتقيه
فاذا الماء تناجى والحصا • وخلا كل خليل بأخيه
تبصر الورد غيورا برما • يكتسى من غيظه ما يكتسى
وترى الآس لبيبا فهما • يسرق السمع بأذنى فرس
يا أهيل الحى من وادى الغضى • وبقلبى مسكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رحب الفضا • لا أبالى شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنس قد مضى • تعتقوا عانيكم من كربه
واتقوا الله وأحيوا مغرما • يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليكم كرما • أفترضون عفاء الحبس
وبقلبى منكم مقترب • بأحاديث المنى وهو بعيد
قمر أطلع منه المغرب • شقوة المغرى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذنب • فى هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى • جال فى النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى • ففؤادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل • وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب أول • ليس فى الحب لمحبوب ذنوب
أمره معتمل ممتثل • فى ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللحظ بها فاحتكما • لم يراقب فى ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما • ومجازى البر منها والمسى
مالقلبى كلما هبت صبا • عاده عيد من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتتبا • قوله ان عذابى لشديد
جلب الهم له والوصبا • فهو للاشجان فى جهد جهيد
لاعج فى أضلعى قد أضرما • فهى نار فى هشيم اليبس
لم يدع فى مهجتى الا الذما • كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمى يا نفس فى حكم القضا • واعمرى الوقت برجعى ومتاب
ودعى ذكرى زمان قد مضى • بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفى القول الى المولى الرضا • ملهم التوفيق فى أم الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى • أسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثل ما • ينزل الوحى بروح القدس

الى هذا المقدار انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين ولا أدرى لم لم يكملها وتمامها قوله

مصطفى الله سمى المصطفى * الغني بالله عن كل أحد
من اذا ما عقد العهد وفا * واذا ما فتح الخطب عقد
من بنى قيس بن سعد وكفى * حيث بيت النصر مرفوع العمد
حيث بيت النصر محمى الحمى * وجنى الفضل زكى المغرس
والهوى ظل ظليل خيما * والندى هب الى المغترس
هاكها يا سبط أنصار العلا * والذى ان عثر الدهر أقال
غادة ألبسها الحسن ملا * تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظا ومعنى وحلى * قول من أنطقه الحب فقال
هل درى ظبى الحمى أن قد حمى * قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر وخفق مثل ما * لعبت ريح الصبا بالقبس

ثم قال ابن خلدون وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن أحسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سناء الملك المصرى التى اشتهرت شرقا وغربا وأولها

حبيبى ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على كافور * فى جلنار
كالى يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك منعطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فجاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة وأول من أبدع فى هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم تظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورأيت أزجاله مروية ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر الاشبيلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض أصحابه فجلسوا تحت عريش وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء على صفائح من الحجر فقال

وعريش قد قام على دكان * بحال رواق
وأسد قد ابتلع ثعبان * من غلظ ساق
وفتح فمو بحال انسان * به الفواق
وانطلق من ثم على الصفاح * وألقى الصياح

وكان ابن قزمان مع انه قرطبى الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية وينتاب نهرها الى أن قال ابن خلدون وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب فى هذه الطريقة فن

قوله في زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل ● وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض ● وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر ● والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي الينا ● ثم تستحي وترجع

ومن محاسن أزجاله قوله ● لاح الضيا والنجوم حيارى ● ثم قال وظهر بعد هؤلاء في اشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين في فتح ميورقة بالزجل المشهور الذي أوله

من يعاند التوحيد بالسيف يمحق ● انا بري من يعاند الحق

قال أبو سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعمع صاحب الزجل المشهور الذي أوله

ياليتني ان ريت حبيبي ● اقبل اذنو بالرسيلا
لش اخذ عنق الغزيل ● وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملا لي نجدد ● ما خلق المال الا ان يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم

بين طلوع وبين نزول ● اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن ● وبقي من لم يزل

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعد عنك يا ابني أعظم مصائبي ● وحين حصل لي قربك سيبت قاربي

انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون وقد أطال رحمه الله تعالى في هذا المقصد ولم أرد ايراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلق الغرض به وفيما ذكرته منه كفاية لتعلقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى وشهادته له انه شاعر الاسلام غير مدافع وانه انتهت اليه رياسة الصناعة الزجلية والتوشيحية وأبو بكر بن باجة الذي أشار اليه ابن خلدون هو أبو بكر ابن الصائغ التجيبي السرقسطي الذي قال في حقه لسان الدين في الاحاطة انه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب القلائد معاداة فلذلك هجاه في القلائد وجعل آخر ترجمة بها اذ قال ما نصه الاديب أبو بكر بن الصائغ هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ما تطهر من جنابه ولا أظهر مخيلة انابه ولا استنجى من حدث ولا أشعر فؤاده بتوار في جدث ولا أقر بباريه ومصوره ولا اتر بباريه في ميدان تهوره الاساءة اليه أجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان تعلق في تلك التعاليم وفكر في أجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وانكر أن تكون منه الى الله تعالى فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهي والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد أن الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فماله فيه رسم ونسي الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم وأمت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق الموسيق وهام بحادى القطار وسق فهو يعكف على سماع التلاحين ويثب عليه كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ فادنا الى الله تعالى في أسلس مقاد مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوهها الله تعالى وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد دنسها وقد لا يعمر الا كنفه ولد لا يقيم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجاده وشارف الاحسان أو كاده فمن ذلك ما قاله في عبد حبشى كان يهواه فاشتمل عليه اسر سبى الى حشاه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال

باشائق حيث لا استطيع ادركه * ولا اقول غدا أغدو فالقاه
أما النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فاولاه كاخراه
اغتر نفسى بآمال مزورة * منها اللقاء ولك والايام تاباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته

ألا يا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت نشا أولا نشاء
هل انت مطارحى شجوى فتدرى * وادرى كيف يحتمل القضاء
يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وله في الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تعالى تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبات الاوان ونظمت على كل شتيت من الاحسان فمن ذلك قوله

توضح في الدجى طرف ضرير * سنى باوى الصريعة يستطير
فبابى ولم ابذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لا تقل هو ثغر سلمى * فتمام انه حبوب وزور
فكيف وما اطل الليل منه * ولا عبقت بساحته العبير
تراءى بالسدير فزاد قلبى * من البرحاء ما شاء السدير
فلولا أن يوم الحشر يقضى * على بحكم مولى لا يجور
دعوت على المشعر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور

ومنها

لقد وسع الزمان عليه عدوى * وضر بشبله الليث الهصور
وقلب الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور
سوى ذكر اطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير

قوله في زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض * وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي الينا * ثم تستحي وترجع

ومن محاسن ازجاله قوله * لاح الضيا والنجوم حيارى * ثم قال وظهر بعد هؤلاء في اشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين في فتح ميورقة بالزجل المشهور الذي أوله

من يعاند التوحيد بالسيف يمحق * انا بري ممن يعاند الحق

قال أبو سعيد لقيته ولقيت تلميذه اليعيع صاحب الزجل المشهور الذي أوله

ياليتني ان ريت حبيبي * اقبل اذنو بالرسيلا
لش اخذ عنق الغزيل * وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملالي تجدد * ما خلق المال الا أن يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم

بين طلوع وبين نزول * اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن * وبقي من لم يزول

ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعد عنك يا ابني أعظم مصائبي * وحين حصل لي قربك سيت قاربي

انتهى المقصود جلبه من كلام ابن خلدون وقد أطال رحمه الله تعالى في هذا المقصد ولم أرد ايراد جميع كلامه لطوله وعدم تعلق الغرض به وفيما ذكرته منه كفاية لتعلقه بأمر لسان الدين رحمه الله تعالى وشهادته له انه شاعر الاسلام غير مدافع وانه انتهت اليه رياسة الصناعة الزجلية والموشحية وأبو بكر بن باجة الذي أشار اليه ابن خلدون هو أبو بكر ابن الصائغ التجيبي السرقسطي الذي قال في حقه لسان الدين في الاحاطة انه آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس وكان بينه وبين الفتح ابن خاقان صاحب القلائد معاداة فلذلك هجاه في القلائد وجعله آخر ترجمة فيها اذ قال ما نصه الاديب أبو بكر بن الصائغ هو رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ما تطهر من جنابه ولا أظهر مخيلة انابه ولا استنجى من حدث ولا أشعر فؤاده بتوار في جدث ولا أقر بباريه ومصوره ولا اغتر بباريه في ميدان تهوره الاساءة اليه أجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر في تلك التعاليم وفكر في أجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه وأراد ابطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا من

ولا من خافه واقتصر على الهيئة وانكر أن تكون منه الى الله تعالى فيئة وحكم للكواكب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النهى والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو يعتقد أن الزمان دور وان الانسان نبات أو نور حمامه تمامه واختطافه قطافه قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم وانثنت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق الموسيق وهام بجادى القطار وسيق فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف عليه كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ قادنا الى الله تعالى فى أسلس مقاد مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم وصورة شوهها الله تعالى وقبحها وطلعة اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها وحضارة يحكى الحدّاد دنسها وقد لا يعمر الا كنفه ولد لا يقيم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه بعض اجاده وشارف الاحسان أو كاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه فاستقل عليه اسره حتى الى حشاه ونقل الى حيث لم يعلم مثواه فقال

يا شائق حيث لا استطيع ادركه * ولا اقول غدا أغدو فالقاه

أمّا النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فاولاه كاخراه

اغر نفسى بآمال مزورة * منها التلاقى والايام تاباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته

ألا يا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت تشا أو لا تشاء

هل انت مطارحى شجوى فتدرى * وادرى كيف يحتمل القضاء

يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فمتى اللقاء

وله فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تعالى تربته وآنس غربته مدائح انتظمت بلبات الاوان وتطمت على كل شئ من الاحسان فمن ذلك قوله

يوضح فى الدجى طرف ضرير * سنى باوى الصريمة يستطير

فيا بابى ولم ابذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير

بريق لا تقل هو ثغر سلمى * فتأثم انه حوب وزور

فكيف وما اطل الليل منه * ولا عبقت بساحته الخمور

تراءى بالسدير فؤاد قلبى * من البرحاء ما شاء السدير

فلولا أن يوم الحشر يقضى * على بحكم مولى لا يجور

دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور

ومنها

لقد وسع الزمان عليه عدوى * وضرّبت بها الليث الهصور

وقل بن الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور

سوى ذكر اطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير

همام جود يصف السوارى * وسطوته يغيرها الجير
وتلاعن سكينة وراحتاه * بحور يلتقى فيها سرور
فهل فيما سمعت به نسام * يكون الخصم فيه هو العزيز

وكان الامير أبو بكر يعتقد هذه المقالة ويراها ويجود ابدا اثراها فلما ولى الثغر والشرق لم يغفله من رعى ولم يكله الى شفاعة وسعى وحمله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما كان يقتضيه خلق الوقت من اقامة الوعد وتسويغه كل نعيم رغد وتغليب حجة داحضه وانهاض عثرة غير ناهضه فتقلد وزارته ودولته تزهى منه بادى من الوسمى المبتكر واهدى من النجم فى الليل المعتكر والوية تميس زهوا ميس الذباه ورعية تبتهج علك ابتهاج حى بابن الوماه ومذاهبه يسحاها النصل وينشرها وكتائبه لا يكاد العدو يبشرها فجاش اليه وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ما شاء من مقابحته واسمعهم ما بهم بين ختمه ومفاتحته فوغرت صدورهم السليمه واعتلت صحة ضمائرهم بتلك سهام الاليمه ولم يزل يأخذ فى الاضرار بهم ولم يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر السباب والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجردها من حماتها فاستحل العدو بذلك واستشرى وزار منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى النمر قد ثار قتامه وبدا من ليلها اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل وأقام بلنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ويجرم سعدها كل يوم غائره والعدو يتربص بها الدوائر ويروم منازلتها ثم يدع الاقتحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاوله وأثناء تلك المطاوله عاجل الامير أبا بكر حمامه واستشعر فيها اغمامه وأجنه الثرى وحاز منه بدر دجنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأظلت عليها بفقده سوادث أحدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه ضجيعا

أيها الملك قد لعمرى نعى السعيد يوم النساء قن فصنا
كم تقارعت والخطوب الى أن * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير أنى اذا ذكرتك والدهر أحال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقيل الحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا ما يغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من اربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب فهذا مما أطال به كمد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه

فيا ركب المنون ألا رسول * يبلغ روحها ارج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت فرص المسلمين فرقا منهم فى يد الاستسلام ارتاب بقبح افعاله وبرئ من احتذائه تلك الآراء وانتعاله واشتد ذنبه ونبا عن مضجع الامن جنبه فكر الى الغرب ليتوارى فى نواحيه ولا يتراءى لعين لائمه ولاحيه

ولما وصل شاطبة حضرة الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد بها حساده وهم وعامة ... مدار عليه منهم فاعتقله اعتقالا أشفى الدين من آلامه وشهد له بعقيدة إسلامه وفي ذلك يقول وهو معتقل ويصرح بحسد الحاسد وغرض المستأسد

خفض عليك فما الزمان وريبه * شيء يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفسك لم تدع لحلولها * حيث احتللت بها وأنت عليم
يا صاحبي لفظا ومعنى حلته * من قبله حتى بنى تقسيم
دع عنك من معنى الإخاء بقية * واسند بذاك العتب وهو ذميم
واسمع وطارح بالحديث فإنه * ليسلي كأحداث الزمان همو يهيم
حدثي على آثار الزمان فقدمي * نوش على أبنائه ونعيم
حتى أرى ذاك النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو سقيم
هيهات ساوت بينهم أجداثهم * وتشابه المحسود والمحروم

ولما تخلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا احتال في اختفاء ماله واستيفاء آماله وأظهر الوفاء للأمير أبي بكر بالرثاء له والتأبين وتداهى في ذلك وأصبح مستبين فانه وصل بهذه النزعة من الحماية إلى حرم وحصل في ذمة ذلك الكرم واشتمل بالرعي وأمن من كل سعي فاقتنى قيانا ولقنهن أعاريض من القريض وركب عليها ألحانا أشجى من النوح وألطف من الإشادة الإعلان باللوعة والبوح فسلك بها أبدع مسلك وأطلعها نيرات ما لها غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله

إن غرابا جرى ببينهم * جاوبه بالثنية الصرد
طاروا فها أنت بعدهم جسد * وفارق الروح ذلك الجسد
واستكثروا صحبة بينهم * أليس لله ذنب ما اعتمدوا

وكقوله

سلام وإلمام ووسمي مزنة * على الجدث النائي الذي لا أزوره
أحقا أبو بكر تقضى فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت أقطاره وقصوره

وممن اعتقله ووزارته أنه في مدة وزارته عند ابن الأمير أبي بكر رحمه الله تعالى وبين عماد الدولة بن هود رحمه الله تعالى بعد سعايات عليه أسلفها ودخائل كانت له على يديه أسلفها فوافاه أوغر ما كان عليه صدرا وأصغر ما كان لديه قدرا فآل به ذلك الانتقال إلى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلة شوهاء وتغازله الأوهام بفطرته الورهاء وفي ذلك يقول

لعلك يا يزيد علمت حالي * فتعلم أي خطب قد لقيت
وإني إن بقيت بمثل ما بي * فمن عجب الليالي أن بقيت
يقول الشامتون شقى ابن * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الأمان من الليالي * وما لهم بها الزمن المقيت

وما يدرون انهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

وعزم عماد الدولة يوما على قتله والزم الرقيب به التحيل على ختله فنبه الامير الوعر وارتقى به في لجج البأس الذعر فقال

اقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى

قرى تحمدى بعض الذى تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

ثم قضى له قدر قضى باعتقاله وما اعفى من اباحته ما كان رهين اعتقاله وتجهل الساجر حكمة من الله تعالى وعلما واغفالا لهم ليزدادوا اثما انتهى نص القلائد واين هذا من تحليته له في بعض كتبه بقوله فيه ماصورته نور فهم ساطع وبرهان علم لكل حجة قاطع تتوجت بعصره الاعصار وتأرجت من طيب ذكره الامصار وقام وزن المعارف واعتدل ومال للافهام فتناولته ذل وعطل بالبرهان التقليد وحقق الاختراع والتوليد اذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق وان طما بحر خاطره فهو لكل شئ مغرق مع نزاهة النفس وصونها وبعد الفساد من كونها والتحقيق الذى هو للايمان شقيق والجد الذى يخلق العمر وهو مستجد وله ادب يود عطارد أن يلحقه ومذهب يتمنى المشترى أن يرمقه ونظم تعشقه اللبات والنحور نفاسة جوهرها الجوهر وقد أثبت منه مالم يرى الاعين الكحل أن يكون اغمدا ومن ما من النفوس حزنها وكمدها فمن ذلك قوله يتغزل

اسكان نعمان الاراك تيقنوا * بأنكم في ربع قلبي سكان

ودوموا على حفظ الوداد فطالما * بلينا باقوام اذا استحفظوا خانوا

سلوا الليل عنى اذ تناءت دياركم * هل اكتحلت لى فيه بالنوم أجفان

وهل جردت أسياف برق سمائكم * فكانت لها الا جفونى أجفان

وله

أتأذن لى آتى العقيق اليمانيا * أسائله مالمعالى ومالنا

وهل دارهم بالمأزمين فقرأ ماتى * تركت الهوى بين فضل وماميا

فيامكرع الوادى أمانيك شربة * لقد سال فيك الماء أزرق صافيا

ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة * وقد فاء فيك الظل أخضر ضافيا

وأورده في المطمح انه استأذنه فى المتعين باقه وبعده تحيرا فقال

من مبلغ عنى امام نشا * ذا عزة وسما سنا اندرا

قول امرئ لونا له قاصفا * أتيت فيه ورقا أخضرا

عبد لنا بالباب له خلة * لوانها بالروض اخضرا انتهى

وحكى غير واحد انه مات له سكن كان يهواه فبات مع بعض اصحابه عند تربته ومنوله وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل فزوّق نصبه حتى فى خطاب القمر أبقتم ما دلتم ما حتى اذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تنفس المنبجى والعين يسرق الشرق ويربى وهما

شقيقك غيب في لحده * وتشرق يا بدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسوف * حدادا لبست على فقده

فكسف القمر في الحال وعدت هذه من نوادره التي جيد الاخبار بفرائدها حال سامحه الله تعالى ثم رأيت في الاحاطة نسبة ذلك لغيره ونصه محمد بن أحمد بن الحداد الوادي آشي يكنى أبا عبد الله (حاله) شاعر مفلق وأديب شهير مشار اليه في التعاليم منقطع القرين منها في الموسيقى مضطلع بملك المعمى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح وقال ابن بسام كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيره وبحر خبره وسيره وديوان تعاليم مشهوره وضح في طريق المعارف وصوح الصبح المتلالي وضرب فيها بقداح ابن مقبل الى جلالة مقطع وأصالة منزع ترى العلم ينم على أشعاره ويبين في منازعه وآثاره (تآليفه) ديوان شعره كبير معروف وله في العروض تصنيف مشهور مزج فيه بين الالحان والموسيقيه والآراء الخليليه (بعض أخباره) حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه أنه فقد سكا عزيزا عليه واستوجبت الحاجة الى تكلف سلوه فلما حضر الندماء وكان قد رصد الخسوف القمري فلما تحقق أنه ابتدأ أخذ العود وغنى شقيقك غيب الى آخره وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا وقد اعترضه الخسوف وعظم من الحاضرين التعجب ثم قال لسان الدين في ترجمة شعره وقال

اقبلن في الحبرات يقصرن الخطا * ويرين في حلل الوراشي القطا
سرب الجوى لا الجو عوّد حسنه * أن يرتعي حب القلوب ويلقطا
مالت معاطفهن من سكر الصبا * ميلا يخيف قدودها أن تسقطا
وعسقط العلمي أرضع معلم * لهفهف سكن الحشى والمسقطا
ما أخجل البدر المنير اذا مشي * يختال والغصن النضير اذا خطا

ومنها في المدح

يا وافدي شرق البلاد وغربها * اكرمتما خيل الوفادة فاربطا
ورأيتما ملك البرية فاهبطا * ووردتما أرض المرية فاخططا
يدمي نحور الدارعين اذا ارتأى * ويذل عز العالمين اذا سطا

انتهى المقصود منه وأورد له في الاحاطة قصيدة تائية أولها

حديثك ما أحلى فزيدي وحدثي * وهي طويلة وكتب عليها ابن المؤلف ما صورته نقلتها من خط شيخي أبي جعفر بن خاتمة بالمرية في سنة خمس وستين وسبعمائة قاله علي بن الخطيب انتهى (رجع) الى أخبار ابن الصائغ ومن نظمه قوله

ضربوا القباب على اقاحي روضة * خطر النسيم بها ففاح عبيرا
وتركت قلبي سار بين حمولهم * دامي الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت أسيرهم هل عندهم * عان يفك ولو سألت عبورا
لا والذي جعل الغصون معاطفا * لهم وصاغ الاقحوان ثغورا
ما مر بي ريح الصبا من بعدهم * الا شهقت له فعاد سعيرا

وتوفى ابن الصائغ فى شهر رمضان سنة ٥٢٣ وقيل سنة خمس وعشرين مسموما فى باذنجان بمدينة فاس وهو تجيبى بضم التاء وفتحها وباجه بالباء الموحدة وبعد الالف جيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى الفضة بلغة الفرنج وسرقسطة بفتح السين والراء وضم القاف وسكون السين الثانية وبعدها طاء مهملة مدينة كبيرة بالاندلس استولى عليها العدو سنة ٥١٢ وقال الامير ركن الدين بيبرس فى تأليفه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ان ابن الصائغ كان عالما فاضلا له تصانيف فى الرياضات والمنطق وانه وزر لابى بكر الصحراوى صاحب سرقسطة ووزر أيضا ليحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادوه فقتلوه مسموما انتهى وأنشد له بعضهم

هم رحلوا يوم الخميس عشية • فودعتهم لما استقلوا وودعوا
ولما تولوا ولت النفس معهم • فقلت ارجعى قالت الى أين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم • وما هو الا أعظم تتقعقع
وعينين قد أعماهما كثرة البكا • وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وقد قال بعضهم فى تعزيتى الحريرى انه لابن الصائغ الاندلسى وليس هو به فيما أعلم

انقد مهرى ازره فاتنى • مهما عذولى فى الذى انقدمه
مندمة قتل المعنى فلا • ترسل سهام اللحظ تأمن دمه

(رجع) الى ابن باجه وقد ذكر لسان الدين فى الاحاطة سبب العداوة بينه وبين الفتح فى ترجمة الفتح ولنذكرها بنصه فنقول قال رحمه الله تعالى الفتح بن محمد بن عبيد الله الكاتب من قرية تعرف بقلعة الواد من قرى يحصب يكنى أبا نصر ويعرف بابن خاقان (حاله) كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شأوه عذب الالفاظ ناصعها أصيل المعانى وثيقها لعوبا بأطراف الكلام معجزا فى باب الحلى والصفات الا انه كان مجازفا مقدورا عليه لا يمل من المعاقرة والقصف حتى هان قدره وابتذلت نفسه وساء ذكره ولم يدع بلدا من بلاد الاندلس الا دخله مسترفدا أميره واغلا فى غايته قال الاستاذ فى الصلة وكان معاصرا للكاتب أبى عبد الله بن أبى الخصال الا ان بطالته أخلت به عن مرتبته وقال ابن عبد الملك قصد يوما الى مجلس قضاء أبى الفضل عياض مخمورا فتنسم بعض حاضرى المجلس رائحة الخمر فأعلم القاضى بذلك فاستثبت وحده حدا تاما وبعث اليه بعد أن أقام عليه الحد بثمانية دنانير وعمامة فقال الفتح حينئذ لبعض من أصحابه عزمت على اسقاط القاضى أبى الفضل من كتابى المرسوم بقلائد العقيان قال فقلت لا تفعل وهى نصيحة فقال وكيف ذلك فقلت له قصتك معه من الجائز أن تنسى وأنت تريد أن تتركها مؤرخة اذ كل من يطالع كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه فى العلم والصيت فيسأل عن ذلك فيقال له فيتوارث العلم عن الاكابر الاصاغر قال فتبين ذلك وعلم صحته وأثبته وحدثنى بعض الشيوخ أن سبب حقده على ابن باجه أبى بكر آخر فلاسفة الاسلام بجزيرة الاندلس ما كان من ازرائه به فى تكذيبه اياه فى مجالس اقرائه اذ جعل يكثر ذكر ما يصله به

أمراء الاندلس ووصف حليا وكان يبدو من أنفه فضلة خضراء اللون فقال له فمن تلك الجواهر اذن الزمردة التي على شاربك فشانه في كتابه بما هو معروف وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده غفر الله تعالى له (مشيخته) روى عن أبوى بكر بن سليمان بن القصيرة وابن عيسى ابن اللبانة وأبي جعفر بن سعدون الكاتب وأبي الحسن بن سراج وأبي خالد بن بشتغير وأبي الطيب بن زرقون وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب وأبي عبد الرحمن بن طاهر وأبي عامر ابن سرور وأبي محمد بن عبدون وأبي الوليد بن حجاج وابن دريد الكاتب (تواليفه) ومصنفاته شهيرة منها قلائد العقيان ومطمح الانفس والمطمح أيضا وترسيله مدون وشعره وسط وكتابته فائقة (شعره) من شعره قوله وثبت في قلائده يخاطب أبا يحيى بن الحاج

أكعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر

هنيئا لملك زار أفقك نوره * وفي صفحتيه من مضائك أسطر

وانى لخفاق الجناحين كلما * سرى لك ذكر أو نسيم معطر

وقد كان واش هاجنا لتهاجر * فبت وأحشائي جوى تتفطر

فهل لك في ود ذوى لك ظاهرا * وباطنه يندى صفاء ويقطر

ولست بعلق بيع بخسا وانني * لارفع أعلاق الزمان وأخطر

ثم رجع عنه بما ثبت أيضا في قلائده مما أوله

ثنيت أبا نصر عناني وربما * ثنت عزمة السهم المصمم أسطر

(نثره) ونثره شهير وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهير اكتتبه عن بعض الامراء لصاحب الشرطة ولا خفاء بادلاله وبراعته وهو هذا كتاب تأكيد اعتناء وتقليد ذي منة وغناء أمر بانفاذه فلان أيده الله تعالى لفلان بن فلان صانه الله تعالى ليتقدم لولاية المدينة الفلانية وجهاتها ويصوح ما تكاثف من العدوان في جنباتها تنويها لاحظاه بعلائه وكساه رائق ملائه لما علمه من سنائه وتوسمه من غنائه ورجاه من حسن منابه وتحققه من طهارة ساحته وجنابه وتيقن أيده الله تعالى انه مستحق لما ولاه مستقل بما تولاه لا يعتريه الكسل ولا تثنيه عن المضاء الصوارم والاسل ولم يكل الامر منه الى وكل ولا ناطه بمناط عجز ولا فشل وأمره أن يراقب الله تعالى في أوامره ونواهيه وليعلم انه زاجره عن الجور وناهيه وسائله عما حكم به وقضاه وأنفذه وأمضاه يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله فليتقدم الى ذلك بعزم لا يخمد توقده وعزم لا ينفد تفقده ونفس مع الخير ذاهبه وعلى متن البر والتقوى راكبه ويقدم للاحتراس من عرف اجتهاده وعلم ارقه في البحث وسهاده وحمدت أعماله وأمن تفريطه واهماله ويضم اليهم من يحذو حذوهم ويقفو شأوهم ممن لا يستراب بمناحيه ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه وأن يذكي العيون على الجناة وينفي عنهم لذيذ السنات ويفحص عن مكامنهم حتى يغص بالريق نفس آمنهم فلا يستقر بهم موضع ولا يفتر منهم خبب ولا موضع فاذا ظفر منهم بمن ظفر بحث عن باطنه وبث السؤال في مواضع تصرفه ومواطنه فان لاحت شبهة ابداها الكشف والاستبراء وتعداها البغي والافتراء

نكالا بالعقوبة أشد نكال وأوضح له منهاما كان ذا اشكال بعد أن يبلغ اناه ويقف في طرفه مداه وحقه أن لا يكشف بشرة الا في حد يتعين وان جاء فاسق أن يتبين وأن لا يطمع في صاحب مال موفور وأن لا يسمع من مكشوف في مستور وأن يلقى الذنب المجرد وينزه عقوبته من الافراط وعفوه من تعطيل الحدود واذا اشتبهت المعضلة مشكلة أخرها الى غده فهو في العقاب أقدر منه على رده فقد يتبين في وقت ما لا يتبين في وقت والمعاجلة بالعقوبة من المقت وأن يتغمد هفوات ذوي الهيآت وان يستشعر الاشفاق ويخلع التكبر فانه من ملابس أهل النفاق وليحسن لعباد الله تعالى اعتقاده ولا يرفض زمام العدل ولا مقاده وأن يعاقب الجرم قدر زلته ولا يعتر عند ذلته وليعلم أن الشيطان أغواه وزين له مثواه فيشفق من عثاره وسوء آثاره وليشكر الله تعالى على ما وهبه من العافيه وألبسه من ملابسها الضافيه ويذكره بـ وعلا في جميع أحواله ويفكر في المحشر وأهواله ويتذكر وعدا يجزيه ووعيدا يوم تجد كل نفس الى بعيدا والامير أيده الله تعالى ولي له ما عدل وأقسط وبريء منه ان جار وقسط فمن قرأه فليقف عند حده ورسمه وليعرف له حق قطع الشر وحسمه ومن وافقه من شريف أو مشروف وخالفه في نهي عن منكر أو أمر بمعروف فقد تعرض من العقاب لما يذيقه وبال خبله ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وكتب في كذا (وفاته) بمراكش ليلة الاحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة أتى قيلا بيت من بيوت فندق اسد فنادقها وقد ذبح وعبث به وما شعر به الا بعد ثلاث ليال من قتله انتهى نص الاحاطة

وقال في المغرب ما ملخصه فخر أدباء اشبيلية بل الاندلس أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الاشبيلي صاحب القلائد والمطمح ذكره الحجاري في المسهب الدهر من رواة قلائده وحملة درائده طلع من الافق الاشبيلي شمسا طبق الآفاق ضياؤها وعم الشرق والغرب سناها وسناؤها وكان في الادب أرفع الاعلام وحسنة الايام وله كتاب قلائد العقيان ومن وقف عليه لا يحتاج في التنبيه على قدره الى زيادة بيان وهو وأبو الحسن بن بسام الشنتريني مؤلف الذخيرة فارسا هذا الاوان وكلاهما كاتب وحسبان والتفضيل بينهما عسير الا أن ابن بسام أكثر تقييدا وعلما مفيدا واطنابا في الاخبار وامتاعا للاسماع والابصار والفتح أقدر على البلاغة من غير تكلف وكلامه أكثر تعلقا بالانفس ولولا ما اتسم به مما عرف من أجله بابن خاقان لكان أحد كتاب الحضرة المرابطية بل مجليها المستولي على الرهان وانما أخل به ما ذكرناه مع كونه اشتهر بذم أولي الاحساب والقربين بالطعن على الادباء والكتاب وقد رماه الله تعالى بما رمى به امام علماء الاندلس أبا بكر بن باجه فوجد في فندق بحضرة مراكش قد ذبحه عبد أسود خلا معه بما اشتهر عنه وتركه مقتولا وفي دبره وتد والله سبحانه يتغمده برحمته ومن شعره قوله من أبيات في المدح

الى أين ترقى قد علوت على البدر • وقد نلت غايات السيادة والقدر

وجدت الى أن ليس يذكر حاتم • وأغنيت أهل الجدب عن سبل القطر

وكم رام أهل اللوم بالاوم وقفة * وبحـــــرك مدّ لايؤول الى جزر
ولولم يكن فيك السماح جبلة * لاثرذاك اللوم فيك مع الدهر

وذكره ابن الامام فى سمط الجمان وأنشد له

لله نظمى من جنابك زارنى * يختال زهوا فى ملاء مراح
ولى القاسك فى هواه كانه * مروان خاف كتائب السفاح
خلعت صبرى بالعرا ونبذته * وركبت وجدى فى عنان جماح
أهدى لى الورد المضعف خده * فقطفته باللحظ دون جناح
واردت صبرا عن هواه فلم أطق * واريت جدا فى خلال مزاح
وتركت قلبى للصبابة طائرا * تهفو به الاشواق دون جناح

وذكره ابن دحية فى المطرب ونعته بابن خاقان قال والشيخ أبو الحجاج البياسى ينكر هذا وقيل انما قيل له ابن خاقان لما تقدم ذكره فى كلام الحجارى وقال ابن دحية انه قتل ذبحا بمسكنه فى فندق بيت من حضرة مراكش صدر سنة تسع وعشرين وخمسمائة أشار بقتله على بن يوسف بن تاشفين وقال أبو الحسن بن سعيد رأيت فضلاء الاندلس ينتقدون على الفتح أول افتتاحه فى خطبة قلائده الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أجنتنا لكون ما تضمنته الفقرة الاولى أصوب مما تضمنته الفقرة الثانية والصواب ضد ذلك انتهى وقال ابن الابار فى معجم أصحاب الصدفى انه لم يكن مرضيا وحذفه أولى من اثباته انتهى ولذا لم يذكره فى التكملة وقال ابن خاتمة انه لم يعرف من المعارف بغير الكتابة والشعر والآداب انتهى وما حكاه فى الاحاطة من تاريخ وفاته مخالف لما حكاه ابن الابار انه ليلة عيد الفطر من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة قال وقرأت ذلك بخط من يوثق به وحكى ابن خلكان قولا آخر انه توفى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قيل وهو خطأ على انه حكى القول الآخر أيضا ودفن بباب الدباغين رحمه الله تعالى وقد قيل ان قتله كان باشارة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أخى ابراهيم الذى ألف برسمه قلائد العقيان وقد ذكر ابن خلكان أن المطمح ثلاث نسخ صغرى ووسطى وكبرى والذى قاله ابن الخطيب وابن خاتمة وغير واحد من المغاربة انه نسختان فقط صغرى وكبرى ولعله الصواب اذ صاحب البيت أدرى بما فيه ومن تآليف الفتح بداية المحاسن وغاية المحاسن ومجموع فى ترسله وتأليف صغير فى ترجمة ابن السيد البطليوسى نحو الثلاثة كراريس على منهاج القلائد *ومن بديع انشاء الفتح المذكور سامحه الله تعالى قوله أطال الله تعالى بقاء الوزير الاجل عتاد الاسرى وزناد الاورى وأيامه أعياد وللسعد فى زمانه انقياد أما انا أدام الله تعالى عزه فحوى عاتم وأعيادى مآتم وصبحى عشاء ومالى الامن الخطوب انتشاء أبيت بين فؤاد خافق وطرف مسهد فان المحل لمن مزار العود حسبى لا أرى الروض المنور ولا أحس سهيلا اذ الاح ثم تغور وقد بعدت دار الى حبيبه ودنت منى حوادث بادناها تؤذى الشيبه وأى عيش لمن لزم الفلا وزلا يريمها حتى ألفه ريمها قد رمته النوائب فاتقى وارتقت له الجرائح فى وعور المرتقى يواصل النوى ولا يمر سيرا

ولم يزجر في الاراحة طيرا قد هام بالوطن هيام ابي طالب بالحرض والعطن وحن الى تلك البقاع حنينه الى أثلات القاع ولا سبيل أن يشعب صدر بينه شاعب أو تكلمه أحجار الدار وملاعب وليس له الى أين يجنح ولا يرى أمله يسنح قد طوى البلاد وبسطها وتطرف الارض وتوسطها ولم يلف مقيلا ولا وجد مقيلا الى الله أشكو ما ألاقي وأعاني وبيده الاقدام والنواصي والتاؤه مؤعد لكل موعد وكل معمر سيدركه يوما حمام الموعد وانفذته وقد صدرت عن فلانة بعد أهوال لقيتها وأنكال سقيتها وسفر لقيت منه نصبا وكدر أعقبني وصبا والى متى يعترلني السعد ولله الامر من قبل ومن بعد انتهى ✽ وكتب رحمه الله تعالى من رسالة سيدى لاعدمت ارتفاقا ولا حرمت تكيفا من السعد واتفاقا أما الآن مشتغل البال لا أفرق بين الاعراض والاقبال وعند توجهي أفرغ لك ما حضر ومثلك أرجأ الامر وأنظر وفي علم الله تعالى لو أمكني لحملتك على كاهل وأوردتك منه أعذب المناهل وأبحت لك السعد ثمرا تجتنيه وخلعته بردا عليك تلحمه لكن الزمان لا يجد وصروفه لا تنجد وعلى أي حال فلا بد أن تجد قرارك وتحمد سرارك ان شاء الله تعالى ✽ وكتب الى أبي بكر بن علي عند ولايته اشبيلية أطال الله تعالى بقاء الامير الاجل أبي بكر للارض يملكها وبتدبير بسعده فلكها استبشر الملك وحق له الاستبشار وأومأ اليه السعد في ذلك وأشار بما اتفق له من توليتك وخفق عليه من ألويتك فلتدحي منك بالك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يقدم حيث يتأخر النابل ويكرم اذا بخل الوابل ويحمي الحمى كربيعة بن مكدم ويبق الطباع نجيعا كالون العندم فهنيئا للاندلس لقد استردت عهد خلفائها واستمدت تلك الامامة بعد اغفائها حتى كان لم تمر أعصارها ولم يبت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا وكفا عقائل الروم وما بذلا الا للمشرفية مهرا والله تعالى أسأله انتصار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أعجب من عصرهم ونصرك أعز من نصرهم والسلام انتهى ✽ وقال بعضهم من أحسن ما رأيت له قوله معاليك أشهر رسوما وأعطر نسيما من أن يغرب شهاب مسعاها أو يجدب رائد مرعاها فان نبهتك فانما نبهت عمرا وان استنزلتك فانما استنزلت قرا والامير أيده الله تعالى أجل من اعتصم في ملكه وانتظم في سلكه فانه حسام بيد الملك طلاقته فرنده وشهامته حده وقضيب في دوحة الشرف رطيب بشره زهره وبره ثمره وقد نوسمت نارك لعلي أتوز منها بقبس أو تكون كنار موسى بالوادي المقدس وعسى الامل أن تعلو بكم قداحه ويشف من أفقكم صباحه فجزد أيدك الله تعالى صارم عزم لا يفل غروبه وأطلع كوكب سعد لا يخاف غروبه انتهى ✽ ولنذكر بعض كلامه في المطمح لغرابته في هذه البلاد المشرقية بخلاف القلائد فانها موجودة بأيدي الناس فيه قال رحمه الله تعالى في ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي امام اللغة والاعراب وكعبة الآداب أوضح منها كل ابهام وفضح دون الجهل بها على الاوهام وكان أحد ذوي الاعجاز وأسعد أهل الاختصار والايجاز نجم والاندلس في اقبالها والانفس أول تممها بالعلم

واهتبالها

واشتبالها ونفقت لديهم البضاعه واتفقت على تفضيله الجماعه وأشاد الحكم بذكره فأورى بذلك زناد فكره وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثيل ولحن العامة وطبقات النحويين وكتاب الواضح وسواهما من كل تاليف تحجل لمن أتى بعده فاتح وله شعر مصنوع ومطبوع كأنما يتفجر من خاطره ينبوع وقد أثبت له منه مايقتدح ولايطارح فمن ذلك قوله

كيف بالدين القديم * لك من أم تميم
ولقد كان شفاه * من هوى القلب السقيم
يشرق الحسن عليها * فى دجى الليل البهيم

وكتب مراجعا

أغرقتنى فى بحور فكر * فكدت منها أموت لما
كلفتنى غامضا عويصا * أرجم فيه الظنون رجما
مازلت أسبر السجوف عنه * كأننى كاشف لظلما
أقرب من ليله وأنأى * مستبصرا تارة وأعمى
حتى بدا مشرق المحيا * لما اعتلى طالعا وتما
لله من منطق وجيز * قد جل قدرا وجل فهما
أخلصت لله فيه قولا * سلمت لله فيه حكما
اذقلت قول امرئ حكيم * مراقب للاله علما
الله ربى ولى نفسى * فى كل بؤس وكل نعما

وكتب الى أبى مسلم بن فهد وكان كثير التكبر عظيم التجبر متغير السانه مقفرا من المعالم جنانه

أبامسلم ان الفتى بفؤاده * ومقوله لابالمراكب واللبس
وليس رداء المرء يغنى قلامة * اذا كان مقصورا على قصر النفس
وليس يفيد الحلم والعلم والحجا * أبامسلم طول القعود على الكرسى

واستدعاه الحكم المستنصر بالله أميرالمؤمنين فعجل اليه وأسرع فاسرع من آماله ماأمرع فلماطالت نواه واستطالت عليه لوعته وجواه وحن الى مستكنه باشبيلية ومثواه استأذنه فى اللحوق بها فاقومه ولواه فكتب الى من كان بالفه وبهواه

ويحك ياسلم لاتراعى * لابدللبين من مساعى
لاتحسبينى صبرت الا * كصبر ميت على النزاع
ماخلق الله من عذاب * أشد من وقفة الوداع
مابينها والحمام فرق * الا المناحات فى النواعى
ان يفترق شملنا وشيكا * من بعدما كان فى اجتماع
فكل شمل الى افتراق * وكل شعب الى انصداع
وكل قرب الى بعاد * وكل وصل الى انقطاع

وقال سامحه الله تعالى بعد ترجمة السلطان بالمرية المعتصم بن صمادح ما نصه ابنه عز الدولة أبو مروان عبد الله فتى الراح المعاقر لدنانها المهتصر لأغصان النشوة وافنانها المهجر لفلاة الظباء والآرام المشترق بأب الصبابة والغرام نشأ في حجر أبيه نديم لهوه ومديم صبوه وخديم شهوه لا يريم كاسا ولا يروم الا اقتضاء واتكاسا ما شهد قتلا ولا قتالا ولا تقلد صارما الا اختيالا قد أمن منه جنان الجبان وعدت له غصون البان وما زال مرتضعا لاخلاف البطالة مقتطعا ما شاء من اطالة متوغلا في شعاب الفتاك متغلغلا في طريق الانتهاك الى أن وجهه أبوه الى أمير المسلمين سفيرا عندما بدت له وجوه الفتنة تسفر ومعاهد الهدنة تقفر مع أكامل أصحبهم نقصانه وذوي اديان جعلهم خلصانه يسمعون بوادر بذاذته وينظرون منا كر لذاذته فآلت سفرته الى الاعتقال وقصرت خطوته ما بين قيده وقال فجاء كالمهر لا يعرف لجاما وصار حبيس قوم لا يألونه استجاما وحين طالت نعامته وسالت عليه طلامته كتب الى أبيه

ابعد السنا والمعالي خمول * وبعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا * أنا اليوم عبد أسير ذليل
حللت رسولا بغرناطة * فحل بها في خطب جليل
وثقفت اذ جئتها مرسلا * وقبلي كان يعز الرسول
فقدت المرية أكرم بها * فما للوصول اليها سبيل

فراجعه أبوه بقطعة منها

عزيز علي ونوحي دليل * على ما أقاسي ودمعي يسيل
وقطعت البيض أغمادها * وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه * ويوسف أنت فصبر جميل

ولم يزل يتحيل في تخلصه وأخذه من يد متنصه فسرق وحرامه بمكان السالك من البحر وطرق به على ثبج البحر فوافى المرية وقد أخذ البحث عليه آفاق البرية فهنئ المعتصم بخلاصه وبقي مستترا بعراصه الى أن أخلوها ومضوا الطلبة ما نووها فنجا أخوه الى حيث ذكرنا من بلاد الناصر ولجأ هو الى أحد المرابطين لاذمة كانت بينهما وأواصر وأقام معه يعبر لهوه وأمير سهوه الى أن انقرض أمده وطواه سروره لا كمده فلم يرا لا نائما لعذاره طالعا في ثنيات اغتراره غير مكترث باتضاعه ولا منحرف عن ارتشاف الغي وارتضاعه وبدا منه في هذه الحال ندى كاثر به السحاب وظاهر بسببه الصحاب وتخدم الاوطار وتقدم لذوي الرتب فيها والاخطار حسنا من ذكره وأولع الالسن بشكره فارتفع عنه الكدح وشفع له في الذم ذلك المدح وكان نظمه بديع الوصف رفيع الرصف وقد أثبت له ما يشهد باجادته واحسانه شهادة الروض بجود نيسانه أخبرني ابن القطان انه سار الامير يحيى بن أبي بكر الى طليطلة في جيوش فاضت سيلا وخاضت المطايا قتامها ليلا وكان ملكا لم يعقد على مثله لواء ولم يحتو على شبهه سواء جمال محيا وكمال عليا وحسن شيم وبعد همم أغنى العناة وأحيى الرفاة والنبي

الاجواد وأنسى كعب بن مامة وابن أبي دواد فلما اشارف طلعتها وكشفها واشتف بلالتها وارتشفها وضرب بكنفها مضاربه واجال بساحتها زنجه واعاربه سقط أحد الويته عن يد حامله وانكسر عند عامله فطائفة تفاءلت وطائفة تطيرت وفرقة ابتهجت وأخرى تغيرت فقال

لم ينكسر عود اللواء لطيرة * يخشى عليك لها وان تتأولا
لكن تحقق انه سيدق في * نحر العدا ولدى الوغى فتعجلا

وأخبرني أخوه رفيع الدولة أن ابن اللبانة كتب اليه والخلع قد نضا لبوسه وقصر بؤسه وكدر صفاءه وعذر وفاءه وطوى ميدان جوده واذوى أفنان وجوده قوله

يا ذا الذى هز أمداحى بحليته * وعز أن يهتز المجد والكرما
واديك لازرع فيه اليوم تبذله * فخذ عليه لايام المنى سلما

فدعته دواعى الندى وأولعته بالجدا في ذلك المدى فحيل في برطبعه وكتب معه

الجد يخجل من تقديك في زمن * شاه عن واجب البر الذى علما
فدونك النزر من مصف مودته * حتى يوفيك ايام المنى سلما

(ابنه الثانى) رفيع الدولة أبو يحيى بن المعتصم من بيت اماره والى السعد طوافه بها واعتماره عمرت انديته ونشرت به رايات العز وألويته الى أن خوى كوكبهم وهوى مرقبهم فتفرقوا أيادى سبا وفرقوا من وقع الاسنة والظبا وغادروا أرضا كارض غسان ووافقوا أياما كيوم أهل اليمامة مع حسان بعدما عامرت النفوس مكارمهم مخامرة الرحيق واتتهم الناس من كل مكان سحيق وانتجعوا انتجاع الانواء واستطعموا في المحل واللاواء وصالوا بالدهر وسطوا وبين النهى والامر فيه خطوا ورفيع الدولة هذا فجر ذلك الصباح وضوء ذلك المصباح وغصن تلك الدوحه وعرف تلك النفحه لم يتهن والدهر قد نبذه ولا ترك الانتصار والامر قد خذله فالتحف بالصون وارتدى وراح على الانقباض واغتدى فما تلقاه الا سالكاجددا ولا تراه الا لابسا بردا وله أدب كالروض المجود اذا ازهر ونظم كزهر التهائم والنجود بل كالصبح اذا اسفر واشتهر أرقفه على النسيب وصرفه الى المحبوبة والحبيب فمن ذلك قوله

مالى وللبدر لم يسمح بزورته * لعله ترك الاجمال أو هجرا
ان كان ذا الذنب ما شعرت به * فأكرم الناس من يعفو اذا قدرا

وله أيضا

يا عابد الرحمن كم ليلة * أرقتنى وجدا ولم تشعر
اذ كنت كالغصن ثنته الصبا * وغصن ذا الخلق لم يشعر

وله أيضا

وأهيف لايلوى على عتب عاتب * ويقضى علينا بالظنون الكواذب
يحكم فينا أمره فنطيعه * وتحسب منه الحكم ضربة لازب

وله أيضا رحمه الله تعالى

وعلقته حلو الشمائل ماجنا • نفث الكلام مرنح الاعطاف
مازلت انصفه واوجب حقه • لكنه يأبى من الانصاف

وله أيضا

حبيب نأى عن العين شخصه • يكاد فؤادي أن يطير من البين
ويسكن ما بين الضلوع اذا بدا • كأن على قلبي تمائم من عين

وله أيضا

انذني أبا عمرو وان كان جانيا • على ذنوبا لا تعد بالعتب
فما كان ذاك الود الا كبارق • أضاء لعيني ثم اظلم للقلب

وله وقد بلغه مرتي وتحقق عنده نوفي

مثني الوزارة قد اودى فما فعلت • تلك المحابر والاقلام والطرس
ما كنت احسب يوما قبل ميتته • ان البلاغة والآداب تختلس

واستأذن ليلة على أحد الامراء وأنا عنده في أسنى موضع وأبهى مطلع وجوانب مجلسه بين يدي محتله وسحائب رغده على منهله وكان أجل من مقل واكمل من من المهد الى سرير الملك قد نقل وكتب اليه يهنيه بقدوم من سفر

قدمت أبا بكر على حال وحشة • فقامت بك الآمال وانصل الانس
وقرت بك العينان واتصل المنى • وفازت على يأس بغيتها النفس
فاهلا وسهلا بالوزارة كلها • ومن رأيه في كل مظلمة شمس انتهى

(وقال في المطمح في ترجمة الوزير أبي الوليد بن حزم) واحد دونه الجمع وهو للجلالة بصر وسمع روضة علاء رائقة السنا ودوحة بهاء طيبة الجنى لم يترب بغير الصون ولم ينشر بساد بعد الكون مع نفس برئت من الكبر وخلصت خلوص التبر وعفاف التحف به بردا وما ارتشف به ثغرا وردا فعفت مواطنه وما استرابت ظواهره ولا بواطنه وأما شعره ففي قالب الاحسان أفرغ وعلى وجه الاستحسان يأتي ويبلغ وكتب اليه ابن زهر

أأبا الوليد وأنت سيد مذحج • هلا فككت اسير قبضة وعده
وحياة من امد الحياة بوصله • وذهابها حتما بيسر صده
لا قاتلنك ان قطعت بمرهف • من جفنه وبصعدة من قده

فراجعه أبو الوليد

لبيك يا اسد البرية كلها • من صادق عبث المطال بوعده
يغني بأمرك ما رأوسد الفضا • ويذل حد النائبات بحده
ايه وواعدت الصبا في معرض • ذهب المشيب بهزله وبجده

(وقال في المطمح في ترجمة أبي بكر الغساني ما صورته) صليب العود مهيب الوعود لو دعى له الاسد الورد لاجاب ولو رمى بذكره الليل البهيم لانجاب ولو قعدت بين يديه الاطواد لتحركت سكونها ولو عصته الطيور ما آوتها وكونها مع وقار تحلاه بذيلا ونجار ينفح بلبلا وشيم لو كانت بالروض ما ذوى أو تقاسمت في الخلق ما رمد أحد به مدا ما شوى ومحيا تنجلي

عنهما العالماء كان من احبهما عسل وماء انتهى وهذا الغسانى هو صاحب تفسير القرآن وقد عرّف به فى الاحاطة فليراجع ثمة ● وقال أيضا فى المطمح ما صورته (أبو عامر بن عقال) كان له بنى قاسم تعلق وفى سماء ولائهم تألق فلما خوت نجومهم وعفت رسومهم انحط عن ذلك الخصوص وسقط سقوط الطائر المقصوص وتصرّف بين وجود وعدم وتحرّف قاعدا احيانا وحينا على قدم وفى خلال حاله وأثناء انتحاله لم يدع حظه من الحبيب ولا ثنى لحظه عن الغزال الربيب ولم يزل يطير ويقع والدهر يخرق حاله ويرقع الى أن ارقاه الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى أعلى ربوه واراه أيمن حظوه فأدرك عنده رتبة أعلام التحبير والانشا وترك الدهر قاق الحشى وتسنم منزلة لا يتسنمها الا من تطهر من درنه وجمع احسانه فى ميدان مرنه والحظوظ أقسام لا تسام والدنيا انارة واعتام (شعر)

ولولم يعل الاذ وعل ● تعالى الجيش وانحط القتام

وقد أثبت عنه بعض ما انتقيته والذى أخذته مما بين لما أبقيته فى ذلك قوله

يا ويح أجسام الانا ● م فانها تيق من الاذى
خلقت لتقوى بالغذا ● وسقمها ذاك الغذا
وتنال أيام السلا ● مة بالحياة تلذذا
فاذا انقضى زمن الصبا ● ورمى المشيب فانفذا
وجد السقام الى الصفا ● صل والجوانح منفذا
ويقول مهما يعط شيأ نا ولى غيرذا

وحذا فى هذه القصيدة حذو الصابى فى قوله

وجع المفاصل وهو أيسر ما لقيت من الاذى
ردّ الذى استحسنته ● والناس من يلقى كذا
والعمر مثل الكاس ير ● سب فى أواخره القذى

وله يعتذر عن زيارة اعتمدها ومواصلة اعتقدها فعاقته عنها حوادث لونه وعدته عن ذلك وثنته

بينما كنت راجيا للقائه ● والتشفى بالبشر من تلقائه
وترقت من سماء نزاعى ● قمر الانس طالعا من سمائه
اذ دهانى اعتراض خطب ثنانى ● عن تمام يشفى الغليل باثه
فتداهت وازويت حياء ● منه والعذر واضح لسائه

وله فصل كتب به عن الامير ابراهيم يصف اجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه أيده الله تعالى من مرسى جزيرة طريف على بحر ساكن قد ذل بعد استصعابه وسهل بعد أن أرى الشامخ من هضابه وصار حيه ميتا وهدره صمتا وجباله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وضعف تعاطيه وعقد السلم بين موجه وشاطيه فعبر آمنا من لهواته متملكا لصهواته على جواد يقطع

أباد سحا ويكاد يسبق البرق لها لم يحمل لجاما ولا سرجا ولا عهد غير اللبة الخضراء مرجا عنانه في رجله وهدب العين يحكي بعض شكله فقه هو من سواد لم جسم وليس له فؤاد يخرق الهوى ولا يرهبه ويركض الماء ولا يشربه • (وقال في ترجمة الفقيه أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني ما نصه) من ثنية شرف وحسب ومن أهل حديث وأدب امام في اللغة متقدم فارع لرتب الشعر متسنم له رواية بالاندلس ورحلة الى المشرق ثم عاد وقد تو ج بالمعارف المفرق وأقام بقرطبة علما من أعلامها ومتسنما لترفعها وأوامها تؤثره الدول وتصطفيه أملاكها الاول مازال فيها مقيما ولا يبرح عن طريق اماثيها مستقيما الى أن اغتيل في احدى الليالي بقضية يطول شرحها فأصبح مقتولا في فراشه مذهولا كل أحد من ايساط الضرب اليه على انكماشه وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع وتصغي اليه المسامع فمن ذلك قوله

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم • على ما به منهم حنين الاباعر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا • الا ان قلبي سائر غير صابر

ولما رجع الى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وماله عندهم من الاثرة قال

اني اذا حضرتني ألف محبرة • يكتبن حدثني طورا وأخبرني
نادت بفخري الاقلام معلنة • هذي المفاخر لا قعبان من لبن

وكتب الى ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون

أبا الوليد وما شطت بنا الدار • وقل منا ومنك اليوم زوار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم • وللصبا ورق خضر وأنوار
وكل عتب واعتاب جرى فله • بدائع حلوة عندي وآثار
فاذكر أخاك بخير كل ما لعبت • به الليالي فان الدهر دوار

(وقال في ترجمة صاحب العقد الفقيه العالم أبي عمر أحمد بن عبد ربه) عالم ساد بالعلم ورأس واقتبس به من الحظوة ما اقتبس وشهر بالاندلس حتى سار الى المشرق ذكره واستطار شرر الذكاء فكره وكانت له عناية بالعلم وثقه ورواية له متسقه وأما الادب فهو كان حجته وبه غمرت الافهام لجته مع صيانة وورع وديانة ورد ماءها فكرع وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد وحماه عن عثرات النقد لانه أبرزه مثقف القناة مرهف الشباة تقصر عنه ثواقب الالباب وتبصر السحر منه في كل باب وله شعر انتهى منتهاه وتجاوز سماك الاحسان وسماه أخبرني ابن حزم أنه مر بقصر من قصور قرطبة لبعض الرؤساء فسمع منه غناء أذهب لبه وألهب قلبه فبينما هو واقف تحت القصر اذ رش بماء من أعاليه فاستدعى رقعه وكتب الى صاحب القصر بهذه القطعه

يا من يضن بصوت الطائر الفرد • ما كنت أحسب هذا الضن في أحد
لو أن أسماع أهل الارض قاطبة • أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده • صوتا يجول مجال الروح في الجسد

أما

أمّا النبيذ فانّى لست أشربه * ولا أجيل الى سوق يدى

وعزم قى كان يألفه وخامر كافه على الرحيل فى غده فأذهبت عزمته قوى جلده فلما أصبح عاقته السماء بالانواء وساقته مكرها الى الثواء فاستراح أبو عمر من كده وانفسح له من التواصل ضائق أمده فكتب الى المذكور العازم على البكور

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات أبى عليك الله والقدر
ما زلت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثى لى فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبدى * نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

ومن شعره الذى صرح به تصريح الصب وبرح به وقائع اسم الحب قوله

الجسم فى بلد والروح فى بلد * يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد
ان تبك عيناك لى يا من كلفت به * من رحمة فهما سهماك فى كبدى

ومنه قوله

ودّعتنى بزفرة واعتناق * ثم نادت متى يكون التلاقى
وبدت لى فأشرق الصبح منها * بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم * بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق أفظع يوم * ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله أيضا

يا ذا الذى خط الجمال بخدّه * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى أن لحظك صارم * حتى لبست بعارضيك حمائلا

وأخبرنى بعضهم أن الخطيب أبا الوليد بن عيال حج فلما انصرف تطلع الى لقاء المتنبى واستشرف ورأى أن اقتباه فائدة يكتسبها وحلة فخر لا يحتسبها فصار اليه فوجده فى مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلا ثم قال أنشدنى لمليح الاندلس يعنى ابن عبد ربه فأنشده

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقا * ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * درّا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه * أبصرت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة * ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل انشادها استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا وله أيضا

ومعذر نقش الجمال بخطه * خدّا له بدم القلوب مضرّجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وله أيضا

وساحبة فضل الذيول كأنها * قضيب من الريحان فوق كثيب
اذا ما بدت من ثغرها قال صاحبى * أطعنى وخذ من وصلها بنصيب

وله أيضا

هيج الشوق دواعي سقمي • وكسا الجسم ثياب الألم
أيها البين أقلني مرة • فإذا عدت فقد حل دمي
يا خليلي الروع ثم في غبطة • إن من فارقته لم ينم
وإذا هاج بجسمي سقما • حب من لو شاء داوى سقمي

وبلغ من عرف بن علم واعترف بذلك اعتراف متألم عند ما رهقت شدته وبليت جدته وهو آخر شعره قال ثم غرق في أذيال الردى وما استقال

كأني لما بي عاذلي كفاني • طويت زماني برهة وطواني
بليت وأبلتني الليالي بكرها • وصرفان للأيام معتوراني
وما لي لا أبلى لسبعين حجة • وعشر أتت من بعدها سنتان
فلا تسألاني عن تباريح علتي • ودونكما مني الذي تريان
وإني بحول الله راج لفضله • ولي من ضمان الله خير ضمان
ولست أبالي من تباريح علتي • إذا كان عقلي باقيا ولساني

وفي أيام إقلاعه عن صبوته وارتجاعه عن تلك الغفلة وأرسته وانثنائه عن مجون المجون إلى صفاء توبته محص أشعاره في الغزل بما ينافيها وفصل من قوادمها وخوافيها بأشعار في الزهد على أعاريضها وقوافيها منها القطعة التي أولها هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر معارضة بقوله

يا راقد العين تغفو حين يقتدر • ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر
عاين بقلبك ان العين غافلة • عن الحقيقة واعلم أنها سقر
سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت • للظالمين فلا تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة • لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئا • هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر انتهى

(وقال في ترجمة أبي القاسم المنيشي ما صورته) أبو القاسم المنيشي أحد أبناء حضرة اشبيلية المقلين الشاخصين بأعباء الضرائر المستقلين لم يزل يعشو لكل ضوء ويتتبع مصاب كل نوء فيوما يخصب ويوما يجدب وآونة يفرح وأخرى ينتدب إلى أن صدعت مخايله فزمقت بجونه وتحايله ولقي من العجب بمنسدل الحجب ومن الأمر ما لم يأت من بشر وما تصرف إلا في أرذل الأعمال ولا تعرف إلا بأخون العمال لم يفرع ربوة ظهور ولم يقرع باب رجل مشهور وله أدب ولسن ومذهب فيما يستحسن لكنه تنكب عن المقطع الجزل وذهب مذهب الهزل إلا في النادر فربما جد ثم أخلق منه ما استجد وعاد إلى ديدنه بدعوة أبي عباد إلى داره ومدنه وأخذ في ذلك الغرض وليس شرط كتابي بذاه ولا أن يقف حذاه وقد أثبت له ما هو عندي نافق وإعراض كتابي موافق فمن ذلك قوله

يا روضة باتت الأنداء تخدمها • أتى النسيم وهذا أول السحر

ان كان قدك غصنا فالثراه به * مثل الكمائم قد زرت على الزهر
اربأ بخديك عن ورد وعن زهر * واغضابقرطيك عن شمس وعن قمر
يا قاتل الله لحظي كم شقيت به * من حيث كان نعيم الناس بالنظر

ولله من رثاء في والدتي رحمة الله عليها

يا ناصحي غير مقتات ولا نحن * على النصائح والنصاح مقتات
لا أستجيب ولو ناديت من كثب * وقد قدتني تعلات وعلات
ان كان رأيك في برئي وتكرمتي * بحيث قد ظهرت منه علامات
لا ترض لي غير شجو لا أفارقه * فذاك أختاره والناس أشتات

ومنها

يا ذا الوزارات من مثنى وواحدة * لله ما اصطنعت منك الوزارات
لله منك أبا نصر أخو جلد * اذا الت ملمات مهمات
استودع الله نورا ضمه كفن * كما توارى بدور التم هالات
قضت وليت شبابي كان موضعها * هيهات لو قضيت تلك اللبانات
مضت ولما يقم من دونها أحد * الا وقد أعذرت فيها المروآت

وله يصف زرزورا

أمنبر ذاك أم قضيب * يفرعه مصقع خطيب
يختال في بردتي شباب * لم يتوضح بها مشيب
كأنما ضمخت عليه * ابراده مسكة وطيب
أخرس لكنه فصيح * أبله لكنه لبيب
جهم على أنه وسيم * صعب على انه أريب

(أبو الحسن البرقي) بلنسي الدار نفيسي المقدار جامعت له بشرف ولاحظت له بسلف ولا اطاحت منه على غير سرف ورد اشبيلية سنة تسع وتسعين وأربعمائة واتصل بابن زهر فتناهيك من حظ في امكانه جال ومن لحظ فيما أراده أجال ومن أمل استوفر وحظ مسك أذفر ومن وجه جاءله أسفر سلك به ساحة الرغائب وتلك سببه اباحة الحاضر والغائب وقال فما نبذت مقالته وأقال فما فقدت اقالته وكان سلو المجالسه حلو المؤانسه ذا نشب وافر ومذهب في المساهمة سافر الا انه كان كلفا بالصبيان معنى بهم في كل الاحيان ونيف على السبعين وهو برداء الصبوة مرتد وبعثرها معتد مع أدب زهرته ترف وكأنه بحر والالباب منه تغترف وقد أنشدته بعض ما وجدت له في الغلمان وأنشدت له في تلك الازمان فمن ذلك قوله رحمه الله تعالى

ان ذكرت العقيق هاجك شوق * رب شوق يهيجه الادكار
يا خليلي حدثاني عن الركب سحيرا أأنجدوا أم أغاروا
شغلونا عن الوداع وولوا * ما عليهم لو ودعوا ثم ساروا
أنا أهواهم على كل حال * عدلوا في هواهم أم جاروا

وعلق باشبيلية فتى يعرف بابن المكر وبات من حبه طريحا بين أيدى الوساوس والفكر لا ينثنى الا صبا ولا ينتشى الا غراما وحبا ومازال يقاسى لوعته مقاساة يناجى بها صرعته ويكابد جواه ويلازم هواه حتى اكتسى خده بالعذار واتمحت عنه بهجة آذار فسلا من كلفه وتصدى ذلك لمواصلته بصلته فقال

الآن لما صوحت وجناته • شوكا وامحت سلوة العشاق
واستوحشت منه المحاسن واكتست • أنوار وجهك واهن الاخلاق
أمسيت تبذل لى الوصال تصنعا • حلق الشيم وشيمة المذاق
هلا وصلت اذ الشمائل قهوة • واذ المحيا روضة الاحداق
ياكم أطلت غرام قلب موجع • كم قد أليت الليل بالاشراق
ماكنت الا البدر ليلة تمه • حتى قضت لك ليلة بمحاق
لاح العذار فقلت وجدا نازح • ان ابن داية مؤذن بفراق

وله فيه مماقد اندالك العرض معارضا للوعة سلوا الذى كان عرض

يلومون فى ظبى تزايد حسنه • عطين خطا الوعى وغراميا
وقد كنت أهوى خده وهو عاطل • فكيف وقد أضحى لعينى حاليا

وله أيضا فى مثله

أميل الطرف فى خد نضير • يردد ناظرى نظرى اليه
اذا رمدت بحمرته جفونى • شفاها منه اثمد عارضيه

(أبو الحسن على بن جودى) مبرز فى الفهم وأحرز منه أوفر سهم وعانى العلوم بقريحة ذكيه ورواها بنفس فى المعارف زكيه وله أدب واسع مداه يانع كالروض بلله نداه ونظم أرق من دمع العاشق وألطف المعانى وأعبق من نفس الخمائل فى أكف النسيم والشمائل ونثر كالزهر المطلول أو السلك المحلول الا انه سها فأسرف وزها بالا يعرف وتصدى الى الدين بالافتراء ولم يراقب الله تعالى فى ذلك الاجتراء واشتهرت عنه فى ذلك أقوال سدد الى الله نصالها وأبدى بها ضلالها فعلمت به المحنه وكنت له فى كل نفس اسمه ومازال يتدرج فيها ويتنقل حتى عثر وما كاد يستقل فولا يلوى على تلك الدواعى وفرلا ينثنى الى لوائم ولواحى ومازال يركب الاهوال ويخوضها ويذلل النفس بها ويروضها حتى أسمحت بعض الاسماح وكفت عن ذلك الجماح واستقر عند أبى مالك فآواه ومهد له مثواه وجعله فى جملة من اختص من المطالبين واستخلص من المطالبين كثيرا ما يصطبيهم ولا يدرى أيذبحهم أم يقتنيهم وقد أثبت له ما يبهر سامعا ويظهر برقا لامعا فى ذلك قوله

احن الى ريح الشمال فانها • تذكرنا نجدا وماذ كرنا نجدا
نمر على ربع أقام به الهوى • وبدل من أهليه جائية ربدا
فياليت شعرى هل تقضى لبانة • فأرتشف اللميا وأعتنق القدا
خليلى لا والله ما أحمل الهوى • وان كنت فى غير الهوى رجلا جلدا

وقوله

وقوله أيضا

سل الركب عن نجد فان تحية * لسا كن نجد قد تحملوا الركب
والا فما بال المطى على الوجا * خفافا وما للريح مرجعها رطب

وقوله أيضا

اذا ارتحلت غريبة فاعرضا لها * فبالغرب من نهوى له البلد الغربا
لقد ساءنا أنا بعيد وأننا * بارضين شتى لا مرورا ولا قربا
يقيمنا اما بعاد مبرح * واما أمور باعثات لنا كربا
طلعنا على حكم الليالى وخطبها * فياليت لم ندر الليالى ولا الخطبا
وكنت أرجى الدهر بعد الذى مضى * ديارا وقربا والاصادق والصحبا
احقا بسير الركب لم ترتحل بنا * اليك ولم تحد الحداة لنا ركبا

وقوله أيضا

لقد هيج النيران يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامع
عشية لا أرجو لقاءك عندها * ولا انا ان يدنو مع الليل طامع

وقوله أيضا

حننت الى البرق اليمانى وانما * نعالج شوقا ما هناك يمانيا
فيارا كبا يطوى البلاد تحملن * تحيتنا ان كنت تلقاه لاقيا
ليالينا يا لجزع جزع محسر * سقى الله بالفيحاء تلك الليا ليا
وما ضر صحبى وقفة بمحسر * أحيى بها تلك الرسوم البواليا

وله أيضا

خليلى من نجد قفا بى بنجدهم * مصيفا لبيت العامرى ومربعا
ألا ربعا عنها الحديث فاننى * لاغبط من ليلى الحديث المرجعا
عزيز علينا يا ابنة القوم أننا * غريبان شتى لا نطيق التجمعا
فريق هوى منا يمان ومشئم * يحاول يأسا أو يحاول مطمعا
كانا خلقنا للنوى وكانما * حرام على الايام أن نتجمعا

ووجدت له فى بعض نسخ المطمح قوله أيضا

سقى دارك اللاتى ببطن محصب * مشا كبل من وفد الغمام المرجح
ألم تعلمى يا فتنة القلب أننى * تطارحت من حبى لكم كل مطرح
اذا ذهبت غربان دار وجدتنى * وشوقى مقيم بين ناء ونزح

وله أيضا

ألا انما والبلوى ضروب * وفيك لكل مشتاق حبيب
يحبيك الله بالنعمى فنونا * وجرلكم مع النعمى خطوب
متى تقضى بخستك الليالى * وتعصف فيكم ريح هبوب
فانكم تجزون المنايا * وتعمر من مجانيكم قلوب انتهى

كلما أشكره وجدا بما * كاربا بالعارض المجس
اذيقسم القطر فيهاماقما * وهي من بهجتها في عرس
غالب لي غالب بالتوده * بابي أفديه من جاف رقيق
مارأينا مثل ثغر نضده * أقحوانا عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العربده * وفؤادي سكره ماان يفيق
فاحم الجمة معسول اللمى * أكحل اللحظ شهي اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما * وهو من اعراضه في عبس
أيها السائل عن ذلي لديه * لي يجني الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه * مشرقا للصب فيه مغرب
ذهبت أدمع أجفاني عليه * وله خد بلحظي مذهب
يطلع البدر عليه كلما * لاحظته مقلتي في الخلس
ليت شعري أي شئ حرما * ذلك الورد على المفترس
كلما أشكو اليه حرقي * غادرتني مقلتاه دنفا
تركت ألحاظه من رمقي * أثر النمل على صم الصفا
وأنا أشكره فيما بقي * لست ألحاه على ما أتلفا
فهو عندي عادل ان ظلما * وعذولي نطقه كالخرس
ليس لي في الحب حكم بعدما * حل من نفسي محل النفس
منه للناربأحشائي اضطرام * يلتظي في كل حين ماتشا
وهي في خديه برد وسلام * وهي ضر وحريق في الحشا
اتقي منه على حكم الغرام * أسد الغاب واهواه رشا
قلت لما أن تبدى معلما * وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنما * اجعل الوصل مكان الخمس

وقد عارض هذا الموشح أيضا بعض متأخري المغاربة فقال

ياعريب الحي من حي الحمى * أنتم عيدي وأنتم عرسي
لم يحل عنكم ودادي بعدما * حلتم لاوحياة الانفس
من عذيري في الذي احببته * مالك قلبي شديد البرحا
بدرتم أرسلت مقلته * سهم لحظ لفؤادي جرحا
ان تبدى أوتثنى خلته * غصن بان فرقه شمس ضحا
تطلع الشمس عشاء عندما * تتجلى منه بابهى ملبس
وترى الليل أضا منهزما * وترى الصبح أضاء في الغلس
ياحياة النفس صل بعد النوى * والهائمضني شديد الشغف
قد براه السقم حتى ذا الهوى * كاد أن يفضي به للتلف
آه من ذكر حبيب باللوا * وزمان بالمنى لم يسعف

كنت أرجو الطيف يأتي حلما * عائذا بامسى من ذا فابأس
هل يعود الطيف صبا مغرما * ساهرا أجفانه لم تنعس
همت في اطلال ليلى وأنا * ليس في الاطلال لى من أرب
ثم مرادى رامة والمنحنى * لا ولا ليلى وسعدى مطلبى
انما مؤلى وقصدى والمنى * سيد العجم وتاج العرب
احمد المختار طه من سما * الشريف ابن الشريف الكيس
خاتم الرسل الكريم المنتمى * طاهر الاصل زكى النفس

وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة

لا تلمنى ياعذولى تائها * ما ترى جسمى بسقم قد كسى
مثل ما شرح غرامى علما * حيث اشكو وحشة من مؤنس
ظبى أنس عن فؤادى نفرا * وفؤادى مشتكو من صده
وعذولى فى هوى الحب درى * بسلام مذنهى عن وده
أنت أعمى ياعذولى ماترى * يانع الورد بدا من خده
وله ثغر اذا ما ابتسما * كبروق أومضت فى الغلس
وثناياه كدر نظما * ضياها فى الدجى كالقبس
كم ترى سحرا بجفنيه بدا * لفؤادى فى الهوى أضحى كاسى
ليس سحر مقلتى هذا سدى * يافؤادى ان شقى الصب السقيم
حبه أوجس قلبى وغدا * راحلا صبرى وهاشرقى مقيم
ياإله العرش يارب السما * ياعليما بضمير الانفس
قلبى الولهان يشكو ألما * من جفا ظبى أغن أكيس
أغيد يبدى البرايا بالقبل * أدعج الجفن بعينيه حور
لو رأته الشمس أضحت فى خجل * وهو للبدر بوجه قد قهر
من معانى حسنه رق الغزل * فى غزال قد غزانى بالنظر
آخذ بالروح منى كلما * رمق الصب بطرف أنعس
يقنص الاسد بلحظ قد رمى * أسهما تفتك من غير قسى
يارعى الله زمانا سلفا * بليالات تقضت بانشراح
مثل دينار وهما قد صرفا * فى ألذ العيش مع صحب وراح
فاعذروا القلب الذى قد شغفا * بحبيب ماله عنه براح
بدر تم أهيف حلو اللمى * ريقه شهد شهى اللعس
كسلاف عهدها قد قدما * تجلى فى كأسها كالعرس
قهوة بكر عجوز عتقت * زمنا فى دنها من قبل نوح
هى لما فى زجاج أشرقت * شمس راح غربت فى كل روح
جددت بسطا وكم قد مزقت * قلب صب فى غبوق وصبوح

حالف الخمار عنها قسما * أنها بالمكث كادت تنتسى
فاسقنى صرفا ولا تمزح بما * راحة كم أذهبت من عبس
فى رياض قد شدا شحروره * عاطفيها بين أكناف الشجر
وانظم الشمل ودع منشوره * حول وردوا قاح وزهر
واذا الطل بدا شـــموره * كالى الاوراق منـــه بالدرر
ماترى الريحان عبدا خدما * حيث أضحى واقفا فى المجلس
مجلس الدسر بن لكن ربما * اشحت منه عيون النرجس
فتنـــزه فى رياض خضر * وغصون غردت فيها هزار
وانتشق عرف زهور عطر * ياسمـــين زينته الجلنار
وشذا الزهر كمسك أذفر * واقبل العذر لابن المزدار
طامع فى رحمـــة الله وما * تاب عبد طامع لم ييأس
ياالهى جد علينا كرما * يا كريما قبل أخذ الانفس

(رجع) الى موشحات ابن الخطيب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى ومما قلته من الموشحات التى انفرد باختراعها الاندلسيون وطمس الآن رسمها

رب ليل ظفرت بالبدر * ونجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا ورعى * أى شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا * ليت نهرا انهار لم يجر
حكم الله لى على الفجر
علل النفس يا أخا العرب * بحديث أحلى من الضرب
فى هوى من وصاله أربى * كلما مر ذكر من تدرى
قلت يا برده على صدرى
صاح لا تهتم بامر غد * وأبح صبر نهابدا بيد
بين نهر وبلبل غرد * وغصون تميل من سكر
أعلنت باعمام بالشكر
يا مرادى ومنتهى أملى * هاتها عسجدية الحلل
حلت الشمس منزل الحمل * وبرود الربيع فى نشر
والصبا عنبرية النشر
غرة الصبح هذه وضحت * وقيان الغصون قد صدحت
وكأن الصبا اذا نفحت * وهفا طيبها عن الحصر
مدحة فى علا بنى نصر
هم ملوك الورى بلا ثنيا * مهدوا الدين زينوا الدنيا
وحمى الله منهم العليا * بالامام المرفع الخطر
والغمام المبارك القطر

ليت شعرى هل أروى ذا الظما * من لى ذاك الثغير الالعس
وترى عيناى ربات الحمى * باهيات بقـــد ودميس
يدخلون السقم من دار اللوى * كام الهجر فؤادى واسر
هدّ من ركن اصطبارى والقوى * مبـدلا أجفان نومى بالسهر
حين عز الوصل عن وادى طوى * هـملت أعين دمعى كالمطر
فعساكم أن تجودوا كرما * بلقاكم فى سوادا الحندس
وتداووا قلب صب مغرما * من جراحات العيون النعس
كلما جن ظلام الغسق * هـزنى الشوق اليكم شغفا
واعترانى من جفاكم قلق * مذ تذكرت جيادا والصفا
وتناهت لوعتى من حرق * ثم زاد الوجد فى التلفا
فانعموالى ثم جودوالى بما * يطف نيران الجوى ذى القبس
ساعة لى من رضاكم مغنما * وتداوى جشتى مع نفسى
كنت قبل اليوم فى زهو وتيه * مع أحبابى بسلع العسب
ومحى ظبى بأحدى وجنتيه * مشرق الشمس وأخرى مغرب
فرمانى بسهام من يديه * ضارب البين فقلبى متعب
لست أرجو للقا هم سلما * غير مدحى للامام الارأس
أحمد المحمود حقا من سما * الشريف ابن الشريف الكيس

ومنها قول بعض المراكشيين

واجلتنا الصباح والشمس * اذلاح جـــــــودر
ساق يدير الكؤسا * تضئ حمرا وتزهر
تقادمــــت فى الدنان * من عهد نوح زوق
فى لونها البهـــرمانى * تدارفينا وتعبــــق
قد اطلعت من عنان * من عن صبوح يرقق
يسعى بها من ملاح * من كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبى الجليسا * ويستخف الموقر
يثير كامن وجد * فى قلب كل سقيم
يسطو علينا بقـــد * يزرى بغصن قويم
أشــق بعشق وودّى * فى جنـــــة ونعيم
من ذى الوجوه الصباح * ياشادنا غنّ واذكر
وهات لنا نفيســـا * نرويه عنك ونأثر
فى مدح من ساد طفلا * هذى البرايا وفاقا
من حاز مجدا وفضلا * بين الانام وفاقا
فى عــــدله قال قولا * يسرى فيعدو العراقا

فى أحمد ذى السماح * فى الشرق والغرب ينتصر
أحيى الهدى والنفوسا * وذلت ملة تيصر
تراه سلما وحربا * من رأيه فى جنود
يختال لم يبغ عجبا * من عزه فى برود
يحوى المعالى كسبا * ويقتنيها بجود
نجار أهل البطاح * وعز من قد تمصر
ثناه يجلا الطروسا * عن صورة المجد عبر
ملك بنى فى البديع * مبانيا كالدرارى
فياله من صنيع * الروض والماء يبارى
وقل بصوت رفيع * آذيان بحر الهار
أهدى نسيم الصباح * مسكا شميما وعنبر
وجنيها خندريسا * من خد ساقيه تعصر

ومن موشحات السلطان المنصور المذكور

ريان من ماء الصبا * أهيف ومثلى البرد
كالغصن هزته الصبا * فوق الربا الشهب
قد قلت لما أن سبى * بحسنه يسبى
من عينه سل ظبا * وغمدها قلبى
أمرنى مانى الشبا * اوطف مرخ القد
يا فاضح الروض سنا * ومخجل البدر
وقاطعى ظلما عنا * ومن مقره صدرى
ألم تكن شمس دنا * فانها تجرى
علقته من الظبا * أهيف يسطو على الاسد
قلت له وقد نمد * وجد فى حربى
وغلب الظبى الاسد * وفاز بالغالب
الشمس برجها الاسد * فاسمى الى قلبى

ولم يحضرنى الآن تمامها ومنها قوله يعارض لسان الدين وابن الصابونى

وابالى الشعور اذ تسرى * مالنهر النهار من فجر
حبذا الليل طال لى وحدى * لو ترانى جعلته بردى
فاطميا فى خلعة الجعدى * هى ليلى أخت بنى بشر
فأين أنت يا أبا بدر
كم سقطنا الطف من طل * واحتمنا وما درى ظلّ
واسترحنا من كاشح نذل * رب ليل ظفرت بالبدر
ونجوم السماء لم تدر

وبنفسي مهفهف الى * ومطيع قد غرتني لما
سألته وفاني عما * في رباط قسمتي صدري
للتين وناظري بدر
وهلال في حسنه اكتملا * هو شمس وأضاء الجلا
قام يشدو يتثنى في ملا * قسما بالهوى لذي حجر
ما لليل المشوق من فجر

ثم عن لنا أن نورد هنا جملة من مقطوعات مولانا السلطان المنصور مما تلقيناه عنه أيام كوننا في ايالته الشريفة فمن ذلك قوله رادا على من قال في ابن أبي الحديد

لقد أتى باردا ثقيلا * ولم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شئ * أشهر ما كان في الحديد

ما صورته

لقد أتى صارما صقيلا * ولم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادى * وشدة البأس في الحديد

ومن نظمه قوله

لله تمر طيب * وافى على البشرى انطوى
يا حسنه مجتمعا * يحلو لنا بلا نوى

وقوله معميا في تمر على طريقة الاكتفاء

معذبي أعجزني نيله * من لي بمن مسكنه في السما
لم انس اذ قال الا تكتفي * قلت بمن بالطرف قلبي رمى

وقوله

تبدى وزند الشوق تقدحه النوى * فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فعارضت مشفقا * على كبد حرا وقلب يقسم
ولولا أواه بالحشى لاهتشها * ولكنها تعزى اليه فتكرم
فاعجب لأساد الشرى كيف أحجمت * على انه ظبي الكناس ويقدم

وقال قدس الله تعالى روحه مورّيا

ان يوما لناظري قد تبدّى * فتملى من حسنه تكميلا
قال جسمي اصنوه لاتلاقى * ان بيني وبين لقياك ميلا

وقد تبارى خدام حضرة هذا السلطان في تخميس هذين البيتين ومن أشهر ذلك قول الاستاذ الحافظ سيدي أحمد الزموري رحمه الله تعالى وكان يصلي بالسلطان التراويح

ورقيب يرقد اللحظ ردا * ليس يرضى سوى ازديادي بعدا
ساء الطرف مذ جنى الخد وردا * ان يوما لناظري قد تبدى
فتملى من حسنه تكميلا
وتصدى من خشيه في استباق * يمنع اللحظ من جنى واعتناق

انهم لم يشترطوا فى استخراج الاسم بطريق التعمية سواها بحركاتها وسكناتها بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة لهيئاتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ويسمى العمل التذييلى انتهى كلامه على البيتين فى اسم نسيم وقال فى اسم غزال وقد جمع تعميتين والغزا

واملد مطوى الحشا زال ردفه * فلا خصر الا أن
بنصف اسمه يرمى القلوب وعكس ما * بقى ابدا الذن المحب به اصمى

وكتب عليه ماصورته قولى املد أردت به بعمل الترادف غصن ومطوى الحشا انتقاد وزال ردفه قضيت به غرضين أزلت به النون بعمل الاسقاط الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه واثبته أعنى زال فى موضعها اى النون من غصن والحال أن الصاد محذوفة وذلك بعمل الانتقاد وأوضحت ذلك بقولى فلا خصر وان كنت لا أحتاج اليه لئلا يكون فى البيت شئ خارج عن التعمية انتهى تفسيره رحمه الله تعالى ويعنى بقوله بنصف اسمه يرمى القلوب غزلانه نصف غزال ويعنى بقوله وعكس ما بقى الى آخره لفظة لا لانها مقلوب مابقى وهو ال * وقال فى اسم سلاف على منهاج ما تقدم

واسمر وسنان الجفون كأنما * سقى لحظه من ريق فيه بقرقف
نفى صارما الافق صارم لحظه * تزايد فيه منه نسل تلاف

وفسره بقوله قولى تلاه من طريق التسمية وفى من العمل التذييلى وهو أن يأتى بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق انتهى * وقال فى اسم آمنة من التعمية أيضا

من شقائق قنعته وهو خشف * فى رضاه عن الملوك استذلت
املد منه مذ تحلل خصر * وتثنى عن حسنه ما عدلت

وكتب عليه ماصورته قولى املد اردت الالف بعمل التشبيه وخصر منه انتقاد وأردت بالخصر وسط لفظة منه وتحلله أن يحل منه السكون الذى على النون وقولى وتثنى أى الالف من التثنية لا التثنى فتم الاسم بحركاته وعدده انتهى تفسيره * وقال وقد لبس منصورية من النوع الذى يقال له قلب حجر والمنصورية نوع لبس معروف بالمغرب استخرجه السلطان المذكور وأضافه الى اسمه

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم * قول الحبيب أنا نافيه
قلبى له حجر فقات مغالطا * للعاذل المؤذى انا فيه

قال وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية منها اجناس التركيب المسمى بالملفق وحده وهو أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقيل من فرق بينهما ، ومنها الانسجام ومنها الاستخدام وعهدى بالفقيه على بن منصور الشيظمى تعرض الى شرحهما فى كراسة والتعمية فى هذين البيتين بالعمل الحسابى وهو كثير الا أن هذا العمل احسبنى ابا عذرته اذ لم أره لغيرى . ومادة التعمية فيه انا نافيه قلبى له حجر فقولى انا نافيه معناه أن أضرب أنا فى . وقولى فى . نص فى

الضرب ويخرج من هذا ماتنان وستون عدد حروف هيمانى وحقلى وقولى قلبى له حجر يعمل القلب بصبر ح فصار المجموع هيمانى وحقلى برح وفيه التورية وهيمانى وحقلى الخارج من هذا الضرب فيه تحكم بالواشى فه ومن المحسنات أيضا أعنى قوله وحقلى ويصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان لان الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة فظاهر أنانا فيه بشاده هيمانى وحقلى برح الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولى للعاذل المؤذى انانيه انتهى والاستخدام الذى أشار اليه هو فى قوله أنانيه أى فى هذا الثوب المسمى بقلب حجر كما دلت عليه الحكاية وأما المعنى الثانى لقوله أنانيه فظاهر * وقال وقد قطف وردة من روض المسيرة فى زمن النرجس

وافى بها البستان منه وردة * يقضى بها المامطات وعودا
أهدى البهار محابرا واقيها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا

وقال

لى حبيب يأتى بكل غريب * هو عندى منكر ومعرف
لست أشكو اصرفى وتحوى * انه بى نحاوفى تصرف
فعله فى لازم متعد * ومزيد مجرد مضعف

وقال

لاوطيف علم السيف فقد * فى قوام كقناة الخط نهد
ووميض لاح لما ابسمت * فأرتنا منه در أو برد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

وقد ضمن قوله ماهلال الافق أديب زمانه الشيخ امام الدين الخليلى الوافد على حضرته من بيت المقدس فقال

قسما بالبيت والركن الذى * طاب جاوا استلاما للابد
ماهلال الافق الاحاسد * منه حسنا وعلاء وغيد

وقد اتفق لامام الدين هذا أنه اجتمع بالحضرة المصورية هو والعقاد المكى السابق والشريف المدنى وهو رجل وافد من أهل المدينة ينتمى الى الشرف فقال امام الدين بأمير المؤمنين ان المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال شدت أهلها اليك الرحال هذا مكى وذاك مدنى وأنا مقدسى ثم أنشد

ان أمير المؤمنين أحمد * بحر الندى وفضله لا يجحد
قطيبة ومكة أهلهما * والمسجد الاقصى بذاك شهدوا

(رجع) الى نظم المنصور وقال

وكيف بقلب فى هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام

فما شاد نارعى الحشا آنت بالحشا * أما المحل أنت فيه ذمام

وقال يخاطب رئيس كتابه صاحبنا سيدى عبد العزيز القشتالى السابق الذكر

يا كاتبا ألفاظه * تغرس روضة ذا فنن

ان جوابى للذى * يشكو دناه اردد حزن

وقال مورّيا بصانعه الثلاثة البديع والمسرة والمشتهى

بستان حسنك أبدعت زهراته * ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك بالمسرة ينثنى * ياحسنه رمّانة للمشتهى

ولولا خوف الاطالة المملة لذكرت من محاسن مولانا أمير المؤمنين المنصور رحمه الله تعالى بعض ما أودى به حقه سقى الله تعالى عهاده وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور فى كتابى روضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس وأطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهير سيدى عبد العزيز بن محمد القشتالى فى كتابه المسمى بمناهل الصفا فى فضائل الشرفا وعهدى به أكمل منه ثمان مجلدات وهو مقصور على دولة السلطان المذكور وذويه وألف كاتب أسراره الرئيس أبو عبد الله محمد بن عيسى فيه كتابا سماه الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور وهذه التسمية وحدها مطربة رحم الله تعالى الجميع (رجع) الى التوشيح كتب الى بعض أذكياء الاصحاب الاعيان موشحا يدحى به فى آخره عارض به موشح لسان الدين السابق الذى أوله

جادك الغيث اذا الغيث همى * يا زمان الوصل بالاندلس

ونصه

عطر الارجاء لما نسما * شمأل للصبح عند الغلس

وأتت شمس الضحى تنسخ ما * يقرأ الليل لما من عبس

طاف بالكاس من الزهر نقى * مولع بالصدع فى مذفق

نسق الالباب لما افتنا * واحتسى منه بعض الشفق

وانا ما بين حتى ومتى * صدّنيه الهوى عن الفتى

وكؤس الراح بين الندما * أرّجت بالعرف أفق المجلس

خمرة صفراء فى البلور ما * أشبه الحان بروض النرجس

بادر اللذة واجمع شملها * بمدام وغلام مطرب

ذى عيون ناعسات كم لها * من فنون السحر ما يلعب بى

وافر الارداف عاق حملها * ناحل الخصر وذا من عجب

كلما أترع كاسا قال ما * أنت بالشارى حياة الانفس

فابذل الجهد وكن مغتنما * لنفيس النفس طيب الانفس

فرص الايام كن منتهزا * مبتداها قبل حذف الخبر

ورحاب الانس لج منتجزا * قبل أن تمضى لمح البصر

واجن من زهر الهوى محترزا * من جنايات هجوم الكبر
لاتخف لوما وعم حينما * لاحت اللذات كالمختلس
نام عنى انس ووافى مثلما * كان ذا الدهر لنا بالحرس
للرياض اذهب ترى بلبلها * لاشتياق الورد مثل الشكل
وخدود الورد قد كللها * دمع طل لاشتياق البلبل
وقدود البان قد قام لها * مانع الوصل بحد الاسل
والربا فاحت تحاكى خدما * وعليهن ثياب السندس
جيبها زر بالزهر كما * زر بالفضة ثوب الاطلس
وجلا الروض لنا أشجاره * ماثلات فى قباء أخضر
وترى فى جيدها نواره * يتلالا كعقود الجوهر
طلع الليل به أطماره * فغدا كالصبح باهى المنظر
وبقاياه زهت فيه أما * فى شفاه الغيد حسن اللعس
كعذار فى محيا علما * فيه للغير لا الملتمس
حبذا الصبوة أيام الصبا * وعيون الشيب فى سهر الوسن
فاذا أيقظها دهر صبا * لصروف حدثت ريب الزمن
جرد الشيب لنا بيض الشبا * واقتنى شرخ شباب وطعن
وغدا الانسان شيخا هرما * واعتراه لاعج من وجس
فات اذ مات فيمسى ندما * واغتنام الوقت شغل الكيس
لاتدع عمرك يمضى هدرا * أنت اذ ذاك جبان غافل
وارق بالجهد من النزل الذرا * واجتهد والضرع ضخم حافل
انما الايام أمثال السرى * والجرىء الشهم ليث باسل
ووحوش الانس تمسى مغنما * باردا للاسد المفترس
ترك الوهم وخاض الظلما * وله العزم أضا كالقبس
ليس يحظى بالمنى الا الذى * كابد الاهوال حتى ظهرا
كان للراحة كالمنبذ * من وراء الظهر أنى ظهرا
مثل ماقد بات ذا طرف قذى * يقطع الليل جميعا سهرا
فى طلاب العلم حتى علما * انه يملأ بروح القدس
أحمد الناصب فينا علما * للتقى فازبه من يأتسى
حل فى مصر وان كان العلا * قد عفت لما اعتراها فى خال
ورياض الفضل لما أن علا * نقع جهل جف منهن البلل
ازدرت أغصانها حتى خلا * قاعها من عذب ماء شفى العلل
نفرت اذ حل فيها كالسما * وهو بدر يكمل مكتسى
حوله الطلاب كالشهب بما * قد رها من نوره المقتبس

ايها الطالب العلم انشد * ليس الا بابه ينفعكا
ان ترم نيل المرتجى فاجتهد * فى اتباع للذى يرفعكا
علم من يعمل اكسير فزد * منه واترك حاسدا يدفعكا
والزم الاعتاب وانزل بالحمى * خالع الربقة من قول المسى
باعتقاد فاز من قد لثما * نعله والكبر شأن المبلس
مذ خبرت الناس طرا نظرا * لمناط الامر فى هذا الزمان
لم أجد الامقالا صدرا * عن دعاوأخلفت عند العيان
غير ما عليه فانظر لترى * دررا الالفاظ فى سمط البيان
بديع النطق لما نظما * بهت المنطيق مثل الاخرس
وأتى يخضع جمع العلما * نحو ذا المفرد فى الملتمس
انما المجد الرفيع المنتطى * أرؤس الآساد قسرا مثل ذا
يدع المرفوع كالمنهبط * ثم للمنازل يعلى منفذا
ناظرا فى أمره بالا سوط * خافض الطرف على حز القذى
كل من أم حماه قد حمى * بحسام العزم هش الملمس
فاذا جرد منه انقصما * جامد الصخر بذاك الميبس
حبذا المغرب قطرا بالسنا * فضله يبهر بدر الافق
قطره الشامخ قد أهدى لنا * سيدا قد فاق شمس المشرق
كل من فاته أسباب المنى * بعلاه للثريا يرتقى
قل ان يرجو سوى المذكورما * ينبت الزهر بارض اليبس
لاولا الناس سواء انما * رأى من سواهم فى هوس
لذ بهم فاز من أمله * بنزال فاق سح الهاطل
أثقل السؤدد اذ حمله * وقر فضل مستبين شامل
وحماه الامن من أمله * بالغ القصد فبشرى الآمل
بحره الوافر بالعلم طما * كامل الامداد لم يحتبس
نال منه الناس حتى عمما * مشرقا والغرب للاندلس

(رجع) الى موشحات لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى المنسوب الى محاسنه قوله

قد حرك الجلجل بارى الصباح * والفجر لاح * فيا غراب الليل حث الجناح

وهذا مطلع موشح بديع لم يحضرنى الآن تمامه لكونى تركته وجملة من كلام لسان الدين فى كتبى بالمغرب جبرها الله تعالى على وهو معارض للموشح الشهير الذى أوله

بنفسج الليل تذكى وفاح * بين البطاح * كأنه يسقى بمسك وراح

وهذا المنحى هو الذى سلكه الجمال بن نباتة اذ قال مادحا لجلال الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى الجميع

ماج بحر دموعي وساح * على الملاح * الاوفى قلبي المعنى براح

بي من بني الاتراك حلو الشباب * مرّ السطا
عشقته حين عدمت الصواب * من الخطا
تشكو حشا الغزلان منه التهاب * اذا عطا
وربما تشكو الغصون اكتئاب * اذا خطا

فاماس ذاك الغصن بين الوشاح * الا وراح * قول عذولي كله في الرياح

آها لصب دمعه حيث كان * دمع أريق
هذا أسير في هواه الحسان * وذا طليق
أرق جسمي بالضنا يوم بان * بدر الطريق
فها انا اليوم له يا فلان * عبد رقيق

تزيد أجفاني ندى وارتياح * تهمي اللواح * مثل جلال الدين يوم السماح

حبر له في الخلق ذكر جميل * لا يفترى
ماح على غيظ الغمام البخيل * محل الثرى
ما رأت العين له من مثيل * ولا ترى
يوقد في أوطانه للنزيل * نار القرى

شرارها في الكيس من صحاح * لها اقتداح * لكنها في القلب عذب قراح

يا مالك العلم وفيض الندى * جرت المدى
فاتق وكل العالمين الفدا * دع العدا
أنت الذي أصبح غيث الجدى * صبح الهدى
فكم يقتني منك وكم يقتدى * ويجتدى

علم جلي ونوال صراح * صفو مباح * يروى به راوى الرجاء عن رباح

ومغرم لا يختشي من رقيب * ولا عذول
معلق القلب بشجو عجيب * ولا وصول
يسكر الكل بصفات الحبيب * لا بالشمول
لما رنا الظبي وماس القضيب * أضحى يقول

كم ذا تنى جفنك وعطفك صفاح * على رماح * ماذى محاسن ذى خزائن سلاح

ومن الموشحات الصادرة من المشارقة المعارضة للمغاربة قول عثمان الملي يمدح القاضي الفاضل

وبلاه من رواغ * بجوره يقضي
ظبي له اغذاذ * منه الجفا حظي

ولم أقف على تمامه وقد بارى به التوشيح المشهور للمغاربة وهو

عقارب الاصداغ * في السوسن الغض
تسبي تقي من لاذ * بالسك والوعظ

من قبل أن يعدو * علىّ لم أحسب
أن تصرع الاسد * بجؤذر ربرب
ظبى له خـــد * مفضض مذهب
وشادن يـــدو * فى صدغه عقرب
رقة زهر الباغ * فى جسمه الفضى
وقسوة الافلاذ * فى قلبه الفظ
مهفهف بدع * أصبحت مغرى به
قلبى له ربع * لو كنت فى قلبه
أصابنى صدع * منذ لج فى عتبه
الموعد والدمع * حظى من قربه
والعين لا ينساغ * لها جنى الغمض
والدمع ذو اغذاذ * ناهيك من حظ

ومن أحسن ما للمشارقة من التوشيح قول الشهاب العزازى يعارض أحمد بن حسن الموصلى

يا ليلة الوصل وكاس العقار * دون استتار
علمانى كيف خلع العذار
اغتنم اللذات قبل الذهاب * واشرب فقد طابت كؤس الشراب
تحكى ثغورها الثنايا العذاب * على خدود تنبت الجلنار ذات احرار
طرزها الحسن بآس العذار
الراح لاشك حياة النفوس * فحل منها عاطلات الكؤوس
واستجلها بين الندامى عروس * تجلى على خطابها فى ازار من النضار
حبابها قام مقام النثار
أما ترى وجه الهنا قد بدا * وطائر الاشجار قد غردا
والروض قد وشاه قطر الندى * فكمل اللهو بكأس تدار على اقترار
مباسم النوار غب القطار
اجن من الوصل ثمار المنى * وأوصل الكاس بها المكنا
مع طيب الريقة حلو الجنى * بمقلة أفتك من ذى الفقار ذات احورار
منصورة الاجفان بالانكسار
زار وقد حل عقود الجفا * وافتر عن ثغر الرضا والوفا
فقلت والرقت لنا قد صفا * يا ليلة أنعم فيها وزار شمس النهار
حييت من بين الليالى القصار

ويعجبنى من موشحات العزازى المذكور قوله

ما على * من هام وجدا بذوات العلا

مبتلى * بالحدق السود وبيض الطلا
باللوا * ملى حسن لديونى لوى
كم نوى * قتلى وكم عذبنى بالنوى
قد هوى * فى حبه قلبى بحكم الهوى
واصطلى * نار تجنيه ونار القلى
كيف لا * يذوب من هام بريم الفلا
هل ترى * يجمعنا الدهر ولو فى الكرى
أم ترى * عينى محيا من بلحظى برى
بالسرى * ياحادى ركب منى بليلى سرى
عللا * قلبى بتذكار التعللا
وانزلا * دون الحى حى الحى منزلا
بى رشا * دمعى جرى فى هواه فشا
لو يشا * يبرد منى جمرات الحشا
ما مشى * الا انثنى فى سكره وانتشى
عطلا * من الحيا يامدير الطلا
ما حلا * اذا أدار الناظر الاكحلا
هل يلام * من غلب الحب عليه فهام
مستهام * بفاتر اللحظ رشيق القوام
ذى ابتسام * أحسن نظما من حباب المدام
لو صلا * من ريقه كاسا لاحيا الملا
أو جلا * وجها رأيت القمر المجتلى
لو عفا * قلبك عن زلة أو من هفا
أو صفا * ما كان كالجلد او كالصفا
بالوفا * سل عن فتى عذبته بالجفا
هل خلا * فؤاده من خطرات الولا
أو سلا * أو خان ذاك الموثق الاولا

وقوله أيضا يعارض الموصلى

ماسلت الاعين الفواتر * من غمد أجفانها الصفاح
الا أسالت دم الحناجر * من غير حرب ولا كفاح
تالله ماحركت السواكن * غير الظباء الجآذر
لما استبانت بكل طاعن * من القدود السوامر
وفوقت أسهم الكنائن * من كل جفن وناظر
عرب اذا اعتصن بالمعاجر * بين سرايا من الملاح

طلت علينا من المحاجر * طلائع تحمل السلاح
أحبب بمانطلع الجيوب * منها وما تبرز الكلل
من أقمر ما لها مغيب * واغصن زانها الميل
هيهات أن تعدل القلوب * عنها ولو جارت المقل
لما توشحن بالغدائر * سفرن عن أوجه صباح
فانهزم الليل وهو عاثر * بذيله واختفى الصباح
وأهيف ناعم الشمائل * تهزه نسمة الشمال
فينثني كالقضيب مائل * كالنشى شارب وما ل
لعذار كالشقسائل * لله كم من دم أسال
شقت على نبته المرائر * من داخل الانفس الصحاح
تكل فى وصفه الخواطر * وتخرس الالسن الفصاح
ظبى الى الانس لا يميل * الشمس والبدر من حلاه
الحسن قالوا ولم يقولوا * مبداه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل * هيهات من سيفه النجاه
أذل بالسحر كل ساحر * فهو له خافض الجناح
يجول فى باطن الضمائر * كما يجول القضا المتاح
أما ترى الصبح قد تطلع * مدغمضت أعين الغسق
والبدر نحو الغروب أسرع * كهارب ناله فرق
والبرق بين السحاب يلمع * كصارم حين يمتشق
وتحسب الانجم الزواهر * أسنة ألقت الرماح
فانهزم النهر وهو سائر * قد رعته يد الرياح

وموشحة الموصلى التى عارضها العزازى هى قوله

رنا بأجفانه الفواتر * لما انثنى واحد الملاح
فسل من طرفه بواتر * وهز من عطفه رماح
ناظره جرد المهند * وعمده منى الحشا
وعامل القد فهو أملد * يطعن القلب ان مشى
والعارض القائم المزرد * لفتنة الناس قد نشا
والحاجب القوس بالفواتر * انبله فى الحشا جراح
ومشرف الصدغ فهو جائر * سلطانه للدما اباح
بخده الفاتك الكنانى * من تعل راش لى نبال
وهو الخفاجى قد غزانى * وجهه من بنى هلال
عبسى لحظه سبانى * جسم زبيدى بالدلال
والردف يدعى من آل عامر * واوضح الصلت من صباح

وخصره من هضيم ضامر * يدور من حوله وشاح
فوجهه جنة وكوثر * رضابه العذب لي حلا
والنار في وجنتيه تسعر * والخال خالها اصطلى
عجبت من خاله المعنبر * اذ يعبد النار كيف لا
يحرق بالنار وهو كافر * وما سقى ريقه القراح
كامل حسن معناه وافر * بسيط وصف كالسلاح
ما اخضر نبت العذار الا * بآس نسج الشقيق
وهو كظل سعى وولى * ولم يجد للجنى طريق
من ريقة البدر اذ تجلى * في هالة العارض الانيق
لما تبدى بالوجه دائر * وحير العقل حين لاح
شق على خضرة المرائر * وقطع الانفس الصحاح
ورب يوم أتى وحيا * كالشمس والنجم والقمر
بالكاس والراح والمحيا * ثلاثة تفتن البشر
وقال قم يانديم هيا * اقض بنا لذة الوطر
فالنور يجلى على المزاهر * من اغتباق الى اصطباح
وطابت الراح بالمجامر * من عنبر الزهر في البطاح

ومما يطرب من الموشحات قول بعضهم

مالي شمول الا شجون * مزاجها في الكاس دمع هتون
لله ما بذر من الدموع * صب قد استعبر من الولوع
أودى به جؤذر يوم الطلوع
فهو قتيل لا بل طعين * بين الرجا واليأس له منون
برحت للعين كي بكى * وحيل ما بيني وبين التي
لا شك بالبين يكون حتفي
حال الرحيل ولي ديون * ان ردها العباس فهو الامين
أمازرى البدر ابدر السعود * فداكتسى خضرا من البرود
اذا انثنى نضرا من القدود
أضحى يقول مت ياحزين * فدا كتسى بالآس الياسمين
قلت وقد شرد النوم عني * وأيأس العود السقم مني
صدق الحاسد قرعت سني
جسمي نحيل لا يستبين * يطلبه الجلاس حيث الانين
تجاوز الحد قلبي اشتياقا * وكابد السهد من لا أطاقا
فلت وقد مد ليلي رواقا
ليلي طويل ولا معين * ياقلب بعض الناس أما تلين

(الباب السادس)

فى مصنفاته فى الفنون ومؤلفاته المحققة للواقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

اعلم أن تصانيف لسان الدين التى علت غرو الستين وكلها فى غاية البراعة بحيث انه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ما جاء به بل وكثير من غير أهل عصره رحمه الله تعالى وقد وقفت بالمغرب على كثير منها وفيها أقول مضمنا بعض تغيير

تصانيف الوزير ابن الخطيب * ألذ من الصبا الغض الرطيب
فآية راحة ونعيم عيش * توازى كتبه أم أى طيب

قال رحمه الله تعالى فى تعريفه بنفسه آخر الاحاطة ما صورته (التواليف) التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى والكتيبة الكامنه فى أدباء المائة الثامنه والاكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر ثم النفاية بعد الكفاية هذا فى نحو القلائد والمطمح لابى نصر الفتح بن محمد وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار ثلاثة وبستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله قل أن شذ عنه فن من الفنون يشتمل على شجرات عشر أولها شجرة السلطان ثم شجرة الوزارة ثم شجرة الكتابة ثم شجرة القضاء والصلاة ثم شجرة الشرطة والحسبة ثم شجرة العمل ثم شجرة الجهاد وهى فرعان اسطول وخيول ثم شجرة ما يضطر باب الملك اليه من الاطباء والمنجمين والبيازرة والبياطرة والفلاحين والندماء والشطرنجيين والشعراء والمغنين ثم شجرة الرعايا وتقسيم هذا كله غريب يرجع الى شعب واصول وجراثيم وعمد وقشر ولحاء وغصون وأوراق وزهرات مثمرة وغير مثمرة مكتوب على كل جزء من هذه الاجزاء بالصبغ اسم الفن المراد به وبرنامجه صورة بستان كمل منه نحو من ثلاثين سفرا ثم قطع عنه الحادث على الدولة وديوان شعرى فى سفرين سميته الصيب والجهام والماضى والكهام والنثر فى غرض السلطانيات كثير والكتاب المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين كتاب ممتع وعائد الصلة وصلت به صلة الاستاذ ابى جعفر بن الزبير فى سفرين وكتاب الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطه كتاب كبير فى أسفار تسعة هذا متصل بآخرها وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الادبيات الثلاثة وجيش التوشيح فى سفرين ومن بعد الانتقال من الاندلس وما وقع من كياد الدولة نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب موضوع جليل فى اربعة أسفار وكتاب عمل من طب لمن حب ومنزلته فى الصناعة الطبية بمنزلة كتاب أبى عمرو بن الحاجب المختصر فى الطريقة الفقهية لا نظير له ومن الاراجيز المسماة برقم الحلل فى نظم الدول والارجوزة المسماة بالحلل المرقومه فى اللمع المنظومه الفية من ألف بيت فى اصول الفقه والارجوزة المسماة بالمعلومة معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة فى العلاج من الرأس الى القدم اذا أضيفت الى رجز الرئيس أبى على كملت بها الصناعة كمالا لا يشينه نقص والارجوزة المسماة بالمعتمده فى الاغذية المفرده والارجوزة فى السياسة المدنية الى ما يشذ عن الوصف كالرجز

فى عمل الترياق الفاروق والكلام على الطاعون المعاصر والاشارة وقطع السلوك ومثلى الطريقه فى ذم الوثيقه حتى فى الموسيقى والبيطرة والبيزرة هذا كشف به الحجاب ولعب بالنفس الايجاب وساعد الزمان ولا تسل بين الرد والقبول والنفى والايجاب ولله در القائل

والكون أشراك نفوس الورى • طوبى لنفس حرة فازت
ان لم تحز معرفة الله قد • أورطها الشئ الذى حازت

وكل ميسر لما خلق له ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهى ماله فى آخر الاحاطة بحروفه • قلت ولنذكر ما تأخر تاريخه عن الاحاطة أو أشير اليه فيها اجمالا فنقول من أشهر تواليفه رحمه الله تعالى كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب فى عدة مجلدات وهو داخل فى قوله السابق فى الاحاطة والنثر فى غرض السلطانيات كثير وهذا الكتاب قد اشتمل من الانشاء على كثير فى أغراض شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف أجناسهم وصدقاتهم وغير ذلك من أحوالهم وأحوال الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى وذكر فى صدره خطب بعض كتبه وفى آخره بعض مقاماته وتقاييده لاهل عصره وغير ذلك وبالجملة فهو كتاب مفرد فى بابه • وقال الامير الشهير العلامة أبو الوليد اسمعيل بن الاحمر رحمه الله تعالى فى كتابه نثير فرائد الجمان فيمن نظمنى واياه الزمان ما صورته لابن الخطيب الاوضاع المصنفات التى آذان اسماعها المقرطات المشنفات منها فى التصوف الذى أكثر أهل الحقائق اليه تقلد التشوف روضة التعريف بالحب الشريف انتهى وعدد غير هذا الكتاب مما قدمنا ذكره وغيره وهذا الكتاب أعنى روضة التعريف غريب المنزع وعارض به ديوان الصبابة لابن أبى حجلة صاحب السكردان وشحنه من التصوف وعبارات أهله العجب العجاب وتكلم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة وبذلك شنع عليه اعداؤه فى نكبته الآخرة التى ذهبت فيها نفسه ونسبوه الى مذهب الحلول وغيره عماذكره يارل حسب ماهابذلك وقد جعل هذا الكتاب شجرة ذات أفنان وعود مشتمل على القشر والعود وأوراقه وأزهارها وأوفى فيه فجزاه الله تعالى عن نيته فانه فى الحب الشريف الربانى بلغ الناظر فيه غاية أمنيته ومن تواليفه رحمه الله تعالى غير ما سبق اللمحة البدريه فى الدولة النصريه وكتاب السحر والشعر ومعيار الاختيار ومفاخرة مالقة وسلا وخطرة الطيف ورسالة الشتاء والصيف وقد ذكرهما فى الريحانة بنصهما وجعلهما من جملة ما اشتملت عليه والمسائل الطبية فى مجلد والكتيبة الكامنه فى شعراء المائة الثامنه ورسالة تكوين الجنين والوصول لحفظ الصحة فى الفصول وكتاب الوزارة ومقامة السياسة والغيرة على أهل الحيرة وحمل الجمهور على السنن المشهور والزبدة الممخوضة والرد على أهل الاباحة وسد الذريعه فى تفضيل الشريعه وتقرير الشبه وتحرير الشبه واستنزال اللطف الموجود فى سر الوجود وأبيات الابيات فيما اختاره رحمه الله تعالى من مطالع مثله من الشعر وقسات الطران واندها الصوان فى سفر يتضمن المقطوعات فقط وكناسة الدكان بعد انتقال السكان

والدرر الفاخره واللجج الزاخره جمع فيه نظم ابن صفوان واعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام والمباخر الطيبه فى المفاخر الخطيبيه وخلع الرسن فى أمر القاضى ابن الحسن وتدوين شعر شيخه ابن الجياب وجمع نثر المذكور وسماه تافه من جم ونقطة من يم وشرحه لكتاب نفسه رقم الحلل فى نظم الدول فهذا ما حضرنى علمه من تواليف لسان الدين رحمه الله تعالى فاما البيزرة ففى مجلد وأما البيطرة فكذلك فى مجلد جامع لما يرجع اليه من محاسن الخيل وغير ذلك وأما رجز الاصول فقد شرحه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور وأما رقم الحلل فى نظم الدول فهو فى غاية الحلاوة والعذوبة والجزالة وقد كنت بالمغرب أحفظ أكثره فنسيته الآن وابتداؤه بقوله

الحمد لله الذى لا ينكره * من سرحت فى الكائنات فكره

وعلق بحفظى الآن منه قوله فى الوليد بن يزيد

ثم الوليد بن يزيد العابث * قد نقلت من فعله خبائث

وفى آخر دولة بنى أمية قوله

وصار قصر الملك من أميه * اقفر ربعا من ديار ميه

وفى الامين

باع العلا بشادن وكاس * وصحبة الشيخ أبى نواس

وفى المعتصم

وهو الذى تالف الاتراكا * فنصبوا القومه الاشراكا

ومن أبيات هذا الكتاب قوله

ويفسد الملك بالاحتجاب * كذلك بالزهو وبالاعجاب

وما أحسن قوله فيه عند ذكر موت بعض الملوك

وأقفرت من مالكه أوطانه * سبحان من لا ينقضى سلطانه

وأما كتاب الاحاطة فهو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة أشد اعجابا به من المغاربة وأكثر لهجا بذكره مع قلته فى هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكى وسماه مركز الاحاطه فى أدباء غرناطه وهو فى مجلدين بخطه رأيت الاخير منهما بمصر وقال فى آخره ما نصه هذا آخر ما أردت ايراده ونويت ايراده من كل طرفة وتحفة وفائدة أدبيه ونادرة تاريخيه فى كتاب الاحاطه بتاريخ غرناطه ولما كان المعول عليه والباعث الداعى اليه ذكر أدبائه ومآثر علمائه سميته مركز الاحاطه بأدباء غرناطه والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا علقه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده الفقير الى عفو ربه محمد بن ابراهيم بن محمد البدر البشتكى لطف الله تعالى به عنه وكرمه مستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى وقد جعل كل أربعة أجزاء من الاصل فى مجلد اذ هو فى مجلدين كما سبق ونسخة الاصل فى ثمان مجلدات فنقص من الاصل ثلاثة ارباع أو نحوها ولما وقف سلطان

الاندلس من كتاب الاحاطة نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه ولنثبتها لما فيها من الفوائد قال الاديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادى آشى نزيل تلمسان المحروسة كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال الفائقة الكمال من الاحاطة بتاريخ غرناطة المحبسة على المدرسة اليوسفية من الحضرة العليه بخط قاضى الجماعه ومنفذ الاحكام الشرعية المطاعه صدر البلغاء وعلم العلماء ووحيد الكبراء وأصيل الحسباء الوزير الرئيس المعظم أبى يحيى بن عاصم رحمة الله تعالى عليه مانصه الحمد لله الجاعل الاستدلال بالاثر على المؤثر مما له الاعلام وشهدت به العقول الراجحة والاحلام وهو الطة المعقدة حين تتفاضل الالباب وتتقاصر الافهام وبه الاستقلال ان طرقت الشكوك أو عرضت الاوهام وحسبك بما يسلم فى هذا المقام العالى من الادله ومايعقد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستقله فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الحق المشار اليه بالقبول ويستقبل المهتدى لاستنباطه لما فيه من التبادر للافهام والتسابق للعقول واذا ثبت أن المستدل بهذه الادلة سالك على سواء سبيل ومنتم من صحة النظر الى أكرم قبيل فلا خفاء أن كتاب الاحاطة للشيخ الرئيس ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار، ومآثرها التى هى عبرة لاولى الالباب وذكرى لذوى الابصار أما الاول فلان الانباء التى أظهرت بهجتها وأوضحت حجتها وشرفت مقصدها وكرمت مصعدها انما هى مناقب ملوكها الكرام ومكارم خلفائها الاعلام أو اخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والاقلام وافذاذ حفظة الدين والدنيا والشرف والعليا والملك والاسلام أو ما يرجع الى مفاخر حضرة الملك وينتظم نظم الجمان فى ذلك السلك من حصانة قلعتها واصالة منعتها وقديم اختطاطها وكريم جهادها ورباطها وحسن ترتيبها وروضها وما اشتمل عليه من مقاصد الانس آهل ربعها وما سوى هذه الاقسام الثلاثة من قبيل القليل ومما يرجع الى شرف الحضرة ممن انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الاثيل وأما ثانيا فان راسم آياتها المتلوه ومبدع محاسنها المجلوه وناقل صورتها من الفعل الى القوه انما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمه ونشأة من نشآت جودها الشامل النعمة الهامل الديمه فما ظهر عليه من كمالات الاوصاف على الانصاف فالخلاف هذه المكارم النصرية ارضعته وعناياتها الجليلة اسمته فوق الكواكب ورفعته واليها ينسب احسانه ان انتسب ومن كريم تشريفها ما اكتسب والحضرة هى منشؤه الذى عظم فيه قدره بل أفقه الذى أشرق فيه بدره والتشريفات السلطانية التى فتقت الهامها الهاما واستمنت من مراقى العز فوق السها وأمكنت الايدى من الذخائر والاعلاق وطوقت المنن كالقلائد فى الاعناق وقلدت الرياسة والاقلام أقلام وثنت الوزارة والاعلام أعلام فبهرت أنواع المحاسن ووردمعين البلاغة غير الطرق ولا الآسن وبرعت التواليف فى الفنون المتعدده واشتهرت التصانيف ومنها هذا

التصنيف

التصنيف المشار اليه لما له من الأذمة المتأكدة اذ أظهر هذا الاستدلال وأوضح البيان ما تممه الاجمال فلنفصح الآن بما قصد ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد وذلك أن لمولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين الغالب بالله المؤيد بنصره أبى عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين أيده الله ونصره وسنى له الفتح المبين ويسره مآثر لم يسبق اليها ومكارم لم يجر أحد ممن وسم بالكرم عليها بجلالة قدرها وضخامة أمرها من ذلك هذا المقصد الذى أثرها كالكتاب المذكور وسواه مما هو واحد فى فنه وفذ فى معناه عقد فى جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هالك ليشمل به الامتاع ويعم به الانتفاع والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم وهذه النسخة فى اثنى عشر سفرا متفقة الخط والعمل اكتتب هذا على ظهر الاول منها وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة عرف الله تعالى بركته بمنه انتهى وكان لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى أرسل فى حياته نسخة من الاحاطة الى مصر ووقفها على أهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء وقد رأيت منها المجلد الرابع وهذا نص وقفيته الحمد لله وحده وقف الفقير الى رحمة الله تعالى الشيخ أبو عمرو بن عبد الله بن الحاج الاندلسى نفع الله تعالى به عن موكله مصنفه الشيخ الامام العلامة بركة الاندلس لسان الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ أبى محمد عبد الله بن الخطيب الاندلسى السلمانى فسح الله تعالى فى مدته وفتح لما رله أبواب رحمته ومنحنا واياه من رفده وعطيته وأسكننا واياه أعالى جنته بجميع هذا الكتاب تاريخ غرناطة وهو ثمانية أجزاء هذا رابعها عن مصنفه المذكور بمقتضى التفويض الذى أحضره وهو أنه فوض اليه النيابة عنه فى جميع أموره المالية كلها وشؤنه أجمعها والنظر فى أحواله على اختلافها وتباين أجناسها تفويضا تاما على العموم والاطلاق والشمول والاستغراق لم يستثن شيأ مما تجوز النيابة فيه الا أسنده اليه وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضى القضاة يومئذ بثغر الاسكندرية المحروس أدام الله تعالى أيامه كمال الدين خالصة أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد بن الربعى المالكى ثبوته مؤرخ بثالث ذى الحجة عام سبعة وستين وسبعمائة وقفا شرعيا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخا ومطالعة وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء رحم الله تعالى واقفها وجعل النظر فى ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن حجلة حرسه الله تعالى ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة فلا يحل لاحد يؤمن بالله العظيم ويعلم انه صائر الى ربه الكريم أن يبطله ولا شيأ منه ولا يبدله ولا شيأ منه فمن فعل ذلك أو أعان عليه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ومن أعان على ابقائه على حكم الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأشهد الواقف الوكيل عليه فى ذلك فى الثانى والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة انتهى * وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقريزى المؤرخ ونصه انتقى منه داعيا لمؤلفه احمد بن على

المقريزي في شهر ربيع سنة ثمانية وثمانمائة وما رقمه الحافظ السيوطي ونصه الحمد لله وحده طالعته على طبقات النحاة واللغويين وكتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة انتهى وبعده بخط مامورته انتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة وبعده مامورته أنهاه نظرا وانتقاء على الجوري المنتقى لطف الله به وبخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الاوان الشيخ محمد البكري الصديقي ما نصه طالعته مبتهجا برياضه المونقه وأزهار معانيه المشرقه مرتشفا في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس مقتبسا من لطائفه دررا وجواهر بل أحاسنها بذلك القياس كتبه محمد الصديقي غفر الله له انتهى ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب كابن دقماق والحافظ ابن حجر وغيره ما من أهل مصر ومن المغاربة ابن المؤلف أبي الحسن علي الخطيب والخطيب الكبير سيدي أبي عبد الله بن مرزوق والعلامة أبي الفضل ابن الامام التلمساني والنحوي الراعي والشيخ الفهامة الشهير يحيي التجيبي شارح الالفية وصاحب التآليف وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم رحم الله تعالى جميعهم * وقد أشار ابن الاحمر حفيد الغني بالله تعالى الذي كان ابن الخطيب وزيراله ثم انفصل عنه حسبما تقدم الى ما يتعلق بكتاب الاحاطة في جملة كلام نصه وتلقينا ممن نثق به أن الكاتب المجيد الاصيل حسبا البارع أدبا أبا عبد الله بن جزي وفد على السلطان أبي عنان صاحب المغرب في حدود عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فأكرم جنابه وكمل من تقريبه واصطناعه آرابه فانتدب الى ذكر وطنه الاندلسي وصاح بن عذله ابا ريح الشجي من الخلي وبرع غاية البراعة في التاريخ الذي جمعه ورفع راية البلاغة لما كلف به ووضعه فلم يكن شئ من الكلام الاقال الاحسان وأنامعه استوعب ماشاء وأبدع في كل ما نقل سواء كان شعرا أو انشاء لكن سابق أجله منع من الامتاع بمجمله ومفصله وجاءت الحادثة العظمى من وفاة مولانا والد جدنا أمير المسلمين أبي الحجاج في غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة فعين التعريف صاحب المغرب بالكائنة خاص الدولة ورئيس الجملة أبا عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب فوقف من تاريخ ابن جزي على شاطئ نهر فياض واتنشق من ورقاته أزاهر رياض وحمله النظر في بدائعه على أن يأخذ في جمع كتابه المسمى بالاحاطه فيما تيسر من تاريخ غرناطه ووجد لذلك موجبا أغراه بجمعه وهو أن الشيخ الحجة الشاعر المفلق ابا اسحق بن الحاج وفد على الاندلس بعد جوبه الآفاق وترحله الى ما وراء الشام والعراق واعلامه أنه يذهب في بداءة تاريخ مذهب ابن جزي وغيره وكان وحيدا في فنون الآداب والمساجلة لاعلام الكتاب وبحكم الاتفاق على أثر وصول ابن الخطيب من الرسالة للسلطان أبي عنان وجد الحاجب الخطير أبا النعيم رضوان قدامة ولي على وظيفة الحجابة والرياسة وأقنعه بالاسم من ذلك المسمى وبان وقفه دون طموحه الى عادته من المرقب الاسمى فأنتج الانتباذ من تلك الرياسة الخطيبية أن ألقى الخطبة على بلالة مقدارها ووضح أنوارها في مرتقى اجلالها واكبارها وأخذ في تأليف الاحاطة

مستدعيا تصحيح الموالد والوفيات والاسماء والمسميات ومستكثرا من طرف المصنفات ليتم قصده من الاطناب ونقله العيون الرائقة من كل كتاب وأتى جميع مقاصده والمعظم من تنظيم فرائده بيد الشيخ العمدة معلم الجلة منا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ابى عبد الله الشريشي قدس الله تعالى ضريحه وهذا الشيخ الذى لم يجاوز سن الكهولة فى ذلك الوقت هو الذى تولى من المبيضات نقله واحكم جنسه وفصله واختم على مجلدات ستة ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائة تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالاصول وأنجز من التحرر فيه الوعد المطول ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المقسمة من اثنى عشر سفرا انتهى كلامه * وقد علمت أن المكتوب فى الوقفية كما مر ثمان مجلدات لا اثنا عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر والله سبحانه وتعالى أعلم * والكاتب أبو عبد الله بن جزى الذى أشار اليه قد عرفنا به فيما سبق فليراجع * وأما العلامة ابن الحاج فهو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن عبد العزيز بن اسحق أحمد بن أسد بن قاسم الكاتب القاضى النميرى ويعرف بابن الحاج الغرناطى قال فى الاحاطة نشأ على عفاف وطهارة وبر وصيانة وبلغ الغاية فى جودة الخط وارتسم فى كتاب الانشاء عام أربعة وثلاثين وسبعمائة مع حسن صمت وجودة أدب وخط وظهور كفاية بقيد ولا يفتر ويروى الحديث مع الطهارة والنزاهة مليح الدعابة طيب الفكاهة شرق وحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلة سفره وناهيك بها طرفة وقفل لافريقية وخدم بعض ملوكها وكتب بجاية ثم خدم سلطان المغرب أبا الحسن ثم كتب عن صاحب بجاية ثم تنزه عن الخدمة وانقطع بتربة الشيخ أبى مدين مؤثر الخمول ذاهبا مذهب العكوف بباب الله تعالى حجة على أهل الحرص والتهافت ثم جبر على الخدمة عند أبى عنان ثم أفلت عند موته فلحق بالاندلس وتلقى ببر وتنويه وعناية وولى القضاء بقرب الحضرة وهو الآن من صدور القضاة وأعيانه متوسط الاكتهال روى عن مشيخة بلده واستكثر وأخذ فى رحلته عن ناس شتى وألف تواليف منها ايقاظ الكرام بأخبار المنام وجزء فى بيان الاسم الاعظم كثير الفائدة ونزهة الحدق فى ذكر الفرق وكتاب اللباس والصحبة فى جمع طرق المتصوفة المدعى انه لم يجمع مثله وجزء فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت بالمشرق وجزء فى الاحكام الشرعية سماه بالفصول المقتضبة فى الاحكام المنتخبة وجزء فى الجدل وجزء صغير فى الحجب والسلاح وجزء صغير سماه بمثالب القوانين فى التورية والاستخدام والتضمين مولده بغرناطة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وامتحن بالاسر مع جماعة بعد قتال عام ثمانية وستين ثم فكه الله تعالى انتهى ملخصا وأخذ عنه جماعة كالقاضى أبى بكر بن عاصم صاحب التحفة وغيره وهو من الادباء المكثرين وكان عندى بالمغرب مجلد من رحلته التى بخطه وقد أتى فيه بالعجب العجاب وتمهر فى الحديث على طريقة أهل المشرق لانه لقى جماعة من الحفاظ كالذهبى والبرزالى والمزى وناهيك بالثلاثة وغيرهم ممن يطول تعداده

وله النظام الرائق العذب الجامع بين جزالة المغاربة ورقة المشارقة كما ستراه فمن نظمه يمدح الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي وقد أبصره على أسرة دار الحديث الاشرفية بدمشق

جمال الدين للاقراء يعلو * أسرته اذا اصطف الرجال

فتجلى محاسنه بدالى * محيا فى أسرته الجمال

ضمن قول المعري

أهل فبشر الاهلين منه * محيا فى أسرته الجمال

وقوله فى الحافظ علم الدين أبى القاسم محمد بن يوسف البرزالى

نوى النوى علم الدين الرضا فانا * من بعد فرقته بالشام ذو ألم

فلا تلمنى على حبى دمشق فقد * أصبحت فيها زمانا صاحب العلم

وقال فيه أيضا

نوى النوى علم الدين الرضا فذكت * نار اشتياقى حتى استعظموا ألمى

فقلت انى من قوم شعارهم * جود فلا تنكروا نارى على علم

وقال فى الحافظ شمس الدين الذهبى

رحلت نحو دمشق الشام مبتغيا * رواية عن ذوى الاحلام والادب

ففزت فى كتب الآثار حين غدت * تروى بسلسلة عنى من الذهب

وقال فى الحافظ المزى أيضا

جمال الدين أضحى فى دمشق * اماما نحوه طال الذميل

فلم أعدم بمنزله جميلا * فحيث هو الجمال هو الجميل

وقال حين بدوره على الامير الصالح المحدث الجليل قطب الدين أبى اسحق ابراهيم ابن الملك المجاهد سيف الدين اسحق ابن السلطان الملك الرحيم بدر الدين بن لؤلؤ بن عبد الله النورى صاحب الموصل ليروى عنه

الى قصد قطب الدين وافيت عندما * أقمت على الترحال فى الشرق والغرب

وأصبحت كالافلاك فى السير والسرى * فها أنا فى مصر أدور على القطب

وقال فى قاضى القضاة العالم الشهير صاحب التفسير عماد الدين الكندى وهو ممن أخذ عنه بثغر الاسكندرية

ولما اختبرت ذوات الورى * تعجبت من حسن ذات العماد

فتلك التى لم أكن مبصرا * مدى عمرنا مثلها فى البلاد

وقال فى القاضى وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجى

أضحى وجيه الدين أسبق سابق * فى العلم والعلياء والخلق النبيه

عجب الورى من سبقه وتحيروا * فأجبتهم لا تنكروا سبق الوجيه

ومن بديع نظمه رحمه الله تعالى قوله

قد قارب العشر بن ظبى لم يكن * ليرى الورى عن حبه السلوانا

وبدا الربيع بخده فكانما * وافى الربيع بنادم النعمانا

وقوله

وعارض فى خده نباته * بحسنه بين الورى يسحرنا
أجرى دموعى اذجرى شوقاله * فقلت هذا عارض ممطرنا

وقال وقد توفى أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولى ابنه أبو حفص عمر بعد قتله لاخوته

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصبا * واخوته أولى وقد جاء بالذكر
فقلت لهم كفوا فما رضى الورى * سوى عمر من بعد موت أبى بكر

وقال

أتونى فعابوا من أحب جماله * وذاك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير أن جفونه * مراض وأن الخصر منه ضعيف

وقال

أيا عجبا كيف تهوى الملوك * محلى وموطن أهلى وناسى
وتحسدنى وهى مخدومة * وما أنا الا خديم بفاس

وقال

لى المدح يروى منذ كنت كاتبا * تصورت مدحا للورى وثناء
ومالى هجاء فاعجبن لشاعر * وكاتب سر لا يقيم هجاء

وقال فى حقه القاضى أبو البقاء خالد البلوى نقلت من خط سيدى ورفيقى وصديقى امام المسلمين برهان الدين أبى اسحق بن ابراهيم بن عبد الله بن الحاج وأ كثر مما كان أنشدنيه قديما من نظمه فى التورية قوله

ومهاة تقول ان هى كلت * ودعا المزاح خل ممازج
وازر الردف ان فى الازرمنى * رمل يبرين يا طبيب وعالج

وقوله

وروض محل جدب المراعى * سريع القيض وقدا والتهابا
حكى ابن أبى ربيعة لاشجرنا * ولكن كونه يهوى الربابا

وقوله

وظبى طرز عارضه واعتى * عذارا بعد زهو باخضرار
رأى سقما بمقلته فوافى * بآس عاد لكن من عذار

وقوله

أتونى بنمام من الروض يانع * سقته الغوادى كل أسحم مدرار
فلا غروان أصليته نار زفرتى * وحكم على النمام الا القا فى النار

وقوله

هذه الشمس بالحجاب توارت * بعد نورها ورحب وبشر
وأتى الليل بالنسيم عليلا * فهو يمشى من أفقه لابن زهر

يعنى بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن زهر الاشبيلى الاندلسى فانه كان وحيد دهره فى الطب فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة الى الغاية وقال أبو اسحق التميرى المذكور

أباد وه الصباح ارفق بصب * تسيل دموعه فى الخد سيلا
وكن يا ليلة ليلا طالت * فها أنا فى الورى مجنون ليلى

وقال يخاطب شيخه سيف الدين

لمولاى سيف الدين فى الفقه بيننا * مقام اجتهاد ليس يلحقه الحيف
فتقليده فرض على أهل عصرنا * ولا عجب عندى اذا قلد السيف

وقال

رعى الله معطار النسيم فانه * رأى من غصون البان ماشاء من عطف
وأبدى حديث الغيث وهو مسلسل * لذا لك عمرى ليس يخلو من الضعف

وترشحت التورية بكون المحدثين يقولون الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ولو فى التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحا كما تقرر فى محله وقال رحمه الله تعالى

نظرت الى روض الجمال بوجهه * وسقيته دمعا به العين تكلف
فصح حديث الحسن عن ورد خدها * وان كان أضحى وهو راو مضعف

وقال رحمه الله تعالى

بدا عارض المحبوب فاحمر خجلة * وأهدى لنا وردا به الحسن ناهض
فقلت له لا تنكر الورد ناضرا * فقد سال فى خديك من قبل عارض

وقال

النوم عن انسان عينى نافر * كالوحش ليس يقارب الانسانا
والدمع منها فاض طوفانا فلا * عجب اذا ماغرق الاجفانا

وقال رحمه الله تعالى

بكت شجنا ففاض الدمع يحكى * يتامى الدر اذ يهوى تؤاما
وسلت من محاجرها سيوفا * نخفت على المحاجر واليتامى

وقال القاضى خالد البلوى رحمه الله تعالى من نظم صاحبنا أبى اسحق بن الحاج النميرى يخاطب شيخه وشيخنا أيضا صاحب ديوان الانشاء الامام جمال الدين ابراهيم ابن الامام العلامة صاحب ديوان الانشاء ملك الكلام قس الفصاحة شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبى وقد تقرب اليه فى قصد الرواية عنه

الى ابن شهاب الدين طال تغربى * فلما سرت عيسى له وركابى
رويت حديث الفضل عنه فصح لى * كما شئت مرويا عن ابن شهاب

وقوله يخاطب كمال الدين بن جمال الدين المذكور

أشبهت والدك الرضا فى فضله * وأخذته عنه بخير مناب
ولكننى بحديث فضلك فى الورى * عن مالك يروى عن ابن شهاب

وقال

وقال رحمه الله تعالى

لعمرك ما ثغره باسم * ولكنه حبب لاعب
ولولم يكن ريقه مسكرا * لما دار من حوله الشارب

وقال رحمه الله تعالى ملغزا في القلم

سألتك ما واش يراد حديثه * ويهوى الغريب النازح الدار انصاحه
تراه مدى الايام أصفر ناحلا * كمثل عليل وهو قد لازم الراحه

وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ما ببعض الثغور وشرب منها

تعجبت من ثغر هذى البلاد * ومولاى من عينها شارب
فلله ثغر أرى شاربا * وعين بدا فوقها حاجب

وقال

وحمراء فى الكاس مشمولة * تحث على العود فى كل بيت
فلا غرو ان جا فى سابقا * الى الانس خل يحث الكميت

وقال

بروضة الظلماء طال اكتئابنا * فلله غيث ميت آمالنا أحيا
واشبه مهيارا فهاتك عينه * تفيض اذا شام البروق على طميا

وقال

اثنان عزا فلم يظفر بنيلهما * وأعوزا من همافى الدهر مطلبه
أخ مودته فى الله صادقة * ودرهم من حلال طاب مكسبه

وقال مور يا بالقائد نافع على ما اختاره البخارى وجماعة ان أصح الاسانيد مالك عن نافع

عن نافع أسند حديث أحتى * يا مالك الرق بحسن صنائع
فأجل اسناد وخير رواية * عندى رواية مالك عن نافع

وقال

انى لاعجب من فعالك فى الهوى * لما حلات بحسن ذاتك ذاتى
ونفيت نومى ثم أثبت الاسى * فجمعت بين النفى والاثبات

وقال

الا معصم للصب من وشى معصم * أطلت اليه نظرة المتوسم
فأبقيت به عينى حلى من سوادها * وبعض سواد وسط قلبى المتيم
وليس خضابا ما علاه وانما * جرى فيه بعد الدمع ماء من دمى
ولم يعدمنى اللون لون سواده * خلا انى اشقى وقبل له انعم

وقال وقد جاء الشاعر المفلق أبو العباس أحمد بن عبد المنان بيت الكتاب وفى عينه خضرة

أبا أحمد المرتضى للعلا * ومن حاز فى صنعه كل زين
تراءيت فى العلم روضا نضيرا * فلا تنكرن خضرة حول عين

وله فيه

لئن الخير عدم السبك ابدل ناظري * زمردة خضرة من لجينه
فلا تنكروا ماراع من ذا التأني * لصائغ تبر القول ناقد شينه
ولا عجب ان أعوز السبك صائغا * فاوجب عدم السبك خضرة عينه

وقال فيمن يعرف بالصهال

ألا رب فرسان نواذوا فأدركوا * مع الليل أوتارا لهم دون امهال
وأجروا بصهال كميتا كما ابتغوا * فلا تنكروا الاجرا منهم بصهال

ولما كتب الرئيس الكاتب الجليل أبو عبد الله العزفي مداعبا

ياعصبة كل فتى منهم علم * فرغتم من كتبكم ردّوا القلم

أجابه ابن الحاج المذكور بقوله

الا احتسبوا ماقد أعرتم لنسبة * تكرمكم بالصفح عن فعلهم قاضي
ولا تطمعوا في الرد فالناس كلهم * رأوا ان مولانا له القلم الماضي

وقال الوادي آشي مما نقلت من خط الكاتب العلامة الصدر البارع الحاج القاضي الناظم الناثر الجامع للمحاسن والمفاخر أبي اسحق ابراهيم بن الحاج النميري مانصه كتب الى الفاضل النخبة أبو الفضل بن رضوان متمثلا بقول المأمون (ملك الثلاث الآنسات عناني)

فكتبت اليه في التورية

هنيأ لك البشرى بمن قد دعم كا * تريد بمسعى للسعادة جامعه
وان كنت من أهل الصلاح فلا تكن * بمائل قلب منك عن حب رابعه

فأجابني بقوله

ياسيدي ذكرتني بالرابعه * لعلها الكل خير جامعه
اني أخاف أن تكون باقعه * فتفرك المغازل المطاوعه

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة

ان الخيام سطت ببيض صفاح * وارت سوادا غال كل صباح
ان مزقت رقعت بنقع كائبي * أوقوضت عمدت بسمر رماح

وله في رثاء الطبيب بن عمار واقترح عليه ذلك ابن جزي

الا أسعدا عيني على السهد والبكا * فقد واصل السهد المبرح تذكاري
وأبدى الردى فتك ابن عباد اذسطا * فلا غروان أبكي لفقدان عمار

وقال مما يكتب في الترس

أنا الترس قد أنشئت بالامس عدة * ليوم جهاد مطلع غرة النصر
فلا قرابي الاعداء في زحفهم ولا * تبالوا بقرع الزرق والبيض والسمر
ولا تنكروا ستري لمتقل حاملي * ففي اسمي كما شاهدتم أشرف الستر

وله يهنئ السلطان أبا عنان أمير المؤمنين المريني بالابلال من المرض

مطالب الانام حق مواهب * قضى الله أن تقضى فنعم المطالب
شفاء أمير المؤمنين وانه * لاكرم من تحدى اليه الركائب

وكم قلت غاب البدر والشمس ضلة * ورانت على قلبى الهموم الرواصب
ولم يغبا لكن شكا الضر فارس * وأوحش منه مجلس الملك غائب
لك الله يا خير الملوك وخير من * تحن له حتى العتاق الشوازب
وقل لمن وافى بشير انفوسنا * فما هى الابعض ما أنت واهب
أقول لجرد الخيل قبا بطونها * معقدة منها الحرب سباسب
طوالع من تحت العجاج كأنها * نعام بكثبان الصريم خواضب
محجلة غرا كأن رعالها * جمار برت فيها الصبا والجنائب
من الاعوجيات الصوافن ترتمى * اذا رجفت يوم القراع مقانب
هنيئا فقد صح الامام الذى به * تفل السيوف المرهفات القواضب
ومستأصل الفل المغذ جياده * لضرب كما ترغو الفحول الضوارب
ومن حطم السمر الطوال كعوبها * بطعن كما امتاح الركية شارب
وكر على أرض العدا بفوارس * كأنهم فى الحرب أسد غوالب
كأن ظباهم فى الهياج أكفهم * تجود وارواح العداة مواهب
كأن رماح الخط احسابهم وما * حوت من نفوس المعتدين مناقب
هم ماهم حدث عن البحر أو بنى * مرين فنهج القول أبلج لاحب
من البيت شادت قيس عيلان فخره * فطالت معاليه وطابت مناسب
وأحيا له ملك الخليفة فارس * مآثر غالتها الليالى الذواهب
كريم فلا المادى الجائب مخفق * لديه ولا الماضى الركائب خائب
ارى بذله النعمى فقضت مكاسب * ارى بأسه الانضى فقضت كتائب
أنامله يروى الورى صوب جودها * فلولا دوام الرأى قلت السحائب
وكم خلت برقا فى الدجى نور بشره * تشيم سناه الناجيات النجائب
فأخجلنى أنى ارى البرق خلبا * فلا الصوب هام لا ولا الجود ساكب
أعرنى أمير المؤمنين بلاغة * فانى عن عجز لمدحك هائب
وأنطق لسانى بالبيان معلما * فانى فى التعليم للجود راغب
وكيف ترى لى بعد فى الجود رغبة * وجودك لى فوق الذى أنا طالبه
وقد شبت الآمال اذ شبت ثم اذ * تفقدتها لم يدر ما شيب شائب
بلغت بك الآمال حتى كأنها * وقد صدقت ما ظننت صدقا كواذب
عجبت وما تولى وأوليت معجبا * فلا برحت تنولديك العجائب
وحسبى دعاء لو سكت كفيته * كما قيل لكن فى الدعاء مذاهب
وما أنا الا عبدك الخاص الذى * يراقب فى اخلاصه ما يراقب
فخذها بث العذر لا المدح انه * هو البحر قل هل يجمع البحر شاجب
بقيت بقاء الدهر ملكك قاهر * وسيبك فياض وسيفك غالب
وعوفيت من ضر وأعطيت أجره * ولا روعت الا عداك النوائب

حيث شابت مفارق الارز نورا • وتساقطن كالجبين الصريح
وبدا منه كلما اهتز بحكى • شفقا مزقته أيدى الريح
وكان الذى تساقط منه • نقط لحسن من دم مسفوح
واذا ما رحلتم للمصلى • فلتحلوا بموضع التسريح
وبطيفورها فطوفوا لكيما • تبصروا من ذراه كل سطوح
ولتقيموا هناك لحة طرف • لتردوا به ذماء الروح
ثم حطوا رحالكم فوق نهر • كل فى وصفه لسان المديح
فوق ساقاته حدائق خضر • ليس عنها لعاشق من نزوح
وكأن الطيور فيها قيان • هتفت بين أعجم وفصيح
وهى تدعوكم الى قبة الجو • زهلموا الى مكان مليح
فيه ما تشتهون من كل لون • مغلق فى الكمام أو مفتوح
وغصون تميح رقصا اذا ما • سمعت صوت كل طير صدوح
فأجيبوا دعاءها أيها السر • ب وخلوا مقال كل نصيح
واجنحوا للصبوح فهو جدير • وخليق من مثلكم بالجنوح
واخلعوا ثم للتصابى عذارا • ان خلع العذار غير قبيح
واذا شئتم مكانا سواه • هو أجلى من ذلكم فى الوضوح
فاجعلوا أمركم لخير خليج • تباه كل العلى من قمار فسيح
عطرت جانبيه كف الغوادى • بشذا عرف زهرها المنزوح
قل لمن قال ان شممت شذاها • قول مستخبر أخى تجريح
أين هذا الشذا الذكى من القيصوم والرند والغضى والشيح
حبذا ذلك المهاد مهادا • بين دان من الربا ونزوح
ثم من ذلك المهاد أفيضوا • نحو هضب من الهموم مريح
فيه للعين دوحة وروابا • وانشراح لذى فؤاد قريح
وبحار تدعى بحار طبول • غير أن التطبيل غير صحيح
تنثر الشمس ثم كل غدير • زعفرانا مبللا بنضوح
وترى من هناك بيى عقولا • ويجلى لحاظ طرف طموح
وعيون بها تقر عيون • وكلاها بأسو كلوم الجريح
فرشت فوقها طنافس زهر • ليس كالمهن نسجها والمسوح
كلما مرّ فوقهن طليح • عاد من حسنهن غير طليح
فانهضوا أيها المحبون مثلى • لنرى ذات حسنها المسارح
هكذا يربح الزمان والا • كل عيش سواه غير ربيح
وما أحسن قول الكاتب الثغرى يمدح تلمسان وسلطانها المذكور آنفا
تاهت تلمسان بحسن شبابها • وبدا طراز الحسن من جلبابها

فالدهر يبدو من حباب ثغورها * متبسما أومن ثغور حبابها
قد قابلت زهر النجوم بزهرها * وبروجها ببروجها وقبابها
جمعت بحسن مليكها المولى أبي * حمو الذي يحمي حمى أربابها
ملك شمائله كزهر رياضها * ونداه فاض بها كفيض عبابها
أعلى الملوك الصيد من أعلامها * وأجلها من صفوها ولبابها
غارت بغرته ووجهه شمس الضحى * وتنقبت خجلا بثوب ضبابها
والبدر حين بدت أشعة باله * حسنا تضاءل نوره وخبابها
فله حضرته التي قد شرفت * خدامها فسموا بخدمة بابها
فالنجم في عليائه يبلغها المنى * والمدح في عليائه من اسبابها

وللثغري المذكور قصيدة لامية بديعة في مدح السلطان ابي حمو ووصف بلاد تلمسان وأجاد فيها الى الغاية وهي

قم مبصرا زمن الربيع المقبل * ترما يسر الجتني والمجتلي
وانشق نسيم الروض مطلولا وما * أهداك من عرف وعرف فاقبل
وانظر الى زهر الرياض كأنه * درّ على لبات ربات الحلي
في دولة فاضت يداها بالندى * وقضت بكل منى لكل مؤمل
بسطت بأرجاء البسيطة عدلها * وسطت بكل معاند لم يعدل
سلطانها المولى أبو حمو الرضا * ذو المنصب السامي الرفيع المعتلي
تاهت تلمسان بدولته على * كل البلاد بحسن منظرها الجلي
راقت محاسنها ورق نسيمها * فحلا بها شعري وطاب تغزلي
عرّج بمنعرجات باب جيادها * وافتح بها باب الرجاء المقفل
والغد للعباد منها غدوة * تصبح هموم النفس عنك بمعزل
وضريح تاج العارفين شعيبها * زره هناك فذا الذي الولي
فزواره للدين والدنيا معا * تمحي ذنوبك أوكروبك تنجلي
وبكهفها الضحاك قف متنزها * تسرح نفوسك في الجمال الاجمل
وتمش في جناتها ورياضها * واجنح الى ذاك الجناح المخضل
تسليك في دوحاتها وتلاعها * نغم البلابل واطراد الجدول
وبربوة العشاق سلوة عاشق * فتنت والحاظ الغزال الاكحل
بنواسم وبواسم من زهرها * تهدي اليك انفاسا كعرف المندل
فلو امرؤ القيس بن حجر راءها * قدما تسلى عن معاهد ماسل
لو حام حول فنائها وظبائها * ماكان محتفلا بحومة حومل
فاذكر اهاكأني بسقط لوائها * فهواي عنها الدهر ليس بمنسل
كم جادلي فيها الزمان بمطلب * جادته أخلاق الغمام المسبل
واعمد الى الصفصيف يوما ثانيا * وبه تسل وعنه دأبا فاسأل

وادٍ تراه من الازاهر حاليا • أحسن به عطلا وغير معطل
ينساب كالايم انسيابا دائما • أو كالحسام جلاه كف الصيقل
فزلاله في كل قلب قد حلا • وجماله في كل عين قد حلي
واقصد بيوم ثالث فوارة • وبعذب منهلها المبارك فانهل
تجري على در لجينا سائلا • أحلى واعذب من رحيق سلسل
واشرف على الشرف الذي بازائها • لترى تلمسان العلية من عل
تاج عليه من المحاسن بهجة • أحسن بتاج بالبهاء مكلل
واذا العشية شمسها مالت فزل • نحو المصلى ميلة المتمهل
وملاعب الخيل الفسيح مجاله • أجل النواظر في العتاق الجفل
فحلبة الاشراف كل عشية • لعب بذاك الملعب المتسهل
فترى المجلي والمصلي خلفه • وكلاهما في جريه لا يأتلي
هذا يكر وذا يفر فينثني • عطفا على الثاني عنان الاول
من كل طرف كل طرف يستبي • فيسد النواظر ثنة المتأمل
ورد كأن أديمه شفق الدجى • أو أشهب كشهاب رجم مرسل
أو من كميت لا نظير لحسنه • سام معم في السوابق مخول
أو احمر قاني الاديم كعسجد • أو أشقر يزهو بعرف أشعل
أو أدهم كالليل الا غرة • كالصبح بورك من أغر محجل
جمع المحاسن في بديع شياته • مهما ترف العين فيه تنهل
عقبان خيل فوقها فرسانها • كالاسد تنقض انقضاض الاجدل
فرسان عبد الواد آساد الوغى • حماة الذمار اولو الفخار الاطول
فاذا دنت شمس الاصيل لغربها • فالى تلمسان الاصيلة فادخل
من باب ملعبها الباب حديدها • متنزها في كل ناد أحفل
وتأن من بعد الدخول هنيهة • واعدل الى قصر الامام الاعدل
فهو المؤمل والديار كناية • والسر في السكان لا في المنزل
فاذا أمير المؤمنين رأيته • فالثم ثرى ذاك البساط وقبل
فالجود لفظ في الحقيقة مجمل • وحلاه تفصيل لذاك المجمل
بشرى لعبد الواد بالملك الذي • خلصوا به من كل خطب معضل
بأعزهم جارا وامنعهم حمى • وأجلهم مولى واعظم موئل
بالعادل المستنصر المنصور والمأمون والمهدي والمتوكل
وكفاهم سعدا أبو حمو الذي • يحمي حماهم بالحسام الفيصل
وبحسن نيته لهم وبجده • وبسعده وبسعيه المتقبل
ذو الهمة العليا التي آثارها • حلت بفوق السماك الاعزل
بحر الندى الاحلى وثغر المنتدى • وسنا الدجى الاجلى وزين المحفل

يتهلل منه لنا الجدا وبه الدجى * تجلى بمشرق وجهه المتهلل
فيه زمن الربيع وقل له * بشرى بأطلع من هلالك وأجمل
وعلى علاه من صنيعة فضله * ترداد نافحة السلام الاكمل

وكانه عارض بهذه القصيدة قطعة فى بحرها ورويها فى مدح مدينة فاس لبعض العلماء وأظنه القاضى المزدغى وهى

يافاس حيا الله أرضك من ثرى * وسقاك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التى أربت على * حمص بمنظرها البهى الاجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها * ماء ألذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت * بجداول كالايم أو كالفيصل
وبجامع القرويين شرف ذكره * أنس بذكراه يهيج تململى
وبصحنه زمن المصيف عجائب * فمع العشى الغرب فيه استقبل
واشرب بتلك البيلة المستنابه * واكرع بها عنى فديتك وانهل

وقد تمثل لسان الدين رحمه الله تعالى فى مدينة فاس بقول القائل

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه ريش جناحه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤس

وما أحسن قوله أعنى لسان الدين فى مدح تلمسان

حيا تلمسان الحيا فربوعها * صدف يجود بدرها المكنون
ماشئت من فضل عميم ان سقى * أروى ومن ليس بالممنون
أوشئت من دين اذا قدح الهدى * أورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقة * قد أزهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة أم يحيى أنجبت * فلها الشفوف على عيون العين

يعنى بحبيبة أم يحيى عين ماء بتلمسان من أعذب المياه وأخفها وكانت جارية بالقصور السلطانية ولم تزل الى الآن منها بقية آثار ورسوم والبقاء لله تعالى وحده * ومن مدح تلمسان الحاج الطبيب أبو عبد الله محمد بن أبى جمعة الشهير بالتلاليسى رحمه الله تعالى اذ قال

سقى الله من صوب الحيا ما هطل وبلا * ربوع تلمسان التى قدرها استعلى
ربوع بها كان الشباب مصاحبى * جررت الى اللذات فى دارها الذيلا
فكم نلت فيها من أمان قصية * وكم مخ الدهر الضنين بها النيلا
وكم غازلتنى الغيد فيها تلاعبا * وكل عذول لا أطيع له قولا
وكم ليلة بتنا على رغم حاسد * نديركؤس الوصل اذبالصفا تملا
وكم ليلة بتنا بمصيفها الذى * تسامى على الانهار اذ عدم المثلا
وكدية عشاق لها الحسن ينتمى * يعود المسن الشيخ من حسنها طفلا
ثم وغدير الجوزة السالب الحجا * نعمت بها طفلا وهمت بها كهلا
ومنه ومن عين أم يحيى شرابنا * لانهما فى الطيب كالنيل بل أحلى

وعاد هاما الملب نام ذمامه * به روضة للعمر قد جملت حلا
به شيخنا المشهور فى الارض ذكره * أبو محمد بن أهلا به دائما أهلا
لها بهجة تزرى على كل بلدة * بتاج عليها كالعروس اذا تجلى
فيا جنة الدنيا التى راق حسنها * فخارت على كل البلاد به الفضلا
ولا عجب ان كنت فى الحسن هكذا * وموسى الامام المرتضى فيك قد حلا
ولاحت لديك أنوار منه محاسن * كان سناها حاجب الشمس اذ جلى
مطاع شجاع فى الوغى ذو مهابة * حسام على الباغين فى الارض قد سلا
كريم حليم حاتمى نواله * سعيد حميد يصدق القول والفعلا
له راحة كالغيث ينهل ودقها * وصارم نصر من هف الملك لا فلا
هو الملك الارقى هو الملك الرضا * هو الملك الاسنى هو الملك الاعلى
ومن هذه الاوصاف فيه تجمعت * حقيقا على كل المعالى قد استولى
امام حماه الله ملكا موزرا * فلا ملك الا العزنه ذلا
من الراب وافانا عزيزا مظفرا * يجر من النصر المحوط به ذيلا
بدت للملك العرب شدة بأسه * وانعامه للمستقين وما أولى
فبادره بالصلح خوف قوانه * وسالمه اذ كان ذلك به أولى
فكان بحمد الله صلحا مهنأ * به طابت الدنيا وجر بابه السبلا
له فى المعالى رتبة لا ينالها * سواه وكتب فى فضائله تتلى
لطاعته كل الانام تبادرت * فيا سعد من وافى وبايع من ولى
أحساده موتوا فان قلوبكم * بجمر الغضى مما بها أبدا تصلى
لقد جبر الله البلاد بملكه * به ملئت أمنا به ملئت عدلا
فلا زال هذا الملك فيه مخلدا * وصارمه الامضى وخادمه الاعلى

ومما مدحت به تلمسان قول الامام الصوفى أبى عبد الله محمد بن خميس الذى تقدم ذكره فى هذا الكتاب وبعض ما يتعلق به وذكرنا أيضا فيما مر بعض أمداحه لها

تلمسان جادتك السحاب الروائح * وأرست بواديك الرياح اللواقح
وسح على ساحات باب جيادها * ملث يصافى تربها ويصافح
يطير فؤادى كلما لاح لامع * وينهل دمعى كلما ناح صادح
فنى كل شفر من جفونى مائح * وفى كل شطر من فؤادى قادح
فما الماء الا ما تسح مدامعى * ولا النار الا ما تجن الجوانح
خليلى لا طيف لعلوة طارق * بليل ولا وجه لصبحى لائح
نظرت فلا ضوء من الصبح ظاهر * لعينى ولا نجم الى الغرب جانح
بحقكما كفا الملام وسامحا * فما الخل كل الخل الا المسامح
ولا تعذلانى واعذرانى فقلما * يردعنانى عن علية ناصح
كتمت هواها ثم برح بى الاسى * وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

لساقية الرومى عندى مزية * وان وغمت تلك الروامى الروائح
فكم لى عليها من غدو وروحة * تساعدنى فيها المنى والمنائح
فطرف على تلك البساتين سارح * وطرف الى تلك الميادين جامح
تحار بها الاذهان وهى ثواقب * وتهفو بها الاحلام وهى بوارح
ظباء مغانيها عواط عواطف * وطير مجانيها شواد صوادح
تقاتلهم فيها عيون نواظر * وتبكيهم منهم عيون نواضح
على قرية العباد منى تحية * كما فاح من مسك اللطيمة فائح
وجاد ثرى تاج المعارف ديمة * تغص بها تلك الربا والاباطح
الى شعيب بن الحسين قلوبنا * نوازع لكن الجسوم نوازح
سعيت فما قصرت عن نيل غاية * فسعيك مشكور وتجرك رابح
نسيت وما انسى الوريط ورقمة * انافح فيها روضه وافاوح
مطلا على ذاك الغدير وقد بدت * لانسان عينى من صفاه صفائح
أماؤك أم دمعى عشية صدقت * علية فينا ما يقول المكاشح
لئن كنت ملآنا بدمعى طافحا * فانى سكران بحبك طافح
وان كان مهرى فى تلاعك سائحا * فذاك غزالى فى عبابك سابح
تراح أبى ينصب من رأس شاهق * بمثل حلاه تستحث القرائح
أرق من الشوق الذى أنا كاتم * وأصفى من الدمع الذى أنا سافح
أما وهوى من لا أسميه اننى * لعرضى كما قال النصيح لناصح
أبعد صيامى واعتكافى وخلوتى * يقال فلان ضيق الصدر بائح
ابعت رشادى فيه بالغى ضلة * وكم صالح مثلى غدا وهو طالح
وأى مقام ليس لى فيه حاسد * وأى مقال ليس لى فيه مادح
ألا قل لفرسان البلاغة أسرجوا * فقد جاءكم منى المكافى المكافح
أيخمل ذكرى عندهم وهو نابه * ويغمط شعرى عندهم وهو شائح
بدور اذا جن الظلام كوامل * وأسد اذا لاح الصباح كوالح
تركت سوق البزلاء تهاون * وكيف وظبيى سنح فيك بارح
وانى وقلبى فى ولائك طامع * وناظر وهمى فى سماطك طامح
أيا أهل ودى والعشير مؤمن * أتقضى ديونى أم غريمى فالح
وهل ذلك الظبى النصاحى للذى * يقطع من قلبى بعينيه ناصح
كنيت بما عنه حياء وحشمة * ووجه اعتذارى فى القضية واضح

وتلمسان هذه هى مدينتنا التى علقت بها التمائم وقد نزلها من سلفنا عبد الرحمن بن أبى بكر المقرى بن على صاحب الشيخ أبى مدين الذى دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين وهو الاب الخامس كما سبق فى ترجمة أخبارهم وهى من أحسن مدائن المغرب ماء وهواء حسبما قال ابن مرزوق (يكفيك منها ماؤها وهواؤها) وقال الكاتب أبو زكريا يحيى

ابن خلدون فى كتابه بغية الرواد فى أخبار بنى عبد الواد وأيام أبى حمو الشامخة الاطواد بعد كلام فى شأن البربر ما صورته ودار ملكهم وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من تلم ومعناه تجمع وسن ومعناه اثنان أى الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا العلامة أبو عبد الله الابلى رحمه الله تعالى وكان حافظا بلسان القوم ويقال تلشان وهو أيضا مركب من تلم ومعناه لها وشان أى لها شان وهى مدينة عريقة فى التمدن لدنة الهواء عذبة الماء كريمة المنبت اقتعدت بسفح جبل ودوين رأسه بسيط أطول من شرق الى غرب عروسا فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين ويطل منها على فحص أفيح معد للفلاحة تشق ظهوره الاسلحة عن مثل أسنمة المهارى وتبقر فى بطونه عند تدميث الغمائم عن مثل بطون العذارى وبها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقه والصروح الشاهقه والبساتين الرائقه مما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ونوسبت أطواله وعروضه فأزرى بالخورنق وأخجل الرصافة وعبث بالسدير وتنصب اليها من على أنهار من ماء غير آسن تتجاذبه أيدى المذانب والاسراب المكفورة خلالها ثم ترسله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور وعلية الدور والحمامات فيعم المصارج ويفهق الحياض ويسقى ريعه خارجها مغارس الشجر ومنابت الحب فهى التى بهرت الالباب رواء وأصبت النهى جمالا ووجد المادحون فيها المقال فأطالوا وأطابوا الى أن قال فأنا أنشد ساكنها قول ابن خفاجة لاستحقاقها اياه عندى

ماجنة الخلد الا فى منازلكم * وهذه كنت لو خيرت اختار
لا تتقوا بعدها أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

وتوسطت قطرا ذا كور عديدة تعمرها أمشاج البربر والعرب مريعة الجنبات منجبة للحيوان والنبات كريمة الفلاحة زاكية الاصابة فربما انتهت فى الزوج الواحد منها الى أربعمائة مد كبير ثم أطال فى ذلك ابن خلدون المذكور بما يوقف عليه فى الكتاب المذكور * ومما نسب للسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى فى وصفها ما صورته تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف ووضعت فى موضع شريف كأنها ملك على رأسه تاجه وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه عبادها أبدها وكهفها كفها وزينتها زيانها وعينها أعيانها هواؤها المقصور بها فريد وهواؤها الممدود صحيح عتيد وماؤها برود صريد حبيبة أيدى القدرة عن الجنوب فلا تحول فيها ولا شحوب خزانة زرع ومسرح ضرع فواكهها عديدة الانواع ومتاجرها فريدة الانتفاع وبرانسها رقاق رفاع الا انها بسبب حب الملوك مطمعة للملوك ومن أجل جهادها الصيد فى جرف الفرا مغلوبة للامرا أهلها ليست عندهم الراحه الا فيما تبعث عليه الراحه ولا فلاحه الا لمن أقام رسم الفلاحه ليس بها السح المقارب الا فيما بين الاقارب ولا شطاره الا فيمن ارتكب الخطاره انتهى * وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع فى شانها كتابا سميته بأنواء نيسان فى أنباء تلمسان وكتبت بعضه ثم حالت بينى وبين ذلك العزم الاقدار وارتحلت منها الى حضرة فاس حيث ملك الاشراف ممتد الرواق فشغلت بأمور

الامامة والفتوى والخطابة وغيرها ثم ارتحلت بنية الحجاز وجعلت الى الحقيقة المجاز وها أناذا الى الآن فى البلاد المصرية وفى علم الله تعالى مالا نعلم والتسليم لاحكام الاقدار أسلم والله تعالى يختم لنا بالحسنى بجاه نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم وبها ولدت أنا وأبى وجدى وجد جدى وقرأت بها ونشأت الى أن ارتحلت عنها فى زمن الشبيبة الى مدينة فاس سنة تسع وألف ثم رجعت اليها آخر عام عشرة وألف ثم عاودت الرجوع الى فاس سنة ثلاث عشرة وألف الى أن ارتحلت منها للمشرق أواخر رمضان سنة سبع وعشرين وألف ودخلت مصر برجب من عام ثمانية وعشرين وألف والشام بشعبان عام سبعة وثلاثين وألف وأبت منها الى مصر أواخر شوال من العام وشرعت فى هذا المؤلف بالقعدة من العام وقد تخرج بتلمسان من العلماء والصلحاء مالا ينضبط ويكفيها افتخارا دفن ولى الله سيدى أبى مدين بها وهو شعيب بن الحسين الاندلسى شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوة السالكين قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن التلمسانى فى كتابه النجم الثاقب فيما لاولياء الله تعالى من المناقب كان الشيخ سيدى أبو مدين فردا من أفراد الرجال وصدرا من صدور الاولياء الابدال جمع الله له علم الشريعة والحقيقة وأقامه ركن الوجود هاديا وداعيا للحق فقصد بالزيارة من جميع الاقطار واشتهر بشيخ المشايخ وذكر التادلى وغيره أنه خرج على يده ألف شيخ من الاولياء أولى الكرامات وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته كان أبو مدين زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى خاض بحار الاحوال ونال أسرار المعارف خصوصا مقام التوكل لا يشق غباره ولا تجهل آثاره قال التادلى كان مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه الى الله تعالى حتى ختم له بذلك أخبرنى من شهد وفاته أنه رآه فى آخر رمق يقول الله الحق وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصا جامع الترمذى وكان يقوم عليه ورواه عن شيوخه عن أبى ذر وكان يلازم كتاب الاحياء ويعكف عليه وترد عليه الفتاوى فى مذهب مالك فيجيب عنها فى الوقت وله مجلس وعظ يتكلم فيه فيجتمع عليه الناس من كل جهة وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع وربما مات بعضها وكثيرا ما يموت بمجلسه أصحاب الحب تخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين وأرباب الاحوال وكان شيخه أبو يعزى يثنى عليه جميلا ويخصه بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل قرأ بفاس بعد قدومه من الاندلس على الشيخ الحافظ أبى الحسن بن حرزهم وعلى الفقيه الحافظ العلامة أبى الحسن بن غالب وذكر عنه انه قال كنت فى أول أمرى وقراءتى على الشيوخ اذا سمعت تفسير آية أو معنى حديث قنعت به وانصرفت لموضع خال خارج فاس أتخذه مأوى للعمل بما فتح به على فاذا خلوت به تأتينى غزالة تأوى الى وتؤنسنى وكنت أمر فى طريقى بكلاب القرى المتصلة بفاس فيدورون حولى ويبصبصون لى فبينما أنا يوما بفاس اذا برجل من معارفى بالاندلس سلم على فقلت وجبت ضيافته فبعت ثوبا بعشرة دراهم فطلبت الرجل لادفعها له فلم أجده هنالك فحملتها معى وخرجت لخلوتى على عادتى فمررت بقريتى فتعرض لى الكلاب ومنعونى الجواز حتى خرج من القرية من حال بينى وبينهم ولما وصلت لخلوتى جاءتنى الغزالة على عادتها فلما

ملأت علومه سري وجهري وأضاء بنوره بري وبحري فالمقرب من كان به عليما ولا يسمو الامر أو في قلبا سليما الذي يسلم عما سواه ولا يكون في الوعاء الا ما جعل فيه مولاه فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وسئل عن الحياء فقال أوله دوام الذكر وأوسطه الانس بالمذكور وأعلاه أن لا ترى شيأ سواه واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولي أم نبي فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فقال صلى الله عليه وسلم الخضر نبي وأبو مدين ولي وذكر التادلي وغيره أن رجلا جاء ليعترض عليه فجلس في الحلقة فأخذ صاحب الدولة في القراءة فقال له أبو مدين أمهل قليلا ثم التفت الى الرجل وقال له لم جئت فقال لاقتبس من نورك فقال له ما الذي في كمك فقال المصحف فقال له افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر فاذا فيه الذين كذبوا شعيبا الى الخاسرين فقال له أبو مدين أما يكفيك هذا فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله وذكر صاحب الروض عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه قال مر شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب فرأى أسدا افترس حمارا وهو يأكله وصاحبه جالس بالبعد على غاية الحاجة والفاقة فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الاسد وقال لصاحب الحمار أمسك الاسد واذهب به واستعمله في الخدمة موضع حمارك فقال له يا سيدي أخاف منه فقال لا تخف لا يستطيع أن يؤذيك فمر الرجل يقوده والناس ينظرون اليه فلما كان آخر النهار جاء الرجل ومعه الاسد للشيخ وقال له يا سيدي هذا الاسد يتبعني حيث ذهبت وأنا شديد الخوف منه لا طاقة لي بعشرته فقال الشيخ للاسد اذهب ولا تعد ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم (ومن مشهور كراماته) أنه كان ماشيا يوما على ساحل فأسره العدو وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين فلما استقر في السفينة توقفت عن السير ولم تتحرك من مكانها مع قوة الريح ومساعدتها وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير فقال بعضهم أنزلوا هذا المسلم فانه قسيس ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى وأشاروا اليه بالنزول فقال لا أفعل الا ان أطلقتم جميع من في السفينة من الاسارى فعلموا أن لا بد لهم من ذلك فأنزلوهم كلهم وسارت السفينة في الحال (ومن كراماته) أنه لما اختلف طلبة بجاية في حديث اذا مات المؤمن أعطى نصف الجنة وأشكل عليهم ظاهره أي لو مات مؤمنين يستحقان كل الجنة فجاؤا اليه وهو يتكلم على رسالة القشيري فكاشفهم في الحال بلا سؤال وقال لهم المراد أنه يعطى نصف جنته هو ويكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ثم النصف الآخر يوم القيامة وكان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل وذكر تلميذه الصالح سيدي عبد الخالق التونسي عنه أنه قال سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء وكان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به وطال علي الليل في انتظاره فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فاذا هو الذي يسألني فقلت له أنت موسى الطيار فقال نعم ثم سألني وانصرف ثم جاءني مع رجل آخر فقال لي صلينا الصبح ببغداد وقدمنا

وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد فترقى الى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم ابراهيم ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف في بابه بالاجادة ولما برت الحادثة على السلطان صاحب الامر بالاندلس واستقر بالمغرب أنس له وانقطع اليه وكر في صحبة ركابه الى استرجاع حقه ولطف منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال وردالت الدولة وكانت له الطائلة فاوزه على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة مضطلعا بالخطة خطا وانشاء واسنا وتقدا حسن مناية واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وأرضى السلطان جده وامتد في ميدان النظم والنثر باعه فصدرعنه من المنظوم في أمداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الاجادة وهو بحاله الموصوفة الى هذا العهد اعانه الله تعالى و (شيوخه) قرأ العربية على الاستاذ رحلة المغرب في فنها أبي عبد الله بن الفخار وعلى القاضي الشريف امام الفنون اللسانية أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني والفقه والعربية على الاستاذ المفتي أبي سعيد بن لب واختص بالفقيه الخطيب المصدر المحدث أبي عبد الله ابن مرزوق فأخذ عنه كثيرا من الرواية ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقري عند مادم من الاندلس وذاكره وقرأ الاصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي وروى عن جماعة منهم القاضي أبو البركات بن الحاج والمحدث أبو الحسين بن التلمساني والخطيب أبو عبد الله بن اللوشي والمقرئ أبو عبد الله بن بيبش وقرأ بعض الفنون العقلية بمدينة فاس على الشريف رحلة الشهير أبي عبد الله العلوي التلمساني واختص به اختصاصا لم يخل فيه من استفادة عمران وحنكة في الصنعة (شعره) وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة فمن ذلك مما خاطبني به وهو من أول مانظمه قصيدة مطلعها أما واصداع الدور من مطالع الفجر وهي طويلة ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قيام قيس واشتهرت بالاحسان اشتهار الرهد بأويس ولم يحل مجاريه ومباريه الا بويح وويس قوله في اعذار الامير ولد سلطانه المنوه بكانه وهي من الكلام الذي عيت الاجادة بتذهيبه وتهذيبه وناسب الحسن بين مذهبه ونسيبه

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا * وأن يشغل اللوام بالعذل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي * ويقضي علي الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العوادل صبوة * رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب اذا ما البرق أومض موهنا * قدحت به زند الشوق واريا
خليلي اني يوم طارقة النوى * شقيت بمن لو شاء أنعم باليا
وبالخيف يوم النفر يا أم مالك * تخلفت قلبي في حبالك عانيا
وذي أشر عذب الثنايا محصر * يسقي به ماء النعيم الاقاحيا
أسوم عليه مادجا الليل ساهرا * وأصبح دون الورد ظمآن صاديا
يهيم ظلام الليل ما بين أضلعي * اذا البارق النجدي وهنا بداليا

أجيرتنا بالرمل والرمل منزل * مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
ولم أرربعا منه أقضى لبانة * وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
سقت طله الغر الغوادى ونظمت * من القطر فى جيد الغصون لآليا
أبثكم انى على الناى حافظ * ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم والحر أوفى بعهده * وان يعدم الاحسان والخير جازيا
هل الود الا ما تحاماه كاشح * واخفق فى مسعاه من جاء واشيا
تأوبنى والليل يذكى عيونه * ويسحب من ذيل الدجنة ضافيا
وقد مثلت زهر النجوم بأفقه * حبابا على نهر المجرة طافيا
خيال على بعد المزار ألم بى * فاذكرنى من لم أكن عنه ساليا
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعى * ولم يبق منى السقم والشوق باقيا
رفعت له نار الصبابة فاهتدى * وخاض اليها عرض الدجنة ساريا
ومما أجد الوجد سرب على النقا * سوانح يصقلن الطلا والتراقيا
نزعن عن الالحاظ كل مسدد * فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
ولما تراءى السرب قلت لصاحبى * وأيقنت أن الحب ما عشت دائيا
حذارك من سقم الجفون فانه * سيعدى بما يعيى الطبيب المداويا
وان أمير المسلمين محمدا * ليعدى نداه الساريات الهواميا
تضىء النجوم الزاهرات خلاله * ويبدث فى روع الزمان المعاليا
معال اذا ما النجم صوب طالبا * مداها لغى فى العز لاق وانيا
يسابق علوى الرياح الى الندى * ويفضح جدوى راحتيه الغواديا
ويغضى عن العوراء اغضاء قادر * ويرجح فى الحلم الجبال الرواسيا
همام يروع الاسد فى حومة الوغى * كما راعت الاسد الظباء الجواريا
مناقب تسمو للفخار كأنها * تجارى الى المجد النجوم الجواريا
اذا استبق الاملاك يوما لغاية * أبيت وذاك المجد الا التناهيا
بهرت فأخفيت الملوك وذكرها * ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا
جلوت ظلام الظلم من كل معتد * ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
هديت سبيل الله من ضل رشده * فلازلت مهديا اليه وهاديا
أفدت ونجى الملك مما أفدته * وطوقت أشراف الملوك الايا ديا
وقد عرفت منها مرين سوابقا * تقر لها بالفضل أخرى اللياليا
وكان أبو زيان جيدا معطلا * فزينته حتى اغتدى بك حاليا
لك الخير لم تقصد بما قد أفدته * جزاء ولكن همة هى ما هيا
فما تكبر الاملاك غيرك آمرا * ولا ترهب الاشراف غيرك ناهيا
ولا تشتكى الايام من داء فتنة * فقد عرفت منك الطبيب المداويا
وأبد لنا أولاك ما أنت أهله * وأوردتها وردا من الامن صافيا

تلافيت هذا الثغر وهو على شفا • وأصبحت من داء الحوادث شافيا
ومن بعد ما ساءت ظنون بأهلها • وحاموا على ورد الامانى صواديا
فباتوا يسلون العيش الا تعللا • ولا يعرفون الامن الا أمانيا
عطفت على الايام عطفة راحم • وألبستها ثوب اعتنائك ضافيا
فآنس من تلقائك الله رشده • ونال بك الاسلام ما كان راجيا
وقفت على الاسلام نفسا كريمة • تصدّ عدوّا عن حماه وعاديا
فرأى كانشقاق الصباح وعزمة • كما صقل القين الحسام اليمانيا
وكانت رماح الخط خمصا ذوابلا • فانهلت منها فى الدماء صواديا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا • فأصدرته فى الروع أحمر قانيا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه • ويلفى اذا تنبو الصوارم ماضيا
اذا أنت لم تفخر بما أنت أهله • فبالصبح وضاح المشارق عاليا
ويهنيك دون الملك عيد شرعته • تبث به فى الخافقين التهانيا
أقمت به من فطرة الدين سنة • وجددت من رسم الهداية عافيا
صنيع تولى الله تشييد فخره • وكان لما أوليت فيه مجازيا
تودّ النجوم الزهر لو مثلت به • وقضت من الزلفى اليك الامانيا
ومازال وجه اليوم بالشمس مشرقا • سرورا به والليل بالشهب حاليا
على مثله فليعقد الفخر تاجه • ويسمو به فوق النجوم مراقيا
به تفخر الانواء كل عشية • ويحدو به من كان بالقفر ساريا
ويوسف فيه بالجمال مقنع • كأن له من كل قلب مناجيا
واقبل ما شاب الحياء مهابة • بقلب وجه البدر أزهر باهيا
وأقدم لا هيابة الحفل واجما • ولا قما صرافيه الخطا متوانيا
تمثل فيه من أبيه وجده • ترى العز فيها مستكا وباديا
فيا عجبا أشجى القلوب لو آننا • فديناك بالاعلاق ما كنت غاليا
جريت فأجريت الدموع تعطفا • وأطلعت فيها للسرور فواشيا
وكم من ولى دون بابك مخلص • يفديه بالنفس النفيسة واقيا
وصيد من الحيين أبناء قيلة • تكف الاعادى أو تبيد الاعاديا
بها البيل غزان أعدوا الغارة • أعادوا صباح الحى أظلم داجيا
فوالله لولا أن توخيت سنة • رضيت بها أن كان ربك راضيا
لكان بها الاعوجيات جولة • تشيب من الطلب الشباب النواصيا
وتترك أوصال الوشيج مقصدا • وبيض الظبا حمر المتون دواميا
ولما انقضى من سنة الله ما قضى • وقد حمدت منه النجوم المساعيا
أفضتهم منك أكرم منعم • أبى لعميم الجود الا تواليا
فهى صفاح الهند ذا البأس والندى • وسمر العوالى والعتاق المذاكيا

وبهدى البنود الخافقات فانها * سيعقدها فى ذمة النصر غازيا
كأنى به قد توج الملك يافعا * وجمع أشتات المكارم ناشيا
وقضى حقوق الفخر فى منعة الصبا * وأحسن من دين الكمال التقاضيا
وماهو الا السعدان رمت مطلعا * وسددت سهما كان ربك راميا
فلازلت بالفخر الخلافة كافلا * ولا زلت بالخير الائمة كافيا
ودمت قرير العين منه بغبطة * وكان له رب البرية واقيا
نظمت له حر الكلام تمائما * جعلت مكان الدر فيها القوافيا
لآل بها تأبى الملوك نفاسة * وجلت لعمرى أن تكون لآليا
أرى المال يرميه الجديدان بالبلى * ومالى أرى الا المحامد باقيا

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الاحابيش بهدية من ملك السودان ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم فى ذلك الغرض فقال وهى من بدائعه

لولا تألق بارق التذكار * ماصاب واكف دمعى المدرار
لكنه مهما تعرض خافقا * قدحت يد الاشواق زند أوارى
وعلى الشوق اذا تذكر معهدا * أن يغرى الاجفان باستعبار
أمذكرى غرناطة حلت بها * أيدى السحاب أزرة النوار
كيف التخلص للحديث وبيننا * عرض الفلاة وطافح زخار
هذا على أن التغرب مركبى * وتوالج الفيح الفساح شعارى
فلكم أقت غداة زمت عيسهم * أبغى القرار ولات حين قرار
وطفقت أستقرى المنازل بعدهم * يجد و البكاء مواقع الآثار
انابنى الآمال تخدعنا المنى * فنخادع الآمال بالتسيار
نتجشم الاهوال فى طلب العلا * ونروع سرب النوم بالافكار
لا يحرز المجد الخطير سوى امرئ * يعطى العزائم صهوة الاخطار
اما يفاخر بالعتاد فخفره * بالمشرفية والقنا الخطار
مستقصر مرمى العواقب واصل * فى حمله الايراد بالاصدار
فأشد ماقاد الجهول الى الردى * عمه البصائر لا عمى الابصار
ولرب مرهقة الجوانح مزبد * سبح الهلال بلجه الزخار
فتقت كمائم جنحه عن أنجم * سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطى المجرة نرجسا * تصطف منه على خليج جار
وكأنما بدر التمام بجنحه * وجه الامام بجحفل جرار
وكأنما خمس الثريا راحة * ذرعت مسير الليل بالاشبار
أسرجت من عزمى مصابيحا بها * تهدى السراة لها من الاقطار
وارتاع من بازى الصباح غرابه * لما أطل فطار كل مطار

ومنها

وغريبة قطعت اليك على الونى * بيدا تبيد بها وهوم السارى
تنسيه طيته التى قد أمها * والركب فيها ميت الاخبار
يقتادها من كل مشتعل الدجى * وكأنما عيناه جذوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها * يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير ابلهم * منه نسيم شمائل المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت * منها خلوص البدر بعد سرار
سلت بعد لمن غوائل مثلها * وكفى بعدلك حاميا لذمار
وأتتك يا ملك الزمان غريبة * قيد النواظر نزهة الابصار
موشية الاعطاف رائقة الحلى * رقمت بدائعها يد الاقدار
راق العيون أديمها فكأنه * روض تفتح عن شقيق بهار
ما بين مبيض وأصفر فاقع * سال اللجين به خلال نضار
يحكى حدائق نرجس فى شاهق * تنساب فيه أراقم الانهار
تحدو قوائم كالجذوع وفوقها * جبل أشم بنوره متوار
وسمت بجيد مثل جذع مائل * سهل المعاطف لين خوار
تستشرف الجدرات منه ترائبا * فكأنما هو قائم بمنار
تاهت بكلكلها واتلع جيدها * ومشى بها الاعجاب مشى وقار
خرجوا اليها الجم الغفير وكلهم * متعجب من آية منع البارى
كل يقول لصحبه قوموا انظروا * كيف الجبال تقاد بالاسيار
ألقت بيابك رحلها واطالما * ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الارض أنك فخرها * فتسابقت لرضاك فى مضمار
يتبوؤن بدوان بعد المدى * من جاهك الاعلى أعز جوار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * وامحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بأعياد الفتوح مخوّلا * ماشئت من نصر ومن أنصار
والبكها من روض فكرى نفحة * شف الثناء بها على الازهار
فى فصل منطقها وراثق رسمها * مستمتع الاسماع والابصار
وتقيل من أصغى لها فكأنما * عاطيته منها كؤس عقار

وانشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله تعالى

تأمل اطلال الهوى فتألما * وسيما الجوى والسقم منها تعلما
أخو زفرة هاجت له منه ذكرة * فأنجد فى شعب الغرام وأتهما

وسرد لسان الدين هذه القصيدة بطولها وهى تقارب التسعين بيتا ثم قال مانصه وأنشد السلطان فى وجهة للصيد أعملها وأطلق أعنة الجياد فى ميادين ذلك الطراد وأرسلها قوله

حياك يا دار الهوى من دار * نوء السماك بديمة مدرار
وأعاد وجه رباك طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار
أمذكري دار الصبابة والهوى * حيث الشباب يرف غصن نضار
عاطيتني عنها الحديث كأنما * عاطيتني عنها كؤوس عقار
ايه وان أذكيت نار صبابتي * وقدحت زند الشوق بالتذكار
يا زاجر الاظعان وهي مشوقة * أشبهتها في زفرة وأوار
حنت الى نجد وليست دارها * وصبت الى هندية والقار
شاقت به برق الحمى واعتادها * طيف الكرى بمزارها المزوار
هل تبلغ الحاجات ان حملتها * ان الوفاء سجية الاحرار
عرض بذكرى في الخيام وقل اذا * جئت العقيق مبلغ الاوطار
عار بقومك يا ابنة الحي أن * تلوى الديون وأنت ذات يسار
أمنعت ميسور الكلام أخا الهوى * وبخلت حتى بالخيال الساري
ورأيت جاري الدمع عذر هيامه * لكن أضعت له حقوق الجار
هذا وقومك ما علمت خلالهم * أوفى الكرام بذمة وجوار
الله في نفس شعاع كلما * هب النسيم تطير كل مطار
بالله يا لمياء ما منح الصبا * أن لا تهب بعرفك المعطار
يا بنت من تشدو الحداة بذكره * متعالين به على الاكوار
حاذرت نسمة حاجر لو أنها * أهدت لنا خبرا من الاخبار
هل بانه من بعدنا متأود * متجاوب مترنم الاطيار
وهل الظباء الآنسات كعهدنا * يصرعن أسد الغاب وهي صواري
يفتكن من قاماتها ولحاظها * بالمشرفية والقنا الخطار
أأشعرت قلبي حب صبابة * فرميتني من لوعتي بجمار
وعلى الكثيب سوانح حمر الحلى * بيض الوجوه يصدن بالافكار
أدنى الحجيج جمارهن ثلاثة * بمنى ولو أني بدار قرار
لكن يوم النفر جدن لنا بما * عودننا من جفوة ونفار
يا ابن الالى قد أحرزوا خصل العلا * وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم * وتنوب أوجههم عن الاقمار
من آل سعد رافعي علم الهدى * والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم * ومشرف الاعصار والامصار
وجه كما حسر الصباح نقابه * ويد تمد أناملا ببحار
جردت دون الدين عزمة أروع * جددت منها سنة الانصار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها * وكفى بسعدك حامي الذمار
لله رحلتك التي نلنا بها * أجر الجهاد ونزهة الابصار

أوردتنا فيها بجودك موردا * مستعذب الايراد والاصدار
وأفدتنا من ذاك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جئته * وخصصته بخصائص الايثار
حتى الفلاة تشيم يوم وردتها * سنن القسرى بشلالة الانوار
وسرت عقاب الجو تهديك الذى * تصطاد من وحش ومن أطيار
والارض تعلم أنك الغوث الذى * تضفى عليها واقى الاستار
ولرب متسع الاباطح موحش * عالى الربا متباعد الاقطار
سهل المسارح لا يراع قنيصه * الا لبأة فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه وربما * ألقت بساحته عصا التسيار
باكرته والافق قد خلع الدجى * منها لابس حلة الاسفار
وجرى به نهر النهار كمثل ما * سكب النديم سلافة من قار
عرضت به المستنفرات كأنها * خيل عراب جلن فى مضمار
أتبعتها غرر الجياد كواكبا * تنقض رجما فى سماء غبار
والهاديات يؤمها سبل الشوى * متدفق كتدفق التيار
أزجيتها شقراء رائقة الحلى * فرميته منها بشعلة نار
أثبت فيه الرمح ثم تركته * تخضب الجوارح بالدم الموار
حامت عليه الذابلات كأنها * طير أوت منه الى أوكار
طفقت أرانبه غداة أثرتها * تبغى الفرار ولات حين فرار
هل ينفع الباع الطويل وقد غدت * يوم الطراد قصيرة الاعمار
من كل محتفز بلمعة بارق * فاتت خطاه مدارك الابصار
وجوارح سبقت اليه طلابها * فكأنما طالبته بالثار
سود وبيض فى الطراد تتابعت * كالليل طارده بياض نهار
ترمى بها وهى المنايا ضمرا * مثل السهام نزعن عن أوتار
ظنت بأن يجير لها كلا ولو * أغريته بأرانب الاقمار
وبكل فتخاء الجناح اذا ارتمت * فكأنها نجم السماء السارى
زجل الجناح مصفق كمن الردى * فى مخلب منه وفى منقار
أجلى الطريد من الوحوش وان رمى * طيرا أناله به على مقدار
وأريتنا الكسب الذى اعداده * ملأت جمالا أعين النظار
بيض وصفر خلت مطرح سرحها * روضا تفتح عن شقيق بهار
من كل موشى الاديم مفوف * رقمت بدائعه يد الاقدار
خلط البياض بصفرة فى لونه * فترى اللجين يشرب ذوب نضار
أواشعل راق العيون كأنه * غلس تخالط سدفة بنهار
سرحت بمخضر الجوانب يانع * تنساب فيه أراقم الانهار

قد أرضعته الساريات لبانها * وسلان فيه أزرة النوار
أخذت سعودك حذرها فلحكمة * أغرت جفون المزن باستعبار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد * بجبينك المتألق الانوار
نفثت عليك السحب نفثة معوذ * من عينها المتوقع الاضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بعقدك السعيد محولا * ماشئت من عز ومن انصار
قد بنيت دارك محسنا ومؤملا * متعت بالحسنى وعقبى الدار
واليكها من روض فكرى نفحة * شف الثناء بها على الازهار

ومن شعره فى غير المطولات قوله

لقد زادنى وجدا وأغرى بى الجوى * ذبال بأذيال الظلام قد التفا
تشير وراء الليل منه بنانة * مخضبة والليل قد حجب الكفا
تلوح سنانا حين لا تنفح الصبا * وتبدى سوارا حين تثنى له العطفا
قطعت به ليلا يطارحنى الجوى * وآونة يبدو وآونة يخفى
اذا قلت لا يبدو أشال لسانه * وان قلت لا يخفى الضياء به كفا
الى ان أفاق الصبح من غمرة الدجى * وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا مصباح أشبهت مهجتى * وقد شفها من لوعة الحب ما شفا

ومما ثبت له صدر رسالة

أزور بقلبى معهد الانس والهوى * وأنهب من أيدى النسيم رسائلا
ومهما اسأل البرق يهفو من الحى * يبادره دمعى مجيبا وسائلا
فياليت شعرى والامانى تعلل * أيرعى لى الحى الكرام الوسائلا
وهل جيرتى الاولى كما قد عهدتهم * يوالون بالاحسان من جاء سائلا

ومن ابياته الغراميات

فؤادى قد تملكه الغرام * ووجدى لا يطاق ولا يرام
ودمعى دونه صوب الغوادى * وشجوى فوق ما يشكو الحمام
اذا ما الوجد لم يبرح فؤادى * على الدنيا وساكنها السلام

وفى غرض يظهر من الابيات

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف * قضى ربح طرفى من محاسنه الوطر
فأبصرت اشباه الرياض محاسنا * وفى خده جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الحذر انما * به وصب من أسهم الغنج والحور
ويا وجنة قد جاورت سيف لحظه * ومن شأنها تدمى من اللمح بالبصر
تخيل للعينين جرحا وانما * بدا كلف منه على صفحة القمر

ومما يرجع الى باب الفخر ولعمرى لقد صدق

ألا ان الائمة فى الجود والجود شيمة * جبلت على ايثارها يوم مولدى

ذريني فلو أني أخلد بالغنى * لكنت ضنينا بالذي ملكت يدي

وقال

لقد علم الله أني امرؤ * أجرّ ذيل العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه * وفازت قداحي بوصل الحبيب
وقيل رقيبك في غفلة * فقلت أخاف الاله الرقيب

وفي مدح كتاب الشفاء طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع في شرحه

ومسرى ركاب للصبا قد ونت به * ركائب سحب للتراب نزوعها
تسل سيوف البرق أيدي حداتها * فتنهل خوفا من سطاها دموعها
تعرض غربا يبتغين معرسا * فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقي أجداثا بها ونواسخا * عياض الى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكي عليه يراعة * بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد في الدين قد سلفت له * يرى في رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه * فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى * فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها * وأسرار غيب واليراع تذيعها
لقد حزت فضلا يا أبا الفضل شاملا * فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله من قد تصدى لشرحه * فلباه من غر المعاني مطيعها
فكم مجمل فصلت منه وحكمة * اذا كتم الادماج منه تشيعها
محاسن والاحسان يبدو خلالها * كما افتر عن زهر البطاح ربيعها
اذا ما أجالت العين فيها تخالها * نجوما بآفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذي جرى * وألفاظه در يروق نصيعها
رياض سقاها المكرمات بذكائه * فأخصب للوراد منها مريعها
تفجر عن عين اليقين زلالها * فلذ لارباب الخلوص شروعها
الا يا ابن جار الله يا ابن وليه * لأنت اذا عد الكرام رفيعها
اذا ما أصول المرء طابت أرومة * فلا عجب ان أشبهتها فروعها
بقيت لاعلام الزمان تنيلها * هدى ولاحداث الخطوب تروعها

(مولده) رابع عشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة انتهى كلام لسان الدين في الاحاطة في ترجمة تلميذه أبي عبد الله بن زمرك قلت ورأيت بخط أبي الحسن علي بن لسان الدين رحمهما الله تعالى على هامش هذه الترجمة من الاحاطة كلاما في حق ابن زمرك رأيت أن أذكره بجملته الآن وان تقدم بعضه في هذا الكتاب فمن ذلك انه كتب على حاشية أول الترجمة ما صورته أتعسه الله تعالى خزيا وعامله بما يستحقه فهذا ترجمه والدي مولاه الذي رفع من قدره فيه ولم يقله أحد غيره كفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه انتهى وكتب على قوله نشأ عفا طاهرا الى آخره ما نصه هذا الوغد ابن زمرك من شياطين الكتاب

ابن

ابن حداد بالبيازين قتل أباه بيده أوجعه ضربا فمات من ذلك وهو أخس عباد الله تربية وأحقرهم صورة وأخملهم شكلا استعمله أبي فى الكتابة السلطانية فخبنا أيام تحولنا عن الاندلس منه كل شر وهو كان السبب فى قتل أبي مصنف هذا الكتاب الذى رباه وأدبه واستخدمه حسبما هو معروف وكفانا الله تعالى شر من أحسنا اليه وأساء الينا انتهى وكتب على قول والده فترقى الى الكتابة الى آخره ماصورته على يد سيدى أبي عبد الله بن مرزوق ولا حول ولا قوة الا بالله اه وكتب على قوله (معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا) الى آخره ما نصه هذه القصيدة نظم له مولاى الوالد تغمده الله تعالى برحمته منها النسيب كله وهكذا جرت عادته معه فى الامداح السلطانية حضرة الملك والله المطلع على ذلك قاله ابن المصنف على بن الخطيب انتهى وكتب على قوله (لولا تألق بارق التذكار) الى آخره ماصورته هذا الرجس الشيطان كثيرا ما ينظم فى هذا الوزن ويتبع جارة هذه الراء حتى لا يتركها جملة اذ الرجل ابن حمار مكارى حداد فاافس قليل بالطبع انتهى وكتب على قوله (حيالك يا دار الهوى من دار) الى آخره ماصورته انظر الى كثرة تحريكه لجارة هذه الراء علقت له بها مانخوليا انتهى وكتب على قوله (وجوارح سبقت اليه طلابها) الى آخره ماصورته سرق طرديه ابراهيم بن خفاجة فانظرها تجده سرق المعانى والالفاظ مع أن والدى نظم له أكثرها على حسب عادته معه قاله على بن الخطيب انتهى وكتب على قوله يا مصباح ما نصه كان يحب صبيا اسمه مصباح وهو الآن مجنون العقل بتونس يحترف بالحياكة انتهى وكتب على قوله ألا ئمة فى الجود الى آخره ماصورته كذبت يا نجس من أين لك البخل ولست والله من الجود فى شئ نعم محنته عين الجود انتهى وكتب على قوله (لقد علم الله أنى امرؤ) الى آخره مامعناه لا والله فأنت مشهور بكذا يا قرد فمن أين العفاف وأنت بالاندلس كذا وكذا الى أن قال واخسهم بيتا قاله مولاك الذى ربيت فى نعمته ونعمة الله على بن الخطيب بالقاهرة انتهى وقد نسبه الى ما لا يليق فالله أعلم بحقيقة الامر وكتب غيره على قول ابن زمرك أزور بقاني الابيات المتقدمة عند قوله سائلا فى موضعين هما من السؤال فحصل على الايطاء المذموم انتهى قلت أما ماذكره ابن لسان الدين من أن أباه كان ينظم لابن زمرك فذلك والله أعلم كان فى ابتداء أمره والا فقد جاء ابن زمرك فى آخر أيام لسان الدين وبعد موته بالبدائع التى لا تنكر كما سنذكره وأما كونه سعى فى قتل لسان الدين مع احسانه اليه فقد جوزى من جنس عمله وقتل بمرأى من أهله ومسمع وأزهقت معه روح ابنيه حسبما نذكره وهذا قصاص الدنيا وعفو الله تعالى فى الآخرة منتظر للجميع ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الاحمر فى مجلد ضخم رأيته بالمغرب جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته وعرف به فى أوله اذ قال ما نصه أما بعد ما يجب من حمد الله تعالى فى كل حال وشكره على ما أولى ويسر من صلاح الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الانبياء وسيد الارسال والرضا عن له من صحب وأنصار وآل فان من المعلوم أن الادب له بالنفس علاقة تؤديه الى الاستحسان وتؤثر من اشتهر به من الملاحظة بالحظ الحظ مع تعاقب الاحيان ولا خفاء أن أيام مولانا الجد المقدس الغنى بالله تولاه الله

تعالى رضوانه كانت غررا فى وجوه الايام ومواسم تجمع العام والرم من الرؤساء الاعلام الآخذين باعنة الكلام السابقين فى حلبة النثار والنظام وان الفقيه الرئيس المدرك الناظم الناثر أباعبدالله محمد بن يوسف بن زمرك عفاالله تعالى عنه وحسبك بن ارتضاه مولانا الجد رحمه الله تعالى لكتابته وصرفه فى الوجوه المتعددة من رسالته وحجابته وكان بذلك خليقا لما جمع من أدوات الكمال علما وتحقيقا وادراكا ونبلا وفقها وأصولا وفروعا وأدبا وتحصيلا وبيانا وتفسيرا وتقاما وترسلا لما كان قد أخفت الايام صبحه ونابت وسائل نصحه وعادت بعدوانها بعد فوز قدحه وعثرين أقدام أقوام لايعرفون أى ذخر فقدوا ولا أى مطلق عن نصر بفاته الجليلة تيدوا مستبصرين بالجهل فى دياجى غيهم معجبين بما ارتكبوه من جياد بغيهم يجمعهم بلحظه بمقل دامية وألفاظ سامية يصاحبونه بأوجه خالت عن الوجاهة سيماها الحسد وضميرها السخط بما قدره الواحد الصمد فخر على الالوة لم يوسد كان جبينه سيف صقيل فيالله من اشلاء هنالك ضائعة وأعلاق غير مصونة ووسائل محقورة وأذمة قطعت أرحامها ولم يرع ذمامها وعاثت الايدى الفاتكة حينئذ على بنيه وارتكبوها شنعاء فى أهله وذويه

هل كان الاحيا تحيا العباد به * هل كان الاقذى فى عين ذى عور
ان قال قولا ترى الابصار خاشعة * لما يخبر من وحى ومن أثر
يالهف قلبى لو قد كنت حاضره * غداة جزعه أدهى من الصبر
لما تركت له شلوا بمضيعة * ولا تولى صريع الناب والظفر
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وان سأل سائل عن الخبر الذى ألمعنا بذكره وضمنا هذا البيت رزأ من فظيع أمره فذلك عندما آب صاحب الامر اليه ما راب وتله وابنيه للجبين معفرين بالتراب وصدمه فى جنح الليل والمصحف بين يديه يتوسل بآياته ويتشفع بعظيم بركاته فأخذته السيوف وتعاورته الحتوف وأذهب سلبا وقتيلا وصيرا مصراع منزله كثيبا مهيلا وكنا على بعد من هذه الآزفة التى أورثت القلوب شجنا طويلا وذكرتنا بعناية مولانا الجد الغنى بالله لجانبه أعظم ذكرا فأغرينا برثائه خلدا وفكرا وارتجلنا عند ذكره الآن هذه الابيات اشارة مقنعة وكناية فى السلوان مطمعة وأرضينا بالشفقة أوداءه وأرغمنا بتأبينه أعداءه ولما تبلج الصبح لذى عينين وتلقينا راية الفرج بالراحتين عطفتنا على أبنائه عواطف الشفقة وأطلقنا الهمم لما عاثت الايدى عليه صلة لرحم طالما أضاعها من جهل الاذمة وأخفر عهود تخدمه لمن سلف من الائمة وصرفنا البحث والتفتيش وجوه آمالنا وجه المناضم ما نثرته الحوادث من منظوماته من أكيد أعمالنا وكان تعلق بحفظنا جملة وافرة من كلامه مشتملة على ما راق وحسن من نثاره ونظامه فأضفنا ذلك الى ما وقع عليه اجتهادنا من رقاعه الحائلة المنتهبة بأيدى النوائب الدائرة المستلبة بتعدى النواصب فخلص من الجملة فلائد عقيان وعقود در ومرجان ترتاح النفوس النفيسة لانشادها وتحضر الابصار والاسماع عند ايرادها الى ما يتخللها من تخليد ما أسلفنا

والاشارة بعظيم ملكنا فشرعنا فى تقييد اوابدها الشارده واحياء رسومها البائده كافا بالادب لوضوح فضله وتأدية لما يجب من رعاية أهله ولنبدأ بالتعريف بحال هذا الرئيس المنبه عليه ونظهر ما كنا نضمره من الميل اليه فى كل ماله أو عليه فنقول هو الفقيه الكاتب الفذ الاوحد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحى ويعرف بابن زمرك أصله من شرق الاندلس وسكن سلفه بالبيازين من غرناطة وبها ولد فنشأ ضئيلا كالشهاب يتوقد مختصر الجرم والاعين باطالة فواضله تشهد ومكتب الفئة القرآنية يؤثره بالجناب الممهد فاشتغل أول نشأته بطلب العلم والدؤب على القراءة وأخذ نفسه بملازمة حلقات التدريس ولم يبلغ حد وجوب المفترضات الا وهو متحمل الرواية وملتمس لفوائد الدرايه ومصابح كل يوم أعلام العلوم ومستمد بمصابيح الحدود العلية والرسوم فافتتح أبواب الكتب النحويه بالامام أبى عبد الله بن الفخار الآية الكبرى فى فن العربيه وتردد الاعوام العديدة الى قاضى الجماعة أبى القاسم الشريف فأحسن الاصغاء وبذ النحاة البلغاء بما أوجب رثاءه عند الوقوف على ضريحه بالقصيدة الفريدة التى أولها (أغرى سراة الحى بالاطراق) واهتدى فى طريق الخطابة ومناهج الصوفية بالخطيب المعظم أبى عبد الله بن مرزوق الوافد على مولانا الجد أبى الحجاج رضى الله تعالى عنه فى عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة والبه جنح واياه قصد عند تغربه الى المغرب فى دولة السلطان أبى سالم فتوجه بالعمامة التى ارتجل بين يديه فيها

توجتنى بعمامه * توجت تاج الكرامه

فروض جدك يزهى * منى بسجع الحمامه

وأخذ علم الاصلين عن الحافظ الناقد أبى على منصور الزواوى وبرع فى الادب أثناء الانقطاع وأول الطلب لابى عبد الله بن الخطيب ولكن لم يحمد بينهما المآل واقتدى فى العلوم العقلية بالشريف أبى عبد الله التلمسانى قدوة الزمان وحصلت له الاجازة والتحديث بقاضى الجماعة وشيخ الجملة أبى البركات بن الحاج وبالخطيب البليغ أبى عبد الله الرشى وبالخطيب الورع أبى عبد الله بن بيش العبدرى رضى الله تعالى عنه وعن جميعهم وبواجب محافظتنا على عهودهم اذ نحن وردنا بالاجازة التامة عذب ورودهم وصل سنداتهم الكثير من شيوخنا مثل الامام المعظم أبى محمد عبد الله بن جزى ومعلمنا الثقة المجتهد أبى عبد الله الشريشى والقاضى الامام أبى عبد الله محمد بن على بن علاق وغيرهم رحمة الله تعالى عليهم لذلك صار صدرا فى نوادى طلبة الاندلس وأفراد نجبائها فاشاء المحاضر يجده فى خصله ويلقاه من باهر فضله فكاهة ومجالسة أنيقة ممتعة ومحادثة أريجية مزهرة وجوابا شافيا للمعضل وذهنا سابقا لايضاح المشكل مع انقياد الطبع وارسال الدمعة فى سبيل الخشوع والرقة ورشح الجبين عند تلقى الموعظة وصون الوجه بجلباب الحياء ومقابلة الناظر اليه بالاحتشام والمبادرة للاستدعاء على طهارة وبذل وسع وكرم نفس لم يعهد أجمل مشاركة منه لاخوانه ولا أمتع منه بجاهه الى مبالغة فى

الهيئة والمبرة والايثار عامخ وبجنوح الى حب الصالحين وذلك بالانضواء الى شيخ الفرق الصوفية الولى أبي جعفر بن الزيات وأشبه الفاضل الناسك شيخنا أبي مهدى قدس الله تعالى مغناه وسواهما من أهل الاندلس والعدوة وحمل أشد الحمل على كل ملبس كابى زكريا البرغواطى وسواه ومن تندير انه زعموا على أبي الحسن المحروق لعله عنه

ولد المتر والرباط ولكن • نسبه للوك ذات افتقار

وخطب الادب باقمار كهلا وحاز عليه ادرا كا ونبلا ولما كانت الحادثة على مولانا الجد رحمه الله تعالى واجتاز الى المغرب كما تقرر فى غير هذا كان به وأنس اليه الا وة منعاق ودفع استيحاش ومراوضة خلق ثم كر فى صحبة ركابه فعلت منزلته ولطف شأنه ووقفنا على رقعة من رقاعه وهو يبدى فيها ويعيد ويذول خدمته سبعا وثلاثين سنة ثلاثة بالمغرب وباقيها بالاندلس أنشدته فيها ستا وستين قصيدة فى ستة وستين عيدا وكل ما فى منازله السعيدة من القصر والرياض والدشار والسبيكة من نظم رائق ومدح فائق فى القباب والطاقات والطرز وغير ذلك فهو لى وكتبت أواكه وأواكل ابنه مولاى أبا الحجاج وهما كبيرا ملوك أهل الارض وهنأته بكذا وكذا قصيدة وفوض لى فى عقد الصلح بين الملوك بالعدوتين وصلح النصارى عقدته تسع مرات الخمسة فوض الى ذلك قلنا صدق فى جميع ما ذكره والعقود بذلك شاهدة له وخصه عام ثلاثة وسبعين بكتابة سره واستعمله بعد أعوام فى السفارة بينه وبين ملوك عصره فحمد منابه وثمت أحواله ورغد جنابه وكان هنالك بعض تقولات تشين وجه اجتهاده وتومى بما احتقبه من سوء مقاصده وما سرقه من قبيح أغراضه وهاجت الفتنة وكانت سفارته أعظم أسبابها وعند الاشد من عمره عرضت لافكاره تقلبات وأقعدته عن قداح السياسة آفات مختلفات واشعرته سدة ذهنه أن يتخبط فى أشر الموقعات فقعد بجامع مالقة ثم بمسجد الحمراء ملقيا على الكرسى فنونا جمة وعلوما لم يزل يتلقاها عن أولياء التعظيم والتجلة فانحاز الى مادة أم بمالقة طما منهم البحر وتراءى لابصارهم وبصائرهم الفجر وكان التفسير أغلب عليه لفرط ذكائه وما كان قيده وحصله أيام قراءته واقرائه فاشتمل من بيان واعجاز قرآن وآيات توحيد واخلاص ومناهج صوفية تؤذن بالخلاص يوم الاخذ بالنواصى ومراعاة مع ما يلقيه ولى الامر وباشدة البلوى التى أذاقه مرها وامطاه الى طية الهلاك ظهرها وباقرب ما كان الفوت والحمام الصلت من متباعد هذه القرب الى ألقيت قلنا القد جع جواد القلم فأطلقنا ونحن نشير الى هذا الرئيس وتبدل طباعه بعد انقضاء أعوام شاهدة باضطلاعه واحرازشيم أدت الى علو مقداره واستقامة مداره فآل عمر مولانا جدنا الى النفاد ورمت رئيس كتابه هذا أسهم الحساد فظهر الخفى وسقط به الليل على سرحان وقد طالما جرب الوفى والصفى وكان من شأنه الاستخفاف بأولياء الامر من حجاب الدولة والاسترسال فى الرد عليهم بالطبع والجبلة مع الاستغراق فى غمار الذين أذلنا وغربا ومراعاة مفارط نفسه استيلاء وغصبا اما الجراءة فاقتضى سيوفها واما أكفا السماء على الارض فقواصم نوع صنوفها وأما المجاهرة فوقف عند أن الاعتراض

صفوفها وأما الجملة فذكر معروفها أداه هذا البأ العظيم الى سكنى المعتقل بقصبة المرية وعلى الاثر كان الفرج قريبا وسطور المؤاخذة قد أوسعها العفو تضريبا ونالته هذه المحنة عند وفاة مولانا الجد الغنى بالله وكانت وفاته غرة شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة لاسباب يطول شرحها أظهرها شراسة فى لسانه واغترار بمكانه وتضريب بين خدام السلطان وأعوانه فكال اليدين والفم الى أن من الله تعالى بسراحه وأعاده الى الحضرة فى أول شهر رمضان المعظم من عام أربعة وتسعين وسبعمائة فكان ما كان من وفاة مولانا الوالد رحمه الله تعالى وقيام أخينا محمد مقامه بالامر فاستمر الحال أياما قلائل وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم لمدة من عام ثم أعاد المذكور الى خطته وقد دمثت بعض أخلاقه وخمدت شراسته وسلا بعض مذاقه فما كان الا كلا ولبث واذا به قد ساء مشهدا وغيبا وأوسع الضمائر شكا وريبا وغلبت الاحن عليه وغلت مراجلها لديه فصار يتقلب على جمر الغضى ويتبرم بالقضا ويظهر النصح وفى طيه القشب ويسم نفسه بالصلاح ويعلن بالخشوع ويشير بانه الناصح الامين ويتلو قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين ورتب على المشتغلين كبيرهم وصغيرهم ذنوبا لم يقترفوها ونسب اليهم نسبا من التضييع لم يعرفوها وانهم احتجبوا الاموال وأساؤا الاعمال والاقوال فلم يظفر من ذلك بكبير طائل ولا حصل على تفاوت أعداده على حاصل هذا على قلة معرفته بتلك الطريقة الاشتغاليه وعدم اضطلاعه بالامور الجبائية فمن نفس يروع سربها ويكدر بالامتحان والامتهان شربها ومن ضارعة خاشعة لله تعالى سلبت وطولبت بغير ما اكتسبت وتعدت الايدى الى أقوام جلة سعدوا بشقائه وامتحنوا وهم المبرؤن من تزويره واعتدائه وسيسألون يوم لا ينفع مال ولا بنون وصار يصرف اغراضه ويظهر أحقاده بين افصاح بما كان الاعجام خيرا من القائه وان عمر المسكين المستضعف لاحاجة فى طول بقائه الى مجاهرة عهد منه أيام شبيبته نقيضها وانعكس فى شاخته تصريحها المنغص وتعريضها لا يريح نفسه من جهد ولا يقف من اللجاجة عند حد وقد كان ثقل سمعه فساءت اجابته وطغت أخلاقه فسئمت وساطته وربما استحلف فلم يكن بين اللازمة واللازمة الا الحنث عن قصد وغير قصد ودعا على نفسه وأبنائه باشبار وعد وأن يقيض الله له ولهم قاتل عمد فسبحان القاهر فوق عباده الرحيم بهذا الشخص وبالاموات من شيعته وأولاده فاستمر على ذلك الى احدى الليالى فهلك فى جنح الليل فى جوف داره على يد مخدومه تلقاه زعموا عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع يديه فجدلته السيوف وتناولته الحتوف فقضى عليه وعلى من وجد من خدامه وابنيه كل ذلك بمرأى عين من أهله وبناته ولم يتقوا الله فيه حق تقاته فكانت أنكى الفجائع وافظع الوقائع ساءت القالة وعظم المصاب وكل شئ الى أجل نافذ وكتاب انتهى كلام ابن الاحمر فى مقدمة كتابه وقد اطلعت منه على تصاريف أحوال ابن زمرك وقتله على الوجه الذى يعلم منه أن ثار لسان الدين بن الخطيب لديه لا يترك بل قتلته أفظع من قتلة لسان الدين لان هذا قتل بين عياله واهله وقتل معه ابناه

ومن وجد من خدمه ولسان الدين رحمه الله تعالى خلق بمفرده وعند الله تجتمع الخصوم وهو الغفور الغفور وقد فهم من مضمون ما سبق أن قتل ابن زمرك بعد عام خمسة وتسعين وسبعمائة ولم أقف من أمره على غير ما تقدم ولا بأس أن نلم بشئ من نظمه البارع مما كنت قيدته بالمغرب من ديوان ابن الاحمر المذكور وأوردت كثيرا منه في ازهار الرياض فمن ذلك قوله في ذكر غرناطة العليه وتهنئة سلطانه الغنى بالله ببعض المواسم العيديه ووصف كرم جياده وآثار ملكه وجهاده

يا من يحن الى نجـــد وناديها * غرناطة قد ثوت نجد بواديها
قف بالسبيكة وانظر ما بساحتها * عقيلة والكثيب الفرد جاليها
تقلدت بوشاح النهر وابتسمت * أزهارها وهي حلى في تراقيها
وأعين النرجس المطلول يانعة * ترقرق الطل دمعا في مآقيها
وافترّ ثغر الاقاح من أزاهرها * مقبلا خد ورد من نواحيها
كأنما الزهر في حافاتها سحرا * دراهم والنسيم اللدن يجبيها
وانظر الى الدوح والانهار تكنفها * مثل الندامى سواقيها سواقيها
كم سوالها من بدور تجتنى زهرا * فتحسب الزهر قد قبلن أيديها
حصباؤها لؤلؤ قد شف جوهرها * والنهر قد سال ذوبا من لآليها
نهر المجرة والزهر المطيف به * زهر النجوم اذا ما شئت تشبيها
يزيد حسنا على نهر المجرة قد * أغناه در حباب عن دراريها
يدعى المجرة رائيه وناظـــره * مسميات اباتتها أساميها
ان المجرة مغنانيـــه بأندلس * ألفاظها طابقت منها معانيها
فتلك نجد سقاها كل منسجم * من الغمام يحييها فيحييها
وبارق وعذيب كل مبتسم * من الثغور يحليها يحليها
وان أردت ترى وادى العقيق فرد * دموع عشاقها حمرا جواريها
وللسبيكة تاج فوق مفرقها * تود در الدرارى لو تحليها
فان حمراءها والله يكلؤها * ياقوتة فوق ذاك التاج يعليها
ان البدور لتيجان مكللة * جواهر الشهب في أبهى مجاليها
لكنها حسدت تاج السبيكة اذ * رأت أزاهره زهرا يجليها
بروجها لبروج الافق مخجلة * فشهبها في جمال لا تضاهيها
تلك القصور التي راقت مظاهرها * تهوى النجوم قصورا عن معاليها
لله لله عينا من رأى سحرا * تلك المنارة قد رقت حواشيها
والصبح في الشرق قد لاحت بشائره * والشهب تستن سبقا في مجاريها
تهوى الى الغرب لما غالها سحر * وغمض الفجر من أجفان واشيها
وساجع العود في كف النديم اذا * ما استوقف الطير يدنيها ويقريها
يبدى أفانين سحر في ترنمه * يصبى العقول بها حسنا ويسبيها

بجيده ناعم الاطراف تحسبها * لا للتمادي نورى تـــلاليها
مقاتل لحاظ قوس حاجبها * ترمي القلوب بها عمدا فتصميها
فباكر الروض والاغصان مائلة * يثني النفوس لها شوقا تثنيها
لم يرقص الدوح بالاكمام من طرب * حتى شدا من قيان الطير شاديها
وأسمعتها فنون السحر مبدعة * ورق الحمام وغناها مغنيها
غرناطة آنس الرحمن ساكنها * باحت بسر معانيها أغانيها
أعدى نسيمهم لطف انهم وسهم * فرقة الطبع طبع منه يعديها
خلد الله أيام السرور بها * صفرا عشياتها بيضا لياليها
وروض المحل منها كل منبجس * اذا اشتكت بغليل الجدب يرويها
يحكي الخليفة كفا كلما وكفت * بالجود فوق موات الارض يحييها
تغني العفاة وقد أمت مكارمه * عن السؤال وبالاحسان تغنيها
لها بنان فلا غيث يساجلها * جودا ولا صيب يوما تدانيها
فان تصب صيبه بالماء من همت * بعسجد ولجين صاب هاميها
يا أيها الغيث أنت الغوث في زمن * ملوكه الفت لولا تلافيها
ان الرعايا جزاك الله صالحة * ملكت شرقا وغربا من يراعيها
ان الخلائق في الاقطار أجمعها * سوائم أنت في التحقيق راعيها
فكل مصلحة للخلق تحكمها * وكل صالحة في الدين تنويها
اذا تيممت أرضا وهي مجدبة * فرحمة الله بالسقيا تحييها
يا رحمة بثت الرحمى بأندلس * لولاك زلزلت الدنيا بمن فيها
في فضل جودك قد عاشت مشيختها * في ظل أمنك قد نامت ذراريها
في طول عمرك يرجو الله آملها * بنصر ملكك يدعو الله داعيها
عوائد الله قد عودت أفضلها * لتبلغ الخلق ما شاءت أمانيها
سل السعود وخل البيض مغمدة * واضرب بها فرية التثليث تفريها
لله أيامك الغر التي اطردت * فيها السعود بما ترضى وترضيها
لله دولتك الغراء ان لها * لكالئا من اله العرش يكفيها
هيهات أن تبلغ الاعداء مأربة * في جوها وجنود الله تحميها
هذي سيوفك في الاجفان نائمة * والمشركون سيوف الله تفنيها
سريرتك في الاخلاص قد عرفت * حسبي عواقبها حتى أعاديها
لم يحجب الصبح شهب الافق عن نظر * الا وهديك للابصار يبديها
يا ابن الملوك وأبناء الملوك اذا * تدعو الملوك الى طوع تلبيها
أبناء نصر ملوك عزه نصرهم * وأوسعوا الخلق تنويها وترفيها
هم المصابيح نور الله موقدها * تضيء للدين والدنيا مشاكيها
هم النجوم وافق الهدى مطلعها * فوزا لمهتد بها عزا لهاديها

هم البدور كمال ما يفارقها * هم الشموس ظلام لا يواريها
قضت قواضبها أن لا انقضاء لها * وأمضت الحكم في الاعداء ماضيها
وخلدت في صفاح الهند سيرتها * واسندت عن عواليها معاليها
وأورثتك جهادا أنت ناصره * والاجر منك يرضيها ويعطيها
كم موقف ترهب الاعداء موقعه * والخيل تردى ووقع السيف يرديها
ثارت عجاجته والسوم محتجب * والنقع يوثر غيما من دياجيها
وللاسنة شهب كلما غربت * في الدارعين تجلت من عواليها
وللسيوف بروق كلما لمعت * ترجى الدماء وريح النصر يزجيها
أطلعت وجها تريك الشمس غرته * تبارك الله ما شمس تساميها
من أين للشمس نطق كله حكم * يعيدها كل حين منك مبديها
لك الجياد اذا تجرى سوابقها * فاربأح جياد ماتجاريها
اذا انبرت يوم سبق في اعنتها * ترى البروق طلاحا لا تباريها
من أشهب قد بدا صبحا تراعله * شهب السماء فان الصبح يخفيها
الا التي في لجام منه قيدها * فانه سامها عزا وتنويها
أو أشقر مرعب شقر البروق وقد * أبقى لها شفقا في الجو تنبيها
أو احمر جسره في الحرب متقد * بها لها شرر من بأس مذكيها
لون العقيق وقد سال العقيق دما * بعطفه من كماة كاد يدميها
أو أدهم مل ء صدر الليل تعلمه * أهلة وقع وجه الارض يبديها
ان حارت الشهب ليلا في مقلده * فصبح غرته بالاور يهديها
أو أصفر بالعشيات ارتدى مرحا * وعرفه بتمادى الليل ينبيها
عسوه بنضار تاه من عجب * فليس يعدم تنويها ولا تيها
ورب نهر حسام رق رائقه * متى ترده نفوس الكفر يرديها
تجرى الرؤس حبابا فوق صفحته * وماجرى غير أن البأس يجريها
وذابل من دم الكفار مشربه * يجنى الفتوح وكف النصر تجنيها
وكم هلال لقوس كلما انبعثت * ترى النجوم رجوما في مراميها
أئمة الكفر ما عمت ساحتها * الا وقد زلزلت قسرا صياصيها
يا دولة النصر هل من مبلغ دولا * مضين انك تحييها وتنسيها
أو مبلغ سالف الانصار مالكه * والله بالخلد في الفردوس يجزيها
ان الخلافة أعلى الله مظهرها * أبقت لنا شرفا والله يبقيها
يا ابن الذين لهم في كل مكرمة * مفاخر ولسان الدهر يمليها
أنصار خير الورى مختار هجرته * جيران روضته أكرم بأهليها
سمت لمالك السماء تكرمة * أنصارها وبهم عزت أواليها
ففي حنين وفي بدر وفي أحد * تتلى مفاخرهم مشهورة فيها

ولتسال

ولنسأل السير المرفوع مسندها * نعن مراقبهم تروى مغازيها
ما آثر خالد الرحمن أثرتها * بنصها من كتاب الله قاريها
ماذا عسى يجيد بليغ أو يفنده * من الكلام ووحى الله تاليها
له الجهاد به تسرى الرياح الى * ممالك الارض من شتى أقاصيها
تحدى الركاب الى البيت العتيق به * فكة عمرت منه نواديها
بشائر تسمع الدنيا وساكنها * اذا دعا باسمك الاعلى مناديها
وكفى خلافتك الغراء منقبة * أن الاله يوالى من يواليها
وقد أفاد بنيه الدهر تجربة * أن السعود تعادى من يعاديها
اذا رميت سهام العزم صائبة * فما رميت بل التوفيق راميها
شكرا لمن عظمت منا مواهبه * وان تعدّ فليس الله محصيها
فما قريب ترى الاعياد مقبلة * من الفتوح ووفد النصر حاديها
وتبلغ الغاية القصوى بشائرها * فقد أطلت بما ترضى مباديها
فادنأ بما شئت من صنع تسر به * وانو الامانى فالاقدار تدنيها
مولاى خذها كما شاءت بلاغتها * ولو تباع لكان الحسن يشريها
أرسلتها حيثما الارواح مرسلة * نوادرا تنشر البشرى أماليها
جاءت تهنيك عيد الفطر معجبة * بحسنها واسان الصدق يطريها
البشر فى وجهها والبس فى يدها * والسحر فى لفظها والدر فى فيها
لو رصع البدر منها تاج مفرقه * لم يرض درّ الدرارى أن تحليها
فان تكن بنت فكرى وهو أوجدها * نعماك فى حجره كانت تربيها
فى روض جودك قد طوقتنى مننا * طوق الحمام فما تحصى موفيها
ولو اعيرت لسان الدهر يشكرها * لكان يقصر عن شكر يوفيها
بقيت للدين والدنيا امام هدى * مبلغ النفس ماترجو أمانيها
والسعد يجرى لغايات تؤملها * مادامت الشهب تجرى فى مجاريها

وقال رحمه الله تعالى شاكرا النعم وصلته من المذكور فى عاشوراء

مولاى يا ابن السابقين الى العلا * والرافعين لواءها المنشورا
ان لوحظوا فى الهالات فانهم * طلعوا بآفاق العلاء بدورا
أو فوخروا فى المكرمات فانهم * نظموا بأسلاك الفخار شذورا
أبناء أنصار النبى وصحبه * فى الذكر أصبح فخرهم مذكورا
والموثرين وربنا أثنى بها * فى الحشر خلد وصفهم مسطورا
فاضت علينا من يداك غمائم * وتفجرت من راحتيك بحورا
من كف شفاف الضياء مثاله * اصفاء جوهره تجسد نورا
نعم منوّعة تعدّد وفرها * أعجزت عنها شكرى الموفورا
فى موسم للدين قد جددته * وأقت فينا عيده المشهورا

اضعاف ما أهديتنا من منة * تهدى اليك ثوابها عاشورا
وعلى الطريق بشائر محمودة * ألقاك جذلا بابها مسرورا

وقال يصف زهر القرنفل الصعب الاجتناء بجبل الفتح وقد وقع له السلطان الغنى بالله المذكور بذلك فارتجل قطعا منها

أتوني بنوار يروق نضارة * كخد الذى أهوى وطيب تنفسه
وجاؤا به من شاهق متمنع * تمنع ذاك الظبى فى ظل مكنسه
رعى الله منى عاشقا متقنعا * بزهر حكى فى الحسن خد مؤنسه
وان هب خفاق النسيم بنفحة * حكت عرفه طيبا اقضى بتأنسه

ومنها

رعى الله زهرا ينتمى لقرنفل * حكى عرف من أهوى واشراق خده
ومنبته فى شاهق متمنع * كما امتنع المحبوب فى تيه صده
أميل اذا الاغصان مالت بروضة * أعانق منها القضب شوقا لقده
وأهفو لخفاق النسيم اذا سرى * وأهوى أريج الطيب من عرف نده

ومنها

اقربعينى أن أرى الزهر يانعا * وقد نازع المحبوب فى الحسن وصفه
وما أبصرت عينى كزهر قرنفل * حكى خد من يسبى الفؤاد وعرفه
تمنع فى أعلى الهضاب لمجتنى * تمنعه منى اذا رمت الفه
وفى جبل الفتح اجتنوه تفاؤلا * بفتح اسباب الوصل يمنح عطفه
وما ضر ذاك الغصن وهو مرنح * اذا ما ثنى نحو المنيم عطفه

قال ابن الاحمر فى الكتاب المذكور فيما مر ومن قصائده التى يود الصبح سناها والنسيم اللدن رقة معناها يهنى مولانا الجد رضى الله تعالى عنه عند وصول خالصة مقامه وكبير خدامه القائد خالد رحمه الله تعالى من تلمسان بالهديه وتجديد المقاصد الوديه ووافق استئناف راحة من الذات العليه ومن بعض فروع دوحتها الزكيه

أدرها الا ثامن لحاظك واحبس * فقد غال منها السكر أبناء مجلس
اذا ما نهانى الشيب عن أكؤس الطلا * تدير على الحمرتها أكؤس
عذيرى من لحظ ضعيف وقد غدا * يحكم منا فى جسوم وأنفس
وروض شباب ماس غصن قوامه * وفتح فيه اللحظ أزهار نرجس
وما زال ورد الخد وهو مضعف * بعبر أقاح الثغر طيب تنفس
وكم جال طرف الطرف فى روض حسنه * يقيده فيه العذار بسندس
أما والليالى الوصل فى روضة الصبا * وءألف أحبابى وعهد تأنسى
لئن نسيت تلك العهود أحبتى * فقلبى عهد المعاهد ليس ناسى
ومالى لغيى بعد ما افترفودها * من الشيب عن صبح به متنفس
وألبسها ثوب الوقار خليقة * بها ابس الاسلام أشرف ملبس

وجدد

وجدد للفتح المبين مواسما * أقام بها الايمان أفراح معرس
واورثه العلياء كل خليفة * نماه الى الانصار كل مقدس
فيازاجر الاظعان وهى ضوامر * بغير الفلا والوحش لم تتأنس
اذا جئت من دار الغنى بربه * مناخ العلا والعز فاعقل وعرس
فان شئت من بحر السماحة فاغترف * وان شئت من نور الهداية فاقبس
أمولاى ان السعد منك لآية * أنارت بها الاكوان جذوة مقبس
اذا شئت أن ترمى القصى من المنى * تدور لك الافلاك من فوعة القسى
فترمى بسهم من سعود لصائب * سديد لاغراض الامانى مقرطس
أهنيك بالابلال ممن شفاؤه * شفاؤك فاشكر من تلافى وقدس
ودعنى أردعنك فهى غمامة * تخيل صوب العارض المتبجس
أقبل منها راحة اثر راحة * أشك بها الركبان من بيت مقدس
ومن نسب الفتح المبين ولادة * اليه بغير الفخر لم يتأسس
فيا أيها المولى الذى بكماله * خلائف هذا العصر فى الفخر تأتسى
لأ منت موسى من عوادى سميه * ولولاك لم يبرح بخيفة موجس
بعثت بيمون النقيبة فى اسمه * خلود لعز ثابت متأسس
تخافك بالمال العريض هدية * بها الدين أثواب المسرة يكتسى
وشفعها بالصافنات كأنها * وقد راق مرآها جآذر مكنس
تنص من الاشراف جيد غزالة * وترنو من الايجاس عن لحظ أشوس
لك الخير موسى مثل موسى كلاهما * بغير شعار الود لم يتلبس
فلا زلت فى ظل النعيم وكل من * يعاديك لا ينفك يشقى بأبؤس
عليك سلام مثل حمدك عاطر * تنفس وجه الصبح عنه بمعطس

وقال فى مولد عام سبعة وستين وسبعمائة وألم فى أخر ياتها بوصف المشور الاسنى الرفيع المبنى

زار الخيال بأعين الزوراء * فلاسناء غياهب الظلماء
وسرى مع النسمات يسحب ذيله * فأتت تنم بعنبر وكباء
هذا وماشئ ألذ من المنى * الازيارة مسح الاغفاء
بتنا خيالين التحفنا بالضنى * والسقم مانخشى من الرقباء
حتى أفاق الصبح من غمراته * وتجاذبت أيدى النسيم ردائى
ياسائلى عن سر من أحببته * السر عندى ميت الاحياء
تالله لا أشكو الصبابة والهوى * لسوى الاحبة أو أموت بدائى
يادين قلبى لست أبرح عانيا * أرضى بسقمى فى الهوى وعنائى
أبكى وماغير النجيع مدامع * أذكى ولاضرم سوى احشائى
أهفو اذا هفو البروق وأنثنى * اسرى النواسم من رباتيماء

بالله يانفس الحلى رفقا بمن * أغريته بتنفس الصعداء
هبالله ينذى على كبدى وقد * أذكى بقلبى جمرة البرحاء
ياساكنى البطحاء أى أمانة * لى عندكم ياساكنى البطحاء
أترى النوى يوما تغيب قداحها * ويفوز قدحى منكم باللقاء
فى حبكم قسر فؤادى أننه * تصديه تدنى من قريب نائى
لم تنس الايام يوم وداعه * والركب قدأوفى على الزوراء
أبكى ويبسم والمحاسن تجتلى * فعلقت بين تبسم وبكاء
ياللهوة جادتها أيدى السوى * حتى استهلت أدمعى بدماء
من لى بثانية تمادى بالامنى * قدلك أنشد أسرفت فى الغلواء
ولرب ليل بالوصال قطعته * أجلو دجاه بأوجه الندماء
أنسيت فيه القلب عادة حلمه * وحنثت فيه أكؤس الصهباء
جاريت فى طلق التصابى جامحا * لاانثنى لمقادة النصحاء
أطوى شبابى للمشيب مراحلا * برواحل الاصباح والامساء
ياليت شعرى هل أرى أطوى الى * قبر الرسول صحائف البيداء
فتطيب فى تلك الربوع مدائحى * ويطول فى ذاك المقام ثوائى
حيث النبوة نورها متألق * كالشمس ترهى فى سنا وسناء
حيث الرسالة فى ثنية قدسها * رفعت لهدى الخلق خير لواء
حيث الشريع شريعة أكرم مرسل * فخر الوجود وشافع الشفعاء
المصطفى والمرتضى والمجتبى * والمشتق من عنصر العلياء
خير البرية مجتباها ذخرها * ظل الاله الوارف الافياء
تاج الرسالة ختمها وقوامها * وعمادها السامى على الخضراء
لولاه للافلاك ما لاحت بها * شهب تنير دياجى الظلماء
ذو المعجزات الغر والآى الالى * أكبرن عن عد وعن احصاء
وكفاك ردّ الشمس بعد مغيبها * وكفاك ما قد جاء فى الاسراء
والبدر شق له وكم من آية * كالماء سل جاءت بنبع الماء
وبليلة الميلاد كم من رحمة * نشر الاله بها ومن نعماء
قد بشر الرسل الكرام ببعثه * وتقدم الكهان بالانباء
أكرم بها بشرى على قدم سرت * فى الكون كالارواح فى الاعضاء
أمسى بها الاسلام يشرق نوره * والكفر أصبح فاحم الارجاء
هى آية الله التى أنوارها * تجلو ظلام الشك أى جلاء
والشمس لاتخفى مزية فضلها * الاعلى ذى المقلة العمياء
يامصطفى والكون لم تعلق به * من بعد أيدى الخلق والانشاء
يامظهر الحق الجلى ومطلع النـ * ـور السنى الساطع الاضواء

يا ملجأ الخلق المشفع فيهم * يا رحمة الاموات والاحياء
يا آسى المرضى ومنجح الرضا * ومواسى الايتام والضعفاء
اشكو اليك وأنت خير مؤمل * داء الذنوب وفى يديك دوائى
انى مددت يدى اليك تضرعا * حاشى وكلا أن يخيب رجائى
ان كنت لم أخلص اليك فانما * خلصت اليك محبتى وندائى
وبعد مولاى الامام محمد * تعد الامانى أن يتاح لقائى
ظل الاله على البلاد وأهلها * فخر الملوك السادة الخلفاء
غيث العباد وليث مشتجر القنا * يوم الطعان وفارج الغماء
كالدهر فى سطواته وسماحه * تجرى صباه بزعزع ورخاء
رقت سجاياه وراقت مجتلى * كالنهر وسط الروضة الغناء
كالزهر فى ايراقه والبدر فى * اشراقه والزهر فى لألاء
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * فلق الصباح ووا كف الانواء
أنصار دين الله حزب رسوله * والسابقون بحلبة العلياء
يا ابن الخلائف من بنى نصر ومن * حاطوا ذمار الملة السمحاء
من كل من تقف الملوك ببابه * يستمطرون سحائب النعماء
قوم اذا قادوا الجيوش الى الوغى * فالرعب رائدهم الى الاعداء
والعز مجلوب بكل كتيبة * والنصر معقود بكل لواء
يا وارثا عنها مناقبها التى * تسمو مراقيها على الجوزاء
يا خير أندلس وعصمة أهلها * يجزيك عنها الله خير جزاء
كم خضت طوع صلاحها من مهمه * لا تهتدى فيه القطا للماء
تهدى بها حادى السرى بعزائم * تهدى نجوم الافق فضل ضياء
فارفع لواء الفخر غير مدافع * واسحب ذيول العزة القعساء
واهنأ بمبناك السعيد فانه * كهف ليوم مشورة وعطاء
لله منه هالة قد أصبحت * حرم العفاة ومصرع الاعداء
تتنابها طير الرجاء فتجتنى * ثمر المنى من دوحة الآلاء
لله منه قبة مرفوعة * دون السماء تفوت لحظ الرائى
راقت بدائع وشيها فكأنها * وشى الربيع بمسقط الانداء
عظمت ميلاد النبى محمد * وشفعته بالليلة الغراء
أحييت ليلك ساهرا فأفدتنا * قرت القلوب بذلك الاحياء
يا أيها الملك الهمام المجتبى * فاتت علاك مدارك العقلاء
من لى بأن أحصى مناقبك التى * ضاقت بهن مذاهب الفصحاء
واليك منى روضة مطلولة * أرجت أزاهرها بطيب ثناء
فافسح لها أكناف صفحك انها * بكر أتت تمشى على استحياء

قوله انا
اه

قال ابن الاحمر ومن اعذاريات ابن زمرك المحكمة نسقا ووصفا المتناهية في كل فن حسن تعلية غريبة ووصفا حسبما اقتضته ملاحظة النسبة الرفيعة مولانا رحمة الله تعالى عليه واحتفاله المناسب لعزماته من تعميم الخلائق بالجفلى في دعواهم واستدعاء أشراف الامم من أهل المغرب وسواهم تفننا في مكارم متعددة الابهاء عن أصالة المجد معربة واغراء اهم الملأ بما يتضمن الانس من أوضاع مغربة ومباهاة بعرض الجيوش والكتائب لعدو الكافر وتكاثرا من ممالك دولته بالعدد الوافر مما أبلغ الحسن الذكي عيانا وغادر الاعذار الذي في منسيا كاذ الله سبحانه أبوته المولوية عنا وعن آبائنا وتلقى بالقبول الكفيل بتجديد الرضوان ما نصل له من خالص دعائنا انه منعم جواد قوله في الصنيع المختص من ذلك بمولانا الوالد قدس الله تعالى روحه وذلك سنة أربع وستين وسبعمائة (معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا) القصيدة وقد تقدمت بتمامها فراجعها ثم قال ومن ذلك ما أنشد في الصنيع الثاني المخصوص بعمينا السيدين الاميرين سعد ونصر رحمة الله تعالى عليهما وأجاد في وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الاوضاع

أللمحة من بارق متبسم • أرسلته دمعا تمزج بالدم
وللمحة تهفو بيانات اللوى • يهفو فؤادك من جوانح مغرم
هي عادة عذرية من يوم أن • خلق الهوى تعتاد كل متيم
قد كنت أعذل ذا الهوى من قبل أن • أدرى الهوى واليوم أعذل لومى
كم زفرة بين الجوانح ماردت • حذر الرقيب ومدمع لم يسجم
ان كان واشى الدمع قد كتم الهوى • هيهات واشى السقم لما يكتم
ولقد أجدد هواى رسم دارس • قد كاد يخفى عن مخفى توهم
وذكرت عهدا في حماه قد انقضى • فأطلت فيه ترددى وتلومى
ولربما أشجى فؤادى عنده • ورقاء تمت شجوها بترنم
لا أبعد الله الطلول فطالما • أشجى الفصيح بها بكاء الاعجم
يا زاجر الاظعان يحفزها السرى • قف بي عليها وقفة المتلوم
لترى دموع العاشقين برسمها • سمرا كحاشية الرداء المعلم
دمن عهدت بها الشبيبة والهوى • سقيا لها ولعهدها المتقدم
وكتيبة للشوق قد جهزتها • أغزو بها السلوان غزو مصمم
ورفعت فيها القلب بندا خافقا • وأريت للعشاق فضل تقدمى
فأنا الذى شاب الحمامة بالهوى • لكن من أهواه ضايق مقدمى
ذطعنت من قد القوام بأسمر • ورميت من غنج اللحاظ بأسهم
يا قاتل الله الجفون فانها • مهما رمت لم تخط شاكلة الرمى
ظلت قسيل الحب ثم تبينت • للسقم فيها فترة المتظلم
يا ظبية سنحت بأكناف الحمى • سقى الحمى صوب الغمام المسجم
ما ضر اذ أرسلت نظرة فاتك • أن لو عطفت بنظرة المترحم

فرأيت جسما قد أصيب فؤاده * من مقلتيك وأنت لم تتألم
ولقد خشيت بأن يقاد بجرحه * فوهبت لحظك ما أسال من دمى
كم خضت دونك من غمار مفازة * لا تهتدى فيها الليوث لمجثم
والنجم يسرى من دجاه بأسهم * ركب القلاد بالثريا ملجم
والبدر فى صفح السماء كأنه * مرآة هند وسط لج ترتمى
والزهر زهر والسماء حديقة * فتقت كمائم جنحها عن أنجم
والليل مربد الجوانح قد بدا * فيه الصباح كغرة فى ادهم
فكأنما فلق الصباح وقد بدا * مرأى ابن نصر لاح للمتوسم
ملك أفاض على البسيطة عدله * فالشاة لا تخشى اعتداء الضيغم
هو منتهى آمال كل موفق * هو مورد الصادى وكنز المعدم
لاحت مناقبه كواكب أسعد * فرأت ملامح نوره عين العمى
ولقد تراءى بأسه وسماحه * فأتى الجلال من الجمال بتوأم
مثل الغمام وقد تضاحك برقه * فأفاد بين تجهم وتبسم
أنسى سماحة حاتم وكذا الذى * يوم اللقاء ربيعة بن مكدم
سير نسير السيرات بهديها * وتعير عرف الروض طيب تنسم
فالبدر دونك فى علا وانارة * والبحر دونك فى ندى وتكرم
ولك القباب الحمر ترفع للندى * فترى العمائم تحتها كالانجم
يذكى الكباء بها كأن دخانه * قطع السحاب بجوها المتغيم
ولك العوالى السمر تشرع للعدا * فتخر صرعى لليدين وللفم
ولك الايادى البيض قد طوقتها * صيد الملوك ذوى التلاد الاقدم
شيم يقر الحاسدون بفضلها * والصبح ليس ضياؤه بمكتم
ورث السماحة عن أبيه وجده * فالاكرم ابن الاكرم ابن الاكرم
نقلوا المعالى كابرا عن كابر * كالرمح مطرد الكعوب مقوم
وتسنموا رتب العلاء بحقها * ما بين جد فى الخلافة وابنم
يا آل نصر أنتم سرج الهدى * فى كل خطب قد تجهم مظلم
الفاتحون لكل صعب مقفل * والفارجون لكل خطب مبهم
والباسمون اذا الكماة عوابس * والمقدمون على السواد الاعظم
أبناء أنصار النبى وحزبه * وذوى السوابق والجوار الاعصم
سل عنهم أحدا وبدرا تلقهم * أهل الغناء بها وأهل المغنم
وبفتح مكة كم لهم فى يومه * بلواء خير الخلق من متقدم
أقسمت بالحرم الامين ومكة * والركن والبيت العتيق وزمزم
لولا مآثرهم وفضل علاهم * ما كان يعزى الفضل للمتقدم
ماذا عسى أثنى وقد أثنت على * عليائهم آى الكتاب المحكم

يا وارثا عن أماثرها التي * قد شيدت للفخر أشرف معلم
يا بحر أندلس لقد مدت الى * عليائك كف اللائذ المستعصم
آثار سعودك في الوغى فتكفلت * بسلامة الاسلام فاخلد واسلم
وافيت هذا الثغر وهو على شفى * فشفيت معضل دائه المستحكم
ورعيته بسياسة دارت على * تخطيطه دور السوار بمعصم
كم ليلة قد بت فيها ساهرا * تهدي الامان الى العيون النوم
يا مظهر الالطاف وهي خفية * ومهب ريح النصر للمتنسم
لله دولتك التي آثارها * سير الركاب بانجد أو متهم
ما بعد يومك في المواسم بعدما * أنست عيد الفطر أكرم موسم
وافتك أشراف البلاد ليومه * من كل ندب للعلا متقدم
صرفوا اليك ركابهم وتيمموا * من بابك المنتاب خير ميمم
وتبوؤا منه بدار كرامة * فالكل بين مقرب ومنعم
ودت نجوم الافق لو مثلت به * لتفوز فيه برتبة المستخدم
والروض يختال بحلية سندس * من كل موشي الرقوم منمنم
ورياحه نسمت بنشر لطيمة * وأقاحه بسمت بثغر مسلم
وأريتنا فيه عجائب جمة * لم تجر في خلد ولم تتوهم
أرسلت سرعان الجياد كأنها * أسراب طير في التنوفة حوم
من كل محفز بخافقة بارق * قد كاد يسبق لمحة المتوهم
طرف يشك الطرف في استقباله * فكأنه ظن بصدر مرجم
وسائر في الجو تحسب أنه * يرقى الى أوج السماء بسلم
رام استراق السمع وهو ممنع * فأصيب من قضب العصى بأسهم
رجمته من شهب النصال حواصب * لولا تعرضه لها لم يرجم
ومدارة الافلاك أعجز كنهها * ابداع كل مهندس ومهندم
يمشي الرجال بجوفها وجميعهم * عن مستوى قدميه لم يتقدم
ومنوع الحركات قد ركب الهوا * يمشي على خيط به متوهم
فاذا هوى من جوه ثم استوى * أبصرت طيرا حول صورة آدمي
يمشي على فنن الرشا فكأنه * فيه مساور ذابل أو أرقم
والبيت من صون العقول عقيلة * وقفت ببابك وقفة المسترحم
ترجو قبولك وهو أكبر منحة * فاسمح به خلدت من متكرم
طاردت فيها وصف كل غريبة * فنظمت شارده الذي لم ينظم
ودعوت أرباب البيان أريهم * كم غادر الشعراء من متردم
ماذاك الا بعض أنعمك التي * قد علمتنا كيف شكر المنعم

ثم قال وأنشد من ذلك في الصنيع المخصوص بعمنا الامير أبي عبد الله رحمة الله تعالى عليه

واطنب

وأطنب فى وصف دار الملك وغير ذلك من ضخامة آثار مولانا رضى الله تعالى عنه

سل الافق بالزهر الكواكب حاليا * فانى قد أودعته شرح حاليا
وحملت معتل النسيم أمانة * قطعت بها عمر الزمان أمانيا
فيامن رأى الارواح وهى ضعيفة * أحلها ما يستخف الرواسيا
وساوس كم جدّت وجدّ بى الهوى * فسدّته القلب المقلب هازيا
ومن يطع الالحاظ فى شرعة الهوى * فلابدّ أن يعصى نصيحا ولاحيا
عدلت بقلبى عن ولاية حكمه * غداة ارتضى من جائر اللحظ واليا
وما الحب الا نظرة تبعث الهوى * وتعقب ما يعيى الطبيب المداويا
فيا عجبا للعين تجنى طليقة * ويصبح من جرائها القلب عانيا
الا فى سبيل الله نفس نفيسة * يرخص منها الحب ما كان غاليا
ويارب عهد للشباب قضيته * وأحسنت من دين الوصال التقاضيا
خلوت بمن أهواه من غير رقبة * ولكن عفافى لم أكن عنه خاليا
ويوم بستان الظباء شهدته * أجدّد وصالا بالسالفه باليا
ولم أصح من خمر اللحاظ وقد غدا * به الجوّ وضاح الاسرّة ضاحيا
وجرّد من غمد الغمامة صارما * من البرق مصقول الصفيحة صافيا
تبسم فاستبكى جفونى غمرة * ملأت بدرّ الدمع منها ردائيا
وأذكرنى ثغرا ظمئت لورده * ولولا الهوى العذرى ما كنت ناسيا
وراح خفوق القلب مثلى كأنما * يبرق الحمى من لوعة الحب ما بيا
وليلة بات البدر فيها مضاجعى * وباتت عيون الشهب نحوى روانيا
كرعت بها بين العذيب وبارق * بمورد ثغر بات بالدرّ حاليا
رشفت به شهد الرضاب سلافة * وقبلت فى ماء النعيم الاقاحيا
فيا برد ذاك الثغر روّيت غلتى * ويا حرّ أنفاسى أذبت فؤاديا
وروضة حسن للشباب نضيرة * بصرت بغصن البان فيها الجانيا
وبت أسقى وردة الخدّ أدمعى * فأصبح فيها نرجس اللحظ ذاويا
ومالت بقلبى مائلات قدودها * فيا للقدود المائلات ومالبا
جزى الله ذاك العهد عودا فطالما * أعاد على ربع الظباء الجوازيا
وقل للمبالى فى الشباب نعيمها * وقضيتها أن ساعفت لياليا
ويا واديا رفت على ظلاله * وغصن نديّ الوصل فديت واديا
رمتنى عيون السرب فيه وانما * رمين بقلبى فى الغرام المراميا
فلولا اعتصامى بالامير محمد * لما كنت من فتك اللواحظ ناجيا
فقل للذى يثنى على الحسن شعره * عليه مع الاحسان لازلت بانيا
فكم من شكاة فى الهوى قد رفعتها * ورفعتها بالمدح اذ جاء تاليا
وكم ليلة فى مدحه قد سهرتها * أباهى بدرّ النظم فيه الدراريا

ولاح عمود الصبح مثل انسابه * رفعت عليه للمديح المبانيا
امام أفاد المكرمات زمانه * وساكنه فوق النجوم العواليا
وجاوز قدر البدر نورا ورفعة * ولم يرض الا بالكمال مواليا
هو الشمس بت في البسيطة نفعها * وأنوارها أحدث قريبا وقاصيا
هو البحر بالاحسان يزخر موجه * ولكنه عذب لمن جاء عافيا
هو الغيث يهمى عل الغيث سحبه * يروى بصوب الجود من كان صاديا
شمائل لو أن الرياض بحسنها * لما صار فيها زهرها الغض ذاويا
فيا ابن الملوك الصيد من آل خزرج * وذا نسب كالصبح عز ساميا
ألست الذى ترجو العفاة نواله * فتخجل جدواه السحاب الغواديا
ألست الذى تخشى البغاة صياله * فتوجل علياء الصعاب العواديا
وهديك مهما ضلت الشهب قصدها * تولته في جنح الدجنة هاديا
وعزمك أمضى من حسامك في الوغى * وان كان مصقول الغرارين ماضيا
فكم قادح في الدين يكفر ربه * قدحت له زند الحفيظة واريا
ومارأيه الاحسام وعزمة * يضيآن في ليل الخطوب الدواجيا
فلولاك باشمس الخلافة لم يبن * سبيل جهاد كان من قبل خافيا
ولولاك لم ترفع سماء عجاجة * تلوح بها بيض النصول دراريا
ولولاك لم تنهل غصون من القنا * وكانت الى ورد الدماء صواديا
فاثمر فيها النصل نصرا مؤزرا * وأجنى قطاف الفتح غضا ودانيا
ومهما غدا اصفاح سيفك عاريا * يغادر وجه الارض بالدم كاسيا
قضى الله من فوق السموات انه * على من أبى الاسلام في الارض قاضيا
فكم معقل للكفر صبحت أهله * بجيش أعاد الصبح أظلم داجيا
رقيت اليه والسيوف مشيحة * وقد بلغت فيه النفوس التراقيا
فتحت من ماء الممنع عنوة * وبات به التوحيد يعلو مناديا
وناقوسه بالقسر أمسى معطلا * ومنبره بالذكر أصبح حاليا
عجائب لم تخطر ببال وانما * ظفرنا بها عن همة هي ماهيا
فمنك استفاد الدهر كل عجيبة * يباهي بها الاملاك أخرى اللياليا
وعنك روى الناس كل غريبة * تخط على صفح الزمان الاماليا
ولله مبناك الجميل فانه * يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم فيه للابصار من متنزه * تجدد به نفس الحليم الامانيا
وتهوى النجوم الزهر لوثبتت به * ولم تك في أفق السماء جواريا
ولو مثلت في ساحتيه لسابقت * الى خدمة ترضيك منها الجواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا * به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة جللته بحليها * من الوشى تنسى السابرى اليمانيا

وكم من فتى في ذراه ترفعت * على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها * تطل عمود الصبح اذ بات باديا
سواري قد جاءت بكل غريبة * فطارت بها الامثال تجري سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره * فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
اذا ما أضاءت بالشعاع تخالها * على عظم الاجرام منها لآليا
به البحر دفاع العباب تخاله * اذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
اذا ما جلت أيدي الصبا متن صفحه * ارتنا دروعا ما كستنا الاياديا
وراقصة في البحر طوع عنانها * تراجع ألحان القيان الاغانيا
اذا ما علت في الجو ثم تحدرت * تحلى بمرفض الجمان النواحيا
بذوب لجين سال بين جواهر * غدا مثلها في الحسن أبيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد * فلم أدر أيا منهما كان جاريا
فان شئت تشبيها له عن حقيقة * تصيب بها المرمى وبوركت راميا
فقل ارقصت منها البصيرة نشوها * كما رقص المولود من كان لاهيا
أرتنا طباع الجود وهي وليدة * ولم ترض في الاحسان الا التغاليا
سقت ثغر زهر الروض عذب برودها * وقامت لكي تهدي الى الدهر ساقيا
كأن قد رأت نهر المجرة ناضبا * فقامت بان تجري اليه السواقيا
وقامت بنات الدوح فيه مواثلا * فرادى ويتلو بعضهن مثانيا
رواضع في حجر الغرام ترعرعت * وشبت فشبت حبها في فؤاديا
بها كل ملتف الغدائر مسبل * تجيل به أيدي النسيم مداريا
وأشرف جيد الغصن فيها مطلا * تقلدت النوار منه التراقيا
اذا ما تجلت در زهر غروسه * يبيت لها النمام بالطيب واشيا
مصارفة النقدين فيها بمثلها * أجاز بها النقدين منها كما هيا
فان ملأت كف النسيم بمثلها * دراهم نور ظل عنها مكافيا
فيملأ حجر الروض حول غصونها * دنانير شمس تترك الروض حاليا
تعود في أفنانها الطير كلما * تجس به أيدي القيان الملاهيا
تراجعها سجعا فتحسب انها * بأصواتها تملي عليها الاغانيا
فلم ندر روضا منه أنعم نضرة * وأعطر أرجاء وأحلى مجانيا
ولم نر قصرا منه أعلى مظاهرا * وأرفع آفاقا وأفسح ناديا
معاني من نفس الكمال اقتنيها * وزينت منها بالجمال المغانيا
وفاتحت مبناه بعيد ثمر عته * تبث به في الخافقين التهانيا
ولما دعوت الناس نحو صنيعه * أجابوا الهم من جانب الغور داعيا
وأتوه من أقصى البلاد تقربا * ومازال منك السعد يدني الاقاصيا
وأذكرت يوم العرض جودا ومنعة * بموقف عرض كنت فيه المجازيا

جزيت به شكلا على حال سعيه * فاغرست جناه أصبح جانيا
وأطلعت من برج الوقود هوادجا * تذكر يوم النفر من كان ساهيا
وحين غدا يذكى منار لقرى * فلا غرو ان أجريت فيه المذاكيا
وطالعة فى الجو غير مطالة * يرد مداها الطرف أحسر عانيا
تقلها الجوزاء كف مصارع * ويدنو لها بدر السماء مناجيا
ولا عجب ان فاتت الشهب بالعلا * وان جاوزت منها المدى المتناهيا
فبين يدى مثواك قامت لخدمة * ومن خدم الاعلى استفاد المعاليا
وشاهد ذاتى ببابك واقف * وقد حسدت زهر النجوم مكانيا
وقد أرضعت ثدى الغمائم قبلها * بحجر رياض كن فيه نواشيا
فلما أبنت عن قرارة أصلها * أرادت الى مرقى الغمام تعاليا
وعدت لقاء السحب عيدا وموسما * لذلك اعتدت بالزمر تلهى الغواديا
فأضحكت البرق الطروب خلالها * وبات لأكواس الدرارى معاطيا
رأت نفسها طالت فظنت بأنها * تفوت على رغم اللحاق المراميا
فجئت اليها الزائلات كأنها * طيور الى وكر أطلن تهاويا
حكت شبها للنحل والنحل حوله * عصى الى مثواه تهوى عواليا
فمن مثبت منها الرمية مدرك * ومن طائش فى الجو حلق وانيا
ومن منبع فى ذراها قد ارتقى * فأبعد فى الجو الفضاء المراقيا
كأن بروق الجو غارت وقد أرت * بروج قصور شيدت من سواميا
فأنشأت برجا صاعدا متنزلا * يكون رسولا بينهن مداريا
تطور حالات أتى فى ضروبها * بأنواع حلى تستفز الغوانيا
فجعل رجليها وشاح بخصرها * وتاج الى ما حل منها الاعاليا
وماهر الاطيار سعد بذروة * غدا زاجرا من أشهب الصبح بازيا
أمولاى يا فخر الملوك ومن به * سيبلغ دين الله ما كان راجيا
بنوك على حكم السعادة نجمة * وذا عدد للعين مازال واقيا
نبت لهم كف الثريا معيذة * وأصبح معتل النسيم رواقيا
أسام عليها للسعادة ميسم * ترى العز فيها مستكنا وباديا
جعلت أبا الحجاج فاتح طرسهم * وقد عرفت منك الفتوح التواليا
وحسبك سعد ثم نصر يليهم * محمد الارضى فجازت راضيا
أقمت به من فطرة الدين سنة * وجددت من رسم الهداية عافيا
وجاؤا به مل العيون وسامة * يقبل وجه الارض أزهر باهيا
فيا عاذلا ما كان أجرأ مثله * فتلك لأيدى الاسود الضواريا
وجاءتك من مصر التحايا كرائما * فما اتقت أيدى التجار الغواليا
ووافتك من أرض الحجاز تحية * تتم صنيع الله لازال باديا

وبادالك

وناداك بالتنويل سلطان طيبة * فيا طيب ما أهدى اليك مناديا
وقام وفد وافى ضريح محمد * لسلطانك الاعلى هنالك داعيا
سرى بك الرحمى بجرائك بسعيها * المهوى فى الجزاء المساعيا
فوالله لولا سنة نبوية * عهدناه مهديا اليها وهاديا
وعذر من الاعذار قرر حكمه * من الشرع أخبار رفعن عواليا
لراعت بها الجزر أهوال موقف * تشيب ببيض النصول العواليا
لك الحمد فيه من صنيع تعده * فما له فى الفخر عز ثانيا
تشد له الجوزاء عقد نطاقها * لتخدم فيه كى تنال المعاليا
وهنيت بالامداح فيه وقد غدا * وجودك فيه بالاجادة وافيا
ودونك من بحر البيان جواهرا * كرمن فاشرين الاغواليا
وطاردت فيها وصف كل غريبة * فأعجزت من يأتى ومن كان ماضيا
فيا وارث الانصار لا عن كلالة * تراث جلال يستخف الرواسيا
بامداحه جاء الكتاب مفصلا * يرتل فى الذكر من كان تاليا
لقد عرف الاسلام مما أمدته * مكارم انصارية وأياديا
عليك سلام الله فاسلم مخلدا * تجدد أعيادا وتبلى أعاديا

ثم قال ومن ذلك فى الصنيع المختص بالامراء الجلة أخينا المعز لدولتنا أبى الحسن وأخينا أبى العباس وابن عمنا أبى عبد الله وصل الله تعالى سعودهم ولقد أبدع فى تشييده وتأسيسه وبسط يد الحسن من براعته وتخميسه وذلك على أثر عودة مولانا رحمه الله تعالى عليه من سبتة لما عادت الى ملكه

أرقت لبرق مثل جفنى ساهرا
ينظم من قطر الغمام جواهرا
فيبسم ثغر الروض عنه أزاهرا
وصبح حكى وجه الخليفة باهرا * تجسم من نور الهدى وتجسدا
شفانى معتل النسيم اذا انبرى
وأسند عن دمعى الحديث الذى جرى
وقد فتق الارجاء مسكا وعنبرا
كأن الغنى بالله فى الروض قد سرى * فهبت به الارواح عاطرة الردا
عذيرى من قلب الى الحسن قد صبا
تهيجه الذكرى ويصبو الى الصبا
ويجرى جياد اللهو فى ملعب الصبا
ولولا ابن نصر ما أفاق وأعتبا * رأى وجهه صبح الهداية فاهتدى
اليك أمير المسلمين شكاية
جنى الحسن فيها القلوب جناية

وأعظم فيها بالعيون نكاية
وأطلع في ليل من الشعر آية * محيا جميلا بالصباح قد ارتدى
به يك تهدى النيرات وتهتدى
وأنواؤها جدوى يمينك تجتدى
وعدلك للاملاك أوضح مرشد
بآثاره في مشكل الامر تقتدى * فيا بأبى سلطان الجمال قد اعتدى
تحكم منا في نفوس ضعيفة
وسل سيوفا من جفون نحيفة
ألم يدر أنا في ظلال خليفة
ودولة أمن لا تراع منيفة * بها قد رسا دين الهدى وتمهدا
حذوا بدم المشتاق لما أراقه
وبرقا بأعلام الثنية شاقه
وان كلفوه فوق ما قد أطاقه
حديثا ما ألذ مساقه * خليفتنا المولى الامام محمدا
تقلد حكم العدل دينا ومذهبا
وجور الليالى قد أزاح وأذهبا
فيا عجبا للشوق أذكى والهبا
وسل صباح صارم البرق مذهبا * وقد بات في جفن الغمامة مغمدا
يذكرنى ثغرا لاسماء أشنبا
اذا ابتسمت تجلو من الليل غيهبا
كعزم أمير المسلمين اذا احتبى
وأجرى به طرفا من الصبح أشهبا * وأصدر في ذات الاله وأوردا
فسبحان من أجرى الرياح بنصره
وعطر أنفاس الرياض بشكره
فبرد الصبا يطوى على طيب نشره
ونهر ما تجلى وجهه وسط قصره * ترى هالة بدر السماء بها بدا
امام أفاد المعلوات زمانه
فالحقت زهر النجوم مكانه
ومد على شرق وغرب أمانه
ولا عيب فيه غير أن بنانه * تفرق مستجديه في أبحر الندى
هو البحر مد العارض المتهللا
هو البدر لكن لا يزال مكملا
هو الدهر لا يخشى الخطوب ولا ولا

هو العلم الخفاق في هضبة العلا * هو الصارم المشهور في نصرة الهدى

أما والذي أعطى الوجود وجوده

وأوسع من فوق البسيطة جوده

لقد أصحب النصر العزيز بنوده

ومدّ بأملاك السماء جنوده * وأنجز للاسلام بالنصر موعدا

أمولاي قد أنجحت رأيا وراية

ولم تبق في سبق المكارم غاية

فتهدى سجايا كابن رشد نهاية

وان كان هذا السعد منك بداية * سيبقى على مرّ الزمان مخلدا

سعودك تغنى عن قراع الكتائب

وجودك يزرى بالغمام السواكب

وان زاحمتها شهبها بالمناكب

ووجهك بدر المنتدى والمواكب * وقد فسحت في الفخر أبناؤك المدى

بنوك كأمثال الانامل عدّة

أعدّت لما يخشى من الدهر عدّة

وزيد بهم برد الخلافة جدّة

أطال لهم في ظل ملكك مدّة * اله يطيل العمر منك مؤبدا

بدور بأوصاف الكمال استقلت

غمام بفياض النوال استهلت

سيوف على الاعداء بالنصر سلت

نجوم بآفاق العلاء تجلت * ولاحت كأشباه سعودك أسعدا

وان أبا الحجاج سيفك منتضى

وبدر بآفاق الجمال تعرّضا

بنورك يا شمس الخلافة قد أضا

وراقت على أعطافه حلل الرضا * فحلّ محلا من علاك ممهدا

مليك له تعنو الملوك جلالة

يجرّر أذيال الفخار مطالة

وتفرق أسد الغاب منه بسالة

وترضاه أنصار الرسول سلالة * فأبناؤه طابوا فروعا ومحتدا

أزاهر في روض الخلافة أينعت

زواهر في أفق العلاء تطلعت

جواهر أغنت في الجمال وأبدعت

ومن قيمة الاعلاق قدرا ترفعت * يسر بها الاسلام غيبا ومشهدا

بعهد ولى العهد كرم عهده
وأنجز فى تقليد ملكك وعده
تنظم منهم تحت ملكك عقده
وأورثهم فخرا أبوه وجده • فأعلى علاهم حين أمجد أمجدا
تحوط بهم ملكا عزيزا وملة
وتطلع عين السعد منهم أهلة
ستبدو على أفق العلا مستقلة
وصابت بفياض العلا مستهلة • تفجر بحرا للسماحة مزبدا
وعولك نصر يقتفى نجل رسمه
أمير يزين العقل راجح حلمه
أتاك بنجل يستضاء بنجمه
سمى رسول الله حاز باسمه • ويا ملك فى هذى الموافقة اقتدى
أدت بأعذار الامارة سنة
وطوقت من حلى بعمرك منة
وأسكنتها فى ظل بيتك جنة
وألحفتها برداء أمنك جنة • وعرفتها بالتلاوة مسجدا
فلله عينا من رآهم تطلعوا
غصونا بروض الجود منك ترعرعوا
وفى دوحة العلياء منك تفرعوا
ملوك بجلباب الحياء تقنعوا • أضاء بهم من أفق قصرك منتدى
وقد أشعروا الصبر الجميل نفوسهم
وأضفوا به فوق الحلى لبوسهم
وقد زينوا بالبشر فيه شموسهم
وعاطوا كؤوس الانس فيه جليسهم • وأبدوا على هول المقام تجلدا
شمائل فيهم من أبيهم وجدهم
تفصل آى الفخر فيها بحمدهم
وتنسبها الانصار قدما لسعدهم
تضىء بها أنوار مصابيح سعدهم • ولم لا ومن صحب الرسول توقدا
فوالله لولا سنة قد أقمتها
وسيرة هدى للنبى علمتها
وأحكام عدل للجنود رسمتها
لجالت بها الابطال تقصد سمتها • وتترك أوصال الوشيج مقصدا
ويا عادرا أبدى لنا الشرع عذره

طرقت حمى قد عظم الله قدره
وأحرزت طيبا يحسد الطيب نشره
لقد جئت ما استعظم الصيد أمره * وقدمته ان يقبل خليفتها غدا
رعى الله منها دعوة مستجابة
أفادت نفوس المخلصين انابة
ولم تأل من دون القبول حجابة
وعاذرها لم يبد عذرا مهابة * فأوجب عن نقص كمالا تزيدا
فنقص كمال المال وفر نصابه
وما السيف الا بعد مشق ذبابه
وما الزهر الا بعد شق اهابه
بقطع يراع الخط حسن كتابه * وبالقص يزداد الذبال توقدا
ولاقصوا من سنة الشرع واجبا
ولم تأل من دون الخلافة حاجبا
أقمنا نرى منك جذلان واهبا
أفاض علينا أنعما ومواهبا * تعود بذل الجود فيما تعودا
هنيأ هنيأ قد بلغت مؤملا
وأطلعت نورا يبهر المتأملا
وأحرزت أجر المنعمين مكملا
تبارك من أعطى جزيلا وأجملا * وبلغ فيك الدين والملك مقصدا
الا في سبيل العز والفخر موسم
يظل به ثغر المسرة يبسم
وعرف الرضا من جوه يتنسم
وأرزاق أرباب السعادة تقسم * ففي وصفه ذهن الذكي تبلدا
وجلت في هذا الصنيع مصانعا
ترى بدور التم منها مطالعا
وأبديت فيها للجمال بدائعا
وأجريت للاحسان فيها مشارعا * يوتيها ظمآن المسرة موردا
وأجريت فيها الخيل وهي سوابق
وان طلبت في الروع فهي لواحق
نجوم وآفاق الطراد مشارق
يفوت التماح الطرف منها بوارق * اذا ما تجارى الشهب تستبق المدى
وتطلع في ليل القتام كواكبا
وقد وردت نهر النهار مشاربا

قوله تجب اه

تقود الى الاعداء مهما كرا كا
تدبّ من فوق التراب شاربا • تخوض رؤس الروم فيهنّ مجددا
سوابح بالنصر العزيز سوابح
وهنّ لابواب الفتوح صوافح
تقود اليك النصر والله مانح
فانت باب الخير والله فاتح • وما ثمّ شئ قد عدا بعد ما بدا
رياح لها مثنى البروق أعنة
ظلماء فان جنّ الظلام جنة
تقيها من البدر المقيم جنة
وتشرع من زهر النجوم أسنة • فتقذف شهب الرجم فى أنفس العدا
فاشهب من نسل الوجيه اذا اتى
جرى فرأى شهب الكواكب فى السما
وخلف منها فى المقاد أنجما
تردّى جمالا بالصباح وربما • يقول له الاصباح نفسى لك الفدا
وأحمر قد أذكى به البأس جمرة
وقد سلب الياقوت والورد حمرة
ادارته ساق من الحرب خمرة
وأبدى حبابا وهو الحسن غرة • يزين بها خد الأسيل مورّدا
وأشقر مهما شعشع الركض برقه
أعار جواد البرق فى الافق سبقه
بدا شفقا قد جلل الحسن أدقه
ألم تر أن الله أبدع خلقه • فسال على أعطافه الحسن عسجدا
وأصفر قد ودّ الاصيل جماله
وقد قدّ من ردّ العشى جلاله
اذا أسرج اجنح الظلام ذباله
ففرّته شمس تفئ مجاله • وفى ذيله ذيل الظلام قد ارتدى
وأدهم فى مسح الدجى متجرّد
يجيش به بحر من الليل مزبد
وغرّته نجم به تتوقد
له البدر سرج والنجوم مقلد • وفى فلق الصبح المبين تقيدا
وأبيض كالقرطاس لاح صباحه
على الحسن مغداه وفيه مراحه
ولاطيبات الاكتنان مراحه

تراه كنشوان أمالته راحه * وتحسبه وسط المجال معربدا

وذاهبة في الجو طل عنانها
وقد فتقت السحب برد عنانها
يفوت ارتداد الطرف لمح عيانها

وخفت الجوزاء سبط بنانها * وصاغت لها حلى النجوم مقيدا

أراها عمود الصبح علو المصاعد
وأوهمها قرب المدى المتباعد
ففاتته سبقا في مجال الرواعد

وأتحفت الكف الخضيب بساعد * فطوقت الزهر النجوم به يدا

وقد قذفتها بالعصى حواصب
قد انتشرت في الجو منها ذوائب
تزاور منها في الفضاء حبائب

فبينهما من قبل ذا التناسب * لانهما في الروض قبل تولدا

بنات لام قد حبين لروحها
دعاها الهوى من بعد كتم لبوحها
فأقلامها تهوى لخط بلوحها

فبالامس كانت بعض أغصان دوحها * فعادت اليها اليوم من بعد عودا

ويارب حصن في ذراها قد اعتلى
أثارت بروج الافق في مظهر العلا
بروج قصور شدتها متطولا

فأنشأت برجا صاعدا متنزلا * يكون رسولا بينها مترددا

وهل هي الاهالة حول بدرها
يصوغ لها حليا يليق بنحرها
تطوق أنواعا نشيد بنحرها

فخجل برجليها وشاح بخصرها * وتاج بأعلى رأسها قد تنضدا

أراد استراق السمع وهو ممنع
فقام بأذيال الدجى يتلفع
وأصغى لاخبار السما يتسمع

فأتبعه منها ذوابل شرع * لتقذفه بالرجم مثنى وموحدا

وماهو الاقائم مد كفه
ليسأل من رب السموات لطفه
لمولى تولاه وأحكم وصفه

وكاف أرباب البلاغة وصفه * وأكرم منه القانت المتهجدا

ملاق ركب من وفود المواسم
مقبل ثغر للبروق البواسم
مختم كف بالنجوم العواتم
مبلغ قصد من حضور المواسم • تجدده مهما صنيع تجددا
ومضطرب في الجو أثبت قامة
تقدم يمشي في الهواء كرامة
تطلع في غصن الرشاء كمامة
وتحسبه تحت الغمام غمامة • يسيل على أعطافها عرق الندى
هوى واستوى في حالة وتقلبا
كخاطف برق قد تألق خلبا
وتحسبه قد دار في الافق كوكبا
ومهما مشى واستوقف العقل معجبا • تقلب فيه العين لحظا مرددا
لقد رام رقي للسماء بسلم
فيمشي على خط به متوهم
أجل في الذي يبديه فكر توسم
ترى طائرا قد حل صورة آدمي • وجناب هواة الفضاء تمردا
ومنتسب للعالم سموه ملهما
له حكمات حكمها فاه أبجما
تخالف جدا والداه اذا انتمى
كما جنسه أيضا تخالف عنهما • عجبت له اذلم يلد وتولدا
ثلاثتها في المركبات مبينة
من الآلاء سماها الاله زينة
وأنزل فيها آية مستبينة
وأودع فيها للجمهور سكينة • وآلاؤه فيها على الخلق بددا
كسوه من الوشي اليماني هودجا
يمد على ما دونه الظل سجسجا
وكم صورة تجلى به تبهر الحجا
وبرج وكور داره تصدع الدجى • وقلب حسود غاظ مذكيه موقدا
وماهي الا ظاهر باجتهاده
أرتنا بها الافراح فضل اجتهاده
ملاعبها زانت قدود صعاده
واذكرت الابطال يوم طراده • فما رتبت فيه اليوم صدرته غدا
الا جدد الرحمن صنعا حضرته

ودوح الامانى فى ذراه هصرته
بقصر طويل الوصف فيه اختصرته
يقيد طرف الطرف مهما نظرته * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا
دعوت له الاشراف من كل بلدة
فجاؤا بآمال لهم مستجدة
وخصوا بألطاف لديه معدة
أياد بمياض الندى مستمدة * نشكلهم من فضله قد ترددا
وجاءتك من آل النبى عصابة
لها فى مرامى المكرمات اصابة
أحبتك حبا ليس فيه استرابة
ولبت دواعى الفوز منها اجابة * وناداهم التخصيص فابتدروا الندا
أجازوا اليك البحر والبحر يزخر
لبحر سماح مده ليس يجزر
فروّاهم من عذب جودك كوثر
ووالت من نعماك ماليس يحصر * وظنهم ترجو النبى محمدا
عليه صلاة الله ثم سلامه
به طاب من هذا النظام اختتامه
وجاء بحمد الله حلوا كلامه
يعز على أهل البيان مرامه * ويمسى له زهر الكواكب حسدا
أبث به حادى الركاب مشرقا
حديث جهاد للنفوس مشوقا
رميت به من بالعراق مفوقا
وأرسلت منه بالبديع مطوقا * حماما على دوح الثناء مغردا
ركضت به خيل البيان الى مدى
فأحرزت خصل السبق فى حلبة الهدى
ونظمت من نظم الدرارى مقلدا
وطوقت جيد الفخر عقدا منضدا * وقمت به بين السماطين منشدا
نسقت من الاحسان فيه فرائدا
وأرسلت فى روض المحاسن رائدا
وقلدت عطف الملك منه قلائدا
تعوّدت فيه للقبول عوائدا * فلازلت للفعل الجميل معوّدا
ولازلت للصنع الجميل مجددا
ولازلت للفخر العظيم مخلدا

وعمرت عمرا لايزال مجـددا

وعمرت بالابناء أوحد أوحدا * وقرّت بهم عيناك ماساق حدا

(وقال فى عيد)

بشرى كما وضح الزمان وأجمل * يثنى سناها كل من يتهلل
أبدى لها وجه النهار طلاقة * وافترّ عن ثغر الاقاح مقبل
ومنابر الاسلام بالملك العلى * بجـلالك أوبحليها تتكلل
تجلو لنا الاكوان منك محاسنا * تروى على مرّ الزمان وتنقل
فالشمس تأخذ من جبينك نورها * والبشر منك بوجهها يتهلل
والروض ينفح من شذاك طيبه * والورق فيه بالمدائح تهدل
والبرق سيف من سيوفك منتضى * والسحب تهمى من يديك وتهمل
يا أيها الملك الذى أوصافه * درّ على جيد الزمان يفصل
الله أعطاك التى لافوقها * وحباك بالفضل الذى لايجهل
وجه كما حسر الصباح نقابه * لضيائه تعشو البدور الكمل
تلقاه فى يوم السماحة والوغى * والبشر فى جنباته يتهلل
كف أبت أن لاتكف عن الندى * أبدا فان ضنّ الحيا تسترسل
وشما ئل كالروض باكره الحيا * وسرت بريّاه الصبا والشمأل
خلق ابن نصر فى الجمال كخلقه * مابعدها من غاية تتكمل
نور على نور بأبهى منظر * فى حسنه لمؤمّل ماياْمل
فاق الملوك بسيفه وبسيبه * فبعدله وبفضله يتمثل
واذا تطاول للعميد عميدهم * فله عليه تطاول وتطوّل
يا آية الله التى أنوارها * يهدى بها قصد الرشاد الضال
قل للذى التبست معالم رشده * هيهات قد وضح الطريق الامثل
قد ناصح الاسلام خير خليفة * وحمى عزيز الملك أغلب أشبل
فلقد ظهرت من الكمال بمستوى * مابعده لذوى الخلافة مأمل
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لاتفصل
فالجود الامن يديك مقتر * والغيث الامن نداك مبخل
والعمر الاتحت ظلك ضائع * والعيش الافى جنابك محمل
حيث الجهاد غدا عاث راياته * حيث المغانم للعفاة تنفل
حيث القباب الحمر ترفع للقرى * قد عام فى ارجائهن المندل
ياحجة الله التى برهانها * عز المحق به وذل المبطل
قل للذى ناواك يدفع قومه * فوراءه ملك يقول ويفعل
والله جلّ جلاله ان أمهلت * أحكامه مستدرجا لاتهمل
يا ناصر الاسلام وهو فريسة * أسد الفلا من حولها تتسلل

يا فخر أندلس وعصمة أهلها * لله نعم النعمة التي لا تجهل
لا يهمل الله الذين رعيتهم * فلأنت أكفى والعناية أكمل
لا يبعد النصر العزيز فانه * آوى اليك وأنت نعم الموئل
لولاك لم يك للمنافس الندى * وبلغ من ورد الصنائع منهل
لولاك كان الدين يغمط حقه * ولكان دين النصر فيه يمطل
لكن جنيت الفتح من شجر القنا * وجنى الفتوح لمن عداك مؤمل
فلذلك ما استفتحت كل ممنع * من دونه باب المطامع مقفل
ومتى نزلت بمعقل متأشب * فالعصم من شعفاته تستنزل
واذا غزوت فان سعدك ضامن * أن لا تخيب وأن قصدك يكمل
فمن السعود أمام جيشك موكب * ومن الملائك دون جندك جحفل
وكتيبة أردفتها بكتيبة * والخيل تمرح في الحديد وترفل
من كل منصفر كلمعة بارق * بالبدر يسرج والاهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه * كفل كما ماج الكثيب الاهيل
حتى اذا ملك الكمي عنانه * يهوي كما يهوي بجو أجدل
حملت أسود كريهة يوم الوغى * ما عابها الا الوشيج الذبل
لبسوا الدروع غدائرا مصقولة * والسمر قضب فوقها تتهدل
من كل معتدل القوام مثقف * لكنه دون الضريبة يعسل
أذكيت فيه شعلة من نصله * يهدى بها ان ضل عنه المقتل
ولرب لماع الصقال مشهر * ماض ولكن فعله مستقبل
رقت مضاربه وراق فرنده * فالحسن فيه مجمل ومفصل
فاذا الحروب تسعرت أجزالها * ينساب في يمناك منها جدول
واذا دجا ليل القتام رأيته * وكأنه فيه ذبال مشعل
فاعجب لها من جذوة لا تنطفي * في أبحر زخرت وهن الانصل
هي سنة أحييتها وفريضة * أديتها قربانها تتقبل
فاذا الملوك تفاخرت بجدودها * فلأنت أحفى بالجهاد وأحفل
يا ابن الذين جمالهم ونوالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
يا ابن الامام ابن الامام ابن الاما * م ابن الامام وقدرها لا يجهل
آباؤك الانصار تلك شعارهم * فلهم آوى النبي المرسل
فهم الالى نصروا الهدى بعزائم * مصقولة وبصائر لا تخذل
ماذا يحبر شاعر في مدحهم * وبفضلهم أثنى الكتاب المنزل
مولاي لا أحصي مآثرك التي * بحديثها تنضى المطي الذلل
واذا الحقائق ليس يدرك كنهها * سيان فيها مكثر ومقلل
فاليك من شوال غرة وجهه * اهدا كها يوم أغر محجل

عذراء راق العيد رونق حسنها • فغدا بنظم حليها يتجمل
رضعت لبان العلم في حجر النهى • فوفت لها منه ضروع حفل
ملك البيان بها سبيل اجادة • لولا صفاتك كان عنها يعدل
جاءت تهني العيد أيمن قادم • وافى بشهر صيامه يتوسل
وطوى الشهور مراحلا معدودة • كيما يرى بفناء جودك ينزل
وأتى وقد شف النحول هلاله • ولشوقه للقاء وجهك ينحل
عقدت برقبه العيون مسرة • فتكبر لطلوعه وتهلل
فاسلم لامثاله في غبطة • ظل المنى من فوقه يتهدل
فاذا بقيت لنا فكل سعادة • في الدين والدنيا بها تتكفل

(وقال ابن الاحمر) ومن جياد أناشيده المتميزة بالسبقيه وبارقات تمايمه في المرامي العقيقيه قوله يهنئه رضوان الله تعالى عليه بطلوع مولانا الوالد قدس الله تعالى روحه

طلع الهلال وافقه متهلل • فتكبرا لطلوعه وتهلل
أوفى على وجه الصباح بغرة • فغدا الصباح بنورها يتجمل
شمس الخلافة قد أمدت نوره • وبسعدها يرجو التمام ويكمل
لله منه هلال سعد طالع • لضيائه تعشو البدور الكمل
وألحت يا شمس الهداية كوكبا • يغشى سناه كل من يتأمل
والتاج تاج البدر في أفق العلا • مازال بالزهر النجوم يكلل
ولئن حوى كل الجمال فانه • بالشهب أبهى ما يكون وأجمل
أطلعت يا بدر السماح هلاله • والملك أفق والخلافة منزل
يبدو بهالات السروج وانه • من نور وجهك في العلا يتكمل
قلدت عطف الملك منه صارما • بغنائه ومضائه يتمثل
حليته بحلى الكمال وجوهر السخلق النفيس وكل خلق يجمل
يغزو أمامك والسعود امامه • وملائك السبع العلا تتنزل
من مبلغ الانصار عنه بشائرا • غرر البشائر بعدها تترسل
أحيا جهادهم وجدد فخرهم • بعد الذين خلفكم يتأثل
فيه الى الاجر الجزيل توصلوا • وبهم الى رب السما يتوسل
من مبلغ الادواء من عين وهم • قد تو جروا وتملكوا وتقبلوا
ان الخلافة من بنيهم أطلعت • قرا به سعد الخليقة يكمل
من مبلغ قحطان آساد الشرى • ماغابها الا الوشيج الذبل
ان الخلافة ود شبل ليوثهم • قد حاط منها الدين ليث مشبل
يهنى بني الانصار أن امامهم • قد بلغته سعوده ما يأمل
يهنى البنود فانها ستظله • وجناح جبريل الامين يظلل
يهنى الجياد الصافنات فانها • بفتوحه تحت الفوارس ترقل

حتى المذاكى والعوالى والظبا * فيها الى نيل المنى يتوصل
يسمو المعالى والمفاخر انه * فى مرتقى أوج العلا يترقل
سبقت مقدمة الفتوح قدومه * وأتاك وهو الوادع المتمهل
وبدت نجوم السعد بل طلوعه * تجلو المطامع قبله وتؤمل
وروت أحاديث الفتوح غرائبا * والنصر يملى والبشائر تنقل
ألقت اليك به السعود زمامها * فالسعد يمضى ما تقول وتفعل
فالفتح بين معجل ومؤجل * ينسيك ماضيه الذى يستقبل
أوليس فى شأن المشير دلالة * ان المقاصد من طلابك تكمل
ناداهم داعى الضلال فأقبلوا * ودعاهم داعى المنون فجدلوا
عصوا الرسول ابابة وتحكمت * فيهم سيوفك بعدها فاستمثلوا
كانوا جبالا قدعات هضباتها * نسفتهم ريح الجلاد فزلزلوا
كانوا بحارا من حديد زاخر * أذكيتهم نار الوغى فتبتلوا
ركبت أرجلها الاداهم كلما * يتحركون الى قيام تمهل
كان الحديد لباسهم وشعارهم * واليوم لم تلبسه الا الارجل
الله أعمالك التى لا فوقها * فتحابه دين الهدى يتأثل
جددت للانصار على جهادها * فالدين والدنيا به تتجمل
من يتحف البيت العتيق وزمزما * والوفد وفد الله فيه ينزل
متسابقين الى مثابة رحمة * من كل ما حدب اليه تنسل
هيما كأفواج القطا قد ساقها * ظمأ شديد والمطاف المنهل
من كل مرفوع الاكف ضراعة * والقلب يخفق والمدامع تهمل
حتى اذا روت الحديث مسلسلا * بيض الصوارم والرماح العسل
من فتحك الاسنى من الجيش الذى * بثباته أهل الوغى تتمثل
أهدتهم البشرى بنصرة دينهم * واستبشروا بحديثها وتهللوا
وتناقلوا عنك الحديث مسرة * بسماعه واهتز ذاك المحفل
ودعوا بنصرك وهو أعظم مفخرا * ان الحجيج بنصر ملكك يحفل
فاهنأ بملكك واعتمد شكرا به * لطف الاله وصنعه تتخول
شرفت منه بابتسام والملك الرضا * يحيى بمنه الكريم المفضل
أبديت من حسن الصنيع عجائبا * تروى على مر الزمان وتنقل
خفقت به أعلام ملك الجراتى * بخفوقها النصر العزيز موكل
هدرت طبول العز تحت ظلالها * عنوان فتح اثرها يستعجل
ودعوت أشراف البلاد وكلهم * يثنى الجميل وصنع جودك أجمل
وردوا ورود الهيم أجهدها الظمأ * فصفا لهم من ورد كفك منهل
وأثرت فيه للطراد فوارسا * مثل الشموس وجوههم تتهلل

من كل وضاح الجبين كأنه ● نجم ودجن النقع ليل مسبل
يرد الطراد على أغر محجل ● في سرجه بطل أغر محجل
قد عوّدوا قنص الكماة كأنما ● عقبانها تنقض منها أجدل
يتتبعون مرادها وشية ● من كل بدع فوق ما يتخيل
قد صوّرت منها غرائب جمة ● تنسى عقول الناظرين وتذهل
وتضمنت جزل الوفود جزاؤها ● والنصر في التحقيق ما هي تحمل
والعاديات اذا تلت فرسانها ● آي القتال صفوفها تترتل
تنبيك أنها السوابح ● بحر القتام وموجه متهيل
من كل برق بالثريا ملجم ● بالبدر يسرج والأهلة ينعل
أوفى بهاد كالظليم وخلفه ● كفل كما لاح الكثيب الأهيل
هزّ البوارق غير أن جيادها ● عن سبق خيلك بالوعيد تشكل
من أشهب كالصبح يعلو سرجه ● صبح به نجم الضلالة آفل
أو أدهم كالليل قلد شهبه ● خاض الصباح فأثبته الأرجل
أو أشقر سال النضار بعطفه ● وكساه صبغة بهجة لا تنصل
أو أحمر كالجمر اضرم بأسه ● بالركض في يوم الحفيظة يشعل
كالنهر أترع كأسها لندامها ● وبها حبابة غرة تتسلسل
أو أصفر لبس العشي ملاءة ● وبذيله لليل ذيل مسبل
أبدات في هذا الصنيع عوائدا ● الجود فيها مجمل ومفصل
أنشأت فيها من نداك غمائما ● بالفضل تنشا والسماحة تهمل
فجرت من كفيك عشرة أبحر ● تزجي سحاب الجود وهي الأنمل
من قاس كفك بالغمام فانه ● جهل القياس ومثلها لا يجهل
تسخو الغمام ووجهها متجهم ● والوجه منه مع الندى يتهلل
والسحب تسمح بالمياه وجوده ● ذهب به أهل الغنى تتموّل
من قاس بالشمس المنيرة وجهه ● ألفيته في حكمه لا يعدل
من أين للشمس المنيرة منطق ● ببيانه درّ الكلام يفصل
من أين للشمس المنيرة راحة ● تسخو اذا بخل الزمان الممحل
من قاس بالبدر المنير كماله ● فالبدر ينقص والخليفة يكمل
من أين للبدر المنير شمائل ● تسري برياها الصبا والشمأل
من أين للبدر المنير مناقب ● بجهادها تتفنى الملى الذلل
يا من اذا نفحت نواسم حمده ● فالمسك يعبق طيبه والمندل
يا من اذا لمحت محاسن وجهه ● تعشو العيون ويبهر المتأمل
يا من اذا تليت مفاخر قومه ● آي الكتاب بذكرها تتنزل
كفل الخلافة منك يا ملك العلا ● والله جل جلاله بك أكفل

مأمونها وأمينها ورشيدها * منصورها مهديها المتوكل
حسب الخلافة أن تكون وليها * ومجيرها من كل من يتخيل
حسب الزمان بأن تكون امامه * فله بذلك عزة لا تجهل
حسب الملوك بأن تكون عميدها * ترجو الندى من راحتيك وتكمل
حسب المعالى أن تكون امامها * فعليك أطناب المفاخر تسدل
ياحجة الله التى برهانها * عز الحق به وذل المبطل
أنت الامام ابن الامام ابن الاما * م ابن الامام وفخرها لا يعدل
علمت حتى لم تدع من جاهل * أعطيت حتى لم تدع من يسأل
وعناية الله اشتملت رداءها * وعلقت منها عروة لا تفصل

ومنها

أخذت قلوب الكافرين مهابة * فعقولهم من خوفها لا تعقل
حسبوا البروق صوارما مسلولة * أرواحهم من بأسها تتسلل
وترى النجوم مناصلا مرهوبة * فيفر منها الخائف المتنصل
يا ابن الالى اجمالهم وجمالهم * شمس الضحى والعارض المتهلل
مولاى لا أحصى ما نلت التى * بجهادها يتوصل المتوسل
أصبحت فى ظل امتداحك ساجعا * ظل المنى من فوقه يتهدل
طوقته طوق الحمائم أنعما * فغدا بشكرك فى المحافل يهدل
فاليك من صوغ العقول عقيلة * أهدا كها صنع أغر محجل
عذراء راق الصنع رونق حسنها * فغدا بنظم حليها يتكلل
خيرتها بين المنى فوجدتها * اقصى مناها انها تتقبل
لازلت شمسا فى سماء خلافة * وهلالك الاسمى يتم ويكمل

قال ومن رقيق منازعه فى بعض نزه مولانا رضوان الله عليه بالقصر السلطانى فى شنيل قوله

نفسى الفداء لشادن مهما خطر * فالقلب من سهم الجفون على خطر
فضح الغزالة والاقاحة والقنا * مهما تثنى أو تبسم أو نظر
عجبا لليل ذوائب من شعره * والوجه يسفر عن صباح قد سفر
عجبا لعقد الثغر منه منظما * والعقد من دمعى عليه قد انتثر
مارمت أن أجنى الاقاح بثغره * الا وقد سل السيوف من الحور
لم أنسه ليل ارتقاب هلاله * والقلب من شك الظهور على غرر
يتنازعانه بأول ليلة * فاذا به قد لاح من نصف الشهر
طالعته فى روضة كهلاله * والطيب من هذى وتلك قد اشتهر
وكلاهما يبدى محاسن جمة * ملء التنسم والمسامع والبصر
والكاس تطلع شمسها فى خده * فتكاد تغشى بالاشعة والنظر

بورية بجبينه وكلاهما • يجلو ظلام الليل بالوجه الاغر
هي نسخة للشيخ فيها نسبة • ما انبرالا برعشان من الكبر
أفرغت في جسم الزجاجة روحها • فرأيت روح الانس منها قد بهر
لاتسق غير الروض فضلة كأسها • فالغصن في ذيل الازاهر قد عثر
ماهبت تنشاق النسيم مع السحر • الا وقد تشاق النفوس وقد سحر
نابي القلوب الخافقات لشله • ووشى بما تخفي الكمام من الزهر
وروى عن النعمان عن زهر الربا • ما أسند الزهري عنه عن مطر
وتحملت عنه حديث صحيحه • رسل النسيم وصدق الخبر الخبر
يا قصر شنيل وربعك آهل • والروض منك على الجمال قد اقتصر
لله بحرك والصبا قد سردت • منه دروعا تحت أعلام الشجر
والآس حف عذاره من حوله • عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قبل بثغر الزهر كف خليفة • يغنيك صوب الجود منه عن المطر
وافرش خدود الورد تحت نعاله • واجعل بها لون المضاعف عن خفر
وانظم غناء الطير فيه مدائحا • وانثر من الزهر الدراهم والدرر
المنتقى من جوهر الشرف الذي • في مدحه قد أنزلت آي السور
والمجتبى من عنصر النور الذي • في مطلع الهدى المقدس قد ظهر
ذو سطوة مهما سطا ذو رحمة • مهما عفا ذو عفة مهما قدر
حكم سائل للدهر أقسم قائلا • والله ما أيامه الا غرر
مولاي سعدك كالمهند في الوغى • لم يبق من رسم الضلال ولم يذر
مولاي وجهك والصباح تشابها • وكلاهما في الخافقين قد اشتهر
ان الملوك كواكب أخفيتها • وطلعت وحدك في مظاهرها قمر
في كل يوم من زمانك موسم • في طيه للخلق اغناء كبير
فاستقبل الايام يندى روضها • وبرق والعمر العزيز له عمر
قد ذهبت منها العشايا ضعف ما • قد فضضت منها المحاسن في السحر
يا ابن الذين اذا تعد خلالهم • نفد الحساب وأعجزت منها القدر
ان أوردوا هيم السيوف غدائرا • مصقولة فلطالما حمدوا الصدر
سائل ببدر عنهم بدر الهدى • فبهم على حزب الضلال قد انتصر
واسأل مواقفهم بكل مشهر • واقرا المغازي في الصحيح وفي السير
تجد الثناء بأسهم وبجودهم • في مصحف الوحي المنزل مستطر
فبمثل هديك فلتنر شمس الضحى • وبمثل قومك فليفاخر من فخر
ماذا أقول وكل وصف معجز • والقول فيك مع الاطالة مختصر
تلك المناقب كالثواقب في العلا • من رامها بالحصر أدركه الحصر
ان غاب عبدك عن جمالك فانه • بالقلب في تلك المشاهد قد حضر

فادر

نادكرفان الذكر منك سعادة * وبها على كل الانام قد افتخر
ورضاك عنه غاية مابعدها * الارضا الله الذى ابتدع البشر
فاشكر صنيع الله فيك فانه * سبحانه ضمن المزيد لمن شكر
وعليك من روح الاله تحية * تهمو اليك مع الاصائل والبكر

(ثم قال) وفى اغراضه الوقتية استرسالا مع الطبع البديهى فى الشكر عن ضروب من التحف التى يقتضيها التحفى السلطانى بأولياء خدمته بنية متعددة فى مابطهر فيها (فنها قوله)

ياخير من ملك الملوك بجوده * وبفضله قد أشبه الاملاكا
والله ماعرف الزمان وأهله * أمنا وعيشا دائما لولاكا
وافيت أهلى بالرياض عشية * فى روض جاهك تحت ظل ذراكا
فوجدته قد طله صوب الندى * بسحائب تنهل من يمناكا
وسفائن مشحونة ألقى بها * بحر السماح يجيش من نعماكا
رطب من الطلع النضيض كأنها * قد نظمت من حسنها أسلاكا
من كل ما كان النبى يحبها * وأحبها الانصار من أولاكا
وبدائع التحف التى قد أطلعت * مثل البدور أنارت الاحلاكا
نطف من النور المبين تجسمت * حتى حسبنا أنهن هداكا
يحلو على الافواه طيب مذاقها * لولا التحيد خلتهن ثناكا
طافت بها النشأ الصغار كأنها * سرب القطا الماوردن نداكا
نجواهم مهما سمعت كلامهم * ونداؤهم مولاى أو مولاكا
بلغت فى الابناء عبدك سؤله * لازلت تبلغ فى بنيك مناكا
يتدارسون من الدعاء صحائفا * كيما يطيل الله فى بقياكا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة * وهم البدور أمدهن سناكا

(ومنها) وقد أهداه نعمة الله اطباقا من حب الملوك

كتب الاله على العباد محبة * لك كان فرضا كلها موقوتا
وانا الذى شرفته من بينهم * حتى جعلت له المحبة قوتا
مازلت تتحفه بكل ذخيرة * حتى لقد أتحفته الياقوتا
والى الملوك قد اعتزى من عزه * فغدا الهياقوتها ممقوتا

(ومنها فى مثل ذلك)

ياخير من ملك الملوك * أهديتنى حب الملوك
فكأنما ياقوتها * نظمت لنا نظم السلوك
ان الملوك اذا جدوا * فغناهم أن أمّلوك
وكذا العفاة اذا شكوا * فغناهم أن يسألوك
فالله يقبل من دعا * لعلاك من أهل السلوك
لازلت تطلع غرة * كالشمس فى وقت الدلوك

(ومنها وقد أهدى اليه صيدا مما صاده أولاده)

يا خير من ورث السماح عن الالى • نصروا الالى وتبوؤا الايمانا
فى كل يوم منك تحفة منعم • والى الجليل وأجزل الاحسانا
قد أذكرت دار النعيم عبيده • وتضمنت من فضله رضوانا
تهدى من الذين تفرعوا • عن دوح فخرك فى العلا أغصانا
بسلالة الاعلى قنيصا أتعبوا • فى صيده الارواح والابدانا
فتخصنى منه بأوفر قسمة • فسعت لعبدك فى الرضا ميدانا
لله من مولى كريم بالذى • تهدى الموالى يتحف العبدانا
تدعو بتقوى الى الغنى بربه • يا ربنا أغن الذى أغنانا
وعليك من قدس الاله تحية • تهديك منه الروح والريحانا

(ومنها وقد أهدى أصنافا من الفواكه)

يا من له الوجه الجميل اذا بدا • فاقت محاسنه البدور كمالا
والمنتقى من جوهر الفخر الذى • فاق الخلائق عزة وجلالا
ما أبصرت عيناى مثل هدية • أبدت لنا صنع الاله تعالى
فيها من التفاح كل عجيبة • تذكى برياها صبا وشمالا
تهدى لناشدها الحبيب وخده • وترى من الورد الجنى مثالا
وبها من الاترج شمس أطلعت • من كل شطر للعيون هلالا
ويحفها ورق يروق كأنه • ورق النضار وقد أجاد تبالا
لون العشية ذهبت صفحاتها • رقت وراقت بهجة وجمالا
وبها من النقل الشهى مذكر • عهدا أولى ليته يتوالى
لله منها حضرة من حضرة • تنفى المقالة وتحسب الآمالا
أذكرتنى العهد القديم ومعهدا • كانت شموس الراح فيه تلالا
فأردت تجديد العهود وانما • كتب المشيب على عذارى لالا
فأدرت من ذكراك كأس مدامة • وشربت من حبى لها جريالا
فبقيت شمسا فى سماء خلافة • لا يستطيع لها الزمان زوالا

(ومنها يوم عاشوراء)

يا أيها المولى الذى بركانه • رفعت لواء للندى منشورا
للراحة تزرى الغمام باعل • بجرت منها بالنوال بحورا
واليوم موسم قربة وعبادة • وغدا ظفرت بأجره عاشورا
راعيت فيه سنة نبوية • تروى الثقات حديثه المشهورا
لازلت عامك كله فى غبطة • لقيت منها نضرة وسرورا

(ومنها فى بعض قطعه)

واليت ما أوليت يا بحر الندى • وبحق جودك ما رأيت كهذه

فاذا

فاذا يهزه اللسان حسامه * فصفاته فرك قد قضت بنفاذه
عات فرسان الكلام نظامها * كتعلم التلميذ من أستاذه
والبحر يمتار السحائب ماءه * فتجوده من غيثها برذاذه

(ومنها وقد أهدى باكورا)

ياوارث الانصار وهي مزية * بفخارها أثنى الكتاب المنزل
أهديتني الباكور وهي بشارة * ببواكر الفتح الذي يستقبل
وولادة لهلال تم طالع * وجه الزمان بوجهه يتهلل
هو أول الانوار في أفق الهدى * وترى الاهلة بعده تسترسل
مولاي صدق الفال قد جربته * من افظ عبدك والعواقب أجمل

(ومنها في جفنة)

طعامك من دار النعيم بعثته * فشرفته من حيث أدري ولا أدري
بمضبة نعمى قد سموا لاوجها * فصد با بأعلاها الشهي من الطير
وقوراء قد درنا بهالة بدرها * كما دارت الزهر النجوم على البدر
وقد حملت فوق الرؤس لانها * هدية مولى حل في مفرق الفخر
فماشئت من طعم زكي مهنأ * وماشئت من عرف ذكي ومن نشر
فلو أنها قد قدمت لخليفة * لاعظمها قدرا وبالغ في الشكر
وكم لك من نعمى على عميمة * يقل لادناها الجليل من الذكر
فلا زلت يامولى الملوك مبلغا * أماني ترجوها الى سالف الدهر

(ومنها شكرا عن كتاب)

مولاي يوم الجمعه * سعوده مجتمعه * فانعم صباحا واغتنم * أوقاته المجتمعه
وابشر بصنع عاجل * أعلامه مرتفعه * وانتظر الفتح الذي * يأتيك بالنصر معه
ونصه وسره * الى العداة مشرعه * واللطف من جو فرد * بفضل ربي مشرعه
فالتحقني شرفتني * برقعة مرفعه * بل روضة ممطورة * أزهارها متنوعه
حديقة قد جدتها * بصوب جود مترعه * وراية منشورة * وآية مستبدعه
كم حكم لطيفة * في طيها مستودعه * عقيلة صورتها * من الجلال مبدعه
سقيتني من فضلها * بفضل كأس مترعه * فدم وأملاك الورى * على علاك مجمعه

(ومنها شكرا على خلعة)

يابدر تم في سماء خلافة * حفت نجوم السعد هالة قصره
ألبست عبدك من ثيابك ملبسا * قد قصرت عنه مدارك شكره
ورضاك عنه خير ما ألبسته * فلقد أشاد بجاهه وببره
ألبستني أركبتني شرفتني * أهديتني مالا أقوم بحصره
تعلو لوجهك وهو أجمل نير * يزري على شمس الزمان وبدره
أعلى وأعظم منة لاسيما * وأنا المنعم في الحضور بشره

لازلت مولى للملوك مؤملا * وحلاك للاسلام مفخر دهره

(ومنها وقد خلع رضوان الله تعالى عليه على رسول من أرساله)

أبحر سماح مده عشرة أبحر * تفيض تمام الجود وهي الانامل
بكفك غيث للبلاد وأهلها * يروض محل الارض والعام ماحل
لك الخيزران أصبحت بحر سماحة * يعم نداه فالمواهب ساحل
خلعت على هذا الرسول ملابسا * بها تنتهي في علاك المآمل
وبلغته آماله كيف شاءها * فبلغت يا مولاي ما أنت آمل

(ومنها وقد مرض بعض أبنائه رحمة الله تعالى على الجميع قوله سائلا عن حاله)

أسائل بدر التم كيف هلاله * وأدعو له الرحمن جل جلاله
وأسأله تعجيل راحته التي * وسيلتنا فيها النبي وآله
ستبلغ فيه ما تؤمل من منى * ويرضيك يا بدر الكمال كماله

(وفي مثله)

أقول لبدر التم كيف هلالكا * نعمت صباحا بالسعود وآلكا
وبلغت في النجل الكريم سعادة * تقر بها عينا وشيم بالكا
وصحت بالبشرى من الله ربنا * كما عم أقطار البلاد نوالكا

(ومن التورية باسم قائد ولاه على جماعة من الجند)

يا أيها المولى الذي أيامه * تهمي بسحب الجود من آلائه
أبشر بجيشك بالسعادة كلما * يغزو ونصر الله تحت لوائه

(وأنشده في ملبس اتخذه)

أمولاي يا ابن السابقين الى العلا * ومن نصروا الدين الحنيف أولا
غنيت بنور الله عن كل زينة * وألبست من رضوانه أشرف الحلى
وقارك زاد الملك عزا وهيبة * وروعه من رحمة الله منهلا
ويا شمس هدى في سماء خلافة * وأبناؤه الزهر المنيرة تجتلى
تبارك من أبداك في كل مظهر * جميلا جليلا مستهدا مؤملا
فتخجل منك الشمس شمس هداية * ويحسد منك البدر بدرا مكملا
اذا أنت ألبست الزمان وأهله * ملابس عز ليس يدركها البلى
وطوقت أجياد الملوك أياديا * وتوجتهم بالفخر تاجا مكللا
تخالفت فالبس في المشاهد كلها * تبارك ما أبهى وأسنى وأجملا
الا كل من صلى وضحى ومن دعا * ومد يديه ضارعا متوسلا
وجودك شرط في حصول قبوله * وجودك أثرى كفه متنفلا

وقال برسم ما رسم على ثوب في بعض هذا يا مولانا رحمه الله تعالى للسلطان أبي العباس

أهدى أبا العباس * ملك الندى والباس * ثوب السماء لانه * بدر بدا للناس
فلق الصباح بوجهه * عوذته بالناس * بكسوا انا مالم يزل * يحلى المحامد كاسى

فيا له من مرتد * ثوبا انتقى ابا س * أذياله من حمده * مسكية الانفاس
وبطرزه مدح زرا * بالمدح فى القرطاس * ان كنت فى لون السما * بنسبة وقياس
فلانت يا بدر العلا * شرفتنى بلباس * أنا منشد مافى وقو * فلساعة من باس
لترى رياضا أطلعت * زهرا على أجناس * أوراقها وزريقها * بقضيبها المياس
ومن المديح مدامتى * ومن المحابر كاسى * فالله يمتع لابسى * بالبشر والايناس

وقال فى مثل ذلك

ان الامام محمدا * أهدى الخليفة أحمدا * للباسه ثوبا وقد * لبس المحامد وارتدى
وعمامة الشفق التى * من فوقها شمس الهدى * يا حسنها اذ أرسلت * من كفه غيث الندى
وكأن وشى رقومها * بالبرق طرّز عسجدا * وبطرزه لون السما * ووجهه قمر بدا
لله منه نيـر * حل المنازل أسعدا * مستنصر أعلى له * فوق المنازل أسعدا

ثم قال وأنشده وهو على جواد أدهم

تجلى لنا المولى الامام محمد * على أدهم قد راق حسن أديمه
فأبصرت صبحا فوق ليل وقد حكى * مقلد ذاك الطرف بعض نجومه

وكتب له مع هدية زهر

أمولاى تقبيلى لبنانك شاقنى * ولا ينكر الظمآن شوقا الى البحر
ولما رأيت الدهر ماطلنى بها * وشوقى من حيث أدرى ولا أدرى
بعثت لك الزهر الجنى امالة * يقبلها عنى ثغور من الزهر

وكتب اليه ايضا متشوقا

كتبت ودمعى بلل الركب قطره * وأجرى به بين الخيام السواقيا
حنينا المولى أتلف المال جوده * ولكنه قد خلد الفخر باقيا
وماعشت بعد البين الالانى * أرجى بفضل الله منه التلاقيا

وأنشده أيضا وهو بحال تألم

كأنى بلطف الله قد عم خلقه * وعافى امام المسلمين وقد شفا
وقاضى القضاء الحتم سجل ختمه * وخط على رسم الشفاء له اكتفى

وله فى مثل ذلك

لك الخير يا مولاى أبشر بعصمة * عقدت مع الايام فى حفظها اصطرا
وعافية فى صحة مستجدة * تجدد للدين السعادة والنجا
ووجه التهانى مشرق متهلل * وجو التهانى بعدما غام قد أضحى

وفى مثل ذلك

ياماما قد تخذا * من الدهر ملاذا
شط عنا لك ينادى * صح هذا صح هذا

وقال مهنئا بالشفاء

الحمد لله بلغنا المنى * لما رأيناك وزال العنا

وفزت بالاجر وكبت العدا • وفزت بالعز وطيب الثنا
فالحمد لله على ما به • من علينا من ظهور السنا

وقال ايضا فى نحوه

نم قرت العينان وانشرح الصدر • وقد لاح من وجه الامام لنا البدر
سرينا بليل التيه يكذب فجره • فلما تجلى فجره صدق الفجر
أغر المحيا بالحياء مقنع • زهاه الكلام الحر والحسب الحر
امام الهدى قد خصه بخلافة • اله له فى خلقه النهى والامر

وقال فى مثله وقد ركب رحمه الله تعالى لمعاهدة مرته

هنيئا هنيئا لا نفاد لعده • وبشرى لدين الله انجاز وعده
فقد لاح بدر التم فى أفق العلا • وحل كما يرضى منازل سعده
وطاف أمير المسلمين محمد • بحضرته العليا مبلغ قصده
ولاحت بها الانوار من بشر وجهه • وفاح بها النوار من نشر حمده
وأبصرت الابصار شمس هداية • وأشرقت الارجاء من زهر رفده
ولوحت الاعلام فيها بنصره • كما لوح الصبح المنير ببنده
ستهدى له الايام كل مسرة • ويحيى به الرحمن آثار جده
فسل حسام السعد واضرب به العدا • وسل حسام الهند فى كف سعده
فسيفك سيف الله مهما سللته • يقيم حدود الله قائم حده

وقال وقد عاد رحمه الله تعالى من بعض متوجهاته الجهادية لجبل الشوار

على الطائر الميمون والطالع السعد • قدمت مع الصنع الجميل على وعد
وقد عدت من جبل الشوار تجتلى • عقائل للفتح المبين بلا عد

وقال مما رسم فى طيقان الابواب بالمبانى السعيدة التى ابتناها رحمه الله تعالى

أنا تاج كهلال • أنا كرسى جمال
يجتلى الابريق فيه • كعروس ذى اختيال
بجود مولانا ابن نصر • قد حبانى بالكمال

وفى مثله

من رأى التاج الرفيعا • قد حوى الشكر البديعا
حسد الافلاك منه • قوسه السهل المنيعا
دمت وبعا للتهانى • أنتظم الشمل الجميعا

وفيه

لغنى بالله نصر • للتهانى بمطمعه
فيه محراب صلاة • يتقف الابريق فيه
تاليا سورة حسن • والمعانى تقتفيه

وفيه

أي قوس ذي جمال * سهمه سهم السعاده

ملأ الابريق فيه * عوّد الاحسان عاده

ذو صلاة من صلاة * كلها دأبا معاده

وقال في المعنى مما كتب به لعمنا الامير سعد رحمة الله تعالى عليه

انظر لافق جمال * به الاباريق تصعد

حسن بديع حباه * به الامير المسعد

نجل الامارة سعد * به الخليفة يسعد

وكيف لا وأبوه * فخر الملوك محمد

عليه حلي رضاه * في كل يوم يجدد

وقال فيه أيضا

ورفعت قوس سماك * يزهي بتاج الهلال

قد قلدته نقوشي * درّ الدراري العوالي

ترى الاباريق فيه * تهديك عذب الزلال

قد زان قصري سعد * بسعده المتوالي

فدام يعمر ربعي * في كل مولى الموالي

وفي الغرض

ما ترى في الرياض أشباهي * يسحر العقل حسني الزاهي

زانني أميره سعد * وهو نجل الغني بالله

دام منه برتبتي عز * آمر بالسعود أو ناهي

وقال في غرض الشكر عن مغطى صنهاجي أهداه اياه

لمن قبة حمراء مد نضارها * تطابق منها أرضها وسماؤها

وما أرضها الا خزائن رحمة * وما قد سما من فوق ذاك غطاؤها

وقد شبه الرحمن خلق نباته * وحسبك نوارا بان منها اعتلاؤها

ومعروشة الارجاء معروشة بها * صنوف من النعماء منها وطاؤها

ترى الطير في أجوائها قد تصففت * على نعم عند الاله كفاؤها

ونسبتها صنهاجة غير أنها * تقصر عما قد حوى خلفاؤها

حبتني بها دون العبيد خلافة * على الله في يوم الجزاء جزاؤها

وفي مثله

ما العوالم جمعت في قبة * قد شادها كرم الامام محمد

ما ان رأيت ولا سمعت كطائر * عن ثوب موشي الرياش مجرد

ان لم تكن تلك الطيور تغردت * فلشكر هذا العبد سجع مغرد

صفت عليها للفواكه كل ما * قد عاهدته بدوحها المتعود

لو شاهدت صنهاجة أوضاعه * دانت له أملاكها بتعبد

عوّدتني الصنع الجميل تفضلا * لازلت خير معوّد ومعوّد
وبسورة الانعام كم من آية * فيها القارئ بالنوال مجوّد

وقال تذييلا لبيتي ابن المعتز

سقتني في ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين للشعر والدجى * وشمسين من خمر وخد حبيب
الى أن بدا الصبح المبين كأنه * محيا ابن نصر لم يشب بغروب
شمائله مهما أديرت كؤوسها * قلائد أسماع وانس قلوب

وقال مذيلا على بيت ابن وكيع

هي في أوجه الندامى عقيق * وهي مثل النضار في الاقداح
كابن نصر تراه في الحرب ليثا * وهو بدر الندى وغيث السماح
ذكره قد ثنى قدود الندامى * وأعاد الحياة في الارواح

وقال عما رسم للغني بالله

للغني بالله ملك * برده بالعز مذهب
دام في رفعة شان * ما جلا الاصباح غيهب

وقال أيضا

يا ابن نصر لك ملك * ليس تعدوه الفتوح
دمت روحا للمعالي * ما سرى في الجسم روح

ومن مقطوعاته

وابن نصر له محيا كصبح * ان تجلى جلا لنا كل كرب
ذو حسام كانه لمع برق * في بنان كلما غيث سحب

ومن أخرى

وكان النجوم في غسق الليل جمان يلوح في أبنوس
وكان الصباح في الافق يجلى * بحلى النجوم مثل العروس
وكان الرياض تهدي ثناء * لغني بالله فوق الطروس

وقال من قصيدة أولها

أضياء هدى أم ضياء نهار * وشذا المحامد أم شذا الازهار
فسما بديلك في الضياء وانه * شمس تمد الشهب بالانوار

ومنها

كم من لطائف للهدى أوضحتها * خفيت لطائفها على الافكار
كم من جرائم قد غفرت عظيمها * مستنزلا من رحمة الغفار
علت ملوك الارض ابل نجرها * فسابقت لرضاك في مضمار

ومنها يصف الجيش

سالت به تحت العجاج سفينة * نعمت بريح العزمن أنصار

أرست بجودى الجود فى يوم الندى * وجرت بيوم الحرب فى تيار

ومنها

ألقى بايدى الريح فضل عنانه * فيكاد يسبق لمحة الابصار

ومنها

فهى الغراب متى انبرت يوم الوغى * قد أعربت عن لطف صنع البارى

ومنها

ان خاض فى ليل العجاج رأيته * يجلو دجنته بوجه نهار

ومنها

كم فيهم من قار ضيف طارق * وضحت شواهد فضله للقار

ومنها

يا أيها الملك الذى أيامه * غرر تلوح بأوجه الاعصار

قد زارك العيد السعيد مبشرا * فاسمح لالف منهم بمزار

لما ازدهته عواطف ألطفتها * عطف الاله عليك عطف سوار

فاتى بيوم منك هديا صالحا * كى يستمد النور بعد سرار

وأتاك يسحب ذيل سحب اغدقت * تغرى جفون المزن باستعبار

جادت بجارى الدمع يقطر بالندى * فرعى الربيع لها حقوق الجار

فأعاد وجه الارض طلقا مشرقا * متضاحكا بمباسم النوار

لما دعاك الى القيام بسنة * حكمت داعى الجود والايثار

فأفضت فينا من نداك مواهبا * حسنت مواقعها على التكرار

فاهنأ بعيد عاد يشمل الرضا * جذلان يرفل فى حلى استبشار

ومنها

لا عذر لى ان كنت فيه مقصرا * سدت صفاتك أوجه الاعذار

فاذا نظمت من المناقب درها * شرفتنى منها بنظم درارى

فلذاك أنظمها قلائد لؤلؤ * لا لاؤها قد شف بالانوار

وأنشد على لحده المقدس رحمه الله تعالى

ضريح أمير المسلمين محمد * يخصك ربى بالسلام المردد

وحيتك من روح الاله تحية * مع الملا الاعلى تروح وتغتدى

وشقت جيوب الزهر فيك كمائم * يرف بها الريحان عن خضل ندى

وصابت من الرحمى عليك غمائم * تروى ثرى هذا الضريح الممجد

وزارتك من حور الجنان أوانس * نواعم فى ظل النعيم المخلد

وجاءتك بالبشرى ملائكة الرضا * كما جاء فى الذكر الحكيم الممجد

وصافح منك الروض أطيب تربة * وعاهد منك المزن أكرم معهد

رضا الله والصفح الجميل وعفوه * توالى على ذاك الصفيح المنضد

ويا صدفا قد فاز من جوهر العلا • بكل نفيس بالنفاسة مفرد
أعندك أن العلم والحلم والحجا • وزهر الحلى قد أدرجت طي ملحد
وهل أنت إلا هالة القمر الذي • تنور هداه الشهب تهدي وتهتدي
ويا عجبا من ذلك الترب كيف لا • يفيض ببحر للسماحة مزبد
لقد ضاقت الأكوان وهي رحيبة • بما حزت من فخر عظيم وسودد
قدمت على الرحمن أكرم مقدم • وزودت من رحماه خير مزود
أقام بك المولى الإمام محمد • مؤمل فوز بالشفيع محمد
نجاء كما ترضى وترضى به العلا • وأنجز للآمال أكرم موعد
ومد ظلال العدل في كل وجهة • وكف أكف البغي من كل معتد
وقام بفرض الجهاد عن الورى • وعزز دين الله خير معوّد
قفى بعد ما قضى الثلاثة حقها • وعامل وجه الله في كل مقصد
وفتح بالسيف الممالك عنوة • ومدت له أملاكها كف مجتد
وكسر تمثال الصليب وأخرست • نواقيس كانت للضلال بمرصد
وطهر محرابا وجدد منبرا • وأعلن ذكر الله في كل مسجد
ودانت له الأملاك شرقا ومغربا • وكلهم ألقى له الملك باليد
وطبق معمور البسيطة ذكره • وسارت به الركبان في كل فدفد
وسار عن دار الفناء ليجتلي • بما قدم اليوم السعادة في غد
وقام بأمر الله حق قيامه • بعزمة لا وان ولا متردد
لئن سار للرحمن خير مودع • وحل من الفردوس أشرف مقعد
فقد خلف المولى الخليفة يوسفا • يعيد له عز المساعي ويبتدي
مبيك في سبيل المكارم يقتفي • وهديك بأسير الأئمة يقتدي
محمد يلي الملك من بعد يوسف • ويوسف يلي الملك بعد محمد
ولو وجد الناس الفداء مسوغا • فداك ببذل النفس كل موحد
ستبكيك أرض كنت غيث بلادها • وتبكيك حتى الشهب في كل مشهد
وتبكي عليك السحب ملء جفونها • بدمع يروي غلة الجدب الصدي
وتلبس فيك النيرات ظلامها • حدادا ويذكي النجم جفن مسهد
وما هي إلا أعين قد تسهدت • فكحلها نجم الظلام بإثمد
فلا زلت في ظل النعيم مخلدا • وتحيى بحيا بالبقاء المخلد
وأوردك الرحمن حوض نبيه • وأصدر من خلفت من خير مورد
عليك سلام مثل حمدك عاطر • يفض ختام المسك عن ريك الندي
وصلى على المختار من آل هاشم • صلاة بها نرجو الشفاعة في غد

وقال يستعطف الوالد السلطان أبا الحجاج

بما قد سرت من كرم الخلال • بما أدركت من رتب الجلال

بما خولت من دين ودنيا * بما قد حزت من شرف الجلال
بما أوليت من صنع جميل * يطابق لفظه معنى الكمال
تغمدني بفضلك واغتفرها * ذنوبا في الفعال وفي المقال

وقال أيضا

أتعطش أولادي وأنت غمامة * تعم جميع الخلق بالنفع والسقيا
وتظلم أوقاتي ووجهك نير * تفيض به الانوار للدين والدنيا
وجدك قد سماك ربك باسمه * وأورثك الرحمن رتبته العليا
وقد كان أعطاني الذي أنا سائل * وسوغني من غير شرط ولا ثنيا
وشعري في غير المصانع خالد * يحييه عني في الممات وفي المحيا
ومازلت أهدي المدح مسكا مفتقا * فتحمله الارواح عاطرة الريا
وقد أكثر العبد التشكي وانه * وحقك يا فخر الملوك قد استحيا
وما الجود الاميت غير أنه * اذا نفخت يمناك في روحه يحيا
فمن شاء أن يدعو لدين محمد * فيدعو لمولانا الخليفة بالبقيا

وقال أيضا فيه وقد نزل بالولجة من مرج الحضرة

منزل اليمن والرضا والسعود * أنجزت فيه صادقات الوعود
كل يوم نزاهة ان تقضت * انشدتم السعود بالله عودي
جمع المسلمين وصف كمال * بين بأس عم الملوك وجود
فاهن في غبطة وعزة ملك * أنت والله فخر هذا الوجود

وقال أيضا مشيرا التولية العلامة

لك غرة وذا الصباح جمالها * ومحاسن تهوى البدور كمالها
وشمائل تحكي الرياض خلالها * وأنامل ترجى الانام خلالها
للمستعين خلافة نصرية * عرفت ملوك العالمين جلالها
وأنا الذي قد نال منك معاليا * تهدي النجوم الزاهرات منالها
تهديه ماقد نلته من بعضها * فالفخر كل الفخر فيمن نالها
في كل يوم منك منة منعم * لو طاولت سمك السما ماطالها
بلغت آمال العبيد فبلغت * نيل العبيد من البقا آمالها

(وقال أيضا) وكتبها اليه مع خمسة اقلام

أيامالكا لم يبد للعين حسنه * سوى ملك قد حل من عالم القدس
لك الخير خذها كالانامل خمسة * تعوذ من آل المكمل بالخمس
فمن ابصرت عيناه مرآه فليقل * أعوذ برب الناس أو آية الكرسي

(ثم قال ابن الاحمر) وقال يخاطب مولانا الوالد رحمه الله تعالى عليه وقد دم معه بقصريه والثلج قد عم أنديته وبسط أرديته في وجهة توجهها مولانا الجد تغمده الله تعالى الى مالقة

يامن به رتب الامارة تعتلى * ومعالم الفخر المشيدة تبتنى
ازهر بهذا الثلج حالا انه * ثلج اليقين بنصر مولانا الغنى
بسط البياض كرامة لقدومه * وافتر ثغرا عن مسرة معتنى
فالارض جوهرة تلوح لمعتل * والدوح من زهرة تفوح لمجتنى
سبحان من أعطى الوجود وجوده * ليدل منه على الجواد المحسن
وبدائع الاكوان فى اتقانها * أثر يشير الى البديع المتقن

(ثم قال) ومن أوليات نظمه يخاطب شيخه الوزير أبا عبد الله بن الخطيب مادحا قوله (أماوانصداع النور من مطلع الفجر) الى آخره وقد تقدمت (ثم قال) وقال يراجع الكاتب أبا زكريا بن أبى دلامة

على الطائر الميمون والطالع السعد * أتتنى مع الصنع الجميل على وعد
واحييت يا يحيى بها نفس مغرم * يجيل جياد الدمع فى ملعب السهد
نسيت وما أنسى وفائى وخلتى * وأقفر ربع القلب الامن الوجد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم * بأزكى وأصفى من شذاك ومن ودّى
فأصدقتها من بحر فكرى جواهرا * تنظم من درّ الدرارى فى عقد
وكنت أطيل القول الاضرورة * دعتنى الى الايجاز فى سورة الحمد

(وأنشد السلطان أبا العباس المرسى فى غرائب من انشائه)

ألنسان عين الدهر جفنك قد غدا * يحفك منه طائر اليمن والسعد
اذا ماحفا فوق الرؤس شراعه * أرانا جماما مد للجزر والمد

(وأنشد فيه أيضا)

لك الحرشان الجفن يحرس عينه * وهذا بعين الله يحرس دائما
تبيت له خمس الثريا معيذة * تقلده زهر النجوم تمائما
فيا جفن لاتغفل فى الحفظ دائما * وان كنت فى لج من البحر عائما

(انتهى ماخلصته من كلام ابن الاحمر فى حق ابن زمرك) وذلك جملة من نظمه * وقد رأيت ان أعززذلك ببعض موشحات ابن زمرك المذكور مما التقيته من كلام ابن الاحمر (فمنها قوله متشوقا الى غرناطة ويمدح الغنى بالله)

(المطلع)

بالله ياقامة القضيب * ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن فى القلوب * وأيد اللحظ بالحور

من لم يكن طبعه رقيقا * لم يدر مالذة الصبا * فرب حرّ غدا رقيقا
تملكه نفحة الصبا * نشوان لم يشرب الرحيقا * لكن الى الحسن قد صبا
فعذب القلب بالوجيب * ونعم العين بالنظر
وبات والدمع فى صبيب * يقدح من قلبه الشرر

عجبت من قابى المعنى * يهفو اذا هبت الرياح * لو كان للصب ماتمنى

لما رشوقا بلا جناح ● وبلبل الدوح ان تغنى ● أسهر ليلى الى الصباح

عساك ان زرت يا طبيبى ● بالطيف فى رقدة السحر

أن تجعل النوم من نصيبى ● والعين تشكى من السهر

كم شادن قادنى اليه طرفا ● بمربع القلب قد سكن ● يدل من لحظه سيوفا

فالقلب بالروع ما سكن ● خلعت من عاذلى ألوفا ● أحن للالف والسكن

غرناطة منزل الحبيب ● وقربها السؤل والوطر

تزهر بالمنظر العجيب ● فلا عدا ربعها المطر

عروسة تاجها السبيكه ● وزهرها الحلى والحلل ● لم ترض من عزها شريكه

بحسنها يضرب المثل ● أيدها الله من مليكه ● تملكها أشرف الدول

بدولة المرتجى المهيب ● الملك الظاهر الاغر

تختال من بردها القشيب ● فى حلة النور والزهر

كرسيها جنة العريف ● مرآتها صفحة الغدير ● وجوهر الطل من شنوف

تحكمها صنعة القدير ● والانس فيها على صنوف ● تغرد من هديل ومن هدير

كم شق الزهر من جيوب ● وكلل القضب بالدرر

فالغصن كالكاعب اللعوب ● والطير تشدو بلا وتر

ولاح النصر فى احتفال ● وفرح دين الهوى جديد ● سلطانها ممهل العوالى

محمد الظافر السعيد ● ومخجل البدر فى الكمال ● سلطانها المجتبى الفريد

أصفح مولى عن الذنوب ● أكرم عاف اذا اقتدر

وشمس هدى بلا مغيب ● وبحر جود بلا حسر

مولاى يا عاقد البنود ● تطال الاوجه الصباح ● أوحشت يا بغية الوجود

غرناطة هالة السماح ● سافرت باليمن والسعود ● وعدت بالفتح والنجاح

يا ملهم القلب للغيوب ● ومطعم النصر والظفر

أسمعك الله من قريب ● على السلامة من السفر

وقال أيضا من الموشحات الرائقه فى مثل أغراض هذه السابقه وأشار الى محاسن من وصف الرشاد .

(المطلع)

نسيم غرناطة عليل ● لكنه يبرئ العليل

وروضها زهره بليل ● ورشفه ينقع الغليل

سقى بنجد ربا المصلى ● مباكرا روضه الغمام ● سقى بنجد ربا المصلى

تبسم الزهر فى الكمام ● والروض بالحسن قد تجلى ● وجرد النهر عن حسام

ودوحها ظله ظليل ● يحسن فى ربعه المقيل

والبرق والجو مستطيل ● يلعب بالصارم الصقيل

عقيلة تاجها السبيكه ● تطل بالمرقب المنيف ● كأنها فوقه مليكه

كرسيها جنة العريف ● تطلع من عسجد سبيكه ● شموسها اكلما تطيف

أبدعك الخالق الجليل • يا منظرا كله جميل
قلبي الى حسنه يميل • وقلبنا قد صبا جميل

وزاد الحسن فيك حسنا • محمد الحمد والسماح • جدد للفخر فيك مبنى
في طالع اليمن والصباح • تدعى رشادا وفيك معنى • يختص المال بافتتاح

فالنصر والسعد لا يزول • لأنه ثابت أصيل
سعد وأنصاره قبيل • آباؤه عترة الرسول

أبدى به حكمة القدير • وتوج الروض بالقباب • ودرع الزهر بالغدير
وزين النهر بالحباب • حسن هديل ومن هدير • ما أولع الحسن بالشباب

كيت على روضها القبول • وطرفها بالسرى كليل
فلم يزل بينها يجول • حتى تبدت له حجول

للزهر في عطفه رقوم • تلوح للعين كالنجوم • وللندى بينها رسوم
عقدا ندى فوقه نظيم • وكل وادبها يهيم • ولم يزل حولها يحوم

شبلها مدمنيل • والشمس ألفته لمستميل
وعين واديها تسيل • من فوق خده أسيل

كم من ظلال به ترف • تضفو له فوقها ستور • ومن زجاج به يشف
ما بين نور وبين نور • ومن شموس بها تحف • تديرها بينهم البدور

مزاجها العذب سلسبيل • يا هل الى رشفها سبيل
وكيف والشيب لي عذول • وصبغه صفرة الاصيل

يا سرحة الحي ظلله • كم بات في ظلك المنى • روضك الله من خميله
يجنى بها أطيب الجنى • وبرقها صادق المخيله • ما زال بالغيث محسنا

أغزل وعدك القبول • فلم أقل مثل من يقول
يا سرحة الحي يا مطول • شرح الذى بيننا يطول

(ومن ذلك ما كتب به الى الغني بالله)

(المطلع)

أبلغ لغرناطة السلام • وصف لها عهدى السليم
فلو رعى طيفها ذمام • ما بت في ليلة السليم

كم بت فيها على اقتراح • أعل من خمرة الرضاب • أدير فيها كؤوس راح
قد زانها الثغر بالحباب • أختال كالمهر في الجماح • نشوان في روضة الشباب

أضاحك الزهر في الكمام • مباهيا روضه الوسيم
وأفضح الغصن في القوام • ان هب من جوها النسيم

يا ما أنار الشباب ضاف • وظل ... فوقنا مديد • ومورد الانس فيه صاف
وبرده رائق جديد • اذ لاح في الفود غير خاف • صبح به تبه الوليد

أيقظ من كان ذا منام • لما انجلى ليله البهيم

وأرسل الدمع كالغمام * فى كل واديه أهيم

ياجيرة عهدهم كريم * وفعلهم كاجميل * لاتعذلوا الصب اذ يهيم
فقلبه قد صبا جميل * القرب من بعدكم نعيم * وبعدكم خطبه جليل

كم من رياض به وسام * يرهى بها الرائض المديم
غديرها أزرق الجمام * ونبتها كله جسيم

أعندكم انى بفاس * أكابد الشوق والحنين * أذكر أهلى بها وناسى
واليوم فى الطول كالسنين * اقه حسبى فكم أقاسى * من وحشة الصب والبنين

مطارحا ساجع الحمام * شوقا الى الالف والحميم
والدمع قد لج فى انسجام * وقد وهى عقده النظيم

ياساكنى جنة العريف * أسكنتم جنة الخلود * كم ثم من منظر شريف
قد حف بالين والسعود * ورب طود به منيف * أدواحه الخضر كالبنود

والنهر قد سل كالحسام * لراحة الشرب مستديم
والزهر قد راق بابتسام * مقبلا راحة النديم

بلغ عبيد المقام مجدى * لازالت الدهر فى هنا * لقاكم بغية المحب
وقربكم غاية المنى * فعندكم قد تركت قلبى * جدد الله عهدنا

ودارك الشمل بانتظام * من يرتجى فضله العميم
فى ظل سلطاننا الامام * الطاهر الطاهر الحميم

مؤمن العدوتين مما * يخاف من سطوة العدا * وفارج الكرب ان ألما
ومذهب الخطب والردى * قد راق حسنا وفاق حلما * وما عدا غير مابدا

مولاى يانخبة الانام * وحائز الفخر فى القديم
كم راقب البدر فى التمام * شوقا الى وجهك الكريم

ومنها موشحة عارض بها موشحة ابن سهل التى أولها (ليل الهوى يقظان) وهى
(المطلع)

نواسم البستان * تترسل الزهر
والطل فى الاغصان * ينظمه بالجوهر

وراحة الاصباح * أضاء منها المشرق * تنشر ها الارواح
فلا تزال تخفق * والزهر زهر فاح * لها عيون ترمق

فأيقظ الندمان * يبصرن مالم يبصر
جواهر الشيبان * قد عرضت للمشترى

قدحت لى زندا * ياأيها البارق * أذكرتنى عهدا
اذ الشباب رائق * فالشوق لا يهدا * ولا الفؤاد الخافق

وكيف بالسلوان * والقلب رهن الفكر
وصب الهجران * محجب وجه القمر

لولاشموس الكاس * يديرها بين البدور * وأعرج الايناس
مناعلى ربع الصدور * لكن لها وسواس * يغرى بربات الخدور
كم والهيمان * يصبح وجه مسفر
ضياؤه قد بان * من تحت ليل مقمر
يامطلع الانوار * كم فيك من مرأى جميل * ونزهة الابصار
ماضر لو تشفى العليل * ياروضة الازهار * وعرفها يبرى العليل
قضيبك الفتان * يسقى بدمع همر
فلاعج الاشجان * فيض الدموع يجرى
هل فى الهوى ناصر * أوهل مجار الهائم * لو كان لى زائر
طيف الخيال الحائم * ما بت بالساهر * ودمع عينى ساجم
والحب ذو عدوان * يجهد فى ظلم البرى
وصارم الاجفان * مؤيد بالحـور
ومالك فى صب * أذكره عهد الصبا * بواعث الحب
قادت اليه الوصبا * لم تتصف بالقلب * ريح الصبا الاصبا
بلبلة الاردان * قد صمت بالعنبر
يشير غصن البان * منها بفضل المئزر
طيبها احمد * فخر الملوك المجتبى * من ربع الطرد
من حله اذا احتبى * قد جرد السعد * منه حساما مذهبا
فالبأس والاحسان * والغوث للمستنصر
حمد له الركبان * تحية للمنبر
عصابة الكتاب * حق لها الفوز العظيم * تختال فى أثواب
حق لها الفخر الجسيم * تحسبها الاطناب * فى الحمد والشكر العميم
خليفة الرحمن * لازلت سامى المظهر
ياموردالظمآن * ورأس مال المعسر
خذها على دهرى * تزرى على الروض الوسيم * بانت كما تورى
أرق من لدن النسيم * قد طارحت شكرى * من قال فى الليل البهيم
ليل الهوى يقظان * والحب ترب السهر
والصبر لى خوان * والنوم من عينى برى

(وله فى الصبوحيات)

ريحانة الفجر قد أطلت * خضراء بالزهر تزهر
وراية الصبح قد اطلت * فى مرقب الشمس تنشر
فالشهب من غارة الصباح * ترعد خوفا وتخفق * وأدهم الليل فى جماح
أعنة البرق يطلق * والافق فى ملتقى الرياح * بأدمع الغيث يشرق

والسحب بالجوهر ساخرات ● فالبرق سيف بجوهر
صفاحه المذهبات حلت ● في راحة الجو تشهر
كم للصبا ثم من مقيل ● بعطفه الزهر يشهد ● والنهر كالصارم الصقيل
في حلية النور يغمد ● ورب قال به وقيل ● للطير في حين تنشد
فألسن الورق قد أمالت ● مدائحا عنه تشكر
ونسمة الصبح قد تجلت ● في سندس الروض تعثر
والكاس في راحة النديم ● يجلو بها غيهب الهموم ● اقتبست النار في القديم
من قبل أن تخلق الكروم ● والنهر في ملعب النسيم ● للزهر في عطفه رقوم
فلبة الحلي قد تحلت ● والطل في الحلي جوهر
وبهجة الكون قد تجلت ● والروض بالحسن يبهر
يذكرني وجنة الحبيب ● والآس في صفحة العذار ● وشارب الشارب العجيب
بين اقاح وجلنار ● يدير من ثغره الشنيب ● سلافة دونها العقار
حلت لاهل الهوى وجلت ● بالذكر والوهم تسكر
كم من نفوس بها انسلت ● فمالها الدهر منكر
يا غصن بان يميل زهوا ● ريان في روضة الشباب ● لو كنت تصغي لرفع شكوى
أطلت من قصة العتاب ● ومن لمثلي يبيت نجوى ● للبدر في رفرف السحاب
عزائم الصبر فيك حلت ● وعقدة الصبر تذخر
قد أكثرت منك ما استقلت ● وليت لو كنت تشعر
كم ليلة بتها وبتا ● ضدين في السهد والرقاد ● أسامر النجم فيك حتى
علت أجفانها السهاد ● أرقب بدر الدجا وأنتا ● قد حلت في هالة الفؤاد
نفسي وليت ما تولت ● دعها على الشوق تصبر
لو سمت الهجر ما تولت ● ولم تكن عنك تنفر
علا بالصبر في الحروب ● سلطاننا عاقد البنود ● معفر الصيد للجنوب
أعز من حف بالجنود ● نصرت بالرعب في القلوب ● والبيض لم تبرح الغمود
عناية الله فيه جلت ● بسعده الدين ينصر
والخلق في عصره تعالت ● غنائما ليس تحصر
مولاي يا نكتة الزمان ● دار بما ترتضي الفلك ● جلت باليمن والامان
كل مليك وما ملك ● لم يدر ومني ولا عياني ● أملك أنت أم ملك
جنودك الغلب حيث حلت ● بالفتح والنصر تعمر
وعادة الله فيك دالت ● انك بالكفر تظفر
يا آية الله في الكمال ● ومخجل البدر في التمام ● قدمت بالعز والجلال
والدهر في ثغر ابتسام ● يختال في حلة الجمال ● والبدر قد عاد في اختتام
وريحانة الفجر قد أمالت ● خضراء بالزهر تزهر

وراية الصبح قد أطلت * فى مرقب الشرق تنشر

(وقال سامحه الله تعالى)

قد طلعت راية الصباح * وآذن الليل بالرحيل
فباكر الروض باصطباح * واشرب على زهره البليل
فالورق هبت من السبات * لمنبر الدوح تخطب * تسجع مفتنة اللغات
كل عن الشوق يعرب * والغصن بعد الذهاب يأتى * لا كؤس الطل يشرب
وأدمع السحب فى انسياح * فى كل روض لها سبيل
والجو مستبشر النواحى * يلعب بالصارم الصقيل
قم فاغتنم بهجة النفوس * ما بين نور وبين نور * وشفع الصبح بالشموس
تديرها بيننا البدور * ونبه الشرب للكؤس * تمزج من ريقة الثغور
ما أجمل الراح فوق راح * صفراء كالشمس فى الاصيل
تغادر الصدر ذا انشراح * للانس فى طيه مقيل
ولا تذر خمرة الجفون * فسكرها فى الهوى جنون * وانقش من أسهم العيون
فانها رائد المنون * عرضت منها الى الفنون * وكل خطب لها يهون
أهيم بالغادة الرداح * والجسم من حبها عليل
لو بت منها على اقتراح * نقعت من ريقها الغليل
أواعد الطيف للمنام * ومن لصب بالمنام * أسهر فى ليلة التمام
وأنت يا بدر فى التمام * وألثم الزهر فى الكمام * عليه من ثغرك ابتسام
سفرت عن مبسم الاقاح * وريقك العذب سلسبيل
قل لى يا ربة الوشاح * هل لى الى الوصل من سبيل
يا كعبة الحسن زدت حسنا * وللهوى حولك الطواف * وغصن بان اذا انثنى
لو كان من زهرك التعاطف * الانعطاف على المعنى * فالغصن يزهى بالانعطاف
أصبحت تزهو على الملاح * بذلك المنظر الجميل
ووجهك الشمس فى اتضاح * لو انها لم تكن تميل
ما الزهر الا نظيم در * تحسد فى حسنه العقود * للملك الطاهر الاغر
أكرم من حف بالسعود * محمد المجد وابن نصر * وباسط العدل فى الوجود
مساجل السحب فى السماح * بالغيث من رفده الجزيل
ومخجل البدر فى الصباح * بغرة ما لها مثيل
يا مشرب الحب فى القلوب * وواهب الصفح للصفاح * انصرت بالرعب فى الحروب
والرعب أجدى من السلاح * اقدمت من عالم الغيوب * لم تعدم النصر والفلاح
مراكز نهبة انتاج * والصنع فى نصها جليل
بشر الدنيا بالفتح والصباح * والشكر من ذلك القبيل

وقال أيضا رحمه الله تعالى

(المطلع)

فى كؤس الثغر من ذاك اللعس * راشفة الارواح
وتغنى الروض مسكى النفس * عاطر الارواح

وكسا الادواح وشيا مذهبا * يبهر الشمسا
مسجد قد حل من فوق الربا * يبهج النفسا
فاتخذ للهو فيه مركبا * تلفق الانسا

منبر الغصن عليه قد جلس * ساجع الادواح
حال السندس خضرا ودابس * عطفه المرتاح

قم ترى هذا الاصيل شاحبا * حسنه قد راق
ولاذيال الغصون ساحبا * فى حلى الاوراق
ونديم قال لى مخاطبا * قول ذى اشفاق

عادة الشمس بغرب تختلس * هات شمس الراح
ان أرانا الجو وجها قد عبس * أرقد المصباح

ووجوه الشرب تغنى عن شموس * كلما تجلى
بلحاظ اسكرتنا عن كؤس * خمرها أحلى
مظهرات من ثنايا فى الطروس * سورا تتلى

مازمان الانس الاختلس * فاغتنم يا صاح
وعيون الشهب تذكى عن حرس * تخصم النصاح

ماترى ثغر الوميض باسما * يظهر البشرا
وشاه الروض حبة ناسما * عاطر النشرا
بث من أزهاره دراهما * كالا يشترى

ركب المولى مع الفهر الفرس * وسق وارتاح
بجنود الله دأبا يحترس * ان غدا أوراح

وجب الشكر علينا والهنا * بعضنا بعضا
فزمان السعد وضاح السنا * لوجهه الارضى
اثمرت فيه العوالى بالمنى * غصنا اغضا

يجتنى الاسلام منها ما غرس * سيفه السفاح
فى ضمير النقع منها قد هجس * شهب تلتاح

بالظما بالحسام المنتضى * تنشر الحقا
ثغرك الوضاح مهما أومضا * أخجل البرقا
ودون السعد منه تقتضى * توسع الحقا

للدوله من صباح مقتبس * بشره وضاح
وبهيل الصعم منه ملتمس * منعم صفاح

هاكها تمرح لطما بالنسيم • كلما هبا
قد أتت بالبر والصنع الجسيم • تشكر الربا
أبهجت من قال في الصبح الوسيم • مغرما صبا
غرد الطير فنبه من نعس • يا مدير الراح
وتعرى الفجر عن ثوب الغلس • وانجلى الاصباح

(وقال أيضا سامحه الله تعالى)

(المطلع)

قد أنعم الله بالشفاء • واستكملت راحة الامام
فلتنطق الطير بالهناء • وليضحك الزهر في الكمام
وجوده بهجة الوجود • وبرؤه راحة النفوس • قد لاح في مرقب السعود
واستبشرت أوجه الشموس • فالدوح تومي الى السجود • أكمامه عطت الرؤس
والزهر في روضة السماء • كالزهر قد راق بابتسام
والصبح مستشرف اللواء • والبدر مستقبل التمام
محاسن الكون قد تجلت • جمالها العقل يبهر • عرائس بالحلى تحلت
والطل في الحلى جوهر • وألسن الورق قد أملت • مدائحا عنه تشكر
تستوقف الخلق بالغناء • كأنها تحسن الكلام
تطنب لله في الثناء • تقول سلمت باسلام
كم من ثغور لها ثغور • تبسم اذ جاءها البشير • ومن خدور بها بدور
بشير منها له المشير • تقول اذ مسها السرور • تبارك المنعم القدير
قد أنعم الله بالبقاء • في ظل مولى به اعتصام
قد صادف النجم في الدراء • فاداه عناله انفصام
يهنيك مولاى ل يوسف • ببرئك الدين والهدى • فالغرب والشرق منك يعبق
بمذهب اللطف والندى • والله لولاك ما تهيا • ما فيه من سطوة الردى
يا مورد الانفس الظماء • قد كاد يشقيها الاوام
وقرة الاعين بالبهاء • رددت للاعين التمام
لو أبذل الروح في البشاره • بذلت بعض الذي ملك • فانت بالنفس مستعاره
مولاى بالفضل ملك • لم أدر اذ سطر العباره • أملك هو أم ملك
لازلت مولاى في هناء • مبلغ القصد والمرام
ودمت للملك في اعتلاء • تسحب أذياله التمام

(وقال في مالقة)

(المطلع)

عليك يا رية السلام • ولاعدا ربعك المطر
فمنزل في قصرك الامام • وقربك السؤل والوطر

والدوح فى روضك الانيق * للشكر قد حطت الرؤس * والغصن فى نهره غريق
رفى حلاه كما عروس * والجو من وجهه الشريق * تحسده أوجه الشموس
وأعين الزهر لاتنام * تستعذب السهد والسهر
ينفث من تحتها الغمام * يرقيك من أعين الزهر
عروسة انت ياعقيله * تجلى على مظهر الكمال * مدت لك الكف مستقيله
تمسح أعطافك الشمال * والبحر مرآتك الصقيله * تشف عن ذلك الجمال
والحلى زهر له انتظام * يكلل القضب بالدرر
قد راق من ثغره ابتسام * والورد فى خدها خفر
ان قيل من بعلها المفتدى * ومن له وصلها مباح * أقول أسنى الملوك رفدا
مخلد الفخر بالصفاح * محمد الحمد حين يهدى * ثناؤه عاطر الرياح
تخبر عن طيبه الكمام * والخبر يغنى عن الخبر
فالسعد والرعب والحسام * والنصر آياته الكبر
ذو غرة تسحر البدورا * وطلعة تخجل الصباح * كم راية سامها ظهورا
تطال الاوجه الصباح * وكم جهاد جلاه نورا * أظفر بالفوز والنجاح
الطاهر الظاهر الهمام * أعز من صال وافتخر
لسيفه فى العدا احتكام * جرى به سابق القدر
يامرسل الخيل فى الغوارى * لو تطلب البرق تلحق * لك الجوارى اذا تجارى
سوابق الشهب تسبق * تسن فى لجة البحار * فالكفر منهن يفرق
فالدين وليقصر الكلام * بسيفك اعتز وانتصر
كذاك اسلافك الكرام * هم نصروا سيد البشر

وقال من غير هذا البحر فى المحدث عالقة

(المطلع)

قد تطم الشمل أتم انتظام * واغتنم الاحباب قرب الحبيب
واستضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعم النور رؤس الربا * وجال النور صدور البطاح * وصافح القضب نسيم الصبا
فالزهر يرنو عن عيون وقاح * وعاود النهر زمان الصبا * فقلد الزهر مكان الوشاح
وأطلق القصر برود التمام * فى طالع الفتح القريب الغريب
خدودها قامت مقام الغمام * فلا اشتكى من بعدها بالمغيب
أصبحت يارية مجلى النفوس * جمالك العين بها يبهر * والبشر يسرى فى جميع الشموس
وراية الانس بها تشهر * والدوح للشكر تحط الرؤس * وأنجم الزهر بها تزهر
وراجع الطير غناء الحمام * وقد شدت تصبح سجع الخطيب
بمنبر الغصن الرشيق القوام * لما انثنى يهفو بقد رطيب
ياحبذا مبناك فخر القصور * بروجه طالت بروج السما * مامثله فى سالفات العصور

ولا الذى شاد ابن ماء السما * كم فيه من مرأى بهيج ونور * فيه من نق الجو به قد سما
خليفة الله ونعم الامام * أتحفك الدهر بصنع عجيب
بهنيك شبل قد غدا فى التمام * مهدا فى ظل عيش خصيب
نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نورهم يشرق * وروضة بالمرتمنه تبوح * بلابل عن وجده تنطق
لو أن من يفهم عنها الكلام * فهى تهنيك هناء الاديب
ونهره قد سل منه الحسام * يخلفه التربحس لفظ المريب
فأجل الايام عصر الشباب * وأجل الاجال يوم اللقا * بادرة القصر وشمس القباب
وهازم الاحزاب فى الملتقى * بشرك الرب بحسن المآب * متعك الله بطول البقا
ولا زال القصر قصر السلام * يختال فى برد الشباب القشيب
يتلو عليك الدهر فى كل عام * نصر من الله وفتح قريب
وقال من الخلع فى الشفاء
(المطلع)
فى طالع اليمن والسعود * قد كملت راحة الامام
فأشرق النور فى الوجود * وابتسم الزهر فى الكمام
قد طلعت راية النجاح * وانهزم البؤس والعنا * وقال حى على الفلاح
مؤذن القوم بالمنى * فالدهر يأتى بالاقتراح * مستقبلا أوجه الهنا
تخفق منشورة البرود * والسعد يقدم من أمام
والانس مستجمع الوفود * واللطف مستعذب الجمام
وأكؤس الطل مترعات * بأغل الروض الندى * والطير مفتنة اللغات
تشدو بأصوات معبد * والغصن يذهب ثم يأتى * بالسندس الغض مرتدى
والدوح يومى الى السجود * شكرا للذى الانعم الجسام
والريح خفاقة البنود * تباكر الروض بالغمام
مظاهر للجمال تجلى * قد هز أعطافها السرور * وباهر الحسن قد تجلى
ما بين نور وبين نور * قد هنأت بالشفاء مولى * بعصره تفخر العصور
ما بين بأس وبين جود * قد مهد الامن للانام
فالدين ذو أعين رقود * وكان لا يطعم المنام
والكاس فى راحة السقاة * تروح طورا وتغتدى * يديرها أرق السمات
ما بين برق وفرقد * والشمس تذهب للبيات * قد لبست ثوب عسجد
والزهر فى اليانع المجود * يقابل الشرب بابتسام
والروض من حلية الغمود * قد جرد النهر عن حسام
مولاى يا أشرف الملوك * وعصمة الخلق أجمعين * أهديك من جوهر السلوك
يقذفه بحرك المعين * جعلت تنظيمه سلوكى * وأنت لى المجد المعين

تحية الواحد المجيد * ورحمة الله والسلام
عليك من راسم ودود * يا مخجل البدر فى التمام

وقال من الرمل المجزو

وجه هذا اليوم باسم * وشذا الازهار ناسم
هاتها صاح كؤسا * جالبات للسرور * وارتقب منها شموسا
طالعات فى حبور * ماترى الروض عروسا * فى حلى نور ونور
وأتت رسل النواسم * تجتلى هذى النواسم
قد أهلت بالبشائر * اضحكت ثغر الازاهر * سجعت فى عين طائر
وتطمن كالجواهر * فانشروها فى العشائر * ان هذا الصنع باهر
وأشيعوا فى العوالم * الغنى بالله سالم
أى نور يتوقد * أى بدر يتلالا * أى فخر يتخلد
أى غيث يتوالى * انما المولى محمد * رحمة الله تعالى
كفه بحر المقاسم * وبها ج المباسم
خير أملاك الزمان * من بنى سعد ونصر * ماترى أن الشوانى
فى صعيد البر تجرى * قد أطارتها التهانى * دون بحرى وبحر
مذرأت بحر النعائم * كلها جار وعائم
فهنيأ بالشفا * يا أمير المسلمين * وانما حق الهنا
وجميع العالمين * ان جهرنا بالدعا * ينطق الدهر آمين
دمت محروس المكارم * بظبا البيض الصوارم

وقال يهنى السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان وقد وجه اليه الغنى بالله أمه وعياله عند تملكه المغرب من قبله

(المطلع)

قد نظم الشمل أتم انتظام * ولاحت الاقمار بعد المغيب
وأضحك الروض ثغور الغمام * عن مبسم الزهر البرود الشنيب
وعاود الغصن زمان الصبا * وأشرب الانس جميع النفوس * وعمم النور رؤس الربا
وجلل النور وجوه الشموس * وأطرب الغصن نسيم الصبا * فالدوح للشكر تحط الرؤس
واستقبل البدر ليالى التمام * وصافح الصبح كف خضيب
وراجع الاطيار سجع الحمام * بكل ذى لحن بديع غريب
نواسم الوادى بمسك تفوح * ونفحة الند به تعبق * وبهجة السكان فيه تلوح
وجوه من نوره يشرق * وعرفه بالطيب منه يفوح * كأنه من عنبر يفتق
والنهر قد سل كمثل الحسام * حبابه تطفو وطورا تغيب
وثغره قد راق منه ابتسام * يهنى الاحباب بقرب الحبيب
كواكب اراجهن الخدور * يلوح منها كل بدر لياح * جواهر اصدافهن القصور

تمامها السعد كنظم الوشاح • ياحبذا والله ركب السرور • يبشر المولى بنيل اقتراح
ابتهج الكون بموسى الامام • واختال فى برد الشباب القشيب
وعادة يخدم مثل الغلام • شبابه قد عاد بعد المشيب
أكرم به والله وفد الكريم • مولى سنا الحضرة فى مقدمه • مرضاته تعطى بدار النعيم
وتوجب التوفيق من منعمه • بشره النصر وفتح جسيم • وخيره أجمع فى مقدمه
اتاؤها المبرور مسك الختام • بشرك الله بصنع عجيب
وقصرك الميمون قصر السلام • خطا بحفظ من سميع مجيب
مولاى يهنيك وحق الهنا • قد نظم الشمل كنظم العقود • قد فزت بالعز ونيل المنى
وأنجز السعد جميع الوعود • وقرت العين وزال العنا • وكلما مر صنيع يعود
ولا يزل ملكك حلف الدوام • يحرز فى الخلد أوفى نصيب
يتلو عليك الدهر بعد السلام • نصر من الله وفتح قريب
(وقال رحمه الله تعالى فى وصف غرناطة والطرد وغيرهما)
لله ما أجمل روض الشباب • من قبل أن يفتح زهر المشيب
فى عهده أدرت كاس الرضاب • حبابها الدر بثغر الحبيب
من كل من يخجل بدر التمام • اذا تبدى وجهه للعيون • ويفضح الغصن بلين القوام
وأين منه لين قد الغصون • ولحظه يمضى مضاء الحسام • ويذهل العقل بسحر الجفون
أبصرت منه اذ يحط النقاب • شمسا ولكن ما لها من مغيب
اذا تجلت بعد طول ارتقاب • صرفت عنها اللحظ خوف الرقيب
من عاذرى منه فؤادا صبا • للامع البرق وخفق الرياح • يطير ان هب نسيم الصبا
تعيره الريح خفوق الرياح • ما أولع الصب بعهد الصبا • وهل على من قد صبا من جناح
فقلبه من شوقه فى التهاب • قد أحرق الاكباد منه الوجيب
والجفن منه صبه فى انسكاب • قد روض الخد بدمع سكيب
غرناطة ربع الهوى والمنى • وقربها السؤل ونيل الوطر • وطيبها بالوصل لو امكنا
لم أقطع الليل بطول السهر • عما قريب حق فيها الهنا • بيمن ذى العودة بعد السفر
ويحمد الناس نجاح الاياب • بكل صنع مستجد غريب
ويكتب الفال على كل باب • نصر من الله وفتح قريب
ما الدة الاملاك الا القنص • لانه الفال بصيد العدا • كم شارد جرع فيه الغصص
وأورد الحرب ورد الردى • وكم بدا الفصل لنا من حصص • قد جمع البأس بها والندى

ومنها بعد أبيات من الوزن والروى

مولاى مولاى وأنت الذى • جددت للاملاك عهد الجلال • والشمس والبدر من العوذ
لما رأت منك بديع الجمال • والروض فى نعمته يغتذى • بطيب ما قد سرته من خلال
بشراك بشراك بحسن المآب • تستضحك الروض بثغر شنيب
ودمت محروس العلا والجناب • بعصمة الله السميع المجيب

انتهى ما انتقيته من كلام ابن زمرك من كتاب ابن الاحمر رحمه الله تعالى وقد عرفت منه ما تسنى للغنى بالله بن الاحمر من الفتوحات والسعود ونفاذ الامر على ملوك المغرب فهو الاحق بقول لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى

ملك اذا عاينت منه جبينه * فارقته والنور فوق جبينه
واذا لثمت يمينه وخرجت من * أبوابه لثم الملوك يمينى

وكان الغنى بالله المذكور معتقدا فى الصالحين حتى انه كتب وهو بفاس مخلوع الى ضريح ولى الله سيدى أبى العباس السبتى بمراكش من انشاء وزيره لسان الدين على لسانه (ياولى الاله أنت مطاع) الابيات والنثر بعدها وقد ذكرتها فى الباب الخامس فراجعه وكان ذلك بفضل الله تعالى عنوان رجوعه الى ملكه وتظم تلك الاماكن فى سلكه حتى حصل له من السعد مالم يحصل لغيره حسبما يعلم ذلك من كلام لسان الدين وابن زمرك وغيرهما (والسبتى المذكور) هو سيدى أبو العباس أحمد بن جعفر السبتى الخزرجى الولى الصالح العالم العارف بالله القطب ذو الكرامات الشهيرة والمناقب الكثيرة والاحوال الباهرة والفضائل الظاهرة والاخلاق الطاهرة نزيل مراكش وبها توفى سنة احدى وستمائة وولادته بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة ودفن خارج مراكش وقبره مشهور مقصود باجابة الدعاء وقد زرته مرارا كثيرة فرأيت عليه من ازدحام الناس مالا يوصف وهو ترياق مجرب قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى كان سيدى أبو العباس السبتى رضى الله تعالى عنه مقصودا فى حياته مستغاثا به فى الازمات وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة ومبنى أمره على انفعال العالم عن الوجود وكونه حكمة فى تأثير الوجود له فى ذلك أخبار ذائعة وأمثال باهرة ولما توفى ظهر هذا الاثر على تربته وتشبث بجدثه وانسحب على مكانه عادة حياته ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة الى بعثها له من أماكنهم على بعد المدى وانقطاع الاماكن القصى تحملهم أجنحة نياتهم فتهوى اليه بمقاصدهم من كل فج عميق فيجدون الثمرة المعروفة والكرامة المشهورة * وقال ابن الزيات كان أبو العباس قد أعطى بسطة فى اللسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد الا أفحمه ولا يسأله الا أجابه كان القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه يأتيه المنكرون للانكار فاينصرفون الا مسلمين منقادين وشأنه كله عجيب وهو من عجائب الزمان * وحدثنى مشايخنا انهم سمعوه يقول أنا القطب * وحدثنى أبو الحسن الصنهاجى من خواص خدامه قال خرجت معه مرة لظهر يج غابة الرمان يوم عرفة فجلسنا هنالك وصلينا فقال لى اسمعنى هذا اليوم يوم عرفة لانتشار الرحمة فيه لمن تعرف اليه بالطاعات وقد فاتتنا عرفة فتعال نمثل بهذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله تعالى يتغمدنا برحمته معهم فعمل مكانا كأنه الكعبة وجعل عنصر الماء الحجر وموضعا آخر مقام ابراهيم فطاف بالعين اسبوعا وأنا أطوف بطوافه وكبر على العنصر فى كل طواف وصلى قبل المقام ركعتين تامتين وأطال

قوله وا
وكونه
ولينظر

فى سجود الثانية ثم استند الى الشجرة ثم قال لى يا على اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقضى فان الله تعالى وعدنى فى هذا اليوم من نعرف له أن يقضى حوائجه فقلت له ما أريد الا التوفيق فقال لى ما خرجت معك من باب المدينة حتى وفقت فسألته عن حاله من بدايته الى نهايته وبم تنفعل له الاشياء و يستجاب له الدعاء ولم صار يأمر بالصدقة والايثار من شكا اليه حالا أو تعذر عليه مطلب فى هذه الدار فقال لى ما آمر الناس الا بما تقدمون به وانى لما قرأت القرآن وقعدت بين يدى الشيخ أبى عبد الله الفخار تلميذ القاضى عياض ونظرت فى كتب الاحكام وبلغت من السن عشرين سنة وجدت قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان فتدبرته وقلت أنا مطلوب فلم أزل أبحث عنهما الى أن وقفت على أنها نزلت حين آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار وانهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة فأمرهم بالمشاطرة ففهمت أن العدل المأمور به فى الآية هو المشاطرة ثم نظرت الى حديث تفترق أمتى على ثلاثين فرقة الحديث وانه صلى الله عليه وسلم قاله صبيحة اليوم الذى آخى فيه بين المهاجرين والانصار وذكر له الانصار انهم شاطروا المهاجرين فقال لهم ذلك بأثره فعلمت أن الذى هو عليه وأصحابه المشاطرة والايثار فعقدت مع الله تعالى نية أن لا يأتينى شئ الا شاطرت فيه الفقراء فعملت عليه عشرين سنة فأعطانى الحكم بالخاطر فلا أحكم على خاطرى بشئ الا صدق فلما أكملت أربعين سنة راجعت تدبر الآية فوجدت الشطر هو العدل والاحسان ما زاد عليه فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتينى قليل ولا كثير الا أمسكت ثلثه وصرفت الثلثين لله تعالى فعملت عليه عشرين سنة فأعطانى الحكم فى الخلق بالولاية والعزل فأولى من شئت وأعزل من شئت ثم نظرت بعد ذلك فى أول ما فرضه الله تعالى على عباده فى مقام الاحسان فوجدت شكر النعمة بدليل اخراج الفطرة عن المولود قبل أن يفهم ووجدت أصناف من تصرف اليهم الصدقات لكن الواجبة وسبعة أصناف أخر أصرفها فيها للاحسان والزيادة وذلك ان لنفسك عليك حقا وللزوجة حقا وللرحم حقا وللبتيم حقا وللضيف حقا وذكر صنفين آخرين فانتقلت لهذه الدرجة وعقدت مع الله تعالى عقدا أن كل ما يأتينى أمسك سبعه حق النفس وحق الزوجة وأصرف الخمسة اسباع لمستحقيها فأقمت عليه أربعة عشر عاما فأعطانى الحكم فى السماء حتى قلت يا رب قال لى لبيك ثم قال لى انه ما بقى بتمام عمرى وهو أن تنقضى لى ستة أعوام تكملة العشرين عاما. (قال) الصنهاجى فأرخت ذلك اليوم فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ المكتوب وحققت العدد فنقصت من ستة الاعوام ثلاثة أيام خاصة فيحتمل أن تكون من الشهور الناقصة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب * وقال أبو بكر بن مساعد جاء بعض السلاطين الى أبى العباس وهو راكب وقال له الى متى تحيرنا ولا تصرح لنا عن الطريق فقال له هو الاحسان فقال له بين لى فقال له كل ما أردت أن يفعله الله تعالى معك فافعله مع عبيده * وقال له أبو الحسن الخباز أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء فقال انما حبس المطر لجلهم فلو تصدقوا لمطروا فقل لاصحابك الفلاحين تصدقوا بمثل ما انفقتم تمطروا فقال له لا يصدقنى

أحد ولكن مرني في خاصة نفسي فقال له تصدق بمثل ما أنفقت فقال له ان الله تعالى
لا يعامل بالدين ولكن استسلف فاحتال وتصدق بها كما أمره قال فخرجت الى البحيرة
التي عمرتها والشمس شديدة الحر فأيست من المطر ورأيت جميع ما غرست مشرفا على
الهلاك فأقمت ساعة فاذا سحابة أمطرت البحيرة حتى رويت وظننت أن الدنيا كلها
مطرت فخرجت فاذا المطر لم يتجاوزها انتهى * والحكايات عنه في مثل ذلك كثيرة *
وقال ابن الخطيب القسطميني في رحلته حضرت عند الحاج الصالح الورع الزاهد أبي
العباس أحمد بن عاشر بمدينة سلا وقد سأله بعض الفقراء عن كرامة الاولياء فقال له
لا تنقطع بالموت الكرامة انظر الى السبتي يشير الى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس
السبتي المدفون بمراكش وما ظهر عند قبره من البركات في قضاء الحاجات بعقب الصدقات
سمعت يهوديا بمراكش يلهج بذكره وينادي باسمه في أمر أصابه مع المسلمين فسألته عن سببه
فأخبر أنه وجد بركته في غير موطن فسألته عما بدا له في وقت فقال لي وحق ما أنزل على
موسى بن عمران ما أذكر لك الا ما اتفق لي مررت ليلة مع قافلة في مفازة فعرجت دابتي
فاشككت في قتلي وسلب مالي فجلست وبكيت وبيني وبين الناس بعد وقلت يا سيدي
أبا العباس خاطرك قال لي والله ما تممت الكلام الا وأهل القافلة أصابهم سبب وقفوا به
وضربت دابتي وخف عرجها ثم زال واتصلت بالناس فقلت له ولم لا تسلم فقال حتى يريد
الله تعالى وعجبت من كون ذلك ليهودي وهذه شهادة من عدو في الدين * ولقد وقفت على
قبره مرات وسألت الله تعالى في أشياء يسر لي فيها سؤلي منها أن أكون ممن يشتغل بالعلم
ويوصف به وأن ييسر علي فهم كتب عينتها فيسر الله تعالى علي ذلك في أقرب مدة * وكان
السبتي آية في أحواله ما أدرك حقيقته الا الخواص من الناس وكان أصل مذهبه الحض
على الصدقة وكان أمره عجيبا في اجابة الدعاء بنزول المطر واختصاصه بمكان دون آخر
وقال لاصحابه أنا القطب وكان تفقه على أبي عبد الله الفخار ووقفت على قبره وله بركات
وأنوار * وكان السبتي آية في المناظرة وأوذي باللسان كثيرا جدا فصفح وتجاوز *
ورأى عبد الرحمن بن يوسف الحسني النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله
ما تقول في السبتي قال وكنت سيء الاعتقاد فيه فقال لي بعد أن تبسم هو من السباق قال
فقلت بين لي يا رسول الله فقال هو ممن يمر على الصراط كالبرق قال فخرجت بعد الصبح فلقيني
أبو العباس فقال لي ما رأيت وما سمعت والله لا تركتك حتى تعرفني فعرفته فصاح كلمة
الصفا من المصطفى صلى الله عليه وسلم انتهى ببعض اختصار * وقال ابن الزيات
وحدثني أبو العباس الصنهاجي وغيره أن رجلا يعرف بابن السكاك وكان غنيا فدار عليه
الزمان وافتقر حدث انه وصل لابي العباس السبتي وعليه ثوب خلق تظهر منه عورته
فشكا اليه حالته فأخذ بيده الى أن خرج معه من باب تاغزوت فجاء الى مطهرة هنالك قال
فدخل أبو العباس المطهرة وتجرد من أثوابه وناداني وقال لي خذ هذه الثياب فأخذتها
وكان بعد العصر فأردت أن أرى ما يكون من أمره فصعدت الى حائط هنالك الى قرب
المغرب فاذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب فلما رأيته نزلت اليه فقال لي أين

الفقيه أبو العباس فقلت ها هو في الساقية عريان فقال لي أمسك الدابة فسمعت الفقيه يقول له أين تلك الثياب فأخذها منه وخرج فلما رآني قال لي ومالك هنا قلت يا سيدي خفت عليك فلم أقدر على الانصراف وأتركك فقال لي أفترى الذي فعلت ما فعلت له بتركي ثم سألت الفتى عن سبب وصوله اليه فذكر له أن احدى الكرائم أمرته أن يحمل اليه تلك الثياب وقالت له لاتدفعها الا للفقيه ولا يلبسها الا هو وهذه قصة صحيحة مشهورة * وقال ابن الخطيب ودوضته بباب تاغزوت أحد أبواب مراكش غير حافلة البناء وبما يتبرع متبرع باحتفالها فلا تساعده الاقدار وزرتها فرأيت في داخلها أشياخا من أهل التعفف والتصوف يسارقون خفية الناظر الى مساقط رحمات الله تعالى عليها لكثرة زائريها يقصدها ذو الحاجة بإيمانها العائذ مستحضرا نيته ويقعد بإزاء القبر ويخاطبه بحاجته ويعين بين يدي النجوى صدقة على قبره ويدسها في أوانٍ في القبر معدة لذلك ومن عجز عن النقدين تصدق بالطعام ونحوه فاذا انصرف الزائرون آخر النهار عمد القائم الى التربة الى ما أودع هنالك في تلك الاواني وفرقه على المحاويج الحافين بالروضة ويحصون كل عشية ويعمهم الرزق المودع فيها وان قصر عنهم كالوه في غده * قال ابن الخطيب لسان الدين وتراجع خدام الروضة لقاضي البلد ومحاضرا في أمر ذلك الرزق المودع هنالك فسألهم القاضي عن خرجه اليوم فقالوا يحصل في هذه الايام في اليوم الواحد ثمانمائة مثقال ذهبا عيناوربما وصل في بعض الايام لالف دينار فأدر بها فروضة هذا الولي ديوان الله تعالى في المغرب لا يحصى دخله ولا تحصر جبايته فالقبر يفيض والنجين يسيل وذوو الحاجات كالطير تغدو خماصا وترجع بطانا يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال وأنا ممن جرب المنقول عن القبر فاطرد القياس وتريفت الشبهة وتعرفت من بد زيارته ما تحققت من بركته وشهد على برهان دعوته انتهى * وقال الشيخ أبو الحجاج يوسف التادلي في كتابه التشوف الى رجال التصوف كان أبو العباس جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان مقتدرا على الكلام حليما صبورا يحسن الى من يؤذيه ويحلم على من يسفه عليه رحيما عطوفا محسنا الى اليتامى والارامل يجلس حيث أمكنه الجلوس من الطرق والسوق ويحض على الصدقة ويذكر في فضلها آيات وأحاديث ويأخذها ويفرقها على المساكين ويرد أصول الشرع الى الصدقة ويفسرها بها ويقول معنى قول المصلي الله أكبر أي من أن تشح عليه بشئ فمن رأى شيأ من متاع الدنيا في نفسه أكبر لم يحرم ولا كبر ومعنى رفع اليدين للتكبير تخليت من كل شئ لا قليلا ولا كثيرا وهكذا يحكم بنحو هذا في جميع العبادات ويقول سر الصوم أن تجوع فاذا جعت تذكرت الجائع وما يقاسيه من نار الجوع فتتصدق عليه فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم الى غير ذلك من كلامه في مثل هذا وكان اذا أتاه امرؤ يأمره بالصدقة ويقول له تصدق ويتفق لك ما تريده وأخباره في ذلك كثيرة عجيبة * قال التادلي وحدثني ولده الفقيه أبو عبد الله عن أبيه انه قال كان ابتداء أمري وأنا صغير أني سمعت كلام الناس في التوكل ففكرت في دقيقة فرأيت انه لا يصح الا بترك شئ ولم يكن

ـلح اه

عندى

عنـدى منه فتركت الاسباب واطرحت العلائق ولم تعلق نفسى بمخلوق فخرجت مأصحا متوكلا وسرت نهارى كله فأجهدنى الجوع والتعب وقد نشأت فى رفاهية العيش وما مشيت قط على قدمى فبلغت قرية فيها مسجد فتوضأت ودخلت المسجد فصليت المغرب ثم العشاء وخرج الناس فقمت لاصلى فلم أقدر من شدة الجوع والتألم بالمشى فصليت ركعتين وجلست أقرأ القرآن الى أن مضى جزء من الليل فاذا قارع يقرع الباب بعنف فاستجاب له صاحب الدار فقال له هل رأيت بقرتى فقال لا فقال انها ضلت وقد أكثر عليها من الحنين فطلبها فلم يجدها فى القرية فقال أحدهم لعلها فى المسجد وقت العتمة ففتحوا باب المسجد ودخلوا فوجدونى فقال صاحب البقرة ما أظنك أكلت الليلة شيأ فذهب وجاءنى بكسرة خبز وقدح لبن ثم ذهب ليأتينى بالماء فوجد بقرته فى داخل الدار فخرج لجيرانه وقال لهم ما زالت البقرة من الدار وما كان خروجى الا لهذا الفقير الجائع فى المسجد ثم رغبنى أن أمشى معه لمنزله فأبيت وكان فى أول أمره يسكن فى الفندق ويعلم الحساب والنحو ويأخذ الاجرة على ذلك وينفقها على طلبة العلم الغرباء ويمشى فى الاسواق ويذكر الناس ويضربهم على ترك الصلاة ويأتى بالطعام على رأسه وبات ليلة عند الطلبة فارتفعت أصواتهم بالمذاكرة فاذا بالحرس قد قرعوا باب الفندق فقام اليهم القيم بخدمته فقالوا والله ما تعلمون أن من رفع صوته بالليل يقتل ثم قعد اثنان من الحرس على باب الفندق ليحملوا اذا طلع الفجر للقصر فجاء القيم فأخبرنا فأدركنا خوف عظيم وأيقنا بالهلاك فأخذ أبو العباس فى الضحك ولا يبالى ثم خلا بنفسه عند السحر ساعة ثم قال لنا لا خوف عليكم فداستوهبتكم من الله تعالى وهذان الحرسيان الواقفان غدا يقتلان ان شاء الله تعالى فقيل له الجزاء عندك على الافعال من الخير والشر وهما لم يفعلا ما يوجب قتلهما بل جزاؤهما أن يعاقبا كما روعانا فقال العلماء ورثة الانبياء وترويعكم عظيم لا يقابله منكم الا القتل فما زلنا نعارضه فى ذلك حتى قال عقوبتهما أن يضرب كل واحد منهما مائة سوط ثم اجتاز عبد الله الخزاز صاحب الوقت بالجامع الاعظم فوجد تابوته مفتوحا ورأى الحرسيين على قرب فلم يشك انهما حلاه فحملا الى رحبة القصر قبل طلوع الفجر فقال لنا أبو العباس احضروا على ضربهما كما أرادا قتلكم فتبعناهما وحضرنا حتى ضرب كل واحد مائة سوط وكراماته ومناقبه كثيرة لا تحصى وكان يقول أصل الخير فى الدنيا والآخرة الاحسان وأصل الشر فيهما البخل قال الله تعالى فأما من أعطى الآية وقال عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقال ومنهم من عاهد الله الآية وقال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة وقال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال ليس البر أن تولوا وجوهكم وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية فهذه الامانة هى الرزق فاعطت السموات ما فيها من الماء وهو المطر والارض ما فيها من المياه النازل من الجبال والجبال ما فيها كذلك وأنبتت الارض وأبت امساكها فخزن الانسان جميعها عنده ومنع المساكين انه كان ظلوما جهولا وفى الحديث هم الاقلون ورب الكعبة الا من قال هكذا وهكذا الحديث وما أراد الله

قوله عندى منه عندى به اهـ

قوله الخزاز ق

تعالى اهلاك فرعون وقومه دعا عليهم موسى بالبخل فقال ربنا انك آتيت فرعون الى قوله دعوتكما وكان رضي الله عنه في آخر عمره كثيرا ما يقرأ هذه الآية أفرأيت الذي تولى الى قوله سوف يرى وكان يقول من قال ان الله تعالى لا يجازي على الصدقات فقد وافق اليهود في الفرية على الله تعالى لانهم قالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم أي لا يجازي على الصدقات قال الله تعالى غلت أيديهم الى آخره أي يجازي على العطاء كيف شاء وكان يقول في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية انما كويت هذه المواضع لان الغني يعرض عن المسكين بوجهه ثم يجنبه ثم بظهره فعوقبت هذه المواضع بالكي بالنار لاعراضه عن الفقير ومنازعه رحمه الله تعالى في أمثال هذا كثيرة انتهى ملخصا وحدث أبو اسحق ابراهيم بن أبي يعمور انه دخل صحبة الشيخ سيدي أبي العباس السبتي الى الامير السيد أبي سعيد عثمان يعوده فقال له ادع الله تعالى لي أيها الشيخ فقال له ارجع الى الله تعالى حق الرجوع بحيث تحقق أنه الممرض والمعافي واخرج عن بعض ما عندك من فضول الدنيا لابناء الجنس لتكون ممن وقي شح نفسه فحينئذ يحصل لك ما ترجوه من الدعاء ثم التفت الى الحاضرين وقال في المرض فوائد لا ينبغي أن تجهل الاولى معرفة قدر العافية الثانية تمحيص بعض الذنوب الثالثة توقع الثواب الرابعة تنقية الجسم من فضول الاخلاط الخامسة كثرة ذكر الله تعالى والتضرع اليه السادسة حدوث الرقة والشفقة السابعة وهي العظمى الصدقة والخروج عن رذيلة البخل انتهى ٭ وحدث الكاتب أبو القاسم بن رضوان عن أبي بكر بن منظور عن بعض أعيان مراكش انه توفي وأوصى ابنا له كان من أهل البطالة أن يعمد الى ألف دينار من مخلفه فيدفعها للشيخ سيدي أبي العباس السبتي ففعل وقال للشيخ ان أبي توفي وأوصاني أن أدفع اليك هذه الالف دينار تضعها حيث شئت فقال له الشيخ قد قبلتها وصرفتها اليك فقال له يا سيدي وما تأمرني أن أفعل بها قال خذها قال فانصرفت من عنده وسرت ظانا بقوله ثم قلت وانا انفق مثل ذلك على عادتي في الوجه الذي يلذلي فلا فعلن بها ما أفعل بغيرها فأخذتها في محفظة وخرجت ألتمس الزنى فاذا امرأة على دابة وغلام يقودها فأشرت الى الغلام فقال لي نعم واتبعني الى بستان لي فنزلت المرأة فأدخلتها الى قبة كانت في البستان وأخذ الغلام الدابة وصار ناحية وقال أغلق الباب ففعلت ثم أقبلت الى القبة فاذا المرأة تبكي بكاء شديدا حتى طال بكاؤها وبكيت لبكائها فقلت لها ما شأنك فقالت افعل ما دعوتني لاجله ودع عنك هذا وشبهه ايزيد فقلت لها ان المعنى الذي دعوتك لاجله لا يصلح مع البكاء بل مع الانس وانشراح الصدر وزوال الانقباض ورفع الخجل فقالت تترك البكاء ونرجع للانس على ما تحب ويوفي غرضك فقلت لا حتى أعلم سبب بكائك وألححت عليها فقالت أتعرف صاحب المال الذي بعثته قلت نعم قالت فأنا ابنته ولم يبق له أحد غيري وقد بعثه الملك وأخذ أمواله فما زلت أبيع ما ترك أبي وأنفقه على حتى لم يبق بيدي شيء فلما أعنتني الحيلة فيما أنفقه أبات نفسي ووقفت هذا الموقف وأنا بكر ما رآني أحد وجهها فرميت اليها بالالف دينار وقلت لها والله لا قربت منك على

هذا الوجه أبداً فأنفق الدنانير على والدك الى ان تنفدوا بعثى لى غلامك أعلمه بمنزلى ولا زى داركِ واستمر على صيانتك والانفصال وترجى والله لا أزال أبيع أملاكى وأنفقها على والدك حتى أموت أو يفنى كل ما أملكه ثم خرجت ألتمس الغلام واذا بجماعة يطلبون البنت وقالوا ان الملك رضى عن والدها ورد عليه ضياعه وأملاكه ووصله بعشرة آلاف دينار وقعد يلتمس بنته فلم توجد فسقط فى يد الغلام الذى كان مع الدابة وظن أن الامر على ما جرى بينى وبين البنت فبادرته وقلت له لا عليك فتساهل فى خبرها حتى ينصرفوا ودخلت الى البنت وقلت لها ان الملك قد رضى عن والدك ورد عليه ماله ووصله فسيرى الى داركِ فركبت دابتها وانصرفت فدخلت على والدها فقال لها أين كنت وما الذى أخرجك عن دارك وهم بها فقالت له أخرج عنى كل من فى الدار ففعل فأخبرته أمرها مع الشاب من أوله الى آخره ورمت اليه بالالف دينار وقالت له هذا الذى أعطانى لانفق عليك فقال أبوها هذا والله هو الكبريت الاحمر والله لو كان أبوه كفأً ما أنفت أن أزوجك منه ووجه العبد الذى كان معها الى الشاب وقال له ان سيدى يدعوك قال فخفت ان يوضع عنده الامر على غير وجهه ثم أقدمت اقدام من علم براءة نفسه فدخلت عليه فقام الىّ وعانقنى وقد عرف لى مقامى وقال أما الآن وأنت من أعيان الناس فقد قرت بك عينى وقال والله لو كان أبوك كفأً ما أنفت ابنتى أن أزوجك منها فما قام من المجلس حتى وجه الى العدول وأشهد على نفسه بانه زوج ابنته فلانة من هذا الشاب ونقدها عنه الشطر الاول من العشرة آلاف دينار التى وصلها بها الملك واجل لها عنه الشطر الثانى وأهدى لها من الحلى كذا وكذا ومن الثياب كذا وكذا حتى أتى على أكثر أملاكه حتى أنفقها على ذلك فحصل من اشارة الشيخ السبتى رضى الله عنه فى تلك الالف دينار على أضعاف مضاعفة من الاموال وظفر ببنت صاحب المال انتهى (رجع) الى ابن زمرك رحمه الله تعالى قال الشاطبى فى الاشارات والافادات ما صورته افادة أفادنى صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك اثر ايابه الى وطنه من رحلة العدوة فى علم البيان فوائد ذكر منها الآن ثلاثة الفقه فى اللغة وهو النظر فى مواقع الالفاظ وأين استعملتها العرب ومن مثل هذا الوجه قرم وعام اذا اشتهى لكن لا يستعمل قرم الامع اللحم ولا يستعمل عام الامع اللبن فتقول عمت الى اللبن وكذلك قولهم أصفر فاقع وأحمر قانى ولا يقال بالعكس وهذا كثير والثانية تحرى الالفاظ البعيدة عن طرفى الغرابة والابتذال فلا يستعمل بالحوشى من اللغات ولا المبتذل فى ألسن العامة والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه اذ المقصود الوصول فى بيان المعنى الى أقصاه والاتيان بما يحصله سريعا ويمكنه فى الذهن وتحرى كل صيغة تمكن المعنى وتحرض السامع على الاستماع وأخبرنى أن كتاب المغرب يحافظون فى شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ويذمون ما عداها من طريقة المولدين وانها خارجة عن الفصاحة وهذه المعانى الثلاثة لا توجد الا فيها انتهى * وذكر من شرح بديعية الحلى من المغاربة وهو الشيخ الصرى عبد الثعالبى فى شواهد حسن الختام أن منه ختام قصيدة للكاتب البارع أبى عبد الله

المعروف بابن زمرك الاندلسي *مدح بها ملك المغرب عبد العزيز حين قدم عليه رسولا من صاحب الاندلس وهو قوله

ولو أنشدت بين العذيب وبارق ● لقال رواة الغرب ياحبذا الشرق انتهى

ولم يظهر لي كل الظهور دلالته على حسن الختام ولابد فالله سبحانه أعلم ● وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي هذه

لو ترجع الايام بعد الذهاب ● لم تقدح الايام ذكرى حبيب

وكل من نام بليل الشباب ● يوقظه الدهر بصبح المشيب

ياراكب العجز الا نهضة ● قد ضيق الدهر عليك المجالا ● لاتحسبن أن الصبا روضة تنام فيها تحت في الظلال ● فالعيش نوم والردى يقظة ● والمرء ما بينهما كالخيال

والعمر قد مر كمر السحاب ● والملتقى بالله عما قريب

وأنت مخدوع بلمع السراب ● تحسبه ماء ولا تستريبه

والله ماالكون بما قد حوى ● الاظلال توهم الغافلا ● وعادة الظل اذا ما استوى تبصره منتقلا زائلا ● انا الى الله عبيد الهوى ● لم نعرف الحق ولا الباطلا

فكل من يرجو سوى الله خاب ● وانما الفوز لعبد منيب

يستقبل الرجعى بصدق المتاب ● ويرقب الله الشهيد الرقيب

ياحسرتا مر الصبا وانقضى ● وأقبل الشيب يقص الاثر ● واخجلتا والرحل قد قوضا ومابقي في العمر غير السبر ● وليتني لو كنت فيما مضى ● ادخر الزاد لطول السفر

قد آن من ركب التصابي اياب ● وآن للرشد أطال المغيب

ياأكمه القلب بغي الحجاب ● كم ذا أناديك فلا تستجيب

هل يحمد الزاد لدار الكريم ● والمصطفى الهادي شفيع مطاع ● بجاهه ذخر الفقير العديم وحبه زادي ونعم المتاع ● والله سماه الرؤف الرحيم ● بجاره المكفول ماان يضاع

حسبي شفيع الناس يوم الحساب ● وملجأ الخلق لرفع الكروب

يلقى من ه قبول مجاب ● يشفع لي في موبقات الذنوب

يامصطفى والخلق رهن العدم ● والكون لم يفتق كمام الوجود ● مزية أعطيتها في القدم بها على كل نبي تسود ● مولدك المرقوم لما نجم ● أنجز للامة وعد السعود

ناديت لو يسمح لي بالجواب ● شهر ربيع ياربيع القلوب

أطلعت للهدى بغير احتجاب ● شمسا ولكن ما لها من غروب

(ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الطبيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا و شرحه عليها من أبدع الشروح وقد نقل فيه عن لسان الدين كثيرا واعتمد عليه في أمور الطب وقد طال عهدي به الآن وهو من الكتب المشهورة بالمغرب ولم أره بهذه الديار المشرقية (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) الاديب الكاتب العالم العلامة القاضي أبو بكر بن جزي الكلبي وأبوه الشيخ أبو القاسم بن جزي شيخ لسان الدين ويت بي

جزى بيت كبير مشهور بالمغرب والاندلس وقد عرّفنا فيما سبق بالشيخ أبى القاسم وابنيه العلامتين الناظمين الناثرين الكاتب أبى عبد الله محمد والقاضى أبى بكر المذكور فليراجع فى الباب الثالث ورأيت بخط بعض علماء المغرب أنّ أبا بكر المذكور روى عن لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بجميع تواليفه مع انه مقارب له فى السن ولكن الانصاف فى ذلك الزمان غير معدوم وقد عرّف به لسان الدين فى الاحاطة والذى فهمت من عبارته فى الاحاطة انه ان عبر بصاحبنا فلا يطلقها غالبا الا على تلامذته وربما أطلقها على غيرهم كما لا يخفى على من مارس كلامه رحمه الله تعالى وأتقن تاريخ أهل المغرب والاندلس رحم الله تعالى الجميع (ومن تلامذة لسان الدين رحمه الله تعالى) مؤدّب أولاد الملوك ومعلمهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله الشريشى وهو الذى تولى أوّلا نقل الاحاطة من مبيضتها كما سبقت الاشارة اليه فى كلام حفيد السلطان ابن الاحمر وأحكم نسخة فكانت فى مجلدات ستة وكان لسان الدين ألقى اليه بالمبيضات اعتمادا منه عليه وثقة به لاشتغال لسان الدين بأمور المملكة (ومن تلامذة لسان الدين) القاضى الكاتب ابو محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربى قال فى الاحاطة صاحبنا الفقيه الخطيب كاتب الانشاء بالباب السلطانى أبو محمد نسيج وحده فى أصالة البيت وعفاف النشأة مقصود المنزل نبيه الصهر مخول فى الاصالة بارع الخط جيد القريحة سيال المداد نشيط البنان جلد على العمل خطيب ناظم ناثر قرأ بغرناطة وولى الخطابة بالمسجد الاعظم والقضاء سنتين ببلده فى حداثة السن ثم انتقل الى غرناطة فجاءت به الكتابة السلطانية داحضة بالحق أورته الى هضبة أمانة مستظهرة بطل كفاية فاستقل رئيسا فى فرض اعانتى والتشاكى من هفوة الكلفة على جال الضعف والمنام المرض ثم كشفت الخبرة منه عند الحادثة على الدولة وازعاجها من الاندلس عن سوأة لا توارى وعورة لا يرتاب فى أشنوعتها ولا يتمارى فسبحان من علم النفس بغررها وتقواها اذ لصق بالداعى الفاسق فكان آلة انتقامه وجارحة صيده وأحبولة كيده فسفك الدماء وهتك الاستار ومزق الاسباب وبدل الارض غير الارض وهو يزقه فى اذنه زقوم النصيحة ويستحله لقب الهداية ويبلغ فى شوارزه الى الغاية عنوان عقل الفتى اختياره يجرى فى سبيل دعوته طوالا أخرق يسئ السمع فيسئ الاجابة بدويا فجاجهوريا ذاهلا عن عواقب الدنيا والآخرة طرفا فى سوء العهد وقلة الوفاء مردودا فى الحافرة منسلخا من آية السعادة تشهد عليه بالجهل يده ويقيم عليه الحجج شرهه وتبوته هفوات الندم بجهالته ثم أسلم المحروم مصطنعه أحوج ما كان اليه وتبرأ منه ولحقته بعده مطالبة مالية لا بحالها اضطر وهو الآن بحال خزى واستقاب تبعات واستدعيت شيأ من نظمه ونثره حال التصنيف لمترجم به فكتب الىّ ما نصه

يا سيدا فاق فى مجد وفى شرف ✱ وفات سبقا بفضل الذات والسلف
وفاضلا عن سبيل الذمّ منحرفا ✱ وعن سبيل المعالى غير منحرف
وتحفة الزمن الآتى به فلقد ✱ ربا بما حازه منها على التحف

ومعدنا لنفيس الدر تحملها * سواء منه لدى التشبيه كالصدف
وبحر علم جميع الناس مغترف * منه ونيل المعالى غير مؤتلف
وما بقا بذ أهل العصر قاطبة * فالكل فى ذا الحكم غير مختلف
من ذا يخالف فى نار على علم * او يجحد الشمس نورا وهو غير خفى
ما أنت الا وحيد العصر فى شيم * وفى ذكاء وفى علم وفى ظرف
لله من منتم للمجد منتسب * بالفضل متسم بالعلم متصف
لله من حسب عد ومن كرم * قد شاده السلف الاخيار للخلف
ايه أيا من به تاهت الوزارة اذ * كنت الاحق بها فى الذات والشرف
يا صاحب القلم الاعلى الذى جمعت * فيه المعالى فبعض البعض لم أصف
يا من بتقصير وصفى فى علاه ومن * أنسى مديح حبيب فى أبى دلف
شرفتنى عندما استدعيت من كلمى * نظما تدونه فى أبدع الصحف
وربما راق ثغر فى تبسمه * حتى اذا باله الشام مرتشف
أجل قدرك أن تردى لمتجع * بسوء كيلته حطامع الحشف
هذا ولوانى فيما أتيت به * ناغت بالطيب زهر الروضة الانف
لكنت أفضى الى التقصير من خجل * اذ لست بالبعض مما تستحق أفى
غنى العجز عما قد أشرت به * فالعجز حتما قصارى كل معترف
لكن أجبت الى المطلوب ممتثلا * وان غدوت بمرمى القوم كالهدف
فانظر اليها بعين الصفح عن زلل * واجعل تصفحها من جملة الكلف
بقيت للدهر تطويه وتنشره * تسمو من العز بادم غير منصرف

ثم ذكرنا أن مولده بوادى آش آخر عام تسع وسبعمائة وولى الخطابة والامامة بها عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ثم ولى القضاء بها وبأعمالها عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة ثم انتقل للحضرة آخر رجب عام ستة وخمسين وسبعمائة ومن شعره قوله

الا أيها الليل البطىء الكواكب * متى ينجلى صبح بليل المآرب
وحتى متى أرعى النجوم مراقبا * فمن طالع منها على اثر غارب
أحدث نفسى أن أرى الركب سائرا * وذنبى يقصينى بأقصى المغارب
فلا فزت من نيل الامانى بطائل * ولا قمت فى حق الحبيب بواجب
فكم مدتنى النفس أن أبلغ المنى * وكم عللتنى بالامانى الكواذب
وما قصرت بى عن زيارة قبره * معاهد أنس من وصال الكواعب
ولا حب أوطان نبت بى ربوعها * ولا ذكر خل حل فيها وصاحب
ولكن ذنوب أثقلتنى فها أنا * من الوجد قد ضاقت على مذاهبى
الى الله رسول الله شوقى مجدد * فياليتنى يممت صدر الركائب
فأعملت فى تلك الاباطح والربا * سراى مجدا بين تلك السباسب
وقضيت من لثم البقيع لبانتى * وجبت الفلا ما بين ماش وراكب

ورويت من ماء بزمزم غلتي * ولله ما أشهاه يوما لشارب
حبيبي شفيعي منتهى غايتي التي * أرجى ومن يرجوه ليس بخائب
محمد المختار والحاشر الذي * بأحمد حاز الحمد من كل جانب
رؤف رحيم خصنا الله باسمه * وأعظم بماح في الثناء وعاقب
رسول كريم رفع الله قدره * وأعلى له قدرا رفيع الجوانب
وشرفه أصلا وفرعا ومحتدا * يزاحم آفاق السما بالكواكب
سراج الهدى ذو الجاه والمجد والعلا * وخير الورى الهادي الكريم المناسب
هو المصطفى المختار من آل هاشم * وذو الحسب العد الرفيع المناصب
هو الامد الاقصى هو الملجأ الذي * ينال به مرغوبه كل راغب
امام النبيين الكرام وانه * لكالبدر فيهم بين تلك المواكب
بشير نذير مفضل متطول * سراج منير بذ نور الكواكب
شريف منيف باهر الفضل كامل * نفيس المعالي والحلى والمناقب
عظيم المزايا ماله من مماثل * كريم السجايا ماله من مناسب
ملاذ منيع ملجأ عاصم لمن * يلوذ به من بين آت وذاهب
جليل جميل الخلق والخلق ماله * نظير ووصف الله حجة غالب
وناهيك من فرع نمته أصوله * الى خير مجد من لؤي بن غالب
أولي الحسب العد الرفيع جنابه * بدور الدياجي أو صدور الكتائب
له معجزات مالها من معارض * وآيات صدق مالها من مغالب
تحدى بها الخلق شرقا ومغربا * وماذاك عن حاد عنها بغائب
فدونكها كالانجم الشهب عدة * ونور سنا لا يختفي للمراقب
واحصاؤها مهما تتبعت معوز * وهل بعد نور الشمس نور لطالب
لقد شرف الله الوجود بمرسل * له في مقام الرسل أعلى المراتب
وشرف شهرا فيه مولده الذي * جلا نوره الاسنى دياجي الغياهب
فشهر ربيع في الشهور مقدم * فلا غرو ان الفخر ضربة لازب
فلله منه ليلة قد تلألأت * بنور شهاب بين الافق ثاقب
ليهن أمير المسلمين بها المنى * وان نال من مولاه أسنى الرغائب
على حين أحياها بذكر حبيبه * وذكر الكرام الطاهرين الاطايب
وألف شملا للمحبين فيهم * فسار على نهج من الرشد لاحب
فسوف يجازى عن كريم صنيعه * بخالد سلطان وحسن عواقب
وسوف يريه الله في نصر دينه * غرائب صنع فوق تلك الغرائب
فيحمي حمى الاسلام عمن يرومه * بسمر العوالي أو ببيض القواضب
ويعتز دين الله شرقا ومغربا * بما سوف يبقى ذكره في العجائب
الهي مالي بعد رحمتك مطلب * أراه بعين الرشد أسنى المطالب

سرى زورة القبر الشريف وانه • لاوجبة فاقت جميع المواهب
عليه سلام الله مالاح كوكب • وما رافق الاظعان حادى الركائب

وقال لسان الدين رحمه الله تعالى وليس لهذا الرجل اتصال لغير الشعر والكتابة وغير هذا الشعر قران فقل أن يتعدى هذا الشعر في الصحة والاسترذال الى مادون هذا النمط فهو بغير ثان شعرا وشكلا وبلد لطف الله تعالى بشاويه انتهى باختصار (ومن تلامذة لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى) الكاتب أحمد بن سليمان بن فركون ومن تغلمه على لسان من رمى بالداء العضال في فرج محمد ابن زمرك الوزير بعد ابن الخطيب

قالوا كلفت به غلاما حالكا • فأجبتهم في فيه ماير في المهج
مهما جننت بحسنه وبحبه • علقت أورق منه حرزا من سبج

ورأيت بخط الوادي آشي ما صورته وجدت بخط لسان الدين وخاتمة أعلام البيان المجيدين ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله تعالى في طرة اسم الكاتب أحمد ابن سليمان بن فركون المختص به المتأدب بما انفرد به من انتساخ تواليف ابن الخطيب مانصه يسقط هذا الساقط من الديوان انتهى ولعل لسان الدين انما أمر باسقاطه من الاحاطة لما اتهم به من معنى بيتيه السابقين ويحتمل أن يكون لغير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثامن في ذكر أولاده)

الراقلين في حلل الجلاله المقتفين أوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العلم والعمل والرياسة والمجد عن غير كلاله ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلاله وما يتبع ذلك من المناسبات القويه والامداح النبويه التي ابها على حسن الختام أظهر دلاله

اعلم وفقني الله تعالى واياك لارضائه وجعلنا ممن يعتبر بالدهر في معضلاته ان أولاد لسان الدين ثلاثة عبد الله ومحمد وعلى وكلهم حدث عن أبيه وعن ابن الجياب • أما محمد فقد نال حظه من التوقف ولم يكن له الى خدمة الملوك تشوف ولم يحضرني الآن نص من أنبائه أكتبه لعدم وجود الكتب التي هي مظان ذلك اذ قد تركتها بالمغرب • وقد سبق فيما مر من كلام ابن خلدون أن أولاد لسان الدين كانوا من ندماء السلطان وأهل خلوته وأن عليا كان خالصة السلطان رحم الله تعالى الجميع • وأما عبد الله فقد كتب بالعدوتين للملوك الحضرتين وتولى القيادة والكتابة بالاندلس أيام كان أبوه مدبر الدوله وأكثر الناس بها كالخواص حوله ولا أعلم الآن ما آل اليه أمره بعد وفاة أبيه وقد ألم ببعض التعريف بعبد الله أبوه لسان الدين في كتاب الاحاطه في تاريخ غرناطه فقال في حقه ما ملخصه عبد الله بن محمد بن على بن سعيد بن الخطيب التلمساني حسن الشكل جيد الفهم يغطى منه رماد السكون جمرة حركة منقبض عن الناس قليل البشاشة حسن الخط وسط النظم كتب عن الامراء بالمغرب وأنشدهم وأقبض صكوكهم بالاقطاعات والاحسان واختال في خلعهم ثم لما كانت الفتنة كتب عن سلطان وطنه معز

المناطة بالقيادة قرأ على قاضي الجماعة الخطيب أبي القاسم الحسني والخطيب أبي سعيد فرج بن لب الثعلبي واستظهر ببعض المبادي في العربية واستجيز له من أدركه ببلاده من أهل المشرق والمغرب وشعره مترفع عن الوسط الى الاجادة يكاله عذر الحداثة ● فمنه قوله في مولد أربع وستين وسبعمائة

بحق الهوى يا حداة الحمول ● قفوها قليلا بتلك الطلول
معاهد مرت عليها السحاب ● ببرق خفوق ودمع همول
أحن اليها حنين العشار ● وأبكي عليها بشجو طويل
فيا سعد عرج عليها الركاب ● فقفها لقلبي شفاء العليل
سقاها من المزن صوب الغمام ● وحياها عرف النسيم العليل
ولا زال فيها يجر الذيول ● فيحيي النفوس بجر الذيول
لئن حلت يا ربع عن عهدنا ● فعهد الهوى ليس بالمستحيل
ويا شجاني وميض الخفوق ● كقلبي غداة النوى والرحيل
وميض اذا لاح الحزن وهنا ● يفري سنا مكتئب صقيل
أطار الفؤاد فؤاد المشوق ● وأغرى السهاد بطرف كليل
فبت أطاول ليل التمام ● بوجد جديد وصبر محيل
ودمع يساجل دمع الغمام ● وشجو الحمائم عند الهديل
فياليت شعري وهل من سبيل ● على الوجد يوما بصبر جميل
وهل يسمح الدهر بعد العناد ● بجبر الكسير وعز الذليل
وهل راجع عهدنا بالحمى ● على رغم دهر ظلوم جهول
فيا حسن مأوى عزاء جميل ● ويا طيب مأوى بظل ظليل
وفي ذمة الله ركب سروا ● يجدون والليل مرخي السدول
نشاوى بكاسين كاس الهوى ● وكاس من الامن مثل الشمول
يؤمون بالعيس أم القرى ● وقبر النبي الشفيع الرسول
ديار بها الوحي وحي السما ● تنزل أكرم به من نزول
بها أشرق الدين كالشمس نورا ● وآمن من الشرك وقت الافول
فيا حادي العيس يطوي الفلا ● بوخد القلاص وأص الزميل
مفاوز آل طواها السرى ● وشق الحزون وقطع السهول
نشدتك بالبان بان الحمى ● وبالمورد العذب والسلسبيل
اذا ما حللت لدى طيبة ● وجئت محل الرضا والقبول
وقبرا ثوى فيه خير الورى ● وبشرى الكليم وخير الخليل
فأبلغ تحية صب مشوق ● عدته عوادي الزمان الخذول
وقل يا رسول الهدى والشفيع ● اذا ضاق صدر أب عن سليل
عليك الصلاة وطيب السلام ● يحييك عند الضحى والاصيل

نبي كريم رؤف رحيم * بنص الكتاب وحكم العقول
امام الهدى المجتبى المصطفى * بأزكى شهيد وأهدى دليل
به أظهر الله دين الهدى * وعلمكيف سواء السبيل
وقام بأعباء دين الاله * أتم القيام بفعل وقيل
فأكرم بليلة ميلاده * على كل وقت وعصر وجيل
لك الله من ليلة فضلها * يجرّ على النجم فضل الذيول
وأيد بالنصر مولى أقام * مواسمها فعل برّ وصول
أعاد بها الليل مثل النهار * بوجه كريم وفعل جميل
وأبدى الرضا غرها والقبول * وأكرم به من حفيّ كفيل
سميّ النبيّ الكريم الرسول * وسيف الاله العليّ الجليل
محمد المرتجى المستجار * مبيد العدا ومنيل الجزيل
من النفر الغرّ أسد الكفاح * وأهل السماح عشيّ النزول
تراهم لدى السلم أطواد حلم * ويوم الكريهة آساد غيل
مبيد العداة ومحيي العفاة * ومأوى الغريب ومدنى الدخيل
فبأس كحكي النار عند احتدام * وجود يحكي السحب عند الهطول
فيصلي عداه لدى الحرب نارا * ويروى نداه زمان المحول
اذا فلت البيض يوم الوغى * فلست ترى عزمه ذا فلول
مليك كفيل ان يرتجيه * بكل مرام بعيد وصول
وفرع كريم حميد الخلال * نماه الى المجد طيب الاصول
فدام لنا ما سرى فى الرياض * نسيم الصبا ومهبّ القبول
وحنّ مشوق لارض الحجاز * اذا لاح ايماض برق كليل

وقال يمدح السلطان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن نصر من مدينة فاس

لمن طلل بالرقمتين محيل * عفت دمنتيه شمأل وقبول
يلوح كباقى الوشم غيره البلى * وجادت عليه السحب وهى هطول
فيا سعد مهلا بالركاب لعلنا * نسائل ربعا فالمحب سؤل
قف العيس ننظر نظرة تذهب الاسى * ويشفى بها بين الضلوع غليل
وعرّج على الوادى المقدّس بالحمى * فطاب لديه مربع ومقيل
فيا حبذا تلك الديار وحبذا * حديث بها للعاشقين طويل
دعوت لها سقى الحيا وربوعه * ومغنى وعرف للنسيم عليل
وأرسلت دمعى للغمام مساجلا * فسال على الخدين منه مسيل
فأصبح ذاك الربع من بعد محله * رياضا بها الغصن المروح يميل
لئن حال رسم الدار عما عهدته * فعهد الهوى فى القلب ليس يحول
وما شجانى بعد ما سكن الهوى * بكاء حمامات لهن هديل

توسدن فرع البان والنجم مائل * وقد آن من جيش الظلام رحيل
فياصاحبي دع عنك لوى فانه * كلام على سمع المحب ثقيل
تقول اصطبارا عن معاهدك الالى * وهيهات صبرى ما اليه سبيل
فلله عينا من رآنى وللاسى * غداة استقلت بالخليط حمول
يطاول ليل التم منى مسهد * وقد بان عنى منزل وخليل
فياليت شعرى هل يعودن ما مضى * وهل يسمحن الدهر وهو بخيل
وهل راجع عهد الحمى سقى الحمى * وظل بهين الدمع فيه ظليل
وأيام أنس كم نعمنا بقربها * وقد غاب عنا حاسد وعذول
حلفت برب الراقصات الى منى * لهن الى البيت العتيق ذميل
لجود أمير المسلمين محمد * بكل مرام فى الزمان كفيل
مليك اتاه الله فى الملك عزمة * يروع الاعادى بأسها ويهول
هو الملك المنصور والبطل الذى * يهون عليه الخطب وهو جليل
اذا فلت البيض الرقاق وجدته * أخا عزمات ما لهن فلول
يقصر باع المدح دون صفاته * ويرجع عنها الفكر وهو كليل
من النفر البيض الوجوه لدى الوغى * لهم غرر وضاحة وحجول
هم ما هم والحرب قد شب نارها * وللخيل فى جنح العجاج صهيل
اذا استنزلوا يوم الندى فنوالهم * تفيض شآبيب له وسيول
بهم عز دين الله شرقا ومغربا * وأصبح دين الكفر وهو ذليل
هم السادة الانصار والعرب الالى * حمى الدين حى منهم وقبيل
لهم يوم بدر والرسول أميرهم * تصول به أرماحهم وتطول
فأصبح أصحاب القليب كأنهم * كثيب لوطء المرهفات مهيل
وقد أمن الاسلام كيد عدوه * وغودر ربع الكفر وهو محيل
وعدوا رواحا للمدينة والرضا * لهم منه فوز عاجل وقبول
فمن ذا يجارى أو يدانى عصابة * جزاؤهم عند الاله جزيل
لكم يا بنى نصر من المجد هضبة * تزول الرواسى وهى ليس تزول
فيا سيد الاملاك والواحد الذى * اذا عد فخر ليس عنه عدول
لقد قرع الاعداء منك مؤيدا * له الذعر نصر والحسام دليل
فلم يد ركوا ما أملوا غير ساعة * كذا المتاع الاخسرين قليل
تعاوين فى باب البنود بسحرة * كلاب عليهم بعد ذاك عويل
أبى الله الا أن يردوا بغيظهم * فويل لهم من مكرهم وأليل
فأضحوا احاديثا فى البلاد يومهم * وساء صباح عندهم وأصيل
بسعد امام ينزل العصم سعده * ويروى نداه والزمان محول
وفرع كمال فى الخلافة ثابت * نمته الى المجد الزكى أصول

يحكى وجهه شمس النهار اذا بدا * وريّاه عرف الروض وهو بليل
أعادلنا بالعدل أيامه التى * عهدنا فدارت للسرور شمول
فدام لنا ما هبّ عرف من الصبا * وأومض برق فى الظلام كليل
وحنّ مشوق للحجاز اذا بدت * لعينيه منه شامة وطفيل
وأشرق نجم مثل قلبى خافق * وبان له عند الغروب أفول
ومازالت الاقدار تجرى بأمره * وصنع اله العرش فيه جميل

وقال فى اعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضى عنه

أثرها عزمة تثنى الركابا * وان دمعت لها العين انسكابا
لعل الوجد تطفأ منه نار * أبت الا زفيرا والتهابا
أما بعد الالى ترجو قلوب * تسارع نحو أرضهم انقلابا
فيا اخوى كفا عن عتابى * فلست بسامع أبدا عتابا
تذكرت العقيق فسال دمعى * عقيقا من تذكره مذابا
أقول لنسمة مرت صباحا * بعطر عرفها القفر اليبابا
الا بالله ذكرنى رسولى * وكرّرنى ان رجعت لى الجوابا
نشدتك بلغى صحبى سلامى * اذا جئت المعاهد والقبابا
يلومونى العواذل فى اشتياق * اذا ما القلب من وجدى تصابى
وكم بين الاباطح من مهاة * تروع بلحظها الاسد الغضابا
رمتنى ثم فاتت وهى ترزى * ولم تعذر بفتكتها العقابا
اذا ما الشهب للغرب استمالت * وفود الليل بالاصباح شابا
أوجه ان رقدت اليك طيفى * كلمع البرق يخترق السحابا
فقلت لقد بخلت على مشوق * أبى الاغراما واكتئابا
وكيف لمبتوم بعدو جند * يذيب لهيبه الصم الصلابا
سينصره من الانصار ملك * اذا ناداه ملهوف أجابا
كريم الذات من ملأ كرام * لقد طابت سجاياهم وطابا
تواضع رحمة وعلا علاء * وسهل منه للناس الصعابا
فليس يصدّ عن جدواه راج * وليس يسدّ عن عافيه بابا
له عطف على الراجى جميل * يفلّ من الردى ظفرا ونابا
وملك آمن الارجاء حتى * ترى الغزلان لا تخشى الذئابا
أمولاى الذى أحيا المعالى * وقد بليت وألحفت الترابا
مددت على البلاد جناح عدل * وكف الجور تستلب استلابا
وتاب الدهر مما قد جناه * فجددت له بقبول حين تابا
وسكن عز دولتك الدواهى * فكانت رحمة دفعت عذابا
وبالله اعذار سعيد * دعوت السعد فيه فاستجابا

عجبت لمقدم والروع يهفو * بأفئدة الكماة وما استرابا
ومن شبل أطاع أخا سلاح * وحكمه اصطبارا واحتسابا
وهل عذر لعاذر ليث غاب * أطن فؤاده والعقل غابا
فلولا سنة حكمت وهدى * أصبت وقد سلكت به الصوابا
لحامت عصبة الانصار عنه * بأسياف تقد بها الرقابا
من الصيد الذين لهم نفوس * لغير الفخر لاتصل الطلابا
تنير الليل أوجههم اذا ما * أرادوا السير أوحثوا الركابا
دعوت به الانام ليوم حشر * ولم تدخر لهم الا الثوابا
وأروا من زخرف الدنيا مقاما * يذكر بالجنان لمن أنابا
وأبهتهم فما عاطوا حديثا * ولاعرفوا السؤال ولا الجوابا
ولومكثوا به دهرا طويلا * لما ذكروا الطعام ولا الشرابا
وطاردت الصوار بكل ضار * كما اتبعت عفريتا شهابا
ضربت به على الآذان منها * فلم تسطع حراكا وا ضطرابا
ومعصوب الجبين بتاج روق * يروع شواره الاسد الغضابا
تعرف أن تحت الارض ثورا * فرام بأن يشق له الترابا
وكان به هضيم الكشح أجنى * حديد الناب تحسبها حرابا
تباعد مجمع الشدقين منه * وسال الموت بينهما لعابا
فأثبته كوحي الطرف حتى * تؤثق منه جازره غلابا
وصاح به الصوار وقد رآه * حبيس الكلب قد منع الايابا
فغض الطرف الك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وأرسلت الجياد الى استباق * كان بوارقا شقت سحابا
فمن ورد أتت ومن كميت * وأشهب يلهب الارض التهابا
وسابقة العماد اذا أطالت * الى الادواح تنساب انسيابا
تحوم بها العصي فراش ليل * تروم بسمعه منه اقترابا
تحف بها خيول القوم منا * فتترسل نحوها الجرد العرابا
عجائب أبدعت علياك فيها * ومثلك يبدع الامر العجابا
محمد لاعدمت الدهر جدا * فقد أحسنت في الملك المنابا
وزكى نفسك الرحمن لما * رآك ملكت للمجد النصابا
تداركت البلاد ومن عليها * فأمنت التنائف والشعابا
لقد أوليتنا بيض الايادى * لقد طوقتنا المنن الرغابا
روت عنك العوالى فى المعالى * حديث الفخر حقا لا ارتيابا
ستفتح من بلاد الشرك أرضا * قد اعتقلت عقائلها اغتصابا
وتعمل فى العدا بيض المواضى * الى أن ينكر السيف القرابا

بها كاس من الصهباء صرف * تعيد الشيخ من طرب شبابا
وطاف بها من الرهبان بدر * يهتك من دجى الليل الحجابا
تجد الانس عودا بعد بدء * وربع الهم تتركه يبابا
بأعذب من ثنائك حين يطوى * به الركب الاباطح والهضابا
أمولاى استمعها بنت فكر * تخيرها فأبرزها لبابا
وغاص على فرائدها الغوالى * وشق على نفائسها العبابا
وهناك الاله بكل نعمى * تقر لك الامانى الصعابا
ودمت لعزة الاسلام ركنا * الى أن يشمل الشيب الغرابا

(وقال) وقد أنشدها السلطان ليلة الميلاد عام خمسة وستين وسبعمائة

نفس الصبا أهدى الى نسيما * قد رام ممتنعا ورام عظيما
يا هل يبلغنى السرى خير الورى * فأرى معاهد للهدى ورسوما
وأسابق الركبان فوق نجيبة * تفرى من البيد العراض اديما
وأحط رحلى فى كريم جواره * أرجو نعيما فى الجنان مقيما
حتى اذا بلغوا الذى قد أملوا * ورأوا مقاما بالرضا موسوما
وتزاحموا فى الترب يستلمونه * أرأيت فى الورد الظماء الهيما
قبلت ذاك الترب من شوقى الى * من حله وأقمت فيه لزيما
وبكيت من دمع المآقى زمزما * وتركت جسمى كالحطيم حطيما
صلى عليه الله ما هبت صبا * تهدى من الطيب الزكى شميما
لله مولده الذى أنواره * صدعت ظلاما للضلال بهيما
شرعت من التأييد منه هداية * أردت ظباء فارسا والروما
كسر الاكاسر بالعراء ولم يدع * ان رد قيصر قاهرا مهزوما
لله منها ليلة أضحى بها * شمل الهدى لأولى الهدى منظوما
أبدا أمير المسلمين أعدها * بدعا من القصر الكريم جسيما
ملك أقام الله منه لخلقه * مولى رؤفا بالعباد رحيما
يحمى ذمار المسلمين من الردى * ويبيح ربعا للعدا وحريما
بمحمد قد عاد دين محمد * غض الرياض وكان قبل هشيما
أحيا به الله الخلافة بعدما * كانت بأطباق التراب رميما
من آل سعد الخزرجى بن عبادة * طابوا فروعا فى العلا وأروما
تلقاه فى يوم الكريهة والوغى * والخيل عابسة أغر وسيما
وتخال كفيه اذا شح الحيا * أفقا بهامية الغيوث غيوما
تأبى خلال العدل والشيم العلا * من أن يرى فى دهره مظلوما
كهف العباد وفخرها وثناؤه * ترك المديح على الطروس رقيما
لا زال باقى العيش طلقا والعلا * مرقى وصرف الحادثات خديما

ما اهتز غصن فى الحديقة ناعم * لما أحس من الشمال شميما

(مولده) بغرناطة يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة انتهى

(ومما) خاطب به لسان الدين رحمه الله تعالى ولده عبد الله المذكور ما فى الفاضة من قوله أنشدت ابنى عبد الله وقد وصل لزيارتى من الباب السلطانى حيث براءته ووطيفته وانجر حديث ما نقد بغرناطة فى شجون الكلام

يابنى عبد الاله احتسابا * عن أثاث ومنزل وعقار

كيف يأسى على خسارة جزء * من يرى الكل فى سبيل الخسار

هدف لاتنى سهام الليالى * عن سباق تجاهه وبدار

واحد طائش وسهم مصيب * ليس ينجى منها اشتمال حذار

غير ذى الدار صرف الهم فيها * فمناخ الرحيل ليس بدار انتهى

وقال أيضا رحمه الله تعالى مما أنشدته ولدى عبد الله وأمرته بحفظه والتأدب به والنهج بحكمته

اذا ذهبت يمينك لاتضيع * يسارك فى البكاء ولا المصيبه

ويسراك اغتنم فالقوس ترمى * وما تدرى أرشقتها قريبه

وما بغريبة نوب الليالى * ولكن النجاة هى الغريبه

قال ومن المنظوم فى قريب من هذا قولى

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر * دهيت فدلونى لمن يرفع الامر

تشاغلت بالدنيا ونمت مفرطا * وفى شغلى أو نومتى سرق العمر

وقال رحمه الله تعالى ومما قلته وقد انصرف عنى الولد عبد الله الى مدينة فاس لاقامة رسمه من الخدمة وأحبانى انصرافه لوقوع قرحه على قرح والله المستعان

بان يوم الخميس قرة عينى * حسبى الله أى موقف بين

لو جنى موقف النوى حين حق * حان يوم الوداع والله حينى

ضايقتنى صروف هذى الليالى * وأطالت همى وألوت بدينى

وطن نازح وشمل شتيت * كيف يبقى معذب بعد ذين

يا الهى أدرك بلطفك ضعفى * ان ما أشتكيه ليس بهين

وقال رحمه الله تعالى أنشدت يوما ولدى عبد الله وقد رأيت منه نشاطا ومرحا انتقل منى اليه بهذا السن

سرق الدهر شبابى من يدى * وفؤادى مشعر بالكمد

جملة الامر اذا أبصرته * باع ما أفقدنى من ولدى

وقد سبق هذان البيتان عند ذكر بعض نظم لسان الدين رحمه الله تعالى (وأما) على بن لسان الدين رحمه الله تعالى فهو شاعر البيت بعد أبيه النبيه وكان صاحبا للسلطان أحمد المرينى المستنصر بالله ابن السلطان ابى سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى رحمهم الله تعالى (وحكى) بعضهم انه حضر معه فى بستان سح فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى

الاصيل شواهد الاصفرار وأزمع النهار لما تقدم الليل على الدرار فقال المستنصر لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جداوله ومذانبه

يا فاس انى وايم الله ذو شغف * فى كل ربع به مغناه يسبينى

وقد أنست بقرب منك يا أملى * وتارة فيكم بالانس تحيينى

فأجابه أبو الحسن على بن الخطيب بقوله المصيب

لا أوحش الله ربعا أنت زائره * يا بهجة الملك والدنيا مع الدين

يا أحمد الحمد أبقاك الاله لنا * فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد رحل رحمه الله تعالى الى مصر ولم يحضرنى الآن من أحواله بعد دخوله مصر ما أعول عليه وقد كان وقف بالقاهرة على نسخة الاحاطة التى وجهها أبوه الى مصر ووقفها بخانقاه سعيد السعداء كما أشرنا اليه فيما مر فكتب بالحواشى كتابات مفيدة وقد ذكرنا بعضها فيما أسلفناه من هذا الكتاب فانها راجع اما لتكميل لما أغفل أبوه واما اخبار عما شاهده هو أو رواية له عن المترجم به أو جواب عن أبيه فيما انتقد عليه ولنذكر شيأ منها غير ما تقدم بعد ايراد نص الاحاطة فنقول قال فى الاحاطة فى حرف الميم فى ترجمة شمس الدين الهوارى الضرير شارح ألفية ابن مالك وصاحب البديعية المشهورة بالاعمى والبصير ما صورته محمد بن أحمد بن على الهوارى يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن جابر من أهل المرية (حاله) رجل كفيف البصر مدل على الشعر عظيم الكفاية والمنة على زمانته رحل الى المشرق وتظاهر برجل من أصحابنا يعرف بأبى جعفر الالبيرى صارا روحين فى جسد وقع الشعر منهما بين تجيع أسد وشمر للعلم وطلبه فكان وظيفة الكفيف النظم ووظيفة البصير الكتب وانقطع الآن خبرهما انتهى (فكتب) المذكور على أول الترجمة ما صورته نعم الرجل ورفيقه أبو جعفر أحسن الله تعالى اليهما فلقد أحسنا الصحبة فى الغربة وانفردا بالزهادة والفضل وعلو الهمة الا أن المصنف قصر فيهما بعض قصور ومنهما ما يطلب الاغضاء والصفح فالرجل مات وذكر الاموات بالخير مشروع وهما والله الشرف الباهر بقطرهما علما وعملا أمتع الله تعالى بهما قاله ولد المؤلف على بن الخطيب بالقاهرة انتهى (وكتب) على قول أبيه وانقطع الآن خبرهما ما نصه هما الآن بالبيرة من حلب تحت انعام ولطف تحث اليهما الرواحل وتضرب اليهما آباط النجب انتهى (رجع) لتكميل ترجمة الشمس ابن جابر من الاحاطة قال لسان الدين بعد ما مضى ما نصه وجرى ذكره فى الاكليل بما نصه محسوب من طلبتها الجله ومعدود فيمن طلع بأفقها من الاهله رحل الى المشرق وقد أصيب بصره واستهان فى جنب الافادة بمشقة سفره على بيان عذره ووضوح نيره (شعره) وشعره كثير فمنه قوله

قالوا حسن ذا الخال فى صفحة الخد * متى رقموا بالمسك فى ناعم الورد

وقالوا لذاك الثغر فى ذلك اللمى * متى كان شأن الدر يوجد فى الشهد

ومن هز غصن القد منها فاننى * وأودعه رمانتى ذلك النهد

ومن منع القضب اللدان بوصفها * الى أن أعار الحسن من ذلك القد

فتاة تفت القلب منى بمقلة * لها رقة الغزلان فى سطوة الاسد
تمنيت أن تهدى الى نهودها * فقالت رأيت البدر يهدى أو يهدى
فقلت ألا رمان بدا من الجنى * فتاهت وقالت بالتواسط لا الايدى
فقلت أليس القلب عندك حاصلا * فقالت قلوب الناس كلهم عندى
فقلت اجعلينى من عبيدك فى الهوى * فقالت كفانى كم لحسنى من عبد
اذا شئت أن أرضاك عبدا فت جوى * ولا تشتكى واصبر على ألم الصد
ألم تر أن النحل يحمل ضرها * لاجل الذى تجنيه من شاهى الشهد
كذلك بذل النفس سهل لذى النهى * لما يكسب الانسان من شرف الحمد
ألست ترى كف ابن جانة طالما * أضاع كريم المال فى طلب المجد انتهى

وكتب ابن المؤلف على هذه القصيدة ما صورته عارضة قويه ونزعة شناجيه وكيف لا والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الاندلس علما ونظما ونحوا زاده الله تعالى من فضله انتهى

(رجع الى الترجمة) قال لسان الدين وقال يعنى ابن جابر

عرج على بان العذيب ونادى * وانشد فديتك أين حل فؤادى
واذا مررت على المنازل بالحمى * فاشرح هنالك لوعتى وسهادى
ايه فديتك يا نسيمة خبرى * كيف الاحبة والحمى والوادى
ياسعد قد بان العذيب وبانه * فانزل فديتك قد بدا اسعادى
خذ فى البشارة مهجتى يوما اذا * بان العذيب ونور حسن سعاد
فدمع عيدى يوم أبصر حسنها * وكذا الهلال علامة الاعياد

ومما نقلته من جزء قيده لى صاحبنا الفقيه الاستاذ أبو على الزواوى مما ادعاه لنفسه

على لكل ذى كرم ذمام * ولى بمدارك المجد اهتمام
وأحسن ما ادى اقناء حر * وصحبة معشر بالمجد هاموا
وانى حين أنسب من أناس * على قمم النجوم لهم مقام
يميل بهم الى المجد ارتياح * كما مالت بشاربها المدام
هم لبسوا أديم الليل بردا * ليسفر عن أديمهم الظلام
هم جعلوا متون العيس أرضا * فذ عزموا الرحيل فقد أقاموا
فمن كل البلاد لنا ارتحال * وفى كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منا * لناسع كل ذى شرف زحام
تصيب سهامنا غرض المعالى * اذا ضلت عن الغرض السهام
وليس لنا من المجد اقتناع * ولو أن النجوم لنا خيام

ثم سرد لسان الدين القصيدة بتمامها وذكر بعد ما سبق اثنين وستين بيتا ولم نثبتها لطولها ثم قال بعدها نجزت وما كادت ثم قال بعدها أيضا وقدوطأ لامطاء قروحها وأعيا لاكثار سروحها ثم قال بعده والله ولى النجاة بفضله انتهى (وكتب) ابنه على أول القصيدة وهو (على لكل ذى كرم ذمام) ما نصه نزعة معرية قاله ابن المؤلف رحمه الله تعالى

انتهى (وكتب) الشيخ ابن مرزوق على قوله تجوزت الى آخره ما صورته ما انصف المصنف هذا الفاضل فى ترجمته وقدره شهير ومكانه من الفضيلة كبير وعلمه غزير ولعله لم يطلع الاعلى ما أودعه انتهى (وكتب) اثره ابن لسان الدين ما صورته نعم ياسيدى أبا عبد الله بن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف ولولا انهما بالحياة ما صدر منكم التنبيه ولو حصلا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلما هكذا شأن الدنيا بقلة الوفا شنشنة معروفة والحقد على الاموات شأن المغاربة قاله على ابن المصنف رحمه الله تعالى انتهى ولاخفاء ان لسان الدين لم يستوف حقوق الشمس بن جابر الهوارى المذكور مع أن له محاسن جمة (ومن محاسنه رحمه الله تعالى)

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا • فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى • سواها وان جار الزمان وان شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما • وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم • فها أنتم فى بحر نعمته غرقى
تزون رسول الله فى كل ساعة • ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم • وباب ذوى الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم • ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل • يلاحظكم فالدهر يجرى لكم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم • فشكرا وشكر الله بالشكر يستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولها • ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون أنتم بأمن • فوجه الليالى لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم • وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم • وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها • أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حرز النبى وحوزه • الى غيره تسعى لقد ضلك قد حقا
لئن سرت تبغى من كريم اعانة • فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائل • ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه • ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش فى حمى خير الانام ومت به • اذا كنت فى الدارين تطلب أن ترقى
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر • بطيبة فاعرف أين منزلك الارقى
لقد أسعد الرحمن جار محمد • ومن جار فى ترحاله فهو الاشقى

(ومن محاسنه رحمه الله تعالى) المقصورة الفريدة وهى قوله

يا در قلبى للهوى وما ارتأى • لما رأى من حسنها ما قد رأى
فقرب الوجد لقلبى حبها • وكان قلبى قبل هذا قد نأى
يا أيها العاذل فى حبى لها • أتصرفنى سمع عن العذل بأى

لو أبصر العاذل منها لمحة ❊ مافض باب عذله ولا فأى
سرحت طرفي طالباشأوالعلا ❊ وتابعا في حبها ماقد شأى
انى لارعاها على تتبعها ❊ عهدى ومثلى من وفى اذا رأى
من منصفى من شادن لم أرجه ❊ لحاجة من وصله الا زأى
وان قبضت النفس عن سلوانه ❊ مستاديم هجره لى وساى
لاتقطعنّ البيد أدرى حاذها ❊ بضامر يفرى الحصا اذا جأى
حتى أزوربة الخدر وقد ❊ ذادالكرى عنى الوشاة وذأى
يارب ليل قد تعاطيت به ❊ حديث أنس مثل أزهار الربا
في روضة تعانقت أغصانها ❊ اذ واصلت مابينها ريح الصبا
نادمت فيها من بنى الحسن رشا ❊ يصبوله من لم يكن قط صبا
حلو رخيم الدل في أعطافه ❊ لين وفى ألحاظه لين الظبا
أيام كان العيش غضا حسنه ❊ عذب الجنى ريان من ماء الصبا
أى زمان ومحل للصبى ❊ ماضاق مغناه بنا ولا نبا
يامربعا مابين نجد والحمى ❊ ويازمانا قد حبانى ماحبا
الله يرعاه زمانا لم يحل ❊ عن بذل ماأمله ولاابى
فأى مغنى آهل عممته ❊ لقصد حلت لنا فيه الحبا
هل ترجع الايام عيشا باللوى ❊ فراقه كان اللهيب الاربى
تالله لاأعبا بعيش قدمضى ❊ ولا زمان قد تعدى وعتا
مذعلقت كفى بالهادى الذى ❊ سادالورى طفلا وكهلا وفتى
كالبحر لايغيض يوما ورده ❊ لواردا اذا أصاف أوشتا
متصل البر لمن قد أمه ❊ لايكره العودة ممن قد أتى
ولايناجى نفسه في ضيقة ❊ أى نهار سرّ هذا ومتى
ان رسول الله مصباح هدى ❊ يهدى به من في دجى الليل متا
كف بنى الجور بعدل واضح ❊ كما تكف اليد كما من فتى
كم ذو هوى قد راضه بهديه ❊ فانقاد كالعبد اذا العبد قتا
قد خالط الحلم سجايا طبعه ❊ كمثل ماقد خالط الثوب السنا
أقسمت لازلت أوالى مدحه ❊ ماافتتن بالناس زمان ورنا
لولااشتياقى لديار كرمت ❊ لعهدها برّ لنا من قد ربى
ومدح من أرجو بامداحى له ❊ اصلاح ماقد عاث مني وعثا
لم أجعل الشعر لنفسى خلة ❊ ولم يجش فكرى به ولاغثى
فما أرى الايام تبدى منصفا ❊ ولوحكيت الدرّ من حسن الثنا
ياضيعة الالباب في دهر غدا ❊ فيه قبيت المسك يعلوه الخثى
وبلد أم ليس ترجى ضيعها ❊ مثلى بما تبديه من وضع الحشا

هل مارست الا أخا عزم اذا * ماقعد الناس عن الخطب جثا
نيل من جهد السرى أعطافه * كمثل ماسال من الدوح اللثى
له اعتصام بالرسول المجتبى * أجود من أضنى المطايا وحثا
من ليس للدنيا محل عنده * ولا يخيل المال الا بالحثا
أنا الفتى لا يطبيني طمع * فابذل الوجه لنيل يرتجى
لكن اذا اضطر زمان جائر * أملت من ليس يرد من رجا
لا أسأل النذل ولو أتى به * أملك ماحاز النهار والدجا
حسبي بنو عبد مناف بهم * يغنى من استغنى وينجو من نجا
أولئك القوم الالى من أمهم * أمن ممن لام يوما وهجا
يلقاك منهم كل وجه مشرق * كأنه البدر اذا الليل سجا
انى مذ أملتهم لم ينثنى * عن طلب المجد زمان قد شجا
ان أنا قد نكرني دهر عدا * فطالما عرفني فضل الحجا
وطوى العداة كرى وجدى ناشر * آليت لا زال لهم منى شجا
أنا الذي أعملت للمجد السرى * لا أسأم الأين ولا أشكو الوجى
كم سرت في البيداء لا يقلقني * حر الهجير لا ولا برد النضا
أرساها غر الذرى تسرى بنا * كل عويص السير صعب المنتحى
بطيء مفتوت الحصا من دونها * كأنه سهم عن القوس طما
فكم بذلت الجهد في كسب العلا * وجدت بالنفس لحاني من لحا
أرغم أعدائي بحزم نافذ * يدركهم عرك الثفال بالرحا
أذود عن عرضي وأحمى حسبي * بكرم جزل ومجد قد ضحا
أقسم بالبيت ومن طاف به * ومن غدا وجهته فيمن غدا
وكل من أعمل قد انخطا * مطيها من الخطايا ما محا
ومعشر نعوا وبحوا لهم * بزلق المروة ذكر ووحى
لازلت أزجيها لادراك العلا * حتى ترى من جهدها مثل اللحا
يا عجبا من حاسد لى قد زها * بعيشه الغض على واتحى
كأنني لم أعرف العز ولا * صاحبت دهري في سرور ورخا
وانما الدهر له تقلب * ان ارتخى شد وان شد ارتخى
ان الذي لا يتقى عن جوده * ان بخل الدهر انا وان سخا
خير الورى طرا من الله به * أذهب عنا كل غى فامتحى
شرفه الله وصلى أبده * بجوهر من كل مجد مرتجى
زينه تواضع على علا * فما ازدهى بعزة ولا انتخى
فكم هدى بهديه وكم وقى * وكم أنا دامعا وكم نفى
خاص من أمر الخطايا جاهه * فما على قلب امرئ منها طغا

سخف عنا ثقل ما نحمله * فلم نبت من ثقله نشكر الضنى
ان تحسب الرسل سماء قد بدت * فانه في أفقها نجم هدى
وان يكن كل كريم قد مضى * طلا فقد أضحى لنا غيث جدا
وان يكونوا أنجما في فلك * فانه من بينهم بدر بدا
واسطة السلك اذا ما انتظموا * ومطلأ القوم اذا الخطب عدا
كالبحر بل كالبدر جودا وسنا * فحبذا من اجتدى أو اقتدى
أحسن أخلاقا من الروض اذا * ما اختال في برد الصبا أو ارتدى
وساقط القطر عليه دمعه * فابتل برد الزهر منه واندى
تفديه نفسي من شفيع للورى * وقلت النفس له مني فدا
هو الذي أنعشنا من بعد ما * قد يبس الغصن وأذواه الصدى
وكنت في ليل الهوى ذا حيرة * فجاء بالحق واتجي وهدى
فكم كسا من ثوب نعمى قد ضفا * وكم هدى بعلمه وكم غذا
من اقتدى بغيره فانه * لم يتبع سبل الهدى ولا احتذا
هل هي الا سنة الحق التي * أرشد من لاذ بها أو احتذى
كف اللسان وانبساط الكف بالخير وطيب الذكر عرف قد شذا
أحسن ما نال الفتى من كرم * أن لا يرى من أجله من اتقذى
والصمت عما لا يفيد قوله * من كلم يهذي به فيمن هذى
لا شئ كالصمت وقار للفتى * يوما ولا أنجى له من الاذى
من عيبه يشغله عن غيره * بات سليم العرض نفاح الشذا
ومن يعب عيب ومن يحسن اذن * لان له كل عصى وخذا
ومن تكن دنياه أقصى همه * لم يرو من ندى الحجا ولا اغتذى
لا تنفق العمر سوى في حب من * هو الذي في سنن الحق جرى
يهديك من رشد ومجد واضح * روضين من علم وذكر قد سرى
أجاد هديا وأفاد نائلا * وجاد حتى عم الجود الورى
ترى بني الحاجات نحو بابه * قد أعملوا العيس بحزن في البرى
لهم الى رؤيته تشوق * تشوق السارى الى نار القرى
ذا يبتغي علما وهذا نائلا * وخائب من قصده ليس يرى
كأنهم اذا رأوا غرته * وفد حجيج عاينوا أم القرى
وجه لديه يحمد السير كذا * عند الصباح يحمد القوم السرى
هذا اذا ما أخلف الناس وفى * نائي المدى في مجده سامي الذرا
اذا اشتددت الكف في أمر به * فليس بالواني ولا الواهي العرا
انهض في يهديه الى التقى * بعد قصور العزم والباع الوزى
هو الشفيع المجتزي بجاهه * بمثل ذا الجاه حقا يجتزى

مذ زرته لم أشك من شحط النوى • اذ كان لى فيه غنى ومجتزى
وما وجدت غربة ولم يجد • مس اغتراب من الى الجود اعتزى
متصل البشر غضوب للهدى • اذا رأى من زاغ عنه أو نزا
أصبح من أيامه فى مأمن • من قد لجا يوما اليه أو روزى
تغذته كهفا فبت آمنا • جزاه رب العرش خير ما جزى
أدبنا بسنة أفلح من • نمى اليها النفس يوما أو عزا
يجزى أخا الصدق على احسانه • شكر امرئ راض الامور وجزى
لست أجازى الشر بالشر ولا • أغزو لمساوى السوء مثل ما غزا
لم ترع عين كرسول الله ذا • حزم ولا أحلم ان دهر هزا
اذا ملمات الامور اقلقت • الفيته كأنه طود رسا
بخلقه فليقتد المرء فما • أكرمها من مقتدى ومؤتسى
كن حذرا وان رأيت غمرة • فخلها فقد تجلى غمرة الاسى
لا تيأسن ان تناءى أمل • وكلما عنا زمان قد عسا
وان بدا صبح المشيب فاطرح • ما كان اذ ليل الشباب قد غسا
ولا تظن الشيب يرجى طبه • بزور صبغ أو مدام يحتسى
اذا الفتى قوس واعتد العصا • لقوسه عن وتر أعيا الاسا
فاذكر زمان الشيب فى حال الصبا • عسى يلين للتقى قلب قسا
ما أقبح اللهو على المرء اذا • ما اشتعل الرأس مشيبا واكتسى
لا تصحب الراحة راحا ترقها • للشرب منها قبس ومنتشى
اذا أداروها وقد جن الدجا • وشى بهم نورها أين وشى
قد حجبت فى دنها دهرا الى • أن برزت كأنها صبح فشا
لم يبق من جوهرها الا سنا • ينشئ أفراح الفتى اذا انتشى
كأنها والكاس قد حفت بها • متيم أصبح مضروم الحشى
يديرها مختال الحسن اذا • أقبل بدر واذا تاه رشا
يحكى القطا والظبى والغصن اذا • ما قد تثنى أو تجنى أو مشى
وانما الراحة زهد المرء فى • أعراض دنيا أورث العين غشا
والمجد ايقادك نيران القرى • يعشو لها فى الازمات من عشا
والجود أن تعطى قباء للندى • لا لافتخار أو لجاه يختشى
خاب امرؤ لم يرض الها • من اصطفى رب السماء وانتصى
أرسله الله هدى ورحمة • أوصى ووالى الخير فينا ووصى
وخلص الانفس من أسر الهوى • فى يوم هول فاز فيه من قصا
ذو رأفة نلقاه يوم العرض قد • مال بنا عن الجحيم ومصى
صلى عليك الله يا من جاهه • يوم الحساب ملجأ لمن عصى

يامن

يامن جرى من كفه الماء ومن ● حن له الجذع وسبح الحصا
بك اعتصامي يوم يدنو من دنا ● من رحمة الله ويقصى من قصا
هل غير احسانك يرجو مذنب ● طال به خوف الخطايا واتصى
يامن حما في يوم بدر بدره ● عز اليشق كل من شق العصا
أمدهم رب السماء عددا ● وانهم أدنى المريقين حصا
يامجتبى من خير قوم حسبا ● فيما أتى من زمن وما مضى
يامن تدانى قاب قوسين ومن ● قيل له سل تعط قد نلت الرضا
ومن أتى والناس من ظلمهم ● في ظلمة ليس لها من مرتضى
فكان كالصبح جلا جنح الدجى ● فأذهب الاظلام عنا وانقضى
رضيت للارسال اذ آدم بين الماء والطين فكنت المرتضى
اختارك الله رسولا هاديا ● أكرم بما اختاره وما ارتضى
يا أحلم الناس على من قد جنى ● وأعدل الخلق اذا ما قد قضى
ياصعر الانف اذا ما بادأو ● جرد في الهيجاء سيفا أو نضى
ياما ماحكم تشييد الهدى ● عزما فما ينقض ولا انتضى
ياصفيا للناس ظل رحمة ● بات العدا منها على جمر الغضى
ادفع الشر بحسنى فاذا ● به اخو صدق وان كان سطا
وانف لنفس كرهت أعمالها ● كن يريك قدرها حث الخطا
ان يدرك الهوى الفتى في بيته ● ليس كمن سعى اليه وخطا
وان خيرا من صديق سيئ ● أن يصحب الانسان في البيد القطا
ولاترم ما لا تطيق نيله ● فجهل الخيبة شر ممتطى
وبت من الدنيا مبات خائف ● فلليالي عدوات وسطا
وشأنها عنك ولا تعبأ بها ● تبوأ المكثر منها وعطا
وجنب الحرص تمت ذا عزة ● أفلح من ان شدة الحرص نطا
ولا تجد للنفس سخطا واطرح ● من امتطى المكبرة كبس ما امتطى
لاتمارين صاحبا بغير ما ● فيه فاطراء الفتى كسر المطا
لايحسن المدح سوى ان يرى ● مادحه بمدحه قد احتظى
خير عباد الله ذو العز الذى ● انطله بأوى الشريف والنظى
كم آمن ببابه وقل أن ● يلقاه لاق ما عتبا وما عطا
أصبح من حرمته في حرم ● يرفل في ظل جنان وسطا
في منزل سبحان قبه ربه ● وضيفه فيما اتقى وما خطا
ان رسول الله غيث واكف ● اذا الهب الصيف داج والتظى
اذا أعد للملمين القرى ● لم يستخر عن ضيفه ولا سخا
لما أتت جوده البازل رما ● ثم من علم وحلم وبطا

قوله من يرضى ولي

قوله ولا سد له ولا ليس المقام ... بعده وليحرر

يمينه فوق طرس ضامن • منظم الاعضاء مارم النطا
ليس يمس الارض من سرعته • كانما يخشى بها مس الظبى
يا موسع الالف بصاع شبعا • ومن مشى الدوح اليه وسعى
وأخصب المرع بأس كفه • وبادر المزن له لما ادعى
وسلم الظبي عليه كرما • وكلم الميت فقام ورقى
واستشهد الضب فجاء معلنا • بصدقه ومثبتا ما ادعى
اليك أعملت المطايا فى الفلا • تنساب ما بين أراك ولعا
مسرعا جاهك على فى فقد • اكون ممن قد أبار ورعى
أزكى صلاة وسلام أبدا • عليك ما ارتاح الظليم وارتعى
وسبح الرعد بحمد من سقى • صوب الحيا فقال للارض ابلعا
فاشتملت بالنور كل فدفد • لم يك للسارح فيه مرتعى
وباكر البيداء غيث مسبل • فاخلف النبت الهشيم وزعى
ودق سحاب تحسب البرق به • أسنة قد أشرعت يوم وغى
واخضرت الدوح ومدت قضبها • فيها حسن التمام وصغا
وساقطت لها السحاب حملها • اذ خوف الرعد تساقط الدفا
ترى خرير الماء فى قصبيه • كأنه ميت ذرد قد رغا
فضحكت الدينا لهيب سره • وفرلما أن رأى الماء طغا
غيث سبى الرمضاء عنا مثل ما • حى رسول الله بحر من بغى
ناه عن الفحشاء داع للهدى • ولم يفه بباطل ولا لغا
هذا اذا استكفيت فى أمر به • ابدالنعيما تنعمه وكفى
تهفو به ريح العلا الى الندى • كأنه ناعم غصن قد هفا
محيى الهدى والعدل فى زمانه • من بعد ما الفاهما على شفا
اخذ الهدى قوم فانصى وهو قد • أظهره بعد له فما انتفى
ان يقض يعدل أو متى يسأل يهب • وان يقل يصدق وان يعد وفى
وان يجد يجزل وان جاد بعده • وان تسئ يحسن وان تجن عفا
بحر طما بدر سما عضب حمى • روض نما طب اقاد وشفا
لمجتد أو مقتد أو معتد • أو مجدب أو مشتك خطبا جفا
مالى لا أضنى له المدح وقد • أضحى به الحق علينا قد ضفا
أسس خالق الجود فينا فاغتدى • به لنا برد المعالى قد صفا
الجود يعلى المرء والبخل لقد • يحط عن رتبته من ارتقى
والعز ما أحسنه لكنه • ان كان هذا مع علم وتقى
والجهل للانسان عيب فادح • ولو حوى مالا كثيبان نقا
والعلم فى حال الغنى والفقر لا • يزال يرقى بك كل مرتقى

ولا ألوم المال فالمال حمى ● من جاهل بالقائه شر ملتقى
قد جبل الناس على حب الغنى ● فربه فيهم مهاب متقى
وما الذى الفقر لديهم رتبة ● ولو أفاد وأجاد وانتقى
ان الغنى طب لعلات الفتى ● والفقر داء لا تداوى به الرقى
والحزم احرى ما به المرء اقتدى ● فى أمره وما به النفس وقى
من لم يبت مع الليالى حازما ● لغدرها غادرنه فى مهالق
أمضيت طرفى كى يرى طرقا ما ● أخبرته من طيب مجد قد زكا
فصدق الحاكى ما أبصرته ● ووفاق ما عاينته ما قد حكى
فسهلت رؤيته جهد السرى ● وأسكت الانام من كان شكى
عجبت للايام من عزبها ● ذل ومن يقصد الها يوما بكى
فكم لها من كرة على فتى ● جلد اذا ما لهب الحرب ذكا
تجتنب الاسد سطاه فى الوغى ● فذل حتى صار قصوا وبكى
وكم صريع غادرت ليس له ● من ملجأ يوما ولا من مشتكى
عدت على نفس عدى وسقت ● منها ابن حجر كاس سم كالذكا
واستلبت ملك بنى ساسان لم ● تترك له على الليالى مرتكا
لم يأمن المأمون من صولاتها ● ولا ابن هند من عوادها خلا
وأتبعت جعفرا الفضل وكم ● بات الطلا يسقيهما صرف الطلا
وغالت الزباء فى منعتها ● فأظفرت عمرا بها فما ألا
وأنفذت فى آل بكر حكمها ● وجرعت مهلهلا كاس البلى
وكم سبت من سبا من نعمة ● فمزقوا فى كل قفر وفلا
وأهلكت عادا وأفنت جرهما ● وزودت منها تميما بالصلى
فرعون موسى أولجت فى لجة ● فمات قهرا بعد عز وعلا
وأظفرت بابن زياد مثل ما ● أفنت يزيد حسرة لما اعتلى
وسيف استلته من غمدانه ● من بعد ما قد خضعت له الطلى
ثم اعادته بحز الجيش عن ● حوزته حز النبات المختلى
هى الليالى ليس يرعى صرفها ● لاخاملا فيها ولا من قدما
ولا رسول الله فينا لم يزل ● كهفا حمى فهو لنا نعم الحمى
لله ما أكرمه من سيد ● ينمى من المجد لاعلى منتمى
سليم صدر ذو وفاء لم يجش ● فى صدره غش امرئ ولا عمى
أوسعنا فضلا فما خاب امرؤ ● أوى الى ذاك الجناب وانتمى
يا من غدا للخلق كهفا وحمى ● فأكرم المثوى وآوى وحمى
انا أتينا من ديار دونها ● موحشة بيداء أو بحر طما
وانى من قبح ما اسلفته ● ذو كبد رضت ودمع قد همى

فلا تخيبنى عالك من • شفاعة ترجى وفضل قد نما
انك من قوم بهم يشفى العنا • ويدرك الثأر البعيد المرتقى
أعرض عن الجاهل مهما قد أسا • وحسبه من جهله ما قد حوى
ولا تلم ذا سفه فانه • ان لمته لم ينتهِ ولا ارعوى
وان رأيت من كريم عثرة • فقل لعا ولا تعب عما احتوى
وان ترعك من زمان فرقة • فاصبر لها فالصبر أشفى للجوى
لم أشكر البعد على خير سوى • قد صدّنى عن انه شحط النوى
يا منزلا ما بين نجد والحمى • ويا ديارا بين كثبان اللوى
هل لى الى تلك المعالى عودة • أو جرعة من ذلك الماء الروى
لا تعجبوا من لعب الدهر بنا • فأىّ انسان على حال سوى
ان عشت لاقيتهم وان أمت • فانما الدنيا فناء ونوى
ان رسول الله مذ أملته • فالدهر قد أضمر نصحى ونوى
اى والذى مازال يسرى جاهدا • حتى أتى ميقاته وما ونى
فقدم الغسل وصلى ونوى • أثوابه مستغفرا مما جنى
ثم نوى ملبيا ثم مضى • حتى رأى ذات السناء والسنا
ثم أتى باب بنى شيبة قد • أبصر ما أمّل قدما مذ دنا
فقبل الركن وطاف وسعى • ثم مضى مرتحلا لغومنى
ثم أتى الموقف يدعو راغبا • حتى اذا ما نفر القوم انثنى
ثم رمى ثم أفاض وانبرى • معتمرا قد نال غايات المنى
ثم مضى مرتحلا فيمن مضى • ميمما طيبة لا يشكو العنا
يبغى التى شرفها الله بمن • شاد به الدين القويم وابتنى
فلم يكن عن ادلاج جفا • بل عم القبر وزار واعتنى
خاتم علا لم يحوها الا امرؤ • نماه عن تبذل العلا رعى النهى
فان يقل من حازها قل الذى • له تسامى كل مجد واتهى
معتصم الراجين ان خطب دنا • وكهفهم ان راع أمر ودهى
المرشد الناصح لله فما • قصر فى نصر الهدى ولا لها
من جد فى ادراك ما رام بجد • ولم يصب من قد توانى وسها
فلا يقصر بك خوف خيبة • من خيل الخيبة فى البدء وهى
واكتسب الحمد بما تبدبه من • فتح اللها بعد ندامات اللها
واحرص على الجد ودنيا اطرح • فأمرها أمر زهيد المشتهى
والمرء من ان فاته لم يكتئب • وان ينل لم يفتخر ولا ازدهى
من لازم الكبر على الناس اعتدى • متضع القدر ولو نال السها
انى تخيب اليوم آمالى ولى • من كفه أكرم من صوب الحيا

يدنى الفتى الى مدى آماله * ولو غدا من دونها الارض العليا
ان أعوز القوم زمان معوز * أنعشهم حتى يرى لهم حيا
وان أمات الجدب كل مخصب * بدا لنيران القرى منه حيا
أرسل صوب هديه جارية * بالحق حتى حيي الدرس حيا
أودع في الانفس من ماء ندى * ظام اذا ما اشتد بالشمس الحيا
لم تبق من فعل بجميل كفه * ولا له في المكرمات معتبا
مالى لا أبلغ أقصى غاية * فى مدح من بالغ جودا واغتبا
لكل شخص غاية يبلغها * وماله في المعلوات مغتبا
تعايد السائل من معروفه * ولم يقصر كرما ولا اعتبا
والآن قد أكملتها فى مدحه * مقصورة تقصر عنها من خلا
ضمنتها من كل فن دررا * نظما فاضحت من نفيسات الحلى
حليتها جيد معاليه وما * أملح حلى الحمد فى جيد العلا
جعلتها منى وداعا فاعجب * لنظمها الحلو الجنى كيف حلا
من قارب الرحلة عن ذا الحمى * كيف أجاد النظم يوما أودرى
أرسلتها من خاطر خامره * وجد جلا عن مقلتى طيب الكرى
وكيف لا آسى على بعدى عن * قوم جرى من جودهم ما قد جرى
أنصار دين الله والهادى الذى * لولا وضوح هديه ضل الورى
فالقلب بين مشرق ومغرب * مقسم اللوعة مجذوب العرا
اذا ذكرت الغرب حنت مهجتى * وبل دمعى من جوى الشوق الثرى
وان ذكرت حب من فى مشرق * أبدا أبى جسمى عن السرى
ان يصف من وجه لشخص مورد * كدر من أخرى فلا صفو يرى
فان رحلت فقلبى عندكم * لم يرتحل عن بابكم ولا سرى
ولا تزال رسل شوقى أبدا * تترى على مجدكم الجزل الندى
ولن تمر ساعة الا اقتضى * بذكركم مفصح نظمى وشدا
فليس عندى للنجاة مخلص * ان لم يكن منكم نوال وجدا
بكم ملاذى وبما كم ملجئى * ليس سوى ذا السماح المجتدى
وما ذخرنا عدة سواكم * مثلكم من يرتجى ويجتدى
لا أوحش الله ديارا أنتم * فيها ولا أزرى بمرعاها الصدى
ولا نأت داركم ولا خلا * ربعكم ما راح يوم واغتدى

(ومن محاسنه أيضا البديعية المشهورة وهى المعروفة ببديعية العميان) ولو لم يكن من محاسنه الا قصيدته التى فى التورية بسور القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم لكفى وهى من غرر القصائد وكثير من الناس ينسبها للقاضى الشهير عالم المغرب أبى الفضل عياض وكنت أنا فى أول الاشتغال ممن يعتقد صحة تلك النسبة حتى وقفت على شرح

البديعية المعروفة لرفيقه أبي جعفر واذا هي منسوبة للناظم ابن جابر وهي

في كل فاتحة للقول معتبره * حق الثناء على المبعوث بالبقره
في آل عمران قدما شاع مبعثه * رجالهم والنساء استوضحوا خبره
من مد للناس من نعماه مائدة * عمت فليست على الانعام مقتصره
أعراف نعماه ما حل الرجاء بها * الا وأنفال ذاك الجود مبتدره
به توسل اذ نادى بتوبته * في البحر يونس والظلماء معتكره
هود ويوسف كم خوف به أمنا * ولن يروع صوت الرعد من ذكره
مضمون دعوة ابراهيم كان وفي * بيت الاله وفي الحجر التمس أثره
ذو أمة كدوي النحل ذكرهم * في كل قطر فسبحان الذي فطره
بكهف رحماه قد لاذ الورى وبه * بشرى ابن مريم في الانجيل مشتهره
سماه طه وحض الانبياء على * حج المكان الذي من أجله عمره
قد أفلح الناس بالنور الذي غمروا * من نور فرقانه لما جلا غرره
أكابر الشعراء اللسن قد عجزوا * كالنمل اذ سمعت آذانهم سوره
وحسبه قصص للعنكبوت أتى * اذ حاك نسجا بباب الغار قد ستره
في الروم قد شاع قدما أمره وبه * لقمان وفق للدر الذي نثره
كم سجدة في طلى الاحزاب قد سجدت * سيوفه فأراهم ربه عبره
سباهم فاطر السبع العلا كرما * لمن بياسين بين الرسل قد شهره
في الحرب قد صفت الاملاك تنصره * فصاد جمع الاعادي هازما زمره
لغافر الذنب في تفصيله سور * قد فصلت لمعان غير منحصره
شوراه أن تهجر الدنيا فزخرفها * مثل الدخان فيعشي عين من نظره
عزت شريعته البيضاء حين أتى * أحقاف بدر وجند الله قد حضره
فجاء بعد القتال الفتح متصلا * وأصبحت حجرات الدين منتصره
بقاف والذاريات الله أقسم في * أن الذي قاله حقا كما ذكره
في الطور أبصر موسى نجم سودده * والافق قد شق اجلالا له قمره
أسرى فنال من الرحمن واقعة * في القرب ثبت فيه ربه بصره
أراه أشياء لا يقوى الحديد لها * وفي مجادلة الكفار قد أزره
في الحشر يوم امتحان الخلق يقبل في * صف من الرسل كل تابع أثره
كف يسبح لله الحصاة بها * فاقبل اذا جاءك الحق الذي قدره
قد أبصرت عنده الدنيا تغابنها * نالت طلاقا ولم يصرف لها نظره
تحريمه الحب للدنيا ورغبته * عن زهرة الملك حقا عندما نظره
في نون قد حقت الامداح فيه بما * أثنى به الله اذ أبدى لنا سيره
بجاهه سال نوح في سفينته * سفن النجاة وموج البحر قد غمره
وقالت الجن جاء الحق فاتبعوا * مزملا تابعا للحق لن يذره

مدثرا شافعا يوم القيامة هل * أتى نبي له هذا العلا ذخره
في المرسلات من الكتب انجلى نبأ * عن بعثه سائر الاخبار قد سطره
ألطافه النازعات الضيم في زمن * يوم به عبس العاصي لما ذعره
اذ كورت شمس ذاك اليوم وانفطرت * سماؤه ودعت ويل به الفجره
وللسماء انشقاق والبروج خلت * من طارق الشهب والافلاك منتثره
فسبح اسم الذي في الخلق شفعه * وهل أتاك حديث الحوض اذ نهره
كالفجر في البلد المحروس غرته * والشمس من نوره الوضاح مستتره
والليل مثل الضحى اذ لاح فيه ألم * نشرح لك القول في أخباره العطره
ولو دعا التين والزيتون لابتدرا * اليه في الخير واقرأ تستبن خبره
في ليلة القدر كم قد حاز من شرف * في الفجر لم يكن الانسان قد قدره
كم زلزلت بالجياد العاديات له * أرض بقارعة التخويف منتشره
له تكاثر آيات قد اشتهرت * في كل عصر فويل للذي كفره
ألم تر الشمس تصديقا له حبست * على قريش وجاء الروح اذ أمره
أرأيت أن اله العرش كرمه * بكوثر مرسل في حوضه نهره
والكافرون اذا جاء الورى طردوا * عن حوضه فلقد تبت يد الكفره
اخلاص أمداحه شغلي فكم فلق * للصبح أسمعت فيه الناس مفتخره
أزكى صلاتي على الهادي وعترته * وصحبه وخصوصا منهم عشره
صديقهم عمر الفاروق أحزمهم * عثمان ثم علي مهلك الكفره
سعد سعيد عبيد طلحة وأبو * عبيدة وابن عوف عاشر العشره
وحمزة ثم عباس وآلهما * وجعفر وعقيل سادة خيره
أولئك الناس آل المصطفى وكفى * وصحبه المقتدون السادة البرره
وفي خديجة والزهرا وما ولدت * أزكى مديحي سأهدي دائما درره
من كل أزواجه أرضى وأوثر من * أضحت براءتها في الذكر منتشره
أقسمت لازلت أهديهم شذا مدحي * كالروض ينشر من أكمامه زهره

انتهت القصيدة * وقد عارض منحاها جماعة فاشقوا لها غبارا ومن معارضاتها قول بعضهم

بسم الاله افتتاح الحمد والبقره * مصليا بصلاة لم تزل عطره
على نبي له الرحمن ممتدح * في آل عمران أيضا والنسا ذكره
كذا بمائدة الانعام فضله * ووصفه التم في الاعراف قد نشره
أنفاله نزلت أيضا براءة من * يجبه وهو مشغول بما أمره
به نجا يونس من حوته ونجا * هود ويوسف من جب به عبره
أقسم برعد بابراهيم انه له * في حجر نحل ترى الآيات مشتهره
سبحان جاءه كهف الامتنه * ومريم زوجة في جنة نضره

طه به الانبيا للحج قد وفدوا * والمؤمنون على النورا اقتدوا أثره
آيات فرقانه ذلت لها الشعرا * وسورة النمل قد قصت لما سيره
والعنكبوت على غاره نسجت * والروم ولت برعب منه منكسره
لقمان حكمته من بعض حكمته * فاسجد لرب على الاحزاب قد نصره
كم في سبا عبرة للقلب قد فطرت * فلذ بياسين تحظ بالأسا البرره
قد صفت الانبيا والرسل قاطبة * خلف النبي بأمر الله موقره
ان صادقين الهوى تعريل منتقذ * وغافر الذنب كم ذنب له غفره
كم خلعة فصلت للطائعين له * وأمرهم بينهم شورى بلا نكره
لا تلههم زينة الدنيا وزخرفها * كانوا يروها كدخان له نتره
اذا جثنا اللماء والاحقاف قد شرفت * غدا ليوم على الكفار قد نصره
محمد شمر بالفتح المبين وقد * اتاه في الحجرات الوحي بالخبره
قاف الوفاق ودر الطور نجم هدى * وشق رب السما للمصطفى قمره
رحمن واقعة كل الحديد بها * كم من مجادلة في الحشر محتذره
من يمتحن صفنا في يوم جمعتنا * فليس يلقى به غش ولا كدره
مطهر من نفاق ليس بينهم * تغابن طلقوا دنياهم القذره
وحرموها وفي ملك لها زهدوا * كم قد صاحب نون مقس خبره
ان تسألوني عن نوح نبي هدى * والمصطفى سامع الجن الذي جهره
مزمل اسمه مدثر وله * يوم القيامة للانسان ماضره
للمرسلات نبا في يوم نازعة * عبوس تكوير شمس فيه منفطره
مطفف الكيل قد بانت خسارته * يوم انشق السما اراجها الشره
كم طارق سبح الاعلى بغاشية * والفجر بلدته بالشمس مستتره
والليل فيه ولاترك الصلاة ضحى * يشرح لك الصدر والخيرات مدخره
بسورة التين اقرأ انها نزلت * في ليلة القدر والانوار منتشره
ولم يكن مثل خير الرسل أحمدنا * منه تزلزلت الكفار والفجره
بعاديات لها قارع بها امته * أعمى التكاثر من قلب له بصره
من كان في عصره همازة لزا * يلقاه قبل قريش قاهر قهره
ويل لمانع ماعون ترى غده * مباعدا كوثر الهادي الذي أثره
الكافرون اذا جا نصر خالقنا * تبا لهم لعنواهم أمة كفره
أخلص لرب فلق والناس تنج اذا * يوم المعاد غدا من شرة عسره
وصل رب على الهادي وعترته * وآله وعلى أصحابه العشره

وعن سلك هذا المنهج الشيخ القلقشندي اذ قال:

عوذت حبي برب الناس والفلق * المصطفى المجتبى الممدوح بالخلق
اخلاص وجدي له والعذر يقلقني * تبت يدا عاذل قد جاء بالملق

يهدى لامته والنصر يعضده * والكافرون وعذالى على نسق
هذا له كوثر والدين شرعته * والمصطفى من قريش دين وثق
ألم ترالماء قد سحت أصابعه * وبل لكل جهول بالنبى وثق
فى كل عصر ترى آياته كثرت * أضحى تكاثرها فى سائر الافق
وعند قارعة فهو الشفيع لنا * والعاديات من الاجدان فى طلق
وزلزلت من غرامى كل جارحة * وكل بينة تحكى لكم علقى
ياعالى القدر رفقا مسنى ضرر * فالله قد خلق الانسان من علق
ولو دعا التين والزيتون جاء له * والشرح عنه طويل غير مختلق
يبدو كشمس الضحى والليل طرته * كالشمس فى بلد والفجر فى أفق
أنى بغاشية لولاك يا أملى * أنت الشفيع الى الاعلى وخير تقى
كم طارق منك بالاحسان يطرقنى * مثل البروج أتى فى أحسن الطرق
وفى انشقاق فؤادى عبرة وبه * وبل من الصدر والاجفان فى أرق
والانفطار به مما يكابده * والشمس قد كورت فى القلب ذى الحرق
والصب فى عبس والنازعات به * وقد أتى نبأ من دمعه الغدق
ومرسلات دم الانسان جارية * الى القيامة من دمعى ومن حرق
وبالمدثر انى ماسك أبدا * وبالمزمل ان أبحث بالعرق
فالجن والانس فى خير ببعثته * هذا ونوح به أنجى من الغرق
وفى المعارج معراج الرسول علا * حقا وفى حاقة كنز لمخترق
والله مرسله فى نون بشره * والملك خيره حتى رأى وانتقى
وجاء بالحل والتحريم أمته * وبالطلاق من الدنيا لمنطلق
وفى التغابن تجار به ربحوا * اذ المنافق فى خسر وفى نفق
ياصاحب الجمعة الغراء يا أملى * فى الصف عند امتحانى أنج من زلق
وأنت فى الحشر عونى فى مجادلتى * عسى تزيل حديد النار من عنق
وعند واقعة ان كان لى رمق * فاشفع الى ربك الرحمن فى رمقى
لم أرع بالقمر للنجم فى سهر * الا علك من نار الجحيم تقى
قلبى الكليم غدا للطور مرتقبا * ودر دمعى غدا بالذاريات سقى
وقاف يعجز عن حمل الغرام بكم * وليس فى حجرات الدمع من رمق
انا لحنا قتالا للعذول فنى * أحقاف جاثية فى الغيظ والحنق
دخان زخرف ما العذال فيه هبا * شورى تركته فى أنف مخترق
وعزمن فصلت فى مدحه سور * نبينا المصطفى الهادى الى الطرق
فغافر الذنب كم أهدى به زمرا * وكم سقى كفه صادعند دفق
وليس غيرك فى الصافات أقصده * وأنت ياسين لى من سائر الفرق
يافاطر اقدسبا الاحزاب طلعته * كم سجدة لك فى الاسحار والغسق

لقمان يشهد أن الروم تعرفه * والعنكبوت به قد سدت عن الفلق
هذا ولي قصص بالنمل قد كتبت * هامت بها الشعرا في خندق البلق
تبارك الله من بالنور جمله * قد أفلح الحج لما زاره فسبق
يا أيها الانبيا طه ختامكم * ويا ابن مريم خذ من مكة العتق
لاذوا بكهف لهم سبحان خالقه * حتى أتى الامر بعد الخوف والفرق
فاركن والحجر حقا قد أضاء له * وذاك دعوة ابراهيم ذي الخلق
والله ربي برب الرعد ينصره * مسير شهر بلا سيف ولا درق
فيوسف مع هود والخليل اذا * ويونس شربوا من كاسه الدهق
لتوبتي أرتجي الانفال منه غدا * فانني رجل أصبحت في قلق
أعراف أنعام انعام له اشتهرت * وكم لمائدة أسدى لمرتزق
بكل النسا لم تلد مثل الرسول اذا * فيما في آل عمران ولم تطق
أعطيت فاتحة من سورة البقره * لم يعطها أحد فيما مضى وبقى
فأنت فاتحة الانبيا وخاتمهم * وكلهم قد أتوا بالود والملق
والقلقشندي محب قال سيرته * في مدح خير الورى الممدوح بالخلق
فاقبل هدية عبد أنت مالكه * وانظر اليه فان العبد في قلق
صلى عليك اله العرش ما طلعت * ورقا على فنن والورق في الورق

وهذه القصيدة وان لم تلحق بلاغة قصيدة ابن جابر فهي على تيسر له والاعمال بالنيات ووقفت على أخرى من هذا النمط هي بالنسبة الى هذه كنسبة هذه الى قصيدة ابن جابر وهي

بحمد اله العرش استفتح القولا * وفي آية الكرسي أستمنح الطولا
وفي آل عمران بدا ذكر أحمد * نساؤهم بالعقد قد أعملوا القولا
بأعراف رحماه بأنفال جوده * شرفنا وفضلنا وتبنا الى المولى
له يونس نادى وهود ويوسف * وذاكره في الرعد لا يسمع الهولا
ودعوة ابراهيم كان محمد * وفي الحجر خير الخلق قد فضل الرسلا
له أمة كالنحل قد صح فضلهم * فسبحان من أسرى بأحمد نا ليلا
على فضله والناس في كهف نيله * ومريم في الاخرى يكون لها جعلا
وطه له فضل على الخلق كلهم * ولكن جميع الانبياء علا فضلا
ولولاه ما حج المقام وكعبة * فأفلح من قد طاف فيها ومن صلى
ومن نوره الوهاج كل منور * وفرقانه قد أخمد الكفر والبطلا
ترى الشعرا كالنمل حول محمد * اذا قصص في العنكبوت لهم تتلى
علا دينا روما ولقمان عالم * بأن السيوف أسجدت كل من ضلا
والاحزاب بسبيهم حكمة فاطر * ويا سين قد صفت له الملأ الاعلى
وصاد جميع الكافرين بزمره * له غافر في الحرب قد فصلت فصلا
وشوراه في الدنيا لها كل زلفة * وقد زخرف الكفار في دينهم جهلا

لقد رأوا الدخان حول بيوتهم * بجانبة الاحقاف قد قتلوا قتلا
محمدنا لم يخلق الله مثله * وفي الحجرات فضله أبدا تلى
وقد أنزل الجبار قافا بذكره * كما تذر الكفار ويح بها تبلى
بطور وسما والنجم ماضوء أحمد * كما قر بل نور خير الورى أجلى
به الله رحمن وفي وقعة جرى * حديد به الكفار بجدالهم جدلا
وقد سمع الغفار دعوة أحمد * بحشر وامتحان بامتحان به تبلى
صففنا بجمع للاعادى فهم * منافق ان الكفر في دولة سفلى
برى غبنه في الحير منهم مطلق * ولكن من يحرم نعيما فقد ضلا
لاحمد ملك لا يوازيه سيد * ونون لقد قلنا مقالا به استعلا
بحق لقد سالت أباطح مكة * بفضل الذى قد كان نوح به استعلى
صحيح بأن الجن جاءت لاحمد * ومزمل كان الغمام له ظلا
لمدثر فضل القيامة واضح * أتاه وجمع المرسلات أتت سبلا
وعم بجيدواه فلا من منازع * فجئت تراه لا عبوسا ولا بخلا
لقد كورت شمس بها انفطر السما * لويل أتى الكفار وانشق واستولى
ولكن بروج الحق تزهو بأحمد * وفي طارق الاولاد فضله الاعلى
وغاشية كالفجر حلت ببلدة * بها حرم أمن كشمس جلت ليلا
وفاق الضحى حقا جبين محمد * كما انشراح الصدر قد خصه المولى
فأقسم بالتين الذى عم نفعه * وبالقلم الاعلى لقدر له أعلى
ألم يكن الكفار قد ضل سعيهم * وقد زلزلوا بالعاديات كما يتلى
وقارعة جاءت وألهاهم الهوى * ووالعصر ان الويل يقربهم نزلا
ألم تر أن الله فضل أحمدا * لامن قريش حينما ملكوا السبلا
أريت بأن الكوثر العذب خصه * به وجميع الكفران يردوا أصلا
لقد نصر الرحمن ربي محمدا * فأردى أبالهب ولم يكتسب نيلا
فيا أحمدا انى بفضلك عائذ * اذا غسق الديجور ناديت يامولى

ولم أقف على غير هذه الابيات من هذه القصيدة وقد سقط منها كما رأيت سورة الناس فقلت مكملا على غطه

ويامالكا للناس انى لائذ * بعفوك فاغفر عمد عبدك والجهلا
ويارب عاملنا بما أنت أهله * من الجود والرحمى وان لم نكن أهلا
وصل على مسك الختام محمد * أتم صلاة تملأ الحزن والسهلا

وتذكرت بهذا الموضع خطبة القاضى أبى الفضل عياض التى ضمنها سور القرآن على المهيع الماضى آنفا (وهى) الحمد لله الذى افتتح بالحمد كلامه * وبين في سورة البقرة أحكامه * ومد في آل عمران والنساء مائدة الانعام ليتم انعامه * وجعل في الاعراف أنفال توبة يونس والر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامه * وسبح

الرعد بحمده وجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم ليؤمن أهل الحجر أنه اذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ الا اليه ولا يطاولون قلامه وجعل في حروف كهيعص سرا مكنونا تقدم بسببه طه صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء ليظهر اجلاله واعظامه وأوضح الامر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغار العظمة وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم وأيقنوا أنه كلام الحي القيوم نزل به الروح الامين على زين من وافى القيامه وأوضح لقمان الحكمة بالامر بالسجود لرب الاحزاب فسبا فاطر السموات أهل الطاغوت وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامه وأمد يا سين صلى الله عليه وسلم بتأييد الصافات فصاد الزمر يوم بدر وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم في القليب مكدوس ومكبوب حين نالت بهم النعامه وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدريين رضي الله عنهم ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامه ذلك بان أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام الاحقاف لقتال أعداء محمد صلى الله عليه وسلم يمينه وشماله وخلفه وأمامه فأعطوا الفتح وبوّؤا حجرات الجنان وحين تلوا قاف والقرآن المجيد وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فنافروا الساآمه ذلك بأنهم امنهم الرحمن اذا وقعت الواقعة واعترف بالضعف لهم الحديد وهزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لاول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين حين نافروا السلامة (أحمده) حمد من امتحنته صفوف الجوع في يوم التغابن فطلق المحرمات حين اعتبر الملك وعامه وقد صح صريف القلم وكتبه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامه وأتى بمرسلات البا فنزع العبوس من تحت كور العمامه وطهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسبيح الملك الاعلى وغشيته الشهامه ذو رب الفجر والبلد والشمس والليل والضحى لقد انشرحت صدور المتقين حين تلوا سورة التين وعلق الايمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه بين ولم يكونوا منفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه اذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفؤا نور القارعة ولم يلههم التكاثر حتى تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أرأيتهم كيف جعلوا على رؤسهم من الكوثر عمامه فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن لهب الطامه وبسورة الاخلاص فازوا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامه (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة تنال بها منازل الكرامه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت في الايك حمامه انتهت ● وعن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني وفي نفسي من نسبته اليه شئ لان نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة والله تعالى أعلم ● وكنت رأيت بتلمسان المحروسة بخط عمي ومفيدي ولي الله تعالى العارف المعروف بشيخ الشيوخ الامام المفتي الخطيب سيدي سعيد

ابن

ابن أحمد المقرى صب الله عليه سجال الرضوان خطبة من هذا النمط نصها (الحمد لله الذى افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ليصطفى من آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا ومد مائدة انعامه ورزقه ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل ليونس فى بطن الحوت سبيلا ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من جبه وسجنه وسبح الرعد بحمده ويمنه واتخذ الله ابراهيم خليلا الذى جعل فى حجر الحجر من النحل شرابا تنوع باختلاف ألوانه وأوحى اليه بخفى لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه وأرسل روحه الى مريم فتمثل لها تمثيلا وفضل طه على جميع الانبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا الى الاسلام قد أفلح المؤمنون اذ جعل نور الفرقان دليلا وصدق محمدا صلى الله عليه وسلم الذى عجزت الشعراء فى صدق نعته وشهدت النمل بصدق بعثه وبين قصص الانبياء فى مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه فى الغار سترا مسدولا وملئت قلوب الروم رعبا من هيبته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للايمان بدعوته وهزم الاحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا فلقيه فاطر السموات والارض بياسين كما نفذ حكمه فى الصافات وبين صاد صدقه باظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين اذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الاسلام ونفى دخان الشرك وخرت المشركون جاثية كما أنذر أهل الاحقاف فلا يهتدون سبيلا وأذل الذين كفروا بشدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحجرات الحريز وبقاف القدرة قتل الخراصون تقتيلا كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادى السرور وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قوته وكثرة المجادلة فى أمته الى أن أعد فى الحشر بأحسن مقيلا امتحنه فى صف الانبياء وصلى بهم اماما وفى تلك الجمعة ملئت قلوب المنافقين من التغابن حسرا وارغاما فطلق وحرم تبارك الذى أعطاه الملك وعلم القلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الايمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأتت اليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الانسان اذا أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب وما تقول من نازعات المشركين اذا عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيلا فويل للمطففين اذا انشقت السماء بالغمام وطويت ذات البروج وطرق طارق الصور بالنفخ للقيام وعز اسم ربك الاعلى لغاشية الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم اذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا باقرأ اسم ربك الذى خلق هذا النعيم الاكبر لاهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم وتسوقهم كالعاديات الى سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عصر العقاب الاليم

وحشر الهمزة وأصحاب الفيل الى النار فلا يطاون قتيلا وقالت قريش ما أمنتم من هول المنذر أرأيت الذي يكذب بالدين كيف طرد من الكوثر وسيق الكافرون الى النار وجاء نصر الله والفتح فتبت يدا أبي لهب اذ لا يجد الى سورة الاخلاص سبيلا فنعوذ برب الفلق من شر ما خلق ونعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق ونتوب اليه ونتوكل عليه وكفى بالله وكيلا انتهت * ومن انشاء الفقيه الجليل الشريف الكامل أبي الجد عبد المنعم ابن الشيخ الفقيه العدل أبي جعفر أحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبسلفه الطاهر * ومن نظم ابن جابر المذكور قوله

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وفي هذا المعنى يقول شمس الدين الدمشقي

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر بأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

والاشرف المذكور هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحي الالفي رحمهم الله تعالى (وقال) الرحالة ابن بطوطة في رحلته عند ذكر سلطان ماردين ابن الملك الصالح ابن الملك المنصور ما نصه وله المكارم الشهيرة وليس بأرض الشام والعراق ومصر أكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل عطاياهم جريا على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي الهواري الكفيف مادحا فأعطاه عشرين ألف درهم انتهى * ومن شعر ابن جابر رحمه الله تعالى

وفي الخيام ومن لي بالخيام رشا * لا أحسب البدر في حسن يقاومه
مثل الغزالة ان تاهت وان طلعت * فكيف يصرف عنه الصب لائمه

وقوله رحمه الله تعالى

في القلب من حبكم بدر أقام به * فالطرف يبصر نورا حين يبصره
تشابه العقد حسنا فوق لبته * والثغر لما اذا ما لاح جوهره

وقوله

ردف أقام لنا بما انقى الهوى * واذا أتت لتقوم قال لها اقعدي
أبصرتها ما بين ذا وبين ذا * فوقعت منها في المقيم المقعد

وقوله

سامح بالوصل على بخله * وقال لي أنت بوصلي حقيق
فقلت ما رأيك في نزهة * ما بين كاسات وروض أنيق
فقال يغني خدي والمي * هذا هو الروض وهذا الرحيق
فبت من دمعي ومن خده * ما بين نعمان وبين العقيق
واذ تدللت على حسه * قال أما تخشى أما تستفيق

قدى وخدى شفهما يافتى * هــذا هو الربع وهذا شقيق

وقوله

وقفت للــوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب

مسحت بالبنان دمعى وــلو * سكب دمعى على أصابع زينب

(رجع) الى أولاد لسان الدين رحمه الله تعالى ومن قصيدة موشحة لابن زمرك يخاطب بها شيخه ومخدومه الوزير لسان الدين بن الخطيب قبل أن يظلم الجو بينه وبينه جوابا عن رسالة خاطب بها لسان الدين بن الخطيب أولاده صدرتها لم يحضرنى ذلك الآن قوله

مالى بحمل الهوى يدان * من بعد ما أعوز التدانى

أصبحت أشكو من زمان * ما بت منه على أمان

ما بال عينيك تسجمان * والدمع يرفض كالجمان

ناداك والالف عنك وان * والبعد من بعده كوانى

ياشقة النفس من هوان * بلجج فى أبحر الهوان

لم يدمه عن هــواك ثان * يابغية القلب قد كفانى

(وقال) بعض الحفاظ فى ترجمة أبى الحسن على بن لسان الدين بعد أن ذكر روايته عن أبيه وابن الجياب وابن مرزوق انه أخذ عن جماعة غيرهم كالشريف القاضى الفقيه أبى عـلى الحسن بن يوسف بن يحيى بن أحمد الحسنى السبتى نزيل تلمسان والفقيه الامام العلامة قاضى الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبى عبد الله محمد المقرى التلمسانى القرشى والشريف العالم أبى القاسم محمد ابن الفقيه العالم المعلم لكتاب الله تعالى احمد بن محمد بن احمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن على بن موسى بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن الحسن ابن ادريس بن الحسن بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وليس ادريس المذكور هنا ملك المغرب وجد الادارسة (قال) وروى أيضا عن القاضى ابن شبرين الاشبيلى ثم السبتى نزيل غرناطة والقاضى أبى البركات البلفيقى والكاتب صاحب القلم الاعلى أبى جعفر بن صفوان القيسى المالكى وابن خاتمة والفقيه الحاج أبى القاسم محمد ابن الفقيه الصالح العالم أبى عمرو يحيى ابن الفقيه الصالح أبى القاسم محمد الغسانى البرجى نزيل فاس وغيرهم ممن يطول تعدادهم من الائمة الاعلام نجوم الاسلام اهـ (وقد وقفت) للكفعمى رحمه الله تعالى فى شرح بديعيته على خطبة وقصيدة من هذا النمط قال رحمه الله تعالى مانصه ولنختم الخاتمة بخطبة وجيزه فى فنها عزيزه وجعلناها فى مدح سيد البريه وورينا بها فى السور القرآنيــه فكن لسورها قاريا ولعارجها راقيا وعل وانهل من شرابها السكرى وفكه نفسك بتسجيعها العبقرى (وهى هذه) الحمد لله الذى شرف النبى العربى بالسبع المثانى وخواتيم البقرة من بين الانام وفضل آل عمران على الرجال والنساء بما وهب لهم من مائدة الانعام ومنحهم بأعراف الانفال وكتب لهم براءة من الآثام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الذى نجى يونس وهودا ويوسف من قومهم بوعد الانتقام وغذى ابراهيم فى الحجر بلعاب النحل ذات

الاسراء مصافى كهف مريم عليها السلام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الانبياء وحج المؤمنين ونور فرقان الملك العلام فالشعراء والنمل بصلة تحبر ولقصص العنكبوت الروم تذكر ولقمان فى سجدته يشكر والاحزاب كبادى سبا تقهر وفاطر يس اضافاته بشمر وصادمة له زمر تنظر الاعلام فآل حم بقتال فتحه فى حجرات قافه قد ظهرت وذاريات طوره ونجمه وقمره قد عطرت وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نصرت وأبصار معاديه فى الحشر يوم الامتحان حسرت وصف جمعته فاز اذا أجساد المنافقين بالتغابن استعرت وله الطلاق والتحريم ومقام الملك والقلم فاعظم به من مقام وفى الحاقة أعلى الله له المعارج على نوح المتطهر وخصه من بين الانس والجن بيا أيها المزمل ويا أيها المدثر وشفعه فى القيامة اذا دموع الانسان مرسلات كالماء المتفجر ووجهه عند النبا النازعات وقد عبس الوجه كالهلال المتسور ويوم التكوير والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر وقد حرست لولده السماء بالطارق الاعلى وتمت غاشية العذاب الى الفجر على البلد المردة اللئام فهو البلد الامين وشمس الليل والضحى المخصوص بانشراح الصدر والمفضل بالتين والزيتون المستخرج من أمشاج العلق الطاهر العلى القدر شجاع البرية يوم الزلزال اذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر ومشركى العصر أهلك الله به الهمزة وأصحاب الفيل اذ مكروا بقريش ولم يتواصوا بالحق ولم يتواصوا بالصبر المخصوص بالدين الحنيفى والكوثر السلسال والمؤيد على أهل الجحد بالنصر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبت يدا معاديه وتم بالتوحيد مواليه وما أفصح فالق الصبح بين الناس وامتد الظلام (ولنشفع) هذه الخطبة بقصيدة على سور القرآن فى مدح سيد ولد عدنان يحسن هنا أن تثنى عن فرائد تمائمها الطلا بها ما أعذب من خمرها وستورها وتجلى عن خرائد عرائسها لخطابها ما اسدف من غررها فى خدورها فانظر الى سور آياتها وصور توريتها ثم ادعهن يأتينك سعيا خطا لها ووعيا وهى هذه

يا من له السبع المثانى تنزل • وخواتم البقره عليه أنزل
فى آل عمران النساء لم يلد • ن نظيره اعياذ لك تفعل
مولى له الانعام والاعراف والانفال والحكم التى لا تجهل
بعلاه توبة يونس قبلت كذا • هود ويوسف رعدهم يتجلل
وكذا الخليل ابراهيم فى حجره • والنحل فى الاسراء عليه تؤول
يا كهف مريم أنت طه الانبيا • والحج ثم المؤمنون الافضل
يا نور يا فرقان يا من مدحه • نطقت به الشعراء وهو المرسل
والنمل فى قصص الحديث به دعت • وعليه نسج العنكبوت مسدل
والروم تتلو اسمه ولكم به • لقمان حقا فى المضاجع يسأل
وبعزمه الاحزاب جمعهم سبا • وبه الملائكة الكرام تفضل
يس سماه الاله بذكره • وكواكب بوعوده لا تأفل

بالبتى صاد شربت بكاسه • وعليه فى زمر وردت فأمل

كم مؤمن قد فصلت أعلامه • من زخرف بجداه يامن يعقل

ودخان جاثية على أحقافها • بقتاله أطفى وفتح أدخل

بحجرات قاف داريات سمائه • فى طورها نجم منير يكمل

ودناله القمر المنير وثقه الرحمن واقعة له لا تجهل

زعف الحديد بحربه أصواتها • رعد مجادلة القوم أبطلوا

وله لدى الحشر العظيم شفاعة • فى أمة بالامتحان تسربلوا

عن صف جمعته المنافق نائيا • يوم التغابن من حديد ينعل

يامن به شرع الطلاق ومن له التحريم والملك العظيم الاجل

يامن به ذو النون لاذ بحوته • لما أصيب بحاقة لا تعدل

يامن سال نوح بطاهر اسمه • يامن أتته الجن يا مزمل

مدثر يوم القيامة شافع • ومخلص الانسان وهو المرتل

يامن نزول المرسلات ببعثه • ياأيها النبأ العظيم الاكمل

والنازعات نزعن نفس عدوه • هذا وقد عبس الجبين وأذهلوا

وهو الشفيع اذا المنيرة كورت • والانفطار من السماء يجل

ولدى ذوى التطفيف ويل والسما • فى الانشقاق اذا البروج تبدل

والله قد حرس السماء بطارق • لولادة الاعلى به يتفضل

وأزال غاشية العذاب بنوره • كالفجر اذ أنواره تتهلل

بالدامسين ثم شمس أشرقت • والشعر ضاهى الليل بل هو أليل

شمس الضحى من وجهه ولصدره • ألا انشراح وقلبه لا يغفل

يامن أتى فى التين حقا ذكره • فاقرأ ولا يرتاب فيه واسألوا

يامن ليالى القدر بينة له • وعداه بالزلزال منه تزلزلوا

بالعاديات أزال قارعة العدا • وبقوله ألهاكم ما تجهل

ولقد أتى من قبل عصر نبينا • ويل لاهل الفيل منه وقتلوا

هو صاحب الايلاف والدين الذى • يسقى غدا من كوثر يتسلسل

والكافرون لنصره فى جيدهم • مسد اذا التوحيد عنه تعدل

يا خاتما فلق الصباح كوجهه • والناس منه مكبر ومهلل

أبيات تامية أتت موسى عدة • والكفعمى فى مدحه يجمل

صلى عليه الله مع أصحابه • مازال طير العندليب يعندل   انتهى

(والكفعمى) هو ابراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة الى كفرعيما قرية من قرى أعمال صفد كما تقول فى النسبة الى بنى عبد الدار عبدرى والى حصن كيفا حصكفى وشرحه لبديعيته سماه نور حدقة البديع ونور حديقة الربيع ومارأيت مثله فى سعة الحفظ والجمع (ومن نظمه فى أسماء الكتب)

يا أمير بن الصلاة بحر فلاح • أنت دفع الهموم والأحزان
أنت أنس التوحيد عدة داع • ثم روح الأحيا وذات المعالى
نهج حق وشرد تنبيه • ورياض الآداب ذكرى البيان
فائق رائع مسرة رائض • منتهى السول جامع للأمان
نزهة عدة طرائف لطف • روضة منهج جمان الجنان
فصاح الألفاظ فيه تلاق • وشذور العقود والمرجان
وهو قوت القلوب نهج جنان • وكنوز النجاح والبرهان

فناسب بين أسماء الكتب وقصده غير ذلك وأكثر هذه الكتب التى ورّى بها غير موجودة بأيدى الناس بل ولا معروفة لديهم وهذا دليل على سعة اطلاعه (ومن بدائع الكعمى المذكور) رسالة كتب بها الى قاضى القضاة العالم العلامة أبى العباس بن الفرفورى فى شأن أستادار قاضى القضاة المذكور الامير علاء الدين ويخرج من أثنائها قصيدة منها يقبل الارض وينهى سلام عبدلكم محب وعلى المقة مكب لو بدا للناظرين عشر معشار شوقه • وغرامه لطبق ذلك ما بين آفاق السموات السبع والارض لشدة هيامه تراه حقا لكم حاميا بالامن والسرور والسعد والحبور داعيا • لاجرم وهذا الثناء المتوالى والدعا للمقام العالى لا ينثنى لازم الفرض ملككم الله تعالى أزمة البسط والقبض وأعطاك ربى من المطالب فى دينك ودنياك وأنقذك من شر كل صغير شدة وكبيرها وأرضاك وجعلك أمينا فى الارض الى يوم القيامة والنشور والعرض كما أنت أمن لى من المخاوف وعون فى كل شدة وغوث وملجأ وعدة • وأنجحت آمالى ووفرت باشدامك لى مالى وأحسنت قرضى ووفرت باجلالك لى عرضى وينهى المملوك الى سيده قاضى القضاة وكافى الكفاة بان المتولى الامين دا • العز الدين على ابن المرحوم فخر الدين قوله فى أمركم العالى مرضى وقوله مقتضى ومدحكم عليه فرض واجب يراه أبدا لسانه • ويذكر المناقب وحبكم له واختياركم اياه دال بانه أميركم شاهده حقا يقضى بجعله على خزائن الارض انه حفيظ عليم حديث مدح سواكم ليس من مدائحه ولا يعز أبدا بقاء • • وبجوارحه وان مر فى خاطره لا يحلو قطعا وحكمكم عليه شرعا ومرسومكم يقضى وأمركم يقضى يتيه سرورا به رؤساء الشام ومن فى القبيبات من الامام عزة • وعلوا بخدمته الشريفة اياك ولانه يا قاضى قضاة الدين والارض لا يريد سواك فان يك الخادم المذكور فى بعض أعماله غافلا أو فى مقالة غير كامل أو عصاكم فى بعض الامر فعين العفو والستر عن ذنبه لاجرم تفدى

وهو يتوب به اليه بعضي وسلام الله عليكم ورحمته لديكم كلما نطق ناطق أو ذر في المشارق شارق ＊ ومادارت الافلاك وسبحت بلغاتها الاملاك في فسيح الطول ورحب العرض دوما ما بين السماء والارض وهذه أبيات القصيدة المتولدة من هذه الرسالة

سلام محب لو بدا عشر شوقه ＊ لطبق ما بين السموات والارض
تراه لكم بالامن والسعد داعيا ＊ وهذا الدعا لاشك من لازم الفرض
وأنجالك في دنياك من كل شدة ＊ وأرصالك في يوم القيامة والعرض
كما أنت لي عون وغوث وعدة ＊ ووفرت لي مالي ووفرت لي عرضي

هذا ويصح أن يقرأ عونا بالنصب على الحالية وهو الذي رأيته بخطه أعني الكفعمي ثم قال

وينهى الى قاضي القضاة بأن ذا ＊ على بن فخر الدين في أمركم مرضي
ومدحكم فرض يراه لسانه ＊ وحبكم اياه شاهده يقضي
حديث سواكم لا يمر بقلبه ＊ وان مر لا يحلو وحكمكم يمضي
يتيه به من في القبيلات عزة ＊ لخدمته اياك ياقاضي الارض
فان يك في أفعاله أو مقاله ＊ عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضي
سلام عليكم كلما ذر شارق ＊ وسبحت الاملاك في الطول والعرض انتهى

قلت وهذه طريقة بديعة وقد تبارى فيها السلف فبعضهم يعمد الى أحاديث أو آيات ويسبح على منوالها مثلها ويفرقها في أبياته أو سجعاته ويكتبها بلون مخالف للاصل وقد ذكرت في روضة الورد من أزهار الرياض من كلام ابن عاصم ما لا مزيد وراءه فليراجعه من أراده وذكرت في غيره أيضا نبذة (رجع) الى نظم ابن جابر فمن ذلك قوله

ناديت من أسرى به ＊ بحياة من أسرى به
حل مدمعا تجري به ＊ بلواه في تجريبه

وقوله

أيها العاذل في حبي له ＊ خل نفسي في جواها تحترق
ما الذي ضرك منه بعدما ＊ صار قلبي في هواه تحت رق

وله

برد الصباح على برد الصبا سحرا ＊ مازال يذكرني أوقات نعمان
اهفي لعيش قضينا في معاهدها ＊ ما بين حسن من الدنيا واحسان

وله رحمه الله تعالى من حسناته المقبولة المضاعفة أيضا

جعلت ملاك العين والقلب في الهوى ＊ بناطقة القرطين صامتة القلب
تعطف لي ألحاظها السين قدها ＊ وتقلبه كيما تميد به قلبي

قال بعض علماء المشرق أجاد والله هذا العالم المغربي المقال وأراد أن لفظ لين اذا قلب

صار بلا وادا صحف صار بلا وهذا زيادة على ما فيه من التحريف انتهى وقريب منه
للرفيق المذكور قوله

بصدّ عن برد بشير ببرده * حرّ الغرام ولاسبيل لرشفه
أخذ الرشا من خده ما رقّ لذا * نسب الورى طرف الجمال لطارفه

وله

تجرّ فرعيها على اثرها * رافلة في حلل الحسن
فتطلع البدر لنا في الدجى * وترسل البدر على العين

وله

قد نعمنا بجزع نعمان لكن * عمّنا البعد والعقوق قبيح
قل لأهل الخيام أمّا فؤادي * فجريح لكنّ ودّي صحيح

وقوله

مذ تماشى الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
منعا الجمع والخلوّ معا * وإذا ذاك حكم منفصله

وله يمدح سيد الخلق وخاتم المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين

رحمة أرسله الله لنا * وشفيعا قد غدا فينا غدا
وهب المال لمن سأله * وفدى من ذنبه من وعدا
ليس يحصي فضله الا الذي * هو أحصى كل شيء عددا

وله

حسن النية ما اسطعت ولا * تتبع في الناس أسباب الهوى
انما الأعمال بالنيات من * ينو شيأ فله ما قد نوى

وله

قالت وقد حاولت نيل وصالها * من غير شيء لا تجوز المسئله
بالله قل لي أين عقلك يا فتى * أرأيت موصولا يجيء بلا صله

وهذا معنى قد تلاعب الشعراء بكثرته وقضية ابن عنين في ذلك مع المعظم دالة على توقد فكرته وما ذاك الا انه مرض فكتب الى الملك المعظم

انظر الي بعين مولى لم يزل * يولي الندى وتلاف قبل تلاقي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه * فاغنم دعائي والثناء الوافي

فعاده المعظم وأعطاه ألفا وقبل ثلثمائة وقال له هذه الصلة وأنا العائد * وقال ابن جابر المذكور

يا دار ليلى لا عدتك يد البلى * وسقاك در الغيث كل سحاب
أصبو الى تلك الربوع وكيف لا * أصبو وهن منازل الأحباب

وقال من قصيدة

وأطلب تشوق الانام بحسنه * فأذكر من أسمائه كل طيب

ومنها

وانى لم أمدحـه الا تشوقا ❊ وان كان مشهورا بشرق ومغرب

وقال

شاء وجه الرقيب اذ شاء وصلى ❊ غيرى والانام عنا نيام
زارنى بالنهار فى الليل لكن ❊ ليل فرع يحار فيه الظلام

وقال

يا أيها الجائر فى حكمه ❊ انى فيما قد جرى حائر
قتلك من أعدل شئ يرى ❊ وأنت فى أهل الهوى جائر

وقال

قد زعم العاذل لى أنه ❊ يهدى لى الرشد بما يصنع
ما هو عاذلى ولكنه ❊ عاذ فسمى قال لاتسمعوا

وقال

شفى فؤادى من شقا هجره ❊ وبت من لقياه فى عيد
وزارنى يحكى غزال النقا ❊ فى الحسن لولا الحلى فى الجيد

وقال

سلب القلب غزال قده ❊ قد حكى البان لما والسلما
ساحر العين اذا أبصره ❊ كاتب ألقى اليه القلما

وقال

يكفى الانام بسيفه وبسيبه ❊ عقد المكاره والمكارم دائما

وقال

تحلت بما يحكى محاسن ثغرها ❊ وحلت عقود الصبر من عقودها
ثقيلة أرداف فصعب قيامها ❊ بما حملت منها وسهل قعودها

وقال

أبى حسنها الا افتتانا قلبنا ❊ فكم قد أباد الحسن فيها من الناس
وقالت تحمل طول هجرى ان ترد ❊ وصالى ذوات الحسن قلت على الراس

وقال

أراد انسان أراد الرضا ❊ منهم رجالا ليس بالممكن
سيان ان يعطوا وان يمنعوا ❊ قد ضاع فيهم كرم المحسن

وقال

يا جيرة الحى حيا الله واديكم ❊ فكم سرور به للقلب قد عرضا
فكم أنال حياة أستلذ بها ❊ اذا أنالم أنل من وصلكم غرضا

وقال

شبه خد الفؤاد ماء رضاب ❊ منه قد حار فيه ماء الغمام

زان بالحلى جيده قلت ماذا • قال شئ نظمته من كلامى

وقال

صادقلبى وصدّعنى صدودا • واثنى يسحب الذوائب سودا
فرأيت الصباح فى الليل يبدو • وشهدت الرشا يصيد الاسودا

وقال

ان سئمت من الزمان لما ول ما • قدصدّعن حسن الوفاء رجاله
ومن النوادر فى زمانك أن ترى • خلا به جدت لديك خلاله

وقال

ان قابل الغصن باعطافه • فقل أن يسير من فرق
قلت قد استعبدت كل الورى • فقال ذاك البعض من حق

وقال

صح أن الصباح من وجنتيها • وغصون الرياض من معطفيها
قاتل الله عاذلى قبل يوم • ليس يسعى بالعذل فيه اليها

وقال

شدوا محاملهم يوم الرحال وقد • محا رسوم اصطبارى فقدمن رحلا
هزوا الغصون على الكثبان حين مضوا • وأسبلوا فوق أقمار الدجى كللا

وقال

خذ ترى الورد بعضا من محاسنه • تبارك الله ما أحلى شمائله
لصارم اللحظ قد أرخى حمائل من • عذاره فحمى عنا خمائله

وقال

قام حادى الركاب ليلا فغنى • فاستقام السرى وثار الغرام
قيل نام الانام فاهجع قليلا • قلت دون الحبيب لست أنام

وقال

تراعى بنا فى البيد شوق الى الحى • ترى عنده الاجفان منهلة الدمع
فلما رأينا ربع من سكن الحشا • نزلنا فقبلنا ثرى ذلك الربع

وقال

يراودنى الواشى على حب غيرها • وانى لما لا أن يرى مثل حسنها
موفرة الارداف مهضومة الحشا • يريك النفات الظبى فاتر جفنها

وقال

سلت علينا صبر قامن لواحظها • وما لنا من سيوف اللحظ من واق
أضحت لسفك دم العشاق حاذرة • فما ترى دية فى قتل عشاق

وقال

فى خده شبه للخال أو شبة • بما حوى الحسن من ألطاف أسرار

وثنى من الحسن لم يحتج لصنع يد * تبارك الله هذا صنعة البارى

وقال

بين الجوانح لوعات من الجوى * نار عليها سكب عينى بهمع
فدع المدامع فى مدى جريانها * فالدمع بعد فراقهم لا يمنع

وقال

قالوا ابدار بن قد قالوا وقد وردوا * ماء العقيق وبالزوراء قد باتوا
بانوا عن العين لكن بالقلوب ثووا * وفى البعاد عن الاحباب آفات

وقال

مليحة الخد به شامة * كالورد قد نقط بالغاليه
قلت لها ما اسمك قولى لنا * قالت لنا تعرفنى غاليه

وقال

جارية جارية فى مدى * شبابها من أملح الخلق
مابين فرق الصبح لما بدا * ووجهها للناس من فرق

وقال

لصبه منه امتداد النوى * فلا يلام الدمع فى صبه
فى قده لين فهلا قضى * بقلبه منه الى قلبه

يريد بالقلب الاول التحويل والنقل أى فهلا قضى بنقل اللين الذى فى قده الى قلبه

وقال

يالابس اللام والاسياف عارية * قد انعطفت على الاعطاف واللام
ويا ضجيع رماح الخط يرسلها * فى كل هام لها بالخط فى الهام

الهام الاول جمع هامة والثانى اسم فاعل من همى يهمى قال رفيقه لو قال من الهام لكان أليق بالمعنى وألطف

وقال

من مال يبغى كسب مال له * من حرمه ان جاء أوحده
فلا تثق يوما به واحترز * منه فما يبقى على خله

وقال يتشوق الى وطنه بالمرية

لله عيش بالمرية قد ذهب * أخباره بالحسن تكتب بالذهب
وهبت لنا تلك الليالى مدة * ثم استرد الدهر منا ما وهب

وقال

أتى من شوقه فثار الضرام * ودرى الناس أنه مستهام
لاتسل ماجرى من الدمع لما * قيل هذى القباب هذى الخيام

وقال

صلاة اله العالمين على الذى * أقل العطايا منه واد من النعم
يجود على الراجى وان كان مذنبا * وما قوله للسائلين سوى نعم

وقال

قد سبا قلبي غزال فاتن • سل به كيف اعتدى في سلبه
أنا لا أعتب فيما قد جرى • صفح الله له عن ذنبه

وقال

صبرت له فؤادي به • هواه فكانت هي الفاصله
وأذكر يوما ويا طالما • أتاني يوما فأبلي صله

وقال

وليل نظمنا به شملنا • كما انتظم البيت بالقافيه
وفرقنا الدهر من بعد ذا • فلت من اليوم ألق فيه

أي فيه ولم يكمل التجنيس فيه الا بتسهيل الهمزة كما قال رفيقه ولما أنشده قال ومن هذا النوع قول بعض الاندلسيين

وقائل قال ألا صف لنا • بستاننا هذا وتاريخنا
قلت لهم بستانكم جنة • ومن جنى التاريخ نارا جنى

وقال ابن جابر المذكور

قل بحق الهوى سمحت بوصل • ورب الطيب أم نهاك الرقيب
رمت نيل الوصال منه فقال • لك وصل غدا فقلت قريب

وقال

زين الله منه صدغ كنون • قد بدا تحته عذار كلام
قلت هذي محاسن ابن هلال • فانثنى وهو ضاحك من كلامي

وقال

لها حسن لها عن كل واش • به قلبي فما أنا أستفيق
على وجناتها نعمان يبدو • لنا وشفاهها حسن العقيق

وقال

جز بي ذكركم والله أحياني • ولو سرى طيبكم ليلا لأحياني
لا بعدت العيش لي بعد العذيب ولا • نعيم مثل ليالينا بنعمان

وقال

مداراة هذا الخلق أولى بهم • صفات هي الاقدار والنعم دارات
شارات حمد المرء أن لا ترى له • على الناس مما لازم الحلم ذارات

وقال

أرى كم أسعى الى خامل ولو • أرالى مدى في فرقد بلغ السها
وما الخير يوما من لئيم بممكن • وان كان منه الخير يوما فقد سها

وقال

أرى حيدي عن كل طارئ نعمة • أراح يدي من أن يقيدها الدل

فان أخذ المعروف من غير أهله * تروح الليالى وهو فى عنقه غل

وقال

شمائلها الماضى وحسن شبابها * هما جلانفسى من الوجد ما بها
كثيب النقا من ردفها وقضيبه * لعطفها والبدر تحت نقابها

وقال

حل عقد الصبر منى عقدها * اذ سبت قلبى بما فى قلبها
تحسب الدر على لبتها * أنجما قد كال البدر بها

وقال

شعرك الليل يبدو تحته * قمر قد حار شعرى فى صفاته
تقل المسواك عن مبسمه * أن ماء الورد يجرى من لثاته

وقال

من سن تلك اللحاظ فاتبعت * من سنة الحب كل متبع
تقتل عشاقها بلا سبب * وذاك فى الحب غير مبتدع

وقال

وما شجو صال اللوعة الهجر قد قضى * زمان وصال لم تكدر مشاربه
كشجو محب لم يذق لذة الرضا * ولا بات والغيد الحسان تلاعبه

وقال

مرت فى رحال العيس منه أهلة * فايسر حال أن أزودها قلبى
بعيشك قل لى هل دروا كيف علتى * وفيض دموعى بعد منصرف الركب

وقال

من جنى باللحاظ زهر المعانى * من جناب الحى اذا الناس ناموا
هو قد نال كل ما يتمنى * وسعت فى مراده الايام

وقال

لطائف حسنها بربوع قلبى * لطائف ألجأتنى للغرام
تريك تكاسلا فى اللحظ منها * لتحسبه تنبه من منام

وقال

اذا زرت حيا بالعقيق خيامهم * وذكرهم عهدى وحق ودادى
بحرام فراق العيس حتى تعلقى * بواديه من تلك الوجوه بوادى

وقال

من فرط ما فى الطرف من فتنة * قد غلب الحب على الناس
قالت نسيت العهد قلت اكفنى * عنى فما عبدك بالناس

وقال

بين نعمان وسلع ملا * ليس منهم لمحب ألم

حكى منهم بدر حل في * فلك العليا فاعرف من هم

وقال

أرانيها وحين أرى ميلا * أقاربها فتنفر كالغزال
وقالت أنت مرتقب لماذا * فقلت لها ارتقابي للهلال

وله من قصيدة مطولة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت مما يختص منها بأبي بكر رضي الله تعالى عنه قوله

فمنهم أبو بكر خليفته الذي * له الفضل والتقديم في كل مشهد
وصديق هادي الخلق والمؤثر الذي * لانفاقه للمال في الله قد هدي
وصهر رسول الله والنعمة التي * بها نزلت آي الكتاب الممجد
وصاحبه في الغار اذ قال لا تخف * فثالثنا والعرش أوثق منجد
وسد على المختار مخرج حية * هنالك برجل منه فازت بأسعد
وفيه وفي خير الانام تسامعوا * بمكة صوت الهاتف المتقصد
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
وعتق بلال حسبه فهو سيد * تأثل في الاسلام اعتاق سيد
وقال رسول الله ان أمنكم * على أبو بكر وأوفى بموعد
فصدق اذ كذبتم وأطاع اذ * عصيتم وواتاني مواتاة مسعد
ولو أنني من أمتي كنت آخذا * خليلا تولى خلتي وتوددي
لكان أبو بكر ولكن أخوة * في الاسلام مهما تنقص الناس تزدد
فلما أراد الله قبض نبيه * وصار الى دار النعيم المخلد
تقدم في نيل الخلافة بعده * باجماعهم لا بالحسام المهند
وقد فارقت يوم السقيفة فرقة * فلما رأته الحق لم تتردد
وقام علي بعد ذاك مبايعا * فأثنى ثناء الخالص المتودد
وأظهر عذرا في تأنيه صادقا * وبايع طوعا لا لمقدار مسند
فآب بحمد منهم غير قاصر * ومن يتبع الانصاف والحق يحمد
وما أشبه الصديق في الفضل مشبه * ولا أحصيت أوصافه بتعدد

ومما يختص بعمر رضي الله تعالى عنه قوله من هذه القصيدة

ويتبعه في فضله عمر الذي * رمى عن قسي الصدق قوس مسدد
وما كل من رام السعادة نالها * ولكنه من يسعد الله يسعد
هو المرء لم يترك له الحق صاحبا * ولا تعد الشيطان منه بمقعد
ولا سلك الشيطان فجا اغتدى * له سالكا من خوفه المتزيد
ومن خاله قد كان يفرق هيبة * له حينما أضحى يروح ويغتدي
ونادى عليهم ما برحنا أعزة * باسلامه فانكف من كان يعتدي
ومن فضله رعي النبي بغيرة * له فانثنى عن قصره المتشيد

وقد

وقد قيل للفاروق هذا ومن به * فانباه عن هذا النعيم المؤبد
فأقبل يبكى قائلا كيف غيرتى * عليك ولولا أنت ما كنت أهتدى
ورؤيا رسول الله للقدح الذى * تناول من درّ به رية الصدى
فمازال يبدى شربه وبعيده * الى أن غدا من ظفره الرى يبتدى
فأوله العلم الذى منه ناله * وأوّل رؤيا الدلو حسن التأيد
فصارت له غربا فأروى بها الورى * فكان افتتاح الارض فتح مهد
كذاك قميص مفرط الطول سابغ * وللناس قمص بعضها يبلغ الثدى
فأوّل خير الخلق طول قميصه * بما حاز فى ايمانه من تشيد
وتفريقه ما بين حق وباطل * بيوم سقى الكفار أقطع مورد
وسمى بالفاروق من أجل هذه * ومازال فى نصر الهدى ذا تجلد
وحسبك أن الله وافق رأيه * لدى يوم بدر اذ رأى قتل من هدى
كذا فى أذان والحجاب وجعلهم * مصلى مقاما للخليل بمسجد
شديد على أهل الهوى رحمة لمن * عن الحق لم يجنح ولم يتحيد
وما قد رووا ان كان فى أمّة فتى * يحدث فالفاروق من ذاك فاعدد
وما أبغض الفاروق الا مفارق * لدين الهدى ذو مذهب لم يسدد

وممايختص بعثمان رضى الله تعالى عنه قوله

وحسبى عثمان بن عفان انه * عليه اعتمادى وهو سؤلى ومقصدى
امام صبور للاذى وهو قادر * حليم عن الجانى جميل التعوّد
هو الجامع القرآن والقانت الذى * اذا جن ليل ليس يأوى لمرقد
ويقطع بالصوم النهار ويثنى * مدى ليله فى خشية وتهجد
وقال رسول الله فى بئر رومة * أما مشتر يبغى بها الاجر فى غد
له الجنة العليا بذلك فاشترى * وتجهيز جيش العسرة اذكر وعدد
فقال رسول الله اذ جاء بما * قد احتاج من مال وظهر وأعبد
هنيأ لعثمان بن عفان فعله * وما ضرّه ما بعد مع هذه اليد
وقول ألا أبدى حياء لمن له * قد استحت الاملاك أشرف محتد
وبلغ بشرى الهاشمى بانه * من الجنة العليا بأكرم مقعد
ولم يرض صونا للدماء بحربهم * وكان متى يستنجد القوم ينجد
فمات شهيدا صابرا فهو خير من * على نفسه فى غير حق قد اعتدى
على بنتى المختار أرخى ستوره * فناهيك من مجد وعز مجدد
ولم يدع ذا النورين الا لانه * حوى بنته نورين من نور أحمد
وان لعثمان بن عفان رتبة * من المجد تسمو عن مماثل وفرقد

وممايختص بعلى رضى الله تعالى عنه قوله

وان عليا كان سيف رسوله * وصاحبه السامى لمجد مشيد

وصهر النبي المجتبى وابن عمه ＊ ابو الحسنين المحتوى كل سؤدد
وزوجه رب السما من سمائه ＊ وناهيك تزويجا من العرش قد بدى
بخير نساء الجنة الغر سؤددا ＊ وحسبك هذا سؤددا لمسوّد
فيا تاوجل الزهد خير ملاهما ＊ وقد آثرا بالزاد من كان يجتدى
فأثرت الجنات من حلل ومن ＊ حلى لهما رعيا لذاك التزهد
وماضرّ من قدبات والصوف لبسه ＊ وفى السندس الغالى غدا سوف يغتدى
وقال رسول الله انى مدينة ＊ من العلم وهو الباب والباب فاقصد
ومن كنت مولاه على وليه ＊ ومولاك فاصدق حب مولاك ترشد
وانك منى خاليا من نبوة ＊ كهرون من موسى وحسبك فاحمد
وكان من الصبيان أول سابق ＊ الى الدين لم يسبق بطائع مرشد
وجاء رسول الله مرتضيا له ＊ وكان عن الزهراء بالمتشرد
فسح عنه الترب اذ مس جلده ＊ وقد قام منها آلفا للتفرد
وقال له قول التلطف قم أبا ＊ تراب كلام المخلص المتودد
وفى ابنيه قال المصطفى ذان سيدا ＊ شبابكم فى دار عز وسؤدد
وأرسله عنه الرسول مبلغا ＊ وخص بهذا الامر تخصيص مفرد
وقال هل التبليغ عنى ينبغى ＊ لمن ليس من بيتى من القوم فاقتدى
وقد قال عبد الله للسائل الذى ＊ أتى سائلا عنهم سؤال مشدد
وأما على فالتفت أين بيته ＊ وبنت رسول الله فاعرفه تشهد
ومازال صواما منيبا لربه ＊ على الحق قواما كثير التعبد
قنوعا من الدنيا بما نال معرضا ＊ عن المال مهما جاءه المال يزهد
لقد طلق الدنيا ثلاثا وكلما ＊ رآها وقد جاءت يقول لها ابعدى
وأقربهم للحق فيها وكلهم ＊ أولو الحق لكن كان أقرب مهتدى

(ومنها فى ذكر السبطين رضى الله تعالى عنهما)

وبالحسنين السيدين توسلى ＊ بجدهما فى الحشر عند تفردى
هما قرتا عين الرسول وسيدا ＊ شباب الورى فى جنة وتخلد
وقال هما ريحانتاى أحب من ＊ أحبهما فاصدقهما الحب تسعد
هما اقتسما شبه الرسول تعادلا ＊ وماذا عسى بحصيه منهم تعددى
فمن صدره شبه الحسين أجل له ＊ وللحسن الاعلى وحسبك فاعدد
وللحسن السامى مزايا كقوله ＊ هو ابنى هذا سيد وابن سيد
سيصلح رب العالمين به الورى ＊ على فرقة منهم وعظم تبدد
وان تطلبوا ابنا لنبى فلن تروا ＊ سواى مقال منه غير مفند
بدا سيدا اظهر الرسول قد ارتقى ＊ فتر ولم يعجله وهو بمسجد
تساوله طال السجود فقال لا ＊ ولكنما ابنى خفت ان قت يشرد

وكان الحسين الصارم الحازم الذى • متى يقصر الابطال فى الحرب يشدد
شبيه رسول الله فى البأس والندى • وخير شهيد ذاق طعم المهند
لمصرعه تبكى العيون وحقها • فلله من جرم وعظم توقد
فبعدا وسحقا لليزيد وشمره • ومن سار مسرى ذلك القصد الردى

(ومنها فى ذكر حمزة رضى الله تعالى عنه)

ومن مثل ليث الله حمزة ذى الندى • مبيد العدا مأوى الغريب المطرد
فكم حز أعناق العداة بسيفه • وذب عن المختار كل مشدد
فقال رسول الله هذا أمرته • ولى أسد ضار لدى كل مشهد
وقال أبو جهل أجبت محمدا • لما شاء فاهتز حمزة سيد
وأهوى له بالقوس ما بين قومه • ونال وأخرى بالحسام المهند
وقال له انى على دينه فان • أطقت فعرج عن طريق واردد
فذل أبو جهل وأبدى تلطفا • مقرا بقبح السب فى حق أحمد
فعاد وقد نال السعادة واهتدى • وأضحى لدين الله أكرم مسعد
وفى يوم بدر حث عند سؤالهم • لما شهدوا من بأسه المتوقد
لمن كان أعلام بريش نعامة • يشرد دنا مثل النعام المشرد
فذاك الذى والله قد فعلت بنا • أفاعيله فى الحرب ما لم نعود
وفى أحد نال الشهادة بعدما • أذاق سباعا للردى شر مورد
ففاز وأضحى سيد الشهداء فى • ملائكة الرحمن يسمى ويقتدى
وصلى رسول الله سبعين مرة • عليه الى ثنتين عند التعدد
وقال مصاب ان نصاب بمثله • وان كان لى يوم سأجزى بأزيد
وزاد الى فضل العمومة انه • أخوه رضاعا هكذا المجد فاشهد
ومازال ذا عرض مصون عن الاذى • ومال مهان فى العطايا مبدد
كريم متى ما أوقد النار للقرى • تجد خير نار عندها خير موقد

(ومنها فى ذكر العباس رضى الله تعالى عنه)

وقد بلغ العباس فى المجد رتبة • تقول لبدر التم قصرت فابعد
الا انه فضل السقاية قد حوى • فكان لوفد الله أكرم مورد
وكان طويل الباع فى البأس والندى • كريما متى يسترفد القوم يرفد
ويوم حنين ليس يخفى ثباته • ودعوته مستنجدا كل منجد
وقال رسول الله فيه على ما • عليه وأيضا مثله فى التزيد
ألا ان عم المرء صنو أبيه كى • يزيدهم فى بره المتأيد
وبشره أن الخلافة فى الورى • لاولاده من سيد ومسود
بشيبته استسقوا اذا المحل شامل • فجاءهم غيث سقى كل فدفد

وهذا ما وقفت عليه من هذه القصيدة الفريدة وليس بيدى الآن ديوان شعره حتى أكتبها

بكمالها فانها مناسبة لهذا الباب الذي جعلناه ختما للكتاب كما لا يخفى

(ومن مقطوعات ابن جابر)

شغفت بها حينا من الدهر لم يكن • سوى سكب دمعي في محبتها كسبي
وما أصل هذا كله غير نظرة • الى مقلة منها أضعت لها قلبي

وقال

قد بان عذري في مليح له • ناظر رشا لحظه من ذعر
اني على الهجر مطيع له • ممتثل في السر والجهر

وقال

هذا الرشا يقتنص ليث الشرى • بنظرة منه فلا مخلص
لو عارض العاذل يوما له • لكان من أول ما يقتنص

وقال

ظبية في ثغرها لعس • يجتني من رشفه عسل
ملك اللب بمقلتها • ملكا قد زانه كحل

وقال

رقم الخال خدها فرأينا • قمر الأفق فيه نقطة ليل
قلت أين الكثيب والغصن قالت • كل ما قد ذكرته تحت ذيلي

وقال

ان خفت من فتك المهند والقنا • فاذا رنت واذا مشت لا تقرب
في قلب برقعها محاسن أنزلت • قمر السماء لنا بقلب العقرب

وقال

رأى عذولي حسنها بعدما • حقق كوني للهوى بائحا
فقال ان كنت محبا لها • فقد وجدنا رأيك الناجحا

وقال

ذكر الله بالمرية عيشا • لست عن ذكره الجميل أحول
طال عهدي بها وما دمت حيا • لا يزيد الرجاء بل قد يطول

وقال

مرت ليال بالمرية طالما • قضيت من أمل بهن مآربا
لم أسل عن تلك الديار وانما • جعل القضاء لكل نفس غالبا

وقال

لا تسلني عن العقيق فاني • بين أكنافه تركت فؤادي
وعلى تربه وقفت دموعي • ولسكانه وهبت ودادي

وقال

عرف المنزل الذي دار فيه • زمن الانس والشباب النضير

فنهاء

فشهما قلب التلاقى فراقاه واثنى عنه ذا فؤاد كسير

وقال

جمال هذا الغزال سحر • ياحبذا ذلك الجمال
هلال خده لم يغب • عنى وان غيب الهلال
غزال أنس يصيد أسدا • فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دل كل شوق • على ادراته الدلال
كماله لايخاف نقصا • دام له الحسن والكمال
نباله قد برت فؤادى • ياحبذا تلكم النبال
حلال وصلى له حرام • وحكم قتلى له حلال
زلال ذا اللمى حياتى • وأين لى ذلك الزلال
قتاله لا يطاق لكن • يجيبنى ذلك القتال

وقال

اذا جئت نجدا كرم الله عهده • فسلم على أهل المنازل من نجد
لئن حال بعد الدار بينى وبينهم • فانى لارعاهم على ذلك البعد

وقال

تجلت عندما نظرت اليها • وانثنت وهي بين تيه ومنع
اغاورد خدها زرع طرفى • حين مرّوا فكيف أمنع زرعى

وقال

لك نفسى اذا بدت لك نجد • فلقد سرّنى الزمان بنجد
طالك الخيام عندى عهد • وأبى الله أن أضيع عهدى

وقال

سل عن القوم ان بدت لك سلع • ففؤادى عند الذين بسلع
لى على تلكم المعاهد دمع • كاد يفنى بها عن الك دمعى

وقال

صفحوا عن محبهم واقالوا • من عثار النوى ومنوا بوصل
لست أستوجب الوصال ولكن • أهل تلك الخيام أكرم أهل

وقال

مال الزمان بهم عنى وقد بعدوا • لم يلوعنى منهم أهل ولامال
انى لاخشى وما الايام طوع يدى • أنى أموت ولى فى القلب آمال

وقال

بين وادى العقار بان المصلى • فتية ألبسوا الوجود جمالا
ان يكن قد نوى لى الدهر قربا • منهم فهو قد كفانى نوالا

وقال

زرت الديار عن الاحبة سائلا • ورجعت ابكيهم بدمعي سائلا
ونزلت في ظل الاراك قائلا • والربع أخرس عن جواب قائلا

وقال

لا أوحش الله المنازل منهم • منهم غدت تلك الديار حسانا
فاشكر لدهرك ان أراك بحاجر • بان الحمى وأراكه قد بانا

وقال

لك يا وادي العقيق علينا • كل ما شئت من ذمام وثيق
نحن السبري أني أنبرى • من عقوق لمنزل بالعقيق

وقال

يا أهل ذي سلم بشرى لمستلم • ذاك الثرى مقدم في السير لم ينم
يؤتم دارا بها خير الورى حسبا • الخاتم الرسل من عرب ومن عجم

ولنقتصر من كلام ابن جابر في هذا الموضع على هذا المقدار وانما أطنبت فيه لما تقدم من الاعتراض على لسان الدين في عدم توفيته في حق المذكور وحق رفيقه مع انه أطال فيمن دونهما من أهل عصره وأيضا فان كلاهما غريب عند بالمغرب لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار وكان خبرهما في الشرق أشهر (وأما رفيقه) شارح بديعيته فقد ذكرنا في غير هذا الموضع بعض حاله وكلامه ولنزد هنا ما تيسر فنقول من نظمه

لما بدا في الناس عقرب صدغها • كفت أذاه من الورى بالبرقع
والصبح تحت خمارها متستر • فمتى شاءت تقول له اطلع

وقال

تجننت خز في الهوى كل عاقل • رآها وأحوال المحب جنون
وما وعدت الا غدت في مطالها • كذلك وعد الغانيات يكون

وقال

لا تجدوا في الهوى على كاتب • تنظيره في الغرام لن تجدوا
لهمان ما يشتكي الى أحد • ظمآن غير الدموع لا يجد

وقال

رب ليل قطعته بالجزيره • فتذكرت أهلنا بالجزيره
قصر الانس ما تطاول منه • وكذا أزمن السرور يسيره

قال والجزيرة الاولى المراد بها مصر المحيط بها النهر المسمى بالعاصي والثانية جزيرة الاندلس

وله أيضا

ومالي والترين يوم عيد • وجيد صبابتي بالدمع حالي
وقد أرسلت أشهبها بريدا • وبعد كميتها يبقى بحالي

والمراد بالاشهب الدمع الذي لا يشوبه شيء وبالكميت الدمع المشوب بالدم وفي شرح

البديعة وقد ذكر العقيق بعد كلام مانصه قلت وكان هذا الوادي المبارك زمن عثمان رضي الله تعالى عنه ذا قصور محتمه وحدائق ملتفه وبنيان مشيد ونخل طلعه نضيد وجنات تؤتي أكلها كل حين وسواق تجري بماء معين ثم لعبت به أيدي السنين وغيرت معالمه فصار عبرة للناظرين فلم يبق من معاهده الا آثار تشهد بحسنه ونضرة نعيم تدل على ماسلف من نضارة غصنه وقد خرجنا الى هذا الوادي أيام مجاورتنا بالمدينة الشريفة وهو يتدفق بمائه ويعارض بجوهر حبابه أنجم سمائه وقد سالت شعابه وفاض عبابه والناس تفرقوا في جهاته وافترشوا غصن نباته والنسيم قد توشح بالندى والانس قد راح به وغدا والاصيل مذهب الرداء والبيداء مخضرة الانداء وبجانبيه آثار قصور ليس لها في الحسن قصور قد بليت وحسنها جديد وخربت وربعها بالانس مشيد انتهى ومن بديع نظمه قوله

مهلا فما شيم الوفا منقادة * لمن ابتغى من نيلها أوطارا
رتب المعالي لاتنال بحيلة * يوما ولو جهد الفتى أوطارا

وقوله رحمه الله تعالى

على وادي العقيق سكبت دمعي * بلا عين فيبدو كالعقيق
فكم غصن وريق منه يحكي * قوام رشا شهي الفم وريق

وقال

سألتك بالله يامن غدا * يصرف بالقلب أفعاله
تدارك محبا بدرياق وصل * فان بعادك أفعى له

وقال

لاتأمننه على القلوب فخنه أصل غرامها
فلحاظه حسن التي * رمت الورى بسهامها

ومن فوائده رحمه الله تعالى في شرح البديعة مانصه ومن غريب مافي الدي أن أبا علي حكى في تذكرته عن المفضل أنه أتت بمعنى هل وأنشد

لدى من شباب يشترى بمشيب * وكيف شباب المرء بعد ذهاب انتهى

(رجع) وقال رحمه الله تعالى يتشوق الى حمراء غرناطة

دامت على الحمراء حمر مدامعي * والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال المدى بي عنهم ولربما * قد عاد من بعد الاطالة غائب

وقال

ماهب من نحو السبيكة بارق * الاغدا شوقي لقلبي سالكا
والله مااخترت الفراق لربعها * لكن قضاء الله أوجب ذلكا

وقال

منازل سلمى ان نأت فلطالما * بها عمرت في القلب مني منازل
رسائل شوقي كل يوم تزورها * وماضيعت عند الكرام الرسائل

وقال

بجور الوداع لنا موقف ● أذاب الفؤاد لاجل الوداع
فما أنا أنسى غداة النوى ● وحادى الركائب للبين داعى

قال وجور الوداع موضع بظاهر غرناطة عادة من سافر أن يودع هناك

وقال

ناولته وردة قامت من خجل ● وقال وجهى يغنيق عن الزهر
الخد ورد وعينى نرجس وعلى ● خدى عذار كريحان على نهر

وقال رحمه الله تعالى فى التشريع

يا راحلا يبغى زيارة طيبة ● نلت المنى بزيارة الاخيار
حى العقيق اذا وصلت وصف لنا ● وادى منى باطايب الاخبار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا ● زال العنا وظفرت بالاوطار

وقال

يا أولا فى المرسلين وآخرا ● الله خصك بالكمال لبرمتك
من قبل آدم قد جعلت نبيه ● قدما فقدمك الاله لفعلك
أوحى اليك لكى تكون حبيبه ● ويتم نعمته عليك ويهديك

وقال

صيرتنى فى هواك اليوم مشتهرا ● لاقيس ليلى ولا غيلان فى الاول
زعمت أن غرامى فيك مكتسب ● لا والذى خلق الانسان من عجل

وقال

لا تعادى الناس فى أوطانهم ● قلما يرعى غريب الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم ● خالق الناس بخلق حسن

وقال

نسخة اليوم فى المحبة أصل ● فعليها اعتماد كل عميد
نقلوا مرسل المدامع منها ● وصحيح الهوى بغير مزيد
قد رواها قبلى جميل وقيس ● حين هاما بكل لحظ وجيد

(ومن فوائده) أنه لما أنشد فى طراز الحلة قول سعد الدين محمد بن عربى فى ابن مالك ان الامام جمال الدين فضله الى آخره قال ما ملخصه ولما أورده الصفدى فى فض الختام قال هذا فى غاية الحسن لو كان الكتاب المذكور يسمى الفوائد وانما هو تسهيل الفوائد فذكر المضاف اليه دون المضاف وهى تورية ناقصة قلت ابن مالك له كتابان أحدهما الفوائد صنعه أولا ثم صنع تسهيل الفوائد بعده وكأنه سهل فيه كتاب الفوائد وكنت وقفت على هذا الكتاب المسمى بالفوائد ببلادنا غرناطة فلما وصلنا الى هذه البلاد بحثنا عنه فلم نجده وتمادى الامر على ذلك الى سنة ٧٦٠ فوجدناه فى حلب وهو الآن عندنا وهو عزيز الوجود ولذلك خفى على القاضى صلاح الدين انتهى وبعضه بالمعنى وقال أبو جعفر

أحمد المترجم به كتبت الى صاحبنا الشيخ بدر الدين خليل الناسخ

مددت النوى وقصرت اللقا * أترضى بهذا وأنت الخليل
وتترك أحمد ذا وحشة * لديك وأنت له ابن جليل

وقال

قد كان لى أنس بطيب حديثكم * والآن صار حديثكم برسول
ولقد مددت من النوى مقصوره * ان الخليل يراه غير جميل

وله رحمه الله تعالى

ما النوى مدت وأنت خليلنا * والقبل قد قصرت برغم الكاشح
أتبعت فى ذا مذهبا لا يرتضى * ابدا وليس الرأى فيه بصالح

وله

ولما رأى الحساد منك التفاتة * الى جانب اللهو الذى كان مرفوضا
أضافوا الى عليائك كل نقيصة * حقيق لديها بالاضافة مخفوضا

وله

حسنك ما بين الورى شائع * قد عزف الآن بلام العذار
لحاه منه مبتدا للهوى * خبره الآن مع الجلنار

والنقتصر على هذا المقدار الى هنا (رجع) الى أولاد لسان الدين رحمهم الله تعالى وقد قدمنا أن عليا بن لسان الدين كان نديم السلطان وسامره كما ذكرنا فى مخاطبته لابن مرزوق فى الباب الخامس قوله فالسلطان رعاه الله تعالى يوجب ما فوق مزية التعظيم والولد هداهم الله تعالى قد أخذوا بحظ قل أن ينالوه بغير هذا الاقليم والخاصة والعامة تعامل بحسب ما يليه من نصح سليم وترك ما بالايدى وتسليم وتدبير عاد على عدوها بالعذاب الاليم الامن أبدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم انتهى ولقد صدق رحمه الله تعالى فيما ذكره من النصح وغيره (ومن نصائحه رحمه الله تعالى) ما كتب به على لسان السلطان (ونصه) من عبد الله أمير المسلمين محمد وصل الله تعالى سعده وبلغه من فضله العميم قصده الى أوليائنا المخصوصين منا ومن سلفنا بذمام الجوار القريب والمكانة التى لا يتطرق الى حقها الذى بنى استراية المستريب المعتمدين اذا عددت الرعايا وذكرت المزايا بمزيد الاعتناء والتقريب من الاشياخ الجلة الشرفاء والعلماء والصدور الفقهاء والعدول الاذكياء والاعيان الوزراء والحماة المدافعين عن الارجاء والامناء الثقات الاتقياء والكافة الذين نصل اليهم عوائد الاعتناء ونسيرفيهم باعانة الله تعالى على السبيل السواء من أهل حضرتنا غرناطة المحروسة بفضل الله تعالى وربضها شرح الله تعالى لقبول الحكمة والموعظة الحسنة صدورهم وكنف بنتائج الاستقامة سرورهم وأصلح بعنايته أمورهم واستعمل فيما يرضيهم أميرهم ومأمورهم سلام كريم عليكم أجمعين ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى اذا رضى عن قوم جعل لهم التقوى لباسا والذكرى لبناء المتاب أساسا والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الذى

قوله المعذ

٢

حمدا لله الولى العظيم اشفاقا ورحمة والهاما والرضا عن آله الذين اختارهم له ناسا وجعلهم مصابيح من بعده اقتداء واقتباسا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى اعزازكم وحرس أحوازكم وجعل للعمل الصالح اهتزازكم وبقبول النصائح امتيازكم من مستقرنا بمحروسة الحمراء حماها الله سبحانه ولا متعرف بفضل الله تعالى الا هداية تلوح على الاقوال والاعمال وعناية تحف من اليمين والشمال وتوكل على الله يتكفل لنا ببلوغ الآمال وأنتم أولياؤنا الذين لا ندخر عنهم نصحا ولا نهمل فى تدبيرهم ما يثمر نجحا ، وبحسب هذا الاعتقاد لا نغفل عن نصيحة ترشدكم اذا غفلتم وموعظة نقدمها عليكم اذا اجتمعتم فى بيوت الله واحتفلتم وذب عنكم تارة بالمخابرة نعقدها ومطاولة ننقدها وتارة بسيوف فى سبيل الله تعالى نجردها وعساكر للشهادة نرددها ونفوس بوعد الله نعدها ونرضى بالسهر لتنام أجفانكم وبالكد لتستريح صبيانكم وولدانكم وباقتحام المخاوف لتحصل أمانكم ولو استطعنا أن نحمل عليكم وقاية كوقاية الوليد لجعلناها أو أمكننا أن لا تفضلكم رعية بصلاح دين أو دنيا لفعلنا هذا شغلنا زمانا منذ عرفنا ومرمى همنا مهما استهدفنا وقد استرعانا الله تعالى جماعتكم وملأنا طاعتكم وحرم علينا اضاعتكم والراعى اذا لم يقصد بماشيته المراعى الطيبه ويتتبع مساقط الغمائم الصيبه ويوردها الماء النمير ويتعاهد لها النماء والتثمير ويصلح ثلالها ويداوى علالها أغفل عددها وعدمت غلتها وولدها فندم على ما ضيعه فى أمسه وجنى عليها وعلى نفسه وألفيناكم فى أيامنا هذه الميامن عليكم قد غمرتكم آلاء الله تعالى ونعمه وملأت أيديكم مواهبه وقسمه وشغل عدوكم بفتنة قومه فنمتم للعافية فوق مهاد وبعد عهدكم بما تقدم من جهد وجهاد ومحنة وسهاد فأشفقنا أن يجركم توالى الرخاء الى البطر أو تحملكم العافية على الغفلة عن الله تعالى وهى أخطر الخطر أو تجهلوا مواقع فضله تعالى وكرمه أو تستعينوا على معصيته بنعمه فمن عرف الله تعالى فى الرخاء وجده فى الشده ومن استعد فى المهل وجد منفعة العده والعاقل من لا يغتر فى الحرب أو السلم بطول المده فالدهر ملى بالجده ومستوعب العده والمسلمون اخوانكم اليوم قد شغلوا بأنفسهم عن جبركم وسلوا الله فى نصركم ونشبت الايدى ولا حول ولا قوة الا بالله بثغركم وأنتم ممن تركت رسوم الجهاد خالية خاويه ورياض الكتائب المنصورة ذابلة ذاويه فان لم تشمروا لما بين أيديكم فى هذه البرهة فماذا تنتظرون واذا لم تستنصروا بالله مولاكم فبمن تستنصرون واذا لم تستعدوا فى المهل فمتى تستعدون لقد خسر من رضى فى الدنيا والآخرة بالدون فلا تأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ومن المنقول عن الملل والمشهور فى الاواخر والاول ان المعصية اذا فشت فى قوم أحاط بهم سوء كسبهم وأظلم ما بينهم وبين ربهم وانقطعت عنهم الرحمات ووقعت فيهم المثلات والنقمات وشحت السماء وغيض الماء واستولت الاعداء وانتشر الداء وجفت الضروع وأخلفت الزروع فوجب علينا أن نسمعكم بالموعظة الحسنه والذكرى التى توقظ من السنه ونقرع آذانكم بقوارع الالسنه فافزعوا الشيطان

بوعيها وتقربوا الى الله تعالى برعيها الصلاة الصلاة فلا تهملوها ووظائفها المعروفة فكملوها فهي الركن الوثيق والعلم الماثل على جادة الطريق والخاصة التي تميز بها هذا الفريق وبادروا صفوفها الماثلة وأتبعوا فريضتها النافلة وأشرعوا الى تاركها أسنة الانكار واغتنموا بها نواشئ الليل وبوادي الاسحار والزكاة أختها المنسوبة ولدتها المكتوبة المحسوبة فمن منعها فقد بخل على مولاه باليسير مما أولاه وما أحقه بذهاب هبة الوهاب وأولاه فاشتروا من الله تعالى كرائم أموالكم بالصدقات وأنفقوا في سبيله يربحكم أضعاف النفقات وواسوا سؤالكم كلما نصبت الموائد وأعدت للترفه العوائد وارعوا حق الجوار وخذوا على أيدي الذعرة والفجار وأخرجوا الشنآن من الصدور واجعلوا صلة الارحام من عزم الامور وصونوا عن الاغتياب أفواهكم ولا تعودوا السفاهة شفاهكم وأقرضوا القرض الحسن الهكم وعلموا القرآن صبيانكم فهو أس المبنى وازرعوه في تراب ترائبهم فعسى أن يجنى ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح وردوا السلام على من بتحية الاسلام أفصح وجاهدوا أهواءكم فهي أولى ما جاهدتم وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وثابروا على حلق العلم والتعلم وحفوا بها في التكلم وتعلموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله وتبين أنكم أهله فمن القبيح أن يقوم أحدكم على وقاية بزه وشعيره ورعاية شانه وبعيره ولا يقوم على شئ يخلص به قاعدة اعتقاده ويعده نجاة ليوم معاده والله عز وجل يقول وأقوله يرحل المتبعون أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وأنفوا من الحوادث الشنيعة والبدع التي تفت في عضد الشريعة فقد شق علينا الملتبسة بأهل التصوف الفار ونال حلتها بل جلتها بانحياضهم الصغار وتؤول المعاد والجنة والنار واذا لم يغر الرجل على دينه ودين أبيه فعلى من يغار فالانبياء الكرام وورثتهم العلماء هم أئمة الاقتداء والكواكب التي عينها الحق للاهتداء فاحذروا معاطب هذا الداء ودسائس هذه الاعداء وأهم ما صرفتم اليه الوجوه واستدفعتم به المكروه العمل بأمره جل وعلا في الآية المتلوه والحكمة السافرة المجلوه من ارتباط الخيل واعداد القوه فمن كان ذا سعة في رزقه فليقم لله بما استطاع من حقه وليتخذ فرسا يعمر محله بصهيله ويقتنه من أجل الله وفي سبيله فكم يتحمل من عيال بلغي مرضاة من باتخاذ زينه ويتنافس في أن يكون من أشراف المدينه ومؤنة الارتباط أقل وعلى الهمة والدين أدل الى ما فيه من حماية الحوزه واظهار العزه ومن لم يحسن الرمي فليتدرب وباتخاذ السلاح الى الله فليتقرب وقبل الرمي تراش السهام وعلى العباد الاجتهاد وعلى الله التمام والسكة الجارية في معاملاتكم وأثمان العروض التي بأيديكم من احتف حروفها ونكر معروفها أو ساهم في قبول زيف أو بخوس حيف فقد اتبع هواه وشان نفسه وسواه قال الله عز وجل أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين ولتعلموا أن نبيكم صلوات الله عليه انما بعثه الله مجاهدا وبالحق قاضيا وعن الهفوات

حلها متفاضيا فتمسكوا بحبله ولا تعدلوا عن سبله يردكم الله تعالى من مهله ويراعيكم
من أجله مراعاة الرجل لجله فهو الذى يقول وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون وان كان فى وطنكم اليوم سعة وقد ألحفكم أمن من
الله تعالى ودعة فاحسبوا انكم فى بلد محصور وبين طى أسد هصور واكتنفكم
بحر يعب عبابه ودار بكم سور يسد عدوكم بابه ولا يدرى متى ينتهى السلم وينشعب
الكلم فان لم تكونوا بناء مرصوصا وتستشعروا الصبر عموما وخصوصا أصبح الجناح
مقصوصا والرأى قد سلبته الحيرة والمال والحريم قد سلبت فيه الضغانة والغيرة
وان شاء الله تهب ريح الجنة ونصرة القوس على الخيالات الوحشية فان العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين والله متم نوره على رغم الجاحدين وكره الكافرين وكم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واعتقدوا أن الله تعالى لم يجعل
الظهور مقرونا بعدد كثير ولو مثل جراد منزرعة أثارها مثير بل بالخلاص لا يبقى لغير
الله افتقارا ونفوس توسع ما سوى الحق اقتدارا ووعد بصدق وبصائر أبصارها الى
مثابة الجزاء تحدق وهذا الدين ظهر مع القربة وشظف التربة فلم ترعه الاكاسرة
وخيولها والقياصرة وخيولها دين حنيف وعلم منيف من وجوه شطر المسجد الحرام
تولى وآيات على سبعة أحرف تتلى وزكاة من الصميم تنتقى ومعارج ترتقى وورع
وجهاد ومواسم وأعياد ليس الا تكبير شهير وأذان جهير وقوة تعد وثغور تسد
وفىء يقسم وتحرير يرسم ونصيحة تهدى وأمانة تؤدى وصدقة تخفى وتبدى وصدور
تشرح وتشفى وخلق على خلق القرآن تحذى وتقفى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا العقد قد حصل والوعد به قد عجل اليوم أكملت لكم دينكم الى دينا ولا ينقطع
لهذا الفرع عادة وصله ما دام شبيها بأصله وانما هو حلب لكم زبدته الممخوضة وخلاصته
المعروضة والعاقبة للمتقين ولتعلمن نبأه بعد حين وحضرتكم اليوم قاعدة الدين
وغاب المجاهدين وقد اخترعت بنا أيام هذه وأيام والدنا المقدس الآثار الكبار
والحسنات التى تنوقلت بها الاخبار وأعقبت الى زمنكم الحسنة المذخورة والمقبة
المبرورة وهى بيمارستان يقيم منكم المرضى المطرحين والضعفاء المغتربين منهم والمعترضين
فى كل حين فأنتم تعاونتم بالاقدام على مر الايام يتعارون اليكم بالعيون الكليلة
ويعربون عن الاحوال الذليلة وضرورتهم غير خافية وما أنتم بأولى منهم بالعافية
والجانبين تكثرهم الوقائع وتفتر منهم امانة العهد الذائع عار تحماره الشرائع
وفى مثله تسد الذرائع وقد فضلتم أهل مصر وبغداد بالرباط الدائم والجهاد فلا أقل
من المساواة فى معنى والمنافسة فى مبنى يذهب عنكم لوم الجوار ويزيل عن وجوهكم
سمات العار ويدل على همتكم وفضل شيمتكم أهل الاقطار وكم نفقة تلفت
على الرجل فى مشروع ومرض اعتراه على ممنوع فأسرعوا فى التطرق هذا الامر خير
مشروع ولولا اهتمامنا بمرتفقة ديوانكم واعدادنا مال الجباية للمجاهدين من
اخوانكم لسبقناكم الى هذه الزلفه وكفينا فى هذا العمل الصالح بتحمل الكلفه ومع

ذلك

ذلك فاذا قدنا كم الى الجنة بنيانه وأسهمناكم فى فريضة أجره وثنائه فنحن ان شاء الله تعالى نعين له الاوقاف التى تجرى عنها الارفقه وتتصل عليه بها الصدقه تأصيلا لفخركم واطابة فى البلاد لذكركم فليشاور أحدكم همته ودينه ويستخدم يساره فى طاعة القصد الكريم ويمينه ونسأل الله تعالى أن يوفق كلا لهذا القصد ويعينه ومن وراء هذه النصائح عزم ينهيها الى غايتها ويجبر الكافة على اتباع رأيها وراياتها فأعملوا الافكار فيما تضمنته من الفصول وتلقوا داعى الله تعالى فيها بالقبول والدنيا مزرعة الآخره وكم معتبر للنفوس الساخره بالعظام الناخره يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وأنتم اليوم أحق الناس بقبول الموعظة نفوسا زكيه وفهوما لا قاصرة ولا بطيه وموطن جهاد ومستبق غمام من رحمة الله تعالى وعهاد وبقايا السلف بالارض التى فتحوا فيها هذا الوطن وألقوا فيها العطن فالى أين يذهب حسن الظن بأديانكم وصحة ايمانكم وتساوى اسراركم واعلانكم اللهم انا قد خرجنا اليهم عن العهدة المتحمله وبلغناهم نصيحتك المكمله ووعدناهم مع الامتثال رحمتك المؤمله فيسرنا واياهم لليسرى وعرفنا الطائفة التى تخفى فيها اليسرى ولا تجعلنا ممن صم عن النداء وأصبح شماتة الاعداء فاذل من استنصر بجنابك ولا ضل من استبصر بسنتك وكتابك ولا انقطع من توسل بأسبابك والله سبحانه يصل لكم عوائد الصنع الجميل ويحملكم وايانا من التوفيق على أوضح سبيل ويصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى

(ومن ذلك قوله رحمه الله تعالى على لسان السلطان بعد كلام)

الله الله فى الهمم فقد خمدت ريحها والله الله فى العقائد فقد خبت مصابيحها والله الله فى الرجوليه فقد فل حدها والله الله فى الغيرة فقد تعس جدها والله الله فى الدين فقد طمع الكفر فى تحويله والله الله فى الحريم فقد مد الى استرقاقه يد تأميله والله الله فى الملة التى يريد اطفاء سناها وقد كمل فضلها وتناهى والله الله فى الحريم والله الله فى الدين الكريم والله الله فى القرآن والله الله فى الجيران والله الله فى الطارف والتالد والله الله فى الوطن الذى توارثه الولد عن الوالد اليوم تستأسد النفوس المهينه اليوم يستنصر الصبر والسكينه اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمم اليوم يسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشمم اليوم يرجع الى الله المصرون اليوم يفيق من نوم الغفلة المغترون قبل أن يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب ويحيق العذاب ويسترق الكفر الرقاب فالنساء تقى بأنفسهن أولادهن الصغار والطيور ترفرف لتحمى الاوكار اذا أحست العيث بأفراخها والاضرار تمر الايام عليكم مر السحاب وذهاب الليالى لكم ذهاب فلا خبر يفضى الى العين ولا حديث فى الله تعالى يسمع بين اثنين ولا كذا الا زينة يحلى بها نحر وجيد ولا سعى الا متاع لا يغنى فى الشدائد ولا يفيد وبالامس ندبتم الى التماس رحمى مسخر السحاب واستقالة كاشف العذاب وسؤال مرسل الديمه ومحيى البشر والبهيمه وقد أمسك عليكم رحمة السماء واغبرت

جوانبكم الحضرة احتيابا الى بلالة الماء وفى السماء رزقكم وما توعدون والبها الاكف تمدون وأبواب اجابة الدعاء تقصدون فلم يصدر منكم عدد معتبر ولا ظهر للانابة ولا الصدقة خبر وتتوقفون من اعادة الرغبة الى الولى الحميد والغنى الذى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وايم الله لو كان لهو الارتقبت الساعات وضاقت المتسعات وتزاحمت على ابديته الجماعات أتعززا على الله وهو القوى العزيز أتلبيسا على الله وهو الذى ميز الخبيث من الطيب والشبه من الابريز أمنابذة والنواصى فى يديه أغرورا بالامل والرجوع بعد اليه من يبدأ الخلق ثم يعيده من ينزل الرزق ويفيده من يرجع اليه فى الملمات من يرجى فى الشدائد والازمات من يوجد فى المحيى والممات أفى الله شك يختلج القلوب أثم غير الله يدفع المكروه وييسر المطلوب تفضلون على اللبا اليه موائد الفضل وتره الجاهل وطائفة منكم قد برزت الى استمطار رحمته تمد اليه الايدى والرقاب وتستكشف بالخضوع لعظمته العقاب وتستعجل الى مواعيد اجابته الارتقاب وكأنكم عن كرمه قد استغنيتم أو على الامتناع من الرجوع اليه بنيتم أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله عليه من التبلغ باليسير والاستعداد للرحيل الى دار الملك والمصير ومداومة الجوع وهجر الهجوع والعمل على الاياب الى الله تعالى والرجوع دخلت فاطمة رضى الله تعالى عنها وبيدها كسرة شعير فقال ما هذه يا فاطمة فقالت يا رسول الله خبزت قرصة وأحببت أن تأكل منها فقال يا فاطمة أما انه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر فى اليوم سبعين مرة يلتمس رحماه ويقوم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى ورمت قدماه وكانت شأنه الجهاد ودأبه الجد والاجتهاد ومواقف صبره تعرفها الربا والوهاد ومقامات رفقه تحوم على مراتبها الزهاد فاذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون واذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون واذا لم ترضوا باتباعكم فكيف تعترون اليه وتنتسبون واذا لم ترغبوا الى الاتصاف بصفاته غضبا لله تعالى وجهادا وتقللا من العرض الادنى وسهادا ففيم ترغبون فابتروا حبال الآمال فكل آت قريب واعتبروا بمثلات من تقدم من أهل البلاد والقواعد فذهولكم عنها غريب وتفكروا فى منابرها التى يعلو عليها واعظ وخطيب ومطيل ومطنب ومساجدها المتعددة الصفوف والجماعة المعمورة بأنواع الطاعة وكيف أخذ الله تعالى فيها بذنب المترفين من دونهم وعاقب الجمهور بما اغضوا عنه عيونهم وساءت بالغفلة عن الله تعالى عقبى جميعهم وذهبت النقمات بعاصيهم ومن داهن فى أمره من مطيعهم وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الأذان هذا والناس ناس والزمان زمان فما هذه الغفلة عمن اليه الرجعى واليه المصير والى متى التساهل فى حقوقه وهو السميع البصير وحتى متى مد الامل فى الزمن القصير والى متى نسيان الملجا الى الولى النصير قد تداعت الصلبان متراكبة عليكم وتحركت الطواغيت من كل جهة اليكم أيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم والسنة الآيات تناديكم لم تمح سطورها ولا احتجب نورها وأنتم بقايا من قصها من عدد قليل

وصابرفيها كل خطب جليل فوالله لو تمحض الايمان ورضى الرحمن ما ظهر التلبس
فى هذه الجزيرة على التوحيد ولا عدم الاسلام فيها عادة التأييد لكن شمل الداء وصم
المداء وعميت الابصار فكيف الاهتداء والباب مفترح والفضل ممنوح فتعالوا
نستغفر الله جميعا فهو الغفور الرحيم ونستقبل مقيل العثار فهو الرؤف الحليم ونصرف
الوجوه الى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم سدت الابواب
وضعفت الاسباب وانقطعت الآمال الا منك يا فتاح يا وهاب يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم
مؤمنين يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أعدوا الخيل
وارتبطوها وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها فمن خاف الموت رضى بالدنيه
ولا بد على كل حال من المنيه والحياة مع الذل ليست من شيم النفوس السنيه واقتنوا
السلاح والعده وتعرفوا الى الله تعالى فى الرخاء يعرفكم فى الشده واستشعروا القوة
بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم واستميتوا من دون أبنائكم وكونوا كالبناء
المرصوص لحملات هذا العدو النازل بفنائكم وحوطوا بالتعويل على الله تعالى وحده
بلادكم واشتروا من الله جل جلاله أولادكم (تذكروا) أن امرأة احتمل السبع ولدها
وشكت الى بعض الصالحين فأشار عليها بالصدقة فتصدقت برغيف فأطلق السبع ولدها
وسمعت النداء يا هذه لقمة بلقمة وانا لما استودعناه لحافظون واهجروا الشهوات
واستدركوا البقية من بعد الفوات وأفضلوا لمساكينكم من الاقوات واخشعوا
لما أنزل الله تعالى من الآيات وخذوا نفوسكم بالصبر على الازمات والمواساة فى
المهمات وأيقظوا جفونكم من السنات واعلموا انكم رضعاء ثدى كلمة التوحيد
وجيران البلد الغريب والدين الوحيد وحزب التمحيص ونفر المرام العويص فتفقدوا
معاملاتكم مع الله تعالى ومهما رأيتم الصدق غالبا والقلب للمولى الكريم مراقبا
وشهاب اليقين ثاقبا فثقوا بعناية الله تعالى التى لا يغلبكم معها غالب ولا ينالكم
لاجلها عدو مطالب فانكم فى الستر الكثيف وكنف الخبير اللطيف ومهما رأيتم
الخواطر متبدده والظنون فى الله مترددة والجهات التى تخاف وترجى متعدده
والغفلة عن الله ملابسها متجدده وعادة دواعى الخذلان دائمه وأسواق الشهوات
قائمه فاعلموا أن الله تعالى منفذ فيكم وعده ووعيده فى الامم الغافلين، وانكم قد ظلمتم
أنفسكم ولا عدوان الا على الظالمين والتوبة ترد الشارد الى الله تعالى والله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وهو القائل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين
وما أقرب صلاح الاحوال مع الله تعالى اذا صحت العزائم وتوالت على حزب الشيطان
الهزائم وتجلت الدنيا الغرورية فى العيون وصدقت فيما عند الله الظنون. يا أيها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وتوبوا سراعا الى طهارة
الثوب. وازالة الشوب واقصدوا أبواب غافر الذنب وقابل التوب واعلموا أن سوء

الادب مع الله تعالى يفتح أبواب الشدائد ويسد طرق العوائد فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم ولا تأمنوا مكر الله فتغشوا ايمانكم ولا تعلقوا اسبابكم بالصرائر فهو علام السرائر وانما علينا أن ننصحكم وان كنا أولى بالنصيحه ونعتمدكم بالموعظة الصريحه والمبادرة علم الله تعالى عن صدق القريحه وان شاركناكم في الغفلة فقد سبقناكم الى الاسترجاع والاستغفار وانما لكم لدينا نفس مبذولة في جهاد الكفار وتقدم قبلكم الى مواقف الصبر التي لا ترضى بالفرار واجتهاد فيما يعود بالحسنى وعقبى الدار والاختيار لله ولي الاختيار ومصرف الاقدار وها نحن نسرع في الخروج الى مدافعة هذا العدو ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد والحريم المستضعف والاولاد ونصلى من دونهم نار الجلاد ونستوهب منكم الدعاء ان وعد باجابته فانه يقبل من صرف اليه وجه انابته اللهم كن لنا في هذا الاهتمام نصيرا وعلى أعدائك ظهيرا ومن انتقام عبدة الاوثان مجيرا اللهم قوّ من ضعفت حيلته فأنت القوي المعين وانصر من لا نصير له الا أنت فاياك نعبد واياك نستعين اللهم ثبت أقدامنا وانصرنا عند تزلزل الاقدام ولا تسلمنا عند لقاء عدو الاسلام فقد ألقينا اليك يد الاستسلام اللهم دافع عنا بملكك المؤمنين اللهم اجعلنا ممن تيقظ وتذكر من قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد وردت علينا المخاطبات من اخواننا المسلمين الذين عرفنا في القديم والحديث اجتهادهم وشكرنا في ذات الله تعالى جهادهم بني مرين أولي الامتعاض لله تعالى والحميه والمخصوصين بين القبائل الكريمة بهذه المزيه بعزمهم على الامتعاض لحق الجوار والمصارخة التي تليق بالاحرار والنعرة لانتهاك ذمار دينهم المختار وحركة سلطانهم بتلك الاقطار والامصار ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار فاسألوا الله تعالى اعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار والسعي الضمين للعز والاجر والفخار والسلام الكريم يخصكم أيها الاولياء ورحمة الله وبركاته انتهى

(ومما كتبه ابن لسان الدين رحمه الله تعالى على لسان سلطانه الغني بالله تعالى والنظر اليوم بعين الشفقة مأمورته) هذا كتاب كريم أصدرناه بتوفيق الله تعالى شارح الصدور مصلحا باعانة الله تعالى للامور ملتفنا العدل والاحسان الخاصة والجمهور يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرؤه ويتدبر ما لديه ما عاهدنا الله تعالى عليه من تأمين النفوس وحقن الدماء والسير في التجافي عنها على السنن السواء ورفع التشاور عن البعيد منها والقريب والمساواة في العفو والغفران بين البريء منها والمريب وجعل من يتطرق العداوة في باطن الامر محل الحبيب وترك ما يتوجه بامر المطالبات ورفض التبعات عما لا يعارض حكما شرعيا ولا يناقض سننا في الدين مرعيا فمن كان رهين تبعة أو طريد تهمة أو منبوزا في الطاعة بريبة توجب أن نريق دمه فقد سحبنا عليه ظلال الامان وألحفناه أثواب العفو والغفران ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق والاحسان حكما عاما وعفوا تاما فاشيا في جميع الطبقات منسحبا على الاصناف المختلفات

عاملنا فى ذلك من يتقبل الاعمال ولا يضيع السؤال واستغفرنا عن أنفسنا وعمن أخفأ
علينا من رعيتنا ممن يدرأ الشرع غلطته ويقبل الحق فيأته ومن يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما لما رأينا من سر اتفاق الاهواء والضمائر وخلوص القلوب والسرائر
فى هذا الوطن الذى احاط به العدو والبحر ومسه بتقدم الفتنة الضر وصلة لما أجراه الله
تعالى على أيدينا وهيأه بنا فى نادينا فلم يخف ماسكن بنا من نار فتنة ورفع من بأس
واحنه وكشف من ظلمه وسدل من نعمه وأصفى من مورد عافيه وأولى من عصمة
كافيه بعد ما تحربت الثغور وفسدت الامور واهتضم الدين واشتد على العباد
كلب الكافرين المعتدين ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائبا والشكر
واجبا ومن الله نسأل أن يتم نعمته علينا كما أتمها على أبوينا من قبل ان ربك حكيم
عليم ونحن قد شرعنا فى تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعداله والدين والجلاله
للتطوف فى البلاد الاندلسيه ومباشرة الامور بالبلاد النصريه ينهون الينا
ما يستطلعونه ويبلغون من المصالح ما يعرفونه ويقيدون ما تحتاج اليه الثغور
وتستوجبه المصلحة الجهادية من الامور ونحن نستعين بفضلاء رعيتنا وخيارهم
والمراقبين الله تعالى منهم فى ايرادهم واصدارهم على انهاء ما يخفى عنا من ظلامة تقع
أو حادث يبتدع ومن اتخذت بجواره خمر فاشيه أو نشأت فى جهته للمنكر ناشيه
نص تقلده العهده وطوقه القلاده ووراء تنبيهنا على ما خفى عنا من الشكر لمن أهداه
والحمد لمن أبلغه وأداه ما نرجو ثواب الله تعالى عليه والتقرب به اليه فمن أهدى
الينا شيأ من ذلك فهو شريك فى أجره ومقاسم فى مثوبته يوم ربح تجره وحسبنا الله ونعم
الوكيل انتهى * واذ أجرينا طرف القلم مل‍ء عنانه فيما للسان الدين رحمه الله تعالى
من النصائح والمواعظ والوصايا وما يرجع بالنفع على الخاصة وجمهور الرعايا مما كل دون
شأوه وقصر عن أمده مديد خطوه وقد تقدم فى هذا الكتاب من ذلك جمله وافره فلتراجع
فى محالها المتكاثره وقد آن أن نسرد فى هذا المحل الوصية التى أوصى لسان الدين رحمه
الله تعالى بها أولاده وهى وصية جامعة نافعة يحصل بها انتعاش لاشتمالها على ما لا بد
منه فى المعاد والمعاش (ونصها) الحمد لله الذى لا يروعه الحمام المرقوب اذا شيم نجمه
المثقوب ولا يبغته الاجل المكتوب ولا يفجؤه الفراق المعتوب ملهم الهدى
الذى تطمئن به القلوب وموضح السبيل المطلوب وجاعل النصيحة الصريحة من قسم
الوجوب لاسيما للولى المحبوب والولد المنسوب القائل فى الكتاب المعجز الاسلوب
أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب وأوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب وأشرف من خلعت
عليه حلل المهابة والعصمة فلا تقتحمه العيون ولا تصمه العيوب والرضا عن آله وأصحابه
المثابرين على لسان الاستقامة بالهوى المغلوب والامل المسلوب والاقتداء الموصل
المرغوب والعز والامن من اللغوب (وبعد) فانى لما علانى المشيب بقمته وفادنى
الكبر برمته واذكرت الشباب بعد أمته أسفت لما أضعت وندمت بعد الفطام على

ما رضعت وتأكد وجوب نصحي ان زمني رغبه وتعلق بعيني سعيه وأملت أن تتعدى
الى ثمرة استقامته وأنا رهين فوات وفي برزخ أموات ويأمن العثور الطريق التي
اقتفت عثاري ان سلك وعسى أن لا يكون ذلك على آثاري فقلت أخاطب الثلاثة
الولد وثمرات الخلد بعد الضراعة الى الله تعالى في توفيقهم وايضاح طريقهم وجمع
تفريقهم وأن يمن علي منهم بحسن الخلف والتلافي من قبل التلف وأن يرزق خلفهم
التمسك بهدي السلف فهو ولي ذلك والهادي الى خير المسالك اعلموا هداكم الله
تعالى الذي بأنواره تهتدي الضلال وبرضاه ترفع الاغلال وبالتماس قربه يحصل
الكمال اذا ذهب المال وأخلفت الآمال وتبرأت من يمينها الشمال أني مودعكم
وان سالمني الردى ومفارقكم وان طال المدى وما عدا مما بدا فكيف وأدوات السفر
تجمع ومنادي الرحيل يسمع ولا أقل للحبيب المودع من وصية محتضر وعجالة
مقتصر ووصية تعقد على خنصر ونصيحة تكون نشيدة واع مبصر تكفل لكم بحسن
العواقب من بعدي وتوضح لكم من الشفقة والحنو قصدي حسبما تضمن وعد الله من
قبل وعدي فهي أربح لكم من الذي لا يتغير وقفه ولا يبتاع لكم المكروه ما رف عليكم سقفه
وكأني بشبابكم قد شاخ وبراحلكم قد أناخ وبنشاطكم قد كسل واستبدل الصاب من
العسل ونصول الشيب تروع بأسل لا بل السام من كل حدب قد نسل والمعاد اللحد
ولا تسل فبالامس كنتم فراخ حجر واليوم أبناء عسكر مجر وغدا شيوخ مضيعة وهجر
والقبور فاغره والنفوس عن المألوفات صاغره والدنيا بأهلها ساخره والاولى تعقبها
الآخره والحازم من لم يتعظ به في أمره وقال بيدي لا بيد عمرو فاقتنوها من وصيه
ومرام في النصح قصيه وخصوا بها أولادكم اذا عقلوا ليجدوا زادها اذا انتقلوا
وحسبي وحسبكم الله الذي لم يخلق الخلق هملا ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا
ولا أرضى الدنيا منزلا ولا ألطف بمن أصبح عن فئة الخير منعزلا ولتعلموا انا لقينا ونعلوا
علما يقينا انكم لن تجدوا بعد أن أفرد بذنبي ويفترش التراب جنبي ويسح انسكابي
ويتزول عن المصلى ركابي أحرص مني على سعادة اليكم تجلب أو غاية كمال بسببكم ترتاد
وتطلب حتى لا يكون في الدين والدنيا أورف منكم ظلا ولا أشرف محلا ولا أغبط نهلا
وعلا وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخوا الى قولي الآذان وتستلهموا صبح نصحي
فقد بان وسأعيد عليكم وصية لقمان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس
ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من
صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير وأعيد وصية خليل الله واسرائيله حكم ما تضمنه
حكيم تنزيله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والدين الذي
ارتضاه واصطفاه وأكمله ووفاه وقرره مصطفاه من قبل أن يتوفاه اذا أعمل فيه
انتقاد فهو عمل واعتقاد وكلاهما مقرر ومستمد من عقل أونقل محرر والعقل

متقدم وباق مع رفض أشيه متقدم فالله واحد أحد فرد صمد ليس له والد ولا ولد
تنزه عن الزمان والمكان وسبق وجوده وجود الاكوان خالق الخلق وما يعملون
الذى لا يسأل عن شئ وهم يسألون الحى العليم المدبر القدير ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير أرسل الرسل رحمة لتدعوا الناس الى النجاة من الشقاء وتوجه الحجة فى مصيرهم
الى دار البقاء مؤيدة بالمعجزات التى لا تتصف أنوارها بالاختفاء ولا يجوز على تواترها
دعوى الانتفاء ثم ختم ديوانهم بنبى ملتنا المرعية المهمل الشاهدة على الملل فتخصصت
الطاعه وتعينت الامرة المطاعه ولم يبق بعده الا ارتقاب الساعه ثم ان الله تعالى
قبضه اذ كان بشرا وترك دينه يضم من الامة نشرا فمن تبعه لحق به ومن تركه تورط عنه
فى منسبه وكانت نجاته على قدر سببه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
تركت فيكم ما ان تمسكتم به لم تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى فعضوا عليهما بالنواجذ فاعملوا
يا بنى بوصية من ناصح جاهد ومشفق شفقة والد واستشعروا حبه الذى توفرت
دواعيه وعواصر اشد هديه فبادروا زواعيه وصلوا السبب بسببه وآمنوا بكل ما جاء به
مجملا أو مفصلا على حسبه وأوجبوا التجلة لصحبه الذين اختارهم الله تعالى لصحبته
واجعلوا محبتكم اياهم من توابع محبته واشملوهم بالتوقير وفضلوا منهم أولى الفضل
الشهير وتبرؤا من العصبية التى لم يدعكم اليها داع ولا تتبع التشاجر بينهم أذن واع
فهو عنوان السداد وعلامة سلامة الاعتقاد ثم اصحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة
وأئمتها الجلة فهم صقلة نصالهم وفروع ناشئة من أصولهم وورثتهم وورثة رسولهم
واعلموا انى قطعت فى البحث زمانى وجعلت النظر شانى منذ برانى الله تعالى وأنشانى
مع نبل يعترف به الشانى وادراك يسلمه العقل الانسانى فلم أجد خابط ورق ولا مصيب
عرق ولا نازع خطام ولا متكفف فطام ولا مقتحم بحر طام الا وغايته التى يقصدها قد
رضيتها الشريعة وسبقتها وفرعت ثنيتها وارتقتها فعليكم بالتزام جادتها السابلة
ومصاحبة رفقتها الكاملة والاهتداء بأقمارها غير الآفلة والله تعالى يقول وهو أصدق
القائلين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين
وقد علت شرائعه وراع الشكوك رائعه فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين وابذلوا دونه
النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود فى النار أبد الآبدين ولا يضر مفقود
مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الاولاد عن
الوالدين اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين فاحذروا المعاطب التى توجب فى الشقاء
الخلود وتستدعى شوه الوجوه ونضج الجلود واستعيذوا برضا الله من سخطه وادرؤا
بنفوسكم عن غمطه واربعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم
ولا تحمدوا على جيفة العرض الزائل ائتلافكم واقنعوا منه بما تيسر ولا تأسوا على
ما فات وتعذر فانما هى دجنة ينسخها الصباح وصفقة يتعاقبها الخسار والرباح
ودونكم عقيدة الايمان فشدوا بالنواجذ عليها وكفكفوا الشبه أن تدنوا اليها
واعلموا أن الاخلال بشئ من ذلك خرق لا يرفوه عمل وكل ما سوى الراعى همل وما بعد

الرأس في صلاح الجسم أمل وتمسكوا بكتاب الله تعالى حفظا وتلاوة واحملوا أنفسكم على
حمل التكليف علاوة وتفكروا في آياته ومعانيه وامتثلوا أوامره ونواهيه ولا تتأولوا
ولا تغلوا فيه وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه وأكثروا من بواعث حبه
وصونوا شعائر الله صون المحترم واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الاسلام حتى
لا ينخرم الله الله في الصلاة ذريعة النجاة وخاصة الملة وحاقنة الدم وغنى المستأجر
المستقدم وأم العبادة وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة والناهية عن
الفحشاء والمنكر وان عرض الشيطان عرضهما ووطأ النفس الامارة مهادهما وأرضهما
والوسيلة الى بل الجوانح ببرود الذكر وايصال تحفة الله الى مريض الفكر وضامنة
حسن العشرة من الجار وداعية المسالمة من الفجار والواسمة بسمة السلامة والشاهدة
للعبد برفع الملامة وفاسول الطبع اذا شابه طبع والمسير الذي كل ما سواه تبع
فاصبروا النفس على وظائفها ما بين بدء واعادة فالخير عادة ولا تفضلوا عليها الاشغال
البدنية وتؤثروا على العلية الدنية فان أوقاتها المعينة بالاهلال تلتبس والفلك بها
من أجلكم لا يحتبس واذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الاصيل والحكم الذي
لا يغيره الغدو ولا الاصيل والوظائف بعد أدائها لا تفوت وأين حق من يموت من حق
الحي الذي لا يموت وأحكموا أوضاعها اذا أقمتموها وأتبعوها النوافل ما أطقتموها
فبالاتقان تفاضلت الاعمال وبالمراعاة استحقت الكمال ولا شكر مع الاهمال
ولا ربح مع اضاعة رأس المال وذلك أحرى باقامة الفرض وأدعى الى مساعدة البعض
البعض والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها
والاعضاء نظفوها ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها والى الطول والفرد
فأطيلوها والنيات في كل ذلك فلا تهملوها فالبناء بأساسه والسيف برأسه واعلموا
أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور وذكر جهور وغير جهور تستغرق الاوقات
وتنازع شتى الخواطر المفترقات فلا يضبطها الا من ضبط نفسه بعقال واستعاض
صدأه بصقال وان تراخى فهو البياع وسرقته الطباع وكان لما سواها أضيع فضل
الضياع والزكاة أختها الحبيبة ولدتها القريبة مفتاح السعادة بالعرض الزائل
وشكران المسئول على الضد من درجة السائل وحق الله تعالى في مال من أغناه
ان أجهده في المعاش وعناه من غير استحقاق مل يده واستعلاء يد أخيه ولا علة الا القدر
الذي يخفيه وما لم يأت حظ الله تعالى فلا خير فيه فاسمحوا بفريقها الحاضر لا نراجعها
في اختيار عرضها وارتجاعها واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل
وخالفوا الشيطان كلما عذل واذكروا خروجكم الى الوجود لا تملكون ولا تدرون
أين تسلكون فوهب وأقدر وأورد بفضله وأصدر ارتقب بكرمه الوسائل أو يقيم
الحجج والدلائل فابتغوا اليه الوسيلة بماله واعتقوا رضاه ببعض نواله وصيام
رمضان عبادة السر المقربة الى الله زلفى المعوضة لمن يعلم السر وأخفى مؤكدة
بصيام الجوارح عن الآثام والقيام ببر القيام والاجتهاد وايثار السهاد على المهاد

وان

وان وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعيه ولواحقه الشرعيه فبذلك تحسن الوجوه وتحصل من الرقة على ماترجوه وتذهب قسوة الطباع ويمتد في ميدان الوسائل الباع والحج مع الاستطاعة الركن الواجب والفرض على العين لايحجبه الحاجب وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنه وقال ليس له جزاء عند الله الا الجنه ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى ان كانت لكم قوة عليه وغنى لديه فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه وان عجزتم فأعينوا من يستطيعه هذه عمد الاسلام وفروضه ونقود مهره وعروضه فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من يناويكم ظاهرين وتلقوا الله لامبدلين ولامغيرين ولاتضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الالقاب وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدى السامع فالعلم مفتاح هذا الباب والموصل الى اللباب والله عز وجل يقول قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولوا الالباب والعلم وسيلة النفوس الشريفه الى المطالب المنيفه وشرطه الخشية لله تعالى والخيفه وبضاعة الملا الاعلى وصفة الله في كتبه التي تتلى والسبيل في الآخرة الى السعاده وفي الدنيا الى التجلة عاده والذخر الذي قليله يشفع وكثيره ينفع لايغلبه الغاصب ولايسلبه العدو المناصب ولايبتزه الدهر اذا مال ولايستأثر به البحر اذا هال من لم ينله فهو ذليل وان كثرت آماله وقليل وان جم ماله وان كان رتبة قدفات اكتسابكم وتعلق حسابكم فالتمسوه لبنيكم واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم واحملوهم على جمعه ودرسه واجعلوا طلباءهم نزى اغرسه واستسهلوا ماينالهم من تعب من جراه وسهر يهجر له الجفن كراه تعقدوا لهم ولاية عز لاتعزل وتحلوهم مثابة رفعة لايحط قارعها ولايستنزل واختاروا من العلوم التي يعقبها الوقت فلا ينالها في غيره المقت وخير العلوم علوم الشريعه ومانجم عنابتها المريعه من علوم لسان لاتستغرق الاعمار فصولها ولايضايق ثمرات المعاد حصولها فانما هي آلات لغير وأسباب الى خير منها وشر فمن كان قابلا للازدياد وآنس من نفسه ذا انقياد فليخص تجويد القرآن بتقديمه ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنه المهدى كنوز الكتاب والسنه ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله والتدرب في طرق النظر وتصحيح الادله وهذه هي الغاية القصوى في المله ومن قصر ادراكه عن هذا المرمى وتقاعد عن التي هي اسمى فليروا الحديث بعد تجويد الكتاب واحكامه وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب امامه واياكم والعلوم القديمه والفنون المهجورة الذميمه فأكثرها لايفيد الاتشكيكا ورأيا ركيكا ولايثمر في العاجلة الااقتحام العيون وتطريق الظنون وتطويق الاعتقاد وصمة الصغار وخمول الاقدار والخسف من بعد الابدار وحاد الشريعة اعرق في الاعتدال وأوفق من قطع العمر في الجدال هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه وملتمس الرشد وموليه عادت عليه بالسخطة الشنيعه وهو امام الشريعه فلا سبيل

فى اقتحامها والتورط فى ازدحامها ولا تعطوا بأيديكم بجماحها الا ما كان من حساب وصاحبه وما يعود بجدوى فلاحه وعلاج يرجع على النفس والجسم براحه وما سوى ذلك فمحجور وشرّ مسجور وعثوت مهجور وأمروا بالمعروف أمرا رفيقا وانهوا عن المنكر نهيا جاريا بالاعتدال حقيقا واغبطوا من كان من سنة الفضل مفيقا واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقا وأطيعوا أمر من ولاه الله تعالى من أموركم أمرا ولا تقربوا من السنة هجرا ولا تداخلوا فى الخلاف زيدا ولا عمرا وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين وأهم ما أنشئ عليه الآباء السنة البنين وأكرم منسوب الى مذهبه ومن أكثر من شئ عرف به وإياكم والكذب فهو العورة التى لا توارى والسوأة التى لا يرتاب فى عارها ولا يتمارى وأقل عقوبات الكذاب بين يدى ما أعدّ الله له من العذاب أن لا يقبل صدقه اذا صدق ولا يعوّل عليه ان كان بالحق نطق عليكم بالأمانة فالخيانة لوم وفى وجه الديانة كلوم ومن الشريعة التى لا يعذر بجهلها أداء الأمانات الى أهلها وما فضلوا على الحشمة والصيانة ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ولا توجدوا للغدر قبولا ولا تقروا عليه طبعا مجبولا وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين فى سهل ولا حزن ولا تبخسوا الناس أشياءهم فى كيل أو وزن واتقوا الله أن تعينوا فى سفك الدماء ولو بالاشارة أو الكلام أو ما يرجع الى وظيفة الأقلام واعلموا أن الانسان فى فسحة ممتدة وسبيل الله تعالى غير منسدة ما لم ينبذ الى الله تعالى بأمانه ويغمس فى الدم الحرام يده أو لسانه قال الله تعالى فى كتابه الذى هدى به سننا قويما وجلى من الجهل والضلال ليلا بهيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه وامتد فى سبيل السعادة باعه لو لم تتلق نور الله الذى لم يهد شعاعه فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ولا عدم اقتناعه ومن غلبت غرائز جهله فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله والله قد أعدّ للزانى عذابا وبيلا وقال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا والخمر أم الكبائر ومفتاح الجرائم والجرائر واللهو لم يجعله الله فى الحياة شرطا والحزم قد أغنى عنه بالحلال الذى سوّغ وأعطى وقد تركها فى الجاهلية أقوام لم يرضوا العقولهم بالفساد ولا لنفوسهم بالمضرّة فى مرضاة الأجساد والله تعالى قد جعلها رجسا محرّما على العباد وقرنها بالأنصاب والأزلام فى مباينة السداد ولا تقربوا الربا فانه من مناهى الدين والله تعالى يقول وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين وقال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فى الكتاب المبين ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه والتمسوا الحلال يسعى فيه أحدكم على قدمه ولا يكل اختياره الا الثقة من خدمه ولا تلجأوا الى المتشابه الا عند عدمه فهو فى السلوك الى الله تعالى أصل مشروط والمحافظ عليه مغبوط وإياكم والظلم فالظالم ممقوت بكل لسان مجاهر الله تعالى بصريح العصيان والظلم ظلمات

يوم القيامة كما ورد فى الصحاح الحسان والنميمة فساد وشتات لايبقى عليه متات وفى الحديث لايدخل الجنة قتات واطرحوا الحسد فما ساد حسود واياكم والغيبة فباب الخير معها مسدود والبخل فما روى البخيل وهو مودود واياكم وما يعتذر منه فواقع الخزى لاتستقال عثراتها ومظنات الفضائح لاتؤمن غمراتها وتفقدوا أنفسكم مع الساعات وأفشوا السلام فى الطرقات والجماعات ورقوا على ذوى الزمانات والعاهات وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات وعوّلوا عليه وحده فى الشدائد واذكروا المساكين اذا نصبتم الموائد وتقرّبوا اليه باليسير من ماله واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق اليه المحتاط لعياله وارعوا حقوق الجار واذكروا ما ورد فى ذلك من الآثار وتعاهدوا أولى الارحام والوشائج البادية الالتحام واحذروا شهادة الزور فانها تقطع الظهر وتفسد السر والجهر والرشا فانها تحط الاقدار وتستدعى المذلة والصغار ولاتسامحوا فى لعبة قمر ولاتشاركوا أهل البطالة فى أمر وصونوا المواعيد من الاخلاف والايمان من حنث الاوغاد والاجلاف وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ولاتلهجوا بالآمال العجاف ولاتكلفوا بالكهانة والارجاف واجعلوا العمر بين معاش ومعاد وخصوصية وابتعاد واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد وأن الخلق بين زرع وحصاد وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم واحذروا القواطع عن السعادة كما تحذر السموم واعلموا أن الخير أو الشر فى الدنيا محال أن يدوم وقابلوا بالصبر اذاية المؤذين ولاتعارضوا مقالات الظالمين فالله لمن بغى عليه خير الناصرين ولاتستعظموا حوادث الايام كلما نزلت ولاتضجوا للامراض اذا أعضلت فكل منقرض حقير وكل منقض وان طال قصير وانتظروا الفرج وانتشقوا من جناب الله تعالى الاريج وأوسعوا بالرجاء الجوانح واجنحوا الى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد اليه جانح وتضرّعوا الى الله تعالى بالدعاء وألجأوا اليه فى البأساء والضرّاء وقابلوا نعم الله تعالى بالشكر الذى يقيد به الشارد ويعذب الوارد وأسهموا منها للمساكين وافضلوا عليهم وعينوا الحظوظ منها لديهم ففى الآثار ياعائشة أحسنى جوار نعم الله فانها قلما زالت عن قوم فعادت اليهم ولاتطغوا فى النعم فتقصروا عن شكرها وتلقيكم الجهالة بسكرها وتتوهموا أن سعيكم جلبها وجدكم حلبها فالله خير الرازقين والعاقبة للمتقين ولافعل الا لله اذا نظر بعين اليقين والله الله لاتنسوا الفضل بينكم ولاتذهبوا بذهابه زينكم وليلتزم كل منكم لأخيه ما يشتد به تواخيه بما أمكنه من اخلاص وبر ومراعاة فى علانية وسر وللانسان مزية لاتجهل وحق لايهمل وأظهروا التعاضد والتناصر وصلوا التعاهد والتزاور ترغموا بذلك الاعداء وتستكثروا الاوداء ولاتنافسوا فى الحظوظ السخيفه ولاتتهارشوا تهارش السباع على الجيفه واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان وطاعة النساء شر ما أفسد بين الاخوان فاذا أسديتم معروفا فلا تذكروه واذا برز قبيح فاستروه واذا أعظم النساء أمرا فاحقروه والله الله لاتنسوا مقارضة سجلى وبروا أهل مودتى

من أجلي ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد الذي لا يصلح لغير
الجهاد فلا يستهلكه أجمع في العقار فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار وساعيا لنفسه
ان تغلب العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ومعوقا عن الانتقال أمام النوب
الثقال واذا كان رزق العبد على المولى فالاجمال في الطلب أولى وازهدوا جهدكم
في مصاحبة أهل الدنيا فخيرها لا يقوم بشرها ونفعها لا يقوم بضرها وأعقاب من
تقدم شاهده والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ومن بلي بها منكم فليستظهر بسعة
الاحتمال والتقلل من المال وليحذر معاداة الرجال ومزلات الادلال وفساد
الخيال ومداخلة العيال وافشاء السر ومكر الاغترار فانه دأب الغر وليلبس
الديانه ويؤثر الصمت ويلازم الامانه ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ومهما
اشتبه عليه أمران قصد أقربهما الى الحق وليقف في التماس أسباب الجلال دون
الكمال غير النقصان والزعازع تسالم اللدن اللطيف من الاغصان واياكم وطلب الولايات
رغبة واستجلابا واستظهارا على المطلوب وغلابا فذلك شره بالمروآت والاقدار
داع الى الفضيحة والعار ومن امتحن بها منكم اختيارا أو جبر عليها اكراها وايثارا
فليتلق وظائفها بسعة صدره ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره
فالولايات فتنة ومحنه وأسر واحنه وهي بين اشطاط سعاده واخلال بعباده وتوقع
عزل وادالة بازاء ذل خلع جذع بزل ومزلة قدم واستتباع ندم وما كل العمر كله موت
ومعاد واقتراب من الله وابتعاد جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه وممن لا ينقطع
بسببه عمل أبيه هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها وتجارتي التي لربحكم
أدرتها فتلقوها بالقبول لنصحها والاهتداء بضوء صبحها وبقدر ما أمضيتم من فروعها
واستغشيتم من دروعها اقتنيتم من المناقب الفاخره وحصلتم على سعادة الدنيا
والآخره وبقدر ما أضعتم لآلئها الخفية القيم استكثرتم من بواعث الندم
ومهما سئمتم اطالتها واستغزرتم مقالتها فاعلموا أن تقوى الله فذلكة الحساب وضابط
هذا الباب كان الله خليفتي عليكم في كل حال فالدنيا مناخ ارتحال وتأميل الاقامة
فرض محال فالموعد للالتقاء دار البقاء جعل الله من وراء خطته النجاه ونفق
بضائعها المزجاه بلطائفه المرتجاه والسلام عليكم من حبيبكم المودع والله سبحانه
يلمه حيث شاء من شمل متصدع والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته
انتهت الوصية الفريدة في حسنها الغريبة في فنها البالغة نفوس الناظرين فيها فوق
ظنها ولاجل ذلك كان شيخ شيوخنا المؤلف الكبير الفقيه الامام قاضي القضاة العلامة
سيدي الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ الامام عالم المالكية صاحب التآليف العديدة
كالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندلس والمغرب وهو في ست
مجلدات لكان كافيا وله مصنفات كثيرة غيره أكثرها في مذهب مالك ولم يؤلف في
المذهب مثلها (رجع) الى ما كنا فيه (أقول) لم تزل عادة الاكابر من العلماء والملوك
الوصية لاولادهم وعمالهم باقتفاء النهج الذي يرون فيه السلوك • وقد وقفت للدة

الكاتب أبي عبد الله محمد بن الجنان المرسي الاندلسي رحمه الله تعالى على وصية ضمن رسالة كتبها عن ابن هود ملك الاندلس الى أخيه اشتملت على ما لابد منه فرأيت أن أذكرها هنا تتميما للفائدة (ونصها) بعد الصدر من مجاهد الدين وسيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل عليه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود أيده الله تعالى بنصره وأمده بتمكينه وأعانه على ما ينويه من احياء معالم دينه الى صنونا المبارك وقسيمنا المخصوص بتصيلنا وتكريمنا ومساهمنا المنتضى المرتضى لامضاء عزمنا وتصميمنا الامير الاعلى الموقر الاسمى الميمون النقيبة المحمود السجيه الاحب النبيه الاعز علينا المتمم مساعيه الصالحة كل ما نويناه أدام الله تعالى تظفيره واسعاده وأمضى في الحق قواضبه وصعاده ووالى معونته وانجاده وتولى توفيقه وارشاده سلام طيب كريم زاك يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته (أما بعد) فالحمد لله الذي أوضح للحق سبيلا ومد ظل رحمته على الخلائق ظليلا وجعل العدل بحفظ نظام الاسلام كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا ونصب معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا وألهم الى ما يرضاه عملا ومعتقدا وقيلا وصلواته الطيبه وبركاته الصيبه على سيد العالمين وخاتم النبيين محمد رسوله الذي فضله بخلته واصطفائه تفضيلا وبعثه بالحنيفية السمحة فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما أمره ربه اباحة وندبا وتحريما وتحليلا حتى ثبتت سنة الله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وصحبه الذين فهموا ما جاءهم به عليه الصلاة والسلام نصا وتأويلا وأبقوا من سيرهم الفاضله وأحكامهم العادله أساسا للمتقين جليلا ومآثر للمقتفين تسبح الافهام والاقلام في بحارها سبحا طويلا وأمضوا عزائمهم تنسخ بالحق باطلا وبالهدى تضليلا ورضوان الله تعالى يتوالى على خليفته وحامل أمانته الى خليقته الذي كمل الله تعالى له موجبات الامامة تكميلا وأناله من هدى النبوة أفضل ما كان للهداة منيلا سيدنا ومولانا الامام المنتصر بالله تعالى أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين المتبوئ من ساحة الشرف والجلالة محلا شريفا جليلا والمنتخب من جرثومة بيت الرسالة الذي وجد الوحي عنده معرسا ومقيلا والدعاء له من لدن العزيز القوي بنصر يأتي لامداده بعدد الملائكة قبيلا وفتح يولي الآمال من الظهور بغية وتأميلا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم عزما لا يزال عضبه صقيلا وعزا يروق باظهار الحق غرة وتحجيلا ورأيا للقداح السداد والنجاح مجيلا وسعدا يوصل الى الاسعاد برضاه توصيلا من حضرتنا بمرسية حرسها الله تعالى ونحن نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو على فضله الذي أناله جسيما جزيلا ونتوكل عليه توكل من يلجأ في كل أحواله اليه وكفى بالله وكيلا ونستعينه على أمور المسلمين التي حملنا منها امانة كبيرة وعبأ ثقيلا ونقف بالضراعة بين يديه طلبا لما نخلصنا لديه عساه أن يجعل لرغبتنا قبولا وتوسيلا ونعوذ به من كل عمل لا يكون حاصله الا ما كلا وبيلا وعرضا من الدنيا فربما متاعا قليلا انا والله المرشد لنعلم أن هذا الامر الذي قلدنا الله تعالى منه ما قلده وأسنده الينا من امور خلقه فيما أسنده قد ألزمنا من حقوقه الواجبه وفروضه الراتبه ما لا يستطاع

الا بمعونته أداؤه ولا يستتب الا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتداؤه فهو المشكور عز وجهه على نعمته والمستعان على ما يدني من رضاه ويقرب من رحمته وأن كل امرئ بشأنه مشغول وعن خويصة نفسه مسؤل ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون وعن الكبير والصغير مسؤلون وعلينا النصيحة لله في عباده وبلاده والنظر لهم بمنتهى جد المجتهد واجتهاده ولا قوة الا بالله عليه توكلنا وبه اليه توسلنا فعيننا تسهر لتنام الرعية عيونهم وتحركا يتصل ليحصل لهم سكونهم وأملنا أن لا نقرفيهم بحول الله تعالى ظلما ولا هضما ولا نخرم لهم في اقامة حقوق الله ما استطعنا نظاما وأني يتصرف عن هذا القصد بمهله ونيته من يعرف أن الله جل جلاله لا يجوز ظلم ظالم في بريته والى الله الذي حملنا ما حملنا واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا أن يهب لنا توفيقه ويسلك بنا الى هداه طريقه الا وان من وليناه أمرا من امور المسلمين فهو مطلوب به وموقوف عليه عند ربه فلينظر امرؤ في جزئية ما نيط به وكليته وليراقب فيما لديه عالم خفيته وجليته الا وكلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فمن حفظ الله حفظه الله في نفسه وماله وقضى له بالسعادة في حاله ومآله وأنجاه يوم عرضه وسؤاله والخلق عيال الله فأحبهم اليه أحبهم لعياله العدل العدل فبه قامت السموات والارض وباقامته أقيمت السنة والفرض اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقوى ما شتد به أركان الدين وتقوى أمانات الحق في أن لا نتعدى أساليب الشرع وقوانينه وأن لا يتجاوز في قضية من القضايا ايضاحه وتبيينه وأن يجازى بحكمه المسيؤن والمحسنون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون الا وانا قد عثرنا بالمعصر قوّاد الجهادية وحكامها على أمور أنكرنا معرفاتها واستقصينا مستوصفاتها وبرئنا الى الله تعالى من متغيراتها ومحرفاتها وعلمنا أنهم أقوام لا يتورعون عن الاموال والدماء ولا يحذرون فيما يأتون ويذرون جبار الارض والسماء فأزلنا بحمد الله ذلك ونحوه وجعلنا ابتغاء رضاه محقه ومحوه وابتعثنا النظر جديد واستئناف لاصلاح أحوال وتسديد وتغليظ في المحرمات وتشديد واستقبلنا ما أوسع الامور ربطا وضبطا ويفيض على الامة بعون الله تعالى عدلا وقسطا وتعين علينا امرا أن شاء انفاذ الخطاب الى كل من استكفيناه بالبلاد ووليناه النظر عنا في مصالح العباد بما يكون ان شاء الله تعالى الاعتماد على فصوله والاستناد الى محصوله والاجتهاد بحسب فروعه واصوله فأول ما نوصيكم به وأنفسنا تقوى الله في كل حال ومراقبة اوامره ونواهيه عند كل انفصال واتصال والوقوف عند حدوداته التي حدها وارصادها بازاء موجباته وعدها فانه لا يتعداها الا من رام تعفي رسمها وطمسه ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والمحافظة على ما به تحفظ الشريعة والملاحظة لما يضم الرعايا من حوزة أولى الحياطة المنيعة والمثابرة على ما تكف به أكف الاعتداء والمبادرة الى الاهتمام بالسلف الصالح والاقتداء والطريقة المثلى وآيات الله التي تتلى وهدايته التي لابصار البصائر تتجلى وخفض الجناح والاخذ بالرفق والاسجاح وتوخي الحق الذي هو أوضح آية للايمان فالق الاصباح والحلم والاناة والمذاهب المستحسنات والامور

البينات والله الله في الدماء فانها أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فيها ولا سبيل
لاستحلالها الا بعد ثلاث كفر بعد ايمان أو زنى بعد احصان أو قتل المسلم لاخيه وقد
قال مالك الامر والخلق ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فتثبتوا فيها فأمرها
جليل وتحريمها لا يدخله تحليل واياكم أن تجعلوا فيها لاحد من ولاة الجهاد حكما
أو نظرا أو تكلوا اليهم منها مستكثرا أو مستنزرا فانه اذا استبد بالقضاء فيها كل
وال ذهبت هدرا واستباحها الجاهل والجائر أشرا وبطرا وربما كان فيهم من في طباعه
سبعية فيقتل بها الناس قتلا ذريعا ويستسهل من ذلك بجوره صعبا ويرتكب بجهله شنيعا
ويذهل عن قول الله تعالى من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس
جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فأنى تحل المسامحة في هذا الشان أو يحكم
به كل انسان في نفوس أهل الايمان معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه أو ينصرف اليه
نظر فلا نزيله ولا نصرفه فسدوا هذا الباب سدا وصدوا عنه من أمه صدا وكفوا
كل ما كان من الايدي للدماء ممتدا ومن وجب عليه القتل شرعا وتعين واتضح موجب
القصاص فيه وتبين فليس لكم الا القاعدة الكبرى تجري فيها الاحكام عليه بمحضر
القاضي والشهود وكما يجب أن يتحرى بعد أن يتثبت في نازلته ويستجلى ويستبرا فلا تفصل
القضية الا على بصيره وحقيقة مستنيره فقد يلوح في اليوم ما خفي بالامس ويتعذر
بعد الاقادة اعادة النفس وملاك الامر في انتقاء من يتصرف وتولية من لا يضيم
ولا يحيف فتخيروا للانظار والجهات من ترتضى سيرته من الولاة ولا تستعملوا أهل
الفظاظة والجهاله والمصرين على الراحة والبطاله فانهم اذا استرعوا أضاعوا واذا
دعاهم شيطان الهوى أطاعوا واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا وميلوا
باختياركم الى المتسمين بالصلاح المرتسمين في ديوان الكفاة النصاح وأطيلوا مع ذلك
التنقير عنهم والتنقيب ولا تغفلوا عن التعهد بالبحث البعيد منهم والقريب ومن عثرتم له
على منكر من استباحة دم أو مال واضاعة للحقوق واهمال نفذوا على يده وجازوه
بفاسد مقصده وأنزلوه بالمنزل الاقصى وعاملوه معاملة من أوصى بتقوى الله فما
استوصى واصرفوا نظركم الى القضاة فان مدار الشريعة انما هو على ما يستقيم لديهم
ويتصرم من الاحكام عليهم فاذا كانوا من أهل العلم والديانه وذوي النزاهة والصيانه
أمسكهم الورع بزمامه وبلغ العهد بهم غاية تمامه واذا كانوا بضد هذا قبلوا الرشوه
وأوطأوا العثرة وأطالوا النشوه وأحلوا من الدماء والفروج محرمها وطمسوا من
السنة بالميل والمين معلمها وحكموا بالهوادة والهوى وطووا من الحق ما انتشر ونشروا
من الباطل ما انطوى فانتقوهم فهم أولى بالانتقاء وشر جاسرهم وجاهلهم أحق بالاتقاء
ولا تقدموهم ولا غيرهم بالشفاعات والوسائل ولكن قدموهم بتورعهم في القضايا
وعلمهم بالمسائل ومما نؤكد عليهم فيه أمر الشهود فان شهادة الزور هي الداء العضال
والقالة التي تستربها الظلمة والضلال والحجة الداحضة التي بها يحلل الحرام ويحرم الحلال
وقد كثر في هذا الزمان أهل الشهادة الفاسده ونفقت بهم سوق الاباطيل الكاسده

فتقدموا الى القضاة وتقدم الله تعالى أن لا يقبلوا الا من ورابز كاء وعدل موفى حظه من رجاحة وعقل ومن كان مغموزا عليه فى أحواله منبزا بالاسترابة فى شهادته وأقواله فلترد شهادته على أدراجها وليبطل ما يكون من حجاجها وأكدوا عليهم عند تعارض العقود فى الترجيح والنظر فى التعديل والتجريح لتجرى أمور المسلمين على متن الحق المتين وتبدو المعدلة مشرقة الغرة مؤتلفة الجبين ومما نأمركم به أن تجنبوا عن العمال ولا تولوا منهم الا الحسن الطريقة المرتضى الاعمال ومن لم يكن منهم جاريا على القوانين المرعية ناصحا لبيت المال رفيقا بالرعية وكان فى أمانته حائدا عن الجادة السوية فاقلا كما قال قبلا ابن المتنبه فليعوض منه غيره وليرفع عن الجانبين ضيره فانه ما كانت الخيانة قط فى شئ الا أهلكته ولا وضعت فى انسان طبيعة سوء الا ملكته وانما هو مال الله تعالى الذى يرزق منه الحماة وبه تسد الثغور المهمات فينبغى أن يحتاط فى اقتضائه وقبضه حاط الدين ومروءته فى كله وبعضه فخذوا فى استقصاء هذه الاصناف المسمين واطلبوا بهذه الاوصاف المصرحين والمولين واجعلوا من الاجتهاد الجهد ما قصد را الاعتماد الاثر والعين وأنصفوا منهم ان تظلم من أحدهم متظلم واشكوا شكوى كل متشك وألم كل متألم واعلموا أن حرمة الاموال كحرمة الدماء لاسيما وان احدى القضيتين للاخرى مساوية ولاحقه ومن أكبر ما ورد فى ذلك وأعظمه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وليكن الناس فى الحق سواء لا محاباة ولا مفاضلة ولا مجاورة فى تغليب قوى على ضعيف ولا محاولة ان هذه أمتكم أمة واحدة وان دلائل الشرع بمراد الله سبحانه وتعالى شاهدة ولا يؤخذن أحد بجريرة أحد ولا يجنى ولد على والد ولا والد على ولد فكتاب الله تعالى أولى بالاتباع وأحرى لقول الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر أخرى اللهم الا من آوى محدثا فانه مأخوذ بما أجرم وملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرفوا أعاننا الله تعالى واياكم العدل بكل علم منارا واتخذوا الرفق بالامانة شعارا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرفق لا يكون فى شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وقد نص الكتاب والسنة على مواضع اللين والاشتداد ونبها على منازع المقاربة والسداد فلا غضب لامرئ الا بما غضب له الله عز وجل ولا رضا به الا اذا استقر فيه رضا الله تعالى وحل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يجلد فوق ما أمر الله تعالى به يقول له الله عز وجل عبدى لم جلدت فوق ما أمرتك به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول أكان ينبغى لغضبك أن يكون أشد من غضبى ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدى لم قصرت عما أمرتك به فيقول رب رحمته فيقول أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتى قال فيأمر فيهما بشئ قد ذكره لم يحفظه الراوى الا انه قال صيروهما الى النار أعاذنا الله تعالى منها بفضله ورحمته فليوقف بالقضايا حيث وقف بها الشرع وليحفظ الاصل من هذه الوصايا والفرع واحتاطوا فى الرعية فانه رأس المال والامانة التى لا ينبغى أن يكون فيها شئ من الاهمال ومع توفيتكم لما سطرناه فى هذا الكتاب وشرحناه من أبواب الخير المسعد فى المآب والمآل

فاستوفوا

فاستوفوا ضروب الصالحات واستقصوها واعملوا أعمال البر وخصوها واذكروا آلاء الله وقصوها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واشتدوا فى تغيير المنكرات كلها واحسموا أدواءها من أصلها ورغبوا الناس فى الطاعات واندبوهم اليها ووضحوا لهم أعمالهم وحرضوهم عليها وانتهوا فى كل سعى ناجح ورأى راجح الى أفضل ما ينتهى اليه المتنصحون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وخذوا بعمارة مساجد الله التى هى بيوت الاتقياء ومحل مناجاة ذى العظمة والكبرياء انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ومروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فان تعليمه للصغار يطفئ غضب الرب ونعم الشفيع هو يوم القيامة والمتوسل فيما يتوج القارئ وأباه تاج الكرامه وأرشدوا الخير ما استطعتم واتبعوا سبيله فهو أشرف ما اتبعتم والله ولى التوفيق والارشاد والمجلى بالهداية الى طريق الفوز والسداد وهذه أوامرنا اليكم امتثالا لأمر الله تعالى فامتثلوها وأحضروها فى خواطركم مع كل لحظة ومثلوها وانما لما يكون منكم فيها المستمعون ولا تأثركم فيما يوفيها المطالعون وقد خرجنا اليكم عن عهدة لزمتنا فى التذكير وتبعنا اليكم منه التقديم والتأخير والله تعالى يعلم أنا انما قصدنا ما نرجو الخلاص به يوم الحساب وأردنا رضاه فيما أوردناه من هذا الخطر والايجاب لنرعى حقه سبحانه فيمن استرعانا ونسعى فى صلاح الامة عسى الله تعالى أن ينجح فيه مسعانا اللهم عبدك يضرع اليك ويخضع بين يديك فى أن تلهمه الى ما يجمل قصدا ومعتمدا وتهب له من لدنك رحمة وتهيئ له من أمره رشدا اللهم منك المعونة على ما وليت ولك الشكر على ما أوليت فالمهدى من هديت والخير كله فيما قضيت اللهم من أعاننا على مرضاتك فكن له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا انك الولى النصير العلى الكبير واذا وصلكم كتابنا هذا فاقصوه على الناس مفصلا ومجملا وأظهروا مضمونه لهم قولا وعملا واسلكوا بهم من مراشده سننا مستجملا ان شاء الله تعالى والله سبحانه يديم علاكم ويصل اعانتكم فى كل مجد وابداكم ويجزل حظوظكم من السعادة وأنصباكم بمنه وكرمه لا رب سواه والسلام الاكرم الازكى يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته وكتب فى الرابع والعشرين لجمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وستمائة انتهى ❁ وهذا ابن الجيان له الباع المديد فى النظم والنثر ومن شعره رحمه الله تعالى فى مرضه الذى توفى فيه وهو آخر كلامه

جهل الطبيب شكايتى وشكايتى ❁ ان الطبيب هو الذى هو ممرضى
فان ارتضى برئى تدارك فضله ❁ وان ارتضى سقمى رضيت بما رضى
مالى اعتراض فى الذى يقضى به ❁ لكن لرحمته جعلت تعرضى

ومن نظمه رحمه الله تعالى ملغزا فى بطيخة

وحبلى بابناء لها قد تعضوا ❁ بأحشائها من بعد ما ولدوها
كسوها غداة الميز بردا معصفرا ❁ على يقق أزرارها عقدوها

ولما رأوها قد تكامل حسنها • وأبدر منها طالع سعودها
اقتدوا قبس الدر بالبرق واجتلوا • أهلتها من بعد ما فقدوها
ولو أنصفوا ما أنصفوا بدر تمها • ولا أعدموا الحسناء اذ وجدوها

وقال أيضا ملغزا في الميل وهو المرود

مسترخص السوم غال • عال له أي خطوه
ما بارز الشمس قدرا • لكنه ألف شطره

وهذا استخدام ما به باس لانه اكتسى من الحسن خير لباس وكم لهذا الكاتب من محاسن مأؤها غير آسن وقد عرف لسان الدين في الاحاطة بابن الجنان وأطال في ترجمته ونشير الى بعض ذلك باختصار وهو محمد بن محمد بن أحمد الانصاري من أهل مرسية أبو عبد الله ابن الجنان كان محدثا راوية ضابطا كاتبا بليغا شاعرا بارعا رائق الخط دينا فاضلا خيرا زكيا استكتبه بعض أمراء الاندلس فكان يتبرم من ذلك ويقلق منه ثم خلصه الله تعالى منه وكان من أعاجيب الزمان في افراط القماءة حتى يظن رائيه الذي استدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها متناسب الخلقة لطيف الشمائل وقورا خرج من بلده حين تمكن العدو من قبضته سنة ٦٤٠ فاستقر باربولة الى أن دعاه الى سبتة الرئيس أبو علي بن خلاص فورد عليه فأجل وفادته وأجزل افادته وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه الى افريقية فاستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته وروى ببلده وغيره عن أبي بكر بن خطاب وأبي الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبي الربيع بن سالم وأبي عيسى ابن أبي السداد وأبي علي الشلوبين وغيرهم وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ونظم في المواعظ للمذكرين كثيرا انتهى مختصرا والا فترجمته في الاحاطة متسعة رحمه الله تعالى ولما كتب له أبو المطرف بن عميرة برسالته الشهيرة التي أولها تحييك الاقلام تحية كسرى وتقف دون مداك حسرى وهي طويلة اجابه بما نصه ما هذه التحية الكسروية وما هذا الرأي وهذه الروية أتنكيت من الاقلام أو تبكيت من الاعلام أوكلا الامرين توجه القصد اليه وهو الحق مصدقا لما بين يديه والا فعهدي بالقلم يتشاءى من عبكه ويتراءى للغاية البعيدة بنفسه فتى لانت أنابيبه للعاجم ودانت أعاريبه للاعاجم واعجبا لقد استنوق الجمل واختلف القول والعمل لامر ما جدع أنفه قصير وارتد على عقبه الاعمى أبو بصير أمس أستسقي من سحابه فلا يسقيني وأستشفي بأسمائه فلا يشفيني واليوم يحلني محل أنوشروان ويشكو مني شكوى الزيدية من بني مروان ويزعم اني ابطلت سحره بنيرذروان وينفي في نفسه ما أثبته مبديه ويستعدي بالاثر ما عند مستجديه فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعه والشريعة المبتدعه أيظن أن معماه لا ينفك وانه لا ينجلي هذا الشك هل ذلك منه الا اغماض التنبيه واحماض تفقيه ونشوة من خمر الهزل وغفوة من ذي ولاية أمن من العزل تالله لولا عجلة من القسم وفضلة في لعاب النسم لاسلته ما يتقطع به صلفه وأوردته ما ينصدع به صدفه واشرت بطارف المشرف وتجده واشرت الى تعاليه عن

اللعب بجده ولكن هو القلم الاول فقوله على أحسن الوجوه يتأول وممدود في تمديه كل ما لسانه يهذي به وما أنسانيه الا الشيطان أباديه أن اذكرها وانما اقول ليت التحية كانت لي فاشكرها ولا اعتب الا على الحاء المبرحة بالبرحاء فهي التي أقامت قيامتي في الانديه وقامت علي قيام المتعديه يتظلم وهو عين الظالم ويلين القول ويحتمي الاراقم ولعمر البراعة ما رضعت والبراعة ما صنعت ما شاعر في هواها ولا كانت بها دون سواها ولقد عرضت نفسها علي مرارا فاعرضت عنها ازورارا ودفعتها عني بكل وجه تارة بلطف وأخرى بجبه وخفت منها السآمه وقلت انكحي أسامه فرضيت مني بابي جهل وسوء ملكته وابن أبي سفيان وصعلكته وكانت أسرع من أم خارجة للخطبه وأسمح من سجاح في استنجاح تلك الخطبه ولقد كنت اخاف من استثقال الطباع في عشرتها واستثقال الاجتماع من عترتها وأرى من الغبن والسفاه أخذها وترك بنات الافواه والشفاه اذهي ايسر مؤنه واكبر معونه فغلطني فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ومن نسوة خفرات لا ينطقن الا بالهمس ووجدتها أطوع من البنان للكف والعنان للكف والمعنى للاسم والمغنى للرسم والطل للشخص والمستدل للاص بما عرفت منها الاخير الرضاه وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها ونشزت فنشرت ما استكتمها بعلها واضطربت في رأيها اضطراب المختار أبي عبيد وضربت في الارض تسعى علي بكل مكر وكيد وزعمت أن الهيم خدعها وألان أخدعها واكرهها أن سيبلغ بخبرها آنذا بور وأحضرها الصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور فقد باءت افكا وزورا وكثرت من أمرها نزورا وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص والمراودة قالت ما جزاء وهي التي قدت القميص وربما يأتيهم الصدق وظن الغيب ترجيم ويقال لقد خفضت الحاء بالمجاورة لهذا الجيم وتنصرلها التي ختمت بين الترجسة والريحانه وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبي على الله سبحانه فان امتعضت لهذه التكامه تلك التي سبقت بكلمتها بشارة الكامه فانا الوذ بعدلها واعوذ بفضلها وأسألها أن تقضي قضاءمثلها وتعمل بمقتضى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها على أن هذه التي قد أبدت مينها ونسيت الفضل بيني وبينها ان قال الحكمان منها كان النشوز عادت حرورية العجوز وقالت التحكيم في دين الله تعالى لا يجوز فعند ذلك يحصحص الحق ويعلم من الاولى بالحكم والاحق ويصيبها ما أصاب اروى من دعوة سعد بتحسين الدعوى ويا ويحها ارادت أن تبني علي فبغت لي وانا اخت لي مركب السعادة وما ابتغت الا الختل لي فاتق شرها بالخير وجاء النفع من طريق ذلك الضير اتراها علمت بما يثيره وعوجا بها ويجلي عنه عجاجها فقد أفادت عظيم الفوائد وتعلم الفرائد ونفس الفخر ونفيس الدر وهي لا تشكر أن كانت من الاسباب ولا تذكر الا يوم الملاحاة والسباب وانما يستوجب الشكر جسيما والثناء الذي يتضوع نسيما الذي شرف اذ أهدى أشرف الصلات وعرف بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحالات فانه وان ألم

بالفكاهه بما أمل من البداهه وسمى باسم السابق السكيت وكان من أمر مداعبته كيت وكيت وتلاعب بالصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانه والصبابة بالعاشق ذى اللبانه فقد أغرب بفنونه واغرى القلوب بفتونه ونفث بخفية الاطراف وعبث من الكلام المشفق بالاطراف وعلم كيف يحض البيان ويخاص العقيان فمن الحق أشكره على اياديه البيض وان أخذ لحظه من معناه فى طرف الغيض تالله أيها الامام الاكبر والغمام المستمطر والحبر الذى يشفى سائله والبحر الذى لا يرى ساحله ما انا المراد بهذا المسلك ومن أين حصل ذلك الدر لهذا الحلك وصح أن يتاسى بين الحداد والملك انه لتواضع الاعزه وما يكون عند الكرام من الهزه وتحريض الشيخ للتلميذ وترخيص فى اجازة الوضوء بالنبيذ لو حضر الذى قنى له بجانب الغربى أمر البلاغه وارتضى ماله فى هذه الصناعة من حسن السبك لها والصياغه واطاعته فيما اطلعته طاعة القرائن الحسان واتبعته فيما جمعته لكن بغير احسان لاذعن كما ادعنت وظعن عن محل الاجادة كما ظعنت وأنى يضاهى الفرات بالثغبه ويباهى بالطوس من أرق من الكوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبه وأى حظ للكلالة بالنشب وقد اتصل للورثة عمود النسب هيهات والله المطلب وشتان الدر والخشلب وقد سيم القلب ورجع الى قيادة السلب وان كان من تقدم لشدة الظما الى المنهل وكن اقدم الى عين تبوك بعد النهى للعلل والنهل فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا وملأ ما هنالك جنانا وما تعرضنا باساءة الادب واللوم ولكن علما أن آخر الشرب ساقى القوم وان اسهبنا فانما سارت بذلك الاخبار وان اعرقنا فهو ابان الحجاز فاكم قصيرات الحجال واما قصيرات الخطا فى هذا المجال واكثارنا قله وجارنا من الفخر فى قر وذله ومن لنا بواحدة يشرق ضياؤها ويعنو النجوم جلاء لها وحياؤها ان لم تطل فلا تنم فالفروع كالاصل وفى الجرع كليلة الوصل فلو سطع نورها الزاهر ونورها الذى تطيب منه الانوار الازاهر لعدت الميزان ليوسف ذلك الجمال ووجدت نفحات رياها فى أعطاف الجنوب والشمال وأسرعت نحوها النفوس اسراع الحجيج يوم النفر وسار خبرها وسرى فسار حديث المقيمين والسفر وما آمن بتلك الساحرة فى تجليها الساحرة بتجنيها اذ كانت ربيتها بل ربيبتها هذه التى سبقت لما قنى بيتها ووجدت ريحها لما فصلت من مصر عيرها وحين وصلت لم يدلنى على ساربها الا عبيرها وكم رامت أن تسترعى بلبل حبرها فى هذه المعانى فاغرابى بها آذنها وكل مغرم مغرى بيباس صبح الالفاظ والمعانى وهل كان ينفعها تلعثمها برطها وتلفعها اذ نادتم المرقه قد عرفناك يا سوده فاقبلت على ضم نشرها وعرفها ولثم سطرها وحرفها وقريتها الثناء الحافل وقرأتم افرد بها المحافل ورمت أمر الجواب فعزنى فى المطاب لكن رمت هذه الرقعة التى هى لديكم بعجزى واشيه والبكم فى على استضاءماشيه وان رق وجهها فارقت لها حاشيه فتوابة ولها على عللها واتقوا بما سماحتكم حق علها فانما وافدة من استقر ثابه عندكم ونوى وأقر بأنه يلقط فى هذه الصناعة ما بأتى لاماكن من النوى بقيتم سيدى للفضل والاغضاء ودمتم

غرة في جبين السعة البيضاء واقتضيم السعادة المتصلة مدة الاقتضاء بين الله سبحانه انتهى * ومن نثر ابن الجياب رحمه الله تعالى في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم لمحمد خير الانام وابنة التمام عليه أفضل الصلاة والسلام شرف المفاخر يتضاءل لعظمتها المفاخر والمعالي يتصاغر لعزتها المعالي والمكارم يعجز عن مساجلتها المكارم والمناقب لا تضاهي سناها النجوم الثواقب والمحامد لا يبلغ مداها الحامد والماجد لا يتعاطى رتبهن الماجد والمناسب سمت بجلالهن المناصب والعناصر طابها الشرف المتناصر والفضائل تفجرت في أرجائهن الفواضل والشمائل تأرجت بعرفهن الجنائب والشمائل فلا مجاري لسيد البشر الآتي بالنذارات والبشر فيما حباه الله تعالى به وخصه وقصه علينا من خلقه العظيم ونصه عند رسم مدائحه يوجد المعول وفي الثناء عليه يقصر الكلام المطول هو الآخر في ديوان الرسالة والاول وله في الفضيلة وقبول الوسيلة النص الذي لا يؤول نوره صدع الظلم وظهوره رفع لدين الله تعالى العلم بدأه الوحي وهو بحراء واسرى اليه سر تقدم الاسراء حتى اذا نصب له المعراج وتوقد في منارة السماء ذلك السراج ناجى الحبيب حبيبه وجلا عن وجه الجلال جلابيبه فتلقى ما تلقى لما علا وترقى ثم صدر عن حضرة القدس وجبين هدايته يبهر سناء الشمس فشق لمعجزاته القمر ونهى بأمر ربه وأمر وأزال الجهالة وأزاح الضلالة وكسر منصوب الاوثان ونصر من قال واحد أحد على من قال ثالث ثلاثة أوثان وبنى الملة على قواعدها الخمس وأحيا دين ابراهيم وكان رفاتا بالرمس فرفلت الحنيفية البيضاء في بردة الجدة وبيضت بضياء غرتها أوجه الايام المسودة وانتشرت الرحمة بنبيها وهطرت الرحمة من سحب حبيها واقتنت الآيات البينات في مساقها واتساقها واشراقها في آفاقها وائتلاقها وشهد الحجر والشجر والماء من بين البنان يتفجر والظبية والضب والجذع المشتاق الصب والشاة والبعير والليث اذا هدأ أو سمع منه الزئير والحي والجماد والقصعة والزاد بأن محمدا رسول الملك الحق والمبلغ عنه بواسطة الملك الى الخلق وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود والقول المسموع والذكر المرفوع والصدر المشروح والفخر الباهر الوضوح والانوار المتناقلة والآثار المتداولة والنبوة التي عهدها تقادم من قبل خلق آدم والمزية المعروف قدرها الجليل المقبول فيها ما دعا به الخليل والرتبة التي استشرف اليها الكليم حتى قال له وكن من الشاكرين ربه الكريم والبشارة التي كان بها يصيح حين يسيح روح الله تعالى وكلمته عيسى المسيح والشفاعة التي يرجوها الرسل والامم ويقرع بها الباب المرتج المبهم فالنبي المختار من علو المقدار واصطفاء الجبار والاختصاص بالاثرة والاستخلاص للحضرة ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وحسب هذا الوجود من الفضل الرباني والجود الذي لم يزل عظيما أن بعث الله تعالى فيه رسولا رؤفا بالمؤمنين رحيما عزيزا على ربه الكريم كريما بسره سجدت الملائكة لآدم تعظيما وبذكره ينظم سلك المدائح لحضرته العلية تنظيما صلى الله

عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما صلاة تتصل ما دار كأس محبته على عشاقه فكان مزاجه تسنيما وسلاما يتنزل دارا ودارين فيرسل بضائعها الى روضة الرضى نسيما •(ومن خطبه المرتجلة قوله سامحه الله تعالى) الحمد لله الذي حمده من نعمائه وشكره على آلائه من آلائه أحمده حمد عارف بحق سنائه واقف عند غاية العجز عن احصاء ثنائه عاكف على رسم الاقرار بالافتقار اليه والاستغناء به في كل آنائه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له المتوحد بعظمته وكبريائه المتقدس عما يقوله الملحدون في أسمائه وأصلي على سيد ولد آدم ونخبة أنبيائه محمد المفضل على العالمين باجتبائه واصطفائه المنتقى من صميم الصميم وصريح الصريح بجملة آبائه المرتضى للامانة والمكانة بابلاغ أمر الله وأدائه أرسله الله كافة للناس عموما لا يختص باستثنائه وفضله بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة على أمثاله من المرسلين ونظرائه ورقاه الى الدرجات العلا وأنهاه الى سدرة المنتهى ليلة اسرائه وحباه بالخصائص التي لا يتناهى بها بلغاء كماله وكمال بهائه ورداه رداء العصمة فكانت عناية الله تكنفه عن يمينه وشماله وأمامه وورائه ووفاه من خطوط البأس والندى ما شهد بزيته على الليث والغيث في اباته وانهمائه صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الهدى ونجوم سمائه صلاة تتصل ما سمح البدر بائتلاق أنواره والقطر باندفاق أنوائه وسلم تسليما •(ومن نثره رحمه الله تعالى)• رسالة كتب بها من الاندلس الى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم وهي السلام العميم الكريم والرحمة التي لا تبرح ولا تريم والبركة التي أولها الصلاة وآخرها التسليم على حضرة الرسالة العامة الدعوة والنبوة المؤيدة بالعصمة والايد والقوة ومثابة البر والتقوى فهي لقلوب المحبين مفاوز مروة مقام سيد العالمين طرا وهاديهم عبدا وحرا ومنقذهم من أشراك الهلاك وقد طالما ألفوا العيش ضنكا والدهر مرا ومقر الانوار المحمدية والبركات السرمدية أمتع الله تعالى الاسلام والمسلمين بحراسة أضوائها وكلاءة ظلالها العلية وأفيائها وأقر عين عبدها بلثم ثراها والانخراط في سلك من يراها السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا أبا القاسم سلام من عبد اليك بعيد الفريق ويرجو الانقاذ ببركتك من مكد المضيق ويتقطع أسفا ويتنفس صعدا كلما ازدلف اليك فريق وعمرت نحوك طريق ولا يفتر صلاة عليك له لسان ولا يجف ريق كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدون وأقام واستقام المستعدون وما استقمت ويني وبين لثم ثراك النبوي ولمح سناك المحمدي مفاوز لا يفوز بقطعها الا من طهر دنس ثوبه بماء توبه وستر وصم عيبه بظهر غيبه فكلما رمت المتاب رددت وكلما أممت الباب صددت وقد أمرنا الله تعالى بالمجيء اليك والوفادة عليك ومن لي بذلك يا رسول الله والآثام تثني وتبعد والايام لا تدني ولا تسعد وبين جنبي أشواق لا يزال يزعجني منها المقيم المقعد ولئن كنت ممن خلفته عيوبه وأوبقته ذنوبه ولم يرض للوفادة وهو مدنس على ذلك المقام ودو الطهر المقدس فعندي من صدق محبتك وحب صحبتك والاعتلاق بذمتك ما يقدمني وان كنت مبطئا ويقربني وان كنت مخطئا فاشفع لي يا رسول الله في زيارتك

فهى

نبي أفضل الحق وتوسل لى الى مولى بين فضيلتك وتقبل وسائلك في النقلة من هنالك الى هنا واقبلني وان كنت زائغا وأقبل على وان اصبحت الى الاثم متجانفا فأنت عماد أمتك جمعا وأشتاتا وشفيعهم أحياء وأمواتا ومن نأت به الدار وقعدت بعزمه الاقدار ثم زار خطه ولفظه فقد عظم نصيبه من البر وحظه وان لم أكن سابقا فعسى أن أكون مصليا وان لم أعد مقبلا فلعلى أعد موليا ووحقك وهو الحق الاكيد والقسم الذي يبلغ به المقسم ما يريد ما وخدت اليك ركاب الا وللقلب اثرها التهاب وللدمع بعدها سح وانسكاب ويا ليتني ممن يزورك معها ولو على الوجنتين ويحييك بين ركبها ولو على المقلتين وما الغنى دونك الا بؤس واقلال ولا الدنيا وان طالت الا سجون وأغلال والله تعالى يمن على كتابي بالوصول والقبول وعلى بلحاقى ببركتك ولو بعد طول ثم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته عليك يا سيد الخلق وأقربهم من الحق واولاهم باحراز قصب السبق ومن طهر الله تعالى مثواه وقدسه وبناه على التقوى والرضوان وأسسه وآتاه من كل فضل نبوي اعلاه واسناه وأنفسه وعلى صحبك السابقين لمهاجريك وأنصارك الفائزين بصحبتك العلية وجوارك وعلى أهل بيتك المطهرين أوائل وأواخر الشهيرين مناقب ومفاخر وصحابتك الذين عزروك ووقروك وآووك ونصروك وقدموك على الانفس والاموال والاهل وآثروك وأقرئك سلاما تنال بركته من مضى من أمتك وغبر ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسطر ان شاء الله تعالى كتبه عبدك المستمسك بعروتك الوثق اللائذ بحرمك الامنع الاوقى المتأخر جسما المتقدم نطقا فلان والسلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم تسليما كثيرا ورحمة الله تعالى وبركاته (ولا من خطبة طويلة) ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الصفوة المجتبى الكريم أما طاهرة وأبا المختار من الطيبين مبارك ما طيبا المصطفى نبيا اذ كان آدم بين الماء والطين متقلبا المتقدم بمقام تأخر عنه مقام الملائكة المقربين انتخبه الله وانتجبه وأظهره على غيب عن غيره حجبه وشرفه في الملا الاعلى وأعلى رتبه وخط اسمه على العرش سطرا وكتبه فهو وسيلة النبيين والمرشح أزلا لامامة المرسلين بعثه ربه لختم الرساله ونعته بنعت الشرف والجلاله وأيده بالحجة البالغة والدلاله وجعله نورا صادعا لظلام الضلاله وأثنى في ذكره الحكيم على خلقه العظيم فما عسى أن يبلغ بعد ثناء المثنين بفضله الصريح واليه الاشاره وبه سبقت من ابراهيم الدعوة ومن عيسى البشاره وعليه راقت من صفة الرؤف الرحيم الحلية والشاره وهو المخير بين الملك والعبودية فاختار العبودية بعد الاستخارة والاستشاره فبتواضعه حل بمكان عند ذي العرش مكين أسرى به ربه اليه ووفده أكرم وفادة عليه وأدناه قاب قوسين لديه ووضع امامة الرسالة العظمى في يديه وقال له اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فصدع بأمر الله صدعا وأوتي من المثاني سبعا ومن الآيات البينات آلافا وان كان أوتي موسى تسعا فما مشى الشجر اليه بحر عروقه الا كرجوع العصا حية تسعى وما تفجر الحجر بالماء بأعجب من بنانه نبعت بالعذب الفرات نبعا فارتوى منه خمسمائة وقد كان يكفي آلافا فكيف اثنين وكم له عليه الصلاة والسلام

من معجزة تبهر وآية هي من أختها أكبر رجعت له الشمس وانشق القمر وكلمه الضب وأخبره الذئب وسلم عليه الشجر والحجر وكان الجذع عند فراقه اعلاما بوجده واشتياقه أنه وحنين أعطى من المعجزات ما مثله غبط عليه البشر وكانت له في الغار آيات بينات شفى بها إلى القوم الأثر وارتج لولده إيوان كسرى وخمدت نار فارس وكان ضرمها يتسعر وأتته أخبار السماء فما هي في الأرض الخبر حدث عن الغيوب وما هو على الغيب بضنين وجعل له القرآن معجزة تبلى الزمان وهي لا تبلى وتعلو كلماتها على الكلام ولا تعلى وتجلى آياتها في عين آيات الشمس حين تجلى فيتوارى منها بالحجاب حاجب وجبين بهر إعجاز التنزيل العلي وظهر به صدق النبي العربي فكم نادى لسان عزه في الندى بأهل البديهة من الفصحاء والروي قل فأتوا بسورة مثله فلم يكونوا لها مستطيعين لقد خص نبينا عليه السلام بالآيات الكبر والدلالات الواضحة الغرر والمقامات السامية المظاهر والكرامات الخالدة المفخر فهو سيد الملا البشري والمعشر وحامل لواء الحمد في المحشر وصاحب المقام المحمود والكوثر والشفيع المشفع يوم يقوم الناس لرب العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وذريته المباركين وصحابته الأكرمين وأزواجه أمهات المؤمنين صلاة موصولة تتردد إلى يوم الدين وتصعد إلى السموات العلا فتذكر في كتاب عليين وسلم تسليما •(ومن نثره في خطبة قوله)• أيها الناس رحمكم الله تعالى أصيخوا أسماعكم لمواعظ الأيام واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والأحلام وأحضروا الفهم موادها أوعى القلوب وأصح الأفهام وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النوام ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام ولا تفتننكم خدعها المموهة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقيلها في الأنام فهي دار انتياب النوائب ومصاب المصائب وحدوث الحوادث والمام الآلام دار صفوها أكدار وسلمها حرب تدار وأمنها خوف وحذار ونظمها تفرق وانتثار واتصالها انقطاع وانصرام ووجودها انتفاء وانعدام وبناؤها تضعضع وانهدام ينادي كل يوم بناديها منادي الحمام فلا قرار بهذه الغرارة ولا مقام ولا بقاء لساكنيها ولا دوام فبئست الدار دارا لا تداري ولا تقيل لعاثرها عثارا ولا تقبل لمعتذر اعتذارا ولا تبقي من جورها حلفا ولا جارا وليس لها من عهد ولا ذمام كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام كم نازلت بنوازلها من قباب وخيام كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام كم رمت أغراض القلوب بصائبات السهام كم جردت في البرايا للمنايا من حسام كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلام لا تبقي على أحد ولا ترثي لوالد ولا ولد ولا تخلد سرورا فيها لأحد ولا يمتد فيها الآمل أمد بينا يقال قد وجد إذ قيل قد فقد بعد إلها قد طبعت على نكد نكد فالفرح فيها ترح والحبرة عبرة والضحك والابتسام بكاء وأدمع سجام تفرق الأحبة بعد اجتماعهم وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم وتستبيح بالحمام حمى الأعزة فلا سبيل إلى امتناعهم وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم إلى

مصيرهم الى الله عز وجل وارتجاعهم فيسيرون طوع الزمام ويلقون مقادة التذلل
والاستسلام حتى يلجوا بالرغام وينزلوا بطون الرجام ويحلوا الوهد بعد المقام السام
فلا ناج من خطبها العظيم ولا سليم يتسارى فى حكم المنية الاغر والبهيم والاعز والمضيم
ولو أنه ينجو من ذلك مجد صميم وجد كريم وخط عظيم ومضاء وعزيم ومزية وتقديم
وحديث فى الفضل وقديم وشرف لسمك السموات مسام وعلاء على ساق العرش
المجيد ذو ارتسام لحبيب الملك العلام وسيد السادات الاعلام وصفوة الصفوة
الكرام وخاتم الانبياء ولبنة التمام ومصباح الهدى ومصباح الظلام والابيض
المستسقى به غيث الغمام ثمال الارامل وعصمة الايتام عليه افضل الصلاة والسلام
لكن مع قدره الجليل وفضله الجلى اقدم الموت على جانبه العلى وتقدم ملك الموت
لقبض روحه القدسى وتغيب فى الثرى جمال ذلك الوجه البهى وتغيض ماء السماء
والندى الملك السماحة النبوية والندى وأصيب المسلمون وأعظم بها مصيبة بنبيهم
العربى الهاشمى القرشى فيا لله للاسلام من مصاب اسلمنا للحزن أى اسلام وأسال
مياه الدموع عن احتراق للضلوع واضطرام وأرانا أن الاسى فى رزية خير البرية واجب
وأن التأسى حرام وهل يسوغ الصبر الجميل فى فقيد بكته الملائكة وجبريل وكثر له
فى السموات السبع النحيب والعويل انقطع به عن الارض الوحى الحكيم والتنزيل
وعظمت الرزية به أن يؤدى حقيقتها الوصف والتمثيل غداة أقفر منه الربع المحيل
وأوحش من أنسه السفح والنخيل وكان من تلك الروح الطاهرة الوداع والرحيل
وقامت البتول تندب أباها بقلب قريح وجفن دام وتنادت الائمة مات الرسول
ففى كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام وحارت الالباب والعقول فلا صبر هنالك
لقد زلت عن الصبر الاقدام ولما نعت اليه صلى الله عليه وسلم نفسه وآن أن تأفل من تلك
المطالع شمسه آذن أمته بالفراق وأعلمهم وناشدهم فى أخذ القصاص وكلهم مخافة أن
يمضى الى الملك الحق وعليه تباعة لاحد من الخلق وحاشاه عليه الصلاة والسلام من
صفات جائر للائمة ظلام ولكنه تعريف من نبى الرحمة بما يجب واعلام ثم استقربه صلوات
الله وسلامه عليه وتمادى وزاد به السقم المتناب وتهادى حتى واراه لحده وخلا منه
ربعه ومسجده فعم الحزن والاكتئاب وتوارى النور فأظلم الجناب وعاد الاصحاب
وكأنما دموعهم السحاب فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب
أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فكان كلامها
للقلوب المفجعة كلام وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام وفى مثل هذا
الشهر شهر ربيع المشيد بذكر الاشجان المذيع كانت وفاة هذا النبى الهادى
الشفيع وانتقاله الى الملا الاعلى والرفيق الرفيع حين ناداه ربه الى قربه فلبى بشوق
قلبه تلبية المهطع المطيع وحن الى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله
الصديع وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع وانجاز وعد الشفيع فى الجميع
اذا أعطى لواء الحمد وقام محمود المقام ووقف على الحوض ينادى هلموا الى أروكم

من العطش والاوام اللهم اسقنا من حوضه المورود وشرفنا بلوائه المعقود وشفعه فينا فى اليوم المشهود وارحمنا به اذا اصرنا تحت أطباق اللحود اللهم اجعله لنا نعوذ به من كل مفقود وأوجدنا من بركاته أشرف موجود وجازه عنا بما انت أهله من فضل واحسان وجود وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود واجعلنا معهم فى الجنة دار الخلود ودار السلام واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام وصل عليهم صلاة تستتم أركان رضوانك أى استتمام وتنظم له كرامات احسانك أى انتظام فصلوات الله عليه وأطيب تحياته ورحمته توالى لديه وأجزل بركاته ما تجدد فى ربيع ذكر وفاته وتمهد كهف القبول لطالبي فضله وعفاته وتعزى به كل مصاب فى مصيباته وترجى شفاعته كل محب فيه متبع لهداياته وتوفرت للمصلين عليه والمسلمين على جنباته حظوظ من برّ الله تعالى وأقسام ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل عليه من نبى لم يزل بالمؤمنين رؤفا رحيما اللهم صل عليه من نبى أوجبت حبه وعاملته تعظيما اللهم صل عليه من نبى صليت عليه تجلة وتكريما وأمرتنا بالصلاة عليه ارشادا وتعليما فلنا بأمرك اقتداء وائتمام وبحمدك على ما هديتنا افتتاح واختتام وكلامك يا ربنا أشرف الكلام ولوجهك وحده البقاء والدوام كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين انتهى ● وترجمة ابن الجبان واسعة جدا وكلامه فى النبويات نظما ونثرا جليل رحمه الله تعالى ● وقال لسان الدين فى الاحاطة بعد أن عرف به وأورد له الرسالة ما صورته ومحاسنه عديده وآماده بعيده ثم قال انه انتقل الى بجاية فتوفى بها فى عشر الخمسين وستمائة انتهى ● وقال صاحب عنوان الدراية فى حق ابن الجبان المذكور ما نصه الفقيه الخطيب الكاتب البارع الاديب أبو عبد الله بن الجبان من أهل الرواية والدراية والحفظ والاتقان وجودة الخط وحسن الضبط وهو فى الكتابة من نظراء الفاضل أبى المطرف ابن عميرة المخزومى وكثيرا ما كانا يترا سلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولا يصل اليه الا القليل من البلغاء ونثره ونظمه كله حسن ونظمه عزيز وأدبه كثير ومن ذلك قصيدته الدالية التى مطلعها

يا حادى الركب قف بالقوم يا حادى ● وارحم صبابة ذى نأى وابعاد

وله أيضا

ترك النزاهة عندنا ● أدّى الى وصف النزاهه

ماذاك الا انها ● تدعو الوقور الى الفكاهه

واذا امرؤ نبذ الوقا ● ر فقد تلبس بالسفاهه انتهى

ومن بديع نظم ابن الجبان رحمه الله تعالى هذا التخميس فى مدح سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

الله زاد محمدا تكريما ● وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه في المرسلين كريما * ذا رأفة بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جلت معاني الهاشمي المرسل * وتجلت الانوار منه لمجتلي
وسما به قدر الفخار المعتلي * فاحتل في أفق السماء مقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاز المحامد والمدائح أحمد * وزكت مناسبه وطاب المحتد
وتأثلت علياؤه والسؤدد * مجدا صميما سادثار قديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها المتاح * قطب الجلالة نورها الوضاح
غيث السماحة للندى يرتاح * يروى بكوثره الظماء الهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة خاتم الانبياء * صفو الصريح خلاصة العلياء
نجل الذبيح سلالة العلماء * بشرى المسيح دعاء ابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر لآدم قد تقادم عصره * من قبل أن يدري ويجري ذكره
سر طواه الطين فهو نشره * معنى السجود لآدم تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فله فضل المصطفى المختار * ما ان له في المكرمات مجاري
ولا مبار باختصاص الباري * بالحق قدم مجده تقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبي الهادي * ما نالها أحد من الامجاد
فالرسل في هدي وفي ارشاد * قد سلموا لنبينا تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت سنا وسناء * وأفادت القمرين منه ضياء
وعلت باعلام الظهور لواء * فهدى به الله الصراط قويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

دنت النجوم الزهر يوم ولادته * ورأت حليمة آية بسيادته
وتحدثت سعد بذكر سعادته * فتفاءلوا نعم اليتيم يتيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لما ترعرع جاء الملكان * بالطست فيها حكمة الرحمن
فاستخرجا القلب العظيم الشان * منه وطهر ثم عاد سليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كرمت مناشئ أحمد خير الورى * وجرى له القلم العلي بما جرى

ما كان ذلكم سدى بابه ترى • لكنما الحق الجلي وسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

مازال برهان النبي يلوح • بسدوبه الاعجاز ثم يروح
حتى أتاه بعد ذاك الروح • يوحى له وحي الاله حكيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شهدت له بمزية التفضيل • سور وآيات من التنزيل
وصلاة خالقه أدل دليل • فافهمه واسمع قوله تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ان الرسول المعتلى المقدار • لمؤيد من ربه القهار
بالمعجزات جلت عن الابصار • وشفت من ادواء الضلال سقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كم شاهد لمحمد بنبوته • في أيد تأييد الاله وقوته
فبذاك أعلى الله دعوة حقه • فمضت حساما صارما وعزيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له لناظر صدقه • والشمس قد وقفت لعظم حقه
والمزن أرسل اذ توسل ودقه • فاخضر ما قد كان قبل هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والماء بين بنانه قد سالا • عذبا معينا سائغا سلسالا
كندا يمج رفده من سالا • وينيل راجيه النوال جسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

بركاته أربت على التعداد • كم أطعمت من حاضرين وباد
من قصعة أو حفنة من زاد • رزقا كريما للجيوش عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

سجد البعير له سجود تذلل • وشكا اليه بحرقة وتململ
والشاة قال ذراعها لا تاكل • مني فاني قد ملئت سموما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والغصن جاء اليه يمشي مسرعا • والصخر أفصح بالتحية مسمعا
والظبية العجماء فيها شفعا • والضب كلم أحمدا تكليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والجذع حن له حنين الواله • يبدي الذي يخفيه من بلباله
أفلا يحن متيم بجماله • يشتاق وجه النبي وسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ما بالنا نلوي حبيبنا • يقضي بحث غرامنا رضينا

لوصح في الاخلاص عقد قلوبنا * لم ننس عهدا للرسول كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أين الدموع نفيضها احتنانا * أين الضلوع نفضها أشجانا
حتى نقيم على الاسى برهانا * لمتمم ارشادنا تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

اوليس هادينا الى سبل الهدى * اوليس منقذنا من اشراك الردى
أوليس أكرم من تعمم وارتدى * أولم يكن أزكى البرية خيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ذاك الشفيع مقامه محمود * ولواؤه بيد العلا معقود
فاذا توافت للحساب وفود * قالوا تقدم بالانام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فيقوم بالباب العلي ويسجد * ويقول يا مولاي آن الموعد
فيجاب قل يسمع اليك محمد * ونريك منا نضرة ونعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أعظم بعز محمد وبجاهه * أكرم به متوسلا لالهه
شربت كرام الرسل فضل مياهه * فغدت تعظم حقه تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ياسامعي أخباره ومفاخره * ومطالعي آثاره ومآثره
ومؤملي وافي الثواب ووافره * ان شئتموا فوزا بذاك عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وكثيرا ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس وأضيف اليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الامداح النبوية مقيل وتعريس وهي قصيدة ميلادية كأنما لم ينظمها مؤلفها الا مقدمة لهذه القصيدة الفريدة وهي

اسمع حديثا قد تضمن شرحه * روضا من الايناس أينع دوحه
فيه الشفاء لمن تكاثر برحه * وافى ربيع قد تعطر نفحه
أزكى من المسك العتيق نسيما

شهر حوى بوجود أحمد اسعدا * بالمصطفى بين الشهور تفردا
يا ما أجل سناءه علاء وأمجدا * لولادة المختار أحمد قد غدا
يزهو به نفراثراه عظيما

يا من بأدمع مقلتيه يغتذي * كم ذا تنادي حسرة من منقذي
وتقول للزفرات هل من منفذ * بشرى بشهر فيه مولده الذي
سر الزمان علوه تعظيما

يا ليلة رفعت بأحمد حجبها * لما دنا بعد التباعد قربها

وتطلعت للسعد فيناشهبها • صابت بها شرق البلاد وغربها
وتأنقت أرجاؤها تنعيما

أسدى اليك الدهر حسن صنيعه • وحباك من غض الجنى بديعه
وافى هلال محمد بربيعه • فاعتز أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الاله قويما

نظم الزمان بجيده لك دره • فاشكر ما آثره واصل بره
وافاك بالسر المصون فسره • واعرف لهذا الشهر حقا قدره
فلقد غدا بين الشهور كريما

ياصاح جاءت بالأماني أسعد • واطل بالبشرى الكريمة مولد
هذا ربيع فيه أنجز موعد • شهر كريم جاء فيه محمد
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم قال إثر ختم درس الشفا موطئا لقصيدة ابن الجياب المذكور ولعذب براعتها مرتشفا مانصه والأعمال بالنيات

انشق أزاهر عن فنون رياض • للعلم واكرع من عذاب حياض
واسق الرياض بذكره الفياض • واسمع كلاما للامام عياض
قد تمت أقسامه تتميما

لله روض منه أينع دوحه • يجني به من الكريم ومنحه
فهو الشفاء ان تكاثر برحه • مسك الختام بعطره ونفحه
فشذاه في الأرجاء صار شميما

فاضت علينا من هداه عوارف • زهر وأنوار وظل وارف
وغرائب مصفوفة ومطارف • ياحسن ما أبداه قد عارف
درا بأسلاك الحديث نظيما

لولا وبالملك الشفيع تشرفا • خير البرية ركن أرباب الصفا
من أسعد الراجي وقصدا أسعفا • طه النبي الهاشمي المصطفى
صلوا عليه وسلموا تسليما

وقد رأيت بعد وصولي الى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة لابن الجياب المذكور في روى تلك القصيدة غير مخمسة مستقلة بنفسها وهي قوله رحمه الله تعالى

صلوا على أسنى البرية خيما • وأجل من سار الغمام رحيما
صلوا على من شرفت بوجوده • أرجاء مكة زمزما وحطيما
صلوا على أعلى قريش منزلا • بذراه خيمت العلا تخييما
صلوا على نور تجلى صبحه • فجلا ظلاما للضلال بهيما
صلوا على هاد أرانا هديه • نهجا من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبي فانه • من لم يزل بالمؤمنين رحيما

صلوا على الزاكى الكريم محمد * ما مثله فى المرسلين كريما
ذاك الذى حاز المكارم فاغتدت * قد نظمت فى سلكه تنظيما
من كان أشجع من أسامة فى الوغى * ولدى الندى يحكى الحيا تجسيما
طلق المحيا ذو حياء زانه * وسط الندى وزاده تعظيما
حكمت له بالفضل كل حكيمة * فى الوحى جاء بها الكتاب حكيما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت * بدر الدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت * وجها وسيما للنبى وسيما
كم آية نطقت تصدق أحمدا * حتى الجماد أجابه تكليما
والجذع حن حنين صب مغرم * أضحى للوعات الفراق غريما
جلت مناقب خاتم الرسل الذى * بالنور ختم والهدى تختيما
وسمت به فوق السماء مراتب * بمقام صدق عز فيه مقيما
فله لواء الحمد غير مدافع * وله الشفاعة اذ يكون كليما
نرجوه فى يوم الحساب وانما * نرجو لموقفه العظيم عظيما
ما ان لنا الا وسيلة حبه * وتحية تذكو شذى وشميما
ولخير ما أهدى امرؤ لنبيه * أرج الصلاة مع السلام جسيما
يا أيها الراجون منه شفاعة * صلوا عليه وسلموا تسليما

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الاستاذ أبى العلا ادريس بن موسى القرطبى فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليها أبو عبد الله بن الجيان المذكور وقرظها بما سنذكره قريبا بعدها وهى

أهلا بكم يا أهل هذا النادى * أهل اعتقاد الوعد والمعاد
أهدوا الصلاة الى النبى الهادى * وصلوا السلام لهمع الآباد
يشذى نسيما مذ كرا نسيما

هو أول الشفعاء يوم المحشر * وسواه بين تقدم وتأخر
بهت الحضور لهول ذاك المحضر * والكل فى الخطب العميم الاكبر
قد هيمت ألبابهم تهيما

ذاك المقام الاشهر المحمود * هو للنبى محمد موعود
فيه الشفاعة ذخرها موجود * درك المراد وحوضه المورود
فضل الكليم به وابراهيما

عيسى وموسى والخليل مروع * من هول مطلع هنالك يفظع
فيقال أحمد قل فانك تسمع * فيقوم يحمد ربه فيشفع
فضلا من الرب العظيم عظيما

يا أمة المختار أنتم أمته * والهول قد عم البسيطة عمه
والانبياء سواه كل همه * تخليص مهجته وليس يهمه

من كان فى الدنيا عليه كريما

صلى الاله على الذى صلى عليه * عشرا بواحدة يزكيها لديه
وأراه فى الدارين قرة ناظريه * ياقاصدين الى وصولكم اليه
راجين من أرج القبول نسيما

لولا وصية صاحب التنزيل * أن لايقال له غلو القيل
قول الغلاة لصاحب الانجيل * لغلوت فى التعظيم والتبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما

طوبى لقلب قد غدا اذ صفا * بالسر منه قد تثبت اذ هفا
خطت به آيات حب المصطفى * فغدا الصاحبه بذلك مصحفا
يهدى الى نهج النجاة قويما

فاقت علاذ كراه اذ راقت حلى * ملأ النبوة أمهم حين اعتلى
فى ليلة الاسراء أعلى معتلى * كتب الاله له التقدم فى العلى
وعليهم التفويض والتسليما

وكذا السلم فى الشفاعة كلهم * ومحلهم عند الاله محلهم
ظل النبى محمد هو ظلهم * يمشون تحت لوائه فيه لهم
يندى عليه بهجة ونعيما

أوصافه من كل حسن أبهج * العرف ينفح والسنا يتبلج
فتأرج الارجاء منه وتبهج * فاق الزواهر نورها يتموج
والزهر نفاح النسيم وسيما

طلق المحيا منهل للسائل * أنحى على الدنيا بزهد كامل
هو مثل الدنيا بظل زائل * لم ترضه حال النعيم الحائل
ما حاول الترفيه والتنعيما

ما ورث المختار مال مؤمل * الا جواهر فى الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمل * وأقر اعجابا للعين المجتلى
من كل قيمة مقتض تقويما

وفقت يامن لم يخالف نصه * حزت الكمال وليس تخشى نقصه
نهج الهدى قول النبى اقتصه * بالوحى شرفه الاله وخصه
شرفا على شرف السناء صميما

سبحان موح لايحد له الكلام * من قال ذات كلام خلاق الانام
خلق فذلك آية كل الانام * ذاك الذى فى الدين ليس له ذمام
الاذمام لايزال ذميما

ضل الذى يبغى الهدى مما سواه * وهوى به فى كل مهواة هواه
من فارق الفاروق قد تبت يداه * خسران لم يهد السبيل الى هداه

لا يعرف التعليل والتحريما

بالمدح مجد المصطفى يممته * من حلى أوصافه نظمته
لم أبلغ المعشار اذ أحكمته * بعضا نسيت وبعضه ألهمته
قلدته جيد الزمان نظيما

لو فزت بالاحسان من حسان * وسحبت أذيالى على سحبان
أو أيدتنى لسن كل زمان * من كل ذى زعم عظيم الشان
ما كنت بالمعشار منه زعيما

ادريس حقك الحقوق حقوقا * هلا خففت الى الرسول خفوقا
وقريت بالعزم الهموم ضيوفا * وشددت ان هال الزمان صروفا
مهلا كمال المعلى التعليما

ثقة بفضل الواحد القهار * ملك الملوك مصرف الاعصار
جعل النبى مكرم الآثار * وامده بالنصر والانصار
وأتم نعمته له تتميما

هل أجلون بصرى بكحل سناه * يا سعد من كانت به عيناه
ظفرت يداه وساعدته مناه * لله ذاك الافق ما اسناه
كرم المحل فيقتضى التكريما

ونص تقريظ ابن الجيان على هذه القصيدة هو قوله

مازال كل حليف * لله أضحى وليا
وللعلوم خليلا * وعن سواها خليا
يسوغ عقيان مدح * للهاشمى حليا
ويوجب الحق فيه * ايجابه الاوليا
ويقتنى فى رضاه * نهجا جليلا جليا
والكل أخطاه حظ * فالفوز يلفى مليا
لكن ادريس منهم * حاز المكان العليا

ولا يخفاك انه التزم فى هذه القطعة ما لا يلزم من اللام قبل الياء رحمه الله تعالى ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجيان المذكور السابق أولا فى البحر والروى والمنحى الذى لا يضل قاصده وكيف لا وهو مدح الجناب الرفيع العظيم النبوى (فمن ذلك) قول أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الاشبيلى فان بعضا ذكر أنها من قوله لما اظهر الاسلام وهى لا تقتضى رفع الريبة فيه والاتهام

جعل المهيمن حب أحمد شيمة * وأتى به فى المرسلين كريمة
فغدا هواه على القلوب تميمة * وغدا هداه لهديهم تتميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أبدى جبين أبيه شاهد نوره * سجعت به الكهان قبل ظهوره

كالطير زدمعربا بصفيره • عن وجه اصباح يطل نسيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

أنس الرسالة بعد شدة نفرة • منجى البرية وهى فى بدغرة
نجى النبوة والهدى عن فترة • فبكاعا كمل الرشاد يتيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

الله اوضح فضله متوضحا • والله بين حبه فى والنبى
والجذع حن هوى له فترضا • والماء فاض بكفه تسنيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

فربى الرواية عن رباه زكية • نجواه ربانية ملكية
أوصافه علوية فلكية • فاخال شعرى عندها تجسيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

احتث فى السبع الطباق راقه • والارض واجمة تخاف فراقه
سبحان من أدنى سراه فساقه • شخصا على ملك الملوك كريما
صلوا عليه وسلوا تسليما

فاشتم ريحان القلوب الطيبا • ودنا فاسمع يا محمد مرحبا
انى جعلتك جار عرشى الاقربا • ان كنت قبلك قد جعلت كليما
صلوا عليه وسلوا تسليما

بالليل يجرى الزمان فتسبق • الحجب فيها والارائح تعتق
ماكان مسك الليل قبلك يعبق • بشرى محمد استمادنسيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

حتى اذا اقتعد البراق لينزلا • نادته أسرار السموات العلا
يا راحلا ودعته لا عن قلى • ما كان عهدك بالغيوب ذميما
صلوا عليه وسلوا تسليما

صعد النجود وسارق الاغوار • سمك السما طورا وبطن الغار
متقسما فى طاعة الجبار • ما أشرف المقسوم والتقسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

الشافع المتوسل المتقبل • القانت المدثر المزمـــــل
وافى وظهر الارض داج ممحل • فجلى البهيم به وأروى الهيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

دفعت كرامته الزوح عن الحرم • ودعاه جبريل المنزه فى الحرم
وعزت له آيات نون والقلم • خلقا بشهد الاله عظيما
صلوا عليه وسلوا تسليما

طاو بفيض الزاد فى أصحابه • غيث ولكن كان يستسقى به

طابت حمائرقلبه وترابه * منه بسرّ لم يكن مكتوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ياشوقى الطامى الى ذاك الحمى * فمتى أقضيه غراما مغرما
ومتى أعانقه سعيدا مكرما * بضمير كل موحد ملثوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومن ذلك قول بعض الوعاظ وأظنه من أهل المشرق

جلّ الذى بعث الرسول رحيما * لـــيردّ عنا فى المعاد جحيما
وبه نرجى جنـــة ونعيما * أضحى على البارى الكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ماضلّ عن وحى الاله وماغوى * حاشى رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الامين بما روى * قـد نال من رب السماء علوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وافى له الروح الامـين مبشرا * نادى به باخـير من وطئ الثرى
أجب المهين يامحمـد كى ترى * ملكا كريما فى السماء عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فأجابه المختار حـين دعابه * ورب السموات العلا لخطابه
ركب البراق وقـد أتى لجنابه * أمسى له الروح الامين نديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فمتى أرى الحادى يشير بالنقا * ويضمـه بان المحصـب والنقا
وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا * مولى حليما لن يزال رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

وأقول للزوار قد نلت المـــنى * يهنيكم طيب المسرة والهنا
فاستبشروا من بعد فقر بالغـنى * فالله زادكم به تـكـريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم الرضى عـن آله الـكـرماء * وكذاك عن أصحابه الخلفاء
فهواهم دينى وعقـــدولائى * قوماتراهم فى المعاد نجـوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمه الله تعالى

ياأمة الهادى المبارك أحمد * يهنيكم نيـــل الامانى فى غد
بمحمد فـــزتم ومن كمحمد * ان شئتموا أن تدركوا التسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البـدر المنير الزاهر * صلوا على المسك الفتيق العاطر
صلوا على الغصن البهىّ الناضر * وتنعـموا بصلاتكم تنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالنبوة زينا * صلوا على من بالكمال تمكنا
بمحمد ربا بادراك المنى * فضلا خصصنا حادثا وقديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على البدر المنير الانجم * صلوا على الهادى الحبيب الناصح
صلوا على الملك الشفيق الفاتح * للرشد بهم والهدى تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مجده قد أسسا * والماء بين بنانه قد بجسا
وأتى اليه برحمة حتى اكتسى * من روعها اذ خيف عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يبصر من قفا * وعليه سلمت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى * وشكا اليه بارك قديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق * عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق * اذ مج فيه العبر المحتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا * وغدت تظلله الغمام اذا مشى
وسمت سماه الله لما أن نشا * ليكون سر حبيبه مكتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كل حين ترجعوا * وبهديه مهما اهتديتم تطروا
والاجر يثقلكم غدا وتنجوا * واذا أردتم أن يكون عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا بجمعكم على شمس الهدى * صلوا على بدر يرى المتهجدا
صلوا عليه به الرشاد تمهدا * والذكر بين صلاته تعميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر * صلوا على من فاق حسا واشتهر
وبعث فضائله وشق له القمر * ولكم دليل فى علاه أقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا * بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مقام كانا * عند المراتب كى تمادى علوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا عليه كلكم لا تسأموا * وتذكروا به لا نهوى وتنعموا
وعليه صلى الانبياء وسلموا * شرفا لهم اذ أنهم تقدما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ياحاضرين بلغتم كل الشوق • عن جمعكم من فضله ذهب العنا
والله كم والله قد وجب الهنا • بمحمد كرمتم تكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قولوا برغم معاندين وحسد • كي ترغموا أنفا لكل مفند
صلى الاله على النبي محمد • أبدا وزاد اقدره تعظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

يارب ياذا المن والاحسان • جد بالرضى والعفو والغفران
للوالدين ومنشد الاوزان • والسامعين أنلهم تنعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله مااجتمع الملا • صلى عليه الله ماقطع الفلا
صلى عليه الله مااتجمع الكلا • أبدا ومارعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

•(ومن ذلك) قول الامام العالم الشهير الاديب مالك بن المرحل المالقي ثم السبتي وهي من غرر القصائد وفيها لزوم مالا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم بجعلها بدأ ورويا على اصطلاح المغرب

ألف أجل الانبياء نبي • بضيائه شمس النهار تضيء
وبه يؤمل محسن ومسيء • فضلا من الله العظيم عظيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

باء بدا في أفق مكة كوكبا • ثم اعتلى بخلا سناه الغيهبا
حتى أنار الدهر منه واخصبا • اذ كان فيض الخير منه عميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاء تبينت الهدى لما أتى • ونفى الشريك عن القديم وأثبتا
أحدية من حادعنها قد عتا • وتلا كلاما للكريم كريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ثاء ثوى في الارض منه حديث • في كل افق طيبه مبثوث
داع بأنواع الهدى مبعوث • يتلو نجوما أويهز نجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

جيم جلا بسراجه الوهاج • ماجن من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوب بمائه الثجاج • فأسارها بعد الغموم غميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء حمى دين الهدى بصفائح • وبما بشم كالجبال أراجح
من كل أزهر هاشمي واضح • لولاذاه غدا النبات هشيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

حاء خبت نيران جهل شامخ • آيات علم للرسالة راسخ
من مثبت ماح ومنس ناسخ • قد خص بالذكر الحكيم حكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

دال دعا فأجاب كل سعيد • وأتى بوعد صادق ووعيد
حتى أقر الناس بالتوحيد • وتجنبوا الاشراك والتجسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ذال ذباب حسامه مشحوذ • للناكثين وعهدهم منبوذ
أما السعيد فبالنبي لائذ • فبدال من ذل الشقاء نعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

راء روينا عن ذوي الاخبار • ان الندى والبأس مع ايثار
بعض صفات المصطفى المختار • كم قد تقدم بالانام زعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

زاي زعيم بالنزال عزيز • وبليغ معنى في المقال وجيز
فلقوله من فضله تمييز • ولربما عاد الكلام كلوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

سين سلام كالنفيس تنفسا • وقد اجتنى وردا وصافح نرجسا
أهدى اليه في الصباح وفي المسا • بقصائد كادت تكون نسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

شين شمائله الكريمة تعطش • من كان من سكر المحبة يرعش
لكن أضاع العمر فيما يوحش • فغدت ندامته عليه نديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صاد صفي للاله ومخلص • ومقرب ومفضل ومخصص
ذهب سبيك وزنه لا ينقص • قد طاب خيما في الورى وأروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ضاد ضمين نصحه محوض • ضاق القراءة بالعلوم يفيض
ان غاض ماء البحر ليس يغيض • لما استمر زلاله تسنيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

طاء طويل السيف متسع الخطا • رحب الذراع ومن يعد لهم سطا
يردي العدا واذا ارتدى متخمطا • يبري عذابا اذ ألام أليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ظاء ظهير للعباد حفيظ • بحظه ادب العباد حظيظ
حقه التأبين والتقريظ • ميتا وحيا ظاعنا ومقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

عين عزيز ذكره مرفوع • فى الانبياء وقوله مسموع
مشروح صدر حبه مشروع • من لايدين بذلك كان ذميما
صلوا عليه وسلموا تسليما

غين غزا من زاغ عنه ومن طغى • وغدا يشب لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عمى بعد الصغا • وتقوم النار العصا تقويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

فاء فواتح سورة الاعراف • وبراءة والرعد والاحقاف
انطقته بالاقسام والاوصاف • فتى نوفى حقه منظوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

قاف قوافى النظم عنه تضيق • أيطيقه الانسان ليس يطيق
فالذاق فى التقصير عنه خليق • ولو انهم ملؤا الفضاء رقوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

كاف كريم العنصرين مبارك • متفرد بالجاه ليس يشارك
فهو الذى بمقامه يتدارك • والهول يغدو مقعدا ومقيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام له عقد اللواء الاحفل • وله الشفاعة فى غد اذ تسأل
واذا دعا فدعاؤه متقبل • حتى الرحيم بأن يرى مرحوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ميم ملائكة الاله تسلم • فسوبا عليه اذ بدا وتعظيم
ويعز جبريل بها يتقدم • فيضاعف التعظيم والتكريما
صلوا عليه وسلموا تسليما

نون نبى جاءنا ببيان • وبمعجزات أبرزت لعيان
وبحسبه أن جاء بالقرآن • يشفى قلوبا تشتكى وجسوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

هاء هو الهادى الذى اقتدح النهى • فتمكرت فى ملك من رفع السها
وقضى بحد للامور ومنتهى • فأفادها النظر السديد عموما
صلوا عليه وسلموا تسليما

واو وهى ركن التجلد بل هوى • لما ثوى فى الترب من بعد الثوى
فخوى الضريح الرحب لما ماغوى • أجرى من الدمع السجوم سجوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لام لاجلك فاض دمعى جدولا • فاخضر آس اسالة اذ يبس الكلا
ياخير من كان المكارم والعلا • وحمى الحمى ورعى فأعمى الروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

بآه يحييه ويبقيه الحيا • رب العباد مجازيا ومصرفيا
ومشرفا ومسلما ومصليا • يا مسلمين ورتلوا التسليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

•(ومن ذلك قول الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن عباس المربي رحمه الله من المجلد الخامس والعشرين من كتاب منتهى السول في مدح الرسول للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الانصاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونصها بعدده وهي أيضا مرتبة على حروف المعجم ماعدا الابتداء وبيوت الانتهاء غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الاشطار ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما التزم مالك بن المرحل رحمه الله تعالى

الله زاد المصطفى تعظيما • وقضى له التفضيل والتقديما
وآتاه شرفا لديه جسيما • فهو المقدم فخره تتميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالانباء • وأبوه مابين الثرى والماء
ثم استقر السر في الآباء • قرارنوه كريمة وكريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على بدر بدا من يثرب • فأضاء بالانوار أقصى المغرب
وجلا عن الدنيا دياجي الغيهب • فبدا لنا نهج الرشاد قويما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أتى • وأباد أحزاب الطغاة وشتتا
وأبان أسباب الحياة ووقتا • للامة التحليل والتحريما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالغيوب يحدث • وبروعه الروح المقدس ينفث
عبد ربنا وشفيعنا اذ نبعث • في يوم لا يدري الحميم حميما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على صبح الهدى المتبلج • صلوا على بحر الندى المتموج
صلوا على روض الجمال المبهج • كيما تنالوا الفوز والتنعيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على غيث الانام السافح • صلوا على المسك الزكي النافح
أزرت روائحه بكل روائح • فالارض طيبها شذاه نسيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من عهده لا يفسخ • صلوا على من شرعه لا ينسخ
صلوا على من حزبه لا يمسخ • نبأ يفهم فضله تفهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من فخره لا ينفد * صلوا على من فضله لا يجحد
أنبى وكتب الرسل طراً تشهد * تنبى اليهود بفضله والروما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد محى عنا الأذى * ومن الغواية والضلالة أنقذا
صلوا على من ذكره نعم الغذا * وبمدحه تروى القلوب الهيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا باخلاص على خير البشر * من قبل نشأته المباركة اشتهر
كم كاهن منه أبان وكم خبر * ولكم دليل فى علاه أقيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من جل مولده وعز * ضاءت قصور الشام لما أن برز
وتدانت الشهب الثواقب كالخرز * أو كاللآلى نظمت تنظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من جده قد أقسما * والماء بين بنانه قد بجسا
وأتت اليه سرحة حتى اكتسى * بفروعها اذ خيمت تخييما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالملائك جيشا * وغدت تظله الغمام اذا مشى
حرست سماء الله لما أن نشا * ليكون سر حبيبه مكتوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من بالتحية خصصا * والقلب منه حين شق تخلصا
من حظ ابليس اللعين وخصصا * وأعيد ما ان يشتكى تثليما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من يوم مولده سطا * بجميع آلهة الضلالة والخطا
وهوى له عرش اللعين وأسقطا * والفرس هدم صرحهم تهديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من ليس قط غالطا * لاخيه فى الارضاع كان محافظا
فاعجب لذلك كيف كان ملاحظا * للعدل فينا مرضعا وفطيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كلمته ذراع * وبفضله كفت المئين الصاع
والجذع حن له وما الاجذاع * بأرق منا أنفسا وفهوما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من مدحه لا يفرغ * ماذا عسى مداحه أن يبلغوا
فالهنا يثنى عليه ويبلغ * فاقرأ تجده محكما تحكيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من كان يصمر بالقفا • وعليه سلت الجنادل والصفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى • وشكا اليه بازل قد ضيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد شفى بالريق • عين الضرير ولدغة الصديق
وأعاد طعم الماء مثل رحيق • اذ مج فيه العنبر المختوما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من شأوه لايدرك • صلوا على من شأوه لايشرك
موسى وعيسى والخليل تبركوا • بلقائه وعنوا له تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خلقه على الرسل • شرف على تمكين عزته يدل
فاذن نقل هو سيدلهم ودل • لاتخش توبيخا ولا تحشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد سرى نحو السما • ليلا وعاد وما رحنا نوما
بالروح والجسم المطهر قدما • قد ورا غم من أبى ترغيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد رأى الرحمانا • بالقلب أو بالعين منه عيانا
من قاب أو أدنى مكان كانا • فخذ الفوائد واحذر التجسيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من قد حباه الهه • بالكوثر المروى لنا أمواهه
في يوم حشر الخلق يظهر جاهه • اذ يقدم الرسل الكرام زعيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلوا على من خص بالحوض الروى • وكذاك خصص بالمقام وباللوا
نوحا وآدم والكليم قد احتوى • وابن البتول سوى وابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ماقطع الفلا • صلى عليه الله ما اجتمع الملا
صلى عليه الله ماانتجع الكلا • أبدا ومارعت السوام هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

صلى عليه الله ماهطل الحيا • صلى عليه الله ماالتقع الضيا
فالله شفى الدنيا من الداء العيا • ولقد حى عنا اظى وجحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

لله سيدنا النبي الاكمل • لله برق جبينه المتهلل
لله جود يمينه المتطل • أحيا وأغنى بالنوال عديما

صلوا عليه وسلوا تسليما

لله منه ذاته وحقيقته ● لله منه خلقه وخليقته
لله منه شرعه وطريقته ● فلقد جلت بشموسها التغيما

صلوا عليه وسلوا تسليما

يا امة الهادى النبى المصطفى ● بالله لو كنا نعامل بالوفا
متنا عليه حسرة وتلهفا ● حتى نؤدى حقه المحتوما

صلوا عليه وسلوا تسليما

ما كان أولانا بطول تحيدنا ● ما كان أوجبنا بفرط وجيبنا
أفنستطيع الصبر عن محبوبنا ● ما الصبر عن لقياه الا لوما

صلوا عليه وسلوا تسليما

لم لا نفيض على الدوام دموعنا ● لم لا نقض من الغرام ضلوعنا
لم لا نخلى أهلنا وربوعنا ● حتى نعاين من ذراه رسوما

صلوا عليه وسلوا تسليما

أولم يكن يحنو علينا مشفقا ● أولم يكن متعطفا مترفقا
أولم يعاملنا بأنواع الرفق ● حتى اغتدى منا العليل سليما

صلوا عليه وسلوا تسليما

من مثله مالان يضر وينفع ● من مثله يدرا العذاب ويدفع
من مثله لذوى الكبائر يشفع ● من مثله بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلوا تسليما

ياويح نفسى كم أرى ذا صبوة ● ومسامعى من واعظى فى نبوة
نعمى الرسول يقيلنى من كبوة ● فلكم رجاه عاثر فأقيما

صلوا عليه وسلوا تسليما

يارب بالهادى الرفيع المحتد ● اغفر لعبدك أحمد بن محمد
فلقد توسل اذ رجاك بسيد ● مارد معتلق به محروما

صلوا عليه وسلوا تسليما

ناشدتكم ياسامعى هذا الثنا ● قولوا متى أسمعتموه تدينا
اغفر لقائله المقصر ماجنى ● بديعه خير الورى المعصوما

صلوا عليه وسلوا تسليما

قلت وانى لاسأل الله تعالى بلسان لم أعص به وهو لسان هذا المادح اذ قال يارب بالهادى فانى أحمد بن محمد بالعماقة أملا من غفر الله عنه وكرمه آمين (رجع) ومن ذلك قول الفقيه الكاتب الاديب أبى العباس أحمد بن القاسم الاشبيلى الشهير بابن القصير وطريقه هذه مخالفة الطريق المتقدمة من بعض الوجوه رحم الله تعالى الجميع

الله أكرم أحمدا تكريما ● فغدا رسولا للعباد كريما

فاشكر غفور الذنوب رحيما • أرضى النبي بقوله تعليما
صلوا عليه وسلوا تسليما

لله منه هدى نبي من تقى • بالبعث منه اقتضى لطف القضا
ملأت فضائله المهارق والفضا • ودنيا الوجود فعند مبعثه أضا
صلوا عليه وسلوا تسليما

عجبت لنا منه ملائكة السما • أن كان بالاسراء لها لاقدما
ورقى البراق به وجبريل لما • قد سره سرا وجهرا سلما
صلوا عليه وسلوا تسليما

أعظم به من مرسل قد بشرا • بوجوده عيسى المسيح وقد سرى
ليسرفه وأجل مبعوث يرى • بهداه أمته زهت بين الورى
صلوا عليه وسلوا تسليما

من جاء بالقرآن معجزة له • أعيا الورى من بعده أو قبله
الله كرمه وفضل فضله • وأجل منه فرعه وأصله
صلوا عليه وسلوا تسليما

من سبح صم الحصا في كفه • والبدر شق نصفه عن نصفه
لبرى به اعجاز من لم يصفه • حزنا بفخر ذكره أو وصفه
صلوا عليه وسلوا تسليما

يكفيه أن يتلى اسمه ويكرر • مع اسم خالقه اذا ما يذكر
هذا الذي بمقاله لا يفجر • أبدا ولا لخلافه يتصور
صلوا عليه وسلوا تسليما

العبد اسرف يانبي الله • في الذنب ساه عن تقاه لاه
فاشفع له من مذنب أواه • يرجو كريما منك جم الجاه
صلوا عليه وسلوا تسليما

أنأى الزمان وصوله أو سوله • فاستصحب الابيات منه رسوله
فأنل بفضلك للمراد حصوله • حيي شنا وازنت منه فصوله
صلوا عليه وسلوا تسليما

ابن القصير أطال فيك نظامه • ليرى بذلك مسلما اسلامه
وترى مطاوع أمره وكلامه • لازال بقربك الاله سلامه
صلوا عليه وسلوا تسليما

(وما أحسن قول جمال الدين بن جلال الدين الجوزي رحمه الله تعالى)

فضل النبيين النبي محمد • شرفا يزيد وزادهم تعظيما
در يتيم في المفاخر وانما • خير اللآلي مايكون يتيما
ساد النبيين الكرام وكلهم • صلوا عليه وسلوا تسليما

والله قد صلى عليه كرامة * صلوا عليه وسلوا تسليما

(ومن ذلك هذا التسديس) البديع الذى هو من نظم الامام العارف بالله تعالى علاء الدين محمد بن العفيف الايجي الحسني الصفوي الربانى رحمه الله تعالى مما رتبه على حروف المعجم والتزم الحرف أول الاشطار الاربعة وآخرها

الله أحمد أحمدا اذ يبرأ * أوضى وضئ نوره يتلالأ
أنواره كل العوالم تملأ * أكوانه لولاه لم تك تنشأ
ان كنتم انقدتم له تسليما * صلوا عليه وسلوا تسليما
بدر بدا من نوره تطلب * بحر بحور الجود منه تركب
بر وبرهان جلا يتقلب * بالمصطفى عمن صفا أتقرب
بادوا بما يجدى لكم تنعيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
تالله مثل محمد لا يثبت * تم الكلام بمدحه ونبوة
تاج العلا بالمصطفى يتثبت * تاهت عقول للذى هو ينعت
تحف الصلاة به عليه أديما * صلوا عليه وسلوا تسليما
ثق بالذى يوما يقوم ويبعث * ثبة البرية بالنبى تغوث
ثبت الشفاعة للورى يتحدث * ثرة الطوائف للذى يتشبث
ثبت لزام الباب فيه مقيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
جاء النبى عوالما يتبلج * جاه له من جاهه يتبهج
جاء بنجى من لظى تتوهج * جاءت له الاشجار ارضا تفرج
جاورنبى الله نلت نعيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
حقا هو الحق المبين الاوضح * حب حباه حبه يترجح
حسناته حسناته تسترجح * حتى القلوب بحبه تترجح
حوت العلوم اذاته تسكريما * صلوا عليه وسلوا تسليما
خير البرايا دينه هو ناسخ * خير له خير الشهور رواسخ
خز الذى عن دينه هو بازخ * خال خلى عن نقائص باذخ
خذ باتباع فعاله ترسيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
دل الانام على الاله محمد * دامت سعادة من بأحمد يسعد
دار له مأوى المحامد تحمد * دان الوجود به ومن هو أحمد
داوم على بابه تخيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
ذكر الحبيب أحق ما يتأخذ * ذخرا ليوم بالنواصى يؤخذ
ذاك الشفيع لمن به يتعوذ * ذاك الذى بجنابه يستنقذ
ذلوا له ولبابه تعظيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
رب النبى محمد هو يذكر * رتب الحبيب كتابه متذكر

راق معنا أحمد هو ينظر • روح القلوب ولاؤه هو ينصر
روّح بذكراه المروّع نديما • صلوا عليه وسلموا تسليما

زين البرايا بالوجود معزز • زان العوالم حسنه يتفوز
زن فضله عن كلهم يتميز • زد ذكره عن زلة يتحرز
زلفى الله بالمصطفى تتميما • صلوا عليه وسلموا تسليما

سبق الانام بفضله هو انفس • ساد الجميع بسودد يترأس
سبحان من أسرى به يتأنس • سر الحبيب بسره يتقدس
سمع الكلام من الاله كليما • صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهدى بدر الدجى يتبشش • شرف الحبيب من الوجود ينقش
شكرا لمولانا عليه وأبهش • شوقى اليه وافر أتعطش
شغل اللبيب بالحبيب أديما • صلوا عليه وسلموا تسليما

صفة الكلام لذاته هو أخلص • صفة الكتاب كماله يتخلص
صفة القلوب بحبه تخلص • صفه صفا صب وأتى يخلص
صل بالصلاة جنابه تكليما • صلوا عليه وسلموا تسليما

ضفت الفيوض من الحبيب تفيض • ضعفى اليه آمل لا يتروض
ضرى وضيرى كله يتقوض • ضل الذى فى بابه لا يتمرض
ضمن الحبيب لذاكريه زعيما • صلوا عليه وسلموا تسليما

طوبى لمن بحبيبه يتنشط • طابت به أحواله والمنشط
طال اشتياقى طيبة أتبسط • طال الاله على طولا يبسط
طوبى بمدحته بطيب نسيما • صلوا عليه وسلموا تسليما

ظل الهدى بهداه قد يتحفظ • ظلمات شرك قد جلت تتلفظ
ظلى لظل وداده يتحفظ • ظهرى ظهيرى حسبه أتحفظ
ظامٍ به يغدو العقاب عديما • صلوا عليه وسلموا تسليما

علت المعالى بالنبى وترفع • عز علاه للذى هو يتبع
عمت عطاياه لكل ينفع • عرش العظيم قد ارتقى يترفع
عرج الاله به اليه عليما • صلوا عليه وسلموا تسليما

غوث الورى ذا المصطفى هو سابغ • غيث الندى هو فى البرايا سائغ
غمر الندى أقصى النهاية بالغ • غرر العلا شمس وبدر بازغ
غشا نما بالمؤمنين رحيما • صلوا عليه وسلموا تسليما

فخر وذخر بالمفاخر يشرف • فرد وحيد فى العوالم أشرف
فتح الوجود وكل كون مردف • فاز الفقير بلطفه يتلطف
فاح النسيم من الحبيب جسيما • صلوا عليه وسلموا تسليما

قسم الاله بعمره فيفوق ● قمت وبجوه الحسن منه فيسبق
قمر وشمس نوره متألق ● قمن بذكراه الدعاء معلق
قطب لدائرة الوجود كريما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
كتب الاله ثناءه مايدرك ● كتب اسمه قرب اسمه يتبرك
كل الكمال له به يستدرك ● كنه الكمالات التي لاتدرك
كيف كنى درّ الثناء يتيما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
لمعات نور محمد هي تخجل ● للشمس والبدر المنير وتخجل
لذات ذكر محمد هي أكمل ● لذوى الحوائج لا تدم تتكفل
لدخذ بجدمنك تنال حكيما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
من مثله في العالمين معظم ● من مثله في العالمين مكرم
من الاله لدى اللقاء يكلم ● منجيا حبباه منه قد يتعلم
من الاله لديه صار عميما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
نوره في آدم يتبين ● تقلا الى آبائه يتعين
نأى العوالم اذ أتى متعين ● نار المجوس تخمدت تتهون
نعماه بجت اذ تم كريما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
وجه به كل الوجوه اليه هو ● وجه الوجاه بكله يتوجهوا
ووجاهه وجه المرام فوجهوا ● وجه البلا ثنينا فتوجهوا
وجه البنا ناظرة تكريما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
هو مصطفى عند الاله الاوجه ● هادلنا ونوجهه من أوجه
هاانه وجهى لهذا أوجه ● هيه هيا أوجهه بالاوجه
هام الفؤاد بحبه تتيما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
لامثل للمختار اعلى من علا ● لاحبه ناج قد نجا كل البلا
لاذ الصفىّ به يتوب فاقبلا ● لاق النبي محمد أن يقبلا
لازم محبا للحبيب نديما ● صلوا عليه وسلموا تسليما
ياأكرم الخلق الذى هو ملجائى ● يأتى محمد الصفىّ الذى
يدعيد الملائم تجاوفى ● يقن بصفونه الصفىّ ويكتفى
يناله كرك يبتدى تختيما ● صلوا عليه وسلموا تسليما

(وله أيضا رضى الله تعالى عنه) قصيدة أخرى على طريقة هذه وقد نظمها بعدها نفع الله تعالى بنيته وبلغه غاية قصده وأمنيته وهى هذه

أحسن بطلعة أحمد هى أضوأ ● أعلن بلمعته العوالم تملأ
أزين به لما أتى يتلألأ ● أبين بآياته فتنبأ
الله قدمه بهاتقديما ● صلوا عليه وسلموا تسليما

بدأ الاله بنوره فيعقب * بدء الذي بالمصطفى يتقلب
فيه لذي الطاعات اذ يتطلب * بدء بذكراه به يستوهب
بل هو الى الارب انتفع تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
تلك العلامات التي هي تثبت * تب العدا تبا وعنه تثبت
تمت له الآيات فيك تبكت * توراة موسى نطقها هي تنعت
توقيع حاجات صفوا تسليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ثبت الكمال له ومنه يورث * ثبت الورى لولم تكن لا تحدث
ثبت بذكرى المصطفى يتحدث * ثبت الذي بجنابه يتشبث
ثبت بذكر قد تراه قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
جاء العوالم نوره يتبلج * جاد العوالم بحره يتموج
جاز السموات العلا يتعرج * جاب الجميع بسامه يتأرج
جار له جاري له تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
حار العقول لمدحه اذ يمدح * حيا الحياة بريه يستروح
حي له فضل به يسترجح * حي له حامي حي فترجح
حي الحمى الحامي تصير سليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
خلق له كل به يتضمخ * خلق له بالنقص لا يتلطخ
خلق به أحسن به هو ابذخ * خلق يحق له الثناء الارسخ
خلق الهدى بذاك عظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
دار الحبيب أحق ما يتعمد * دارت بها كل السعادة تعمد
دانت أهاليها بما هو يرشد * دار بحي طيبة لا تبعد
دارك سكونا بالسكون مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ذكر الحبيب محمد هو ينفذ * ذكر لما ينفي رسولا ينقذ
اذكر الاله ثناؤه ويلذذ * ذكراه تنفع سامعا يتلذذ
ذيل النبي خذ اعتصم تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
رب الورى سبحانه هو أكبر * رب النبي محمد فيكبر
رب الرؤف حبيبه فيدبر * ربي اصطفاه من الورى فاكبر
رب ارتجاه للمنى تدويما * صلوا عليه وسلموا تسليما
زان العوالم اذ أتاها يبرز * زاد الاله عروجه فيبرز
زادت معاليه عروجا ينشز * زاد لا نرى حبه يتحرز
زعم الشفاعة ذاكريه زعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
سناد الجميع اذ أتى هو انفس * سار السموات العلا يستأنس
سأل الاله وزاد ما يتنافس * سامي ذراه للمحب يؤنس
سارع الى ذاك الذرى تخييما * صلوا عليه وسلموا تسليما

شرق لامتنه به يتغابش * شرق لاشرق شرقه يتفرش
شرفا وغربا فيه عقل يدهش * شوقا اليه قد اليه اجهش
شكرا على النعمى تزيد نعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صفة له ذات له هو أخلص * صفتا عن الشئ الذى يتنقص
صفة له حارت عقول تفحص * صفة شريعته القانص تخاص
صفة له وبــــــر به لتديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ضاع المديح لاحمد يتروض * ضاع الذى عن ذكره هو يعرض
ضاف حباه كفه ليفضفض * ضاف بذكراه المنى يتعرض
ضاعف له الآمال صل مديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
طال العوالم اذ اتى هو يقسط * طابت مدائحه فطاب المغبط
طابت به النعما وطاب المنشط * طام له بحر الالى يتنشط
طالب مطالب كلها تتميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
ظهر النبي وربـ * ظهر لامتـــــــه ظهير ملحظ
ظهروا على الامم افتخار ملحظ * ظــــــل له ظلوا به يتحفظوا
ظلت الظلال اذا ذكرت نديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
عد المحاسن للنبي يستتبع * عـــــد له آياته تتنوع
عداه مولاه اليه فيطلع * عده لذكراه غداة يشفع
عذباب من بالمؤمنين رحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
غزرت له الآيات هن نوابغ * غزز الحيا عز الورى هو سائغ
غمر الردى بحر الندى يترفغ * غمر البـــلاد بذكره يتفرغ
غمر بذكراه الفؤاد وسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
فاض الجمال وفاض منه يوسف * فاز المحب بذكره لايوسف
فاضت عليه فيوضه يتزلف * فاش له الآيات لايتكلف
فادله كل بهم تقديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
قر بدا من أفقه هو فائق * قر يجاب بذكره ويعلق
قسام كل الانبياء وسائق * قسام جود عم كل يرفق
قسم بابه مستحجبا ومقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
كلا به فتح الوجود ويدرك * كل الكمالات احتوى لايشرك
كل اللسان عن البيان ويمسك * كلئ الذى بجنابه يتمسك
كل مرتجالك اليه تق تكريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
لمحمد هو مصطفى ومؤمل * لمحمد بن محمد ما يأمـــــل
لمحت عليه بروقه يتجمل * لمعان نور وداده يستكمل
لم لا أصيب من الحبيب شميما * صلوا عليه وسلموا تسليما

من مثل ذاك المصطفى بتعظم • من كل وجه للكمال ليعظم
مسن علينا من الاعظم • منه العروض اليه وهو يعظم
من كان لرب العظيم كليما • صلوا عليه وسلموا تسليما
نور الاله حبيبه بتمكن • نادى الاله حبيبه بتمكن
نال نوالا شرحه لايمكن • ناد له طوبى لمن يتمكن
نادى الحبيب بذكره تكليما • صلوا عليه وسلموا تسليما
والله مثل محمد لايشبه • والله مولاه العوالم كيف هو
وجد الوجود بذاته وبه له • وجد علا وبوجهه فتوجهوا
وجدوا وجادوا من النجاة مقيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
هو أكمل من كل وجه أوجه • هو ذا الحبيب القلب منه أوجه
فاولى طيبه واوجهو • هو من الارض المكثر أوجه
ها ما بنار الشوق صرت مقيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
لاريب لامثل له والله لا • لاحت له الآيات عرشا قد علا
لاقى ارتقاء ربه فتوصلا • لاج به نال المسنى الى الالا
لازم لباب جنابه تقسيما • صلوا عليه وسلموا تسليما
ياأكرما كل اليه يلتجى • يأتى محمد العفيف الذى
يقبا توسل بالصفى ويحتذى • يده اليك فقسرا ترتجى
بين افتتاح باسمه تختيما • صلوا عليه وسلموا تسليما

(قلت) وانما أثبت هاتين القصيدتين فى جملة ما سردته وان كان فيهما من التكلف مالا يخفى لاوجه (أحدها) أن صاحبيهما من الصالحين يسلم له ويتبرك بكلامه ومن اعترض على مثله يخشى عليه من تسديد السهام الملامه (الثانى) انهما مدح النبى صلى الله عليه وسلم وعليه من الله أزكى صلاته وأتم سلامه (الثالث) أن المراد جمع ما رقعت عليه فى البحر والروى والمعنى لان بعضا من العلماء ذكر انه لم يطلع فى ذلك الاعلى قصيدة ابن البيان فأحببت أن أتعرض لتعريفه بهذا العدد واعلامه على أن القصد الاعظم ما هو الا التلذذ بذكر أمداح المصطفى صلى الله عليه وسلم خصوصا المقتبس فيها قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما (وقد كنت) نويت أن أؤلف فى ذلك بالخصوص كتابا اسميه روضة التعليم فى ذكر الصلاة والتسليم على من خصه الله تعالى بالاسراء والمعاينة والتكليم والله تعالى المسؤل فى التيسير فانه عليه يسير (ومن ذلك) هذا التسديس الذى وجدته فى كتاب درر الدرر للشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر العطار الجزائرى من جزائر بنى مزغنة وهى المشهورة الآن بالجزائر

أنوار أحمد حسنها يتلالا • المصطفى يجلى الكمال يجلا
الشمس تخجل وهو منها أضوأ • النور منه مقسم ومجزأ

قد زان ذاك النور ابراهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على المسك الشيق الاطيب * صلوا على الورد المعين الاعذب
صلوا على نور ثوى فى يثرب * صلوا عليه بمشرق وبمغرب
مازال فى الرسل الكرام كريما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على زهر الكمال النابت * صلوا على طود البهاء الثابت
صلوا على من فاق نعت الناعت * خير الورى من ناطق أو صامت
وأعزهم نفسا وأطهر خيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على طيب يفوح ويمكث * صلوا على من عهده لا ينكث
صلوا على من بالهدى يتحدث * عنه المعارف والحقائق تورث
أضحى يعلمنا الهدى تعليما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره يتبلج * صلوا على من عرفه يتأرج
للحضرة العلياء ليلا يعرج * صلوا على من حاز مجدا يبهج
وبها على العرش المجيد مقيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير اللائح * صلوا على صبح الرشاد الواضح
صلوا على المسك الزكى الفائح * صلوا على الهادى النبى الناصح
الرشد فهم والهدى تفهيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من شرعه لا ينسخ * صلوا على من عهده لا يفسخ
صلوا على من بالثناء يضمخ * علياؤه عليا الكمال تؤرخ
نال المفاخر والكمال قديما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى لاعذب مورد * صلوا على خير الانام الاوحد
صلوا على بدر التمام الاسعد * بمحمد فزنا ومن كمحمد
الله عظم قدره تعظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة يتقذ * صلوا عليه فللسعادة يجبذ
صلوا على من حبه لا ينبذ * أبصارنا طرا بأحمد تلوذ
فى موقف ينسى الحميم حميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير الزاهر * صلوا على الروض البهى الناضر
صلوا على مزن العلوم الماطر * صلوا على المسك الفتيق العاطر
وتنعموا بصلاتكم تنعيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور يلوح ويبرز * صلوا على مسك يفوح ويحرز
بمحمد حلل الكمال تطرز * ولمجده درر السيادة تفرز
قد نظمت لكماله تنظيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الدر النفيس الانفس * صلوا عليه فهو روض الانفس
صلوا عليه فهو زين المجلس * ومنى الجليس ونزهة المتأنس

راق المفوس شذا وطاب شميا * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على المختار أفضل من مشى * صلوا على النور الذى قد أدهشا
بمحمد عرف القرنفل قد فشا * ورد لظمآن اليه تعطشا
يرى الضنا أبدا ويروى الهيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من بالكمال يخصص * صلوا على من نوره لا ينقص
صلوا عليه على الدوام وأخلصوا * ظل طفا بالامس لا يتقلص
شمل الورى طرّا وطاب عميما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على صبح تبلج بالرضى * وقضى على ليل الضلالة فانقضى
صلوا على من بالحياة تعرضا * صبح تذهب نوره وتفضضا
وعلا وخيم ضوءه تخييما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من بالبهاء يخطط * صلوا على ورد بمسك يخلط
للمعالى بسط الكرامة تبسط * وله يواقيت السناء تقسط
وبنوره أضحى الزمان وسيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من بالمهابة يلحظ * صلوا على من بالنبوة يحفظ
صلوا على من بالهداية يلفظ * لعصاته نار الجحيم تغيظ
ورضاه هب لنا وطاب نسيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على البدر المنير الساطع * صلوا على الروض الانيق اليانع
صلوا على الصبح المنير اللامع * صلوا على المسك الفتيق الذائع
ووقاه فى وهج الهجير مغيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على النور الاعم السابغ * صلوا على البدر الاتم البازغ
صلوا على المسك الزكى البالغ * صلوا على الورد المعين السائغ
للواردين به غدا تسنيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من بالتقرب يوصف * صلوا على من بالمحبة يعرف
صلوا على من بالعلا يتشرف * صلوا عليه به الكمال يزخرف
الجد فخم ذكره تفخيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على مسك بطيب لناشق * صلوا على الروض الانيق الرائق
اشراقه بمغارب ومشارق * صلوا على البدر الاتم الرائق
باد تنسم حسنه تنسيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من قدره لا يدرك * صلوا على من باسمه يتبرك
صلوا على من جسمه لا يترك * صلوا على من للهدى يتحرك
وبه تحلى ظاعنا ومقيما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على البدر المنير الاكمل * صلوا على الروض البهى الاجمل
صلوا على الهادى النبى الاحفل * المصطفى الارقى لارفع محفل

فيه تقدم وحده تقديما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على زهر أنيق باسم * صلوا على عرف زكى ناسم
صلوا عليه فهو بدر مواسم * من جوده للناظرين مقاسم
أنواره قد عممت تعميما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة زينا * صلوا على من بالكمال تمكنا
صلوا على هاد أبان وبينا * محمد فزنا بادراك المنى
للخلق أرسل رحمة ورحيما * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على الهادى النبى الانزه * بدر التمام وروضة المتنزه
فى فضله كل الشهادة تنتهى * أبدا بإثم تراه خير الاوجه
فى حبه أضحى الغرام غريما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على نور بطيبة قد ثوى * فعلا وفاض على البسيطة واحتوى
صلوا عليه فليس ينطق عن هوى * صلوا عليه فهو ينجى من هوى
فى موقف يذر السليم سليما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على نور تلالا واعتلى * صلوا على صبح مبين يجتلى
صلوا على مسك يخالط مندلا * صلوا على در تزان به الحلا
وبه المعالى خيمت تخييما * صلوا عليه وسلوا تسليما
صلوا على من نال مجدا عاليا * وسما وحاز مفاخرا ومعاليا
صلوا على نور تبدى حاليا * وبمدحه الرحمن زين حاليا
واذا اسما المخدوم زان خديما * صلوا عليه وسلوا تسليما

وقد تواردفى بعض هذا التسديس مع بعض بيوت القصيدة السابقة التى أولها يا أمة الهادى المبارك أحمد حسبما يعرفه المتأمل والذى فى ظنى أن صاحب يا أمة الهادى متأخر عن ابن العطار فهو الذى اخذ منه والله سبحانه اعلم (وتوارد أيضا) فى عدة أبيات مع تخميس الكاتب أبى العباس بن جمال الدين المتقدم ذكره وأوله الله زاد محمدا تعظيما وهما على منوال واحد غير أن ذلك تخميس وهذا تسديس وابن جمال الدين أقدم من ابن العطار تاريخا فيحتمل أن يكون ألم بكلام ابن جمال الدين أو ان ذلك من توارد الخاطر (ورأيت) فى هذا الكتاب تسديسا آخر لم يرتبه على حروف المعجم وجعل روى الشطرين الاخيرين حرف اللام فأحببت ذكره هنا زيادة فى التبرك بمدح المصطفى عليه اجل الصلاة والسلام (وهو)

نور النبى المصطفى المختار * اربت محاسنه على الانوار
مرآه يجلو بهجة الاقمار * نور ينجى من عذاب النار
قد زان ذاك النور اسمعيلا * صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على البدر المنير المشرق * صلوا عليه بمغرب وبمشرق
صلوا على غصن الكمال المورق * بالمصطفى المختار برق الابرق

يهدي غرام النفوس دخيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تناهى فخره • صلوا على من قد تعاظم قدره
صلوا على من قد تأرج نشره • صلوا على من قد تناسق دره
عقد الثناء لجيده إكليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الأنام المرسل • صلوا على البدر المنير المسلسل
صلوا على أسنى سنا المتوسل • صلوا على نور الهدى المترسل
ظل علينا لا يزال ظليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الأتم الأكبر • صلوا على من فاق عرف العنبر
صلوا عليه فهو أصدق مخبر • كم زان ذكر المصطفى من منبر
وأراح من داء الضلال عليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور الأتم الأكبر • صلوا على من فاق كل بشر
صلوا عليه هديتم من معشر • صلوا على بدر يرى في المحشر
جاز الجلال فلا يزال جميلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على النور البهي المغرب • صلوا عليه بمشرق وبمغرب
صلوا على الورد الشهي المشرب • بالفكر يشرب ويح من لم يشرب
منه ويتقع بالورود غليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من فخره لا ينكر • صلوا على من في الثناء يفكر
صلوا على من بالنبوة يذكر • صلوا على من بالهداية يشكر
شكرا على مر الزمان حفيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالسيادة قدما • صلوا على من في الكمال تقدما
صلوا على صبح بدا متبسما • صلوا على طيب سرى وتنسما
وغدا وراح معطرا وبليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على مسك يخالط عنبرا • صلوا عليه سرى وفاح وما انبرى
صلوا عليه حوى الكمال الأكبرا • لبس الجمال مطرزا ومحبرا
وبذاك قد خص الجليل جليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من بالنبوة توجا • صلوا على صبح بدا وتبلجا
صلوا عليه لقد أضاء وأبهجا • ومحا برونق نوره ظلم الدجا
نور يرد الطرف منه كليلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على نور تبلج لائحا • صلوا على نور تبلج واضحا
صلوا على مسك تأرج فائحا • وبطيبه ملأ الوجود روائحا
وبحبه يستوجب التبجيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من نوره ملأ الفضا • صلوا عليه لقد أضاء وما انقضى
صلوا على من حف حقا بالرضى • لما تأخر الأنام تعرضا

وهدى الى سبل الرشاد سبيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على بدر يدوم كماله • باق على مر الزمان جماله
صلوا على من قد تعاظم حاله • ودنا الى ورد الرضى ترحاله
والى الورود به أجد رحيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا بأجمعكم على شمس الهدى • صلوا على بدر يزين المشهدا
صلوا عليه فمن رآه تشهدا • صلوا عليه به الرشاد تمهدا
أرضى الخليل وبين التنزيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تأثل مجده • سماه غفور الجبار ومجده
مازهره لولاه أوما ورده • بالصادق المختار يعذب ورده
فى تربه ما أعذب التقبيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على محبوبنا مطلوبنا • صلوا عليه فهو روض قلوبنا
صلوا عليه فهو عطر جيوبنا • صلوا على مطلوبنا محبوبنا
لا ارتضى من حبه تبديلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على خير الامام الاطهر • صلوا على النور الاتم الابهر
صلوا على الصبح المنير الاشهر • صلوا عليه باتصال الاشهر
الله فضلنا به تفضيلا • صلوا عليه وسلموا تسليما
صلوا على من قد تناهى فى العلا • صلوا على من كان أكمل اجملا
صلوا على در تزان به الحلى • المجد ألبسه الكمال فأجزلا
والله كمل مجده تكميلا • صلوا عليه وسلموا تسليما

وأظن أنى رأيت بعض هذه القصيدة فى كتاب العروسى المغربى وهو متأخر انتهى *
ومن قصائد هذا الكتاب قصيدة صرح فيها بابن المغربى وهى

أهدت لنا طيب الروائح يثرب • فهبوبها عند النسيم يطربه
رقت فرق من الصبابة والاسى • قلب بنيران البعاد يعذبه
شوقا الى أسنى نبى حبه • كنز الحياة فنعم هذا المطلب
المصطفى أعلى البرية منصبا • قد جل فى العلياء ذاك المنصب
فزيابه بين الانام مديحة • أبدا علينا بالامانى تسكب
حاز السيادة والكمال محمد • فاليه أشتات المحامد تنسب
محبوبنا ونبينا وشفيعنا • يدنى الى روض الرضى ويقرب
بضيائه المتاح أشرق مشرق • وبنوره الوضاح أغرب مغرب
وبه وردنا الامن عذبا صافيا • وبه نرقى فى المعالى نصعب
صبح الهدى أنواره بنبينا • صحا تروق الناظرين وتعجب
ان طابت الانفاس من زهر الربى • ريا أزكى فى النفوس وأطيب
صيرت أمداح النبى المصطفى • لى مذهبا يا حبذاك المذهب

فحلى من أمداح أحمد خلعة • موشية ولها طراز مذهب
وبمدحه شمس الرضى طلعت على • أفقى تنير ونورها لا يغرب
أترى يبشرنى البشير بقربه • وأبث أشواق الفؤاد وأندب
ويقال لى بشراك قد نلت المنى • يا مغربى الى متى تتغرب
هذا مقر الوحى هذا المصطفى • هذا الذى أنواره لا تحجب
زر ورد طيبة واشف من ألم النوى • قلبا على جمر الاسى يتقلب
كم ذا التوانى عن زيارة مورد • عذب المقام به ولذ المشرب
منا السلام على النبى محمد • ما اسفرت شمس وأشرق كوكب

وقد سمى هذا الكتاب بنظم الدرر فى مدح سيد البشر والورد العذب المعين فى مولد سيد الخلق أجمعين وليس هو بابن العطار المشرقى الذى كان معاصر الابن حجة الحموى فان ذلك متأخر عن هذا وهذا مغربى وذاك مشرقى فلم يتفقا الا فى زمان ولا فى مكان غير أنهما اشتركا فى الشهرة بابن العطار ووجدت على ظهر أول ورقة من بعد تسميته السابقة ما صورته مما أنشأه الشيخ الفقيه القاضى العدل الاديب البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن يوسف العطار رواية العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن أحمد بن الامين الاقشهرى قرأت هذا الكتاب وقصائده على حروف المعجم وقصيدة غيرها على ناظمها القاضى المذكور قراءة ضبط وتصحيح ورواية مقابلة بأصله بموضع الحكم فى مدينة الجزائر من أقصى افريقية حرست فى دول متفرقة وآخرها يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذى القعدة أواخر عام سبع وسبعمائة ونص ما كتب على نص قراءتى عليه صحيح ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد بن العطار والحمد لله رب العالمين انتهى ورأيت اثر ما تقدم بخط الاقشهرى ما صورته سمع من لفظى جميع نظم الدرر فى قسب سيد البشر بجامعه القاضى المذكور أعلاه القاضى شمس الدين محمد ابن المرحوم عبد المنعم الشيبى وولده أبو محمد عبد الدائم وابن أخيه أبو محمد عبد الباقى بن تاج الدين بن حفص ابن أبى بكر البورى وغيرهم بحو سماعى قراءة منى على مؤلفه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر العطار سنة سبع وسبعمائة قاله وراسمه الاقشهرى انتهى • ومن قصائد هذا الكتاب قوله

أبدا تشوقك أو تروقك يثرب • فالى متى يقصيك عنها المغرب
هى جنة فى النفس يعذب ذكرها • والقرب منها والتدانى أعذب
المسك معترف بأن نسيمها • أسمى وأسرى فى النفوس وأطيب
والعنبر الوردى دان لطيبها • منه التعطر والتأرج يطلب
جيش الصبابة شن غارات الاسى • من بعدها فالصبر منها ينهب
والشوق يثنينا اليها كلما • رقت الحمام على الاراكة يخطب
حتى النسيم اذا سرى من ربعها • يثنى من الروض الغصون ويطرب
حيا فأحيا المستهام بطيبه • فنفوسنا تهوى به تستطيب

ياحبذا في ربع طيبة وقفة * بين الركائب والمدامع تسكب
حتى يرق للوعتي وصبابتي * ودموع عيني كل من يتغرب
شوقا لمن زان الوجود وحبه * يدني الى رتب الرضى ويقرب
ساد الانام المصطفى بكماله * فاليه أجناس السيادة تنسب
بالنور زاد حلى على آبائه * وبحسن ذاك النور أعرب معرب
الشمس يغرب نورها وضياؤها * أبدا ونور المصطفى لا يغرب
الله أرسله البشارة رحمة * فجاهه عنا الرضى لا يحجب
بمحمد فزنا بادراك المنى * فالوقت طاب لنا وطاب المشرب
خير الورى محبوبنا ونبينا * حزنا به الجاه الذي لا يسلب
روض النفوس محمد ونعيمها * وبه يفضض حليها ويذهب
شرف تقادم قبل آدم عهده * للنور أطناب عليه تطنب
منا عليه مدى الزمان تحية * يثني عليها المندلي ويطنب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

طالعت وقارنها البهاء بدور * أبدا على قطب السعود تدور
من نور أحمد يستمد ضياؤها * وبهاؤها يا حبذا النور
ويزيد ذاك النور حسنا ائتلاقا * يوم القيامة والانام حضور
محبوبنا أسمى البرية منصبا * يوم النشور لواؤه منشور
فزنا بخير العالمين محمد * وجرى بوفق مرادنا المقدور
لاحت لنا أنواره فسرورنا * نور وأنس دائم وسرور
بالمصطفى المختار قابلنا الرضى * بين الانام فسعينا مشكور
الله فضله على كل الورى * فهو الحبيب وفضله مشهور
القرب خصصه وعظم قدره * فسما بهجة نوره ناحور
خير النبيين الكرام نبينا * بالنور في العرش اسمه مسطور
ياصاحبي نداء صب مغرم * قلبي بحب المصطفى معمور
عوجا على بوقفة وبعطفة * اني على ألم الفراق صبور
ان لم أزر بالجسم قبر المصطفى * فالقلب من بعد المزار يزور
نيران قلبي بالبعاد توقدت * ومدامعي خدي بها ممطور
فمن الفراق الحدم نيران لها * لهب ومن فيض الدموع بحور
فمتى أفوز بوقفة في طيبة * والقلب مني فارح مسرور
ويقال لي انزل بأكرم منزل * وابشر فأنت على النوى منصور
ان جاد دهري بالوصول لطيبة * بعد المطال فذنبه مغفور
هي جنة من حلها نال المنى * وسما وساد وصافحته الحور
حتى النسيم اذا سرى من نحوها * يصبو اليه المسك والكافور

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أمّا النسيم فقد حيّاك عاطره * وبارق الحق أحياك ماطره
خاطر بروحك في نيل الوصال فكم * من نازح نال طيب الوصل خاطره
زهر الربى باسم تندى كمائمه * رق النسيم بها اذ راق ناظره
ماحل روض المنى الغض الجنى دنف * فاستضحكت فيه من عجب أزاهره
والنهر أبرز للبدر الاتم حلى * والبدر طرّز جاه النهر زاهره
والغصن تلعب أنفاس الرياح به * والطل قد نثرت منه أزاهره
والليل قد رقّت بالشهب حلته * والبرق يبسم في الظلماء ساهره
والنور محض جنى فوق الندى درر * وعقدها زين الابصار دائره
وملبس الروض قد زانته خضرته * والليل بالفجر قد زالت غدائره
والصبح سل على جيش الظلام ظبا * وعندما لهاولت عساكره
للزهر سر وعرف الروض فاضحه * والمسك ان فض لا تخفى سرائره
هل زار طيبة ذاك العرف حين سرى * فترجها أبدا مسك يخامره
طابت بطيب رسول الله فهي به * سمت وفاقت بمن فاقت مفاخره
به معد تسامى للعلا وبه * حاز المكارم واعتزت عشائره
أسنى النبيين اقدارا نوره أبدا * يزيد حسنا على الاقمار باهره
وأفضل الخلق من عرب ومن عجم * أربت على الرمل أضعافا مآثره
ان كان للرسل عقد وهو آخرهم * نظما فقد زان عقد الرسل آخره
روض من الحلم غض راق منظره * بحر من العلم عذب فاض زاخره
ان جاد صاح بلقياه الزمان فحل * الى مقام حبيب أنت زائره
وصف له حال صب مغرم دنف * رام الدنو فأقصته جرائره
واذكر هناك بعيد الدار غربه * غرب فما غاب من أنت ذاكره
أهدى السلام بلا حد ولا أمد * الى محل رسول الله عامره

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

أمنزلنا جادت ثراك السحائب * والا جادته الدموع السواكب
ووشاك وشي الغمام بدرّه * وحلى محلا حل فيه الحبائب
وحيا نسيم الريح بالجزع آنسا * فما غاب ذاك الانس بالجزع غائب
فياعهدنا بالخيف هل أنت عائد * ويا أنسنا بالجزع هل أنت آيب
وهل راجع عصر الشباب الذى انقضى * وقد شيبت سود الشعور الشوائب
وهيهات أن تقضى لنا برجوعه * كما كان غصنا مورقا وهو ذاهب
وقد سلب الدهر المفرق أنسنا * وأودى به والدهر للانس سالب
فما رحب الانفاس الا معاطبا * وأي بخيل للنفائس واهب
أطالب أيام العقيق بعودة * وقد عز مطلوب له أنا طالب

فياصاحبي كن مسعدى فى صبابتى * والا فما أنت الصديق المصاحب
اذا مابدا برق الحجاز فأدمعى * تفيض الى الورّاد منها المشارب
أعاتب أيام البعاد وقلما * يبرّد حرّ الشوق بالعتب عاتب
وأبخل بالصبر الجميل وانه * لينهبه من وارد البين ناهب
ولما بدت أعلام طيبة قصرت * من الشوق ماقد طوّلته السباسب
وقفنا وسلمنا وفاضت دموعنا * وحنت الى ذاك الجناب الركائب
نزلنا وقبلنا من الشوق تربها * وطابت بذاك الترب منا الترائب
فللعين من تلك المعاهد نزهة * وللقلب فى تلك الرسوم مآرب
حوت سيد الرسل الذى جل قدره * له فى مقام القرب تقضى المطالب
بمقاب حاز المفاخر سابقا * ولا شرف الا الذى حاز غالب
ببادى الورى طرّا مناصبه سمت * وراقت بخير الرسل تلك المناصب
محمد الهادى باشراق نوره * تمزق من ليل الضلال غياهب
ترقى الى السبع الطباق ومابدا * له فى ترقيه من الحجب حاجب
وخاطبه فى حضرة القدس ربه * وأدناه فى حال الخطاب المخاطب
نبىّ بدت أنواره وتلألأت * فنها تضىء النيرات الثواقب
لقد أشرقت شمس النهار بنوره * وبدر الدجى لمابدا والكواكب
أعلل قلبى بالوصول لقبره * وان غبت ماقلبى وحقك غائب
وانى أناديه وان كنت نازحا * نداء غريب غرّبته المغارب
اذا كنت لى ياسيد الرسل شافعا * فما أنا من نيل السعادة خائب
بجدك يامن جل قدرا وحظوة * وجاها وتمكينا تنال المواهب
فيامعشر الاحباب ان نبيّنا * الى فوزنا داع وساع وخاطب
الا فاذكروه كل حين وسلموا * عليه بذاك الذكر تسمو المراتب
وقوموا على أقدامكم عند ذكره * فذلك فى شرع المحبة واجب

(ومنها قوله رحمه الله تعالى)

شمس الهدى وضحت بأشرف مرسل * وزجت دجى ليل الضلال المسبل
من وجه عبد الله كان ظهورها * للخلق طرّا فى ربيع الاوّل
خلعت على الآفاق أشرف ملبس * وبدت فأى دجنة لم تنجل
فالنيران المشرقان كلاهما * للمصطفى اعترفا بعجز مجمل
فالشمس لما أن بدت أنواره * أومت اليه بالسلام الاحفل
والبدر قابله بحسن كامل * فانشق للبدر الاتم الاكمل
ولليلة الاسراء أجمل منظر * بجمال اسراء الحبيب الاجمل
فضلت على الايام من شرف لما * حازته من شرف النبىّ الافضل
وبها بدا نور النبىّ المصطفى * وبدت لنا نار الكليم المصطلى

اذ جاءه الروح الامين مسلما • ومبشرا بورود أعذب منهل
فسرى الى أسنى محل وارتقى • والحسن منه بتومه لم يكمل
رفعت له حجب الجلال بأسرها • فرأى جلالا لم يكن بممثل
حتى انتهى الروح الامين لحده • وبحيث يذهل عقل من لم يذهل
ناداه لما أن ترقى وحده • لك يا محمد ذا التقرب ليس لى
ارقا الى الافق السنى مشاهدا • وانزل سفارتك بالحضيض الاسفل
واصعد بزورة من تعاظم ملكه • واصعد الى عرش الحبيب الاول
فهناك شاهد حضرة القدس التى • سبحاتها تفنى حجا المتأمل
وبدا لكمال له ونودى مقبلا • أهلا وسهلا بالحبيب المقبل
أنت المراد لسرنا ولحسنا • أقبل الينا يا محمد نقبل
والبس بحضرة قدسنا خلع الرضى • منا وجزاد بسل منها وارفل
ولك الوسيلة يا محمد عندنا • وبها تخيب وسيلة المتوسل
فاحكم بما يوحى اليك من الهدى • وارتل بأنوار الكتاب المنزل
فيه شفاء للصدور فبرؤها • بمفصل منه وغير مفصل
يا نفس هل تشفيك زورة طيبة • فرسومها برء لكل معلل
ولى زمانك فى التصابى والمنى • فدعى التصابى والامانى وارحلى
يا قلب روعات الجوى هل تنقضى • عنى ولوعات الجوى هل تنجلى
وأزور قبر الهاشمى محمد • قبل الرحيل وقبل عذل العذل
انى وان بخل الزمان بقربه • فبلوعتى وبدمعتى لم أبخل
اسقى الثرى تذكارها فعيتها • بجوى ونار صبابتى ماتأتلى
لهفى على بعد المزار متى أرى • بقضى الزمان بقرب ذاك المنزل
ومتى أبشر بالمنى ويقال لى • هذا مقر الوحى دونك فانزل
وتهب تلقاءك نواسم طيبة • الى أبرد بها اليك ومتى لى
فلقد بليت بلوعة وبدمعة • وحبر بك الازكى شفاء المبتلى
شغلت قربك برداء صبابتى • ضمن البعاد به فطال تغزلى
شرفا الى خير الانام بأسرهم • سؤلى وأسنى مقصدى وموئلى
فبه أنا متوسل فى مقصدى • أسنى التوسل بالرسول المرسل
وبجاهه عند الامام مآربى • ووسائلى تقضى وان لم أسأل
وبه الامانى قد غدت يا صاحبى • وموارد الحدثان عنى بمعزل
بشراك نفسى فالامانى اقبلت • بشرى تبشرنى بخير معجل
بمديحه أنضى الزمان مسالمى • فتعدى امرة وجه المهلل
فبه الهى قد رجوتك راغبا • دون الانام فباب جودك موئلى
واليك ربى رغبتى وتوسلى • وعليك فى كل الامور توكلى

(وثبت فى آخر هذا الكتاب ما صورته) قال محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن العطار نفعه الله تعالى بالعلم كان الفراغ من اكمال هذا الفصل واتمامه حسب نثره ونظامه ضحوة يوم الجمعة الثانى من شعبان المكرم سنة ست وتسعين وستمائة ماعدا أربع قصائد اشتمل عليها فانى ما تقدمت على انشائه أودعتها فيه والله سبحانه المستعان وذلك بمدينة الجزائر بجزائر بنى مزغنة من اقصى افريقية من ارض متيجة صانها الله تعالى انتهى (وثبت فى آخره بخط بعض الاكابر ما نصه) تأليف الفقيه العالم الاديب البارع أبى عبد الله محمد بن العطار الجزائرى انتهى وهو كتاب نفيس جمع فيه بين حسن النظم والنثر فالله تعالى يجازى صاحبه أفضل الجزاء بمنه وكرمه *(ولا بأس أن نورد هنا من كلام أهل الاندلس بعض الامداح النبوية زيادة على ما ذكرنا فنقول قال العارف بالله تعالى ابن العريف فى كتاب مطالع الانوار ومنابع الاسرار

وحقك يا محمد ان قلبى * يحبك قربة نحو الاله
جرت أمواه حبك فى فؤادى * فهام القلب فى طيب المياه
فصرت أرى الامور بعين حق * وكنت أرى الامور بعين ساهى
اذا شغف الفؤاد به ودادا * فهل ينهاه عن ذكراه ناهى
يهيم بذكره ويحن شوقا * حنين المستهام الى الملاهى
يخامره ارتياح منه حتى * يقول أولو الجهالة ذا النلاهى
وما هو حق فضل قدرآه * فصار يجد فى طلب الملاهى
فسوف ينال فى الدنيا سرورا * وفى الدار الاخيرة كل جاه
ويعطى ما تمنى من أمان * كما قد حب محبوب الاله

وقال أيضا رحمه الله تعالى

ياعاذلى فى طلابى * دعنى من العذل دعنى
سأعمل العيس شوقا * بالعزم دون التأنى
الى ضريح رسول * مصدق حسن ظنى
أشدو على كل فج * حنين الحمام يغنى
يا أطهر الخلق انى * بذلتى عبد قن
فأعتق اليوم رقى * وانظر بعطفك منى
فأنت أنت ملاذى * اياك اياك أعنى
ان غبت عن عين جسمى * ماغبت عن عين ذهنى
لولاك كنا أناسا * أشتر من كل جن
فاذ بعثت رسولا * لخير فضل ومن
لله خالص شكرى * عساه يصفح عنى
فاننى عبد سوء * قلبت ظهر المجن

وقال فى خاتمة ذلك الكتاب

صلى الاله على النبي الهادي • ما لاذت الارواح بالاجساد
صلى عليه الله ما اسودّ الدجا • فكسا محيا الافق برد حداد
صلى عليه الله ما انبلج السنا • فابيض وجه الارض بعد سواد
صلى عليه الله ما همع الحيا • فسقى البلاد برائح أو غادى
صلى عليه الله ما هفت الصبا • وشدا على فنن الاراكة شادى
صلى عليه الله ما ألف الكرى • جفن تخامره لذيذ رقاد
صلى على المختار أحمد ربه • ما استمسكت بالمحلى رماد
صلى على خير الانام محمد • من خصه بالورد والارشاد
صلى الاله على رسول حاشر • حشر الانام لديه في المعاد
صلى الاله على رسول عاقب • في الدهر وهو بفضله كالهادى
صلى الاله على رسول خاتم • ختم النبوّة بالكتاب الهادى
صلى الاله على المقفى ما اقتفى • بشر نبوته بغير عناد
صلى على ماحى الضلال الهه • ما غرّدت طير على الاعواد
صلى الاله على نبي طالع • بسلاحهم قمعت فؤاد العادى
صلى عليه الله فهو نبيه • ناداه بالارشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله • أعطاه راية عزمة ورشاد
صلى عليه الله فهو خليله • أسدى اليه منه كل سداد
صلى عليه الله فهو صفيه • صفى سريرته من الاحقاد
صلى عليه الله فهو وليه • والاه في الاصدار والايراد
صلى عليه الله فهو المصطفى • من كل حضار العباد وبادى
صلى عليه الله فهو المجتبى • يجبى اليه الخير دون نفاد
صلى عليه الله فهو المنتقى • نور الزمان وواحد الآحاد
صلى عليه من رآه مطهرا • واختاره طودا من الاطواد
صلى عليه من رآه بفضله • وأعاده حيا لغير معاد
صلى عليه من أراه جلاله • وأناله من ذاك كل مراد
صلى عليه من أحل فؤاده • في ظل عرش ثابت الاوتاد
صلى عليه من غذاه بنعمة • تتضاعف كتضاعف الاعداد
صلى عليه من كساه عوارفا • واختصه منه بخير اياد

(وقال الشيخ أبو عبد الله بن عمران مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب كما تقدم)

الف أيا خير البرية هذى • مدحى وما أنا في مقامى هاذى
باء بها أظهرت صدق محبتى • وبذلك الجاه الكريم لياذى
تاء تخذت وسيلة ما سكنه • وجعلته يوم المعاد عياذى

ثاء ثنائى ليس يحصر فضلك الشذا هى ولا يحصى به باستحواذ
جيم جلالك جل طور فخاره * عن شبه مثل أو لحاق محاذى
حاء حبيت بمعجزات ذكرها * يولى ذوى الايمان كل لذاذ
خاء خصصت بها بفضل عناية * منها لجأت الى أجل ملاذ
دال دحضت بحقها مستقربا * ابطال زور مشعر بملاذ
ذال ذراع الشاة أفصح مخبرا * عما يحاذر ضره بنفاذ
راء رميت عصائبا قد ألبوا * فعموا ولما ينصروا بلواذ
زاى زعيم بالوجاهة أنت اذ * كل بجاهك عاذ كل عياذ
سين سبقت بكل فضل يقتدى * جفن المعالى منه ليس بقاذ
شين شأوت مفاخرا كل الورى * وتركتهم غرقى بلجة آذى
صاد صعدت ذرى لوقف زلفة * ترك السعود مقطع الافلاذ
ضاد ضويت الى جلال كافل * لك بالرضى در الجلالة غاذى
طاء طلابك لديك شفاعة * فيها بذدت الجمع أى بداذ
ظاء ظماؤهم بحوضك سوغوا * ريا كان به مذاقة مادى
عين علا ذكر افتخارك وارتقى * عن غمر مغتاب وزور الماذى
غين غمام قد علاك مظللا * يمشى بمشيك دائما ويحاذى
فاء فصاحتك البليغة أعجزت * للقوم من قرلى ومن شذاذ
قاف قواعد صرح كسرى زلزلت * لولادة اوهت قوى ابن قباذ
كاف كفلت بما تلته والضحى * لجماعة الجارين باستنقاذ
لام لدعوتك الجابة اسلمت * ثروات هتان الحيا بهماذى
ميم معين يديك اذ غلب الظما * أروى الورى من توأم وفذاذ
نون نجارك أصله متخير * من بطن ذات علا واطهر حاذى
هاء هتمت على تنائى شقتى * بعلاك هادى ماتجانك هذى
واو ولوانى استطعت لسابقت * قلمى خطى قدمى بالاغذاذ
لا لا كيف قدر شوق باعث * اعزائى مستنهض شحاذ
ياء يمينا لو قدرت اذن لما * أخرت سعى مبادر حذاذ
دامت عليك صلاة ربك ماهمت * ديم بوبل هاطل ورذاذ

(رجع) الى الكاتب أبى عبد الله بن الجيان الاندلسى (قال تقبل الله تعالى منه يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

يامن تقدس عن أن * يحيط وصف بذاته
ومن تعالى جلالا * عن مشبه فى صفاته
ومن قبول ثنائى * اليه أسنى هباته
صل على من تبدى * نور الهدى من سماته

ومن علا الفخر لما • رقى الى معلواته
محمد خير هاد • بجلمه وأناته
محمد خير داع • بالصدق من كلماته
محمد خير مبد • لناسنا معجزاته
أكرم به من نبي • همت سما مكرماته
أعزز به من رسول • سمت علا درجاته
وخصه الله منه • بالفضل من تكرماته
لما حباه بأوفى • صلاته في صلاته

وقال

يارب بلغ سلامي • لاحمد ذي الشفاعه
لخاتم الرسل أعني • امام تلك الجماعه
لابهر الخلق مجدا • يحكي الصباح نصاعه
لمن صفات علاه • تعجز أهل البراعه
لسيد لسناه • يزهى السنا والبراعه
لمرشد بهداه • قد فاز عبد أطاعه
وناظم الحسن نظما • قد ضم منه نصاعه
ومن منزل يا من • أرى العيون اطلاعه
ومن حباه كما • خلاله وطباعه
ومد في كل فضل • لصفوة الرسل باعه
فزده يارب فضلا • وزد محبيه طاعه

وقال أيضا غيره

لقد رفع الاله عن البرايا • ببعث محمد محن الصروف
اتى والناس في الآفاق نهب • لسمر الخط أو بيض السيوف
فأنقذهم ولولاه لكانوا • الى بين الضلالة والحتوف
نبي لا يقل عليه الا • ضعيف العقل ذو رأى مؤوف
كانما رالبهود أو النصارى • أو الفلكى أو كالفيلسوف
فبعض للتجاهل والتعامى • وبعض للتحير والوقوف
زعانف لا يهولك ما رواه • فان الجهل جامعة الظروف
اذا بارى بجذل ضعيف • فان صحاحنا فوق الالوف
فبرهان النبوة مستفيض • تدل به على رغم الانوف
شفوف الرسل متضح ولكن • لاحمد الشفوف على شفوف
حروف الخط أصل للمعاني • وللالف التقدم للحروف

وما أحسن قول القائل

لولا النبيّ محمـــد • هلك الورى في سوء حاله
أعلى الورى قدرا وأكـثرهم واظهرهم دلاله
خـتم الاله به النبوّة والطهارة والرساله
واختصه دون البريـة بالمكانة والجلاله
بدر الرسالة والعصا • بيحول ذاك البدر هاله
قذف العصا في أعين الـكفار فاعتقوا الجداله
وتدرّعوا ثوب الكآ • بة بعد اظهار الجذاله
فاصخ الى أنبـــائه • تعلم بانك المنتهى له
واذا ابتغيت وسيلة • ومدحته ومدحت آله
فاقطع بأنك آمن • يوم القيامة لامحاله

وقال أبو القاسم سعد بن محمد

اطلق لسانك بالصلاة على النبيّ الابطحيّ الهاشميّ محمد
واجعل شعارك ذاك تنج به غدا • ان النجاة بذكره يوم الغد

ولابي اليمن بن عساكر

يارب صلّ على النبيّ وآله • صلواتنا مادامت الايام
واخصص ختوم صلاتنا بجنابه • كالمسك يعبق فض عنه ختام
واحرس شريعته وأوضح سبلها • تسدو بها السالك الاعلام
وأدم كرامته وأعل مناره • وأنله أعـلى ماديك يرام
وارفع له الدرجات في رتب العلا • فهو الذى للمرشدين امام
وأقمه بين يديك زلفى موقفا • للحمد مالسواه فيه مقام
وأنل شفاعته وأورد حوضه • من لوأتاه يشتكى منه أوام
وأتح له ماللارام حصوله • الابقاء وعــز مرام
وله عليه في الاصائل والضحى • تهدى اليه تحية وسلام
وبه الى تقبيــــل موطئ نعله • وجد له بين الضلوع أوام

وله أيضا رحمه الله تعالى

ألا ان الصلاة على الرسول • شفاء للقلوب من الغليل
فصلّ عليه ان الله صلى • عليه ولاتكونن بالبخيل
وصلّ عليه قد صلت عليه • ملائكة السماء بجبرئيل
ألا ان الصلاة عليه نور • لدى الظلمات في اليوم المهول
وتثقيل لميزان خفيف • وتخفيف من الوزر الثقيل
اذا صليت صلى الله عشرا • بواحدة عليك على الرسول
وتحظى بالشفاعة يوم تجزى • ومالك من مقيل أو مثيل
فأكثر أو أقل فأنت تجزى • بذلك من كثير أو قليل

فصلى عليه مجيز جزاء ضعف * وتجزى مضاعف الاجر الجزيل
وأولى الناس أكثرهم صلاة * عليه به وأحرى بالقبول
وأنجاهم من الاهوال عبد * بها لهج بذل قال وقيل
فكن لها بذكراه حفيا * بلقياه ومصحبه الجليل
وصلى مدى الزمان على رسوله * كريم مصطفى بر وصول
وصلى على حبيب حاز فضلا * مدى شأو الكلام مع الخليل
وآتاه الوسيلة مستجيبا * وبلغه نهاية كل سول
وأزلفه وشفعه لبأوى * الينا الناس في ظل ظليل
وأيد شرعه وحمى حماه * وأيده بواضحة الدليل
وشرفه ولم يبرح شريفا * فصح مع جلالة المجد الاثيل
وزاد محبه شرفا وقدرا * بتفضيل وتنويل جزيل
وزاد علاه منه بطول عمر * قصى من مواهبه طويل
وأوردنا عليه الحوض وفدا * ليروى بالروى من سلسبيل

وله رحمه الله تعالى

أدم الصلاة على النبي المصطفى * تخلص بذاك من الجحيم ونارها
وتوله اقبالا عليها كلما * هتف المؤذن مشعرا بشعارها
فالفجر أجمعه له فتلقه * من نوبة الاسحار فوق منارها

فهذه عدة قصائد في مدحه صلى الله عليه وسلم أرجو من الله سبحانه أن تكون مكفرة لما ارتكبته على وجه الفخر والشهرة من الهزل واللهو فان ذلك والله قول لا فعل له واعا هو على نهج أهل الادب كالحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وغير واحد ممن ألف في الادب وجمعه (ولا بأس) أن نعزز هذه بمقطوعات تكون للتكفير زيادة وحق لمن توسل بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن لا تضيع وسائله وكيف وهو صاحب المقام المحمود والشفاعة والسيادة فمنها قول ابن الجياب المذكور آنفا رحمه الله تعالى

الى أحمد المختار نهدى تحية * تفاوح روض المزن بلله المزن
اذا ما فتحت مغناه زاد تأرجا * وان لثمت يمناه قابله اليمن
أسير أشواقى رسولا بعرفها * لتسعد ها منه العوارف والمن
وأرجو اليه الفضل فهو منيله * وما خاب لى فيه الرجاء ولا الظن
عليه اعتمادى حين لا لى حيلة * اليه استنادى حين ينبو بى الركن
به وثقت نفسى الضعيفة بعدما * أثير بها من ضعف قوتها الوهن
اليه صلاتى قد بعثت ومشفعا * سلاما به الاحسان يساق والحسن

وقوله رحمه الله تعالى

أيذهب يوم لم أكفر ذنوبه * بذكر شفيع بالذنوب مشفع
ولم أقض فى حق الصلاة فريضة * على ذى مقام فى الحساب مرفع

أرجى لديه النفع فى صدق حبه * ومن يرتج المختار لاشك ينفع
وأهدى الى مثواه منى تحية * اذا قصدت باب الرضى لم تدفع

وقوله رحمه الله تعالى

ياأرحم الخلق يوم الحشر والندم * ارحم عبيدك ياذا الطول والنعم
انى توسلت بالمختار سيدنا * الطاهر المجتبى من خيرة الامم
اليك من سيا آتى انها عظمت * ياواحدا لم يزل فردا ولم ينم
عليه منك صلاة كلما طلعت * شمس وماخط فى الاوراق بالقلم
فهو الشفيع الذى أرجو النجاة به * من الجحيم اذا الكفار كالحمم

وقوله أيضا رحمه الله تعالى

حبيب القلوب معتمد الخلق أبى القاسم النبى الشفيع
قد تشفعت من ذنوبى الى ذى العزة الواحد العلى السميع
فاشفع اشفع ياخاتم الرسل يوم الحشر والمشهد العظيم الفظيع
لظلوم لنفسه قد تناهى * فى الخطايا وكل فعل شنيع
فاذا ماتذكر الذنب فاضت * مقلتاه واغرورقت بالدموع
لاتخيب رجاءه انه من * ربه خائف كثير الخشوع
وعليك الصلاة بدءا وعودا * ماأضاءت ذكاء عند الطلوع

وقوله أيضا عفا الله تعالى عنه

يارب ان شفيعى من ذنوبى فى * يوم القيامة خير الخلق والنسم
محمد خاتم الرسل المبلغ للـ * دين الحنيفى والاسلام للامم
عليه منى صلاة كلما سجع الحمام فوق غصون البان والسلم
وبعد ذلك أعداد الجبال ورمل الارض والطير والحيتان والنعم
كذاك أيضا سلامى طيب عطر * عليه ماقام عبد فى دجى الظلم
لله وهو كئيب خائف وجل * من الذنوب حزين القلب ذوألم

وقول الشيخ الامام أبى زيد الفازازى رحمه الله تعالى

كملت نعت محمد خير الورى * غرر القصائد كلها وحجولها
واختص دون الانبياء بدعوة * وسع العباد عمومها وشمولها
فاضت على الثقلين منه أشعة * طلعت وماعقب الطلوع أفولها
فالانس تعلم أنه مقصودها * والجن توقن انه مأمولها
كم آية بالصدق كان ظهورها * كم آية بالسبق كان نزولها
وكفى بهذا الوحى فهو شهادة * لمحمد لازم العباد قبولها
جمع الاله المكرمات لامة * هذا النبى الهاشمى رسولها

وقوله رحمه الله تعالى

أى نور كشف الله به * سدف الباطل عنا أجمعين

ختم الله به أنواره • عندما أكمل سن الاربعين
وأتانا بدليل بين • عجزت عنه دواعي المدعين
فهو للناس جميعا مرشد • وهو بالله تعالى مستعين
تركت دعوته وهو الرضى • سائر الخلق اليها مهطعين
ما عدا أنباءه فهو مقى • أنصح القائل والمستمعين
والذي يهدي الى شرعته • فهو مزاح عن عذاب المهين
والذي يرغب عن سنته • فهو من شيعة ابليس اللعين

(وقوله وهو كما قبله روى)

أصح فخر العالمين مناقب • تدل على التمكين والشرف الاسرى
أتى والورى أسرى فكان غياثهم • بنور سماه يتقلوه عن الاسرى
ومحى رسوم الكافرين وأهلها • فلا قيصر من بعد ذاك ولا كسرى
تقدم كل العالمين الى مدى • تظل به الاوهام ظالعة حسرى
وخص بتشريف على الناس كلهم • ومن لم يقل هذا تقوله قسرا
ترقى الى السبع الطباق ترقيا • حقيقا ولم يعبر سفينا ولا جسرا
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة • يجهلها من لا تيسر لليسرى
سبحان من أسرى اليه بعبده • وبورك في السارى وبورك في المسرى
وكم عجب أوحى الى عبده به • فدونك تجميلا ولا تطلب القسرا

(وقوله رحمه الله تعالى)

هاك عن هذا النبي المصطفى • خبرا يقبله من سمعه
سبحت صم الحصاة كفه • ثم في كف الهداة الاربعه
واذا أبدى نبي عبرة • فهو لا ينكر فيمن تبعه
أي نطق قد روى اعجازه • عن سماع كل من كان معه
جمع الرسل التي قد سلفت • أصبحت في أحمد مجتمعه
فاعتقد صحتها واعمل بها • فدعاوى ضدها منقطعه
حكمات العقل لا يجحدها • غير أهل الطبع والمبتدعه

(وقوله رحمه الله تعالى)

اذا أملت من مولاك قربا • فجدد ذكر خير الانبياء
وصل عليه أول كل قول • وآخره بصبح والمساء
فان محمدا أعلى البرايا • محلا في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمنى يديه • وكل الناس من دون اللواء
تحدث عن دلائله فقيها • شفاء للنهى من كل داء
ولست بناقل لعشر منها • وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قصرا فهذا • مجال ليس يحصر بانتهاء

براهين البسيطة ليس تحصى * فدونكم براهين السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

أمّا عيـن محمد * ويساره فهما اسماء
كلتاهما ان صوح الشـجر عن لنا طعم وماء
واذا اضرّ بنا السقا * م وغيره فهما شفاء
فاعجب لكف فى الورى * فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بانّ محمدا * فى الخلق ليس له كفاء
فاذا أصخت لآية * فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشمى بدا فليس له خفاء
فالارض قد فتحت ببعثته وفتحت السماء

(وقوله رحمه الله تعالى)

بركات رسل الله غير خفية * ومحمد خير البرية أبرك
هذا النبى الهاشمى هو الذى * هدى الانام به وبان المسلك
كم آية لمحمد كم حجة * عز الولى بها وذل المشرك
دعواته مسموعة مرفوعة * والحس ليس يصح فيه تشكك
لاشئ أعجب من دليل واضح * يجئ به بعض وبعض يهلك
أمسك بحبل محمد خير الورى * تظفر بقصدك أيها المستمسك
واذا سمت لغاية فى رفعة * فعلى أحمد غاية لاتدرك

(وقوله رحمه الله تعالى)

قبح الاله الملحديـن فانهم جحدوا الضروره
والمعجزات تواترت * عن أحمد فى كل صوره
والله أعلى كعبه * فى خلقه وأتمّ نوره
كثر الطعام مع الشرا * ب بكفه عند الضروره
وتكنفته عناية * من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو * ب الى اجابته مصوره
وحمى الشريعة بالدليـل فدع معاندها وزوره
قل للمشكك حين يبـدى فى تشككه قصوره
بينى وبينكم الكتا * ب فدونكم فأتوا بسوره

(وقال رحمه الله تعالى)

اذا بهرت للهاشمى دلالة * فكم حجج فى طيها ودلائل
فكم مرة آتى الغنى كف سائل * وكم مرة اعطى المنى فكم سائل
له تحت أستار الغيوب شهادة * معدلة لم تبق قولا لقائل
يحدث عما كان أو هو كائن * فقس آخرا من صدقه بالاوائل

اذا الصدق لم يمورك فى غدواته • فلا شك فى تصديقه بالاصائل
وحسبك فى الانباء بالغيب أنه • ستسمعها بالنقل من قول قائل

(وقوله رحمه الله تعالى)

ياذا المعنى بهذا الذكر تسمعه • فى المدح تأثره فى سيد الناس
هذا النبى ومن آيات أثرته • فى الطيب والطول لاتجرى بمقياس
قد اقتضت معجزات الغيب وافية • صحيحة باستفاضات واحساس
وهاك نوعا من الاعجاز منتزها • عن نقد منتقد أو صحع قرطاس
لاتعدم النقل عن آثار سيدنا • فانما نحن فيها بين أغراس
تنقل الانف فى النوار ينشقه • من ياسمين الى ورد الى آس
ان القلوب اذا اعتلت خواطرها • فذكر أحمد فيها المبرئ الآسى

(وقوله رحمه الله تعالى)

تأدب اذا ذكر المصطفى • بصمت اللسان وغض البصر
فان التأدب عند السما • ع ينفعهم فى النطق أرفق النظر
وردد أحاديثها انها • دليل على صدق خير البشر
وصل عليه مدى ذكره • فذلك أفضل مايدخر
ولاتسترب فى براهينه • فتسلك مسلك قوم أخر
فكم آية ظهرت للنبى • وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك فى نور برهانه • على أن برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا • وقل فوق طورك هذا الخبر

(وقوله رحمه الله تعالى)

اعمل بآثار النبى فانها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين
واشدد يمينك بالشريعة انها السبب المتين
خير البرية أحمد • والحسن يصحبه اليقين
ذوقوة عند الاله مقرب منه مكين
زان النبيون الورى • ومحمد لهم مزين
هاد الى طرق الصبا • ة مؤيد فيها أمين
والهج بمدح الهاشمى فانه الحصن الحصين
ولئن فعلت ملن تمر • تك بعد ذا دنيا ودين

(وهذا ندبس بجملة الكتاب مسك الختام)

وللناس أعمال بخير وضده • وما يحسن الاعمال غير الخواتم

والا فالامداح النبوية بحر لاساحل له وفيها النثر والنظام زاده الله شرفا وحباه أفضل الصلاة وأزكى السلام (وهذه القصيدة) من نظم الفقيه الاجل ابى الحجاج يوسف بن

موسى المنشافرى الاندلسى نفعه الله تعالى بنيته وبلغه غاية أمنيته ورتبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروى فانه على حرف الميم وكذا آخر الشطر الذى قبله فانه ميم أيضا وهذا نصه بحروفه ماعدا حرف الواو فانى لم أجده وكملته على منواله

حل فى طيبة رسول كريم * فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الانبياء * مرشد الناس للطريق السواء
والعماد الملاذ فى اللاواء * وشفيع العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم * فعليه الصلاة والتسليم
اذهب الغى نوره والغياهب * فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالبا للاكاذب * وبدت منه للانام عجائب
صدق أقوالهم بها معلوم * فعليه الصلاة والتسليم
لبراهين صدقه معجزات * حيثما حل حلت البركات
وسمت أربع به وجهات * فبه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والحطيم * فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هاديا صدوق الحديث * ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيبا دعوة المستغيث * وكريما نداه فوق الغيوث
ونداه بالجود جود عميم * فعليه الصلاة والتسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج * سيد نوره أضاء الدياجى
خصه الله ليلة المعراج * باصطفاء ورفعة وتاج
وبتكليمه له التكريم * فعليه الصلاة والتسليم
مصطفى مجتبى كريم صفوح * للنبيين جاهه ممنوح
فلاكرامه أجير الذبيح * ونجا آدم وخلص نوح
وكذاك الخليل ابراهيم * فعليه الصلاة والتسليم
بعثه كان رحمة للعباد * دلهم بالهدى طريق الرشاد
ونفى كل باطل وعناد * ودعا للاله دعوة هاد
فاذا الحق واضح مستقيم * فعليه الصلاة والتسليم
أمه بالشكاة ظبى أخيذ * مستجيرا بجاهه يستعيذ
وبه كانت الوحوش تلوذ * وله خاطب الذراع الحنيذ
لا تذقنى فانى مسموم * فعليه الصلاة والتسليم
أشبع الجيش والطعام يسير * ودعا نخلة فجاءت تسير
وهمى من يديه عذب غزير * وله البدر شق وهو منير
معجزات تحار فيها الفهوم * فعليه الصلاة والتسليم
حجب النور فى السموات جازا * فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
فبه فى غد ننال المفازا * وكفى أمة الرسول اعتزازا

اذا الصدق لم يعوزك في غدواته * فلا شك في تصديقه بالاصائل
وحسبك في الانباء بالغيب أنه * ستسمعها بالنقل من قول قائل

(وقوله رحمه الله تعالى)

يا ذا المعنى بهذا الذكر تسمعه * في المدح نأثره في سيد الناس
هذا النبي ومن آيات أثرته * في الطيب والطول لا تجرى بمقياس
قد انقضت معجزات الغيب وافية * صحيحة باستفاضات واحساس
وهاك نوعا من الاعجاز منتزها * عن نقد منتقد أوصنع قرطاس
لا تعدم النقل عن آثار سيدنا * فاعا يحسن فيها بين أغراس
تنقل الانف في النوار ينشقه * من ياسمين الى ورد الى آس
ان القلوب اذا اعتلت خواطرها * فذكر أحمد نها المبرئ الآسي

(وقوله رحمه الله تعالى)

تأدب اذا ذكر المصطفى * بصمت اللسان وغض البصر
فان التأدب عند السما * ع يفهم في النطق أرق المطر
وردد أحاديثه انها * دليل على صدق خير البشر
وصل عليه مدى ذكره * فذلك أفضل ما يدخر
ولا تسترب في براهينه * فتسلك مسلك قوم أخر
فكم آية ظهرت للنبي * وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شك في نور برهانه * على أن برهانه قد بهر
فكبر على عقله أربعا * وقل فوق طورك هذا الخبر

(وقوله رحمه الله تعالى)

اعمل بآثار النبي فانها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين
واشدد يديك بالشريعة انها السبب المتين
خير البرية أحمد * والحق يصحبه اليقين
ذو قوة عند الاله مقرب منه مكين
زان النبيون الورى * ومحمد لهم مزين
هاد الى طرق النجا * ة مؤيد فيها أمين
والهج بمدح الهاشمي فانه الحصن الحصين
ولئن فعلت فلن تفو * تك بعد ذا دنيا ودين

(وهذا التسديس جعلته للكتاب مسك الختام)

وللناس أعمال نخير وضده * وما يحسن الاعمال غير الخواتم

والا فالامداح النبوية بحر لا ساحل له وفيها النثر والنظام زاده الله شرفا وحباه أفضل الصلاة وأزكى السلام (وهذه القصيدة) من نظم الفقيه الاجل ابي الحجاج يوسف بن

وهي المنشاري الاندلسي نفعه الله تعالى بنيته وبلغه غاية أمنيته وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب فيما عدا الروي فانه على حرف الميم وكذا آخر الشطر الذي قبله فانه ميم أيضا وهذا نصه بحروفه ماعدا حرف الواو فاني لم أجده وكملته على منواله

حل في طيبة رسول كريم * فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلق خاتم الانبياء * مرشد الناس للطريق السواء
والعماد الملاذ في اللأواء * وشفيع العصاة يوم الجزاء
يوم يبدو لديه جاه عظيم * فعليه الصلاة والتسليم
اذهب الغي نوره والغياهب * فأضاءت مشارق ومغارب
وغدا الحق غالبا للاكاذب * وبدت منه للانام عجائب
صدق أقواله بها معلوم * فعليه الصلاة والتسليم
لبراهين صدقه معجزات * حيثما حل حلت البركات
وسمت أربع به وجهات * فبه قد تعرفت عرفات
وبه تاه زمزم والحطيم * فعليه الصلاة والتسليم
لم يزل هاديا صدوق الحديث * ووفيا بالعهد غير نكوث
ومجيبا لدعوة المستغيث * وكريما نداه فوق الغيوث
ونداه بالجود جود سجوم * فعليه الصلاة والتسليم
بهج الحق أوضح الابتهاج * سيد نوره أضاء الدياجي
خصه الله ليلة المعراج * باصطفاء ورفعة وتناج
وبتكليمه له التكريم * فعليه الصلاة والتسليم
مصطفى مجتبى كريم صفوح * للنبيين جاهه ممنوح
فلاكرامه أجير الذبيح * ونجا آدم وخلص نوح
وكذاك الخليل ابراهيم * فعليه الصلاة والتسليم
بعثه كان رحمة للعباد * دلهم بالهدى طريق الرشاد
ونفى كل باطل وعناد * ودعا للاله دعوة هاد
فاذا الحق واضح مستقيم * فعليه الصلاة والتسليم
أتته بالشكاة ظبي أخيذ * مستجيرا بجاهه يستعيذ
وبه كانت الوحوش تلوذ * وله خاطب الذراع الحنيذ
لا تذقني فانني مسموم * فعليه الصلاة والتسليم
أشبع الجيش والطعام يسير * ودعا نخلة فجاءت تسير
وهمى من يديه عذب غزير * وله البدر شق وهو منير
معجزات تحار فيها الفهوم * فعليه الصلاة والتسليم
حجب النور في السموات جازا * فاحتوى الفضل والعلاء وحازا
فبه في غد ننال المفازا * وكفى أمة الرسول اعتزازا

أن غنى يكون منها كليم ● فعليه الصلاة والتسليم
انما حكمه عدل وقسط ● لم يجر في القضاء والحكم قط
حبه في بلوغ قصدى شرط ● وبامداحه ذنوبي تحط
وزوال العنا وتجلي الهموم ● فعليه الصلاة والتسليم
قد حمى ديننا برعى وحفظ ● ونفى روعنا بأمن وحفظ
وحبانا بما الذى الرب يحظى ● هاديا راحما الناس غير فظ
مثل ما نصه الكتاب الكريم ● فعليه الصلاة والتسليم
نور برهانه جلا كل شرك ● وهداه أجار من كل هلك
خير العالمين من غير شك ● فلكم رامه العداة بفتك
وهو في كل حالة معصوم ● فعليه الصلاة والتسليم
ما لخير الانام منهم عديل ● انه مجتبى نبي رسول
ما عسى مادح الشفيع يقول ● وبامداحه أتى التنزيل
وثناء خلاله مرسوم ● فعليه الصلاة والتسليم
نحن لولا اتباعه لشقينا ● نور برهانه أرانا يقينا
وغدا ما نخاف منه يقينا ● وكؤوسا بحوضه قد سقينا
من رحيق مزاجه مختوم ● فعليه الصلاة والتسليم
أحمد عند ربه ذو اختصاص ● جاهه كامل بغير انتقاص
عدة للمسيء يوم القصاص ● وشفيع لكل جان وعاصى
يوم يحتو الحميم فيه الحميم ● فعليه الصلاة والتسليم
بيديه حوائج الكل تقضى ● ويجاز الذى أجاز وأمضى
وينادى الحبيب أنت المرضى ● سوف نعطيك ما تحب وترضى
نتحكم بعفوى الك التحكيم ● فعليه الصلاة والتسليم
فاق بالمولد السعيد ربيع ● ان فيه بدا الجلال الرفيع
من هو الذخر والعماد المنيع ● فلاذ للمذنبين شفيع
ورؤف بالمؤمنين رحيم ● فعليه الصلاة والتسليم
أفصح الناس في حديث وأبلغ ● بين الوحى للانام وبلغ
طيب الحل قد أباح وسوغ ● ولكم نعمة من الله سوغ
فلاحسانه علينا عميم ● فعليه الصلاة والتسليم
كان بالحق والهدى معروفا ● أجود الناس بالندى موصوفا
شرف الله قدره تشريفا ● هاديا مرشدا رسولا شريفا
مجده في العلاء مجد صميم ● فعليه الصلاة والتسليم
وجهه بالبها أضاء وأشرق ● مجده في صميمه الاصل أعرق
من في كفه قضيبا فأورق ● باصبع قد أشار للبدر فانشق

ثم قد عاد وهو بدر سليم * فعليه الصلاة والتسليم
جاءه الوحى أنت خير الناس * بلغ الامر لاتخف من باس
وخذ العفو للانام وواس * واحمهم من مكايد الوسواس
فعليك البلاغ والتعليم * فعليه الصلاة والتسليم
كان فى الله أثبت الناس جأشا * ليس من غيره يخاف ويخشى
فيكف من الحصى ماكل جيشا * وعيون العداة بالترب أعشى
فنجا المصطفى وخاب الظلوم * فعليه الصلاة والتسليم
قد سما قدره بغير تناهى * وعلا جاهه على كل جاه
آمر بالتقى عن الشر ناهى * من يطعه ينل ثواب الاله
وله عنده النعيم المقيم * فعليه الصلاة والتسليم
عمدة الخلق للمفاخر حاوى * بحماه يلوذ كل ثاوى
مبلغ المعتنى الذى هو ناوى * كيف يحصى ثناء أحمد راوى
وعليه أثنى الكتاب الحكيم * فعليه الصلاة والتسليم
حسنه كالصباح بل هو أجلى * وندى كفه من الشهد أحلى
واعتلا قدره من السبع أعلى * مدحه فى الكتاب مازال يتلى
فله الفخر والثناء العظيم * فعليه الصلاة والتسليم
خصه الله من رسول نبى * فى جميع الورى بقدر على
وحباه منه بنور بهى * فهدى الخلق للصراط السوى
وصراط الهدى سوى قويم * فعليه الصلاة والتسليم

قال مؤلف هذا الكتاب العبد الفقير أحمد بن محمد المقرى المالكى وفقه الله تعالى الى حسن المتاب وحباه الدخول فى زمرة من رفع عنهم بشفاعة المصطفى الاصر والعتاب (هذا) آخر ماسمح به الخاطر الكليل من هذا المقصد الجليل الذى يشكون الى ماوراءه من الطرف الادبية خير دليل ووضعته والقلب حليف شجن وغربه والفكر أليف حزن وكربه وأنا أسأل الله تعالى الذى لا يرجى سواه أن يجعل بناءه ثابتا بحسن النية حيث البناء الذى فيه حظ النفس واه وأن يكون ماطلبته فيه من الهزل بالجد المذكور فيه مكفرا وأن ينفع به من وجه اليه وجهته فانى قد جمعت فيه ماينـدر جمعه فى غيره وكل الصيد فى جوف الفرا

يامن عليه اتكالى * ومن اليه مئابى
جدلى بعفو لعنى * اذا أخذت كتابى

(واعلم) أن هذا الكتاب معين لصاحب الشعر وان بمعانى الانشاء والنثر من البيان السحر وفيه من الوعظ والاعتبار مالم ينكره المنصف عند الاختبار وكفاه أنه لم ير مثله فى فنه فيما علمت ولا أقوله تزكية له ويعلم الله تعالى أنى تبرأت من هذا العارض وسمته سمات ولولم يحز من الشرف الا ختمه بهذه الامداح النبوية الشريفة ذات الظلال

الوريفه لكان كافيا شافيا وهاأناأجعل آخره تنبيها للبيب قول ابن حبيب

ياخير مبعوث له طلعة * نورالهدى منها أقر العيون

جئت الى ناديك أرجو القرى * من غيث كفيك المغيث الهتون

كن لى شفيعا فارتكاب الهوى * أوقعنى بين الشجا والشجون

صلى عليك الله سبحانه * ماهزت الريح قدود الغصون

وقول النواجى

لقدأفرطت فى حسن ابتداء * ورمت تخلصى يوم الزحام

فياالمختار أرجو عفو ربى * ليرشدنى الى حسن الختام

(وكان) الفراغ منه عشية يوم الاحد المسفر صباحها عن السابع والعشرين لرمضان سنة ثمان وثلاثين والف بالقاهرة المحروسة والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وألحقت فيه كثيرا فى السنة بعدها فيكون جميعه آخر الحجة تتمة سنة تسع وثلاثين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم دائما أبدا الى يوم الدين

يقول مصححه الراجى من ربه المنان جزيل الفضل والامتنان وجميل الاحسان والامان محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن مصحح دار الطباعة الميريه بالديار المصريه بعد حمد الله على ما أولاه والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم الذى غمت آدابه على الخلائق انسجم وزاخر مكارمه متموجم وتقاعس عن مباراته كل مدع وأحجم أفصح من نطق بالضاد وأفخم كل مضاد كيف لاوقد أوتى جوامع الكلم وسواه لم يكد يعشار عشر فصاحته يلم وعلى جميع آله وأصحابه وسائر أوليائه وأحبابه ان مما لا يحتاج الى بيان لشهادة الحس به والعيان أن حضرة الخديو الاكرم وجناب الداور الافخم من بنور عدله غيهب الجور تلاشى حضرة صاحب الديار المصرية افندينا محمد سعيد باشا لاتحصى مناقبه ولا تستقصى مواهبه ولاتحصر مفاخره ولاتنضبط مآثره فكم له من آثار حسنه ومشروعات مستحسنه صادرة عن رؤية سليمه صائبة مستقيمه لايخطئ سهمها الغرض متى لاح لها وعرض ولاغرو فقد غدى بدر المعارف وتضلع بالتالد منها والطارف وكسى من حللها بالمطارف وتفيأ من ظلالها بالمديد الوارف الى شجاعة حيدريه وعدالة عمريه وأمانة عامريه وابهة قيصريه وابالة كسرويه وأناة احنفيه وحكمة يمانيه ومحبة للعفو مأمونيه فهو جدير بماقلته فيه وان لم اكن ممن يحتذى هذا المنهج ويقتفيه لقلة البضاعه وعدم الاستطاعه غير أن نعمه التى بحلاها طوقتنى بقدر حالى من الشعر أنطقتنى فقلت من قصيدة

بشرى لنا جاء السرور وعيده * والدهر ساعدنا وزال وعيده

وبشائر الاقبال أصبح طيرها * يشدو وفيما أخذ النهى تغريده

يزرى بألحان المثانى سجعه * ماالموصلى وزلزل ماعوده

حيث الهنا بالانس أضحى روضه * نضرا وأينع بالمسرة عوده

والبشر قد وافى وفاء حبوره * وتنجزت بعد المطال وعوده
لا زم مولانا العزيز محمد * الداورى فخر الزمان سعيده
كنز العطا غيث الندى بحر الوفا * ليث الشرى تحمى العداة جنوده
يعطى عطاء دونه جود الحيا * ما حاتم فى عصره ما جوده
فلطالما أحيا ماعدما فاقتدى * من بعد ضنك لا تعد نقوده
ولكم أغاث صريع فقر مدقع * فأتاه من بعد الشقاء سعوده
والنيل لولا انه يحكى عذو * بة نيله ما كان طاب وروده
انسى السموأل ذكر بعض وفائه * وكذا اياس فى الذكاء وليده
هو فى الوغى سفاحه منصوره * وكذا الشفى الرأى السديد رشيده
حامى الحقيقة ذو حفاظ أمنه * سيان فيه قومه ووفوده
أما اللغات هوابن بجدتها ومن * رام الدليل عيان ذاك شهيده
ذو حكمة لو ذاقت الحكماء منـ * ـها قطرة قالوا انحن عبيده
ومعارف وعوارف تقضى بأن جنابه فرد الزمان وحيده
ومكارم ومراحم معشارها * من رام احصاه بدا تفنيده
وعدالة عمرية يعنوا لها * كسرى لان الداورى يسوده
وشجاعة من باس حيدرة لها * ذل العدو قريبه وبعيده
شيم تنظم عقدها بفرائد * الدهر منها قد تحلى جيده
شيم سمت فكانهن كواكب * سيارة يسرى بها تحميده
شيم تغار الزهر من لمعانها * فلذا استدام يطرفها تسهيده
شيم ثناها الغطارفة الالى * سادوا وأقيال الزمان وصيده
فيه اجتمعن وما جمعن لغيره * والله يعطى من يشاء ويريده
يا سعد من أدناه وهو وليه * وشقاء من اقصاه وهو طريده

وقلت فى آخرها

حسبى لديك من العناية نظرة * تحيى ارتياحى والعناء تبيده
والعبد محسوب على ساداته * وبهم يتاح لعبدهم مقصوده
ومتى توجهت العناية نحوه * يكفيه فهو بدهره مسعوده
لا زال هذا الداورى يسمو على * أوج المعالى والاله يزيده
وعلى اريكة عزه مستبعا * حسن الثناء مؤبدا تخليده

وحسبك شاهدا على ميله لترفيه العباد ومحبته لنشر المعارف على الحاضر منهم والباد صدور أمره الشريف بطبع عدة كتب أدبية مختاره ليتسنى بذلك لكل طالب أن يستخرج شذورها وبشاره منها هذا الكتاب الذى جمع من الآداب ما يزرى بالقلائد الدريه ويزدرى العقود الجوهريه من كل معنى لا ينال لكل اريب الا انه وان بعد شأوه فهو للادراك قريب قد أفرغ فى قالب من الالفاظ يفعل بالالباب ما لا يفعله بها

سحر الالحاظ رقة وانسجاما وعذوبة تسيل حكما سا وجاما الى فوائد تاريخيه وتخطيطات جغرافيه ومسائل اصوليه وفروع نقليه وعقليه وسائر ما يتعلق بالبلاد الاندلسيه من فتحها بقوة الاسلام القدسيه وما أصيب فيها من الغرائب وما اشتملت عليه من العجائب واحوال مدنها وقواعدها وبعض أخلاقها وعوائدها ومن تشرفت بدخوله من صالح السلف ومن تبعهم من الخلف وملوكها وسلاطينها وأركان دولتها وأساطينها ومن أهل الرحلة اليها وعوّل فى قصده عليها أو خرج منها وتحوّل عنها بقصد أداء فريضة الحج والقيام بشعيرة العج والثج والرواية والتحصيل والاخذ عن الائمة بالاجمال أو التفصيل والالماع بطرف من أخبارهم ومستملح نوادرهم فى اقبالهم وادبارهم وما كابده أهلها لما اشتد عليهم هولها واضمحلت صولتهم وتغيرت دولتهم بتغلب العدو على بلادهم واستيلائه على طريفهم وتلادهم وما يتعلق بلسان الدين الذى هو موضوع هذا المؤلف والغرض الاصلى لمن له الف وغير ذلك مما هو فيه مقرر ومسطور ومحرر فتلقى أمره العالى بالامتثال وطبع ما تيسرت اصوله منها حتى ساح سيحه فى الاقطار وانثال وحصل التشبث ايضا بطبع الكتاب المذكور حتى كمل وجاء بحمد الله تعالى وعونه على وفق الامل غير انه لم يكن بيدى من اصوله الكاملة الا نسخة مغربية واحده لكنها بالسقط والتحريف فى مواضع عديدة تكاد تكون لحق الكتاب جاحده ولم يكن معى ما يعين على اثبات حقه ويساعد على تمييز كذبها فى تلك المواضع من صدقه الا نسخة مخرومة فى الاثناء والاواخر فكنت بها عند الاعتبار بتلك الحال كالى بفلك فى بحر التصحيح ماخر وكثيرا ما كانت تنعكس القضيه وتسلك الاخرى طريقة غير مرضيه فيصير المعين معاندا ويبدى انقيادا واذعانا وربما اتفقتا على ازال فوجبان السامة والملل لانفراد الذهن حينئذ بالعناء فى الوقوف على اللفظ ومعناه والقرائن وملاحظة السباق ومراعاة اللحاق والسباق واستعمال التحريف وارتكاب التحريف ومراجعة المظان ان تيسرت وسؤال من يتسنى من ارباب المعارف ان تعذرت أو تعسرت فتارة يحصل بفضل الله تعالى الوقوف على الحقيقه ويجزم بأن هذه الطريقة بالاعتبار هى الحقيقه وتارة تكون الاخرى فيكون الاعتراف بالعجز أحرى وانما نشير الى محل التوقف برقم أو تعليق على الحاشيه كما هى فى كتب تصحيح العادة الماشيه حتى جاء بحمد الله فى فن التصحيح بمنه تعالى ما بين حسن وصحيح يقرعين الودود ويسخن عين الحسود ويسر المنصف ويسوء المتعسف ومن ارتاب فى ذلك واتهمنى فيما هنالك فليطلع على الاصل والمطبوع فانه يذعن للحق ويجزم بان ما اشتهر من القول المتبوع على أنى بين أبناء جنسى دائما اتلو وما أبرئ نفسى اذ لا بد من زلل يوافق وقت ملل ولا بد من نسيان يعرض عند تشوش الاذهان وكيف يسلم غير المعصوم وهو بالعجز والنسيان موسوم

من ذا الذى ما ساء قط ✽ ومن له الحسنى فقط

وقد ابى الله العصمة الا لكتابه المجيد فهو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد هذا وكانى بمتشدق متعنت متشقشق يحمله الحسد لنهجى الاسد على القدح بما هو شعاره والطعن بما هو دثاره والتشنيع بما هو ديدنه والخوض بما هو دأبه وسننه حسبما جرت به عادته الذميمه المشاكلة لروئته الدميمه واقتضاه لؤمه ونحسه وشؤمه غير ملتفت لعيوب نفسه البادية بفضيحته ونحسه البائسة حد التعداد التى لا يلوث بها الطرس المداد استقذارا لذكرها واكتفاء بشهرة أمرها فلا جواب لمثله الا الطرح فى زوايا الاهمال وجعل كيده فى نحره وكفى الله المؤمنين القتال

سكت عن السفيه فظن أنى * عييت عن الجواب وما عييته

ولكنى اقول

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا * لاصبح الصخر قيراطا بدينار

بل مذمته تشهد لى بالكمال جريا على قول من قال

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى كامل

وأفوض أمرى الى مولاى اللطيف الخبير فهو نعم المولى ونعم النصير هذا ولما وافى طبع ذلك الكتاب حد التمام وفاح من ختامه مسك الختام فى الايام السعيدية التى هى فى جبهة الدهر غرة وفى ثغره ابتسام قلت مؤرخا كمال طبعه فى هذا العام وملوحا أيضا بمدح حضرة ولى النعم بما هو على قدرى من النظام وان لم اكن أهلا لذلك المقام

رب قلب لم يرم عن ياسه * مادرى استنقاذه من باسه
فليمط عن نفسه أدرانه * وليعذ بالله من وسواسه
وليذد عنه قنوطا طالما * أضرمت فيه لظى مقباسه
هل لباس من علوم وبهة * والخديوى العلم من أغراسه
غرس العلم لنا فى مصرنا * وهو الماجح من غراسه
أسس الآداب فيها واعتنى * فهى تستعلى على آساسه
فحلى جيد مصر يجتلى * من لآلى عقدها أو ماسه
وازال الجهل عن أبنائها * ومحا ما كان من أرجاسه
أبدل الوحشة منها نعما * بالذى اولاه من ايناسه
مدن القطر بتعليم وتر * بية قد أثرت فى ناسه
أدركوا فى الحرب فنا طالما * حادهم عن الغير عن برجاسه
فتراهم فى الوغى آساد الشرى * يرهبون الليث فى أخياسه
ولكم أردوا شجاعا ذادها * بضرب الاخماس فى أسداسه
ولكم من بطل قد تركوا * يخبط العشواء فى ابلاسه
ولكم داروا بحصن شامخ * وسطوا فيه على حراسه
ولقد حازوا فخارا جمة * كسبوها من سنا أرغاسه
وحووا فى ظله ما قد ثوى * من قديم العهد فى أرماسه

أدبا أزاؤه طول المدى * لم يزل يقذف من بحر جناسه
حيث أساميه بالطبع فى * مصره فاشال فى قرطاسه
وكتاب النفح أسنى كتبه * اذ هو الممتاز فى أجناسه
صدر الامر لدار الطبع أن * يطبعوه الآن فى أطراسه
فجرى التصحيح والطبع له * وبذا أخرج من ديماسه
مذتناهى الطبع فيه وبدا * نور هذا الفن من نبراسه
وملا الكون عبيرا نشره * فانتحى من ورده أو آسه
تلك فيما أرخوه الداورى * نشر نفح الطيب من أنفاسه

١٩٧ ٩٠ ٥٢ ١٣٨ ٥٥٠ ٢٥٢

وكان اتمام طبعه واكمال تمثيله ووضعه فى دار الطباعة المصريه بالديار المصريه
فى بولاق مصر القاهره ذات الشهرة العامة والمحاسن الباهره تحت
ملاحظة مأمور تعمير أشغالها ومباشرة أعمالها جناب حسين
افندى حسنى لازال لسان الصدق والاجتهاد عليه يثنى
موافقا ذلك اواسط شهر ربيع الاول شهر ميلاد من
عليه فى الدارين المعول سنة ١٢٧٩ سنة تسع وسبعين
بعد المائتين والالف من هجرة من كان
كما يرى من الامام يرى من الخلف
صلى الله عليه وعلى آله وسائر
الناسجين من أمته
على منواله ما لاح
بدر تمام وعبقت
روائح مسك
الختام